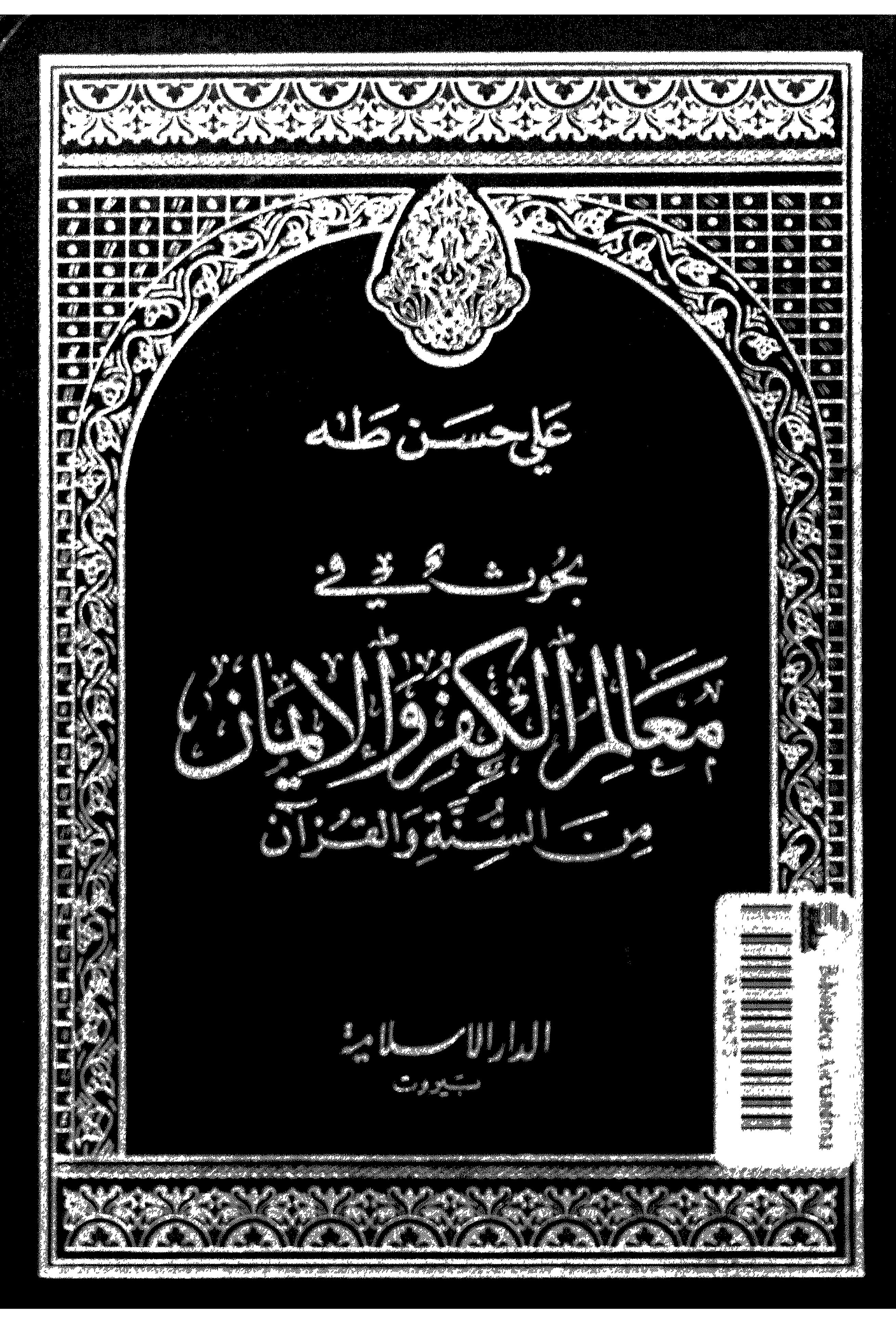
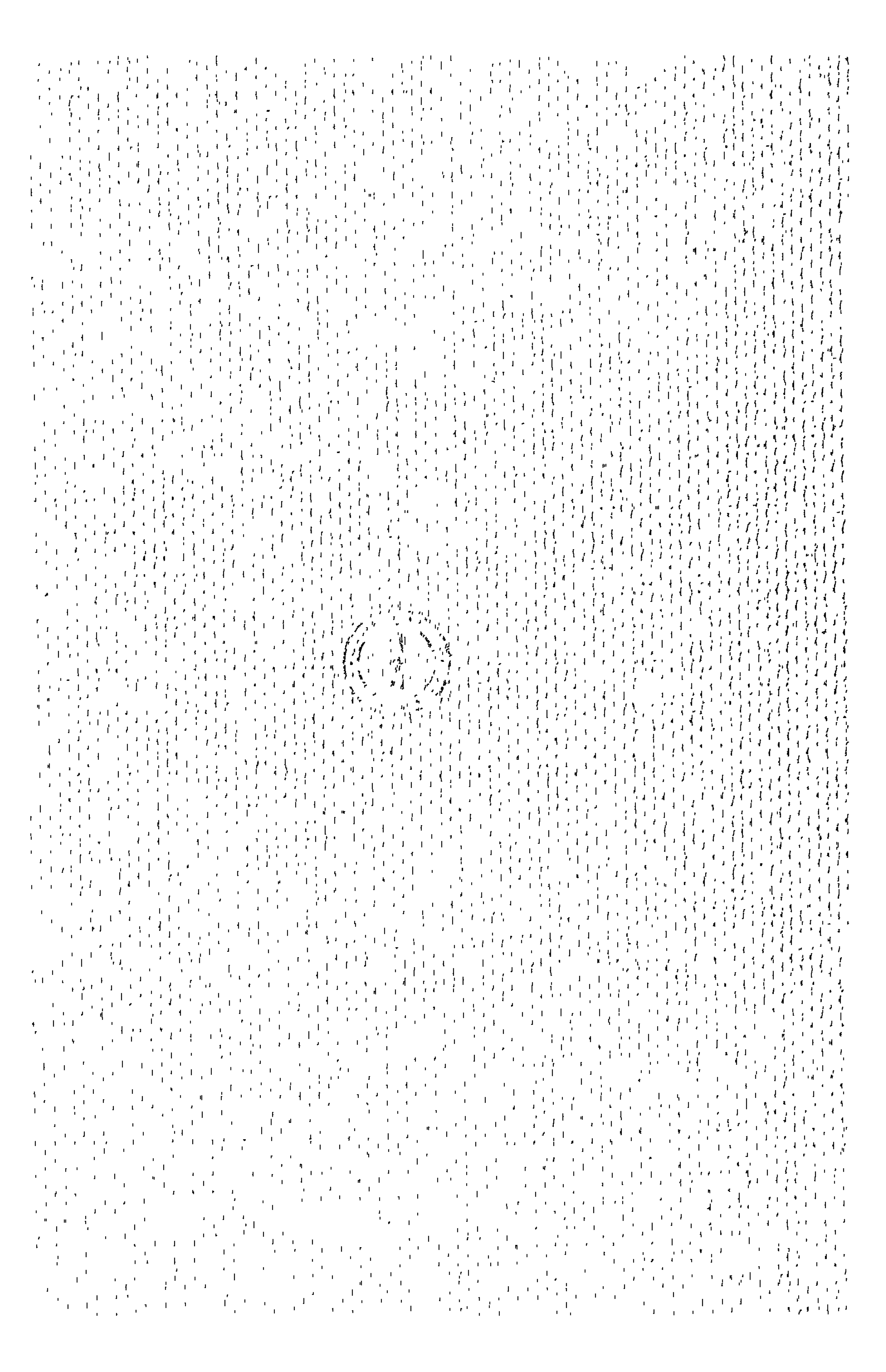
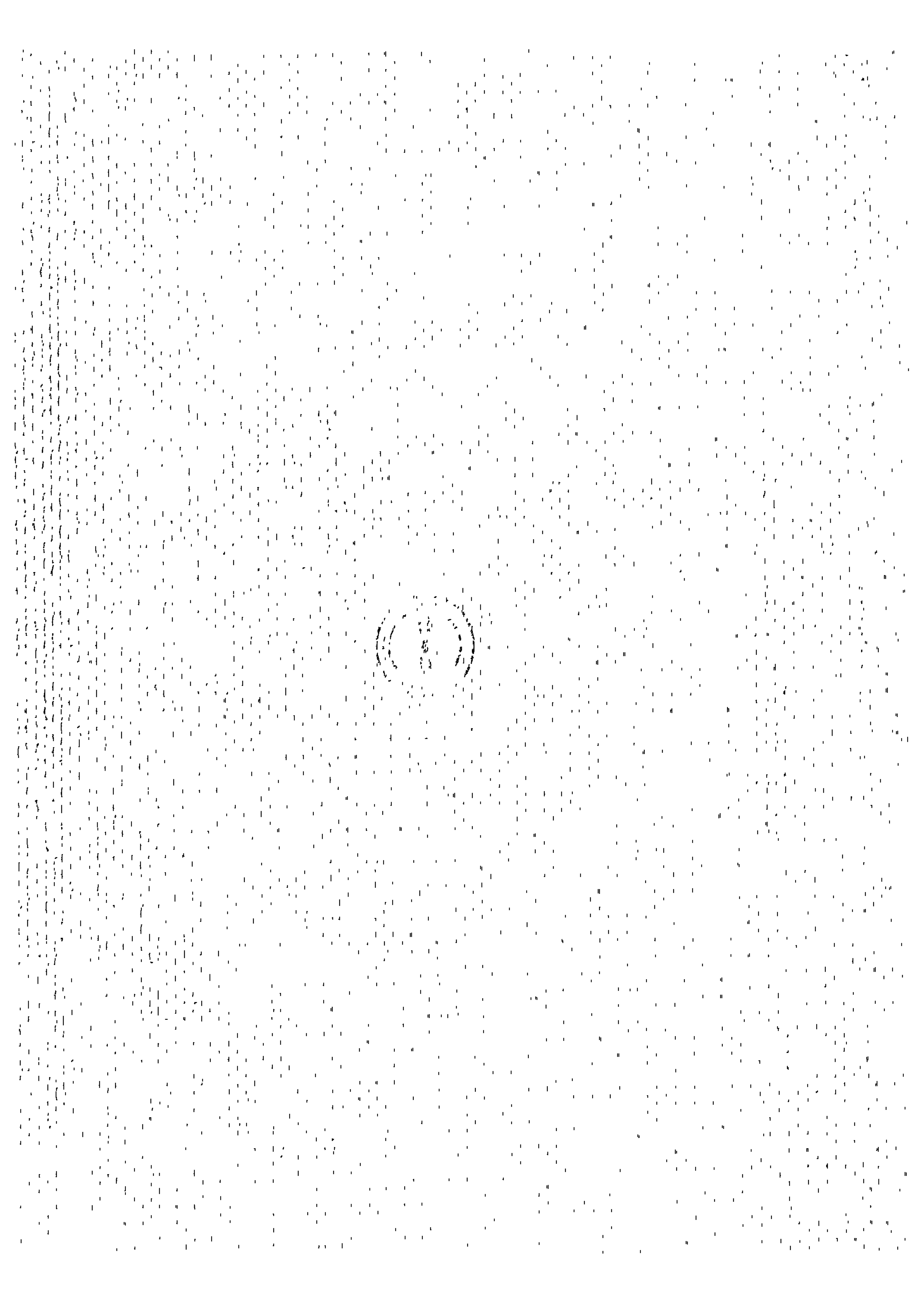

علي حسن طه
بحوث في
معالم الكفر والإيمان
من السنة والقرآن
الدار الإسلامية
بيروت






بحوث في
معالم الكفر والإيمان
من السنة والقرآن

الطبعة الأولى
١٤١٢هـ - ١٩٩٢م



كورنيش المزرعة - بناية الحسن سنتر - طابق ثاني - هاتف: ٨١٦٦٢٧
ص.ب: ١٤/٥٦٨٠ - تلكس: ٢٣٢١٢ غدير
فرع ثاني: حارة حريك - شارع دكاش - هاتف: ٨٣٥٦٧٠ - ص.ب: ٢٥/٢٠٩

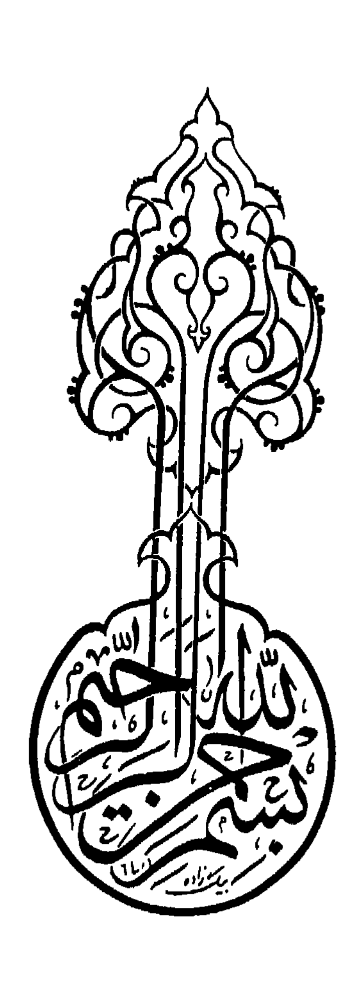
علي حسن طه

بحوث في

معالم الكفر والإيمان

من السنة والقرآن

الدار الإسلامية
بيروت


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

. . . إلى الباحثين عن المنهج القويم

إلى السائرين في النهج السليم

إلى التابعين للصراط المستقيم . . . الذي ذكره الرب العليم في الذكر الحكيم فقال عز وعلا : ﴿ وأنَّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله ذلكم وصّاكم به لعلكم تتقون ﴾ الأنعام/١٥٣ .

. . . إلى الحائرين . . . والضائعين في غمرة المبادىء والأحداث والطروحات

. . إلى كل من ضل الطريق . . . وهو يفتش عن كوة نور يغسل بها قلبه ليهتدي .

أهدي هذه البحوث في معالم الكفر والإيمان. . . الدالة بإذن الله على طريق الأمان والإيمان والعزة والسلام .

علي طه

الهرمل ـ لبنان

٣ شوال ١٤١١هـ

١٨ نيسان ١٩٩١م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــــدمة

الحمـد لله وكفى ، والصلاة والسـلام عـلى النبي المصـطفى وآلـه الأخيـار وأصحابه الأبرار .

إنّ الحديث عن الإسلام كعـامل فعّـال في توجيـه مجريـات الأمور في العـالم الثـالث ، وكمؤثر أسـاسي في الحياة الفكـرية والسيـاسية والإقتصـادية في العـالمين الأول والثاني ، قد بات ملفتاً للإنتباه في طيات التحليلات السياسية ، والأبحـاث الفكرية ، والثقافية ، وندوات الحوار وغير ذلك وعـلى الصعيد الـواقعي فإنـه من الأسباب التي تقلق راحة الكبار من زعماء الشرق والغرب ، بعدما ظن هؤلاء أنهم استطاعوا تعطيل الفاعلية الكامنة في هذا العامـل الحضاري والثقـافي والذي يمكن أن ينسف بنيان حضارتهم ذات الوجه الـواحد (الـوجه المـادي) ، ليؤسس عالمـاً يقوم على أساس المادة والروح معاً بشكل متوازن .

والواجب أن نقف أمام الكثير من الأفكار والإستنتاجات لبعض متغـربينا ، أو بعض مستشرقيهم (أي الغـربيين) منـاقشين ومصححـين وفق ما ينسجم مـع الفهم الصحيح والثوري لروح الإسلام كعامل تغيير جذري ، لا يساوم ولا يهادن ولا يخادع ، لأنه يبني علاقاته مع القوى السياسيـة والمنظمات الـدولية ضمن إطـار خطه المستقل وفعله ، محكّـماً المقاييس الإسـلامية (الثـورية) التي تتعـدى المفهوم الجـامد والمتخلف وتتجـاوز مصالـح الزعـامـات المحليـة ، والحكـام ذوي المـزاج ، السياسي المتقلب . . .

ومما لا شك فيه أن اتفاق جميع الإستكباريين على محـاربة خصمهم المشـترك (الإسلام) ليس أمراً جديداً ، بـل هو هـدف أساسي في اسـتراتيجية الإستكبـار العالمي ، إلاّ أن هذه المحاربة ، تظهر أو تتعاظم وفي بعض الحالات تتقلص شيئاً ما ، حسب حجم التحرك الإسلامي نحو انطلاقة إسلامية فـاعلة في العالم ، وإذا مـا لاحظ هؤلاء ثمة تحـرك إسلامي هـادف أشار الغـرب على دوائـره بأن تـرصـد العمل الإسلامي ، لأنه يخشى من الإسلام الحقيقي ، كما أنه يوعز إلى عملائه من سياسيين ومحللين ، وكتاب وصحفيين ومستشرقين ، وشرقيين مستغربين . . . ان ارتاحوا قليـلاً الآن ، ولتنصب جهودكم المؤذيـة للإسـلام والمسلمين عـلى تشويـه المفـاهيم الثوريـة الإسلاميـة وإبعاد صـورةالإسلام الحقيقي من واجهـة التحليـل والدرس، وليكن توجهكم لدراسة وتدريس الفنون (الإسلامية) والشعـر الغزلي والأدب الماجن في العصور الإسـلامية المختلفـة . . . جرِّبـوا أن تقدمـوا للشعوب الإسـلامية مـادة فكريـة أو أدبية أو علميـة تلهيهم عن واقعهم المأسـاوي وتمنعهم ـ قدر الإمكان ـ عن التفكير بمستقبلهم الإسلامي المشرق . . .

ويبقى الإسلام خصماً مشتركاً لجميـع القوى الكـافرة في العـالم ، لأن الكفر ملة واحدة ، يوحده عداؤه للإسلام ، وتفرقه مصالحه ، ويظهر أمـر الإتفاق عـلى مخـاصمة الإسـلام عندمـا تبرز قـوة الإسلام والمسلمـين ، ويتفـرق الكفـر بسبب تضارب مصالح قواه عندما يشعر بضعف المسلمين ، فيعمـل كل فـريق منهم على ربط المسلمين بقوته لتقاسم خيرات العالم الإسلامي .

ويحاول البعض أن يدّلل على أن السياسة الإسـلامية هي الـطابع الـطاغي عـلى منطقـة الشرق الأوسط وأن الدول التي تـرفع اللواء الإسـلامي في سياستهـا تشعـر أنها أمام مـأزق لأنها ساهمت جميعهـا في نشر حالـة ذعر عنـد الإستكبار من الإسـلام ، وبالإضـافة إلى ذلـك فإن القـوى السيـاسيـة في المنـطقـة تعمـل بلون إسلامي : اليساريـون ـ والعروبيـون ـ والإسلاميـون ، كل هؤلاء حملة الإسـلام يرفعون بيارق الجهاد . . .

والـواقع أن النـظرة السطحيـة إلى الأمـور والتحليـل المبني عـلى المقـدمـات الخاطئة يؤدي بالتأكيد إلى الاستنتاجات الخاطئـة ، إذ أن المؤتمرات (الإسـلامية) عنـوانـاً ، والمنـظمات (الإسـلاميـة) واجتـماعـات وزراء خـارجيـة الـدول

(الإسـلاميـة) ، واتحـادات الكتـاب والسيـاسيـين (المسلمـين) ومـا إلى ذلك من تسميات وتجمعات وتنظيات موجودة أو ستوجد في المستقبل . . كل ذلك لا يؤثر بحال على مسيرة الأحداث إن لم يكن مضمونه إسلامياً ، لا عنوانـه ، عدا عن ذلك فإن الدعوة إلى هذه اللقاءات والمشاورات والإجتماعات ليست أمراً جـديداً في ساحة العمل السياسي للدول المسماة بالدول الإسلامية ، فكلما وجد هؤلاء ثمة منفعة لزعـامتهم ، أو لهيمنة أسيـادهم تداعـوا للقاء بـاسم الإسلام والمسلمـين ، وبإيعاز من أعداء الإسلام والمسلمين في كثير من الأوقات والحالات ، لـذلك فـإن الدول الكبرى وجبابرتها ، وطغـاتها لا يخافون عـادة من المؤتمرات التي تعقـد باسم الإسلام إلّا نادراً . . أي عندما تكون هذه المؤتمرات إسلاميـة المضمون والتـوجيه فضلاً عن الشعارات .

ولم يحصل الخوف الفعـلي ، إلا أخيراً ، عنـدما أفلت الـزمام من أيـديهم ، وأعلن الإسلام الحقيقي عن نفسه بثورة الإسلام في العصر الحـديث ، التي بدأت من إيران ، ثورة مستقلة ، عن كل قوة استعمارية ، شرقية أو غربيـة ، وذلك لأن الأسماء والألقاب تمنح في عصرنا مجاناً . . .

إن الخوف الواضـح الجلي عنـد الإستكبار العـالمي ، هو من رايـة إسلاميـة حقيقية ، رفعها الإمام الخميني (قده) ، والمؤمنون في إيران، تحت شعـار لا شرقية ولا غربية ، وهذا ما جعل الإستكبار يفكر بخطة لإسقاط هذه الراية .

. . . وكان أن نفَّذ الإستكبـاريون مـا أرادوا من مؤامرات عـلى الجمهوريـة الإسـلامية في إيـران . إلّا أن إرادة الله أقـوى في دحـر المعتـدين ورد كيـدهـم إلى نحـورهـم ، ونصر المؤمنين المضحـين المخلصين عـلى أعداء الحق والـدين . . أمـا السبب في رغبتهم بمحاربة راية الإسلام الأصيل فهو يعود إلى أن هذه الراية أصيلة في كل شيء ، في المصدر والهدف والوسيلة . . . أصيلة في قماشتها ، وخيـاطتها ، وما كتب عليها . . . أصيلة بحملتها ورافعيها والسائرين بها وخلفها . . .

وليس بخـاف عـلى أحـد ، سـذاجـة من يعتقـد أن المنـطقـة (الشرق الأوسط) ، هي مجموعة بيارق إسلامية ، فاليساريون والعـروبيون والإسـلاميون جميعهم حملة راية إسلامية ، إلّا أن هذه النـظرة السطحيـة لواقـع الأمور لا تخيف

الإستعمار ، فهو أعلم بمن خلق ، من تنظيمات وأحزاب ، وهو أدرى بما أنزل ووضع من ايديولوجيات ، وأفكار مطّاطة ، وقوالب للأفكار ، ومقالع للمقولات . . . وهو الذي يوحي إلى عملائه ومنظماته وأحزابه : انّ بدّلوا أساليبكم ، خادعوا الناس شرط أن تصلوا إلى أهدافكم ، ارفعوا شعارات إسلامية إذا وجدتم ذلك مناسباً ، انشأوا تنظيمات إسلامية العنوان والشعار ، كافرة المضمون والجوهر إذا كان لا بد من ذلك ، استغلوا الدين ، لا تعلنوا إلحادكم بين المتدينين ، حاربوا الدين ، اكتبوا عن الإسلام في صحفكم ونشراتكم ، أشيدوا بعلماء الدين ، صلّوا في المساجد ، تظاهروا بالتدين . . .

ومعلوم أن تلامذة الإستعمار ينفّذون تعاليم معلميهم بكل دقة ، فإذا علا صوت الإسلام سمعتَ أصواتاً فيها بحة ، تقول مع الألسن المؤمنة (الله أكبر) ، وإذا امتدت ستائر الظلمة امتدت أياديهم السوداء لتشوه وتمزق الإسلام ، إن استطاعت إلى ذلك سبيلاً .

إن الذي يزعج الإستكبار هو الإسلام الحقيقي ، الإسلام القرآني ، إسلام المستضعفين في الأرض والساعين لأن يكونوا أئمة وارثين ، إن هذا الإسلام النفطي لا يخيف ولا يزعج ، بل يفرح الإستعمار ويبتهج له قلبه وحضارته المادية وصناعاته . . . وإذا كان الإمام الخميني (قده) ـ كما قيل عنه ـ هو محطة في تيار بدأ قبله بفترة بعيدة ، فإن ذلك لا يعني أن تيار الخميني (قده) الذي يمثل التيار الإسلامي الحقيقي ينسجم مع تلك التيارات الإسلامية الباهتة ، التي تصب في مصب الأعداء ، فلا تشابه بين هؤلاء السابقين والإمام الخميني (رضوان الله عليه) ، من جهة عمق النظرة وبعد الأثر ووضوح الخطة وسلامة الخط واستقلالية العمل .

ونعود إلى القول بأنّ الإستكبار مصمّم ـ وبشكل مستمر ـ على حرب الإسلام الحقيقي . . . والإستعمار لا يغتر بالإسماء والأشكال المستعارة ، فأمريكا تذكر أن الشاه طرد عن إيران ، حين طرد ، بإسم الإسلام ، ولكن الإسلام الحقيقي . . . والإتحاد السوفياتي ـ ابّان الثورة ـ كان متضايقاً من تحرك علماء الدين ضد الشاه في إيران ، ووصف تحركهم ذاك بأنه للحفاظ على امتيازاتهم ، ولكن الواقع يؤكد أنهم يخشون من نور الإسلام وناره ، لذلك حاولوا إطفاء نوره

بأفواههم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون . واتفق السوفيات مع الأميركان على محاربة الإسلام ـ آنذاك ـ في إيران ، ووضعت « التقدمية » يدها في يد الرجعية (والإمبريالية) ، ضد الإسلام القرآني .

ولمزيد من الوضوح نحدّد مقياساً للتفريق ـ في هذا المضمار ـ بين الإسلام الحقيقي والإسلام المستغل ـ بفتح الغين ـ وهو الآتي : إذا كانت أميركا وروسيا متفقتين على محاربة تيار إسلامي ، في بلدٍ ما فاعلم أنه إسلام حقيقي ، وإذا كانت أحداهما تدافع أو تساند تياراً يسمى إسلامياً فاعلم أنه إسلام مزيف ، وهو أما أميركاني أو روسي أو صهيوني . . . وكمثال نأخذه من تاريخنا المعاصر ، هو ما فعله حاكم مصر ـ السادات المقبور ـ عندما طرد الخبراء السوفيات من مصر باسم دولة العلم والإيمان ، وهو الذي كان يسمي نفسه بالرئيس المؤمن ، ـ وهذه الألقاب والتسميات كثيرة وشائعة عند حكامنا الطغاة الذين يستغلون الأسماء والصفات الإسلامية بغية محاربة الإسلام باسم الإسلام ، وعلى سبيل المثال فقد سمى طاغية العراق نفسه قبيل حرب الخليج ، وعند احتلاله للكويت ، عبد الله المؤمن وهذه الأسماء كلها أسماء للإستغلال والتزوير ـ ونرجع إلى مثالنا السابق ، إذ أن طرد السادات ـ في حينه ـ للخبراء الروس كان خدمة لأسياده في واشنطن ، وعمله ما كان يعبر إطلاقاً عن موقف إسلامي ثوري ، ولا انطلق من منطلق قرآني . . . بل طرد الخبراء الروس ليأتي بخبراء أميركيين وصهاينة .

. . . ونتوجه الآن بالحديث إلى من شوشت أفكاره ، فغدا لا يعرف كيف يميز بين الإسلام الأصيل والإسلام الأميركي المزيّف . .

ونقول لمثل هذا الإنسان :

أتعتقد أن الإسلام الذي يحالف الشرق أو يحالف الغرب ، ويأخذ تعليماته منها هو إسلام أصيل ؟ أم الإسلام الحقيقي هو إسلام الثورة الإسلامية الحرة القائدة التي تعمل لإستيعاب طاقات جميع القوى الداعية للتغيير باتجاه الثورة الإسلامية الأصلية ؟ .

وأي إسلام ذاك الإسلام المحالف والمصالح لإسرائيل ـ الجرثومة السرطانية في جسم الأمة ـ إنه إسلام النفاق والخيانة لله ولرسوله وللرسالة والتاريخ .

إنّ في ذلك ، عملية تزوير للحقائق وإلباس الباطل ثوب الحق . .

ولكن ما رأيكم في قول من يقول ، إن الدول العربية كانت وما تزال تعيش خارج عصرها ، لأنها تحتج دائماً باسم الإسلام على أي حدث أو مشكلة تعترضها ، ولا تراعي خوف الدول الكبرى من الإسلام .

ونحن نقول مع من قال إن الدول العربية تعيش فعلاً خارج عصرها ، لا لأنها تحتج باسم الإسلام في بعض الحالات ، وتحاول أن تزعج الإستكبار ، وفي كثير من الحالات عن غير قصد ، أو لأنها لا تعلن لا إسلاميتها بتبرئها من أي ارتباط بالإسلام ، وأنه لن يصدر عنها أو منها أي عمل (إسلامي) يخيف الدول المستكبرة . . .

أجل ان هذه الدول تعيش خارج عصرها لأنها لا تملك الجرأة على أن تخلع ثوب الحياء لتظهر حقيقتها السياسية فهي تخشى دول الإستعمار فتسايرها على حساب المبادىء المخلصة للشعوب المستضعفة ، وتخشى من شعوبها فتسايرها على حساب حقيقتها ، ومصلحة شعوبها ، فلا هي تعلن عداءها للإسلام بأن تسفر عن وجهها الحقيقي ؛ ولا هي تتبنى فعلاً الشرائع والمناهج الإسلامية فتكون بذلك دولاً إسلامية حقيقية .

والخيار الوحيد أمام العرب والمسلمين عامة ، ليس إلّا سلوك طريق الثورة الإسلامية ورفع شعار (الله أكبر) كشعار سياسي فذ والإنطلاق نحو البناء الداخلي والجهاد في سبيل تحرير الإنسان والأرض من جبابرة العالم ، وتعميق خوف الجبارين من قوة الإسلام ، وإذا ما ثار الجبابرة في وجه الإسلام فسيحطمهم الإسلام بوحدة الكلمة وكلمة التوحيد .

إن القوة الكامنة في الإسلام لا تفعل فعلها في الأمة ، وضد الإستكبار إلّا إذا نهض المسلمون وأخذوا بأسباب التقدم على أساس الإسلام ، وحاربوا أسباب التخلف والتفرّق وتوحدوا على كلمة التوحيد ، ولكن كيف يتم ذلك ؟ .

. . . من الواضح أن المسلمين ، يعيشون حالة التشتت والتمزق ، في جميع أمورهم وشؤونهم إجتماعياً وسياسياً ، وأهدافاً ومنطلقات وارتباطات ، لذلك

صار لزاماً على العاملين لخدمة هذه الأمة ، والساعين لنهضتها ، إن يسعوا لإخراجها مما هي فيه ، وذلك :

١ ـ بتحديد أسباب التشتت والضعف والتخلف .

٢ ـ وصف الدواء الشافي لأمراض الأمة .

٣ ـ إعطاء الدواء بالمقادير التي تؤدي إلى شفاء هذه الأمراض ، حسب إرشادات أطباء الأمة من قياداتها الواعية المؤمنة المخلصة .

٤ ـ الحمية والوقاية ، من كل ما يؤخر شفائها من عللها ، أو يعطل فاعلية الأدوية الموصوفة لها .

٥ ـ الحذر الدائم والإنتباه الدقيق ، من أجل عدم الوقوع في أي خطأ قد يؤخر تقدم صحتها عقائدياً واجتماعياً وسياسياً واقتصادياً ، وأخلاقياً ، وفي جميع المجالات :

وهو ذا سؤال يطرح نفسه :

من هم أولئك الذين سيحملون عبء النهوض بالأمة ؟

ـ هل هم الذين فتنوا في الحضارات الغالبة والذين يفرحون بتفوق أسيادهم من المستعمرين ويصفقون لانتصاراتهم ، ويتتبعون خطاهم ، ناسين وجودهم الذاتي ، ودورهم الحياتي ؟

ـ وهل هم العملاء الفكريون ، الذين يرددون شعارت الغرب ، بلا تمحيص ولا دراسة ، ولا تنبه لصلاحها أو فسادها ، ويقولبون ، عقولهم وأفكارهم ، بقوالب مستعارة ، أو يصبغونها بأصباغ محلية ، أو قومية ، ويحسبون أنها « أصبحت بضاعة أصلية » ، وينسون أن الصباغ لا يغني عن اللون الأساسي وأنه من العار ، أن تفخر المرأة القرعاء بشعر إبنة خالتها ؟ .

ـ وهل هم العملاء السياسيون ، الذين باعوا أنفسهم لمخططات الأجانب المستعمرين ، ومشاريعهم الهادفة إلى استعباد الشعوب المستضعفة ، ونهب ثرواتها ، وتكبيل إرادتها الحرة ، وانطلاقتها نحو الرقي والتطور ، لكي يتمكنوا ، من تحقيق مصالحهم، التي لا نهاية لها ولا قرار ؟ .

ـ وهل هم المتزمتون ، من الجاهلين بالإسلام ، الـذين فهموه ، تقـوقعاً ، وهروباً من المجتمع ، وانزواءً ، وطقوساً ، وطقطقة سبحات ، وتمتمات ؟ . .

ـ وهـل هم المتدينـون عـلى الـطريقـة البـاريسيـة أو اللنـدنيـة ، من دعـاة الـديمقراطيـة الغربيـة ، والعلمنة الأمـيركية أو الألمـانية ، التي تـريد أن تحصر دور محمد بن عبد الله (ص) ، رسـول الله إلى العالمـين ، ضمن مسجده في المـدينة ، وتقطع عليه الطريق إلى بدر ، لمحاربة الشرك ، والرجعية ، والإنحطاط وتريد أن تمنعه من إقامة دولته في المدينة المنـورة ، لكي يبقى اليهود مسيـطرين ، على يـثرب يتحكمون بالناس ، وبحياتهم ومصائرهم !!

. . . والتي ترغب أيضاً في منع علي بن أبي طـالب (ع) ، من مهاجمـة أجداد الصهاينة في خيبر ، ليبقى العتل الـزنيم « مرحب اليهـودي » يتبختر عـلى شرفات الحصن .

. . . والتي تـريد أن تقـول لأمير المؤمنـين (ع) : لا يحق لك أن تحكم ، ولا يحق لك أن تكون إماماً وقائداً ، فالدين شيء والمجتمـع شيء آخر ، ويشـاؤون ، ويشـاء الله ، وتسقط هذه المقـولة إلى الأبـد ، بانتصـار ثورة الإسـلام في إيران ، ويعود حفيد ابن أبي طالب(ع) ، ليعلنها دولة إسلامية ، على نهج دولة محمد(ص) وعلي(ع) ، والتي نرى ملامحها في نهج البلاغة ، في عهـد الإمام عـلي(ع) إلى واليه على مصر ، مالك الأشتر ، والواقع أنّ طلائـع النهضة : وحملة الـراية ، وقـادة الأمة ، وثوارها بلا زيـف ولا دجـل ، هم أولئك الـذين تثور وتنتفض دمـاؤهم في عـروقهم ، أسفاً ، عـلى مـا وصلت إليـه أمتهم من تخلف وانحـطاط ، وأمـلاً في صنـاعـة المجتمـع المؤمن المتقـدم ، أولئـك الـذين أضـاء الـوعي المخلص أذهـانهم ، وملأ الإيمـان الـواعي قلوبهم ، وتحـركت جـوارحهم تسعى في سبيـل الله ، منفذة أوامره ، مـطيعة ، ذاعنـة ، عابـدة ، ساجـدة ، راضية ، هـادئة ، مطمئنة ، ساعية كادحة عاملة ، مجاهدة ، باذلـة الأموال ، مضحيـة بالأنفَس من المتـاع ، والأنفُس ، لا تـريـد علواً في الأرض ولا فسـاداً ، ولا منـاصب ، ولا مكـانة ، ولا مسؤوليـات مزيفـة ، ولا جاه ، ولا دينـاراً ولا درهماً ، ولا دولاراً ، تعمل لله وتعيش من أجله ، وتطمح لرضاه ، وأولئك هم الفائزون . . .

والتشتت والتخلف ، الـذي ابتليت بـه الأمـة ، هـو فـردي وجمـاعي ،

والشكلان يؤثران على بعضهما ، تأثيرا مباشراً ، فتخلف الأفـراد يؤدي إلى تخلف المجتمع ، وتخلف المجتمع ، سببه تخلف مجموع أفراده ، كما أن تخلف المجتمع ، يضـع العـراقيـل في سبيـل تـطور الأفـراد الـذين تقـذف بهم الحيـاة ،داخـل المجتمعات ، بحيث أنهم يولدون ولديهم الإمكانيات الفكـرية والعمليـة ، إلاّ أن فساد الوضع الإجتماعي ، يحول دون نموهم وتطورهم وتأثيرهم . .

وكلامنا الان ، ليس عن التخلف الطبيعي ، التكويني ، وإنّما عن التخلف الإرادي أو القسري ، الذي يفرض على الناس فـرضاً ، من قبـل قوة أو سلطة أو زعامة أو جماعة . . .

الشكل الأول : التخلف الفكري والثقافي :

١ ـ التشويش العقائدي : أن العقيدة العسبقة ، هي الركيزة الأولى ، لبناء المجتمع المتماسك ، لأن العقيدة هي الكاشفة ، لحقيقة وجود الإنسان ، والراسمة له شوطه في الحياة والمحددة له الأهـداف والقيم والمقاييس . . بحيث يتعـرف على الكون والحياة ، تعرفاً يبنى على أساس الوعي والحريـة ، وبقدر تكـامل الـوعي ، نعيش حقيقـة الحـريـة الـداخليـة ، التي هي المنـطلق الأول للحـريـة الخـارجيـة (في المجتمـع) ، والتي تتحقق ، بشكل عفـوي ، ضمن إطار القيم والمنـاقبيـات والأخلاق الإسلامية .

ومجتمعنـا الإسلامي ، بشكـل عام ، يعيش اليـوم ، « كـوكتيـل » عقـائـد وايديولوجيات ، وكل ذلك كان نتيجة لانبهـار الناس ، بمظاهر الحضـارة الماديـة الغـربيه ، وخـدعها ، بحبث أنهم تـوهموا ، أن التقـدم الصناعي والتقني ، كـان بسبب ، اعتناقهم لمبادىء الحادية أو علمانية ،أو بسبب إبعادهم الدين عن مجالات الحياة الإجتماعيـة ، وظنوا ، والـظن لا يغني عن الحق شيئا ، ان أسـاس تخلفنا ، هـو المسجد ، والعـالم الديني ، والقـران ، والصلاة ، وحشمـة المرأة وحجـابهـا الشرعي ، وكلمـة لا إلـه إلاّ الله ، محمـد رسـول الله ، وكلمــة السـلام عليكم كتحية ، والتطهر من النجاسات ، وعدم شرب الخمـور ،وعدم النـظر المريب إلى النساء ،وعدم الإختلاط ، وأن الحل هو في التعري والـزواج الجماعي ، والتحلل من الأخلاق ، وخلوة النساء بالرجـال ، واستبدال شعـار لا إله إلاّ الله بشعـارات

الحادية ، وكلمة السلام عليكم ، (ببونجور وبون سوار) .

. . . وأن يمنع الدخول إلى المساجد ، إلّا لبعض كبار السن ، فإنه لا خطر منهم ، لأنهم راحلون عما قريب ، إلى تحت التراب ، أما من يفعل ذلك من الشباب ، فإنه يتعرض لحملات السخرية والتشهير والوصف بالجمود والرجعية ، وغاب عن هؤلاء أن المصانع التي رأوها في الغرب ، قد وضعت تخطيطاتها في مساجدنا ، على أيدي علماء المسلمين أمثال ابن حيان ، وابن الهيثم ، وابن سينا ، والخوارزمي ، وغيرهم وغيرهم .

وهكذا حصل الإرتداد العملي عن الإسلام ، والعودة إلى الجاهلية ، وضاعت المقاييس الواقعية ، وتبدلت النظرة إلى الدين ، وخلقوا هوة بينه وبين الحياة ، وعممت القاعدة الإستعمارية الغربية القائلة : من أراد الدين عليه أن يرفض الحياة ، ومن أراد الحضارة عليه أن يكفر بالله ، ويؤمن بالمادة ، أبدية أزلية ، لا تفنى ولا تزول . .

واختلطت المفاهيم ، وفقد ميزان الإيديولوجية الصحيحة ، وصار التدين رجعية ، والهرطقة ، والزندقة ، والإلحاد تقدمية، وعصرنة . .

وسادت عقائد متناحرة ، متصارعة ، مع كونها مقنّعة ، لأنها قد شربت من ماء واحد ، وتغذت على مائدة الغرب والتغريب ، واستقرت على بساط العصر والعصرنة ، وما اختلاف بعضها عن البعض الآخر ، إلّا كاختلاف أنواع الخمور فيما بينها ، والمخدرات بتنوع أشكالها وطرق تصنيعها ومفعولها على الجمجمة البشرية ، والإحساس بالإنسانية .

والآن نعود لنعرف موقف المتدينين من التهم والحملات والدعايات التي تشن عليهم . الحقيقة ، ان هؤلاء قد وقفوا ثلاثة مواقف :

الأول : منهم من جرفه التيار ، وردد مع عملاء الإستعمار ، مقولة اللاإيمان ، نتيجة ضعف في إرادة الصمود عنده ، وسقوط في مستنقع الإغراءات المادية والشهوانية الملوثة ، التي سهّل له طريقها ، ومنح بطاقة الدخول البيضاء ، إلى مختلف الخلوات ، في البيوت والمؤسسات ، وطحن بحضارة الآلة الغربية ، وبدت آثار المسخ الإفرنجي ، على لباسه ، وأفكاره ، وسلوكه ، ودراسته ،

ولياقاته ، وحرم على نفسه قول بسم الله الرحمن الرحيم ، واستعاض عن السلام القرآني ، بهز الرأس إلى الأمام ، أو برفع اليد ، أو التصفير أو التصفيق ، أو (مرسي كثير) .

الثاني : الموقف الثاني لقلة من المتدينين ، هو اختيارهم العيش في زوايا المساجد ، والتقوقع على الذوات ، وهجران المجتمع والحياة ، وذلك بسبب عدم قدرتهم على خوض الصراع الفكري والإجتماعي والحضاري . . . ووقعت المأساة ، والقلوب تحترق أسى وألماً على مصير العقيدة ، والأمة . . .

الثالث : الفئة الثالثة ، آمنت بوضع التشريعات الدينية في متحف التاريخ ، وردّوها ـ مشوهة ـ إلى الأنبياء ، واعتقدوا عن جهالة ، أن الزمن قد تجاوزها ، والحياة قد تخطتها ، وعملوا على أن تصعد الأديان من الأرض إلى السماء ، بدل نزولها من السماء إلى الأرض ، وأصبح لدينا بدل الأديان السماوية ، أديان أرضية ، وأذاعوا على الملأ ، مقولة ، لطالما حاربها رسل الله ، وهي إبعاد الدين عن الحياة والمجتمع ، وقالوا ، بصريح العبارة ، وواضح الكلام : « . . . إن الحكم على أساس الدين كان يصلح ولا يزال حين كان الإنسان لا يزال في طور بربريته ، أو قريباً منها ، أما في عصرنا الثقافي فإنه لم يعد يصلح » وأتى هذا الكلام ، بمواجهة الآيات القرآنية القائلة :

﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ﴾ .

﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾ .

﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ .

فمن نصدق ، وبأي كلام نأخذ ، أبكلام الله ، أم بكلام البشر ؟ .

أنصدق القرآن ، أم نصدق آراء من أوله نطفة ، وآخره جيفة ، وهو بين ذلك وعاء قاذورات ، كما قال الإمام علي(ع) .

الشكل الثاني : التخلف التربوي والإنحطاط النفسي

الدراسة النقدية لأوضاعنا النفسية والتربوية ، تظهر أن التعليم الحديث

اللاإيماني بمضـامينه ، وغـاياتـه ، قد جنى عـلى جيلنا أكـبر جنايـة ، كما يـرى أحد البـاحثين ، إذ اعتنى بتثقيف اللسـان ، وحشـو العقـول بـالمعلومـات ،ولم يعتنِ بتغـذيتها ، ولم يشعـل العاطفـة لتتعلق بالخـير ، فنشأ جيـل غير متـوازن القوى ، وبعدت الهوة بين مختلف أبعاده العقلية والعاطفية ، والعلمية والعقيدية .

أما واقع الجيل الحاضر ، فإنه بأغلبيته جيل رخو ، نايلوني ، قد نـزعوا من قلبـه العاطفـة الإيمانيـة ، والخـوف من الله ، حتى بـات سهـلاً عليـه التحلل من الأخـلاق ، والتفلت من أطر النـظام الإجتماعي ، وغـدا حـاقـداً عـلى أهله لأنـه يعتـبرهم ، أدنى منه في المستـوى ، وأقل ثقـافة وعلماً ، وعُلّم جيلنـا أن يتعلم من أجل المال والراتب ، وفي بعض الحالات من أجل المباهاة ، لا من أجل اكتشـاف الحقيقة ، والبحث عنها .

وأما مساوىء المناهج التربوية ، الغربية ، المعتمدة في مدارسنا ، وجامعاتنا فإنها :

١ ـ تحبب إلى الشباب البطالة ، وتغريهم بالراحة . . . في حالات كثيرة .

٢ ـ وترغبهم بالثراء ، والبذخ والترف .

٣ ـ وتحدث عندهم الفـوضى الفكريـة ، نتيجة التقليـد للغرب ، واعتنـاق أفكاره التي لا تنسجم ـ بحال ـ مع تراثنا وعقائدنا ، ومفـاهيمنا ، لـذلك يحصـل التشتت بـين الجـديـد الـوافـد من الأفكـار ، وبـين الأصيـل ، القـائم في أعـماق النفـوس ، ويثـور البعض ، ظـاهـراً عـلى أصـالتـه ، ويخسر أكـثرهم شخصيتـه المستقلة ، وتفكيره الحر ، ليعيش على فتات الموائد الفكرية الغـربية ، ويستمـر في ترداد نظرية ما من النظريات الغـربية المشهـورة حتى يقوم عـالم غربي ليقـول بخطأ النـظرية المعينـة ، أو أن ينتقدهـا في بعض الجوانب ، عنـد ذلك نـرى موجـة من الإنحسـار ، والتراجـع تجتاح أوسـاط الشباب ، ويـذمون مـا مدحـوا بـالأمس ، ويمدحون ما ذموا البارحة .

٤ ـ الجمـود على الأسـاليب والطرق الغـربية واعتبـارها الغـاية ، وعنـدهـا يتحـول الأسلوب إلى هدف فتفقـد المرونـة ، ويحدث الخلط بـين الـوسيلة ، التي يمكن أن تتبدل ، والغاية الثابتة .

٥ ـ تفريغ العقول من الحقائق الإلهية ، وزرع المفاهيم المتقلبة عن الحياة ، أو التي ترى الحياة بعين واحدة .

٦ ـ ضعف الروح المعنوية في الشباب نتيجة لـجميع ما ذكرنا من أسباب .

ويخاطب الدكتور محمد إقبال ذلك المثقف الغربي قائلاً : « ليس وجودك إلاّ تجلي الإفرنج ، لأنك بناء قد بنوه . هذا الجسم العنصري فارغ من معرفة النفس ، فأنت غمد محلى بغير سيف ، وجود الله غير ثابت في نظرك ، ووجودك أنت غير ثابت في نظري » .

وضعف المعنويات ، أدى إلى إشاعة روح اليأس والتخاذل والإتكالية ، فصار الوقوف بوجه الأزمات عند كثير من الشباب مستحيلاً ـ والإعتماد على الذات مفقوداً ، وذلك يعود للمارسات غير المنطقية ، من قبل كثير من الجهات ، وذلك بشراء الأشخاص للعمل في اتجاه سياسي معين ، حيث تدفع الرواتب الكبيرة ، والمخصصات الوافرة ، والإغراءات بالسلاح والمناصب والمسؤوليات ، وهذا يثبط عزائم الشباب ، ويعودهم على الكسل ، والتراخي في الواجبات ، والتواني في تنفيذ المهمات ، ولهذا صاروا يفكرون أن العمل تعب وشقاء ، ما دام المال يأتي بلا سعي ، وان التوكل على الله خرافة ، وان الإستزلام ، ومسح أجواخ المستكبرين والظلمة والفاسقين والحاكمين والمستعمرين ، وخدمتهم والتعاون معهم ، وظيفة يُسعى من أجلها ، وغاية سامية .

إنها هزيمة في داخل النفوس ،تتبعها هزائم إجتماعية . . . على مستوى الحياة .

دور الإستعمار في الإنحطاط النفسي والتخلف التربوي

وواضح أن الإستعمار الأوروبي رصد الميزانيات الضخمة ، لغزو أمتنا ، في جميع مرافقها ، وجوانب حياتها ، وذلك عن طريق التبشير باسم العلم ، والإنسانية والمستشفيات والمدارس وقد قاموا بخطوات كثيرة نذكر منها :

أ ـ إثارة الشكوك العقائدية .

ب ـ تكريس المناهج الأوروبية في المعاهد ، وفق مخطط يقضي باستعمار

الأمة ثقافيا ، وهذا ما يسهل أمامهم الطريق لربط الأمة بكـاملها بعجلة السيـاسية الإستعمارية ، لاستغلال الخيرات ، وتصريف المنتجات . . .

يقول القسيس صموئيل زويمر : « . . والتعليم المدرسي والتربية الأخلاقيـة الغربية ، قد أسفرا عن نتائج جمة ، وأثمرا ثمـرات نافعـة في الأطفال والمـراهقين على السواء . . . لقد استطعت أن أقنع التلاميذ ، وأن أضع بين أيديهم كـرة تمثل الكرة الأرضية ، ثم حـولت عليها نـوراً ، قويـاً ، وأقنعتهم أن الأمر بصيـام شهر رمضان ليس آتياً من عند الله » .

وجـاء في مذكـرات طه الهـاشمي أن مِس بل طـالبت بـاستخـدام الضبـاط المتقاعدين الذين خدموا في الجيش العثماني ليكونوا في الجيش العـراقي ، فأجابها مسؤول بـريطاني ، كـان يعمـل في السفـارة الـبريـطانيـة : كيف نستخـدم هؤلاء الضبـاط في الجيش العـراقي الجـديـد ، وهم من هم وطنيـة وأخـلاصـاً !! إنهم سينشؤون جيـلاً وطنياً لا غبـار عليه ، فـابتسمت مس بل بخبث وقـالت لـه : لا تخشى شيئاً : إن المستر « اكس » في المعارف هو المسؤول عن تربية الجيل الجديد .

الواقع أن نظام التعليم الغربي ، هو محاولـة خبيثة خفيـة ، وعميقة تهـدف للقضاء على عقيدتنا ، وديننا وبلبلة نفوس أبنـائنا . . ألا نشـاهد هـذا بين شبـابنا الذين يستحون أن يقرأوا آية من القرآن الكريم ، أو لا يعـرفون كيف تقـرأ ، مع أن القرآن كتاب عربي اللغة ، مبين ، ألا يظهـر هذا من السفـور المتعمد ، من قبـل الكثيرات من فتيات الجيل ، الذي تربى على أسـاس مناهـج الإستعمار ، ألا نـرى أن الدعوة إلى الحشمة والفضيلة أمر مستهجن ، وما المانع من الجلوس والمعانقة ، والرحلات المشتركة . إن هذا الفساد تعـدى الصغار إلى الكبـار ، والمراهقـين إلى الكهول والشيب ، والمسؤول عنهم إلى المسؤولين . .

وقد عبّر عن سياسة المستعمر ـ هذه ـ الشاعر « أكـبر » ، فقال : « أن أهـل الشرق يقضون على العدو بشرخ رأسه ولكن الغربي يغير طبيعته وقلبه » .

التخلف الإجتماعي والسياسي

إنّ مجتمعنا يعاني من أزمات إجتماعية حادة ، إذ أن القلق يعم مختلف مرافق

الحياة الإجتماعية . . . وهذا من أوضح الواضحات . . والمطلوب معرفة السبيل إلى النهوض . . . والخطوة الأولى هي تشخيص الداء لوصف الدواء ، وعلى هذا فإن مظاهر التخلف الإجتماعي ، تتمثل في نقاط عديدة منها :

١ ـ **التفرقة والتصنيف** : معلوم أن مجتمعنا الإسلامي ، ليس مجتمعاً واحداً ، ودولة واحدة ، بل مجتمعات ودول تتجاذبه شعارات التفرقة ودعوات التقدمية ! ومرات دعوات بلا إسم أو شعار ، وتسود روح البغضاء ، والحسد ، والإشمئزاز وقد فقد المجتمع ، نتيجة لذلك ، تماسكه الداخلي ، وفتش أصحاب الغايات السافلة ، عن معايير رجعية ، ومقاييس جاهلية ، لتفكيك ما ارتبط من أواصر الأمة على أساس المذهبيات والطائفيات والعصبيات والعشائريات ونزعات التعصب للقوميات والأوطان ، وللحزبيات الضيقة ، التي تغذيها المصالح الشخصية مما جعل أدعياءالفكر وأصنام السياسة المنحرفة ، وزبانية الثورية المراوغة ، يتغلغلون بين جماهير الناس ، من العامة والخاصة ، عن طريق القيادة الفردية والعمل المنظّم الذي يرتكز على أهداف إستغلالية ، ومصلحية وذلك بـاسم الشعب والمصلحة العامة ، للتخلص من التسلط وتطبيق العدالة الإجتماعية !! .

٢ ـ **التقليد الأعمى** : إن الفراغ العقائدي والثقافي ، ترفده عوامل الجهل بالتراث والدين والدعايات المضللة ، جعلت شبابنا منفعلين ، غير فاعلين ، يقبلون أكثر ما يعرض عليهم بدون تدبر أو تمحيص .

ولقد أصبح لدى الكثيرين من شبابنا ، كامل الرغبة والإستعداد للتقليد الأعمى ، فأخذوا القشور والتقليعات ، والمفاخرة بالمظاهر ، والمنافسة على الرذائل ، والتفرنج في أشكال الحياة ، ثم زعمنا أن جهلنا هذا ، وممارساتنا للتجهيل ، مقدمة للتحرر من الجهالة والجهلاء ، وتحقيقاً للعدالة وأيةعدالة تلك التي نسعى إليها بالظلم والفساد !!

إن ما عملناه ، هو تمهيد لضرب أصالتنا الإسلامية ، وجذورنا القرآنية ، وإبعاد لنا عن مبدئنا الرباني ، وبعدما صرنا كورقة يابسة في مهب الريح ، أو كالميت بين أيدي المغسلين كما يقول المثل الشعبي .

فإذا أمطرت في باريس ، حملنا المظلات داخل بيوتنا . .

وإذا أصيبت موسكو بالزكام عطسنا ، وبكينا . . .

وإذا تصارع رعاة البقر في أميركا ، عبسنا وملأت الكآبة حياتنا . . .

وإذا لبست غانية أو سافلة ، في لندن ، ثوباً قصيراً ، خلعنا ثيابنا . . . وتعرينا .

وإذا قال ملحد من أقصى الأرض ، الدين أفيون الشعوب فتحنا أفواهنا وصرخنا بأعلى صوتنا ورددنا ما قال بلغة عربية فصيحة !!

٣ ـ العادات السيئة : إن عادتنا قد تأثرت بمظاهر الفساد والإنحطاط ، وغدت بدون هدف أو غاية إلا هدف هدر الطاقات ، وصرف الأموال ، بالإسراف والتبذير . . . فعاداتنا في الزواج والولادة والحياة والموت ، ذات أصول ومظاهر انحطاطية ، لأنها لم تبنَ على الأسس الإسلامية بل على ما بثته قوى الشر فينا ، وما أرادته لنا الأجهزة التي تبغي القضاء على حضارتنا ، ورغم واقعنا السيء فإننا لا نفتش عن أخطائنا ، وعن أسبابها ونتائجها ، بل عن اللوم على المجهول « وعندما يدخل عنصر المجهول في أية أمة ، فإن ذاتية الأمة تغيب في عالم المجهول أيضاً » ، كما قال بعضهم .

٤ ـ الإنحطاط الخلقي : إن الميوعة والإنحطاط الخلقي ، الذي يكتسح مجتمعنا ، هو الجرثومة الفتاكة التي تهددنا بسوء العاقبة وهذا من الأمور الواضحة لدى التقدمي والرجعي واليميني واليساري فضلاً عن المؤمن بالله ورسله ورسالاته .

أما مظاهر التخلف السياسي ، فإنها تتجسد في أمور كثيرة .

ويمكن أن نقول : ان تخلفنا السياسي يتمثل بالسطحية والأخذ بظواهر الأمور وابتعاد الأمة عن واقعها السياسي وتدبير شؤونها على أساس ربط الأبعاد الداخلية والخارجية ، وأن المنطلق لم يكن من تراثها وأصالتها في كل الحالات .

كل ذلك يعود إلى فساد أنظمة الحكم المستندة إلى النظريات الوضعية .

لذلك تميزت حياتنا السياسية بتزييف الحقائق وفساد الإدارة ، فانتشرت

الرشوة ،وعمت المحسوبيات والسرقات والظلم والعمالة للأجانب .

ثم أن عالمنا الإسلامي يفتقد الفهم السياسي الصحيح هذا بصورة عـامة ، على اعتبار أن السيـاسة هي فن رعـاية أمـور الناس وتـدبيرهـا ، كما يفتقـد عالمنـا الأهـداف السياسيـة الصحيحة ، ويفتقـد العمل السيـاسي الصحيح ، بـاستثناء الفتح السياسي العظيم الذي حققته الثورة الإسـلامية في إيـران والحركـات المتبنية للإيديولوجية الإلهية الواقعية ـ الثورية .

من أسباب التخلف السياسي

١ ـ إختلاط المفاهيم والموازين : من الناس من يعتـبر أن الإسلام رأسـمالي، ومنهم من يقول إنّ الإسلام اشتراكي ومنهم من يقول إنه تقدمي وآخرون يقولـون أنه رجعي الخ . . . ويبقى الإسلام هو الإسلام ليس إلاّ .

٢ ـ عدم المبالاة بالقضايا العامـة : وما يـظهر من اهتـمام البعض إنّما منشـأه يعود إلى الإهتمام بأحوالهم الخاصة ومستقبلهم السياسي ومناصبهم . . . في أغلب الحالات .

٣ ـ التخبط في فهم وتفسير الأحداث السياسية :

نحن نرى أن السياسيين التقدميين يتحدثون عن السياسة من خلال قوالب جاهزة في الفكر الماركسي مثـلاً « الطبقيـة والإقطاعيـة والرأسـمالية والصراع . . » وغـير ذلك كثـير . . . وآخـرون يـرتكـزون عـلى قـوالب في الفكـر الـديمقـراطي الرأسمالي . . . ومنهم من يخلط بينهما . . . فتضيع الحقائق والأهداف .

٤ ـ محاصرة العمل السيـاسي الصحيح وفتـح أبواب التضليـل السياسي في عالمنا الإسلامي .

٥ ـ الإطـلاع السـطحي عـلى الأمـور والأحـداث وأدوار السيـاسيـين ونشاطاتهم .

فموشي دايان أعلن في حرب ١٩٦٧ عن الخطة الحـربية الإسرائيليـة بشكل مـا فسـألـه الصحفيـون عن ذلـك فـأجـاب أنـه لا يخشى من شيء لأن العـرب لا يقرأون .

٦ ـ النظرة السطحية للمستعمر . أمثلة على ذلك :

ـ الإنخداع بأساليب الإستعمار ، الـذي يرفـع شعارات الـوطنية والقـومية والتقدمية ليصل إلى مآربه .

ـ تأييدنا لإستعمار ضد استعمار . .

ـ الإنخداع ببعض أعمال الإستعمار الإنسانية ونسيان مخططاته الجهنمية .

٧ ـ عدم التخطيط للمستقبل وقصر النفس .

٨ ـ دور السياسة الصهيونية .

استطاعت السياسية الصهيونية ومن ورائها السياسة الإستكبارية العـالمية ، المناصرة لها ضد قضية أمتنا أن تخطط لمجتمعنا ما شاءت من الخطط الخبيثـة ، وقد كان للمزايدات الأثر الكبير في إبعاد إنساننا عن واقع قضيته ، وخفي عنّا الكثير مما يراد لنا ويدرس وراء الكواليس وفي أروقة المحافل الدولية .

ولقد كان للسياسات المخدرة الموجهة بتوجيه الإستعمار ، التي تتبعها أنظمـة الحكم لدينا ، دور أساسي في إبعادنا عن معرفة جذور المشكلة ، وإفقادنا الأمل في الوصول إلى الحلول الصحيحة والسياسة الإستكبارية توحي لنا بأنها سـوف تكون إلى جانب أعدائنـا (إسرائيل وعمـلائها) ولـو اضطرالأمـر لخوض حـرب عالميـة ثالثة ، وهذا يقصد منه إضعاف صمودنا النفسي .

والخلافات والمهاترات السياسية فيما بيننا لا تضعف حتى تشتـد ، وصار من الصعب ظـاهراً التمييـز بين الخـائن والمخلص ، وكل هـذا لا يبتعد عن أصـابـع الإستعمار والصهيونية التي تتحرك بكل اتجاه بـواسطة منـظماتها المشبـوهة وأحـزابها العميلة ، ورموزها التي تحتل سدة الحكم في كثير من البلدان .

ويبـدو التشابـه الواضـح بين أقـوال زعـماء الشيـوعيـة ومفكـريهـا ، وبنـود بروتوكولات حكماء صهيون . . . (مع الأخذ بعين الإعتبـار أفول نجم الشيـوعية في العالم) .

يقول ماركس : « أمامكم العالم وعليكم أن تكسبوه » .

جاء في البروتوكولات : « إننا نقرأ في الشريعة أننا مختـارون من الله لنحكم العالم » .

وفي البروتوكول الأول : « ولذلك يتحتم ألا نتردد لحظة واحدة في أعمال الرشوة والخديعة والخيانة إذا كانت تخدمنا في تحقيق غاياتنا » .

وفي البروتوكول الثالث : « إننا نقصد أن نظهر كما لو كنا المحررين للعمال ، جئنا لنحررهم من هذا الظلم حينما ننصحهم أن يلتحقوا بطبقات جيوشنا من الإشتراكيين والفوضويين والشيوعيين ، ونحن على الدوام نتبنى الشيوعية ونحتضنها متظاهرين بأننا نساعد العمال طوعاً لمبدأ الأخوة والمصلحة العامة للإنسانية وهذا ما تبشر به الماسونية الإجتماعية » .

التخلف العقائدي ـ الإيماني

من أسباب التخلف الشامل الذي ابتليت به الأمة هو الفهم الخاطىء للإيمان والتدين ، الذي يقضي بأن التعامل مع الدين يكون على قاعدة أن الدين ينبغي أن لا يهتم إلّا بالأمور التي يسمونها (روحية) ، وأنه لا بد من فصل الدين عن الدولة والسياسة والحياة والمجتمع .

ولقد كان ذلك سبباً مهماً وأساسياً لتخلفنا عن ركب الحضارة ، وعامل من عوامل الإنهزام أمام القوى الكافرة . . . وهذا كله يحتم علينا أن نتعرف إلى حقيقة الإيمان وماهيته ، فما هو يا ترى ؟ .

الإيمان نظرية وتطبيق ، هل هذا صحيح ؟

إنّ الإنسان ، منذ أن وجد ، وهو يحاول أن يتعرف إلى حقائق الحياة والأشياء ، من خلال التعرف إلى الوجود وما فيه من كائنات وموجودات ، فيتساءل عن موجدها ، وعن هدف وجودها ، وعن هدف وجوده هو والغاية منه .

إن النظرية التي يكوّنها الإنسان عن الكون والحياة والكائنات ، ومحاولة التعرف إلى بدايتها ووظيفتها والغاية من وجودها ، كل ذلك يجعل الإنسان يستنتج أفكاراً ، ويوقن بها ، محاولاً إثباتها وتقديم الأدلة عليها . . . باعتبارها نظريته في الحياة . . . وقد قيل : إن النظرية هي بناء تصوري يبنيه الفكر ليربط بين مبادىء ونتائج معينة . . .

وعلى المستوى العلمي ثمة فرق بين النظرية العلمية ، والقانون العلمي ، والنظرية العلمية تبقى مجرد فرضية حتى تثبت بالدليل والبرهان ، عند ذلك تتحول إلى قانون علمي ثابت .

وأما على مستوى الفكر والإجتماع والسياسة ، فإن النظريات ، عادةً ، تكون مرتكزة على أساس الواقع المعاش ، والظروف المحيطة ، وتكون عرضة للخطأ والصواب ، والنظرية ـ كما قيل ـ هي الإفتراض الإختياري الذي خضع لرقابة العقل والنقد العلمي . . . ولا بد من تعديلها على ضوء ما يكتشف من وقائع وقوانين جديدة . ونحن ، عندما نستعمل مصطلح النظرية بالنسبة للإسلام كأن نقول : نظرية الإسلام السياسية أو النظرية الإقتصادية الإسلامية أو غير ذلك ، فإننا نستخدم هذا المصطلح من باب التجوّز ، لا بالمعنى الذي جعلت له كلمة نظرية من الناحية العلمية ، بل بمعنى النظرة إلى المسألة الكذائية ، وذلك لأن الإسلام هو خط رسالي ، ومنهج كامل متكامل في أسسه وقواعده ومنطلقاته لبناء الحياة ، وهو عقيدة شاملة ، وفكر حي حركي ، وأدلته منه وفيه ، وهو في نهاية الأمر ، مبدأ وليس نظرية بالمعنى الذي ذكرناه ، وهذا المبدأ يتصف بالمرونة ، والحيوية ، والشمولية وهو يحوي عقيدة مفسّرة للكون والحياة ، ومحدّدة للغايات والبدايات والنهايات ، وعلى قاعدة هذه العقيدة تتأسس التشريعات ، والتعاليم ، والمقاييس ، والقيم والأهداف ، لبناء المجتمع ، وصياغة الحياة .

وعلى هذا ، فإن الصحيح هو أن نستعمل بدل كلمة نظرية ، كلمة نظرة فنقول ، على سبيل المثال : النظرة الإسلامية إلى العلم ، أو إلى العمل أو الأسرة أو الإقتصاد . . .

ويرى بعض المفكرين أن النظرية إذا اعتبرت كاملة فإنها تصبح حينئذٍ مذهباً ، والواقع أن المذهب هو نظرية بالنسبة لمن لا يؤمن به ، والنظرية تتحول إلى مذهب إذا جعلت فوق النقد والإختبار . . .

أما بخصوص المبدأ الإسلامي ، فإننا لا يمكن أن نطبق عليه هذه المقاييس بحذافيرها ، لأنه يختلف عن كل المذاهب والنظريات في طبيعته ومصدره وأطره وغاياته ، وإننا لا نجد فرقاً كبيراً بين ما يسمونه مذهباً أو نظرية ما دام مصدره

بشرياً ، لكونه يخضع لسنة الخطأ والصواب والتطور والتبدل حسب ما يستجد من أمور وما يكتشف من قوانين . . . أما الإسلام ، في جميع جوانبه فإنه مبدأ كامل لأنه صادر عن الإله الكامل ، وهو مبدأ شامل لأنه من الرب الذي أحاط بكل شيء علماً ، وهو متطور وصالح لكل زمان ومكان ، لأنه يقوم على أساس الإجتهاد واستنباط الأحكام الناظمة للمستجدات من الأحداث انطلاقاً من القواعد الكلية ، وهو مبدأ إنساني لأنه من ربّ الناس ، وإلههم ، والعالِم بكل ما ينفعهم وما يضرهم .

والإسلام لا يفصل إطلاقاً بين القول والعمل أو كما يقال ، بين النظرية والتطبيق ، الذي يعني عملية تنفيذ الأحكام والتشريعات الإسلامية ، وأن أية عملية فصل بين التصورات والتطبيقات الإسلامية تهدف إلى فصل الإسلام عن الحياة ، وهي تشبه الفصل بين الروح والجسد .

قال سبحانه : **﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾**[1] .

فالإسلام يرى أن لا قيمة لإيمان ظري لا يترجم على مستوى الواقع الحياتي ، والإيمان ، من وجهة النظر الإسلامية ، عمل كله ، والقول بعض ذلك العمل ، والإيمان والعمل ـ كما في الحديث ـ إخوان شريكان في قرن لا يقبل الله أحدهما إلّا بصاحبه ، ولا يقبل إيمان إنسان بلا عمل ، ولا عمل إنسان بلا إيمان ، والإيمان يزيد وينقص ، ولو كان الإيمان مجرد كلام وشعارات لم ينزل فيه صوم ولا صلاة ـ كما يقول علي (ع) ولا حلال لا حرام . . .

الإيمان التبعيضي إيمان مزيّف

لهذا كان لا بد من التوفر على فهم صحيح للإسلام ، لننطلق على أساس هذا الدين ، في رحاب الحياة فنحقق في الواقع فعل إيماننا في المجالات ، مصححين الفاسد من الأمور ، والإشتباهات فضلاً عن الشبهات ، وخصوصاً

---

[1] سورة الصف : الآيه ٢

تلك التي تصوّر الإسلام وشعائره طقوساً تؤدى لا شعائر تربوية ثورية تثويرية أو عبادات جامدة غير مفهومة ومفرغة من المضمون . . . بل كل شعيرة تبعث روحاً في الروح وحياة في الحياة يضاف إلى ذلك الفوائد الفردية والجماعية المتنوعة . . .

ولقد أصبح واضحاً أن قضية انفصال الإسلام عن الحياة خرافة ، وأن العمل على فصله عن المجتمع ، وحصره في المسجد ، وإبعاده عن قيادة الحياة مؤامرة ، وأن الذي يؤمن بفصل الدين عن الحياة يريد أن يفصل الخالق عن خلقه والرب عن مربوبيه ، وينسون أن الحاكمية لله تعالى في الكون والحياة وعالم الإنسان وكل العوالم، وإنه هو المدبّر لشؤون الحياة والناس والمجتمعات، لذلك فإنّ مبدأ فصل الدين عن الدولة مبدأ مشبوه ولا يقوم على أساس واقعي ، وفهم معمّق لحقيقة الدين الإسلامي ، فضلاً أن مصدر هذه المقولة الفاسدة أوروبي ، إستكباري ، علماني (من عالَم وليس من العلم) ، له أسبابه وظروفه التاريخية وجذوره العقيدية والحياتية .

إنّ الإيمان التبعيضي بالإسلام إيمان نفاقي وقد قال تعالى : ﴿ **أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ، فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلّا خزي في الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب** ﴾[1] .

إن الخضوع الطوعي للمناهج السياسية والإجتماعية والتربوية . . . غير الإسلامية والقبول بها ، يعني الخضوع لغير الله ، وبالتالي فإن ذلك يعني الشرك بالله وقد قال تعالى : ﴿ **وما يؤمن أكثرهم بالله إلّا وهم مشركون** ﴾[2] .

والإيمان ـ باختصار ـ هو طاعة الله وطاعة رسوله وأولي الأمر الذين فرض الله طاعتهم على الناس ، لذلك كان الإيمان منهاج الحياة كلها ، الذي يقدّم باستمرار خرائط التغيير ، ويشكّل دافع الحركة الحياتية نحو التكامل ، وقد قال علي(ع) : « بالإيمان يستدل على الصالحات وبالصالحات يستدل على الإيمان » .

والخطوة الأولى لعيش الإسلام كما هو ، (مبادىء تصورية وتطبيقات

---

[1] سورة البقرة : الآية ٨٥ .

[2] سورة يوسف : الآية ١٠٦ .

عملية) ، تبدأ مع الإنسان في تربية نفسه وتعليمها ، وتكوين القناعات التي تخلق المشاعر المتوهجة الرابطة للفكر بالعاطفة . قال تعالى : ﴿ **أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون** ﴾[١] .

ويخاطب الرسول (ص) ابن مسعود قائلاً له : « يا ابن مسعود ، فلا تكن ممن يشدّد على الناس ويخفّف على نفسه ، يقول الله تعالى : ﴿ **لِمَ تقولون ما لا تفعلون** ﴾[٢] .

إن هذا الإنسان يحدّث الناس بما يجدون فيه الصعوبة والمشقة ، مشدّداً ومؤكّداً عليهم ، بينما تراه يعطي لنفسه الأعذار ، ويتخلى عن الواجبات ولا يحاسب نفسه ، يقول في الدنيا بقول الزاهدين ، ويعمل فيها بعمل الراغبين . . . ينهى ولا ينتهي ـ كما يقول الإمام علي (ع) ـ فهو بالقول مدل ومن العمل مقل . . .[٣] فهو ممن يهدي الناس إلى الخير ويأمرهم بالخير وهو غافل عنه ، كما في التوجيهات النبوية .

ويقول الباقر (ع) : « . . . ما أكثر الوصف وأقل الفعل ؟! إنّ أهل الفعل قليل ، إنّ أهل الفعل قليل ! الآّ وإنّا لنعرف الفعل والوصف معاً . . »[٤] .

والصادق (ع) يقول : « . . . ما جعل الله عز وجل بسط اللسان وكف اليد ولكن جعلهما يُبسطان معاً ويكفان معاً » .

إنّ اتخاذ المواقف الكلامية البحتة ، لا يجدي إن لم يترافق مع التطبيق لذلك يقول أمير المؤمنين علي(ع) : « لن يجدي القول حتى يتصل بالفعل »[٥] وقوله عليه السلام : (يتصل) يعني أنه أن لا يكون هناك أي انفصال بين القول والعمل ، والإنسان بحسن العمل ـ كما في الخبر ـ يجني ثمرة العلم لا بحسن القول .

---

[١] سورة البمرة · الأية ٤٤

[٢] مكارم الأحلاق ص ٢٨٦ .

[٣] نهج البلاعة ١٦٠ ـ عمده ـ ٢ ـ١٨١ .

[٤] الكافي ج ٨ ص ٢٧٧ .

[٥] غرر الحكم ص ١٤٧

المؤمن والمنافق

ونحن إذا أردنا أن نميّز بين المؤمن والمنافق ، نميّز بينهما من خلال العمل ، فالمؤمن قليل الكلام كثير العمل ، والمنافق كثير الكلام قليل العمل .

عن المفضل بن عمر قال : قلت لأبي عبد الله الصادق (ع) بمَ يُعرف الناجي ؟ فقال : من كان فعله لقوله موافقاً ، فهو ناجٍ ومن لم يكن فعله لقوله موافقاً فإنّما ذلك مستودع[1] .

ويروى عن الإمام الحسين(ع)أنه خطب قائلاً : «أيها الناس، أنا أخبركم عن أخ لي كان من أعظم الناس في عيني . . . وكان رأس ما عظّم به في عيني صغر الدنيا في عينيه . . كان يفعل ما يقول ، ويفعل ما لا يقول . . »[2] .

الإيمان مسؤولية

إن الذي يفرّق بين القول والعمل في حياته الخاصة والعامة ، يصل إلى درجة ، أن الكثيرين من الناس يفقدون ثقتهم به ، ولا يقيمون له وزناً في كل الأمور ، وهذا ينسحب على كل أصحاب الأعمال والمسؤوليات سواء أكانوا أناساً عاديين أو من ذوي المسؤوليات والمهام الإجتماعية أو السياسية أو التربوية . . وأخطر هذه المسؤوليات ، المسؤوليات السياسية ، إذا أنه ينبغي على القيادة السياسية أن تكون صادقة مع الناس ، أمينة ، في المواقف ، والتصريحات ، والتوجهات ، لا بل في كل كلمة تقال ، وفي كل وعد تعد به ، وذلك لأن المسؤولية السياسية ذات أهمية كبرى على مستوى المجتمع ، وهي الإطار الأوسع لكل المسؤوليات الأخرى ، لذلك فإنّ المسؤول السياسي هو من يمتلك الدقة في كل الأمور ، والأفق الواسع والوعي الكافي لفهم ما يجري ويدور في الساحة السياسية والإجتماعية بصورة عامة ، وإلاّ فإن الحسرة والندامة والويل كلُّه لمن لم ينتفع بما أبصر ، كما يقول الصادق(ع) ، ومن لم يدرِ الأمر الذي هو عليه مقيم ،

---

[1] الوسائل ج ١١ ص ٤١٩ .

[2] الكافي ج ٢ ص ٢٣٧ ـ ٢٣٨

أنفع هو له أم ضرر . فمن لم يحقق الإنسجام بين أقواله وأعماله ، سيحاسب على ذلك ، وسينال العقوبة الإلهية . . . يقول مالك بن دينار : « قرأت في بعض الكتب ، ما من خطيب إلّا وتعرض خطبته على عمله ، فإن كان صادقاً صدّق ، وإن كان كاذباً قرضت شفتاه بمقراض من نار ، كلما قرضتا نبتتا » .

وهكذا فإنّ كل متحدّث ومصرّح وقائد وواعد سوف تعرض أحاديثه وتصريحاته ووعوده على أعماله وممارساته ، فإن تطابقت نجا وإلّا هلك ، وعذّب بالآلة التي استخدمها وهي الشفتان واللسان .

. . . ونخلص إلى أن الإيمان هو مسؤولية ، والمسؤولية هي أخطر وأهم أمر من الأمور التي تتعلق بالإنسان كفرد ، وبالمجتمع وبالأمة كلها . . .

والمسؤولية الإيمانية هي الدور الذي ينبغي للإنسان أن يقوم به في الحياة منسجماً مع تعاليم الإسلام ، عاملاً من أجلها ، ساعياً لتحقيق أهداف دين الله ، وبلوغ رضا الله تعالى في كل قول وممارسة .

وفي إطار المسؤولية الإيمانية يحصل الإتصال والتناغم والتمازج وبالتالي التوحّد بين القول الإلهي والفعل البشري ، أو بين القرار الرباني والتنفيذ الإنساني ، وبذلك تتسامى الإرادة البشرية لتعلو معانقة المشيئة الإلهية . . . وإذا كانت نظرية آنشتين تقول بتحول الطاقة إلى مادة والمادة إلى طاقة ، فإنّ كلمة « كن » الإلهية ، ضمن إطار التكوين ، تتحول إلى كون للكائنات ، وكذلك « كن » المولوية تتحول ضمن إطار التكليف والمسؤولية إلى كون وكينونات منفّذة للإرادة الإلهية . . . والأمر التكويني . وبهذا تتلبس الإرادة الإلهية الإرادة البشرية ، والقول المريد ، أو الإرادة القائلة ، للقدرة المبدعة ، القول البشري فيتحول إلى فعل خلّاق مكوّن . . . قال تعالى : ﴿ **وما تشاؤون إلّا أن يشاء الله** ﴾[1] .

مشكلتنا ما هي ؟

مشكلتنا أننا فهمنا الإيمان أقوالاً بلا أفعال . .

---

[1] سورة الإنسان : الآية ٣٠ .

مشكلتنا أننا زعمنا أن الإيمان هو (بالقلب) فقط ، فكانت قلوبنا مع الإسلام ، وسيوفنا عليه . . . فقتلناه في ساحة الفعل والتأثير ، وقتلنا أنفسنا بقتله . . ونحن نزعم حبّه والتعلق به .

مشكلتنا أن الإيمان عندنا ، هو بالتحلي والتمني وليس ما وقر في الصدر وصدَّقه العمل .

مشكلتنا أننا لا نعرف من أين نبدأ . . أو لا نريد أن نعرف ، وإذا عرفنا فإننا لا نريد أن نبدأ ، وإذا بدأنا فإننا نتعامل مع النهاية على أساس أنها البداية ، ونبقى في البداية وتضيع الغاية . . .

مشكلتنا أن الإيمان عندنا شيء عظيم ، نحس ـ بسبب عظمته ـ بالحاجة إلى الإبتعاد عنه لأننا نشعر دوماً بالصغر والهبوط !! .

مشكلتنا ومشكلة الكثيرين من المتدينين أنهم تعلموا الإسلام وعملوا به ، ولكن دون أنْ يدخلوا من أبوابه ، بل دخلوا من النوافذ أو تسلقوا الجدران . . .

مشكلتنا ، ومشكلة الكثيرين أنهم لم يدركوا أن الإيمان من الناحية النظرية والتطبيقية لا يمكن أن يؤدي دوره إلا بمعرفة وتطبيق المقاييس الإسلامية على الأفراد والجماعات وعلى الأحداث والأشخاص .

ومن الأمور الجلية أن التخبط الذي يعيشه أكثر العاملين في الحقول الإسلامية ، وكذلك فشل محاولات التطبيق في حالات كثيرة ، وفشل بعض الذين يرفعون شعارات الإيمان والإسلام ـ عن صدق وإخلاص ـ يعود إلى فقدانهم للموازين الإسلامية ، وعدم التركيز عليها ، مع أن الكتاب والسنة مثقلان بهذه الموازين العملية والنظرية .

والكتاب الذي بين يديك ـ أخي القارىء ـ يتكفل باستخراج بعض هذه المقاييس الإسلامية ، وتسليط الضوء عليها ، بحيث يبدو ـ بوضوح ـ أن الإيمان والكفر ليسا من الأمور النظرية البحتة ، بل الإيمان هو عملية التطبيق للإسلام في الحياة ، والكفر هو الإنحراف العملي والنظري عن الإسلام لذلك حوى هذا الكتاب مجموعة بحوث حول معالم الكفر والإيمان ، بالإستناد إلى القرآن والسنة ،

كنماذج توضيحية للمقاييس الإسلامية التي تزخر بها مصادر الإسلام .

والكتاب يتألف من قسمين وبابين وستة فصول :

القسم الأول · يشتمل على باب واحد وفصلين .

الباب الأول : في معالم الكفـــر .

الفصل الأول : ١ ـ البدعـــة .
٢ ـ الكفـــر .
٣ ـ الشـــرك .
٤ ـ النفـــاق .
٥ ـالـــرّدة .

الفصل الثاني : ١ ـ الخيانة رأس الكفر .
٢ ـ الحسد أصل الكفر .
٣ ـ تتبع عثرات المؤمنين .

القسم الثاني : يشتمل على باب واحد وأربعة فصول .

الباب الثاني : في معالم الإيمـــان .

الفصل الأول : ١ ـ عبادة الله وحده .
٢ ـ تزكية النفس وزكاة المال .
٣ ـ الرخاء . . فتنة ، والبلاء . . . نعمة .
٤ ـ كظم الغيظ والغضب من كمال الإيمان .

الفصل الثاني : ١ ـ الكلمة المسؤولة .
٢ ـ النصيحة لأهل الإسلام .
٣ ـ ترك الكذب في الهزل والجد .

الفصل الثالث : تحرر المرأة : رؤية إسلامية واقعية .

الفصل الرابع : ١ ـ الأمة . . . والمقاومة الحضارية .
٢ ـ الجهاد والمقاومة والشهادة .

وفي ختـام هذه المقـدمة أود أن أتـوجه إلى جميـع ممن ساعـد في إنجـاز هـذا الكتاب ، من قريب أو بعيد ، بالشكر والتقدير على ما بذلـوه على مستـوى تحضير بعض النصوص ، أو على مستوى المناقشات التي كانت تدور حول بعض أبحـاث الكتاب . . . أو من ناحية الطباعة والإخراج . . ويبقى عليّ أن أنوّه بأنّ الكمال لا يكون لمخلوق ضعيف عاجـز ، بل هـو للخالق البـارىء المصوّر الحكيم العليم ، الذي لا تخفى عليه خافية ، لذلك آمل من القارىء الكـريم أن يغض الطرف إذا ما وقع على هفوة أو خـطأ ربما يعـود إلى سهو أو نسيـان . . . أو المرور العـابر عـلى فكرة ما ، أو عدم إعطاء فكرة معينة حقها من التفصيل أو الشواهد . . .

وفي كـل الحالات ، فـإنّ الأسلوب الذي تُـوخي في الكتـاب هـو الأسلوب الـذي يلتزم الإيجاز غـير المخل ، ويبتعـد عن التطويـل الممـل ، وذلـك لأن خـ . الكلام ما وفى بالغاية .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الهرمل ١٠ رمضان المبارك ١٤١١هـ

المؤلف



الفصل الأول

١ . البدعة

٢ . الكفر

٣ . الشرك

٤ . النفاق

٥ . الردّة

القسم الأول

الباب الأول

في معالم الكفر





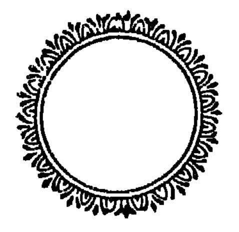


البـــدعة

أدنى ما يجعل العبد كافراً أن يبتدع شيئاً فيتولى عليه ويبرأ ممن خالفه .

محتويـات البحث

١٣ ـ ما هو الموقف من المبتدعين ؟
١٤ ـ شخصية المبتدع .



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ثم قفينا على آثارهم برسلنا ، وقفّينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتّبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلاّ ابتغاء رضوان الله فما رعوها حقّ رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون ﴾[١] .

* * *

سئل الصادق (ع) : ما أدنى ما يكون به العبد كافراً ؟

قال : فأخذ حصاة من الأرض فقال (ع) : « أن يبتدع شيئاً فيتولى عليه ويبرأ ممّن خالفه »[٢] .

وسئل (ع) ما أدنى ما يصير به العبد كافراً ؟

قال : « فأخذ حصاة من الأرض ، فقال (ع) : أن يقول لهذه الحصاة أنها نواة ويبرأ ممّن خالفه على ذلك »[٣] .

* * *

---

[١] سورة الحديد : الآية ٢٧ .

[٢، ٣] بحار الأنوار : ج ٧٢ ص ٢٢٠ .

ماهيـة البـدعة

إنّ « البدعة في المذهب ـ كما يقول الراغب في المفردات ـ إيراد قول لم يستّن قائلها وفاعلها بصاحب الشريعة وأمثالها المتقدمة ، وأصولها المتقنة » .

إنّ الله تعـالى هـو خـالق الخلق ، وبـارىء النسـمات ، ومـوجـد الأشيـاء ومحصيهـا ، وقد وضـع مناهـج الحياة فمن خـالفه قـاصداً ، عُـدّ معـانـداً ، وإن تعصب لرأيه المخالف لأمر الله ، وهو يعلم كان مبتـدعاً ، وأدنى ذلـك أن يأخـذ حصاة ، ويزعم أنها نواة ، ويصرّ على ذلـك ، ويبرأ ممن خـالف رأيه ، ومن كـان كذلك فهو صاحب بدعة .

والبدعة مدعاة لنزول العقوبـة الإلهية عـلى صاحبهـا ، لأن أمرهـا ليس أمراً عـرضياً في الحيـاة ، بل هي أمـر أساسي ، لأنها تمسّ كيـان الأصول العقيـديـة ، والإجتماعية والسياسية ، وغير ذلك ، للمنهج الإسلامي .

إن بعض الناس يحبون المعارضة لمجرد المعارضة ، والتغيير لمجـرد التغيير ، والإنتقاد لمجرد الإنتقاد ، وربما أدى بهم ذلك إلى الإبتداع .

ومن كان يهوى إدخال الشبهات في الدين ، وهو مدرك لخطئـه ، فإن عمله تشكيكي ، وحكمه حكم الكافر ، لأنه مبتدع .

والمبتدع هو الذي يتولى على شيء إبتدعه ويروّج له مصراً على ذلك معـانداً لله ولرسوله ومنكراً لما أنزل الله .

وكـل مبتدع ضـال عن الصراط المستقيم ، سائـر نحو جهنم ، لأن البـدع هـادمة لأسـوار الدين ، وأسسـه ، والله ورسولـه والمؤمنون يتـبرؤون من أصحاب الأهواء ، ولا يتوب الله عليهم ، لأنهم أصحاب بدع هدامة ، وآراء أهوائية ضالة إلّا إذا تابوا توبة نصـوحـاً .

وعن علي (ع) أنه قال : « ما هدم الدين مثل البدع »[1] .

ويقول الشهيد السعيـد آية الله دستغيب : « البـدعة في عـرف الشرع ، ما حدث بعد الرسول (ص) ، ولم يرد فيه نص على الخصوص ، ولا يكون داخلاً في بعض العمومات ، أو ورد نهي عنه خصوصاً ، أو عموماً ، فلا تشمـل البدعـة ما

دخل في العمومات مثل بناء المدارس وأمثالها ، الداخل في عمومات إيواء المؤمنين وإسكانهم وإعانتهم ، وكإنشاء (تـأليف) بعض الكتب العلمية والتصـانيف التي لها مدخل في المعلومات الشرعيـة ، كالألبسـة التي لم تكن في عهد الـرسول (ص) والأطعمة المستحدثة فإنها داخلة في عمومات الحلية ، ولم يرد فيها نهي . وما يفعل منها على وجه العموم إذا قصد كونها مطلوبة عـلى الخصوص كـان بدعـة ، كما أن الصلاة خير موضوع ويستحب في كل وقت .

كما إذا عيّن أحد سبعين تهليلة في وقت مخصوص على أنها مطلوبة للشارع ، في خصوص هذا الوقت بلا نص ورد فيها ، كانت بدعة .

وبالجملة إحداث أمر في الشريعة لم يرد فيه نصّ ، بدعة . . . »[٢] .

وقال العلامة المجلسي بعد مقدمة ذكرها ، كما نقل عنه صاحب الـذنوب الكبيرة : « البدعـة هي أن يحلل ما حـرّمه الله ، أو يعتـبر مكروهـاً ما لم يحكم الله بكـراهيتـه ، أو يـوجب مـا لم يـوجبـه الله ، أو يجعـل مستحبـاً مـا لم يحكم الله باستحبابه ، ولو كان بلحاظ الخصـوصية ، مثـال ذلك ، أنّ الصـلاة في كل وقت مستحبة فلو صلّى الإنسان في وقت ما بعنوان أنه وقت من الأوقات فإنه يثاب عـلى عمله ، وأمّـا لو صـلى ركعتين قبـل الغروب بعنـوان أنّ الصلاة في خصـوص هذا الوقت مطلوبة فذلك بدعة حرام . .

وكذلك من صلّى صلاة النافلة ثلاث ركعات بتسليم واحد ، حيث أنّ هذه الكيفية في الصلاة لم ترد في سنة رسول الله (ص) وكذلـك من ركوعـين في الركعـة الواحدة فكـل ذلك بـدعة وحـرام مثل ذلـك كلمة « لا إلـه إلاّ الله » فإنها أفضـل الذكر في كـل وقت ولكن لو أنّ شخصـاً ، قرّر أن يقـولها ألفـاً وخمسمائـة مرة بعـد صـلاة الصبـح ، بعنـوان أنّ هـذا العـدد ، وبخصـوص هـذا الـوقت مقـرّر من الشارع ، أو يقرّره هو شخصياً ، ويعتبره عبادة من العبادات فجميع ذلـك بدعـة في الدين وأشدّ المعاصي . . »

والبدعة تعني تغيير الحكم الإلهي

وبناءً على ذلك فإنّ البدعة معنـاها تغيـير شريعة الله بـإضافـة شيء أو إلغاء شيء منها حسب رأيه ، وعقله الناقص ، سواء أكان ذلك في الأصول أو الفروع .

قال الإمام الصادق (ع) : « حلال محمد (ص) حلال أبداً إلى يوم القيامة وحرامه حرام أبداً إلى يوم القيامة ، ولا يكون غيره ولا يجيء غيره » .

وسنقوم ـ بإذن الله تعالى ـ بتفصيل كل ذلك عند الكلام عن أنواع البدع ، فانتظر .

وعن الصادق (ع) أنه قال : « إن رسول الله (ص) سُئل عمّن أحدث حدثاً ، أو آوى محدثاً ما هو؟ فقال : من ابتدع بدعة في الإسلام أو مثّل بغير حدّ ، أو من انتهب بهبة يرفع المسلمون إليها أبصارهم ، أو يدفع عن صاحب الحدث أو ينصره أو يعينه[٣] .

وقال (ص) في تفسير قوله تعالى : « إنّ الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً : هم أصحاب البدع وأصحاب الأهواء ليس لهم توبة ، أنا منهم بريء وهم براء »[٤] .

ونحن في مجال تصنيف أهل الضلال والإنحراف ، نجد أنّ الناس الضالين على أقسام أربعة : مبتدعون ، وكافرون ، ومشركون ، ومنافقون . وفي النهاية ، فالجميع ملّة واحدة ، ولمزيد من التوضيح نقول ونؤكّد : انّ المبتدع هو كل من عمل برأيه الشخصي ، أو تعصّب لرأيه على المستوى الفكري ، أو العقيدي ، أو السياسي ، أو الإجتماعي ، أو غير ذلك دون الرجوع إلى حجة شرعية تبرأ ذمّته ، وكذلك أصحاب الآراء العقائدية ، والسياسية ، الذين فرّقوا دينهم ، وكانوا شيعاً وأحزاباً ، لا يعودون فيما قالوا إلى نص ، أو حكم شرعي ، فهم أهل بدع ، أما الكافر في بعض حالاته ، فهو من يقدم على المعاصي بجحود ، وإنكار وتهاون ، واستخفاف ، في كل دقيق ، وخطير من الأمور .

يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ من يكفر بالله ، وملائكته ، ورسله ، واليوم الآخر ، فقد ضلّ ضلالاً بعيداً ﴾[١] .

أما المشرك فهو من قلّد الآباء والأجداد تقليداً أعمى ، أو ابتدع ديناً ومنهجاً ، غير دين أهل الإيمان ، فجعل لله شريكاً ، بأنّ أطاعه ، وخضع

---

[١] سورة النساء : الآية ١٣٦ .

لأوامره ، المخالفة للشرع ، فيكون بذلك قد عبده ، وأشرك بالله جلّ جلاله .

وعن الصادق (ع) أنه قال : « معنى الكفر : كل معصية عُصي الله بها بجهة الجحد والإنكار والإستحصاف والنهاون فى كل ما دقّ وجلّ وفاعله كافر . . . فإن كان هو الذي مال بهواه إلى وجه من وجوه المعصية ، لجهة الجحود والإستخفاف والتهاون فقد كفر ـ وإن هو مال بهواه إلى التدين لجهة التأويل والتقليد والتسليم والرضا بقول الآباء والأسلاف فقد أشرك »(٥) .

الكفر أقدم من الشرك

« فعن الباقر (ع) أنه قال : والله أنّ الكفر لأقدم من الشرك وأخبث وأعظم ، ثم ذكر كفر إبليس ، حين قال الله له : إسجد لآدم فأبى أن يسجد ، فالكفر أعظم من الشرك ، فمن اختال على الله عزّ وجل وأبى الطاعة ـ وأقام على الكبائر فهو كافر ، ومن نصب ديناً ، غير دين المؤمنين فهو مشرك(٦) .

آثار البدع

إنّ البدع هي التي فرّقت المسلمين ، وشتّتهم ، وأفسدت وحدتهم ، وذلك بسبب التفسيرات الخاطئة ، والأقاويل ، والأهواء ، التي تتلاعب بالأحكام ، والمفاهيم الإسلامية السليمة ، ولقد ظنّ هؤلاء أنهم قد وقعوا على الحقّ وتمسكوا بأهداب الحقيقة . . . ونسوا أنهم يحاربون الله ورسوله ببدعهم التي ابتدعوها وأن البدع هي سبيل الضلالة والفرقة ، لذلك فإن الأمانة الكبرى ، هي بذل الجهد الكافي ، مع استخدام الأدوات الموصلة ، لاستخراج المفاهيم ، والأحكام الشرعية ، من مصادرها والعمل على تعميمها حتى لا يفتح باب الضلال والإضلال . وعندما نرى الحديث يضرب الحصاة مثلاً ، نعلم أن البدع الكبيرة ، لا تختلف في طبيعتها ، عن البدع المتعلقة بأمور صغيرة أو جزئية ، بل ان البدعة هي البدعة ، وإن تباينت في تأثيرها ، وشكلها ومضمونها ، إذ أن العقلية المبتدعة واحدة ، ولا فرق بين من يزعم أنّ الحصاة نواة ، ويتعصب لقوله ، وبين من ينهج نهجاً سياسياً بدعياً ، أو يعتقد باعتقادات مخالفة للإسلام .

إنّ الإنسان يمكن أن يلتزم بالخط الصحيح ، إذا ما عرف هذا الخط ،

وخصائصه ، ومتطلباته ، وأصوله ، وتحلى بالإرادة الواعية ، والعزم على الإلتزام بالحق ، وفي حال فقدان الرؤية الصحيحة يتمّ الإنحراف ، ويقع الإنسان في مستنقع البدع .

وجاء في الخبر :

١ ـ عن علي (ع) : «لتفترقنّ هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة ، والذي نفسي بيده انّ الفرق كلّها ضالة إلّا من اتبعني وكان من شيعتي »[٧] .

٢ ـ وعن رسول الله (ص) : « ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل . . إنّ بني إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملّة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملّة كلّهم في النار إلّا واحدة »[٨] .

٣ ـ عن أبي عقيل عن علي (ع) : « قال اختلفت النصارى على كذا وكذا ، ولا أراكم أيتها الأمة إلّا ستختلفون كما اختلفوا وتزيدون عليهم فرقة ، ألا وإنّ الفرق كلّها ضالّة إلّا أنا ومن اتبعني »[٩] .

٤ ـ عن رسول الله (ص) : « تفترق أمتي على ثلاث فرق : فرقة على الحق لا ينقص الباطل منه شيئاً يحبّونني ويحبون أهل بيتي مثلهم كمثل الذهب الجيّد ، كلّما أدخلته النار فأوقدت عليه لم يزده إلّا جودة ، وفرقة على الباطل لا ينقص الحقّ منه شيئاً . . . ، وفرقة مدهدهة على ملّة السامري لا يقولون لا مساس لكنهم يقولون لا قتال . . . »[١٠] .

إنّ هذه الشعب تفرّقت بسبب البدع . أمّا الفرقة الناجية ، فهي الفرقة التي اعتصمت بحبل الله ، ولم تبتعد عنه ، ولم تزد عليه ، أو تنقص ، لذلك فهي محقة ، مشمولة بالرحمة الإلهية ، والعفو الرباني .

وعليه فإنّ المبادىء المخالفة للإسلام ، التي يتعصب لها الأفراد ، أو الجماعات ، أو الطوائف أو الفئات السياسية والإجتماعية ، الهادفة إلى تنظيم أمور الحياة الإجتماعية ، أو تحقيق مصالح معيّنة هي بدع محرّمة .

ويدخل ضمن هذا المفهوم ، تحريف الكلم عن مواضعه ، وحمله على غير محمله ، وتبني بعض الآراء الفاسدة ، مع العلم بذلك ، أو بعض التفسيرات

البعيدة عن الأصول المعروفة للدّين والشريعة ، خدمة لمآرب ذاتية أو فئوية . . .

الأنانية والبدعة

إنّ هناك علاقة وثيقة بين البدعة ، والروح الأنانية ، فالأنانية تفرض على صاحبها في هذا المجال ، الإنفراد بأسلوب معينّ ، أو تفكير معينّ يحاول تعميمه على الآخرين ، لإثبات ذاته ، مستعلياً بذلك على الناس ، متعصباً لأفكاره أو أساليبه . . لا يحاور ، ولا يشاور ، بل يستبّد برأيه ، ولا يشارك الرجال في عقولها . فالمشركون من قريش ـ بعد فتح مكة مثلاً ـ أسلموا ، تخليصاً لأنفسهم من أنّ ينزل بهم العقاب الإسلامي العادل ، وعفا عنهم رسول الله (ص) قائلاً لهم : « إذهبوا فأنتم الطلقاء » . . . وبعد انتقاله (ص) إلى الرفيق الأعلى ، برزت الأنانيات ، وحاول أعداء الإسلام ، من جديد أن يصلوا إلى مآربهم ، في تقويض البناء الإسلامي ، عن طريق الأفكار والمناهج التحريفية ، القائمة على أساس البدع ، والرأي المخترع . . . والروح الأنانية تبرز اليوم في كثير من التّوجهات والإتجاهات المنحرفة المبتدعة ، التي تدّعي الإسلام ، وتحاول أن تضربه على الأقل ، بممارستها الخاطئة ، ومناهجها المبتدعة الضالّة ، إن لم تعمل على ضربه والقضاء عليه . . . بصورة واضحة .

البدعة مقصودة وغير مقصودة

من البدع ما يكون عن سابق تصور وتصميم ، وسوء نية ، تجاه الرسالة والأمة ، ومنها ما يكون عن غير قصد ، إنّما ينزلق البعض إليها إنزلاقاً ، فيطلب الحق ، فيقع في الباطل ، وذلك ينتج عن تفسير آية أو آيات من كتاب الله تعالى ، بالرأي ، أو التمسك بحديث غير صحيح ، أو فهم غير عميق لمبدأ من مبادىء الدين ، أو أصل من أصوله ، أو فرع من فروعه فيقع في الإبتداع .

إلاّ أنّ هذين النوعين من البدع ، يؤديان ، في النتيجة ، إلى الإنحراف عن سبيل الله ، لذلك فإنّ على أصحاب الرأي السديد ، والأفهام العالية ، والعلماء الأعلام ، أن يظهروا علمهم ، لدحض البدع ، وتبيان الحقائق بالأسلوب الحسن الهادف .

البدع وأعداء الإسلام الداخليين

إنّ الأعـداء الداخليـين لـلإسـلام ، من منـافقـين ، ويهـود ، أو متهـودين وأصحـاب المبادىء العلمانيـة ، والطائفيـة ، والإلحاديـة ، الذين يلبسـون لبـوس الإسـلام ، أو يحتمون ببعض المؤسسـات الدينيـة ، أو الشخصيات الإسـلامية ، يعمدون إلى تشويه الإسلام والثورة الإسلامية ببدع يطلقونها بين الحين والآخـر ، بهدف هدم بنيـان الإسلام ، وتفتيت قـوة المسلمين من الـداخل ، وذلـك بإيجـاد الإختلافات والصراعات فيما بينهم ، فتنشأ الفرق والتنظيمات العـاملة ضدّ الـفكر الإسلامي ، والسياسة الإسلامية ، المستندة إلى تـوجيهات الفقيـه العادل الجـامع للشرائط .

ومن الفـرق الـدينيـة المبتـدعـة ، الفـرق التي تحـاول ضرب الإسـلام والإسلاميين ، وزرع بذور التفرقة بين المسلمـين ، مستندة إلى دعم إسكتبـاري ، من شياطين الدول الكبرى .

إنّ صمام الأمان ، المانع من الانجرار وراء هذه التيارات البدعية ، هو نشر الوعي ، وتحكيم المقاييس الإسلامية ، للتمييز بين الحق والبـاطل ، وذلك بالعودة إلى الكتاب والسنّة النبوية الشريفة .

البدع وأعداء الإسلام الخارجيين

إنّ الحركات السيـاسية ، والعقـائديـة ، القائمـةعلى أسـاس مخالفـة أسس الإسلام ، كالحـركات القـومية المتعصبـة التي تزعم أنها مستنـدة إلى الإسلام ، أو الأفكـار الإشـتراكيـة ذات المنشـأ المـادي الإلحـادي ، والتي تغلّفت بغـلاف إسـلامي عـلى أسـاس أنها متمّمـة لـلإسـلام أو مستمـدة منـه . . . كـل هـذه الحـركات أو الأفكـار، ذات طبيعة بـدعية، تـوهّم مبتدعـوها، أو أرادوا أن يتـوهّم الناس أنهم يسيرون عـلى خطى الإسـلام . . . والهدف التشـويش على الحـركات الإسـلاميـة الأصيلة ، وعـلى الخط الإسلامي الثـوري ، المعـادي لـلإستكبـار العـالمي ، ولكلّ منـاهج الإنحـراف عن الكتاب والسنـة ، وإن اتّسمت المنـاهـج التحـريفية بسمـة إسلاميـة خارجيـة ، فإنّها ، في الحقيقـة ، أفكار معـادية ينبغي

العمل لإظهار حقيقتها للناس ، وفرزها عن الخط السليم .

وعن رسـول الله (ص) أنه قـال : « شرّ الأمور محـدثاتهـا ، ألا كل بـدعـة ضلالة ، ألا وكلّ ضلالة في النار »[١١] .

إنّ المسألة الأسـاسية في هـذا الأمر هي الخـروج من دائرة الإيمـان ، ومعنى ذلك الكفر وهو ستر الحق في المعنى اللغوي فمن ستر حقاً أو عاند الحقّ فقد كفر ، كما سنوضح لاحقاً .

وعن عـلي (ع) أنـه قـال : « من أبـدى صفحتـه للحقّ هلك »[١٢]، « من صارع الحق صرع »[١٣].

إنّ إبداء الصفحة للحق يعني المعاندة والمكابرة بغير حقّ ، ومصارعة الحقّ كفر ، وانحراف عن الطريق القويم ، وفي ذلك الهلاك والمصير الأسود .

وإذا كـانت البدعـة هي إنحراف عن الحقّ وسـتر له ، بـأي شكل كـان ، فإنّها ، كما سبق وقلنا ، تقوم عـلى أساس مخـالفة أمـر الله ، وكتابـه ، ورسولـه ، والعمل وفق ما يمليـه الهوى والـرأي الشخصي . لذلـك فإنّها تـدخل ضمن دائـرة الكفر ، ومعاندة الحق . والله تبارك وتعـالى جعل لكـل شيء ، شرعة ومنهـاجاً ، فقـد جعل للحيـاة الإنسانيـة أنظمـة وتشريعات ، حتى الخـدش له ، في شريعـة الإسـلام حكم ، وعلى هـذا فلا يجـوز لأحد ، عـلى الإطلاق ، أن يـأتي من تلقاء نفسه بأحكام لا أساس لها في شرع الله ، وإلاّ كان مبتـدعاً . . . إذ كـل ما تحتاجه البشرية والحضارة يمكن على أساس الإجتهاد ، أن يستنبط له قـانون ، وقـاعدة ، فيتـطور وينمو بـالإستناد إليهـا ، من هنا كـانت كل بـدعة ضـلالة ، سـواء عـلى المستوى التعبدي ـ بالمعنى الخاص أو على المستوى التشريعي ، أو السياسي أو غير ذلك ، كما تقدم .

والبـدع تبدأ صغـيرة ثم تكبر وتتشعب لـذلك عمـل الإسلام للقضـاء على الأساس البدعي ، بكل أشكاله فكان مثـال الحصاة عـلى لسان الصـادق (ع) خير شاهد على ذلك .

وعن الصادق (ع) أنه قـال : « من أصغى إلى ناطق فقـد عبده ، فـإن كان

الناطق عن الله ، فقد عبد الله ، وإن كا الناطق عن إبليس فقد عبد إبليس »[١٤] .

إنّ مجرد سماع ، وطاعة أو قبول كلام إنسان يعتبر عبادة . . . فإن كان كلامه يرضي الله ، فيكون السامع قد عبد الله ، وإلاّ فقد عبد إبليس .

فالإعجاب مثلاً بالموقف غير المرضي لله ، أو تبنّيه شرك بالله ، إن حصل ذلك عن معرفة وعلم .

فعن الصادق (ع) أنه قال : « لو أنّ قوماً عبدوا الله ـ وحده لا شريك له ـ وأقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وحجّوا البيت ، وصاموا شهر رمضان ، ثم قالوا لشيء صنعه الله ، أو صنعه النبي (ص) ، ألا صنع خلاف الذي صنع ؟ أو وجدوا ذلك في قلوبهم ، لكانوا بذلك مشركين ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً ممّا قضيت ويسلّموا تسليماً** ﴾ ثم قال أبو عبد الله عليه السلام : فعلكيم بالتسليم »[١٥] .

نستنتج من ذلك ، إن عبادة هؤلاء العابدين كانت ظاهرية ، لأنهم لا يقبلون إلاّ بما يوافق أهواءهم ، ومصالحهم ، فلا يجوز لمؤمن أو مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن تكون لهم الخيرة في أمرهم ، والسبب في ذلك ، أن الإسلام كامل ، ومن يعتقد بنقص الإسلام والشريعة فهو كافر ، ساتر للحق ، مبتدع .

وعلى مستوى القضايا الحياتية ، فإن كل تعصب للنفس ، أو الأسرة ، أو الحي ، أو القرية ، أو الشعب ، أو الدين بغير حق ، فهو كفر وبدعة . والعصبية المرفوضة ، هي الإعتقاد بصحة موقفك وصوابيته ، وإنّك على حقّ دائماً ، ورفض آراء الآخرين وتسفيهها ، لذلك ورد عن الرسول (ص) قوله : « ليس منا من دعا إلى عصبية » .

وقد روي أن عبد الملك بن مروان ، كان يقول : « من قال لنا اتقوا الله ضربنا عنقه » وما كان يقول ذلك إلاّ لاعتقاده بأنه على حقّ ، وهذا هو الكفر والإبتداع . . .

أنواع البدع

البدع أنواع : ١ ـ بدع فكرية ٢ ـ بدع عقائدية ٣ ـ بدع إجتماعية ٤ ـ بدع سياسية ٥ ـ بدع تشريعية (فقهية) .

١ ـ البدع الفكرية

وهي تشمل جميع الأفكار المخالفة للإسلام والتي لوّنت بألوان إسلامية أو زعم لها ذلك ، سواء أكانت أفكار شرقية أم غربية ، كالأفكار المادية ، ومنها الماركسية ، والأفكار القومية التعصبية، وعامة الأفكار الفلسفية الإلحادية .

٢ ـ البدع العقائدية

وهي جملة العقائد ذات الصبغة الإسلامية المزوّرة ، السائدة في العالم ، أو التي يمكن أن تنشأ مستقبلاً ، والتي هي غير متوافقة مع الأصول العقيدية الإسلامية (كالتوحيد ، والنبوة ، والمعاد يوم القيامة) . . .

ومن أقبح البدع ، بدعة الغلاة ، الذين أعطوا لبعض المخلوقين صفات الخالق ، كاعتبار ، المسيح (ع) رسول الله ، وعبده ، إبناً لله سبحانه ، وحاشا لله أن يتخذ من ولد ، أو اعتبار الإمام علي (ع) عند بعض الفرق المغالية ، رباً ، وقد عاقب علي (ع) ، من ادّعى له ذلك ، بالإحراق بالنار ، لأنّه كفر صريح ، وبدعة قبيحة . . . ومن البدع الشنيعة ، في مجال العقيدة ، بدعة بغض أهل البيت (ع) وهي بدعة النواصب ، الذين نصبوا العداء لأهل بيت رسول الله (ص) ، فنقموا على السلالة الطاهرة ، وحقدوا عليهم ، وحاربوهم ، مع أن الله سبحانه وتعالى أمر بمحبتهم وطاعتهم ، حيث يقول جلّ وعلا : ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى ﴾[١] .

وقال أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة والسلام : « هلك فيّ رجلان : محبّ غال ، ومبغض قال »[١٦] .

---

[١] سورة الشورى : الآية ٢٣

ولا ننسى بدعة المشبهة ، وهي الفرقة التي تشبه الخالق بالخلق ، فتجعل لله يداً ، وعيناً ، ورجلاً . . . وكل هـذه البدع هي في النهـاية دليـل هبوط المستـوى الفكري . . والوعي العقائدي ، والأفكار الفجة ، أو المتأثرة بـأفكار أهل الشرك والوثنية ، وقد صبّت جميع هذه النظريات والآراء في خدمة مآرب سيـاسية لحكـام دنيويين ظلمة ، كما تصبّ البدع الحديثة ، في أيامنا هذه ، كـالعلمانية ، والعقـائد المـادية ، كـالماركسيـة ، والفلسفات المنحـرفة كـالوجـودية ، في مصبّ الأهـداف السياسية لأنظمة سياسية وحكـام منحرفـين . . . باعتبـار أنهم يحاولـون أن يعطوا لهذه المبادىء المنحرفة نكهة إسلامية .

٣ ـ البـدع التشريعية

إنّ كل من زاد أو أنقص في الشريعة ، فقد ابتدع ، حتى ولـو كان صحـابياً أو من المتأخرين ، فليس كل الصحابة بعدول كما هو واضح ، إلاّ من كان سلوكه متـطابقاً ، أو منسجـماً مع سلوك رسـول الله (ص)، فهو العـادل وإلا كان بعكس ذلك . فمن الصحابة من بقي ملتزماً بخط رسول الله (ص) ، ومنهم من باع دينه بـدنياه ، ومنهم من خـرج على إمـام زمانـه وقاتله . . . ويكفي الإنسـان أن يفكر قليلاً في هذه المسـألة ، من النـاحية العقيـدية ، والإجتـماعية والتـاريخية ، ليقـول بها . . .

ويمكن القـول أن البدع التي تكـون نتيجة لعملية الخـروج عـلى القـواعـد المعتمدة لاستنباط الأحكام الشرعية ، من مصادرها المقررة ، بتبني بعض الأحكام التشريعيـة غير المستخـرجة من النصـوص ، أو المعـاكسـة لهـا . . . تمثّـل بـدعـة تشريعيـة ، مع العلم أنـه لا اجتهاد مقابل النص ، فـالإجتهاد في مقـابـل النص الـواضح ، يعتـبر مخالفـاً للشريعة ، وبـدعة محـرّمة ، ينبغي محـاربتهـا والـوقـوف بوجهها ، وتوعية الناس على ذلك .

وكثيراً ما اجتهـد بعضهم لمصلحة رآهـا هو ، وكـان اجتهاده مقـابل النص الوارد في الكتاب ، أوالسنة ، وبعضهم كان يحلل ما حرّم الله ورسـوله ، أو يحـرم ما أحل الله ورسوله ، وهذه هي البدعة بعينها ، لا بل هو الضلال كل الضلال .

٤ ـ البدع الإجتماعية

وهي العادات والتقاليد المخالفة لآداب ومناقب الإسلام ، إن علم مخالفتها للشرع الحنيف ، وأصرّ المتمسكون بها على ممارستها ، واعتبروها أمراً مشروعاً ، أو حضارياً . . .

. . . أو قالوا أن آداب الإسلام ، غير متناسبة مع روح العصر ، أو أنها كانت تصلح لغير هذا الزمن ، وغدت غير صالحة ، وينبغي استبدالها بغيرها ، فمن توهّم هذا التوهم ، أو اعتقد هذا الإعتقاد ، فهو من أهل البدع . وهذا ينسحب على كل التصرفات والممارسات الإجتماعية ، وموديلات اللباس والأعراس ، والأحزان ، والأفراح والأتراح .

٥ ـ البدع السياسية

وهي الآراء ، والمواقف والممارسات السياسية ، غير المتوافقة أو المتطابقة مع الخطوط العامة للسياسة الإسلامية المبيّنة من قبل الولي الفقيه .

ويأتي دور الأحزاب السياسية العلمانية والإلحادية ، أو الطائفية المستغلة للإسلام ليجسد هذه البدع في مؤسسات ، ورموز وقيادات ، ويدخل ضمن هذا الإطار وعّاظ السلاطين ، وماسحو أجواخهم والزعماء المستكبرون والطغاة ، إذ أنهم يستمعون إليهم ، وينفّذون أوامرهم السلطانية والتسلطية ، ويرضون بقراراتهم ، أو مقرراتهم ، التي تأتيهم من الخارج ، وتفرض عليهم فرضاً ، وبذلك يعبدون السلطان ، ويتخذونه رباً .

يقول الله تعالى : **﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلّا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلّا هو سبحانه عمّا يشركون ﴾**[١] .

وقد روي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام أنهما قالا : « أمّا والله ما صاموا ولا صلّوا ولكنهم أحلّوا لهم حراماً وحرّموا عليهم حلالاً ، فاتبعوهم وعبدوهم من حيث لا يشعرون » .

---

[١] سورة التوبة : الآية ٣١ .

وروى الثعلبي بإسناده عن عديّ بن حاتم قال أتيت رسول الله (ص) وفي عنقي صليب من ذهب ، فقال لي يا عدي : إطرح هذا الوثن من عنقك ، قال فطرحته ثم انتهيت إليه وهو يقرأ من سورة البراءة هذه الآية : ﴿ **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً** ﴾ حتى فرغ منها ، فقلت له إنّا لسنا نعبدهم فقال : يحرّمون ما أحلّ الله فتحرمونه ، ويحلّون ما حرّم الله فتستحلونه ، قال : فقلت : على ماذا ؟ قال : فتلك عبادتهم(١٧) .

دور وعّاظ السلاطين في نشر البدع

إنّ لوعّاظ السلاطين في كل عصر ، الدور الأكبر ، في نشر البدع ، وهؤلاء الوعّاظ ، هم الذين تشتريهم الحكومات الظالمة ، لدعم حكمها بالفتاوى ، التي تخدم السلطات الحاكمة ، وتبرّر لها أعمالها وممارساتها ، ومراجعة عابرة للتاريخ تبينّ لنا بصورة جليّة ، دور هؤلاء الوعّاظ ، في عهد بني أمية ، وبني العباس ، ولا ننسى كذلك وعّاظ السلاطين المحدثين ، ومنهم من أفتى بضرورة الصلح مع إسرائيل ، وبرّر لبعض الحكام العملاء ، معاهدات السلام مع العدو الإسرائيلي . (موقف شيخ الأزهر من السادات في معاهدة كمب ديفيد) .

وقديماً كان وعّاظ السلاطين ، يختلقون الأحاديث الكاذبة ، وينسبونها إلى رسول الله (ص) ، وهو منها براء ، لأنه لم يقلها أصلاً . بل هدّد من يكذب عليه متعمداً ، بتبوأ مقعده من النار ، وعلى سبيل المثال نذكر عدة شواهد على هذا النمط من الأحاديث الملفّقة :

في حديث (موضوع) أن النبي (ص) قال : « إن الله ائتمن على وحيه ثلاثاً : أنا ، وجبرائيل ، ومعاوية » .

وكأن الله لم يكن يعلم ، ولم يعلم رسوله (ص) بشأن معاوية ، ومعدنه الخبيث ، وما تؤول إليه الأمور على يديه ، وواضح أنّ واضع الحديث هذا ، يريد أن يؤدي خدمة لمعاوية ، داعماً حكمه ، وسلطانه ، بأن يجعله أميناً للوحي . . .

وفي حديث آخر يمدح فيه معاوية ، أحد وعّاظ السلاطين ، فيقول : أن رسول الله (ص) قال : (وهو لم يقل ذلك بالتأكيد) إلا القسم الأوّل من

الحديث ، أمّا القسم المتعلق بمعاوية فهو من وضع من وضعه .

« أنا مدينة العلم وعلي بابها ومعاوية حلقتها » ، فما هذه الحلقة العجيبة ، وما الهدف من ذكرها . . . إنها لدعم سلطان معاوية وبني أمية . . . فبئس ما كسبت أيدي الكاذبين على رسول رب العالمين .

وهناك قسم من البدع يخلط بين الحقّ والباطل ، ويلبس بينهما ، كقول من قال ، إنّ الإشتراكية مثلاً ، هي من الإسلام ، وإن الإسلام دين إشتراكي أو رأسمالي ، واستندوا في ذلك إلى بعض الآيات والأحاديث بعد أن فصلوها عن سياقها ، أو فسروها كما يشتهون لإثبات آرائهم البدعية . . .

وهناك تقسيم آخر للبدع ، ينقله آية الله الشهيد لسعيد دستغيب ، عن الشهيد الأوّل وذلك في كتابه : « الذنوب الكبيرة » وفيه يقول الشهيد الأوّل : « ومحدثات الأمور بعد عهد النبي (ص) تنقسم أقساماً ، لا يطلق إسم البدعة عندنا إلّا على ما هو محرم منها :

أولها : الواجب : كتدوين القرآن والسنّة إذا خيف عليهما من التلف من الصدور ، فإنّ التبليغ للقرون الآتية واجب إجماعاً وللآية ، ولا يتمّ إلّا بالحفظ وهذا في زمان الغيبة واجب ، أمّا في زمان ظهور الإمام فلا ، لأنّه الحافظ لهما حفظاً لا يتطرق إليه خلل .

وثانيها : المحرّم : وهو كل بدعة تناولتها قواعد التحريم ، وأدلته من الشريعة ، كتقديم غير الأئمة المعصومين (ع) ، وأخذهم مناصبهم واستئثارهم ولاة الجور عليهم بالأموال ، ومنعها مستحقيها ، وقتال أهل الحقّ وتشريدهم وإبعادهم ، والقتل على الظنّة والإلزام ببيعة الفساق والمقام عليها وتحريم مخالفتها ، والبغي على الإمام . . . إلى غير ذلك من المحدثات المشهورات ، ومنها بالإجماع من الفريقين المكس تولية المناصب غير الصالح ببذل أو إرث وغير ذلك .

ثالثها : المستحب : وهو ما تناولته أدلّة الندب ، كبناء المدارس والربط وليس منه اتخاذ الملوك الأبهة ليعظّموا في النفوس ، أللهم إلّا ما يكون مرهباً للعدو .

ورابعها : المكروه : وهو ما اشتملته أدلّة الكراهية كالزيادة في تسبيحة الزهراء (ع) ، وسائر الموظفات ، أو النقيصة منها ، والتنعم في الملابس ، والمآكل بحيث يبلغ الإسراف بالنسبة إلى الفاعل ، وربما أدّى إلى التحريم إذا استضربه وعياله .

وخامسها : المباح : وهو الداخل تحت أدلّة الإباحة كنخل الدقيق فقد ورد شيء اتخذته لناس بعد رسول الله (ص) اتخاذ المناخل ، لأن لين العيش والرفاهية من المباحات ، فوسيلته مباحة »[١٨] .

ما هو الموقف من المبتدعين ؟

لا حرمة لمبتدع :

عن الرسول (ص) أنه قال : « إذا رأيتم أهل الريب والبدع ، من بعدي فأظهروا البراءة منهم ، وأكثروا من سبّهم ، والقول فيهم والوقيعة وباهتوهم ، كيلا يطعموا في الفساد في الإسلام ، وتحذرهم الناس ، ولا يتعلموا من بدعهم ، يكتب لكم بذلك الحسنات وترفع لكم بها الدرجات في الآخرة »[١٩] .

وقال الباقر (ع) : « ثلاثة ليس لهم حرمة ، صاحب هوى مبتدع ، والإمام الجائر ، والفاسق المعلن الفسق »[٢٠] .

وعن أبي عبد الله (ع) : « أهل البدع لا تجالسوهم ، فتصيروا عند الناس كواحد منهم »[٢١] .

وعن رسول الله (ص) أنه قال : « إذا ظهرت البدع في أمتي ، فليظهر العالم علمه ، وإن لم يفعل فعليه لعنة الله »[٢٢] .

« أيها الناس ، لا نبي بعدي ، ولا سنّة بعدي ، فمن ادعى ذلك فدعواه ضلالة ، وبدعة في النار ، فاقتلوه »[٢٣] .

إن واجب المؤمن البراءة من كل صاحب بدعة ، عقائدية أو سياسية أو غير ذلك ، فلا يجوز مسايرتهم وممالأتهم ، وإذا كان لا بدّ من موقف مرن ، فليكن بهدف الهداية والإرشاد ، ولكن بدون التنازل عن الحقّ قيد أنملة ، والمطلوب

البراءة وإظهار الأخطاء ، بالإعلام المضاد المركز ، فيجب تعريتهم وفضحهم أمام أعين الناس ، وتبيان أخطائهم ، بأن نباهتهم (باهتوهم) وينبغي أن يفتش عن كل الوسائل الناجعة ، لمحاربتهم واتقاء شرورهم ، فهم الخطر الحقيقي على الدين ، والأمة ، فمحمد (ص) هو خاتم النبيين ، ودينه كامل شامل ، خالد ، متطور ، صالح لكل زمان ومكان ، لذلك فإنّ من أتى بمبادىء ، أو شرائع ، أو قوانين ، أو وضع أهدافاً ، أو مقاييس مخالفة لكتاب الله ، وسنّة رسوله ، أو لم تكن مستمدة من هذه المصادر الشرعية ، الإلهية ، فهو مبتدع ، وجزاؤه، في شريعة الإسلام أن يقتل ، لأنه من المفسدين ، كما في الحديث الآنف الذكر .

وقال العلامة المجلسي في شرح الحديث : إذا رأيتم أهل الريب والبدع من بعدي فأظهروا . . . » قال : « كأن المراد بأهل الريب الذين يشكون في الدين ، ويشككون الناس فيه بإلقاء الشبهات وقيل : المراد بهم الذين بناء دينهم على الظنون والأوهام الفاسدة ، ويحتمل أن يراد بهم الفساق والمتظاهرون بالفسوق فإنّ ذلك مما يريب الناس في دينهم وهو علامة ضعف يقينهم »[٢٤] .

وفي هذا الصدد يقول الفيض الكاشاني ، محدداً طرق التعاطي مع أهل البدع : « أمّا المبتدع الذي يدعو إلى بدعته ، فإن كانت البدعة ، بحيث يكفر فيها ، فأمره أشد ، وإن كان ممّا لا يكفر فيها ، فأمره بينه وبين الله أخفّ من أمر الكافر لا محالة ، ولكن الأمر في الإنكار عليه ، أشدّ منه على الكافر ، ولأنّ شرّ الكافر غير متعدّ ، فإنّ المسلمين اعتقدوا كفره فلا يلتفتون إلى قوله ، ولا يدعي لنفسه الإسلام ، واعتقاد الحقّ ، أمّا المبتدع الذي يدعوا إلى البدعة ، ويزعم أن ما يدعوا إليه حقّ فهو سبب لغواية الخلق ، فشرّه متعدّ ، فالإستحباب في إظهار بغضه ومعاداته والإنقطاع عنه ، وتحقيره والتشنيع عليه ببدعته ، وتنفير الناس عنه أشدّ . . . وكذلك الأولى كفّ الإحسان والإعانة عنه لا سيما فيما يظهر للخلق » .

قال (ع) : « من انتهر صاحب بدعة ، ملأ الله قلبه أمناً ، وإيماناً ، ومن أهان صاحب بدعة ، أمّنه الله يوم الفزع الأكبر ومن ألان له ، وأكرمه أو لقيه ببشر ، فقد استخفّ بما أنزل الله على محمد (ص) » .

« وأما المبتدع العامي الذي لا يقدر على الدعوة ، ولا يخاف الإقتداء به

فأمره أهون فالأولى أن لا يفاتح بالتغليظ والإهانة ، بل يتلطف بـه في النصح فـإنّ قلوب العوام سريعة التقلب ، فإن لم ينفع النصح ، وكان في الإعراض عنه تقبيح لبـدعته في عينـه ، تأكـد الإستحباب في الإعـراض وإن علم أنّ ذلك لا يؤثـر فيه لجمود طبعه ، ورسوخ عقده في قلبـه ، فالإعـراض عنه أولى ، لأنّ البـدعة إذا لم يبالغ في تقبيحها شاعت بين الخلق وعمّ فسادها »[٢٥] .

شخصية المبتـدع

إن المبتـدع لخبثه وشـدة نفـاقــه ، قـد يتقمص شخصيــة التقي في بعض الحالات ، ليغش بها الناس :

وعن رسـول الله (ص) أنه قـال : « من عمل في بـدعة خـلاه الشيـطان ، والعبادة ، وألقى عليه الخشوع والبكاء »[٢٦] .

ومن هؤلاء الناس من تحجب عنه حقيقة الدين ، فـربما اعـترف بوجـود الله تعالى ، لكنه ضلّ عن الطريق الموصل إليه سبحانـه ، فيقع في الإبتـداع . وهناك صنف آخر ، تمنعه تربيته الفاسدة ، اللادينية ، من التمسـك بالحق ، والسـير في طـريق الله ، فيحارب أحبـاء الله ، وأهـل الإيمـان ، ويعتنق البـدع الفـاسـدة ، والضلالات . . .

وقد جاء في صحيح البخاري في تفسير آية : فطرة الله . . .

« إن رسول الله (ص) قال : « ما من مولود إلاّ يولد على الفـطرة ، ثم أبواه يهـودانه ، أو ينصرانـه ، أو يمجسّانـه ثم قال (ص) : فـطرة الله التي فطر النـاس عليها »[٢٧] .

وقـد تنشأ البـدع ضمن الـدين والمبـدأ الـواحـد ، عـلى أسـاس اختـلاف المذاهب ، فكلّ منهم يزعم أنه يمثل الحق ، « وكل حزب بما لـديهم فرحـون » ، ولكن (لو كشف الله الحجب ، لجَرَى ما حار به البصر) .

ونقول بلغة أهل العرفـان ، إنّ هذه الحجب هي حجب ظلمانيـة وإنّ ظنّت نـورانية ، والحجب النـورانيـة لا تكـون إلاّ ضمن المـذهب الـواحـد ، الـذي لا

اختلاف فيه أو عليه ، فيرى المتتبع لمذهب ما نفسه يسبح في حجاب خـاص يظنـه من نور ، لذلك لا يسمح لـه برؤيـة الآخرين ، الـذين يسبحون أيضـاً في حجب يـظنّونها نـورانية خـاصة بهم أيضـاً ، وربما تكـون هذه الأنـوار من صنـع أنفسهم وأوهـامهم ، لـذلـك تعمى الأبصـار عن نـور الآخـرين . . . فتتحـول الحجب النورانية إلى حجب ظلمانية من جهة ،ونورانية من جهـة أخرى . . . ويبقى الحق هو الحق يخضع لمقـاييسه ومـوازينه الخـاصة ، وهي التي يبينهـا الإسلام في كتـاب الله ، والسنة الشريفة . . . . وإذا كانت البدعة ستر للحق وكفر به ، فما هو الكفر وما هي حقيقته ومراتبه ؟ .

البحث الآتي يتكفّل بتقديم الجواب على هذا السؤال .

* * *

مصـادر ومراجع البحث

(١) بحار الأنوار : ج ٧٨ ص ٩٢ .

(٢) الذنوب الكبيرة : ج ٢ ص ٣٢٥ .

(٣) بحار الأنوار : ج ٢ ص ٢٩٩ . .

(٤) كنز العمال : خطبة ٢٩٨٦ .

(٥) الوسائل : ج ١ ص ٢٤/٢٥ .

(٦) الكافي : ج ٢ ص ٣٨٤ .

(٧) آمالي المفيد : ص ١٢٤ .

(٨) كنز العمال : ج ١ ص ١٨٣ .

(٩) كتاب الغارات : ج ٢ ص ٥٨٥ .

(١٠) آمالي المفيد : ص ١٨ .

(١١) آمالي المفيد : ص ١١١ .

راجع أيضاً بحار الأنوار : ج ٢ ص ٣٠١ .

(١٢) بحار الأنوار : ج ٧٠ ص ١٠٧ .

(١٣) بحار الأنوار : ج ٧٧ ص ٤٢٠ .

(١٤) بحار الأنوار : ج ٧٢ ص ٢٦٤ .

(١٥) الكافي : ج ٢ ص ٣٩٨ .

(١٦) نهج البلاغة : حكم ١١٧ .

(١٧) مجمع البيان : ج ٣ ص ٤٨/٤٩ .

(١٨) الذنوب الكبيرة : ج ٢ ص ٣٢٥ .

(١٩) تنبيه الخواطر : ص ٣٩٧ .

راجع أيضاً الوسائل : ج ١١ ص ٥٠٩ .

(٢٠) قرب الإسناد : ص ١٠٧ .

(٢١) الكافي : ج ٢ ص ٦٤٢ .

(٢٢) أصول الكافي : ج ١ ص ٥٤ .

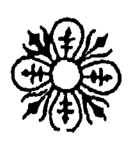
(٢٣) آمالي المفيد : ص ٣٣ .

(٢٤) الذنوب الكبيرة : ج ٢ ص ٣٢٤ .

(٢٥) المحجة البيضاء : ج ٣ ص ٣٠٦و٣٠٧ .

(٢٦) بحار الأنوار : ج ٧٢ ص ٢١٦ .

(٢٧) التاج الجامع للأصول . ج ٤ ص ١٨٠ .







الكـفر والجحـود

أدنى الكفر أن يتدين الانسان بشيء مما نهى الله عنه ، ويزعم أن ذلك يرضي الله .

محتويـات البحث

1 ـ أدنى الكفر .
2 ـ ماهية الكفر .
3 ـ الكافر والكافر المبتدع .
4 ـ أسباب الكفر وعلاجه .
5 ـ أقيسة الكِفار .
6 ـ صفات الكفار .
7 ـ دعائم الكفر .
8 ـ أصول الكفر .
9 ـ أركان الكفر .
10 ـ وجوه الكفر .
11 ـ وقفة مع حديث وجوه الكفر :
أ ـ الجحود بالربوبية .
ب ـ الجحود على معرفة .
ج ـ كفر النعم .
د ـ الكفر بترك ما أمر الله به .
هـ ـ كفر البراءة .
12 ـ العلاقة مع الكفّار .



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إن الذين كفروا سـواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنـذرهم لا يؤمنون ، ختم الله عـلى قلوبهم وعـلى سمعهم وعـلى أبصـارهم غشـاوة ولهم عـذاب عظيم ﴾[١] .

﴿ إن شرّ الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون ﴾[٢] .

﴿ مثل الذين كفروا بربهم أعـمالهم كرمـاد اشتدت بـه الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد ﴾[٣] .

* * *

١ ـ أدنى ما يكون به العبد كافراً

قال علي (ع) : « أدنى ما يكون به الرجل . . كافراً أن يتديّن بشيء ، فيزعم أن الله أمره به ، عما نهى الله عنه ثم ينصبه فيتبرأ ويتولى ، ويزعم أنه يعبد الله الذي أمره به »(١) .

---

[١] سورة البقرة : الآية ٦ ـ ٧ .

[٢] سورة الأنفال : الآية ٥٥ .

[٣] سورة إبراهيم : الآية١٨ .

وعن علي (ع) : « أدنى ما يكون به العبد كافراً ممن زعم أن شيئاً نهى الله عنه ، إن الله أمر به ، ونصبه ديناً يتولى عليه ، ويزعم أنه يعبد الله الذي أمره به ، وإنّما يعبد الشيطان »(٢) .

٢ ـ أدنى الإلحاد

عن حبيب الحليم قال : سألت أبا عبد الله عن أدنى الإلحاد فقال : « الكبر منه »(٣) .

٣ ـ أدنى منازل الكفر

عن يزيد الصائغ : « قال : قلت لأبي عبد الله (ع) : رجل على هذا الأمر ، إن حدث كذب وإن وعد أخلف وإن ائتمن خان ، ما منزلته ؟ قال : (ع) : هي أدنى المنازل من الكفر وليس بكافر »(٤) .

* * *

يظهر من بعض النصوص التي افتتحنا بها البحث أن البدعة كفر ، فمن تولى على شيء ، وتبرأ ممن يخالفه ، ولو كان من أصغر الأشياء أو أحقرها ، كأن يأخذ حصاة ، ويدّعي أنها نواة ، ويبرأ ممن خالفه فهو مبتدع ، وعمله بدعة وكفر . وكذلك :

من زعم أن الله أمره بعمل ، وهو في الشرع مما نهى الله عنه ، وتبرأ ممن لا يقول قوله ، واعتقد أنه في ذلك يعبد الله ، فهو كافر ومبتدع ، وعابد للشيطان .

والكفر كما يظهر من هذه النصوص ، عملي ونظري :

١ ـ الكفر العملي

وهذا يتجلى في عبارة الحديث أن الكبر من أدنى الإلحاد ، وأن أقرب المنازل إلى الكفر والبدعة :

أ ـ الحديث الكاذب .

ب ـ والخلف بالوعد .

ج ـ وخيانة الأمانة . . . وقس على ذلك .

٢ ـ الكفر النظري

وهو ما يكون على مستوى العقيدة والفكر ، وسيأتيك تفصيل ذلك .

ماهيـــة الكفر

والكفر في اللغة هو الستر[٥] ، وبعبارة أخرى هو ستر الحق .

يقول الإمام الباقر (ع) : « كل شيء يجره الإقرار والتسليم فهو الإيمان ، وكل شيء يجره الإنكار والجحود فهو الكفر »[٦] .

ويقول الإمام الصادق (ع) : « لو أن العباد إذا جهلوا وقفوا ولم يجحدوا ، لم يكفروا »[٧] .

ويقول الإمام الباقر والإمام الصادق (ع) : « في قول إبراهيم إذ رأى كوكباً « هذا ربي » : إنّما كان طالباً لربه ، ولم يبلغ كفراً ، وإنه من فكّر من الناس في مثل ذلك فإنّه بمنزلته »[٨] .

وأما في المصطلح الشرعي ، فإنّ الكفر يتحقق بما يلي :

١ ـ إنكار الألوهية أو الوحدانية أو الكمال الإلهي

عن محمد بن مسلم قال : « كنت عند أبي عبد الله عليه السلام جالساً عن يساره وزرارة عن يمينه ، فدخل عليه أبو بصير فقال : يا أبا عبد الله ما تقول فيمن شك في الله ؟ فقال كافر يا أبا محمد ، قال : فشكّ في رسول الله فقال كافر ، ثم قال : ثم التفت إلى زرارة فقال : إنّما يكفر إذا جحد »[٩] .

٢ ـ إنكار الربوبيـة

(والرب هو المربي ، والمدبّر) وهذا دين الإنسان المنكر لربوبية الرب ، يؤمن بوجود الله ، ولكنه ينكر علاقة الله بتنظيم الحياة الإجتماعية ، ووضع المناهج الحياتية ، ويرى أن الناس أنفسهم ينبغي أن يتولوا هذه الأمور ، لذلك كان المشركون يعترفون بوجود الله ، ولكنهم كانوا يؤمنون بالأصنام التي تقرّبهم إلى الله زلفى حسب زعمهم ، وبعض أصحاب المذاهب الفلسفية ، يعتقدون بالخالق ،

وينكرون الربوبية ، والتدبير الإلهي للكون ، والحياة ، والقيمومة الإلهيـة ، وهذا كفر وابتداع .

٣ ـ إنكار نبوة الأنبياء ، أو الإعتقاد بنبوة البعض ، وإنكار نبوة البعض الآخر كفر

بعض المذاهب السياسيـة تنكر نبـوة بعض الأنبياء وبعض زعـماء العلمانيين أنكر نبوة موسى (ع) وأنكر قطع بني إسرائيل للبحر الأحمر ، تعصبـاً ، دون إثبات أو برهان ، لأنـه في الأصل معـاد لليهود ، فعـادى حتى حقائق التـاريخ[١٠] . . . وكذّب القـرآن الذي ذكر ذلك ، وبعض اتباع الـديانـات الأخرى ، أنكـروا نبوة محمـد (ص) ، فستروا حقـاً ، ذكرتـه كتبهم وبشّرهم الأنبياء بـه ، كمـوسى (ع) وعيسى (ع) الـذي أخبر عنـه القرآن ، أنـه قال لهم ، أنـه سيأتي بعـده نبي اسمه أحمد ، فكفروا بذلك .

قـال الإمام الصـادق (ع) : «من شكّ في الله وفي رسـولـه صـلّى الله عليـه وآله ، فهو كافر »[١١] .

« عن منصور بن حازم قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : من شك في رسول الله صلى الله عليـه وآله وسلم ؟ قـال : كافـر ، قلت : فمن شك في كفر الشـاكّ فهو كـافر ؟ فـأمسك عني فـرددت عليه ثـلاث مرّات فـاستبنت في وجهـه الغضب »[١٢] .

إنكار ضروري من ضروريات الدين كفر ، فإنكار وجـوب الصلاة كفـر ، ولو فرضنا أن إنساناً صلّى ، وهو يعتقد بعدم وجوب الصلاة عد كافراً .

وكذلك إنكار الحج ووجوبه كفـر ، والله تبارك وتعـالى يقول : ﴿ **ولله عـلى النـاس حـجّ البيت من استـطاع إليـه سبيـلاً ، ومن كفـر فـإنّ الله غني عن العالمين** ﴾[١] .

وإنكـار وجوب الحجـاب أو إنكار وجـوب الصوم كفـر ، أما الإمتنـاع عن لبس الحجـاب ، وعـدم الإلـتزام بـه فـانحـراف وفسق واستحـلال الخمـر من

---

[١] سورة آل عمران : الآية ٩٧ .

الكبائر . . وشارب الخمر مع اعترافه بحرمته يُعدّ فاسقاً أما إذا كان شاربه مستحلاً له فهو كافر ، كل هذا الذي ذكرنا يعتبر كفراً ، ان أدى إلى إنكار النبوة والرسالة .

يقول الإمام الصادق (ع) : « إن الله عزّ وجل فرض فرائض موجبات على العباد ، فمن ترك فريضة من الموجبات فلم يعمل بها وجحدها كان كافراً »[١٣] .

الكافر والكافر المبتدع

إن الكافر المبتدع ، هو الذي يعلم حقيقة أمر الدين ، ويعرف وجوب ما أوجب ولا يلتزم به . كل ذلك عن فهم ، ووعي ، وإدراك . . . يقول بدعاً ، ويفعل بدعاً ، ويتولى بدعة ، ويسنّ سنناً لم يأمر بها الله ورسوله .

ـ أما الكافر غير المبتدع فهو إما متول لغيره أو ضعيف العقل أو مراء أو خائف ، لذلك يجحد الحقّ وينكره . . .

أسباب الكفر وعلاجه

يقول المولى النراقي : إن من أسباب الكفر الإغترار بالحياة الدنيا ، وذلك بأن الدنيا في متناول اليد ، وتحت مدارك الحواس ، بينما الآخرة ، بعيدة المنال ، وليس من السهل الوصول إليها .

ثم انّ الملذات المتوفرة في الدنيا ، وما أكثرها ، يقينية بالنسبة للناس ، وإن بذل الإنسان بعض الجهد لتحصيلها . أمّا لذائذ الآخرة ، فهي بالنسبة لغير المؤمنين ، مشكوك فيها ـ حسب زعمهم وهذه الإعتبارات كما هو معلوم لا يأخذ بها ، إلاّ الكافرون ، واتباع الشيطان ، لأنها أقيسة مغلوطة ، واعتبارات غير صحيحة .

ألم يقل إبليس ، كما في القرآن العظيم : ﴿ **أنا خير منه خلقتني من نار ، وخلقته من طين** ﴾[١] .

---

[١] سورة الأعراف : الآية ١٢ .

ولا خلاص من مرض الكفر ، إلاّ بالإعتقاد بواجب الوجود ، الإله الخالق ، الرب ، القادر ، وبأحقية بعثة الأنبياء ، والإيمان باليوم الآخر ، بالدليل والبرهان ، وإنّ هذه الدنيا هي دار ممر ، إلى دار مقرّ ، وانّها تغر وتضرّ وتمرّ ، كما قال الإمام علي (ع) ، وانّ الآخرة هي الحيوان ، كما قال تعالى : ﴿ **ما عندكم ينفذ وما عند الله باق** ﴾[١] .

﴿ **والآخرة خير وأبقى** ﴾[٢] .

﴿ **وما عند الله خير وأبقى** ﴾[٣] .

﴿ **وما الحياة الدنيا إلاّ متاع الغرور** ﴾[٤] .

﴿ **فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنّكم بالله الغرور** ﴾[٥] .

أقيسة الكفار

أين يكمن الغلط في أقيسة الكفار ؟ إن الغلط في أقيسة الكفار هو قولهم : إنّ الدنيا نقد ، والآخرة نسيئة والنقد خير من النيسئة ، وهذا الأمر يمكن أن يتعقّل لو كان المقدار واحداً .

أمّا إذا كانت النسيئة أضعاف النقد ، فإن الآية تنعكس ويصبح قياسهم مغلوطاً ، وما قولك بالمريض الذي يمتنع عن كل طيب ولذيذ من الطعام والشراب ، نزولاً عند أوامر الطبيب ، وذلك طلباً للشفاء ، وتخلصاً من آلام المرض . إنّ الإمتناع عن الطعام نقد ، وطلب الشفاء ، والتخلص من الآلام نسيئة .

وما قولك بالتجار الذين يركبون الأهوال ، ويكابدون المصاعب ، في

---

[١] سورة النحل : الآية ٩٦ .

[٢] سورة الأعلى : الآية ١٧ .

[٣] سورة القصص : الآية ٦٠ .

[٤] سورة آل عمران : الآية ١٨٥ ، سورة الحديد : الآية ٢٠ .

[٥] سورة فاطر : الآية ٥ .

أسفارهم البعيدة ، طلباً للربح الزائد ، أليس تحمّلهم للمصاعب ، وتجشمهم للأهوال نقداً ، والربح الوفير نسيئة غير مضمونة . . ويمكن أن نذكر أمثلة عديدة على ذلك وخوف الإطالة نكتفي بما ذكر .

قال تعالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا ، هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم * تؤمنون بالله ورسوله ، وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلك خير لكم إن كنتم تعلمون * يغفر لكم ذنوبكم ، ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ، ومساكن طيّبة في جنّات عدن ذلك الفوز العظيم ﴾**[1] .

أما القول إن الآخرة غير مضمونة لذائذها ، مشكوك في وجودها ، وإنها غير يقينية ، خطأ كبير ، وغلط فادح ، ودليلنا على ذلك ، أن معظم عقلاء الناس ، يقولون ذلك ، وان الأنبياء والرسل جاءوا بهذه العقائد الصحيحة ، من لدن خالق هذا الكون ، واعتنقوها ، وعملوا على نشرها بين الناس ، ولا يضير هذا الإجماع قول طفل ، أو أحمق ، أو معتوه ، أو مدّع للمعرفة أو الفلسفة . . .

ومثال ذلك : إجماع الأطباء ، وأهل الخبرة في مجال الطب أن الدواء الكذائي ينفع المرض الفلاني ، فعند ذلك نرى المريض يقتنع ، ويطمئن ولا يناقش أبداً ، وانّ الناس الآخرين لا يجرؤون على مخالفتهم ولا القول بعكس قولهم .

وقد جاء في القرآن المجيد على لسان أحد المغرورين الجاحدين : **﴿ وما أظن الساعة قائمة ، ولئن رددت إلى ربي لأجدنّ خيراً منها منقلباً ﴾**[2] .

إن هذا القول الكافر ، لم يلقه في روع قائله ، إلّا إبليس عدو الله الأكبر ، وعدوّ خلق الله ، ولكنهم باتباعهم إبليس سيلاقون العذاب الأليم ، وسيلقون في جهنم يصلونها ، وبئس المصير .

وكثيراً ما ينظر الكفار المترفون إلى المؤمنين الفقراء ، ويقولون : لو كان الله

---

[1] سورة الصف : الآية ١٠ ، ١١ ، ١٢ .

[2] سورة الكهف : الآية ٣٦ .

يحبّهم ، ويفضّلهم كما يزعمون لأعطاهم وما حرمهم وبما أنه أعطانا وحرمهم فنحن أفضل منهم . . .

وكما أننا مفضّلون في الدنيا ، فسنفضّل عليهم في الآخرة ، كما قال الشاعر :

كما أحسن الله فيما مضى كذلك يحسن فيما بقي

وكل هذه الأقيسة والإعتبارات باطلة وفاسدة ، لأنّ النعم الدنيوية ليست دليل الحبّ والإكرام ، وقد يتناقض المترفون بأقوالهم ، ويتضاربون بآرائهم ، وهذا ما صرح به القرآن الكريم ، فقال تعالى :

﴿ فأمّا الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعّمه فيقول ربي أكرمن ، وأمّا إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول : ربي أهانن ﴾[١] .

والعلاج : هو الإعتقاد والتيقن من أن إقبال الدنيا على الإنسان مذلة له ، وهوان في أحيان كثيرة ، وانّ إدبارها عنه كرامة له ، وعزّة في أحوال عديدة .

قال تعالى : ﴿ أيحسبون إنّما نمدّهم به من مال وبنين ، نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون ﴾[٢] .

﴿ سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ﴾[٣] .

﴿ فلما نَسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون ﴾[٤] .

﴿ إنّما نملي لهم ليزدادوا إثماً ﴾[٥] .

﴿ فلا يأمن مكر الله إلاّ القوم الخاسرون ﴾[٦] .

---

[١] سورة الفجر : الآية ١٥، ١٦ .

[٢] سورة المؤمنون : الآية ٥٥، ٥٦ .

[٣] سورة القلم : الآية ٤٤ .

[٤] سورة الأنعام : الآية ٤٤ .

[٥] سورة آل عمران : الآية ١٧٤ .

[٦] سورة الأعراف : الآية ٩٩ .

﴿ ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ﴾[1] .

صفات الكافر

ومن صفات الكافر :

١ ـ انه عتل زنيم .

٢ ـ وأنه خبّ ، ضبّ ، جاف ، خائن .

٣ ـ وأنه لئيم ، خوّان ، مغرور بجهله .

٤ ـ وأنه مغبون ، فاجر ، جاهل .

٥ ـ همّه الدنيا ، وهي جنته .

٦ ـ وسعيه للعاجلة وهي همته .

٧ ـ وغايته شهوته .

٨ ـ والموت شقاوته .

٩ ـ والنار غايته(١٥) .

دعائم الكفر

وعن علي (ع) أنه قال : « إنّ الكفر على أربع دعائم : على التعمّق والتنازع والزيغ والشقاق .

١ ـ فمن تعمّق لم ينب إلى الحقّ .

٢ ـ ومن كثر نزاعه بالجهل دام عماه عن الحقّ .

٣ ـ ومن زاغ ساءت عنده الحسنة ، وحسنت عنده السيئة وسكر سكر ضلالة .

٤ ـ ومن شاقّ ، وعرت عليه طرقه ، وأعضل عليه أمره ، وضاق عليه مخرجه(١٦) .

وعن علي (ع) أنه قال : « إنّ دعائم الكفر هي على : الفسق ، والعتو

---

[1] سورة آل عمران : الآية ٥٤ .

(تجاوز الحدّ) والإستكبار ، والشكّ ، والشبهة »[١٧] .

وعن رسول الله (ص) أنه قال : « بني الكفر على أربع دعائم : على الجفاء والعمى والغفلة والشك » .

١ ـ من جفا فقد احتقر الحق ، وجهر بالباطل ، ومقت العلماء ، وأصرّ على الحنث العظيم .

٢ ـ ومن عمي ، نسي الذكر ، واتّبع الظنّ ، وطلب المغفرة ، بلا توبة ولا استكانة .

٣ ـ ومن غفل حاد عن الرشد ، وغرّته الأماني ، وأخذته الحسرة ، والندامة ، وبدا له من الله ما لم يكن يحتسب .

٤ ـ ومن عتا في أمر الله شك ، ومن شكّ بالله تعالى : أذلّه بسلطانه ، وصغّره بجلاله كما فرّط في أمره من اغترّ بربّه الكريم »[١٨] .

أصول الكفر

عن الصادق (ع) أنه قال : « أصول الكفر ثلاثة : الحرص ، والإستكبار ، والحسد .

١ ـ فأما الحرص فإن آدم عليه السلام حين نهي عن الشجرة حمله الحرص على أن أكل منها .

٢ ـ وأما الإستكبار فإبليس حين أمر بالسجود لآدم استكبر .

٣ ـ وأمّا الحسد ، فابنا آدم حيث قتل أحدهما صاحبه[١٩] .

أركان الكفر

قال رسول الله (ص) : « أركان الكفر أربعة : ١ ـ الرغبة ٢ ـ والرهبة ٣ ـ والسخط ٤ ـ والغضب »[٢٠] .

وجـوه الكفـر

عن أبي عمـر والزبـيري عن أبي عبد الله عليـه السلام قـال : « قلت له : أخبرني عن وجوه الكفر في كتاب الله عزّ وجلّ قال : الكفر في كتاب الله على خمسة أوجه .

فمنها كفر الجحود ، والجحود على وجهين ، والكفر بترك ما أمر الله ، وكفر البراءة ، وكفر النعم »[٢١] .

١ ـ فأمّا كفر الجحود فهو الجحود بالربـوبية ، هـو قول من يقـول : لا ربّ ولا جنّة ولا نار ، وهو قول صنفين من الزنادقة ، يقال لهم الدهرية ، وهم الـذين يقولون : وما يهلكنا إلاّ الدهر ، وهو دين وضعوه لأنفسهم ، بالإستحسان ، على غير تثبّت منهم ، ولا تحقيق لشيء ممّا يقولون .

قال الله عزّ وجل : ﴿ إن هم إلاّ يظنون ﴾ إنّ ذلـك كما يقـولون : وقـال : ﴿ إنّ الـذين كفروا سـواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنـذرهم لا يؤمنون ﴾[١] . يعني بتوحيد الله ، فهذا أحد وجوه الكفر .

٢ ـ وأمّا الوجه الآخر هو الجحود عـلى معرفـة ، وهو أن يجحـد الجاحـد ، وهو يعلم أنّه حقّ ، وقد استقر وقـد قال عـزّ وجلّ : ﴿ وجحـدوا بها واستيقنتهـا أنفسهم ظلماً وعلوّاً ﴾[٢] .

﴿ وكانوا من قبل يستفتحون عـلى الذين كفـروا ، فلما جاءهم مـا عرفـوا كفروا به ، فلعنة الله على الكافرين ﴾[٣] .

وهذا تفسير وجهي الجحود .

٣ ـ والوجه الثـالث من الكفر ، هـو كفر النعم ، وذلـك قولـه تعالى يحكي قول سليمان عليه السلام :

---

[١] سورة البقرة : الآية ٦ .

[٢] سورة النحل : الآية ١٤ .

[٣] سورة البقرة : الآية ٨٩ .

﴿ وهذامن فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإنّ ربي غنيّ كريم ﴾[١] .

وقال : ﴿ لئن شكرتم لأزيدنّكم ولئن كفرتم إنّ عذابي لشديد ﴾[٢] .

﴿ فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون ﴾[٣] .

٤ ـ الوجه الرابع من الكفر ، هو ترك ما أمر الله عزّ وجلّ به ، وهو قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون ﴾[٤] .

﴿ ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرّم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ﴾[٥] .

فكفّرهم بترك ما أمر الله عزّ وجل به ، ونسبهم إلى الإيمان ، ولم يقبله منهم ولم ينفعهم عنده . فقال : ﴿ فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلاّ خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردّون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عمّا تعملون ﴾[٦] .

٥ ـ الوجه الخامس من الكفر : هو كفر البراءة ، وذلك قوله عزّ وجلّ يحكي قول إبراهيم عليه السلام : ﴿ كفرنا بكم وبَدَا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾[٧] .

يعني تبرأنا منكم .

وقال يذكر إبليس وتبرأته من أوليائه من الأنس يوم القيامة .

---

[١] سورة النحل : الآية ٤٠ .

[٢] سورة إبراهيم : الآية ٧ .

[٣] سورة البقرة : الآية ١٥٢ .

[٤] سورة البقرة : الآية ٨٤ .

[٥] سورة البقرة : الآية ٨٥ .

[٦] سورة البقرة : الآية ٨٥ .

[٧] سورة الممتحنة : الآية ٤ .

إني كفرت بما أشركتموني من قبل .

وقال : ﴿ إنّما اتخذتم من الله أوثاناً مودّة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً ﴾[١] .

يعني يتبرأ بعضكم من بعض .

وقفة مع حديث وجوه الكفر

أ ـ الجحود بالربوبية .

ب ـ والجحود على معرفة .

وهو إنكار الحق أو الحقائق الإيمانية الموضوعية ، البديهية ، أو المستنتجة لأسباب ذاتية أو معنوية ، أو مادية مصلحية ، فترى المنكرين للخالق ، يصرون على إنكارهم وهم يرون الخلق والآثار ، الدالّة عليه ، وبعضهم يُنكر الآخرة ، وهو يرى الأولى ، كما قال علي (ع) : « عجبت لمن ينكر النشأة الأخرى ، وهو يرى النشأة الأولى » .

ومن الناس من يعلم أهمية الصلاة والصوم والزكاة والحج ، وغير ذلك من الشعائر ، ولكنّه يتذرّع بذرائع شتى ، ويتعلل بعلل مختلفة ، لينكر ضرورة تأدية ، ووجوب هذه العبادات .

ويمكن أن يكون الجحود على معرفة سببه مادياً ، إذ ان الجاحدين على معرفة ، قد يندفعون بدوافع غريزية ، أو أسباب مادية لجحد الحقّ ، وقد يكون السبب الخوف من الحقّ ، ومقاييسه ، وموازينه ، التي قد يؤدي تحكيمها إلى حرمان هؤلاء من مال يطمعون في الحصول عليه ، أو جاه ، أو منصب يرغبون في التسلق إليه . . . لذلك يجحدون الحقّ ، وهم يعلمون .

فالخمس واجب ، والزكاة واجبة كذلك ، ولكن البعض لا يدفع الحقوق الشرعية طمعاً في زيادة أمواله ، وخوفاً من نقصها فيمتنع عن أداء حقّ الفقير

---

[١] سورة العنكبوت : الآية ٢٥ .

والمسكين ، وينكره ويكفر هذا الحق على معرفة .

قال تعالى : ﴿ **أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ، وأضله الله على علم** ﴾[١] .

ج ـ كفر النعم

الكفر بالنعم ، هو جحود وإنكار ما أعطاه الله ، ومنحه للإنسان من قوى وخيرات معنوية ، وروحية ، وعقلية ، ونفسية ، ومادية ، كمن ستر هذه القوى ، ومنعها من أن تؤدي دورها ، أو انحرف بها عن دورها الإلهي المرسوم ، فمن أعطاه الله قوّة عقلية وذكاء ، عليه أن يستعمل هذه القوّة لخدمة الناس ، ومساندتهم على تنسيق أوضاع حياتهم ، وفهمها ، والتعمّق بها ، وبهذا يكون قد شكر الله على نعمة العقل ، وكذلك من وهبه الله جاهاً ومكانة ، عليه أد يستخدم هذا الجاه وما يترتب عليه من كلمة نافذة عند الناس ، في سبيل مساعدة الضعفاء والمستضعفين ، الذين لا يجدون لأنفسهم معيناً على مصائبهم وبلاياهم ، ومن أعطاه الله نعمة القوة الجسدية ، فليس أمامه إلّا أن يجعل هذه النعمة العظمى ـ نعمة القوة والصحة ـ في إطار رعاية ومعاونة ومساعدة من يحتاج إلى غوث ومساعدة . وكذلك من منح نعمة الجمال في الصورة ، والتكوين ، فإنّ المطلوب منه أن لا يغتّر بجماله الجسدي ، لأنه معرّض للتشويه والشيخوخة بل يشكر الربّ الإله ، على ما أعطاه ، ويفكّر أكثر بالجمال الكوني ، وبالله الجميل (إنّ الله جميل يحبّ الجمال) ومن أنعم عليه بنعم مادية (مالية أو غير ذلك) فليكن لحق الله مؤدياً ، ولأمواله مطهراً ومزكياً ، يدفع ما يتوجب عليه من خمس وزكاة ، ويجعل في أمواله حقاً معلوماً ، للسائل والمحروم ، فيؤدي بذلك شكر الله ، ولا يكون من الذين كفروا بأنعم الله تعالى : ﴿ **وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، إنّ الإنسان لظلوم كفّار** ﴾[٢] .

والشكر على النعم شكران : شكر قولي ، وشكر عملي ، والشكر الأساسي هو الشكر العملي ، إلى جانب الشكر اللفظي ، وذلك بالعمل ، والممارسة من

---

[١] سورة الجاثية : الآية ٢٣ .

[٢] سورة إبراهيم : الآية ٣٥ .

أجل إدخال السرور على المستضعفين ، وتنفيذ الأوامر الإلهية في شتى الحالات ـ أما بالنسبة للنعم ، فهي متنوعة فهناك : نعم إقتصادية ونعم أمنية ونعم سياسية ونعم إجتماعية الخ . . . ، وكل ذلك يعود إلى النظام المطبّق على مستوى الأمة ، أو الدولة ، ففي حال فساد هذا النظام ، وفساد السلطة فإنّ هذه النعم ستنقلب إلى نقم على الناس :

فالنعم الإقتصادية التي كانت تغدق على لبنان مثلاً ما قبل الحرب ، منعها سوء التوزيع ، والترف والبطر ، والإنحرافات الخلقية ، التي استشرت ، فانقلبت هذه النعم إلى حرب مدمّرة لم تبقِ ولم تذر ، وينسحب هذا على كل البلدان التي تركت نظام الله الإقتصادي ، لتنفذ أنظمة إقتصادية وضعية ، كالرأسمالية أو الإشتراكية أو غير ذلك .

والنعم الأمنية : بكل ما تعنيه وتحويه ، من تعاون بين الناس ، ووجوه الترابط الإجتماعي ، وأعمال البر والخير ، كلها ، قد أصيبت بنكسات كبرى ، نتيجة كفران النعم الإجتماعية الإلهية ، والتنكر لأوامر الله ، في الأخوة والتعاون ، وخدمة المستضعفين .

أما النعم السياسية : فإن السبب في تحويل هذه النعم ، إلى نقم هو كفران النعم السياسية الإلهية ، بالإنحراف عن قيم العدل والمساواة ، وتطبيق النظم الظالمة ، من ديمقراطية غربية أو ديكتاتورية أو ملكية ، والسبب الرئيس في زوال الحكومات هو الظلم ، لأن الملك قد يبقى مع الكفر ، ولا يبقى مع الظلم ، كما ورد ، لذلك فالإيمان ليس شرطاً لإطالة أمد الحكم في دولة ما والظلم يقلب النعم إلى نقم كما قلنا ، وتأثيره السلبي أكبر من الإنحرافات الخلقية والإجتماعية ، فالحاكم الكافر عندما يعدل في حكمه بين أفراد رعيته ، يكون قد مارس قيمة إلهية ، هي العدل وإن كان عمله عملاً دنيوياً ، ولكن هذه الممارسة تساعد على إطالة عمر حكمه .

وبذل العلم وتأمين الحرية للناس ، كلها قيم إلهية تجعل الحكومات تستمر لفترة زمنية ، ولكن يأتي يوم لزوال هذه الحكومات وأحكامها لأنّها تفتقر إلى الأسس الإلهية الأخرى ، وأهمها الإيمان .

ومشكلتنا في لبنان هي مشكلة النظام السياسي . . . ولأنّ هذا النظام هو نظام فاسد ، ومجرم وظالم ، كما قال الإمام الخميني قدس سره ، بل هو في الحقيقة نظام الإمتيازات لفئة قليلة ، على حساب فئة كثيرة لذلك لم يدم هذا النظام طويلاً ، بأن نشبت حرب أهلية داخلية ، لم يسلم منها أحد ، حيث أنّ المشلكة اللبنانية ، باتت مشكلة مستعصية ، لا ترتق من جانب ، حتى تفتق من جانب آخر .

وللتدليل على أن العدل أساس الحكم ، نضرب ، كمثال ، هجرة المسلمين الأولى إلى الحبشة :

فقبل أن يصبح المسلمون أقوياء ، وقادرين على الوقوف ، أمام جبروت وظلم المشركين ، وبسبب ما لاقاه المسلمون ، من تعذيب وقتل وتشريد ، أمر الرسول (ص) أصحابه أن يهاجروا إلى الحبشة .

والسؤال الذي يطرح نفسه ـ لماذا إلى الحبشة وليس غيرها ؟ .

والجواب : هو ما ذكره رسول الله (ص) من أن فيها ملكاً لا يظلم عنده أحد . . . إذن صفة هذا الملك العدل ، وهي صفة وقيمة إلهية يحبّها الله ورسوله ، والعاقلون ، وبالعدل يدوم الملك ، وتزدهر البلاد ، ويعيش الناس بطمأنينة ورخاء . مع أن هذا الملك ليس بمؤمن ولا بمسلم .

ومثال آخر ، هو أن كسرى أنو شروان كان مجوسياً ، ولكنه كان عادلاً ، لذلك عاش الناس في عهده بأمن وأمان . وما ذلك إلاّ لعدله في الرعية ، والمساواة بين أفرادها ، ويفتخر رسول الله (ص) قائلاً : « ولدت في زمن الملك العادل » .

د ـ الكفر بترك ما أمر الله به

وهو الإيمان التبعيضي الذي وصفه القرآن الكريم ، فقال تعالى : ﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ، فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلاّ خزي في الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يُرَدّون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما

تعملون ﴾[١] .

إنّ الإسلام ، كمنهج للحياة كامل ، متكامل ، أمّا أن يؤخذ كله ، وإمّا أن يترك كلّه ، والإيمان بجزء منه فقط ، كفر بالجميع لذلك ينبغي فهم هذه المسألة بشكل واضح ، وإلاّ وقع الإنسان في الكفر ، والبعد عن طاعة الله تعالى ، ونال الخزي في الدنيا ، لأنّه ترك المناهج الإلهية ، إلى غيرها من المناهج الوضعية ، التي هي في الحقيقة تعبّر عن الإنكار لحاكمية الله تعالى في الحياة ، والتعدي على صفة الربوبية والتدبير الإلهي ، عدا عن أنّ هذه المناهج الأرضية ، هي مناهج انحرافية عن الفطرة ، ولا تؤمّن سعادة البشرية ، لنقص واضعيها ، لذلك يحلّ الشقاء والبلاء ، والخزي والذلّ ، بالمجتمعات التي تطبقها وكذلك الحروب ، والإنحرافات ، والإنتحار ، والسجون ، والتعذيب ، والمخدرات . . . كل ذلك خزي في الحياة الدنيا ، تعيشه المجتمعات المنحرفة عن شريعة الله . . . وأمّا يوم القيامة ، فإنّ العذاب أخزى . . . إنّه أشد العذاب ، لأنّ من وضع نفسه في موقع الربوبية في الدنيا ، فلا شكّ أنّه سيتحمل مسؤولية ذلك ، عندما ينتقم الربّ الإله منه ، لأنّه ظلم نفسه ، وظلم غيره . . .

وبعض الناس يظنّ أنّه ان أدى بعض الفرائض من صلاة وصيام ، أو حج إلى بيت الله الحرام ، يكون قد أرضى ربّه ، وقام بواجباته ، تجاه دينه . . إن هذا وهم ، لأنّه يكون قد ترك أشرف الأعمال وأعظمها ، وآمن ببعض الإسلام ، وكفر بالبعض الآخر ، فأين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ .

وأين الجهاد ، والإستشهاد ؟ وأين العدل والمساواة والحرية والعزّة الإسلامية ؟ .

وأين محاربة الباطل وأهله ، ونصرة الحقّ وأهله ؟ .

وأين الوقوف مواقف الحق والصدق ، وتبنّي القضايا العادلة في الحياة ، والدفاع عنها ؟ .

---

[١] سورة البقرة : الآية ٨٥ .

وأين نشر الإسلام وتبليغه . . وأين العمل لتطبيق مناهج الإسلام في جميع مجالات الحياة ؟ .

أليس التبعيض في الإيمان والتدين والعمل ، مما ينطبق عليه قول الباقر (ع) حيث يقول :

« يكون في آخر الزمان قوم يتبع فيهم ، قوم مراؤون . . . ـ إلى أن قال ـ : ولو أضرّت الصلاة بسائر ما يعملون بأموالهم وأبدانهم لرفضوها كما رفضوا أسمى الفرائض وأشرفها . إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة عظيمة بها تقام الفرائض ، هنالك يتم غضب الله عزّ وجل عليهم فيعمهم بعقابه فيهلك الأبرار في دار الأشرار والصغار في دار الكبار . إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء ومنهاج العلماء فريضة عظيمة بها تقام الفرائض وتأمن المذاهب ، وتحل المكاسب وترد المظالم وتعمر الأرض وينتصف من الأعداء ويستقيم الأمر »[٢٢] .

ومن الناس من يرى أنه لا يجوز ، أو يحرم العمل لإقامة أحكام الإسلام في الحياة ، وبناء دولته العادلة ، وينبغي الإنتظار في رأي هؤلاء حتى مجي الإمام الحجة المنتظر (عج) ، ولولا الحياء لقالوا : ينبغي أن نساعد على نشر الظلم والفساد ، لنسرّع في ظهور الإمام المهدي (عج) ، لأنّه لا يظهر حتى تملأ الأرض ظلماً وجوراً . . وهذا أيضاً ، إيمان ببعض الكتاب ، وكفر بالبعض الأخر . . .

ثم ، هل أن الإمام المهدي (عج) سيظهر في فراغ ، وبدون تهيئة وتمهيد ، ومن سيمهّد لظهوره ، ومن سيهيء الأرضية الصالحة لهذا الإمام العظيم (عج) ؟

إن ترك ما أمر الله أو بعضه ، ممّا علم أنّه من أحكام الله ، وأوامره يعدّ كفراً ، والأعمال ، في هذه الحال لا تنفع عاملها ، وهي غير مقبولة عند الله تعالى ، ولذلك قال الصادق (ع) إنّ الله سبحانه : « . . . كفّرهم بترك ما أمر الله عزّ وجل به ، ونسبهم إلى الإيمان ، ولم يقبله منهم ، ولم ينفعهم عنده » .

هـ ـ كفر البراءة

الإيمان والكفر ، وجهان متقابلان ، ولكنهما يتلقيان في الشكل ، وإن افترقا في المضمون ، فالمؤمن لكي يكون مؤمناً لا بدّ له أن يكفر بما آمن به الكافرون ،

والكافر لكي يكون كافراً لا بدّ أن يؤمن بما كفر به المؤمنون ، وبهذا نفهم قول الله تعالى على لسان نبيّه إبراهيم الخليل (ع) : ﴿ **كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً ، حتى تؤمنوا بالله وحده** ﴾[1] .

فالمؤمن يكفر ويتبرأ من الكفّار ، والكفّار يتبرؤون ويكفرون بأهل الإيمان ، وهذه البراءة ضرورية ، لكي يبقى الإيمان إيماناً ، والكفر كفراً .

ولقد تبينّ من خلال البحث ، أن كل بدعة كفر ، وأن ما يجعل الإنسان مبتدعاً ، يجعله كافراً ، وكذلك ، فإننا سنبين أن ما يجعل المرء مبتدعاً ، فإنه يجعله مشركاً . . .

عن الحسن بن علي العسكري عن آبائه (ع) : « أن رسول الله (ص) قال لبعض أصحابه ذات يوم : يا عبد الله أحبب في الله وابغض في الله ووالِ في الله وعادِ في الله فإنه لن تنال ولاية الله إلّا بذلك ولا يجد رجل طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصيامه حتى يكون كذلك وقد صارت مؤخاة الناس يومكم هذا أكثرها في الدنيا عليها يتوادّون وعليها يتباغضون وذلك لا يغني عنهم من الله شيئاً ، فقال الرجل : يا رسول الله فكيف لي أن أعلم اني قد واليت في الله وعاديت في الله ومن وليّ الله حتى أواليه ومن عدوّه حتى أعاديه ؟ فأشار له رسول الله (ص) إلى علي (ع) فقال : أترى هذا ؟ قال بلى ، قال : ولّي هذا ولّي الله فواله وعدوّ هذا عدوّ الله فعاده والِ هذا ولو أنه قاتل أبيك وولدك وعاد عدوّ هذا ولو أنه أبوك أو ولدك »(٢٣) .

وفي عيون الأخبار عن الرضا (ع) : في كتابه إلى المأمون قال : « وحبّ أولياء الله واجب وكذلك بغض أعداء الله والبراءة منهم ومن أئمتهم »(٢٤) .

وفي عيون الأخبار : عن إبراهيم بن محمد الثقفي قال : « سمعت الرضا (ع) يقول : من أحب عاصياً فهو عاصٍ ، ومن أحب مطيعاً فهو مطيع ، ومن أعان ظالماً فهو ظالم ، ومن خذل ظالماً فهو عادل ، إنه ليس بين الله وبين أحد قرابة ، ولا تنال ولاية الله إلّا بالطاعة»(٢٥) .

---

[١] سورة الممتحنة : الآية ٤ .

عن علي (ع) قال : « وأما الرخصة التي صاحبها فيها بالخيار فإنّ الله نهى المؤمن أن يتخذ الكافر ولياً ، ثم مَنّ عليه بإطلاق الرخصة له عند التقية في الظاهر ـ إلى أن قال ـ : قال الله تعالى : ﴿ **لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلّا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه** ﴾ » فهذه رحمة تفضّل الله بها على المؤمنين رحمة لهم ليستعملوها عند التقية في الظاهر .

وقال رسول الله (ص) : « إنّ الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه »[٢٦] .

عن أبي عبد الله (ع) في حديث قال : « ما اجتمع ثلاثة من الجاحدين إلّا حضرهم عشرة أضعاف من الشياطين فإن تكلّموا تكلّم الشياطين بنحو كلامهم ، وإذا ضحكوا ضحكوا معهم ، فإذا نالوا من أولياء الله نالوا معهم ، فمن ابتلي من المؤمنين بهم فإذا خاضوا في ذلك فليقم ولا يكن شريك شيطان ولا جليسه فإن غضب الله لا يقوم له شيء ولعنته لا يردها شيء ثم قال (ع) : فإن لم يستطع فلينكر بقلبه وليقم ولو حلب شاة أو فواق ناقة »[٢٧] .

وعن علي (ع) أنه قال : « مجالسة الأشرار تورث سوء الظنّ بالأخيار ، ومجالسة الأخيار تلحق الأشرار بالأخيار ، ومجالسة الفجّار للأبرار تلحق الفجّار بالأبرار ، فمن اشتبه عليكم أمره ولم تعرفوا دينه فانظروا إلى خلطائه ، فإن كانوا أهل دين الله فهو على دين الله ، وإن لم يكونوا على دين الله فلا حظّ لهم في دين الله ، إنّ رسول الله (ص) كان يقول : من كان يؤمن بالله واليوم والآخر فلا يؤاخينّ كافراً ولا يخالطنّ فاجراً ومن آخى كافراً أو خالط فاجراً كان فاجراً كافراً »[٢٨] .

العلاقة مع الكفّار

١ ـ عن موسى بن جعفر ، عن آبائه (ع) قال : « نهى رسول الله (ص) عن زبد المشركين ، يريد به هدايا أهل الحرب »[٢٩] .

٢ ـ قال النبي (ص) في أهل الذمة : « لا تساووهم في المجالس ، ولا

تعودوا مريضهم ولا تشيعوا جنائزهم واضطروهم إلى أضيق الطرق ، فإن سبوكم فاضربوهم وإن ضربوكم فاقتلوهم »[٣٠] .

٣ ـ قال الباقر (ع) لجابر : « لا تستعن بعدو لنا في حاجة ، ولا تستطعمه ، ولا تسأله شربة »[٣١] .

٤ ـ وقال أمير المؤمنين (ع) : « من أتى ذمياً وتواضع له ، ليصيب من دنياه شيئاً ، ذهب ثلثا دينه » .

٥ ـ عن موسى بن جعفر ، عن آبائه قال : قال رسول الله (ص) : « إنّي بريء من كل مسلم نزل مع مشرك في دار الحرب » .

ويعلّق أحد كتابنا على هذا الحديث فيقول : « رسول الله (ص) بريء من كل مسلم نزل مع مشرك في دار الحرب » . تحقيق عميق للفصل بين الإستعمار وبين المسلمين ، ما أعظم ذلك من خط فاصل ، ولا تؤخذ هدايا الإستعمار ، فإذا أهدى المستعمرون هدية للمسلمين ، فإنّما يقصدون من وراء ذلك استعماراً فكرياً ، سوف ينتهي شيئاً فشيئاً إلى الإستعمار المسلح وسحق البلاد والعباد ، والإسلام سد الطريق من أوله ، لكي لا تصل النوبة إلى تلك النهاية (وأهل الذمة) هم :

الكفّار ـ الذين يعيشون في البلاد الإسلامية ، إنّهم على صنفين : صنف يعيش ببساطة وبلا تآمر ، وصنف يعيش في البلد الإسلامي ، لكي يتآمر ضد الإسلام والمسلمين ، وهذا الصنف الثاني هو الذي يجب معاملته بالعنف. فالرحمة بالعنيف عنف بالمظلومين .

وقديماً قيل : الترحم على النمر الكاسر جناية على الضعفاء ، والمظلومين والصغار والمرضى . فهذا الصنف من الكفار المستعمرين يتعامل معهم كالتالي :

١ ـ لا تساووهم في المجالس ، بل يجلسون دون مجلس المسلمين إذلالاً لهم وقطعاً لأطماعهم .

٢ ـ ولا تعودوا مريضهم ، ولا تشيّعوا جنائزهم .

٣ ـ واضطروهم إلى أضيق الطرق ، فلا تدعوا لهم مجالاً يدخلون على الأبواب العامة .

٤ ـ فإن سبّوكم فاضربوهم .

٥ ـ وإن ضربوكم فاقتلوهم .

لتكن المبادرة بيد المسلمين ، حتى لا يتمّ الإستعمار الذي تم في عصورنا في كثير من البلاد الإسلامية .

ولو أن المسلمين كانوا قد عملوا بهذا الحديث الشريف الذهبي في سياستهم مع الإستعمار لما بلغ الحال بهم ما نرى من الإستعمار والإستثمار والإذلال .

نعم ، هناك صنف بريء من أهل الذمة وهؤلاء لا يكنّ الإسلام لهم سوى الإحترام والتقدير .

حتى نقل عن النبي (ص) أنه قال في مثل هؤلاء : « من آذى ذمياً ، فقد آذاني » .

وتمييز هذا الصنف عن ذلك ، يرجع إلى مقدرة الإنسان المسلم السياسية ، فلا يظلم هذا ولا يظلمه ذاك[٣٤] .

مخالطة الكفار

١ ـ يقول أبو عبد الله (ع) : « لا ينبغي للرجل المؤمن منكم أن يشارك الذمي ولا يبضعه بضاعة ولا يودعه وديعة ولا يصافيه المودة »[١٦] .

٢ ـ عن علي بن جعفر عن أخيه (ع) قال : « سألته عن المسلم ، له أن يأكل مع المجوسي في قطعة واحدة ، أو يقعد معه على فراش ، أو في المسجد أو يصاحبه ؟ قال : لا »[١٧] .

٣ ـ قال رسول الله (ص) : « لا تبدأوا أهل الكتاب بالسلام ، فإن سلموا عليكم فقولوا : عليكم ولا تصافحوهم ولا (تنكحوهم) ، إلّا أن تضطروا إلى ذلك »[١٨] .

وهذا التعامل السلبي إنّما هو فيما يخص الذين يتآمرون على الإسلام ، أما المسالمون فنحن مأمورون ببرّهم والإحسان إليهم ، كما سبق وذكرنا .

مصادر ومراجع البحث

(١) مستدرك الوسائل . ح ١ ص ٦ .

(٢) الكافي : ج ٢ ص ٤١٥

(٣) معاني الأخبار · ص ٢٧٥

(٤) بحار الأنوار : ج ٢ ص ٢٩٠ ، الكافي · ج ٢ ص ٢٩٠

(٥) راجع المفردات للراغب

(٦) الكافي : ج ٢ ص ٣٨٧ .

(٧) الكافي ج ٢ ص ٣٨٨ .

(٨) بحار الأنوار : ج ١١ ص ٨٧

(٩) الكافي : ج ٢ ص ٣٩٩

(١٠) راجع كتاب أفلاس الأحراب العلمانية/علي طه/ ص ٢٢٦

(١١) الكافي : ج ٢ ص ٣٨٦

(١٢) الكافي : ج ٣ ص ٣٨٧

(١٣) الكافي : ج ٢ ص ٣٨٣ .

(١٤) راجع : جامع السعادات بتصرف ج ٣ ص ٦ وما بعدها

(١٥) راجع . عرر الحكم وبحار الأنوار ج ٧٣ ص ٩٧ .

(١٦) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ١٤٢ ، وفي نهج البلاغة حكم ٣١ .

(١٧) بحار الأنوار · ج ٧٢ ص ٩٠ .

(١٨) كنز العمال خطبة ٤٤٢١٦

(١٩) بحار الأنوار : ح ٧٢ ص ١٠٤

(٢٠) بحار الأنوار · ج ٧٢ ص ١٠٥ .

(٢١) أصول الكافي : ج ٢ ص ٣٨٩ .
(٢٢) الوسائل : ج ١١ ص ٣٩٤ .
(٢٣) الوسائل : ج ١١ ص ٤٤٠ .
(٢٤) الوسائل . ج ١١ ص ٤٤٣ .
(٢٥) الوسائل . ج ٦ ص ٤٤٦
(٢٦) المصدر السابق ص ٤٨١
(٢٧) المصدر السابق ص ٥٠٥ .
(٢٨) الصدر السابق ص ٥٠٧ .
(٢٩) نوادر الراوندي ص ٣٣ .
(٣٠) بحار الأنوار : ج ٧٥ ص ٣٩٢ .
(٣١)(٣٢) المصدر السابق .
(٣٣) نوادر الراوندي ص ٢٣ .
(٣٤) راجع . الظلم في المنظار/علي عبد الرضا/ص ١٧٥







الشــرك

إن أدنى الشـرك ، أن تقول للنـواة حصاة وللحصاة نـواة وأن تـدين بذلك .

محتويات البحث

١ ـ ماهية الشرك .
٢ ـ مراتب التوحيد .
٣ ـ التوحيد والشرك في مقام الذات .
٤ ـ التوحيد في مقام الصفات .
٥ ـ تزكية النفس من غفلة الشرك .
٦ ـ الموحّدون يخافون أن يمدحوا .
٧ ـ التوحيد والشرك في الأفعال .
٨ ـ حقيقة التوحيد .
٩ ـ التوحيد والشرك في الطاعة .
١٠ ـ مسؤولية العوام .
١١ ـ حوار الصادق (ع) مع الزنديق .
١٢ ـ حكمة اختلاف الناس في الرزق .
١٣ ـ حوار الرضا (ع) مع عمران الصابئي .
١٤ ـ هل أن الله تعالى تغير بخلقه الخلق ؟
١٥ ـ الشرك ظلم وإثم وضلال وسقوط .
١٦ ـ هل يجوز للمؤمنين الإستعانة بالمشركين ؟
١٧ ـ الإقامة مع المشركين .

١٨ ـ ما هو الشرك الخفي ؟ .
١٩ ـ التعوّذ بالله ممّا نعلم من الشرك الخفي .
٢٠ ـ الرياء شرك .
٢١ ـ الشبهـــة .
٢٢ ـ الموقف من الشبهات .
٢٣ ـ الوقوف عند الشبهات .
٢٤ ـ مرتكزات الشبهة .



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إنّ الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيما ﴾[١] .

﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً ﴾[٢] .

﴿ يا بني لا تشرك بالله إنّ الشرك لظلم عظيم ﴾[٣] .

﴿ وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا إن الله مع المتقين ﴾[٤] .

﴿ ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون ﴾[٥] .

* * *

---

[١] سورة النساء : الآية ٤٨ .

[٢] سورة النساء : الآية ١١٦ .

[٣] سورة لقمان : الآية ١٣ .

[٤] سورة التوبة : الآية ٣٦ .

[٥] سورة التوبة : الآية ١٧ .

« عن برير العجلي عن أبي جعفر قال : سألته عن أدنى ما يكون العبد به مشركاً قال ، فقال (ع) : من قال للنواة إنها حصاة ، وللحصاة أنها نواة ، ثم دان به »[1] .

أدنى الشـرك

إنّ أدنى الشرك أن يبتدع الإنسان رأياً فيحبّ عليه ويبغض عليه .

« عن ابن عباس قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن أدنى ما يكون به الإنسان مشركاً قال ، فقال : من ابتدع رأياً فأحب عليه أو أبغض عليه »[1] .

* * *

ومما سبق من نصوص نخلص إلى المعادلة التالية :

البدعة = الكفر ، الشرك = البدعة ، الشرك = الكفر .

ماهيـة الشـرك

لقد عرّف العلامة النراقي الشرك بأنه رؤية مؤثر في الوجود غير الله ، صنماً كان أو كوكباً ، أو إنساناً ، وهو نوعان :

شرك عبادة ، وشرك طاعة .

وشرك العبادة ، يسمى شركاً جلياً ، وشرك الطاعة يسمى شركاً خفياً .

فإذا عبد الإنسان غير الله كانت عبادته شركاً ، أما إذا عبده لأثره ، وتأثيره ، كانت عبادته شرك طاعة(2) .

ويقول الراغب الإصفهاني ، في مفرداته : « . . شرك الإنسان في الدين نوعان :

---

[1] الكافي : ج ٢ ص ٣٩٧ .

أحـدهما : الشرك العـظيم ، وهو إثبـات شريك لله تعـالى ، يقال : أشرك فلان بالله ، وذلك أعظم كفر : ﴿ إنّ الله لا يغفر أن يشرك به ﴾[١]

﴿ ومن يشرك بالله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً ﴾[٢] .

﴿ ومن يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة ﴾[٣] .

﴿ يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ﴾[٤] .

﴿ سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ﴾[٥] .

الثاني : الشرك الصغير : وهو مراعاة عير الله معه في بعض الأمور ، وهـو الـربـاء والنفـاق المشـار إليـه بقـولـه : ﴿ شركـاء فيـما آتـاهمـا فتعـالى الله عـمّا يشركون ﴾[٦] .

﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلاّ وهم مشركون ﴾[٧] .

وقال بعضهم معنى قولـه : ﴿ إلاّ وهم مشركون ﴾ ، أي واقعـون في شرك الدنيا ، أي حبالتها . قال : ومن هذا ما قال عليه وعلى آله السلام : « الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل على الصفا » .

قـال ولفظ الشرك من الألفاظ المشـتركة ، وقـولـه ﴿ ولا يشرك بعبادة ربّـه أحداً ﴾[٨]

محمول على الشركين ، وقوله : ﴿ فاقتلوا المشركين ﴾[٩] .

فأكثر الفقهاء يحملونه على الكفّار جميعاً لقوله : ﴿ وقالت اليهود عُزيـر ابن

---

[١] سورة النساء . الآيه ٤٨

[٢] سورة النساء . الآية ١١٦ .

[٣] سورة المائدة : الآية ٧٢ .

[٤] سورة الممتحنة · الاية ٢ب .

[٥] سورة الأنعام : الآية ١٤٨

[٦] سورة الأعراف . الآية ١٩٠

[٧] سورة يوسف · الاية ١٠٦

[٨] سورة الكهف : الآيه ١١٠ .

[٩] سوره التوبة : الآنه ٥ .

الله ﴾[١] .

وقيل : هم من عدا أهل الكتاب ، لقوله : ﴿ **إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين ، والنصارى والمجوس والذين أشركوا** ﴾[٢] .

أفرد المشركين عن اليهود والنصارى .

التوحيد في سورة التوحيد

والتوحيد عكس الشرك وضدّه ، ومن أجل فهم معنى التوحيد ، فإنّ خير المتكلمين عنه ، سادة الموحّدين ، من أهل البيت (ع) وهاكم بعض الروايات عنهم صلوات الله وسلامه عليهم ، حول معنى سورة الأخلاص أو التوحيد ، والتي تسمى أيضاً نسبة الرب .

١ ـ وقد ورد عن الإمام أبي محمد العسكري (ع) : إنّ اليهود ، أعداء الله ، لما قدم النبي (ص) المدينة أتوه بعبد الله بن صوريا ، وسأله مسائل عديدة . . إلى أن قال له : أخبرني عن ربّك ما ربّك وما هو ؟

وفي خبر آخر عن أبي عبد الله الصادق (ع) ، أنّ اليهود قالوا للرسول (ص) : أنسب لنا ربّك ؟ فلبث ثلاثاً لا يجيبهم ، ثم نزلت : ﴿ **قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد** ﴾ وقال ابن صوريا صدقت[٣] .

* * *

٢ ـ عن أبي عبد الله الصادق جعفر بن محمد (ع) ، عن أبيه محمد بن علي الباقر (ع) في قول الله عزّ وجلّ : قل هو الله أحد ، قال : « قال » أي أظهر ما أوحينا إليك ونبأناك به بتأليف الحروف التي قرأناها لك ، ليهتدي بها من ألقى السمع وهو شهيد ، و« هو » إسم مشار ومكنّى إلى غائب ، فالهاء تنبيه عن معنى ثابت ، والواو إشارة إلى الغائب عن الحواس كما أن قولك : « هذا » إشارة إلى الشاهد المدرك ، فقالوا : هذه آلهتنا المحسوسة المدركة بالأبصار فأشر أنت يا محمد

---

[١] سوره التوبه . الاية ٣٠ .

[٢] سوره الحج : الايه ١٧

إلى إلهك الذي تدعو إليه حتى نراه وندركه ، ولا نأله فيه ، فأنزل الله تبارك وتعالى : قل هو الله أحد ، فالهاء تثبيت للثابت ، والواو إشارة إلى الغائب عن درك الأبصار ، ولمس الحواس ، والله تعالى عن ذلك ، بل هو مدرك الأبصار ومبدع الحواس .

٣ ـ وعن أمير المؤمنين(ع) قال: رأيت الخضر(ع) في المنام قبل بدر بليلة، فقلت له : علّمني شيئاً أنصر به على الأعداء فقال : قل : يا هو يا من لا هو إلاّ هو . فلمّا أصبحت قصصتها على رسول الله صلى الله عليه وآله : فقال لي يا علي علمت الإسم الأعظم ، وكان على لساني يوم بدر ، وان أمير المؤمنين (ع) قرأ قل هو الله أحد فلما فرغ قال : يا هو يا من لا هو إلاّ هو اغفر لي وانصرني على القوم الكافرين .

وكان علي (ع) يُردّد ذلك يوم صفين فقال له عمّار بن ياسر : يا أمير المؤمنين ما هذه الكنايات ؟ قال : إسم الله الأعظم ، وعماده التوحيد لله لا إله إلاّ هو ، ثم قرأ: شهد الله أنه لا إله إلاّ هو، وأواخر الحشر ثم نزل فصلّى أربع ركعات قبل الزوال قال : وقال أمير المؤمنين (ع) : الله معناه المعبود الذي يأله فيه الخلق ويؤله إليه ، والله هو المستور عن درك الأبصار ، المحجوب عن الأوهام والخطرات قال الباقر (ع) : الله معناه المعبود الذي أله الخلق عن درك ماهيته والإحاطة بكيفيته ويقول العرب : أله الرجل : إذا تحيّر في الشيء فلم يحط به علماً ، إذا فرغ إلى شيء ممّا يحذره ويخافه ، فالإله هو المستور عن حواس الخلق .

قال الباقر (ع) : الأحد الفرد المتفرّد ، والأحد الواحد بمعنى واحد هو المتفرد الذي لا نظير له ، والتوحيد الإقرار بالوحدة وهو الإنفراد ، والواحد المتبائن الذي لا ينبعث من شيء ولا يتحد بشيء ، ومن ثم قالوا : إنّ بناء العدد من الواحد ، وليس الواحد من العدد ، لأنّ العدد لا يقع على الواحد بل يقع على الإثنين فمعنى قوله : الله أحد أي المعبود الذي يأله الخلق عن إدراكه والإحاطة بكيفيته فرد بإلهيته ، متعالٍ عن صفات خلقه ، قال الباقر (ع) : وحدثني أبي زين العابدين عن أبيه الحسين بن علي (ع) أنه قال : الصمد : الذي لا جوف له والصمد : الذي قد انتهى سؤدده . والصمد : الذي لا يأكل ولا يشرب ، والصمد الذي لا ينام ، والصمد : الدائم الذي لم يزل ولا يزال ، قال

الباقر (ع) : كان محمد بن الحنفية رضي الله عنه يقول : الصمد القائم بنفسه ، الغني عن غيره ، وقال غيره : الصمد : المتعالي عن الكون والفساد ، والصمد الذي لا يوصف بالتغاير .

قال الباقر (ع) : « الصمد السيد المطاع الذي ليس فوقه آمر وناه . قال : وسئل علي بن الحسين زين العابدين (ع) عن الصمد فقال الصمد : الذي لا شريك له ، ولا يؤوده حفظ شيء ولا يغرب عنه شيء » .

* * *

٤ ـ قال وهب بن وهب القرشي : قال زيد بن علي (ع) « الصمد الذي إذا أراد شيئاً قال له : كن فيكون ، الصمد الذي أبدع الأشياء فخلقها أضداداً وأشكالاً وأزواجاً وتفرد بالوحدة بلا ضدّ ولا شكل ولا مثل ولا ندّ » .

* * *

٥ ـ قال وهب بن وهب القرشي : وحدثني الصادق جعفر بن محمد ، عن أبيه الباقر ، عن أبيه (ع) أنّ أهل البصرة كتبوا إلى الحسين بن علي (ع) يسألونه عن الصمد ، فكتب إليهم : « بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فلا تخوضوا في القرآن ، ولا تجادلوا فيه ولا تتكلموا فيه بغير علم ، فقد سمعت جدي رسول الله (ص) يقول : من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار ، وإنه سبحانه قد فسّر الصمد فقال : الله أحد ، الله الصمد .

ثم فسره فقال : لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، لم يلد يخرج منه شيء كثيف كالولد ، وسائر الأشياء الكثيفة التي تخرج من المخلوقين ، ولا شيء لطيف كالنفس ولا يتشعب منه البدوات ، كالسنة والنوم ، والخطرة والهم ، والحزن والبهجة ، والضحك والبكاء والخوف والرجاء ، والرغبة والسآمة ، والجوع والشبع تعالى أن يخرج منه شيء ، وأن يتولّد منه شيء كثيف أو لطيف ، ولم يولد لم يتولّد من شيء ولم يخرج من شيء كما تخرج الأشياء الكثيفة من عناصرها كالشيء من الشيء ، والدابة من الدابة ، والنبات من الأرض ، والماء من الينابيع ، والثمار من الأشجار ولا كما تخرج الأشياء اللطيفة من مراكزها ، كالبصر من العين ، والسمع من الإذن ، والشم من الأنف والذوق من الفم ، والكلام

من اللســان ، والمعرفـة والتمييز من القلب ، وكـالنار من الحجـر ، لا بل هـو الله الصمـد الذي لا من شيء ولا في شيء ولا عـلى شيء مبـدع الأشيـاء وخـالقهـا ، ومنشيء الأشياء بقدرته ، يتلاشى مـا خلق للفناء بمشيئتـه ، ويبقى ما خلق للبقـاء بعلمه فـذلكم الله الصمد الـذي لم يلد ولم يـولـد ، عـالم الغيب والشهـادة الكبـير المتعال ، ولم يكن له كفواً أحد .

* * *

٦ ـ وقال وهب بن وهب القرشي سمعت الصادق (ع) يقول : قدم وفد من فلسطين على الباقر (ع) فسألوه عن مسائل فأجابهم ثم سـألوه عن الصمـد فقال : تفسيره فيه خمسة أحرف :

فالألف دليل على أنيّته ، وهو قوله عزّ وجل : شهد الله أنّه لا إله إلاّ هـو ، وذلك تنبيه وإشارة إلى الغائب عن درك الحواس ، واللام دليل على إلهيته بأنـه هو الله والألف واللام مدغمان لا يظهران على اللسان ولا يقعان في السمع ، ويظهران في الكتابة دليلان على أنّ إلهيته لطيفة خافية ، لا يدرك بالحواس ولا يقـع في لسان واصف ولا اذن سامع لأن تفسير الإله هو الذي إله الخلق عن درك ماهيته وكيفيته بحس أو بوهم ، لا بل هو مبدع الأوهام وخالق الحواس ، وإنّما يـظهر ذلـك عند الكتـابة فهـو دليل عـلى أنّ الله سبحانـه أظهر ربـوبيته في إبـداع الخلق ، وتركيب أرواحهم اللطيفة في أجسادهم الكثيفة ، فإذا نظر عبد إلى نفسه لم ير روحه كما أن لام الصمد لا تبين ولا تدخل في حاسة من حـواس الخمس فإذا نـظر إلى الكتابـة ظهر له ما خفي ولطف فمتى تفكّر العبد في ماهية الباري وكيفيته ألـه فيه وتحـيّر ولم تحط فكرته بشيء يتصوّر له لأنّه عزّ وجلّ خالق الصـور ، فإذا نـظر إلى خلقه ثبت له أنه عزّ وجل خالقهم ومركّب أرواحهم في أجسادهم ، وأمّا الصـاد فدليـل على أنّه عزّ وجـل صادق وقـوله صـدق ودعا عبـاده إلى اتباع الصـدق بالصـدق ووعد بالصدق دار الصدق أما الميم فدليل عـلى ملكه وأنـه المـلك الحق لم يزل ولا يـزال ولا يزول ملكه ، وأمّا الدال فدليل عـلى دوام ملكه وأنـه عزّ وجـل دائم تعالى عن الكون والزوال ، بل هو الله عزّ وجل مكون الكائنـات ، الذي كـان بتكوينـه كل كـائن ثم قال (ع) : لـو وجـدت لعلمي الـذي أتـاني الله عـزّ وجـل حملة لنشرت التوحيد والإسلام والإيمان والدين والشرائع من الصمد ، وكيف لي بذلك ولم يجد

جـدي أمير المؤمنـين (ع) حملة لعلمـه حتى كـان بتنفس الصعـداء ، وبقـول عـلى المنبر : سلوني قبل أن تفقدوني فإنّ بين الجوانح مني علما جماً ألا لا أجـد من يحمله ألا وأني عليكم من الله الحجة البالغة فلا تتـولوا قـوما غضب الله عليهم قـد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفّار من أصحاب القبور .

ثم قال (ع) : الحمد لله الذي منّ علينا ووفقنا لعبادته الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . وجنبنا عبادة الأوثان ، حمدا سرمداً وشكـراً واجباً ، وقوله عزّ وجلّ : « لم يلد ولم يولد ، يقول الله عزّ وجل : لم يلد فيكون له ولد يرثه ملكه ، ولم يولد فيكون له والد يشركه في ربوبيته وملكه ولم يكن له كفـواً أحد فيعزّه في سلطانه » .

مراتب التوحيد

يقـول المولى النـراقي عن التوحيـد : « . . . أما التـوحيد في أصـل الذات بمعنى عدم التركيب ، خارجي وعقلي في ذاته تعالى وعينية وجوده وصفاته لـذاته ، ويلزمه كونه تعالى صرف الوجود وبحته ، أو توحيـد في وجوب وجـوده بمعنى نفي الشرك في وجـوب الوجـود عنه (ولا بحث لنـا هنا عن إثبـات هذين القسمـين ، لثبوتهما في الحكمة المتعالية) ، أو توحيـد في الفعل والتـأثير والإيجـاد ، بمعنى أن لا فاعل ولا مؤثر إلاّ هو ، وهو الذي نذكر هنا مراتبه وما يتعلق به ، فنقول : « هـذا التوحيد ـ عـلى ما قيـل ـ له أربـع مراتب : قشر ، وقشر القشر ، ولب ولب اللب كالجوز الذي له قشرتان وله لب و للب دهن هو لب اللب .

فالمرتبة الأولى : أن يقول الإنسـان باللسـان : لا إله إلاّ الله ، وقلبـه منكر وغافل عنه ، كتوحيد المنافقين وهذا توحيد بمجـرد اللسان ولا فـائدة فيـه إلاّ حفظ صاحبه في الدنيا من السيف والسنان .

المرتبة الثانية : أن يصدق بمعنى اللفظ قلبه ، كما هو شأن عموم المسلمين ، وهو اعتقاد العوام ، وصاحبه موحّد ، بمعنى أنه معتقد بقلبه خال عن التكذيب بما انعقد قلبه . وهو عقد على القلب لا يوجب انشراحاً وانفتاحـاً وصفاءً لـه ، ولكنّه يحفظ صاحبه عن العذاب في الآخرة إن مات عليه ولم يضعف بالمعاصي .

المرتبة الثالثة : أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نـور الحقّ ، وذلك بأن يرى أشيـاء كثيرة ولكن يـراها بكـثرتها صـادرة عن الواحـد الحقّ ، وهو مقـام المقربين وصاحبه موحّد بمعنى أنه لا يشاهد إلاّ فاعلاً ومؤثراً واحداً ، لأنّه انكشف له الحق كما هو عليه .

المرتبة الرابعة : ألاّ يرى في الوجود إلاّ واحداً ويسميه أهل المعرفة الفناء في التـوحيد ، لأنّـه من حيث لا يرى إلاّ واحـداً فلا يـرى نفسه أيضـاً ، وإذا لم يرى نفسه ، لكونه مستغرقاً بالواحد كان فانياً عن نفسه في توحيده ، بمعنى أنـه فني عن رؤية نفسه ، وهو مشاهدة الصديقين وصاحبه موحِّـد بمعنى أنه لم يحضر في شهـوده غير الواحد ، فلا يرى الكل من حيث أنه كثير بل من حيث أنه واحد . وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد .

فالمرتبـة الأولى : كالقشرة العليـا من الجوز ، وكـما أن هذه القشرة لا خـير فيها أصلاً ، بل إن أكلتها فهي مرة المذاق وإن نظرت إلى باطنها فهو كريه المنظر ، وإن اتخذتها حطباً أطفـأت النار وأكـثرت الدخـان ، وإنْ تركتهـا في البيت ضيّقت المكـان فلا تصلح إلاّ أن تـترك مدة عـلى الجوز لحفظ القشرة السفـلى ثم تـرمى ، فكـذلك التـوحيد بمجـرد اللسان عـديم الجـدوى كثـير الضرر مـذمـوم الـظاهـر والباطن ، لكن ينفع مدة في حفظ المرتبة الثانية إلى وقت الموت .

والمـرتبة الثـانية : كـالقشرة السفلى ، فكـما أن هذه القشرة ظـاهـرة النفـع بالإضافـة إلى القشرة العليا ، فـإنها تصون اللب من الفسـاد عند.الإدخـار ، وإذا فصلت أمكن أن ينتفع بها حطباً ، لكنها نازلة القدر بالإضافة إلى اللب ، فكذلك مجرد الإعتقاد من غير كشف كثير النفع بالنسبة إلى مجرد نـطق اللسان ، إذ تحصـل بـه النجاة في الآخـرة . لكنه نـاقص القدر بـالإضافـة إلى الكشف والعيان الـذي يحصل بانشراح الصدر وانفتاحه بإشراق نور الحق فيه .

والمرتبة الثالثة : كاللب ، وكما أن اللب نفيس في نفسه بالإضافة إلى القشر وكأنّه المقصود لكنه لا يخلو عن شوب عصارة بـالإضافـة إلى الدهن منـه فكذلـك تـوحيد الفعـل على طـريق الشكف مقصد عـالٍ للسالكـين ، إلاّ أنه لا يخلو عن شوب ملاحظة الغير والإلتفات إلى الكثرة بالإضافة إلى من لا يشاهد سوى الواحد الحقّ .

والمرتبة الرابعة : كالدهن المستخرج من اللب ، وكما أن اللّب هو المطلوب لـذاته والمـرغوب في نفسـه ، فكذلـك قصر النظر عـلى مشـاهـدة الحق الأوّل هـو المقصود لذاته والمحجوب في نفسه .

وإن قيل : كيف يمكن تحقيق المرتبة الرابعة من التوحيـد لتوقفهـا على عـدم مشاهدة غير الواحـد ، مع أن كـل أحد يشـاهد الأرض والسـماء وسائـر الأجسام المحسوسة وهي كثيرة ، فكيف يكون الكثير واحداً ؟ .

(قلنا) : من تيقّن أن الممكنات بأسرها اعدام صرفة في نفسها ، وإن ما به تحققها من الله سبحانه ، ثم أحاط على قلبه نور عظمته وجلاله بحيث بهره وغلب عـلى قلبه الحبّ والإنس حتى عن غـيره أغفله ، فأي استبعـاد في أن يوجب شـدة استغراقه في لجة العظمة والجلال والكمال والجمال وغلبة الحبّ والإنس عليه ، مـع عدمية الكثرة ووحدة ما به التحقق عنـده ورسوخ ذلـك ، وارتكازه في قلبـه أن لا يرى في نظر شهوده إلاّ هو ، ويغيب عنه غيره ، لقصر نظر بصيرته الباطنة على مـا هـو الحقيقـة والـواقـع . وممّـا يكسر سـورة استبعـادك : ان المشغـول بـالسلطان والمستغـرق في ملاحـظة سطوتـه ربما غفـل عن مشاهـدة غيره ، وإن العـاشق قـد يستغرق في مشاهـدة جمال معشـوقه ويبهـره حبّه بحيث لا يـرى غيره ، مـع تحقق الكثرة عنده ، وان الكـواكب موجـودة في النهار مـع أنها لا ترى لمغلوبيـة أنوارهـا واضمحـلالها في جنب نـور الشمس ، فإذا جـاز أن يغلب نور الشمس عـلى نـور الكواكب ويقهرها بحيث يضمحل ويغيب عن بصر الظاهر ، فـأي استبعاد في أن يغلب نور الوجود الحقيقي القاهر على الموجودات الضعيفـة الإمكانيـة ويقهرهـا ، بحيث يغيب عن نظر العقل والبصيرة ثم هذه المشاهدات التي لا يظهر فيها إلاّ الله الواحد الحق لا تدوم ، بل هي كالبرق الخاطف والدوام فيها عزيز نادر[٤] .

ويقول علي (ع) في ماهيته تعـالى ، في تأويـل الصمد : « لا إسم ولا جسم ولا مثل ولا شبه ، ولا صورة ، ولا تمثال ، ولا حد ولا حدود ، ولا مـوضوع ولا مكـان ، ولا كيف ولا أين ، ولا هنا ولا ثمـة ، ولا ملأ ، ولا خـلأ ، ولا قيام ، ولا قعود ، ولا سكون ، ولا حركة ، ولا ظلماني ، ولا نوراني ، ولا روحاني ، ولا نفساني ، ولا يخلو منه مـوضوع ، ولا عـلى لون ، ولا خـطر على قلب ، ولا عـلى شمّ رائحة »[٥] .

ويُبيّن الشهيد السعيد آية الله دستغيب في كتابه الرائع (الذنوب الكبيرة) ، مراتب وأقسام التوحيد نوردها ملخصة مع بعض التصرف :

التوحيد والشرك في مقام الذات

قال تعالى : ﴿ وما من إله إلّا إله واحد ﴾[1] .

فالقائلون بالأقانيم الثلاثة (الأب والإبن وروح القدس إله واحد) مشركون لقوله سبحانه : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إنّ الله ثالث ثلاثة ﴾ ، وأشرك أيضاً وكفر عبدةالأصنام . . . الذين يقرّون بأن لكل نوع من المخلوقات ربّاً .

التوحيد في مقام الصفات

وهو الإعتقاد بأن الصفات الذاتية الإلهية هي عين الذات الأحدية ، وفي غيرها فهي من مواهبه وإفاضته والشرك في مقام الصفات قسمان :

ويكون من حيث الإعتقاد

١ ـ بأن صفاته سبحانه زائدة على ذاته .

٢ ـ وبذلك فإنّ تعدد الصفات يلزم تعدد القدماء . (وهذا يعني تعدد الآلهة) .

١ ـ إنّ صفات الخلق الحسنة كلها من الله

فإذا اعتقد الإنسان بأن هذه الصفات إنّما هي من الله تعالى . . . ولا أحد بحسب الذات لديه شيء من نفسه فهذا عين التوحيد .

تزكية النفس من غفلة الشرك

البعض يتفوّه ببعض الكلمات التي توحى بالشرك في حالة مدح النفس

---

[1] سورة المائدة : الآية ٧٣ .

والقيام ببعض الأعمال . حيث يقول علمي ، قدرتي . . . إرادتي ، أما لو قال علمي الذي أعطانيه الله ، وقدرتي التي أعطانيها الله ، وكان صادقاً في قوله لكان في ذلك موحداً .

الموحدّون يخافون أن يمدحوا

إنّ الموحدين يعلمون يقيناً إن كل ما لديهم هو منه تعالى ، ولذا يحذرون أن يمدحوا أو أن يشكروا وفي هؤلاء قال أمير المؤمنين (ع) : « إذا زكي أحد منهم ، خاف ممّا يقال له فيقول : أنا أعلم بنفسي من غيري وربّي أعلم مني بنفسي ، اللّهم لا تؤاخذوني بما يقولون ، واجعلني أفضل مما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون » وجاء رجل إلى رسول الله (ص) وطرق بابه ، فسأله الرسول (ص) من داخل الدار : من أنت ؟ فقال : أنا .

فغضب (ص) من قوله أنا فخرج (ص) وهو يقول : « من القائل أنا ، وهي لا تطلق إلّا على الله الذي يقول : أنا الجبار ، وأنا القهّار »[٦] .

قارون يتحول إلى مشرك

وقارون أصبح مشركاً ، حيث قال : « إنّما أوتيته على علم عندي » وقال سبحانه : ﴿ **أو لم يعلم إنّ الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشدّ منه قوّة وأكثر جمعاً** ﴾[١] .

ومن قوله تعالى نستوحي ، إنه لو كان البشر يملكون شيئاً ، فلما لا يدفعون عن أنفسهم الهلاك .

التوحيد والشرك في الأفعال

حقيقة التوحيد في الأفعال هي أن يعتقد الموحّد بأن الله هو المالك والمدبّر والمتصرف في صحيح شؤون الكون والحياة ، فهو خالق السموات والأرض وفالق الحب والنوى .

---

[١] سورة القصص : الآية ٧٨ .

وهو خالق الإنسان في ظلمات البطن ، والرحم والمشيمة ، وقد أعطاه اللبن النظيف السائغ من بين فرث ودم ، وهو الذي يحي ويميت .

والإنسان لا يستطيع أن يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً **﴿ قل كلّ من عند الله ﴾** .

فحقيقة التوحيد : أن تعتقد وتعلم علم اليقين بأن لا حول ولا قوة إلّا بالله ، حيث أن شؤون الربوبية غير متناهيه . . .

ويرجع ذلك إلى قوله سبحانه؛ : **﴿ قال لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفذ البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً ﴾**[١] .

وللوصول إلى هذه المرتبة من التوحيد لا بدّ من ملازمة عدّة أمور نشير إلى بعضها .

١ ـ الخوف من الله

حيث ورد في الحديث « حد اليقين أن لا تخاف مع الله شيئاً » وفي دعاء سجدة الرسول (ص) : « إلهي إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي » .

٢ ـ الرجاء

وقال أمير المؤمنين (ع) : « لا يرجون أحد منكم إلّا ربه »(٧) .

وقال سبحانه : **﴿ وأن يمسسك الله بضرّ فلا كاشف له إلّا هو وإن يردك بخير فلا رادّ لفضله ﴾**[٢] .

٣ ـ شكر النعم

وهو أن يعتقد الموحّد ويعرف انّ الله وحده جدير بالمدح والثناء وعلى أساس ذلك يقول : الحمد لله .

---

[١] سورة الكهف الايه ١٠٩ .

[٢] سورة يونس . الاية ١٠٧ .

٤ ـ شكر الخلق

وهذا مما أمر به رب العالمين : « من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق »[٨] .

ولكن الإعتقاد باستقلالية موجود في إيصال الخير هو ابتلاء بالشرك :

٥ ـ التوحيد والتوكل

عن النبي (ص) أنه قال لجبرائيل « وما التوكل على الله » .

فقال : العلم بأن المخلوق لا يضرّ ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع ، واستعمال اليأس من الخلق فإذا لم يعمل العبد لأحد سوى الله ولم يرج ، ولم يخف سوى الله ولم يطمع في أحد سوى الله فهذا هو التوكّل »[٩] .

٦ ـ التوحيد والتسليم

وهو أن يكون الموحد مسلماً أمره لله في أي من الأمور التكوينية ، كالعزة والذلة والصحة والمرض والغنى والفقر والأمور التكليفية مثل الواجبات والمحرمات .

فإذا اعترض وأبدى رأيه كأن يقول لماذا يموت فلان ويبقى فلان ، ولماذا لم ينزل المطر . فيكون بذلك قد أشرك نفسه في شؤون الربوبية . . . إذا كان ذلك من باب الإعتراض على الله .

٧ ـ التوحيد والمحبة

الموحّد يجب أن تكون علاقته القلبية بالله وحده وحبّه لله فقط ، ولا يحب أي مخلوق حباً مستقلاً عن الأمر والتشريع الإلهي ، وحبه لغير الله يجب أن يكون من جهة أن هذا المخلوق محبوب لله « حبّ محبوب الله حب الله » . وينبغي أن يكون حبّه مورداً أمر به الله ، مثل الملائكة والأنبياء والأئمة والمؤمنين والدار الآخرة والجنة ، أو من جهة أن هذا المخلوق هو نعمة وعطاء من الربّ وبواسطة شكره يستطيع أن يرضى الربّ . ولكن إذا أحبّ غير الله أشد وأكثر من حب الله

مثل من يحبّ ماله أكثر من حبّ الله فذلك شرك يستحق العقوبة . وهنالك شواهد منها :

١ ـ سئل أبو عبد الله (ع) عن قوله تعالى : ﴿ إلاّ من أتى الله بقلب سليم ﴾ فقال (ع : القلب السليم الذي يلقى ربه وليس فيه أحد سواه .

٢ ـ وفي رواية (رمزية) أن سليمان رأى عصفوراً يعاتب عصفورة (زوجته) التي لا تهتم به فيقول لها :

« ولو شئت أخذت قبة سليمان بمنقاري فألقيتها في البحر » فتبسّم سليمان من كلامه ، ثم دعاهما وقال للعصفور : أتطيق أن تفعل ذلك فقال : لا يا رسول الله ، ولكن المرء قد يزيّن نفسه ويعظّمها عند زوجته ، والمحبّ لا يلام على ما يقول : فقال سليمان للعصفورة لمَ تجافيه ، فقالت يا نبي الله أنه ليس محباً ولكنه مدّع لأنّه يحب معي غيري .

فأثّر كلام العصفورة في قلب سليمان (ع) وبكى بكاء شديداً واحتجب عن الناس أربعين يوماً يدعو الله أن يفرغ قلبه لمحبته وأن لا يخالطها بمحبة غيره .

التوحيد والشرك في الطاعة

بحكم العقل والإيمان لا ينبغي للموحّد أن يتخذ غير الله في مقام الطاعة والإمتثال فالولاية له ولمن أعطاها من ولاة الأمر واجبة بالضرورة .

١ ـ ولاة الأمر الإلهيون

قال سبحانه : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾[١] .

وقال : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾[٢] .

وقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر

---

[١] سوره النساء . الايه ٨٠ .

[٢] سوره الحشر . الآية ٧ .

منكم ﴾[1] .

يستفاد من هذه الآيات :

أن ينحصر أصحاب الولاية بسلسلة الأنبياء وأئمة الهدى ونـوابهم ولا ولاية للحكّـام السياسيـين الذين لم يـأذن الفقيه العـادل لهم أو يعيّنهم للقيام بهـذه المهام وادعاء ذلك ادعاء بدون دليل ، بالإضـافة إلى مـا يترتب عليـه من مفاسـد ودليلنا على ذلك ما قاله الرسول (ص) :

٣ ـ عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنـه فال : سـألت رسول الله (ص) : عـرفت الله ورسـولــه فمن أولـو الأمـر الـذين قـرن الله طـاعتهم بـطاعتـك ؟ فقال (ص) : هم خلفائي يـا جابـر وأئمة المسلمـين من بعدي أولهم عـلي بن أبي طـالب ثم الحسن ثم الحسين ثم عـلي بن الحسـين ثم محمـد بن عـلي المعـروف في التوراة بالباقر ، ستدركه يا جابر فإذا لقيته فاقرأه مني السلام ثم الصادق جعفر بن محمد ثم موسى بن جعفر ثم علي بن مـوسى ثم محمد بن عـلي ثم علي بن محمـد ثم الحسن بن علي ثم سميّي وكنيّي حجة الله في أرضه وبقيته في عباده ابن الحسن بن علي ذاك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبته التي لا يثبت فيها على القول بإمـامته إلّا من امتحن الله قلبه للإيمان قال جابر : فقلت يا رسول الله فهل يسعنا الإنتفاع به في غيبته .

قـال (ص) : أي والـذي بعثني بـالنبـوة إنهم يستضيئـون بنـوره وينتفعـون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بـالشمس وإن تجلّاهـا سحاب ، يـا جابـر هذا من مكنون سرّ الله ومخزون علمه فاكتمه إلّا عن أهله .

فمن هنا يعلم إن إطاعة أهل البيت (ع) إطاعة الله[١٠] .

٢ ـ إطاعة المجتهد العادل

ـ عن الإمـام الصادق (ع) : « أنـظروا إلى من كان منكم قـد روى حديثنـا ونظر في حلالنا وحرامنـا وعرف أحكـامنا ارضـوا به حكـماً فإني قـد جعلته عليكم

[١] سورة النساء . الآية ٥٩ .

حاكماً فإذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه فإنما بحكم الله استخف وعلينا ردّ والرّاد علينا كالرّاد على الله وهو على حدّ الشرك »[١١] .

وما ورد من جملة شرائط الفقيه ما ورد عن الإمام الحسن العسكري (ع) :

« من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً لهواه مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلّدوه »[١٢] .

٣ ـ إطاعة الوالدين إطاعة لله

لقد أمر سبحانه بإطاعة الوالدين وحرّم أذيتهما وأمر بالإحسان إليهما .

قال سبحانه : ﴿ **وقضى ربّك ألّا تعبدوا إلّا إيّاه وبالوالدين إحساناً أما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفّ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً واخفض لهما جناح الذلّ من الرحمة** ﴾[١] .

٤ ـ أمر الوالدين بالحرام ونهيهم عن الواجب لا أثر له .

إن إطاعة الوالدين مشروطة بأن لا تكون أمراً بالحرام ونهياً عن الواجب .

قال سبحانه : ﴿ **وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما** ﴾[٢] .

وفي مورد عدم الإطالة التي تكون مخالفتها موجبة لأذاهما أو انزعاجهما فذلك حرام بنصّ القرآن الكريم .

٥ ـ إطاعة المرأة لزوجها إطاعة لله

قال سبحانه : ﴿ **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ**

---

[١] سورة الإسراء : الآية ٢٣ و٢٤ .

[٢] سورة لقمان : الآية ١٥ .

الله . . . ﴾[1] .

وفي الحديث عن رسول الله (ص) : أنه قال : « لو أمرت أحـداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها »(١٣) .

٦ ـ لا يجوز مراجعة الحاكم الجائر

قـال سبحـانـه وتعـالى : ﴿ فـإن تنـازعـتم في شيء فـردّوه إلى الله والرسول ﴾[2] .

وفي الحديث عن الصادق (ع) : « من تحـاكم إليهم في حقّ أو باطـل تحاكم إلى الطاغوت وما يحكم له فإنّما يأخذ سحتاً وإن كان حقاً ثابتاً له لأنّـه أخذه بحكم الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به »(١٤) .

٧ ـ إطاعة العالم المحب للدنيا

لقد ورد نهي عن الرجوع في الأمور الدينية والدنيوية إلى العالم المبتـلى بحبّ الدنيا .

ـ عن الإمـام الصادق (ع) : « إذا رأيتم العـالم محباً لـدنيـاه فـاتهموه عـلى دينكم فإن محب كل شيء يحوط ما أحب » .

ـ وأوحى الله إلى داود (ع) : « لا تجعـل بيني وبينك عـالماً مفتـوناً بـالـدنيـا فيصدّك عن طريق محبّتي فإنّ أولئك قطّاع طريق عبادي المريـدين . إنّ أدنى ما أنـا أصنع بهم أن انزع حلاوة مناجاتي من قلوبهم »(١٥) .

٨ ـ العالم يجب أن يكون فقيهاً لله

ـ عن الباقر (ع) : « من طلب العلم ليباهي به العلماء أو يماري به السفهاء

---

[١] سورة النساء : الآية ٣٤ .

[٢] سورة النساء : الآية ٥٩ .

أو يصرف بـه وجوه النـاس إليه فليتبـوأ مقعده من النـار أن الرئـاسة لا تصلح إلاّ لأهلها » .

مسؤولية عامة الناس

ـ إنّ الـذين يحتكمون في أمـورهم الدينيـة والـدنيـويـة لهـوى أنفسهم فهم المصداق المميز لقوله تعالى : ﴿ **أفرأيت من اتخذ إلهه هواه** ﴾[١] .



[١] سورة الجاثية : الآية ٢٣ .

حوار الامام الصادق (ع) مع الزنديق

الزنديق : فكيف هو الله الواحد ؟

الإمام عليه السلام : واحد في ذاته ، فلا واحد كواحد ، لأن ما سواه من الواحد متجزىء وهو تبارك وتعالى واحد لا متجزىء ولا يقع عليه العدّ ، لم يتوحد عن عدد ولن يتعدد عن وحدة ويستحيل في ذاته العدد .

الزنديق : فلأي علة خلق الخلق وهو غير محتاج إليهم ـ ولا مضطر إلى خلقهم ـ ولا يليق به العبث بنا ؟

الإمام عليه السلام : خلقهم لإظهار حكمته وإنفاذ علمه وإمضاء تدبيره (وكما في الحديث القدسي : كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف) .

ما هي حكمة خلق الشيطان ؟

الزنديق : أفمن حكمته أن جعل لنفسه عدواً وقد كان ولا عدوّ له ؟ فخلق ، كما زعمت ـ إبليس ـ فسلّطه على عبيده يدعوهم إلى خلاف طاعته ويأمرهم بمعصيته ، وجعل له من القوة ـ كما زعمت ـ ما يصل بلطف الحيلة إلى قلوبهم فيوسوس إليهم

فيشككهم في ربّهم ويلبّس عليهم دينهم فيزيلهم عن معرفته ، حتى أنكر قوم ، لمّا وسوس إليهم ، ربوبيته ، وعبدوا سواه ، فلمَ سلط عدوّه على عبيده وجعل له السبيل إلى إغوائهم ؟ .

الإمام عليه السلام : إنّ هذا العدوّ الذي ذكرت لا يضره عداوته ولا ينفعه ولايته، عداوته لا تنقص من ملكه شيئاً ، وولايته لا تزيد فيه شيئاً ، وإنّما يُتقى العدوّ إذا كان في قوة يضرّ وينفع ، إنْ هم بملك أخذه ، أو بسلطان قهره ، فأما إبليس فعبد خلقه ليعبده ويوّحده وقد علم حين خلقه ما هو ؟ وإلى ما يصير إليه ؟ فلم يزل يعبده مع ملائكته حتى امتحنه بسجود آدم فامتنع من ذلك ، حسداً وشقاوة غلبت عليه ، فلعنه الله عند ذلك وأخرجه عن صفوف الملائكة ، وأنزله إلى الأرض ملعوناً مدحوراً ، فصار عدوّ آدم وولده بذلك السبب ، وما له من السلطة على ولده إلاّ الوسوسة والدعاء إلى غير السبيل ، وقد أقرّ مع معصيته لربّه بربوبيته .

الزنديق : أخبرني عن الله عزّ وجل كيف لم يخلق الخلق كلهم مطيعين موحّدين وكان على ذلك قادراً ؟ .

الإمام (ع) : لو خلقهم مطيعين لم يكن لهم ثواب ، لأنّ الطاعة إذا ما كانت فِعلهم ، ولم تكن جنة ولا نار ، ولكن خلق خلقه فأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته ـ واحتج عليهم برسله ـ وقطع عذرهم بكتبه ، ليكونوا هم الذين يطيعون ويعصون ـ ويستوجبون بطاعتهم له الثواب ، وبمعصيتهم إيّاه العقاب .

الزنديق : فالعمل الصالح من العبد هو فعله ؟ والعمل الشرّ من العبد هو فعله ؟ .

الإمام (ع) : العمل الصالح ، العبد ، يفعله والله به أمره ، والعمل الشر العبد يفعله والله عنه ينهاه .

الزنديق : أليس فعلهم بالآلة التي ركّبها فيه ؟

الإمـام (ع) : نعم ، ولكن بالآلـة التي عمل بهـا الخير قـدر بها عـلى الشرّ الذي نهاه عنه .

الزنديق : فإلى العبد من الأمر شيء ؟ .

الإمام (ع) : ما نهاه الله عن شيء إلّا وقـد علم أنه يـطيق تركـه ، ولا أمره بشيء إلّا وقـد علم أنه يستـطيع فعله ، لأنّـه ليس من صفته الجور والعبث والظلم وتكليف العباد ما لا يطيقون .

الزنديق : فمن خلقه الله كافراً ، يستطيع الإيمان ؟ وله عليه بتركه الإيمـان حجة ؟ .

الإمام (ع) : أن الله خلق خلقه جميعاً مسملين، بفـطرة التوحيـد والتسليم التي فـطرهم عليهـا ، أمـرهم ونهاهم ، والكفـر إسم يلحق الفعـل حـين يفعله العبـد ، ولم يخلق الله العبـد حـين خلقـه كافراً ، إنّه إنّما كفر من بعد أن بلغ وقتاً لزمتـه الحجة من الله تعـالى ، فعرض عليـه الحق فجحـده ، فبـإنكـار الحق صـار كافراً .

الزنديق : فيجوز أن يقدّر عـلى العبد الشر ويـأمره بـالخير وهـو لا يستطيـع الخير أن يعمله ويعذبه عليه ؟

الإمام (ع) : إنّه لا يليق بعدل الله ورأفته أن يقدّر على العبـد الشرّ ويريـده منه ، ثم يأمره بما يعلم أنه لا يستطيـع أخذه ، والإنـتزاع عما لا يقدر على تركه أمره الذي علم أنه لا يستطيع تركه .

حكمة اختلاف الناس في الرزق

الـزنديق : فبـماذا استحق الذين أغنـاهم وأوسع عليهم من رزقـه : الغنى

والسعة ؟ وبماذا استحق الفقراء التقتير والضيق ؟ .

الإمام (ع) : اختبر الأغنياء بما أعطاهم ، لينظر كيف شكرهم ؟ والفقراء إنما منعهم لينظر كيف صبرهم ؟ .

ووجه آخر : أنه عجل لقوم في حياتهم ولقوم آخر ليوم حاجتهم إليه .

ووجه آخر : أنه علم احتمال كل قوم فأعطاهم على قدر احتمالهم .

ولو كان الخلق كلهم أغنياء لخربت الدنيا وفسد التدبير وصار أهلها إلى الفناء ولكن جعل بعضهم لبعض عَوناً ، وجعل أسباب أرزاقهم في ضروب الأعمال وأنواع الصناعات ، وذلك أدوم في البقاء وأصحّ في التدبير ، ثم اختبر الأغنياء باستعطاف الفقراء ، كل ذلك لطف ورحمة من الحكيم الذي لا يعاب تدبيره .

الزنديق : أخبرني عن الله عزّ وجل أله شريك في ملكه أو مضاد له في تدبيره .

الإمام : لا .

الزنديق : فما هذا الفساد الموجود في هذا العالم ؟ من سباع ضارية ، وهوّام مخوفة ، وخلق كثير مشوه ، ودودٍ وبعوض وحيّات وعقارب ، وزعمت أنه لا يخلق شيئاً إلّا لعلّة ، لأنّه لا يعبث ؟ .

الإمام (ع) : ألست تزعم : أن العقارب تنفع من وجع المثانة والحصاة ولمن يبول في الفراش ، وأنّ أفضل الترياق ما عولج من لحوم الأفاعي ، وإنّ لحومها إذا أكلها المجذوم لثبت نفعه ، وتزعم أن الدود الأحمر الذي يصاب تحت الأرض نافع للآكلة ؟ .

الـزنديق : نعم

الإمام (ع) : فأما البعوض والبق ، فبعض سببـه أنه جعـل أرزاق الطير ، وأهان بها جباراً تمرّد على الله وتجبّر وأنكر ربوبيته ، فسلّط الله عليـه أضعف خلقه لـيريه قـدرته وعـظمته ـ وهـو البعوض ـ فدخلت في منخره حتى وصلت إلى دماغه فقتلته .
وأعلم أنا لو وقفنـا على كـل شيء خلقه الله لِمَ خلقـه ، ولأي شيء أنشـأه ، لكنّا قـد ساوينـاه في علمـه ، وعلمنـا كـل مـا يعلم ، واستغنينا عنه وكنّا وهو في العلم سواء . . .

الزنديق : فأخبرني هل يعاب شيء من خلق الله وتدبيره ؟ .

الإمام (ع) : لا .

الزنديق : فإنّ الله خلق خلقه غَرَلاً (أي غير مختـون) ذلك منـه حكمة أم عبث ؟ .

الإمام (ع) : بل حكمة منه .

الزنديق : غيرتم خلق الله وجعلتم فعلكم في قطع القلفـة أصوب ممّـا خلق الله لهـا ـ وعبتم الأقلف ـ والله خلقـه . ومـدحتم الختـان وهـو فعلكم . . أم تقولون أن ذلك من الله كان خطأ غير حكمه ؟ .

الإمام (ع) : ذلك من الله حكمة وصواب ، غير أنه سنّ ذلك وأوجبه عـلى خلقـه ، كما أن المـولود إذا خـرج من بطن أمـه وجدنـا سرته متصلة بسرة أمـه ـ كـذلـك خلقهـا الحكيم ـ فـأمـر ـ العبـاد بقطعها ، وفي تركها فساد بيّن للمـولود والأم وكـذلك أظفـار الإنسـان ، أمر إذا طـالت أنت تقلم ، وكان قـادراً يـوم دبّـر خلقة الإنسان أن يخلقها خلقة لا تطول ، وكذلـك الشعر من الشارب والرأس يطول فيجزّ ، وكذلك الثيران خلقها فحـولة وإخصاؤها أوفق ، وليس في ذلك عيب في تقدير الله تعالى .

الزنديق : خلق الخلق للرحمة أم للعذاب ؟ ..

الإمام (ع) : خلقهم للرحمة ، ولا يزالون مختلفين إلاّ من رحم ربك ولتلك (الرحمة) خلقهم وكان في علمه قبل خلقه إياهم : أن قوماً منهم يصيرون إلى عذابه بأعمالهم الرديئة وجحدهم به .

الزنديق : يعذب من أنكر فاستوجب عذابه بإنكاره ، فبِمَ يعذّب من وحدّه وعرفه ؟ .

الإمام (ع) : يعذّب المنكر لإلهيته عذاب الأبد ، ويعذّب المقرّ به عذاباً عقوبة لمعصيته إياه فيما فرض عليه ـ ثم يخرج (من النار) ولا يظلم ربّك أحداً[١٩] .



حوار الإمام الرضا (ع) مع عمران الصابئي

الإمام (ع) : يا قوم إن كان فيكم أحد يخالف الإسلام وأراد أن يسأل فليسأل غير محتشم .

عمران الصابئي : قام إليه ، وكان واحداً من المتكلمين فقال : يا عالم الناس ، لولا أنك دعوت إلى مسألتك لم أقدم عليك بالمسائل ، فلقد دخلت الكوفة والبصرة والشام والجزيرة ولقيت المتكلمين ، فلم أقع على أحد يثبت لي واحد ليس غيره ، قائماً بوحدانيته ، أفتأذن لي أن أسألك ؟ .

الإمام (ع) : إن كان في الجماعة عمران الصابئي فأنت هو . . .

عمران : أنا هو .

الإمام (ع) : سل يا عمران وعليك بالنصفة وإياك والخطل والجور .

عمران : والله يا سيدي ما أريد إلّا أن تثبت لي شيئاً أتعلّق به فلا أجوزه .

الإمام (ع) : سل عمّا بدا لك . . فازدحم الناس وانضمّ بعضهم إلى بعض .

عمران : أخبرني عن الكائن الأول وعمّا خلق ؟ .

الإمام (ع) : سألت فإفهم ، أمّا الواحد فلم يزل واحداً كائناً لا شيء معه ، بلا حدود ولا أعراض ، ولا يزال كذلك ثم خلق خلقاً مبتدعاً مختلفاً بأعراض وحدود مختلفة ، لا في شيء أقامه ولا في شيء حدّه ولا على شيء حذّاه ومثّله له ، فجعل الخلق من بعد ذلك صفوة وغير صفوة ـ واختلافاً وإيتلافاً ـ وألواناً وذوقاً وطمعاً ، لا لحاجة كانت منه إلى ذلك ، ولا لفضل منزلة لا يبلغها إلاّ به ، ولا رأي لنفسه فيما خلق زيادة ولا نقصاناً ، تعقل هذا يا عمران ؟ .

عمران : نعم والله يا سيدي .

الإمام (ع) : واعلم يا عمران . أنه لو كان خلق ما خلق لحاجة ، لم يخلق إلاّ من يستعين به على حاجته ، ولكان ينبغي أن يخلق أضعاف ما خلق ، لأنّ الأعوَان كلّما كثروا كان صاحبهم أقوى ، والحاجة يا عمران لا يسعها ، ولذلك أقول : لم يخلق الخلق لحاجة ، ولكن نقل بالخلق الحوائج ـ بعضهم إلى بعض ـ وفضّل بعضهم على بعض بلا حاجة منه إلى من فضّل ، ولا نقمة منه على من أذل ، فلهذا خلق .

عمران : يا سيدي : هل كان الكائن معلوماً في نفسه عند نفسه ؟ .

الإمام (ع) : إنّما يكون المعلمة بالشيء لنفي خلافه ، وليكون الشيء نفسه بما نفي عنه موجوداً ، ولم يكن هناك شيء يخالفه ، فتدعوه الحاجة إلى نفي ذلك الشيء عن نفسه بتحديد ما علم منها ، أفهمت يا عمران ؟ .

عمران : نعم والله يا سيدي ، فأخبرني بأي شيء علم ما علم ؟ أبضمير أم بغير ذلك ؟ .

الإمام (ع) : أرأيت إذا علم بضمير هل تجد بدّاً من أن تجعل لذلك حداً تنتهي إليه المعرفة .

عمران : لا بدّ من ذلك .

الإمام (ع) : فما ذلك الضمير ؟

عمران : انقطع ولم يحِر جواباً .

الإمام (ع) : لا بأس أن سألتك عن الضمير نفسه ـ تعرفه بضمير آخر ، فقلت : نعم ـ أفسدت عليك قولك ودعواك ـ يا عمران . أليس ينبغي أن تعلم : أن الواحد ليس يوصف بضمير ؟ وليس يقال له أكثر من فعل وعمل وصنع وليس يتوهّم منه مذاهب وتجربة كمذاهب المخلوقين وتجربتهم ؟ فاعقل ذلك وابن عليه ما علمت صواباً .

هل أن الله تعالى تغير بخلقه الخلق ؟

عمران : يا سيدي ألا تخبرني عن الخالق إذا كان واحداً لا شيء غيره ولا شيء معه أليس قد تغيّر بخلقه الخلق ؟

الإمام (ع) : لم يتغير عزّ وجل بخلق الخلق ولكن الخلق يتغيّر بتغييره .

عمران : فبأي شيء عرفناه ؟

الإمام (ع) : بغيره .

عمران : فأي شيء غيره ؟ .

الإمام (ع) : مشيته واسمه وصفته ، وما أشبه ذلك ، وكلّ ذلك محدث مخلوق مدبّر .

عمران : يا سيدي . فأي شيء هو ؟

الإمام (ع) : هو نور ـ بمعنى ، أنه هاد لخلقه من أهل السماء وأهل الأرض ، وليس لك عليّ أكثر من توحيدي إياه .

عمران : يا سيدي ، أليس قد كان ساكتاً قبل الخلق لا ينطق ثم نطق .

الإمام (ع) : لا يكون السكوت إلّا عن نطق قبله ، والمثل في ذلك أنه لا يقال للسراج هو ساكت لا ينطق ، ولا يقال : أنّ السراج،

ليضيء فيما يريد أن يفعل بنا ، لأنّ الضوء من السراج ليس بفعل منه ولا كون وإنّما هو شيء غيره - فلما استضاء لنا - قلنا : قد أضاء لنا حتى استضأنا به - فبهذا تستبصر أمرك .

عمران : يا سيدي فإنّ الذي كان عندي إن الكائن قد تغيّر في فعله عن حاله بخلقه الخلق .

الإمام (ع) : أحلت يا عمران في قولك : إنّ الكائن يتغيّر في وجه من الوجوه ، حتى يصيب الذات منه ما يغيّره ، يا عمران ، هل تجد النار يغيرها تغير نفسها ؟ أو هل تجد الحرارة تحرق نفسها ؟ أو هل رأيت بصيراً قط رأى بصره ؟ .

عمران : لم أر هذا - ألا تخبرني يا سيدي : أهو في الخلق أم الخلق فيه ؟ .

الإمام (ع) : جلّ يا عمران عن ذلك ، ليس هو في الخلق ولا الخلق فيه ، تعالى عن ذلك ، وسأعلمك ما تعرفه به ولا قوة إلّا بالله .
أخبرني عن المرآة ، أنت فيها أم هي فيك ؟ فإن كان ليس واحد منكما في صاحبه فبأي شيء استدللت بها على نفسك ؟

عمران : بضوء بيني وبينها .

الإمام (ع) : هل ترى من ذلك الضوء في المرآة أكثر ممّا تراه في عينك ؟ .

عمران : نعم .

الإمام (ع) : فأرِناه .

عمران : لم يحر جواباً .

الإمام (ع) : فلا أرى النور إلّا وقد دلّك ودلّ المرآة على أنفسكما ، من غير أن يكون في واحد منكما ، ولهذا أمثال كثيرة غير هذا لا يجد الجاحد فيها مقالاً ولله المثل الأعلى .

عمران : يا سيدي ، ألا تخبرني عن الله عزّ وجلّ ، هل يوحّد بحقيقة أو يوحّد بوصف ؟ .

الإمام (ع) : إنّ الله المبدىء الواحد الكائن الأوّل ، لم يزل واحداً لا شيء معه ، فرداً لا ثاني معه ، لا معلوماً ولا مجهولاً ، ولا محكماً ولا متشابهاً ، ولا مذكوراً ولا منسياً ، ولا شيئاً يقع عليه اسم شيء من الأشياء غيره ، ولا من وقت كان ، ولا إلى وقت يكون ، ولا بشيء قام ، ولا إلى شيء يقوم ، ولا إلى شيء استند ولا في شيء استكن ، وذلك كلّه قبل الخلق ، إذا لا شيء غيره ، وما أوقعت عليه من الكل فهي صفات محدثة وترجمة يفهم بها من فهم .

عمران : يا سيدي ، ألا تخبرني عن الإبداع ، أخلق هو أم غير خلق ؟ .

الإمام (ع) : بل خلق ساكن لا يدرك بالسكون وإنّما صار خلقاً لأنّه شيء محدث ، والله ـ الذي أحدثه فصار خلقاً له ، وإنّما هو الله عزّ وجلّ وخلقه لا ثالث بينهما ، ولا ثالث غيرهما ، فما خلق الله عزّ وجلّ لم يعد أن يكون خلقه ، وقد يكون الخلق ساكناً متحركاً ، ومختلفاً ومؤتلفاً ـ ومعلوماً ومتشابهاً ، وكلّ ما وقع عليه حدّ فهو خلق الله عزّ وجلّ .

واعلم أن كل ما أوجدتك الحواس فهو معنى مدرك بالحواس والفهم من القلب بجميع ذلك كله .

واعلم أنّ الواحد الذي هو قائم بغير تقدير ولا تحديد : خلق خلقاً مقدراً بتحديد وتقدير ـ وكان الذي خلق خلقين اثنين : التقدير والمقدّر ـ وليس في أجد منهما لون ولا وزن ولا ذوق ـ فجعل أحدهما يدرك بالآخر ـ وجعلهما مدركين بنفسيهما .

ولم يخلق شيئاً فرداً قائماً بنفسه دون غيره ـ للذي أراد من الدلالة على نفسه ـ وإثبات وجوده : ﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلّكم تذكّرون ، ففروا إلى الله إنّي لكم منه نذير مبين ﴾ .

فالله تبارك وتعالى فرد واحد لا ثاني معه يقيمه ولا يعضده ولا

يكنه ـ والخلق يمسك بعضه بعضاً بإذن الله ومشيته .

وإنّما اختلف الناس في هـذا الباب حتى تـاهوا وتحـيروا وطلبوا الخلاص من الظلمـة بالـظلمة في وصفهم الله بصفـة أنفسهم ـ فازدادوا من الحق بعداً ـ ولو وصفوا الله عـزّ وجل بصفـاته ـ ووصفـوا المخلوقين بصفـاتهم ، لقـالـوا بـالفهم واليقـين ولمـا اختلفـوا ـ فلما طلبوا من ذلـك ارتبكـوا فيـه ـ والله يهـدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

عمران : يا سيدي : أشهد أنه كما وصفت ولكن بقيت لي مسألة :

الإمام (ع) : سل عما بدا لك .

عمـران : أسألـك عن الحكيم : في أي شيء هو ؟ وهـل يحيط بـه شيء ؟ وهل يتحول من شيء إلى شيء ؟ أو به حاجة إلى شيء ؟ .

الإمام (ع) : أخبرك يا عمران : فاعقل مـا سألت عنـه فإنـه من أغمض ما يرد على المخلوقين في مسائلهم ، وليس يفهمـه المتفاوت عقله ـ العازب حلمه ، ولا يعجز عن فهمه أولو العقل المنصفون .

أمّا أوّل ذلك : فلو كان خلق ما خلق لحاجة منـه لجاز لقـائل أن يقول : يتحول إلى مـا خلق لحاجته إلى ذلك ـ ولكنـه عزّ وجل لم يخلق شيئاً لحاجة ولم يزل ثابتـاً : لا في شيء ـ ولا على شيء ـ إلاّ أن الخلق يمسـك بعضه بعضـاً ـ ويدخـل بعضه في بعض ـ ولا يخرج ـ والله جلّ وتقدّس ـ بقدرتـه يمسك ذلـك كله ـ وليس يدخل في شيء ولا يخرج منه ـ ولا يؤوده حفـظه ـ ولا يعجز عن إمساكه ـ ولا يعرف أحـد من الخلق كيف ذلك إلاّ الله عـزّ وجلّ ، ومن أطلعـه عليـه من رسله وأهـل سرّه ـ والمستحفظين لأمره ـ وخزّانه القائمين بشريعته .

وإنّما أمره كلمح البصر أو هو أقرب ـ إذا شاء شيئـا فإنمـا يقول لـه : كن فيكون بمشيئتـه وإرادته وليس شيء من خلقـه أقرب

إليــه من شيء ـ ولا شيء أبعــد منــه من شيء ـ أفهمت يــا عمران .

عمران : نعم يا سيدي قد فهمت ـ وأشهد أن الله على ما وصفته وحددته ـ وأنّ محمداً عبده المبعوث بالهدى ودين الحق ـ ثم خرّ ساجداً نحو القبلة وأسلم . . . »[٢٠]

الشرك ظلم ، وإثم وضلال ، وسقوط :

أ ـ الشرك ظلم عظيم

يقـول تعالى : ﴿ وإذ قـال لقمان لابنـه وهو يعـظه يا بني لا تشـرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ﴾[١] .

وعن رسـول الله (ص) أنه قال : « يا ابن مسعود إياك أن تشرك بـالله طرفـة عين وإن نشرت بالمنشار أو قطعت أو صلبت أو أحرقت بالنار »[٢١] .

ب ـ الشرك إثم عظيم

يقول تعالى : ﴿ ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً ﴾[٢] .

وعن عـلي (ع) أنـه قـال : « مـا ظفــر من ظفـر بـالإثم والغـالب بــالشر مغلوب »[٢٢] .

وعن علي (ع) ، أيضاً ، أنه قال : « الظلم الذي لا يغفر الشرك بالله » .

وقال تعالى : ﴿ إنّ الله لا يغفر أن يشرك به »[٢٣] .

ج ـ الشرك ضلال بعيد

يقول تعالى : ﴿ ومن يشرك بالله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً ﴾[٣] .

---

[١] سورة لقمان : الاية ١٣ .

[٢] سورة النساء : الآية ٤٨ .

[٣] سورة النساء : الآية ١١٦

وعن علي (ع) أنه قال: « يا أيها الإنسان: ما جرّأك على ذنبك وما غرّك بربك وما أنساك بهلاكة نفسك »(٢٤).

د ـ الشرك سقوط وانحدار

يقول تعالى: ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير ﴾[١].

وعن رسول الله (ص) أنه قال: « إياك أن تدع طاعة وتقصد معصية شفقة على أهلك لأنّ الله تعالى يقول: يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً . . . »(٢٥).

إنّ الشرك ظلم، لأنّه يعبّر عن جهل عميق بالكون والحياة، وبالعلة الأولى للموجودات، وهذا الجهل له أثره السلبي الفظيع على جميع الصعد الفلسفية، والفكرية والعقائدية والإجتماعية، والسياسية، والعلمية، وهو علامة تخلّف في الفهم والتحليل، وانحطاط في مستوى الإنسانية، إلى أحطّ مستوى، لأنّ الشرك يعني الوصول في فهم مصدر الحياة، إلى منتصف الطريق، ثم الضياع عن النور المشرق والحق الساطع، على كل المخلوقات، وجعل المنفعل شريكاً، ومساوياً للفاعل، والثابت للمتغير، والقديم للمحدث، والعظيم للحقير، والخالق للمخلوق، والغني للمحتاج . . .

الشرك ظلم، لأنّه يعني الإعتداء على الحقّ، والحقيقة، وبالتالي تقديس المادة، والمخلوقات، فبعد أن كانت الأشياء مسخرة لخدمة الإنسان، يصبح الإنسان عابداً، ومسخراً للأشياء.

وتقديس المادة، يضع سداً في وجه النشاطات العامة للإنسان، وخصوصاً العلمية، حيث أن المشرك يتهيب من البحث وإجراء التجارب على معبوده المادي، الذي جعله شريكاً لله . . . لذلك، فإنّ الشرك بالله، هو الإثم الأعظم، والسبب أن لا عذر لمشرك في شركه، لأنّ كل العقول، موجهة نحو

---

[١] سورة الحج: الآية ٣١.

التوحيد ، ومفطورة عليه ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها ﴾ ، فالشرك افتراء على الحق ، والحق لا يغفر أن يشرك به .

والمشرك بالله ، الذي أتى بالظلم الأعظم ، وافترى على الخالق العظيم ، فارتكب الإثم الأكبر ، هو إنسان قد ضلّ في تيه الحياة ، فلم ينظر بعين عقله ، ولم يعقل ما نظر إليه بعين جسمه ، رأى الواحد ، من خلال آثاره ومخلوقاته فألّه المخلوقات ، وأشركها مع الإله الحقّ ، وهل بعد هذا الضلال من ضلال .

إنّ هذا الضلال البعيد ، يؤدي بالمشرك إلى الهبوط من أعلى درجات الإنسانية العليا ، والكمال الروحي للتوحيد ، إلى أسفل درك من دركات الجهل ، والسفاهة وعدم الفهم ، وتعطيل العقل ، وحاله ، كما يعبّر الحديث ، كمن يخرّ من السماء فتخطفه الطير ، ومن أجل كل ذلك ، فإنّ المؤمن لا يدع حقاً ، أو طاعة ، شفقة على أهله وولده ، لأنّ الله أرحم بعباده من أمهاتهم ، وحتى لا يشرك في عبادة ربّه أحداً ، أو يتركها من أجل أحد .

فهل بعد هذا ، يشرك بالله عاقل . . . أبداً ولو بالمناشير نشر ، لأنّ الشرك أكبر من ذلك أبداً ولو صلب . . . لأنّ الشرك بالله مصيبة أدهى من ذلك . . . أبداً ولو أحرق بالنار . . . لأنّ الشرك طريق الخلود في نار جهنم التي سجّرها جبّارها لغضبه .

هل يجوز للمؤمنين الإستعانة بالمشركين ؟

قال الواقدي : كان حبيب بن يساف ، رجلاً شجاعاً ، وكان يأبى الإسلام ، فلما خرج النبي (ص) إلى بدر وخرج قيس بن محرّث ، ويقال ابن الحارث ، وهما على دين قومهما فأدرك رسول الله (ص) بالعقيق ، وحبيب مقنّع في الحديد فعرفه رسول الله (ص) من تحت المغفر ، فالتفت إلى سعد بن معاذ وهو يسير إلى جنبه فقال : أليس بحبيب بن يساف ؟ قال : بلى فأقبل حبيب حتى أخذ ببطان ناقة رسول الله (ص) فقال له ولقيس بن محرّث ما أخرجكما ؟ .

قال : كنت ابن أختنا وجارنا وخرجنا مع قومنا للغنيمة فقال (ص) لا يخرجن معنا رجل ليس على ديننا ، فقال حبيب : لقد علم قومي أني عظيم الغناء

في العرب شديد النكاية فأقاتل معك للغنيمة ولا أسلم فقال (ص) لا ـ ولكن أسلم ثم قاتل . . .

فلما كان بالروحاء جاء فقال : يا رسول الله أسلمت لربّ العالمين وشهدت أنك رسول الله فسرّ بذلك وقال : أمضه فكان عظيم الغناء في بدر وفي غير بدر . وأما قيس بن الحارث فأبى أن يسلم فرجع إلى المدينة فلمّا قدم النبي (ص) من بدر أسلم وشهد أحداً فقتل(٢٦) .

الإقامة مع المشركين

قال رسول الله (ص) : « من أقام مع المشركين فقد برئت منه الذمة »(٢٧) .

إنّ الإستعانة بالمشركين ، يعني إعطاء الشرعية لتصرفاتهم ، وأعمالهم وسلوكهم والإعتراف بهم ، في مجال تنفيذ الأعمال التي يخطّط لها المؤمنون ، على جميع المستويات .

أن العداء المبدئي بين الإيمان والشرك ، عداء لا يمكن أن ينتهي أو يتوقف إلّا بزوال الشرك من الوجود ، لأن الشرك إنحراف عن الحق والعدل ، عقائدياً ، وحياتياً ، بحيث لا يرجى منه الصلاح أو التصحيح .

والمشركون لا يمكن أن يخلصوا للمؤمنين ، وكيف نتوقع ذلك لمن كفروا ، بأن أشركوا بالله ، الواحد الأحد ، فعلام الإستعانة بهم ، ففي المجال السياسي أو الجهادي أو الثقافي ، أو الإجتماعي فإنّ المشركين يعملون لخدمة عقيدتهم الهابطة ، وممارساتهم المنحرفة ، عن خط الوحدة والتوحيد ، لذلك فإنّ الإسلام يؤكد على الإنفصال الكامل عن الفكر الشركي ، والأهداف الشركية ، والتكتلات الشركية ، والسياسية الشركية ، وإلا فقد العمل الإسلامي مبرر وجوده ، والغى نفسه ، لهذا ، فإنّ الإقامة مع المشركين والتعاطي والتعامل معهم ، يعد في باب تقوية الكفر والشرك ، وترك الخصومة معهم ، والتنازل عن فكرة الصراع المستمر مع الشرك ، لذلك فإنّ رسول الله يبرأ ممّن أقام مع المشركين ، ويعتبره خارجاً عن خط الإيمان والإسلام .

ما هو الشرك الخفي ؟

إنّ الشرك الخفي هـو اعتماد الإنسـان على غـير الله في أموره الحيـاتية بحيث يستقل عن المشيئة الإلهية في الفعل والترك .

١ ـ عن الصادق (ع) أنه قال : « هو قـول الرجـل لولا فـلان لهلكت ولولا فلان لأصبت كذا وكذا ولولا فلان لضاع عيـالي ، ألا ترى أنه قد جعل لله شريكاً في ملكه يرزقه ويدفع عنه ؟ .

قـال الراونـدي : قلت : فيقـول : لـولا أن الله منّ عـليّ بفـلان لهلكت ؟ قال : لا بأس . . . [٢٨] .

٢ ـ « وإن الشرك الخفي هو أخفى من دبيب النمل وقال منه تحويل الخـاتم ليذكر الحاجة وشبه هذا » .

٣ ـ عن رسول الله (ص) أنه قـال : « إيّاك ومـا يعتذر منـه فإنّ فيـه الشرك الخفي »[٢٩] .

إنّ الشرك الخفي يعني أن الإنسان الموحّد هو الذي يعتقد أن الله هـو الأوّل والآخر والظاهر والباطن ، وانّ كل المخلوقات تستمد وجودهـا وقوتهـا وإمكانـاتها منه . وإن التعلق بغير الله ، والإستعانة به ، لا على أساس أنّ الله هو الذي أمكنه وأعـطاه هذه الفـوة ، بل عـلى قـاعـدة الإستقـلال عن إرادة الله . . . كقـول من يقول : لولا فلان لهلكت ، أو لما رزقت ، أو لما شفيت ، والإعتقاد بقـدرتهم على فعل ما ذكر شرك مستتر .

وكـذلك الإعتقـاد بأنّ شيئـاً ما ، أو عمـلاً ما ، يتمتـع بخاصيـة التأثـير ، والفعل ، أو التغيير لأمـر ما ، بـاستقلاليـة عن المشيئة الإلهيـة ، كما قلنـا ، شرك خفي (ومنه تحويل الخاتم ليذكر الحاجة ، وشبه هذا) بالشروط المذكورة آنفاً .

ومن قولنا عن النهوض ، أو عندما نريد فعل شيء . . يا فلان أعني سواء أكان نبياً أم ولياً إلاّ إذا كان المقصود الإستنجاد بـالله تعالى والـدعاء لـه بحقّ النبي الفلاني أو الإمام الفلاني .

ويدخل ضمن هذا الإطار فعل ما يعتذر منه ، لأنّ نفس التوجه إلى إنسـان

والإعتذار منه على فعل ، مع التركيز على أنه هو الأصل والفرع في هذه المسألة المعيّنة ، دون الإلتفات إلى الإرادة الإلهية عمل يشتّم منه رائحة الشرك الخفي .

التعوذ بالله مما نعلم من الشرك الخفي والإستغفار ممّا لا نعلم

عن أبي موسى الأشعري قال : « خطبنا رسول الله (ص) ذات يوم فقال : يا أيها الناس اتّقوا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل ، فقال من شاء أن يقول : وكيف نتقيّه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله . . . قال قولوا : أللهم إنّا نعوذ بك أن نشرك بك ونحن نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه »(٣٠) .

والشرك الخفي ، أخفى من دبيل النمل ، والشرك الجلي لا يكون إلّا بالصلاة أو الذبح أو الدعوة لغير الله :

وعن الصادق (ع) قال : عن عباس بن زيد عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت بأنّ هؤلاء العوام يزعمون أن الشرك أخفى من دبيب النمل في الليلة الظلماء على المسح الأسود ؟ فقال : لا يكون العبد مشركاً حتى يصلي لغير الله أو يذبح لغير الله أو يدعو لغير الله عزّ وجلّ ، والمسح جمعها مسوح وهي أثواب من شعر أسود يلبسها المتعبدون في صوامعهم البعيدة عن الناس »(٣١) .

الرياء شرك

١ ـ عن الصادق أنه قال : في قوله عزّ وجلّ : ﴿ **فمن كان يرجو لقاء ربه . . . فليعمل عملاً صالحاً ، ولا يشرك بعبادة ربه أحداً** ﴾ الرجل يعمل شيئاً من الثواب لا يطلب به وجه الله إنّما يطلب تزكية الناس يشتهي أن يسمع به الناس فهذا الذي أشرك بعبادة ربه(٣٢) . . .

٢ ـ جاء رجل إلى النبي (ص) فقال : إني أتصدق وأصل الرحم ولا أصنع ذلك لله فيذكر ذلك فيّ وأحمد عليه فيسرني ذلك وأعجب به ؟ فسكت رسول الله (ص) ولم يقل شيئاً فنزلت الآية(٣٣) . . .

٣ ـ عن علاء بن فضيل عن أبي عبد الله (ع) قال : سألته عن تفسير هذه الآية : فمن كان يرجو لقاء ربه ، قال : من صلى وصام أو حج يريد محمدة

الناس فقد أشرك في عمله وهو شرك مغفور[٣٤] .

إنّ الإنسان المؤمن هو الذي يكون عمله خالصاً لوجه الله ، لا يـريد جـزاءً ولا شكوراً ، ولا سمعة ، ولا مالاً ، ولا منصباً ، ولا جاهاً ، والعلم لله ، ولنفع الناس في السر أحب إليه من العلانية ، ولا يتقدم الصفوف ليقال : أنظروا فـذاك فلان ، وإنّ تقدّم فإنه يتقدم بنية الخدمة ، وطلباً لرضـا لله ، وامتثالاً لأمـره . . . وأن يكون مغموراً ، أحب إليـه من أن يكون مشهـوراً ، ويعمل ويـطلب من الله القبول ، بنية صادقة ، وتوجّه مخلص لله ، وهو دائماً ، يهدف إلى تحقيق ما ينفع ، وما يكون فيه مصلحة الفرد والجماعة ، فإنّ كانت المصلحة تقتضي أن يسكت فإنّه يسكت وهـو مطمئن مسرور ، وإن كـانت مصلحة الإسـلام والرسـالة تقتضي أن يتكلم فيعتبر أن الكلام بحقـه واجب ومسؤولية . . . لا يحـزن إن فاتـه أمر ، ولا يفرح أو يبطر ، إن آتاه الله نعمة .

وأكـثر مـا يتجـلى الشرك الخفي ، في الأعـمال العبـاديـة من صـلاة وصيـام وحـج ، لذلـك ترى بعض النـاس دأبهم ذكـر صـلاتهم أو صيـامهم أو عبـادتهم (صـلاة الليل مثـلاً) ، أمام النـاس ، وفي المجالس ، وهـدفهم ، ليس تشجيع الآخرين ، بل طلب المديح والثناء والمكانة عند الغير ، وبذلك يكون صانع ذلـك قد أشرك بالله شركـاً خفياً والله غفـور رحيم . والمؤمن هو من يتقي أن يكـون من المبتدعين حتى لا يكفر ، أو يشرك بالله لا شركاً جلياً ، ولا شركاً خفياً ، بل يعمل على صيانـة دينه ، وحمـايته وإحـاطته بـأسوار الإحتيـاط ، حتى لا يقع في واضـح الكفـر أو الشرك أو الشبهات ، لأنّ الإحتيـاط سبيل النجـاة ، وعدم التحـرز من الشبهات من المهلكات .

الشبهـــة

ماذا نعني بالشبهة : عن الإمام البـاقر (ع) أنـه قال : « إنّما سميت الشبهة شبهـة ، لأنّها تشبه الحقّ فـأمّا أوليـاء الله فضياؤهم فيهـا اليقـين ، ودليلهم سمت الهدى وأمّا أعداء الله ، فدعاؤهم فيها الضلال ، ودليلهم العمى »[٣٥] .

جـاء في مفردات الـراغب : « الشبهـة هـو أن لا يتميـز أحـد الشيئـين من

الآخر ، لما بينهما من التشابه عيناً كان أو معنى » .

الموقف من الشبهات

إن موقف الناس من الشبهات على قسمين :

فأولياء الله ، يقينهم بالله كبير ، يضيء لهم الطريق وهداهم يدلهم عليه .

أمّا أعداء الله فلا دعاء لهم مقبول لأنّ دعاءهم ضلال ، ودليلهم العمى .

فالشبهات هي من أسباب الفتنة ، وبعض الناس من المنحرفين يؤمنون بالدين ، ويؤيدونه ، ويمارسونه بمقدار ما ينفعهم في حياتهم ويؤمن مصالحهم الدنيوية ، فيخططون عامدين للوصول إلى ذلك ، بأن يلبسوا على أنفسهم ليجعلوا الشبهات سبيلاً لتغطية أخطائهم ، وذنوبهم وانحرافاتهم .

وقد ورد عن علي (ع) أنه قال : « إحذروا الشبهة فإنه وضعت للفتنة »(٣٦) .

وقال أمير المؤمنين لعمار بن ياسر وقد سمعه يراجع المغيرة بن شعبة كلاماً : « دعه يا عمّار فإنه لم يأخذ من الدين إلّا ما قاربه من الدنيا ، وعلى عمد لبس على نفسه ليجعل الشبهات عاذراً لسقطاته »(٣٧) .

الوقوف عند الشبهات

الوقوف عند الشبهات أمر ضروري للمؤمن من أجل المحافظة على استقامة السلوك في درب الإيمان بالإبتعاد عن المزالق والمتاهات ، وذلك عن عدم وضوح الأمور ، وتشوش الرؤية ، فلا محرّم بيِّن ليبتعد عنه ، ولا واجب لازم ليعمل به ، بل لا يدري هل هذا الأمر من المباحات أم من المكروهات فضلاً عن المحرمات والواجبات ؟ وهنا لا بد من أجل عدم الوقوع في المهلكة ، من الوقوف عند الشبهة ، فالسكوت ، مثلاً عما لا تعلمه ، خير وأفضل من كلامك فيما تعلمه علماً ناقصاً .

عن الباقر (ع) والإمام الصادق (ع) أنهما قالا : « الوقوف عند الشبهة خير

من الإقتحام في الهلكة وتركك حديثاً لم تروه خير من روايتك حديثاً لم تحصه »[٣٨] .

وعن علي (ع) أنه قال : « أمسك عن طريق إذا خفت ضلالته فإنّ الكف عند حيرة الضلالة خير من ركوب الأهوال »[٣٩] .

وعن علي (ع) أيضاً : « من التوفيق الوقوف عند الحيرة »[٤٠] .

مرتكزات الشبهة

قال علي (ع) : الشبهة على أربع شعب : ١ ـ على الحرية ٢ ـ والهول ٣ ـ والتردد ٤ ـ والإستسلام .

وفي حديث آخر أنها أيضاً على أربع شعب : ٥ ـ على الإعجاب بالزينة ٦ ـ وتسويل النفس ٧ ـ وتأويل العوج ٨ ـ ولبس الحق بالباطل[٤١] .

١ ـ الحرية شعبة من شعب الشبهة

عندما يعطى الإنسان الحرية الكاملة في التصرف ، والحرية المقصودة هنا هي الإنعتاق من كل القيود الشرعية والعرفة وتحكيم المزاجية في الأعمال والممارسات ويكون غير مؤهل لها بالمعرفة الفطرية ولا بالمعرفة المكتسبة ، فإنه يقع في الشبهات ويرد مورد الهلكات .

٢ ـ والهول من شعب الشبهة

عندما تظلم الدنيا أمام إنسان ولم يعد بإمكانه أن يرى رؤية واضحة ويسيطر عليه الخوف والهول من المستقبل أو الماضي أو الحاضر ويريد أن يتحرك ، ولا يعرف وجهة صحيحة لهذا التحرك فإنه يسقط في الشبهة .

٣ ـ والتردد كيف يكون شعبة الشبهة ؟

التردد من صفات ضعاف الشخصية ، والذين لا يجرؤن على أخذ موقف

واضح وصريح ، ويظل الخوف مسيطراً عليهم ، دائماً عند الوقوف أمام أي مشكل صغيراً كان أم كبيراً ، هذا النوع من البشر يسقط بسرعة في الشبهة ، ولا حل لهذه المشكلة إلّا بتقوية وتعميق الإيمان بالله ، حتى يمتلك الإنسان العزيمة ، ويتوكّل على الله ، ويعلم أن ما مضى فات، فلا يندم ، وإن ما أعطاه الله من نعم ، ليس مدعاة للبطر ، بل للشكر .

٤ ـ والإستسلام شعبة شبهة

الإستسلام صفة طيبي القلوب ، الذين لا يعرفون مداخل ومخارج الأمور ، بل يثقون ، بسهولة ، بكل الناس ، ولمجرّد كلمة رقيقة ، أو موقف احترام لهم أو بسمة خفيفة ، أو دعوة إلى زيارة أو وليمة . . . لم يركزوا في أذهانهم أنه إن فسد الزمان وأهله ، فليس من الطبيعي أن يثق الإنسان بكل أحد ، إلّا بعد التجربة والتمحيص ، لذا فالمؤمن يدرس مجتمعه وبيئته وزمانه ، والتيارات المتصارعة فيه ، ويعود دائماً إلى كتاب الله وسنة رسوله (ص) بواسطة العلماء لمعرفة الموقف الصحيح .

ومن شعب الشبهة

٥ ـ الإعجاب بالزينة .
٦ ـ تسويل النفس .
٧ ـ تأويل العوج .
٨ ـ لبس الحق بالباطل .

إنّ النفس البشرية تميل إلى البهارج والزينة ، وتتعلق بالمسرات ، وتغفل عن النتائج لا بل تحاول أن تجيّر كل الأمور لصالح الطيبات الدنيوية ، لا بهدف الآخرة ، بل بهدف اللذة ، وإرواء الشهوات ، فيلتبس الحقّ بالباطل ، والنفس الأمارة بالسوء تدعو الإنسان لإشباع الشهوات ، لأنّها تعتقد بأن من حقها أن تعيش كما يحلو لها في هذه الحياة ، وربما اعتقدت أن التعلق بالزينة ، والإهتمام بها ، يشكل قمة الصلاح ، وليس اعوجاجاً أو انحرافاً ، بل هكذا ينبغي أن تكون الحياة . . .

ومن هنا كان الإعجاب بالزينة ، وتسويل النفس الأمارة ، وتأول العوج ، ولبس الحق بالباطل من شعب الشبهة . . .

وقد ورد عن النبي (ص) قوله :

١ ـ « من عرضت له فاحشة أو شهوة فاجتنبها مخافة الله حرّم عليه النار وأمنه من الفزع الأكبر »[٤٢] .

٢ ـ « طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعد لم يره »[٤٣] .

٣ ـ ثلاث أخافهنّ بعدي على أمتي : الضلالة بعد المعرفة ، ومضلّات الفتن ، وشهوة البطن والفرج »[٤٤] .

٤ ـ « الحق ثقيل مرّ ، والباطل خفيف حلو ، وربّ شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً »[٤٥] .

ويقول الإمام علي (ع) :

٥ ـ « ما أبعد من استعبدته الشهوات أن يكون فاضلاً »[٤٦] .

٦ ـ « عبد الشهوة أذلّ من عبد الرقّ »[٤٧] .

وإذا كان لا بد من الوقوف عند الشبهات ، فما هو السبيل الذي ينبغي سلوكه في هذه الحالات . انّ السنة الشريفة تدلنا على أن المنجيات ، من هذه المآزق هي باتباع طريق الإحتياط .

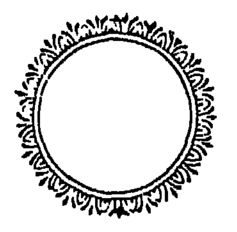
فماذا نعني بالإحتياط ؟

إن مشكلات الحياة كثيرة ومتشابكة ومعقّدة ، وعندما يفقد الإنسان الوضوح في إعطاء الحلول ، وعدم القدرة على حسم الأمور ، أو عدم امتلاك الإمكانات والمقومات التي بواسطتها يستطيع أن يحدّد المطلوب ، فإنه يتّبع سبيل الإحتياط ، باختيار الموقف الذي يجعله متيقناً من عدم الإفراط أو التفريط أي أخذ الموقف الوسطي المبرىء للذمة تجاه الشارع المقدس ، وذلك في جميع المجالات الحياتية العملية الفردية والجماعية .

وعن علي (ع) أنه قال : « أخوك دينك فاحتط لدينك بما شئت »[٤٨] .

وعن الصادق (ع) أنه قال : « لك أن تنظر الحزم وتأخذ الحائطة لدينك »[٤٩] .

وعن الصادق أيضاً (ع) أنه قال : « خذ بالإحتياط في جميع ما تجد إليه سبيلاً »[٥٠] .



مصادر ومراجع البحث

(١) الكافي : ج ٢ ص ٣٩٧ .

(٢) جامع السعادات : ج ١ ص ١٦٤

(٣) البرهان في تفسير القرآن : ج ٤ ص ٥٢٣

(٤) راجع جامع السعادات : ج ١ ص ١٦٤ وما بعدها .

(٥) التوحيد للصدوق : ص ٣١٢

(٦) راجع الأنوار الثقافية .

(٧) نهج البلاغة .

(٨) بحار الأنوار .

(٩) عدة الداعي : ص ٨٥ .

(١٠) راجع تفسير نهج الصادقين/غاية المرام .

(١١) الكافي .

(١٢) الإحتجاج : ص ٤٥٧

(١٣) الوسائل : كتاب النكاح باب ١٨١ .

(١٤) الوسائل . كتاب القضاء باب ١١ .

(١٥) راجع أصول الكافي . مقتبس من كتاب الذنوب الكبيرة بتصرف .

(١٦) قرب الإسناد : ص ٧٨

(١٧) قرب الإسناد : ص ١١٧

(١٨) قرب الإسناد . ص ٦٢ .

(١٩) بحار الأنوار : ج ١٠ ص ٢١٠

(٢٠) بحار الأنوار : ج ١٠ ص ٣١٠ .

(٢١) بحار الأنوار : ج ٧٧ ص ١٠٧ .
(٢٢) بحار الأنوار : ج ٧٥ ص ٣٣٠ .
(٢٣) نهج البلاغة . خطبة ١٧٦ .
(٢٤) نهج البلاغة : خطبة ٢٢٣ .
(٢٥) بحار الأنوار . ج ٧٧ ص ١٠٠ .
(٢٦) شرح نهج البلاغة : ج ١٤ ص ٣٢٧
(٢٧) كنز العمال : خطبة ١١٠٢٨
(٢٨) بحار الأنوار : ج ٧٢ ص ١٠٠ أيضا الرواية التالية بنفسه/ص ٦٩
(٢٩) بحار الأنوار ج ٧٢ ص ٢٨٢
(٣٠) كنز العمال . خطبة ٨٨٤٩
(٣١) بحار الأنوار ج ٧٢ ص ٩٦ .
(٣٢) بحار الأنوار . ج ٧٢ ص ٢٨٢ .
(٣٣) تفسير نور الثقلين : ج ٣ ص ٣٩٨ .
(٣٤) بحار الأنوار ج ٧٢ ص ٣٠١
(٣٥) شرح نهج البلاغة . ج ٢ ص ٢٩٨ .
(٣٦) نهج السعادة : ج ٢ ص ٣٢٠
(٣٧) نهج البلاغة . حكم ٤٠٥ .
(٣٨) بحار الأنوار : ج ٧٨ ص ١٨٩ .
(٣٩) بحار الأنوار . ج ٧٧ ص ٢١١
(٤٠) بحار الأنوار . ج ٧٧ ص ٢١١ .
(٤١) تحف العقول : ص ١١٦ .
(٤٢) بحار الأنوار . ج ٧ ص ٣٠٧ .
(٤٣) الوسائل : ج ١١ ص ١٦٤ .
(٤٤) الوسائل . ج ١١ ص ١٩٨ .
(٤٥) بحار الأنوار : ج ٧٧ ص ٨٢ .
(٤٦) شرح نهج البلاغة : ج ٢٠ حكمة ٤٢
(٤٧) شرح نهج البلاغة . ج ٢٠ حكمة ٢٨ .
(٤٨) بحار الأنوار : ج ٢ ص ٢٥٨ .
(٤٩) المصدر السابق .
(٥٠) المصدر السابق ص ٢٦٠ .




النفــاق

النفاق أخو الشرك ، وتوأم الكفر ، والمنافقون هم حزب الشيطان .

محتويـات البحث

٢ ـ الهوينا .
٣ ـ الحفظية .
٤ ـ الطمع .

٧ ـ الإنعكاسات السلبية لدعائم النفاق وشعبها :
أ ـ على المستوى الفردي .
ب ـ على المستوى السياسي والإجتماعي .

٨ ـ شعب دعائم النفاق .

٩ ـ من آثار النفاق على المستوى الفردي :
١ ـ النفاق يفسد الإيمان .
٢ ـ النفاق أخو الشرك .
٣ ـ النفاق توأم الكفر .
٤ ـ النفاق شَيْن للأخلاق .
٥ ـ رأس النفاق الخيانة .

١٠ ـ آثار النفاق على المستوى العام :
١ ـ التخويف .
٢ ـ إثارة المشاعر العصبية .
٣ ـ إثارة المسائل الأخلاقية .
٤ ـ تجزئة وحدة المسلمين .

١١ ـ علامات المنافق :
١ ـ المنافق يداهن نفسه .
٢ ـ المنافق يطعن الناس في غيابهم .
٣ ـ ظاهر قول المنافق جميل .
٤ ـ فعل المنافق داء دخيل .
٥ ـ لسان المنافق حلو وقلبه قبيح .
٦ ـ المنافق وقِح ، غبي .

٧ ـ المنافق كثير الشك والإرتياب
٨ ـ المنافق قاسي القلب ، جامد العين
٩ ـ المنافق يتمنى الضرر للآخرين .
١٠ ـ المنافق لا يتّعظ بموعظة الإيمان .
١١ ـ المنافق يتألّم إذا سعد الآخرون .
١٢ ـ المنافق يخلف بالوعد ، ويفشي السرّ .
١٣ ـ المنافق يقول قول الصالحين ، ويفعل فعل الطالحين .
١٤ ـ المنافق في نظره لهو ، وفي سكوته سهو .
١٥ ـ المنافق يبكي متى شاء من شدّة نفاقه .
١٦ ـ المنافق يبكي من هامته ، والمؤمن يبكي من قلبه .
١٧ ـ المنافق ضالّ مضلّ ، وزال مزل .
١٨ ـ المنافق يتلوّن ألواناً .
١٩ ـ المنافق يعمد بكل عماد .
٢٠ ـ المنافق يرصد بكل مرصاد .
٢١ ـ المنافق قلبه دوية .
٢٢ ـ المنافق صفاحه نقيّة .
٢٣ ـ المنافق يمشي الخفاء ، ويدبّ الضراء .
٢٤ ـ المنافق وصفه دواء ، وفعله الداء العياء .
٢٥ ـ المنافقون حسدة الرخاء .
٢٦ ـ المنافق له بكل طريق صريع .
٢٧ ـ المنافقون يتقارضون الثناء .
٢٨ ـ المنافق إذا سأل الحف .
٢٩ ـ المنافق يعدّ لكلّ حقّ باطلاً .
٣٠ ـ المنافقون يتوصّلون إلى الطمع باليأس .
٣١ ـ يقول المنافقون فيشبّهون .
٣٢ ـ المنافق يهوّن الطريق ويضلّع المضيق .
٣٣ ـ المنافقون لمّة الشيطان .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إنّ المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ، وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى ، يراؤون الناس ، ولا يذكرون الله إلاّ قليلاً ، مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ، ولا إلى هؤلاء . . . ﴾[1] .

* * *

وقال الرسول (ص) : « إني لا أتخوّف على أمتي مؤمناً ولا مشركاً ، أمّا المؤمن فيحجزه إيمانه ، وأمّا المشرك فيقمعه كفره ، ولكن أتخوّف عليكم منافقاً عالم اللسان ، يقول ما تعرفون ويعمل ما تنكرون »[2] .

وقال الإمام علي (ع) : « أوصيكم عباد الله ، بتقوى الله ، وأحذّركم أهل النفاق . . . فهم لمّة الشيطان ، وحمّة النيران . . .

أولئك حزب الشيطان ألا إنّ حزب الشيطان هم الخاسرون »[3] .

* * *

---

[1] سوره النساء : الاية ١٤٢ ـ ١٤٣ .

[2] كنز العمال . خ ٢٩٠٤٦ .

[3] نهج البلاغة : من خطبة المنافقين .

ماهيــة النّفاق

المعنى اللغوي للنفاق : يقول الراغب في المفردات :

ـ النفق : الطريق النافذ ، والسّرب في الأرض ، النافذ فيه .

وقد قال تعالى : ﴿ **فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض** ﴾[١] .

. . . ومنه النفاق : وهـو الدخـول في الشرع من باب ، والخـروج عنه من باب ، وعلى ذلك نبّه بقوله :

﴿ **إنّ المنافقين هم الفاسقون** ﴾[٢] أي الخارجون عن الشرع .

وجعـل الله المنافقـين شرّاً من الكـافرين ، قـال تعالى : ﴿ **إنّ المنـافقين في الدرك الأسفل من النّار** ﴾[٣] .

وجاء في لسان العرب لابن منظور :

ـ . . . قيل إنّه سميّ منافقاً ، لأنّه نافق كالبربوع وهو دخوله نافِقاءه .

يقال : قد نفق به ، ونافق وله جحراً آخر يقال لـه القاصعـاء ، فإذا طلب قصّع فخرج من القاصعاء ، فهو يدخل في النافِقـاء ، ويخرج من القـاصِعاء . . . (أو العكس) . . . فيقال هكذا يفعل المنافق ، يدخل في الإسـلام ثم يخرج منـه من غير الوجه الذي دخل فيه . . .

. . . وقد تكرّر في الحديث ذكر النفاق . . . وهو إسم إسـلامي ، لم تعرفـه العرب بالمعنى المخصوص به . وهو الذي يستر كفره ، ويـظهر إيمـانه ، وإن كـان أصله في اللغة معروفاً ، يقال : نافق ينافق منافقة ونفاقاً وهو مأخوذ من النافقاء لا من النفق ، وهو السرب الذي يستتر فيه لستره كفره .

وفي حديث حنظلة : (نافق حنظلة) ، أراد أنـه إذا كان عنـد النبي (ص) أخلص وزهد في الدنيا ، وإذا خرج عنـه ترك مـا كان عليـه ورغب فيها ، فكـأنه نوع من الظاهر والباطن ما كان يرضى أن يسامح به نفسه .

---

[١] سورة الأنعام : الآية ٣٥ .

[٢] سورة التوبة : الآية ٦٧ .

[٣] سورة النساء : الآية ١٤٥ .

قال رسول الله (ص) : « أكثر منافقي أمتي قـراؤها »[١] أراد بـالنفاق ههنـا الرياء ، لأنّ كليهما إظهار غير ما في الباطن[٢] .

المعنى الإصطلاحي للنفاق : « النفاق هو إظهار الإسلام ، والعمـل بعمله وإبطان الكفر »[٣] .

ويقـول المولى النـراقي إنَّ النفاق هـو : مخـالفـة السر العلن سـواء كـان في الإيمان أو في الطاعات أو في المعاشرات مـع الناس وسـواء طلب به الجـاه والمال أم لا ، وعلى هذا فهو أعم من الريـاء مطلقـاً وإن خصّ بمخالفـة القلب اللسان ، أو بمخالفة الظاهر الباطن في معاملة الناس ومصاحبتهم فبينهـما عموم وخصـوص من وجه »[٤] .

فالنفاق ـ إذن ـ هو حالة انحرافية مخادعة ، على مستـوى العقيدة ، ينعكس على مجال الممارسة تلوُّناً في المواقف ، وكذباً في الأقوال ، وخيانة في الأفعال .

مظاهر النفاق ومقاييسه

كثرة الوفاق نفاق :

إنّ الإنسان المؤمن الواعي ، هو الإنسان القادر على اتّخاذ القرار المناسب في الـوقت المناسب ، فهـو يرى الأمـور بـوضـوح . . . فيلتزم بـأوامـر ربّـه وشريعـة الإسلام . . . يوافق الآخرين ما سلم الـدين ، ويخالف أقـرب المقرّبـين ، فضلاً عن الأبـاعـد ، إن كـانت الأقـوال أو الآراء ، أو الأعـمال مخـالفـة لإرادة العـلّام الحكيم ، لذلك يستدلّ على النفاق ، إن كان الوفاق دائماً ، أو كثيراً لأنّـه لا يعقل أن تتفق الآراء دائماً أو بشكل أكثري إلّا إذا نافق أحد المتوافقين .

أمّا كثرة الخلاف فهي دلالة على عدم الإنسجام بين المتلاقين .

قال علي (ع) : « كثرة الوفاق نفاق ، كثرة الخلاف شقاق »[٥] .

من النفاق أن يزيد خشوع الجسد على خشوع القلب :

ومن عـلامات النفـاق وتمظهـراته الـداخلية ، هـو عدم التـوافق بين حـالة الجسد ، وحالـة القلب فإن كـان القلب في وضع من التعلّق بـالله ، بحيث تكون

درجة الخشوع أقلّ قوة وأضعف من مظهرها الخارجي المنعكس على الجسد فهو وضع نفاقي .

قال الرسول (ص) : « ما زاد خشوع الجسد على ما في القلب فهو عندنا نفاق »[٦] .

النفاق لمظة سوداء :

قال الإمام علي (ع) : « إنّ النفاق يبدو لمظة سوداء ، فكلّما ازداد عظماً ، ازداد ذلك السواد ، فإذا استكمل النفاق اسوّد القلب »[٧] .

إنّ الله تبارك وتعالى خلق الإنسان ، وهداه النجدين ، إمّا شاكراً وإمّا كفوراً ، ووهبه من الإمكانيات والطاقات ما يؤهله للإرتفاع إلى أعلى الدرجات ، وبإمكان الإنسان أن ينمّي الجانب الخيّر فيه ، فيتجاوز ما يشدّه إلى الأرض والمادة ، ليتعلّق بما يسمو به ، ويرفعه باتجاه عالم الروح ، وبعبارة أخرى ان باستطاعة الإنسان إن سار في طريق التسامي ، ووجه نفسه الوجهة الصحيحة ، ليكون عبداً شكوراً ، أن يروحن الجانب المادي ، من حياته وجسده ، ووجوده ، حتى يغدو أفضل من الملائكة عند الله كما ورد في كلام لأمير المؤمنين (ع) . .

إنّ القلب هو مركز التوجهات الروحية ، والإمكانات السامية ، وهو المعبد الداخلي في نفس الإنسان ، وقد أضاءه الله بنور الحق ، وزوّده بما يجعله قابلاً للترقي في مدارج الإيمان .

ولكن هذا القلب ، يتأثر بالمؤثرات الخارجية ، لوجود قابلية الكفران عنده ، فإذا ما هبّت رياح الإنحراف عن خط الله تعالى ، فإنها قد تؤثر على سراج القلب ، فيضطرب نوره ، أو يطفأ ، أو تظلم بعض جوانبه في لحظة جحود ، أو كفران ، أو فسق ، فإذا استحكم ذلك في القلب ، وطغت الظلمة على النور ، مع تركيز على جانب معينّ من جوانب القلب فإنّ الظلمة تنتشر ، وكلّما ازدادت الطاقة الظلامية النفاقية ، كلما اتسعت مساحة السواد ، حتى تغطي القلب كله ، عندها لا يرجى أي خير من صاحب هذا القلب . . .

ونتبينّ من هذا أن النفاق على درجات ، وله مستويات فطوبى لمن عالج نفسه من هذا المرض ، قبل أن يستحكم به الداء فلا يتوقّع له شفاء . . . ويكون ممّن حكم عليه بأنه سيصلى نار جهنم في أسفل الدركات . . .

أسباب النفاق

١ ـ الذل والضعف والجبن :

إنّ كل من عاش في بيئة يحكمها الإذلال ، والذل ، والعبودية لغير الله سبحانه ، ولم يستطع أن يثور على ما هو فيه ، بل طأطأ رأسه أمام ممارسات الإذلال تجاهه حتى استعذب ذلك فإنّه يتحوّل إلى منافق .

قال علي (ع) : « نفاق المرء من ذل يجده في نفسه ، والنفاق من أثافي الذل »[٨] .

وكل من يجد القوّة في جسده ، ولا يجد القوة في نفسه ، يتحدّى بها الظالمين ، ولا القوة في عقله يدحض بها آراء وأفكار الملحدين والمنحرفين ، يصبح منافقاً ، لا يثبت على حال من الأحوال لا في رأي ولا موقف .

٢ ـ الكذب لتحصيل جاه (منصب) أو مال أو لذة :

إنّ كل كذّاب منافق ، والقاسم المشترك بين الكذب والنفاق (الشرك والكفر) ، وذلك لأنّ الكذاب في حال التعوّد عليه ، وتعاظم أمره ، يوصل الإنسان ليكون منافقاً كما جاء في الخبر .

فقد قال أمير المؤمنين (ع) : « الكذب يؤدي إلى النفاق »[٩] .

والكذب المؤدي إلى النفاق ، هو على الخصوص ما كان يهدف لتحقيق أهداف ورغبات دنيوية ، ساقطة كالوصول لمنصب أو وظيفه أو مكانة عند زعيم أو وجيه ، أو دولة ظالمة ممّا يدفع طالب ذلك للنفاق ، فضلاً عن أنّ الرغبة في المال أو اللذة أو الشهوة فإنها جميعاً من بواعث النفاق وأسبابه .

ويقول المولى النراقي : « إن كان باعث النفاق الجبن ، فهو من رذائل قوّة

الغضب من جانب التفريط ، وإن كان باعثه طلب الجاه فهو من رذائلها من جانب الإفراط ، وإن كان منشأه تحصيل مال ، أو منكح ، فهو من رداءة قوّة الشهوة ، ولا ريب أنّه منْ المهلكات العظيمة »(١٠) .

٣ ـ الخوف وانعدام الحرية

٤ ـ الرغبة في الوصول إلى موقع سياسي أو إجتماعي

جاء في بحث حول النفاق ، في مجلة المنطلق ، بعنوان : المنافقون ، دراسة في العلل والخصائص ما يلي :

« إنّ الواقع السياسي والإجتماعي الضاغط والمخالف لمعتقد وتوجّه الفرد قد يدفعه انطلاقاً من شعوره بالرهبة والخوف على المصير وانعدام الحرية الفكرية والسياسية ، إلى مجاراة الواقع بمختلف تمظهراته من دون أن يتخلّى عن حقيقة معتقده ورؤيته الخاصة ، وإزاء هذه الإزدواجية يجهد لتغيير الواقع من خلال تكريسه لعناصر الخلل وتحويلها إلى عوامل فوضى وعدم استقرار ، وذلك لإعادة وصل جانبه السلوكي والعملي مع منطلقاتها الفكرية والعقيدية التي حالت الظروف دون تواصلهما . والمصاب بهذه الإزدواجية لا يمكنه إخفاء قناعاته بالكامل ، لأنّه لا يستطيع منع إنفعالاته ومشاعره ، النابعة من قناعاته الحقيقية ، من أن تظهر وتعبّر بصدق عمّا يختلج واقعاً في نفسه ، وهذا لا يعني أنها تتساوى في ظهورها بين الأفراد ، وإنّما تختلف بتفاوت قدرة الواحد منهم عن الآخر في التحكم بالسلوك والمشاعر .

وعلى هذا المبنى يكون عامل الخوف ، هو القوّة الخفية الكامنة وراء ذلك النسيج الخادع من الممارسة الإجتماعية والسياسية وحتى الإنفعالات والمشاعر ، وعلى ضوء هذا التفسير يمكن تجنّب ظاهرة النفاق بإطلاق الحرية الفكرية والسياسية وساعتئذ سينكشف السرّ الكامن وراء هذه الحالة المخادعة ، التي هي في الواقع ليست كذلك ، لولا انسجام صاحبها مع نفسه وصدقه في توجهاته ، فهو لو لم تلجئه الظروف إلى ممارسة المعتقد الظاهري لما بادر إلى ذلك وبقي في وضعيته السابقة .

وعلى هذا الأساس يكون النفاق ، في وجوده ، وعدمه يدور مدار الحرية بشقيّها ـ الفكري والسياسي ـ وعدمها .

غير أنّ نظرة متأملة في عيّنات مختلفة من المنافقين عبر التاريخ ، مع ملاحظة الآيات القرآنية والروايات ، تكشفان ـ النظرة والملاحظة ـ بوضوح وهن وضعف ذلك الحصر السابق للعلّة وتمحيضها بالخوف وفقدان الحرية ، إذ أن الكثير من مناشيء حصول ظاهرة النفاق لا تمتّ بصلة إلى الخوف وانعدام الحرية بقدر ما تعود إلى حقيقة الدوافع والأهداف التي قد تتحكم بتصورات الفرد وتدفعه إلى ممارسة مختلف الأنشطة بما يخدم تلك المنطلقات والغايات ، وهي في الغالب ، لا تتلاءم في ظاهرها مع مضامين وروح توجهاته الحقيقية .

فالرياء في العبادة ، كالسفر إلى الحج ، وأداء الصلاة أمام الناس والتظاهر بالصيام ، ودفع الصدقات والتبرعات في المشاريع التي تحقق له الشهرة ، والتظاهر بالتواضع في المجالس التي قد تخدم أهدافه ، وغيرها من المسائل العبادية والأخلاقية والإجتماعية ، التي لا مبرر لممارستها بهذا الشكل ، لولا المنحى الوصولي والرغبة في التسلق إلى المناصب والمراكز الإجتماعية والسياسية وهذه لا علاقة للحرية الفكرية والسياسية من قريب أو بعيد بها ، وإنّما تنطلق من رغبة أكيدة وحقيقية في الوصول إلى أهداف دنيوية محددة أختار لها ، لإنجازها ، وسائل مناسبة يراها مجدية ومؤثرة .

فالموارد التي مرّ ذكرها لا تتطلب معظمها ، في أصل وجودها ، البروز والظهور بل الأصل في ممارسة معظمها التخفي ، والروايات تحص على ممارستها بالخفاء والسر لأنّها أقرب للتقوى وأزهد للنفس .

قال عيسى (ع) « والعبادة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت وجزء في الفرار من الناس »(١١) .

ويورد أبو ذر (رض) أن رسول الله (ص) حدّثه عن فضائل الصمت ومضار الكلام فيما لا يعنيه من المباح فضلاً عن غيره فقال (ص) : « . . . وربّما سألت غيرك عمّا لا يعنيك فأنت بالسؤال عنه مضيّع زمانك وقد ألجأت صاحبك أيضاً إلى التضييع فإنّك تسأله عن عبادته فتقول : هل أنت صائم فإن قال : نعم كان

مظهراً عبادته ، فيدخل عليه الرياء ، وإن لم يدخل سقطت عبادته من ديوان السر وعبادة السر التي تفضّل على عبادة الجهر بدرجات . . . « وكذلك سؤالك عن سائر عباداته . . . »[١٢] .

وقال رسول الله (ص) : « إنّ أغبط أولياء الله عبد مؤمن خفيف الحاذ (قليل المال والعيال) ذو حظ من الصلاة أحسن عبادة ربّه وأطاعه في السرّ وكان غامضاً في الناس لا يشار إليه بالأصابع . . . وعجلت منيته وقل تراثه ، وقلّت بواكيه »[١٣] ورؤي بعضهم يبكي عند قبر رسول الله (ص) فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال : سمعت رسول الله (ص) يقول : « إنّ اليسير[١٤] من الرياء شرك ، وإنّ الله يحب الأتقياء الأخفياء الذين إذا غابوا لم يفقدوا وإن حضروا لم يعرفوا ، قلوبهم مصابيح الهدى » .

وقال عيسى (ع) للحواريين « إذا كان يوم صوم أحدكم فليدهن رأسه ولحيته ويمسح شفتيه بالزيت لئلا يرى الناس أنه صائم ، وإذا أعطى بيمينه فليخفِ عن شماله ، وإذا صلّى فليرخِ ستر بابه ، فإن الله يقسم الثناء كما يقسم الرزق »[١٥] .

ويضيف كاتب المقال : « هذا اللون من الممارسة يعدّ شعبة من شعب النفاق ، لأنّها ينطبق عليها المدلول الإصطلاحي ، « إظهار الحسن ، وإبطان القبيح » مع أن صاحبها لم يقدم عليها بدافع الخوف ، وإنّما بداعي الرغبة في تحقيق مكاسب معنوية وربّما مادية دنيوية .

ويمكن أن نترقى في تصوير بعض مظاهر النفاق ، كما أشار العلّامة الطباطبائي ، وهي متلبسة بصورِ البذل والإنفاق وإعلام الدعم للإسلام والمسلمين ، ليس هذا فحسب ، وإنّما كانت تلك الممارسات والأفعال بدافع الرغبة في نصرة الدين وأتباعه ورؤية المجتمع وقد حكمته شريعة الله تعالى ، لكن ذلك كله قد يكون نتيجة اعتقاده بوجود ملازمة بينها وبين وصوله إلى أعلى المناصب والمراتب في الدولة التي جاهد من أجل عزّتها في حالات الضعف ليستثمر سلطتها في حالتي القوة والعظمة ، ولا فرق في البين ، بين كون بداية إعلان النصر في ظرفي الملاحقة والتنكيل أو الإستقرار والأمان ، لأنّ هذا الفرد الطامع قد

لا يجد سبيلا آخر للوصول غير سبيل الدين فيتديّن به ظاهراً ويخلص الولاء له لوجود الملازمة الشديدة ـ بنظره ـ بين انتصار الدين ، ووصوله إلى ما يريد .

وهذا الصنف من المنافقين لا يقلّ خطراً عن الأوّل إن لم يَفقه ، لأنّه يظهر التماهي في سلوكه وتفكيره مع سلوك وتفكير الجماعة المؤمنة من دون أن يمكّن الآخرين من اكتشاف حقيقة نواياه ودوافعه الأساسية[١٦] .

وإذا اتّضح هذا الشكل الخطير من النفاق ، أمكن تصور الوسائل والأساليب التي قد يستخدمها أفراد هذا الصنف من المنافقين لتحقيق غرضهم ، كالعلم مثلاً ، إذ لمّا كان الهدف الحقيقي من نصرة الدين ودعمه هو الوصول إلى الزعامة والسلطة ، فإنّ أقصر الطرق المقرّبة لهذا الهدف هو العلم ، لما له من موقعية خاصة في الحكومة الإسلامية ، ولهذا قد يسعى المنافق بجدّ لتحصيل العلوم والمعارف الضرورية وكثيراً ما يتمكن هؤلاء من الوصول إلى أعلى المراتب التي تخوله مع ما يمتلك من رصيد ديني ، كان قد امتلكه من جراء مثابرته في نشر الدين ، كما أشرنا سابقاً ، إلى دخول السلطة من بابها العريض .

وقد يمكن للمرء ملاحظة عدم إخلاصه بعد استلامه ذلك المنصب ومن خلال الممارسة ، حيث سيظهر ، للمتتبّع الواعي فقط ، خواؤه الروحي وقلة حرصه على الدين ، وبمعنى عدم مراعاة الدقة في التطبيق ، فضلا عن تحريفه الدين في بعض الموارد التي قد يحول وجودها دون إتمام غلبته وتحقيق غرضه بالكامل ، وتتوافق حقيقة هذا الصنف مع الروايات التي تتحدث عن الأثر الروحي للعلم عند المؤمن وانعدامه عند المنافق مع وجوده عند الإثنين معاً ، « علم المنافق في لسانه ، علم المؤمن في قلبه »[١٧] ، وبذلك يتحول العلم إلى مجرد حالة تصورية نظرية يستخدمه لإظهار الرفعة والزعامة دون النظر إلى إمكانية خدمة الدين والإسلام به ، فضلاً عن تفريغ العلم الإلهي والقرآني من روحهما ومضمونهما فتنعدم بسبب ذلك الضوابط الشرعية في الممارسات السياسية والإجتماعية فيصبح همّ المنافق تأمين الدعم الشعبي له دون الوقوف عند الشبهات والمحاذير فيتساهل في الأحكام لتحقيق غرضه الشخصي . هذا إذا لم يؤول ـ المنافق ـ النصوص والأحكام بما يحقق أو يتوافق مع غرضه السياسي والسلطوي

الـوصـولي ، ولـذا يكـثر من الحـديث عن الـوحـدة والجـماعـة والإجمـاع والـرأي العـام . . . ألخ ، وكـأنها كلها تصبـح الملاك والعلة فيتعـامى عن الغايـة التي من أجلها كانت الوحدة والجماعة محببة ومطلوبة ، وبأنها لا معنى لها إن لم تكن قائمـة على قاعدة الإعتصام بحبـل الله تعالى والإرتبـاط به عـز وجل . وقـد يتجاوز تلك الشعارات . الوحدة ، والجماعة ، الإجماع ، والرأي العام ـ إلى إظهـار التودّد مـع أعداء الله تعالى ناحتاً من بعض إشارات الأدلّة غـير البيّنة أو المؤكّـدة مجموعـة أدلة صريحة واجبة أو مستحبة ، متجاهلاً الآيات الصريحة والروايات الظاهرة المخالفـة لاجتهاداته العقيمة ، لأنه يرى في حصول الوفاق والإتفـاق عليه مـا يدعم مـركزه وقـوّته ، وهـذه الصورة تعكسهـا إحدى الـروايات الـواردة في غرر الحكم (والتي سبق وذكرناها) « كثرة الوفاق نفاق ، وكثرة الخلاف شقاق »[١٨] .

وإذا دمجنـا اللونين الأخـيرين ، الريـاء وحبّ التظاهـر بالـورع والعبادة من ناحية ، والعمل بإخـلاص (لمرحلة معينـة) بغية الـوصول إلى هـدف دنيوي من ناحية ثانية ، إذا جمعنا هذين الشكلين ، وأدرجناهما تحت عنـوان النفاق السلطوي والإجتماعي ، يكون مجموع علل النفاق اثنين : النفاق الناتج عن الخوف وانعدام الحـرية بمختلف أشكـالها ، والنفـاق المتحصل من الـرغبة في الـوصول إلى مـوقع إجتماعي معيّن بين الناس أمّا من خلال الـرياء أو ببـذل الجهد بـالتضحية والإيثـار وتحصيل العلم للوصول إلى موقع سياسي سلطوي(*) .

دعائـم النفـاق

عن أمير المؤمنين (ع) قال : « . . . النفاق على أربع دعائم : على الهوى ، والهوينا ، والحفيظة ، والطمع »[١٩] .

الدعامة الأولى للنفاق

الهـوى

أ ـ إنّ الهوى هو ميل النفس إلى الشـهوة ، وقد سميّ بالهوى ، لأنّه يهـوي بصـاحبه في الـدنيا ، إلى كـل داهية ، وفي الآخـرة إلى الهاويـة ، وإنّ الهـوى هـو

سقوط من علو إلى أسفل ، قال تعالى : ﴿ **فأمّه هاوية** ﴾ .

وهوت أمُّهُ ، أي ثكلت ـ وفي معنى آخر ، أي مقره النار لأنّ الهاوية معناها النار .

والفؤاد الهـواء يعني الخاوي والفـارغ والخالي ، قـال تعـالى : ﴿ **وأفئـدتهم هواء** ﴾ أي خاليـة وأتباع الهـوى مذمـومون عنـد الله كثيراً ، لـذلك قـال تعالى : ﴿ **أفرأيت من اتخذ إلهه هواه** ﴾ .

والخطر في اتّباع الهوى أنه نهاية الضلال والحيرة .

قـال تعـالى : ﴿ **ولا تتبـع أهـواء الـذين لا يعلمـون كـالـذي استهـوتـه الشياطين** ﴾[١] (أي حملته على اتباع الهوى) .

والهوى ذهاب في ارتفاع(٢٠) .

ب ـ ويقال هَوِيَهُ يَهْواه وهُو هو وهي هَوية ، ويقال هو من أهـل الأهواء أي من الـذين يتبعون الهـوى (ولا تتبع الهـوى) وهوى من الجبـل أي سقط ـ وَهَوت الدلو في البئر هويّاً (بالفتح) أي أنزلته ، وهوى إلى الجبل ، وهوى الجبل معنـاه صعده هُويّاً ـ والناقة تهوي براكبها أي تسرع به ويقال طاح في المهواة والهاوية وهي ما بين الجبلين أي سقط .

وتهـاووا فيها أي تسـاقطوا ، وأهـوى بيده إلى الشيء ليـأخذه ـ وهـذه هُـوة عميقة وجمعها هُوى ـ وهوى الرجل يعني مـات ـ ويقال : جلستْ عنـده هَويّـاً أي ملياً ـ ومعنى هَوي من الليل أي جزء منه . وفي المجاز : انه لهواء أي خالي القلب عن الجرأة(٢١) .

ج ـ ويقال : هَوَى الرجل = تردّى وهلك ، وكأنمـا سقط من مكان عـال ، ويقال : هَوَت الدابة والماشي : أسرع ويقال : هوى إلى وطنه أي نزع إليه وحنّ ـ وهوى النجم = غاب وغـرب أو أسرع في انكداره وهـو في مرأى العـين يسقط من علو إلى أسفل .

---

[١] سورة الأنعام : الآية ٧١ .

قال تعالى : ﴿ ومن يحلل عليه غضبي فقد هـوى ﴾[١] . ﴿ فاجعـل أفئدة من النـاس تهوي إليهم وارزقهم من الثمـرات ﴾[٢] ، أي تهوي وتسـرع في ميـل وحنين .

وقال تعالى : ﴿ فتخطفه الطير أو تهوي به الريـح في مكان سحيق ﴾[٣] ، أي تسقط وتسفل وقيل : إنّ الهـاوية هي الـوحدة الغـامضة من الأرض لا يـدرك قعرها .

قال تعالى : ﴿ وأمّا من خفّت موازينه فأمه هاوية ﴾[٤] ، أي نار سـافلة لا يدرك قعرها هَوِية يهواه هَوَىً = أحبه ومال إليه . ويجمع الهوى على الأهواء .

الهواء : الخلاء بين السماء والأرض ، واستهواه الشيطان : أي حمله على أن يهوى أي يذهب ويسرع أو حمله على أن يهوى ويميل إلى الضلال .

وإنّ أكـثر ما يستعمـل الهوى في الميـل إلى الباطـل ومـا ليس بحق ، ويـأتي الهوى بمعنى الشهوات ، وما تميل إليه النفس في المذاهب والإعتقـاد ونحو ذلـك ، ممّا يجانب الحقّ ، ويجافي الصواب ، ويستعبد النفوس(٢٢) .

الدعامة الثانية للنفاق

الهـوينا

الهـوينا هي تصغـير الهُوْنى ، وإنّ الهـونى مؤنث الأهْوَن ، وهـو من الهَوْن ، وهـو الرفق واللين والتثبت والمراد هنا : التهـاون في أمر الـدين ، وترك الإهتـمام به(٢٣) .

---

[١] سورة طه : الآية ٨١ (أي هلك) .

[٢] سورة إبراهيم : الآية ٣٧ .

[٣] سورة الحج : الآية ١ظ .

[٤] سورة القارعة : الآية ٩ .

الدعامة الثالثة للنفاق
الحَفيظَـة

الحفيظة في اللغة :

أ ـ حفظ الشيء يحفـظه حفظاً ، أي رعـاه ، وصانـه ، فهو حفيظ وحـافظ وهم حافظون وحفظة وهي حافظة وهنّ حافظات ، وإسم المفعول محفـوظ ، وقد يُضَمّن حـافظ وحفيظ معنى رقيب مهيمن فيعدى بحـرف (عـلى) . والحفيظ من صفات الله عزّ وجل : حفظ السموات والأرض بقدرته .

وجـاء أنّ المحافـظة على الصـلاة : صـونها ورعـايتهـا وذلـك لا يكـون إلاّ بالمواظبة عليها

وأخيـراً : الحفيـظة تعني حفظ الشيء في داخـل النفس وقـد تعني الغضب والحمية[٢٤] .

ب ـ انّ الحفيظة هي الغضب الذي تحمل عليه المحافظة ، ثم استعمـل في الغضب المجرّد فقيل :

(أحفظني فلان أي أغضبني)[٢٥] .

ج ـ يقـال : هـو من أهـل الحفيـظة ، والحفـظة ، وهم أهـل الحفـائظ والمحفظات وهي الحمية والغضب عند حفظ الحرمـة وفي المثل : « المقـدرة تذهب الحفيظة » ، « يضرب في وجوب العفو عند المقدرة » ، قال الحطيئة :

يسـوسـون أحـلامـاً بعيـداً أنـاتهـا   وإن غضبـوا جـاء الحفيـظة والجـدّ

وقيل : « حفظة أكنّها ضميري » .

ويقولون : ألك محفظة أي حـرمة تحفـظك أي تغضبك ، ويقـال : أَحْفَظَهُ كذا أي أغضبه[٢٦] .

ومن كـل ما سبق ، يمكن القـول : إنّ المقصود بـالحفيظة ، كـدعـامـة من دعائم النفاق ، هو الغضب .

الدعامة الرابعة للنفاق

الطمـــع

الطمع في اللغة :

أ ـ المعنى الحِسي : يقـال تـطميـع القـطر ، أي أن يبـــدأ فيجيء منـه شيء قليل ، ويرجى بعده ما هو أكثر منه .

ويجيء المعنوي : وهو الحرص ، ونزع النفس إلى الشيء ، شهوة .

وأكثر ما يكون ذلك في قريب الحصول ، والفعـل ـ كفرح ـ طمـع فيه وبـه (طمعاً وطماعة وطماعية)(٢٧) .

قال تعالى : ﴿ وادعوه خوفـاً وطمعاً ﴾[١] ، ﴿ والـذي أطمع أن يغفـر لي خطيئتي ﴾[٢] ، ﴿ فيطمع الذي في قلبـه مرض ﴾[٣] ، ﴿ أفتـطمعون أن يؤمنـوا لكم ﴾[٤] ، ﴿ نطمع أن يدخلنا ربّنا ﴾[٥] .

ب ـ ويقال : طمعت ، أطمع ، طمعاً وطماعية ، فهو طمع وطامـع قال : « إنّا نطمع أن يغفر لنا ربّنا أفتطمعون أن يؤمنوا لكم خوفاً وطمعاً » ولـمّـا كان أكـثر الطمع من أجل الهوى قيل : الطمع طبع ، والطمع يدنس الإهاب(٢٨) .

ج ـ يقال رجل طامع وطـمّاع وطَموع وطمُـعٌ وإن فلانـاً لطمـع أي حريص وفيه طمع وطماعة وطماعية .

ويقول المثل : « وأذلّ أعناق الرجال الأطماع والمطامع » .

وفي المجاز : أخذ الجند أطماعهم أي أرزاقهم . وإنّ الطير يصاد بالمطامع ، جمع مُطْمع أي (الشبكة والشرك)(٢٩) .

---

[١] سورة الأعراف : الآية ٥٦ .

[٢] سورة الشعراء : الآية ٨٢ .

[٣] سورة الأحزاب : الآية ٣٢ .

[٤] سورة البقرة : الآية ٧٥ .

[٥] سورة المائدة : الآية ٨٤ .

وبعد هذه الجولة اللغوية ، لفهم معاني الألفاظ المعبرة عن دعائم النفاق ، نورد الخبر الوارد حول هذا الموضوع كاملاً :

عن أمير المؤمنين (ع) قال : « . . . النفاق على أربع دعائم : على الهوى ، والهوينا ، والحفيظة ، والطمع .

فالهوى على أربع شعب : على البغي ، والعدوان ، والشهوة ، والطغيان . فمن بغى كثرت غوائله وتخلى منه وقصّر عليه ، ومن اعتدى لم يؤمن بوائقه ولم يسلم قلبه ولم يملك نفسه عن الشهوات ، ومن لم يعدل نفسه في الشهوات ، خاض في الخبيثات ، ومن طغى ضلّ على عمد بلا حجة .

والهوينا على أربع شعب : على الغرة ، والأمل ، والهيبة ، والمماطلة ، وذلك بأن الهيبة ترد عن الحقّ ، والمماطلة تفرط في العمل ، حتى يقدم عليه الأجل ، ولولا الأمل علم الإنسان حسب ما هو فيه ، ولو علم حسب ما هو فيه ، مات خفاتاً من الهوى ، والوجل ، والغرة تقصّر المرء عن العمل .

والحفيظة على أربع شعب : على الكبر ، والفخر ، والحمية ، والعصبية . فمن استكبر أدبر عن الحق ، ومن فخر فجر ، ومن حمي أصرّ على الذنوب ، ومن أخذته العصبية جار ، فبئس الأمر أمر بين إدبار وفجور ، وإصرار ، وجور على الصراط .

والطمع على أربع شعب : الفرح ، والمرح ، واللجاجة ، والتكاثر . فالفرح مكروه عند الله والمرح خيلاء ، واللجاجة بلاء لمن اضطرّته إلى حمل الآثام ، والتكاثر لهو ولعب وشغل ، واستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير ، فذلك النفاق ودعائمه وشعبه »[٣٠]

زبدة الكلام :

الإنعكاسات السلبية لدعائم النفاق وشعبها :

إنّ للهوى والهوينا والحفيظة والطمع ، التي تشكل دعائم للنفاق ، إنعكاسات سلبية على المستويين الفردي والإجتماعي .

أ ـ على المستوى الفردي

إنّ دعائم النفاق تفعل أفاعيلها السيئة في النفوس ، وهي تتمظهر بمظاهر عدّة منها :

١ ـ انّ الهوى يضع حاجزاً كبيراً بين الحق ، وأهل الأهواء ، ويمنع الرؤية الصحيحة ، ويسدّ آفاق الفكر ، ويأسر العقل ، وينحرف بالإنسان ، عن الطريق السوي .

٢ ـ والهوينا : أي التهاون بأمور الدين ، والإلتهاء بأمور ثانوية ، لا تسمن ولا تغني من جوع كما يقال ، تؤدي إلى خسران الدنيا والآخرة ، وبالتالي إلى فقدان التوجه الصحيح ، وتُحوّل الإنسان إلى مخلوق طفيلي ضار في المجتمع .

٣ ـ والحفيظة : هي الدوافع العدائية السبعية ، التي تتملك الشخص ، وتقوده إلى العمل ، بكل جهد للايقاع بالآخرين ، وتنفيس الحقد الدفين المخزون ، في أعماقه بمعاداتهم وإلحاق الأذى بهم .

٤ ـ والطمع : يملك على الشخص أموره ، ويجعله لا يرى إلاّ مصلحته الذاتية ، ضارباً بعرض الحائط كل مصحلة إلاّ مصلحته ، إنّ هذه الصفات السيئة سبب في تباعد الأهل والإخوان ، وفرط عقد المحبة بين الأقران ، ممّا يفسح المجال أمام الصراعات على مختلف المستويات .

ب ـ على المستوى السياسي والإجتماعي

أما على المستوى الإجتماعي والسياسي ، فإنّ دعائم النفاق هي الأسافين التي تدقّ بجدران التماسك الإجتماعي فتعمل على تهديمه ، والتفكك الحاصل في المجتمعات البشرية ، لا يبعد أن يكون المؤثّر الأساسي والفاعل في تهديم دعائمه ، هذه الدعائم التي تشيد أبنية النفاق ، وتهدم بناء الإيمان ، والعدل ، والحقّ .

ومن هذا المنطلق ، كانت الصراعات السياسية والعسكرية لتحقيق مآرب عنصرية أو قومية أو تسلطية طاغوتية .

شعب دعائم النفاق

١ ـ الهوى على أربع شعب : ١ ـ البغي ٢ ـ والعدوان ٣ ـ والشهوة ٤ ـ والطغيان .

١ ـ فالبغي الذي هو تجاوز الحدّ في كل أمر من الأمور كمّاً وكيفاً ، وهو الظلم في أعلى درجاته لأنّه يؤدّي إلى ارتكاب المآثم ، والعدول عن طريق الحقّ إلى طريق الباطل .

٢ ـ والعدوان هو تجاوز على الغير وإلحاقُ الأذى به ، وهو ينافي كل التئام وصفاء ، والعدوان تارة يكون في القلب وهو العداوة أو المعاداة ، وأخرى على مستوى الإخلال بالعدالة في المعاملة ، باعتبار أنّ العدوان هو انعكاس لمشاعر العداوة عند أهل النفاق .

٣ ـ والشهوة تعني نزوع النفس إلى ما تريده ، وترغبه حلالاً كان أم حراماً ، وبالأخص فيما لم يأمر به دين ، ولا عقل ولا عرف ، وهذا يؤدّي إلى الخلل الكبير على مستوى الأخلاق بشكل عام ، والبناء الأخلاقي للفرد والمجتمع .

٤ ـ والطغيان هو التجاوز الأكبر الهادف إلى السيطرة الكاملة على الطرف المقابل ، دون التورع عن أية مذمة ، أو مظلمة معنوية أو مادية ، بهدف ابتلاع حقوق الآخرين ، وتجيير أعمالهم لصالح الطغاة .

٢ ـ والهوينا على أربع شعب : ١ ـ على الغرة ٢ ـ والأمل ٣ ـ والمماطلة ٤ ـ والهيبة .

١ ـ إنّ الغرة (وهي الغفلة في حال اليقظة) ، شعبة من شعب الهوينا التي هي الإلتهاء عن كل ما من شأنه التقرّب من الدين ، والأخلاق ، وممارسة الأعمال المرضية لله تعالى ، إذ كيف يقرب من الدين ، ويلتفت للأخلاق الحميدة ، من همّه بطنه ، وشهواته ، ورائده التلهي بقشور الدنيا وترهاتها .

٢ ـ وأمله أن تطول هذه اللذة الدنيوية ، وأن تبقى الإمكانيات لديه متوفرة وألاّ تنتهي هذه الحياة ، وأن لا يأتي معها الموت الذي لا بدّ منه .

ومقومات الغرّة والأمل هو ما يتمتع به هذا الإنسان المغرور ، من القدرة والوجاهة والهيبة ، وما يؤهله للبقاء فيها يتمتع به من المميزات ، وخصوصاً المادية منها والجسدية ، فضلاً عن الميزات المعنوية . . .

٣ ـ وهو يماطل ويسوّف ، ولا يستمع للنصائح ، ولا يرتدع بالمواعظ ، ولا يرعوي عن الموبقات ، لا بقول ولا بفعل .

والحفيظة على أربع شعب : ١ ـ على الكبر ٢ ـ والفخر ٣ ـ والحمية ٤ ـ والعصبية .

إنّ الحفيظة ، وشعبها الأربع : **الكبر** ، **والفخر** ، **والحمية** ، **والعصبية** ، كلها مفردات تدلّ على الذات والخصوصية الزائدة ، وهي تختصّ بصفات الإنسان الفردية ، التي تجعله مميزاً عن الآخرين بالإتجاه السلبي في أكثر الأحيان .

١ ـ فالكبر وهو الحالة التي يختص بها الإنسان من إعجابه بنفسه ، فلا يرى فوقه أحداً ، ولا يقتصر تكبّره على غيره من البشر ، بل يتعداه ليستكبر عن عبادة ربّه ، والمتكبّر لا يعجب أحداً لسوء فعله ، ومسلكه ، ولا يعجبه أحد ، لأنه يعتقد أنه أهم من الجميع .

٢ ـ وأمّا **الفخر** فهو المباهاة ، تارة بالأشياء الخارجة عن الذات من مال وجاه ، وتارة أخرى المباهاة بالذات والصفات الخاصة ، والفخور يتباهى بكل شيء يخصه ، فيهبط بالسامي من المعاني إلى الحضيض ويرتفع بالمنحط إلى الأعلى ، فربما يتباهى بإنتاج فكري ، أو إحسان لإنسان ، أو عبادة لله . . أو يتباهى بفعل شنيع ، أو أذية مؤمن ، أو قطع ما أمر الله به أن يوصل . انّ الفخور المنافق لا يرى إلاّ نفسه ، ولا يعترف بجميل إلاّ من خلالها ، فهو يرى القبيح في نفسه جميلاً ، ويرى الجميل في غيره قبيحاً ، فبئس خصلة هي من خصال النفاق .

٣ ـ **والحمية والعصبية** من الصفات التي تحتمل وجهين ، سلبي وإيجابي ، فإذا كانت الحمية للدفاع عن حقّ ، وكانت العصبية لردّ مظلمة أو تمسك بحق فهي إيجابية ، ويرضاها الله والعاقلون ، أمّا إذا كانت الحمية حمية الجاهلية ، التي لا تفرق بين ظالم ومظلوم وإذا كانت العصبية هي العصبية القائمة على أساس

(أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً)، بالمعنى الجاهلي، أي انصره وإن كان ظالماً، فإنّ الحمية والعصبية ، في هذه الحال تكون من شعب الحفيظة ، التي هي من دعائم النفاق ، كما جاء في الخبر : إذ ليس من العصبية ، كما عن الصادق (ع) ، أن يحب الرجل قومه ، بل من العصبية أن يرى شرار قومه ، خيراً من خيار قوم آخرين .

٤ ـ وإنّ الطمع على أربع شعب : ١ ـ الفرح ٢ ـ والمرح ٣ ـ واللجاجة ٤ ـ والتكاثر .

إنّ الطمع وشعبه الأربع ، ليست من خصال أهل الإيمان ، ولا تدلّ على رجاحة عقل المتّصف بها ، بل هي من صفات المنافقين ، المذمومين ، والمعذبين عند الله تعالى .

١ ـ **فالفرح** بمعنى البطر ، ونسيان الآخرة ، والشعور بعدم المسؤولية عن الآخرين ، مبغوض عند الله ، ولا يزين المرء في دنيا كلها بلاءات ومصائب وفيه دلالة على خفة العقل وعدم الإتزان ، وعلى دنيوية صاحبه ، وتعلّقه بسفاسف الأمور .

٢ ـ **والمرح** هو صنو اللهو ، ومعناه التخلّي عن الأمور الجديّة ، وهو الداعي للقيام بأعمال صبيانية ، والإنسان المرح ، كثير التّصابي ، وبعيد عن عالم الجد ، والعمل المثمر ، لا يرجى منه أية نتيجة إيجابية ، وأي عمل مركّز ومسؤول .

٣ ـ **واللجاجة** في كل أمر تضر أكثر مما تنفع ، ويصبح اللجوج منفّراً ، وممجوجاً من الآخرين .

٤ ـ **والتكاثر** من الطمع ، وهو استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير . والتلهي بالتكاثر ، لا يبقى وقتاً ، أو مجالاً لعمل خير ، ولا لطاعة مقبولة ، يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ **الهاكم التكاثر ، حتى زرتم المقابر** ﴾ .

فكل الذي ذكرناه ، هو النفاق وشعبه ، وقانا الله شره ، وشر العاملين فيه .

وبهذا نكون قد بيّنا معنى النفاق وأسبابه ، ومظاهره ، ودعائمه ، وشعبه وانعكاساته ، وبقي أن نتحدث عن آثاره ونتائجه ، فما هي هذه الآثار والنتائج يا ترى ؟ .

آثار النفاق

إنّ للنفاق تأثيرات مختلفة على الفرد والمجتمع كما أسلفنا باعتبار أن ظاهرة النفاق لها تأثير عميق في النسيج الإجتماعي للأمة الإسلامية ، وذلك لأنّ النفاق يقوى وينمو عند نمو الوضع الإسلامي عقائدياً ، وإجتماعياً ، وسياسياً ، فيتحول بعض أعداء الإسلام ، وبعض الكفار إلى منافقين لأسباب مختلفة ، منها أسباب نفوذية إلى داخل الصفوف الإسلامية ، ومنها أسباب مصلحية ، أو خوف وجبن .

من آثار النفاق على المستوى الفردي

١ ـ إنه مفسد للإيمان .
٢ ـ وإنّه أخو الشرك .
٣ ـ وإنّه توأم الكفر .
٤ ـ وهو شين للأخلاق .
٥ ـ وإنّ النفاق خيانة لله ورسوله .

قال تعالى : ﴿ **فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه** ﴾[١] .

١ ـ النفاق يفسد الإيمان

لا إيمان إلّا بخلوص نية ، وخلوص النية وسلامتها ، يتبعه سلامة القول ، وسلامة العمل ، وبما أن النفاق هو موافقة لما يقتضيه الإيمان في الظاهر ، ومخالفة له في السر ، فإنه يقود إلى التواء في الممارسة ، تفضي إلى ارتباك في العمل ، وقلق

[١] سورة التوبة : الآية ٧٧ .

في النفس ، وتشوش في المواقف ، وكل ذلك يقـود إلى عدم السـلامة والإستقـامة والسـوية عنـد الإنسان ، لـذلك كـان صاحب هـذه الوضعيـة ، والـذي نسميـه منـافقاً ، بعيـداً عن الدين والإيمـان كل البعـد ، لأنّ الإيمان هـو موافقـة الظاهـر للباطن ، والنفاق يفسد هذه الموافقة ويخرّبها .

قال علي (ع) : « النفاق مفسدة للإيمان »[٣١] .

٢ ـ النفاق أخو الشرك

إنّ الشرك يعني أن يجعل المشرك مع الله إلهـاً ، أو آلهة أخـرى ، إفتراء عـلى الله وكذباً ، وعلى هذا فالشرك هو تعـدد الخالقـين الأرباب ، وهـذا محال ، وهـو مخـالف للحقّ ، وموافق للبـاطل ، والنفـاق ، ظاهـره الإيمان والعبـادة المزيفـة ، وجوهره وحقيقته الكفر ، والإنحراف .

لذلك قال الإمام علي (ع) : « النفاق أخو الشرك »[٣٢] .

٣ ـ النفاق توأم الكفر

إنّ الكفر هو أن تجحـد بالله ، وتعبـد غيره ، والنفـاق هو أن تعبـد غير الله حقيقة ، وإن كنت تظهر عبادتـه سبحانـه ظاهـراً ، وبهذا يستـوي النفاق والكفـر بعدم عبادة الله وعبادة غيره والخضوع له .

وقد قال الشاعر معبراً عن حقيقة الإيمان ، وحقيقة الكفر :

خضـوعي لـربّي لا لسـواه ... ولسـت أسـير بغـير هـداه
ويخشـع غـيري لعبـد ضعيف ... ويعبـد غـيري ضـلالاً هـواه

وقد تبينّ من كل هذا ـ أنّ النفاق كفر ، ونظراً لأنّه يتّصف بميزات تميزه عن الكفـر العادي ، لـذلك خُصّ بـاسم خاص فكـان كـما قـال الإمـام عـلي (ع) : « النّفاق توأم الكفر »[٣٣] .

٤ ـ النّفاق شين للأخلاق

إنّ القيام بالأفعال الرديئة، والمنكرة، المرفوضة عقلاً وعـرفاً، تحطّ من قـدر

الإنسـان الـذي يقـوم بهـا ، وإنّ النفــاق عيب أخـلاقي وإجتـماعي ، يسيء إلى شخصيـة الإنسان ويجعله مبغـوضاً ، ومـرذولاً من الناس ، لأنّـه صفـة سلبيـة لا تعتري أحداً إلّا وتحيله إلى إنسان تافه مريض ، خلقياً ، وعقائدياً ، شريـر متلوّن في أفعاله ، يفقد المروءة والحمية ، وإظهاره التـديّن ، يعبر عن مـآرب شخصية ، يقابله شرّ باطن ، وحقيقي ، أكثر سوءً من الكفر الظاهري .

قـال علي (ع) : « النفـاق شين لـلأخلاق »[٣٤] و« عـادة المنافقـين تهـزيـع الأخلاق »[٣٥] .

٥ ـ رأس النفاق الخيانة :

إنّ لكل شيء أساساً ، وقاعدة ، ومرتكـزاً ، كما أن لـه رأساً ، ومنـطلقاً ، وأحط دركات النفاق الخيانة . لأنّ المنافق هو إنسان قد خـان ربّه ، وخـادع الله ، والله خادعه ، وذلك باعتبار أن المنافق يضمر غير ما يظهر ، وهذه خيانة للنفس ، ومن يخون نفسه ، فإنه يملك القابلية لكل أنواع الخيانة ، وذلك لأنّ أقبح ما يكون الإنسان ، هو أن يكون ظاهراً موافقاً ، وباطناً مخالفاً ، وهذه الخيانة تنسحب على جميع مجالات الحياة الخاصة والعامة : الفردية والإجتماعيـة والسياسيـة كما سنتبـيّن ذلك فيما يأتي .

وقد قال علي (ع) : « الخيانة رأس النّفاق »[٣٦] .

آثار النّفاق على المستوى العام

كتبت مجلة المنـطلق حول الآثـار المترتبـة على النفـاق ، في بحث أشرنا إليـه سابقاً ما يلي :

« إنّ وجود ظاهرة النفاق ، بما هي فعل خديعة ، في المجتمـع الإسلامي ، ينطوي على مخاطر جمّـة قد تصـل إلى مستوى تهـديد المجتمـع كلّه ، بالإنهيـار من الداخل ، صحيح أنّ بقاء تلك الـظاهرة مستـترة ، في مرحلة من المـراحل ، قـد تخدم بعض الشيء الرسالة والدعوة في ظرف مواجهة العدو العقـائدي ، بـاعتبار أنّ المنـافقين بتكتمهم ومشـاكلتهم للمسلمين في السلوك والتفكـير وفي المـوقف بعض

الأحيان ، قد تظهر ساحة المسلمين بهيئة موحّدة ، ممّا قد يحول دون مواجهتها وضربها أو يؤخر ذلك إلى فترة يحتاجها المسلمون من أجل تصليب وحدتهم وتعميم وجودهم وانتشارهم ، ممّا يضعف مستقبلاً ، من فرص ضربهم ، إلاّ أنّ ذلك لو حصل لا ينفي مخاطر وجودهم المخرب .

إذاً يمكن الإستفادة إيجابياً من وجود المنافقين في وسط المسلمين في حالات الضعف ، مع الحذر الشديد من ممارستهم المشينة ، غير أنّ التعاطي على هذا المستوى يفترض مسبقاً فضح التيار الثقافي داخل المجتمع وتشخيصه وتحديده ، ومن ثم محاولة تعريته بين الجماعة لكي تبقى الجماعة حذرة من خطابه ودسائسه .

وهذه خطوة لا بد من اتخاذها لأنّها تمهّد لأخرى لا تقل أهمية عنها بل هي أعظم منها مؤدّاها أنْ لا تتاح الفرصة لهؤلاء بالتسلل إلى أجهزة الدولة وقيادتها (أو أجهزة الحركة الإسلامية وقيادتها) ، حتى لا تمكّن من امتلاك الوسائل والأدوات المدمّرة ، ومن موقع القرار ، للمسيرة الإسلامية .

وهذا ما يمكن استفادته من تجربة الرسول (ص) الذي كان ربّما يراهن على عنصر الوقت لافتضاح أمر المنافقين بين الناس وعزلهم فضلاً عن إتاحة الفرصة الحضارية للذرية المنافقين لكي يذوبوا في المجتمع بعد زوال أثر المؤسسين للحالة الخبيثة » .

١ ـ التخويف

« يسعى المنافقون دائماً وتحت تأثير مرضهم القلبي ، إلى إثارة مشاعر الخوف من المستقبل عند المسلمين لكي يثنوا هؤلاء عن اتّخاذ مواقف حاسمة وتبقى قراراتهم ممسوخة وغير فاعلة ، وهذا ما نقرأه في مواقف عبد الله بن أبي أثناء غزوة بني القينقاع ، عندما سعى لإخافة المسلمين ومخاطر الإقدام على قتل جميع مقاتلي بني القينقاع(٣٧) .

وقد نقل القرآن الكريم موقفهم بوضوح بقوله : ﴿ فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو

أمر من عنده فيصبحوا على ما أسرّوا في أنفسهم نادمين ﴾[١] .

وكذلك نجد الموقف نفسه أثناء غزوة تبوك عندما شرع المنافقون بتخويف المسلمين من الروم وينقل في المناسبة عن بعضهم مخاطبة المسلمين : « أتحسبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضاً ؟ والله لكأنّا غداً مقرنين في الحبال »[٣٨] .

٢ ـ إثارة المشاعر العصبية ـ من قبلية وقومية وحتى وطنية

« قد لا نجد في مطويات كتب السيرة والتاريخ نصوصاً تتحدث عن المشاعر الوطنية بحرفيتها ـ أو القبلية ـ بلفظها ـ وإنّما قد تنحصر بالمشاعر القومية والإقليمية ، لكنه يصح تعميم العنوان وزيادة مساحته ، لأنّ غرض المنافق ينصب في الدرجة الأولى على التجزئة ، وقد يتسنّى له إثارة قضية دون أخرى تبعاً لخصوصية الظرف والمقام ، لكن ذلك ، لا يمنعه بالطبع أن يثير غيرها إذا اقتنع وآمن بتأثيرها السلبي على وحدة المسلمين .

فالتحريض الذي باشره عبد الله بن أبي ضد المهاجرين ، قد يباشره المنافقون المعاصرون ضدّ مسلمين من أوطان وجنسيات وقوميات ومذاهب مختلفة ، فالعبرة في الغاية لا في الوسيلة فهي قد تتغير بتغيّر الظروف الموضوعية من جغرافية أو سياسية أو تاريخية . . . الخ .

لذا فإنّ الخطاب التحريضي لعبد الله بن أبيّ لطرد المهاجرين وعزلهم خطاب يمكن أن يتجدد تحت شعارات مختلفة تماماً . ولا ضير في توسيع الشعار أو تجريده لجعله رمزاً ، أما الكيفية فلنتابع مسيرة عبد الله بن أبيّ في هذا الإطار . . . المعروف أن عبد الله بن أبيّ كان من أصحاب الرأي الذي يقول بضرورة مواجهة المشركين من قريش ، داخل المدينة ، ملتقياً في ذلك مع موقف الرسول (ص) الأولي ، لكنه بعد إجراء المشورة المطلوبة ارتأى الرسول (ص) الخروج منها للقاء القوم بعيداً عنها ، الأمر الذي لم يرق لعبد الله وجماعته إن لجهة عدم العمل برأي

---

[١] سورة المائدة : الآية ٥٢ .

زعيمهم أو لانعدام مبرر القتال خارج المدينة طالما الهدف الأوّل والأخير بالنسبة لهم هو الحفاظ على المدينة وحدها ، ولهذا انخذل عبد الله بن أبي بثلث القوم وقال : « أطاعهم وعصاني ، ما ندري علام نقتل أنفسنا ها هنا أيها الناس » فرجع بمن اتّبعه من قومه من أهل النّفاق والريب[٣٩] .

وبدت فتنة المنافقين ، في إثارة المشاعر الإقليمية ، أكثر وضوحاً على أثر غزوة بني المصطلق عندما اقتتل أجير[٤٠] عمر بن الخطاب من بني غفّار مع الجهين[٤١] حليف بني عوف من الخزرج على الماء وصرخ الأوّل : يا معشر المهاجرين وصرخ الثاني : يا معشر الأنصار ، عندها غضب عبد الله بن أبي سلول وقال : « أو قد فعلوها ـ وبقصد المهاجرين ـ قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا ، . . . أما والله لئن رجعنا إلى المدنية ليخرجن الأعزّ منها الأذلّ » ثم أقبل على من حضره من قومه ، فقال لهم : « هذا ما فعلتم بأنفسكم ، أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم »[٤٣] .

ومن الملفت ، أنّ هذا الخطاب يتقارب مع ما يثار في أيامنا من قبل تيار النفاق المعاصر الذي يجيد تماماً كسلفه لعبة التحريض المنطلق من إثارة المشاعر الوطنية والإقليمية بحيث يجهد نفسه لمنع المسلمين من التواصل في جهادهم وقضاياهم ، ليبقوا ، كما هو الواقع مجموعة تكتلات أو تجمعات بشرية تحكمها أنظمة غير إسلامية متعارضة لا بل متباينة إلى حد لا يصدق على المسلمين الذين يقطنون دار الإسلام ـ الأرض الإسلامية ـ عبارة عن مجتمع إسلامي أو أمة إسلامية ، لانتفاء العناصر المقوّمة للعنوانين السابقين من واقع المسلمين السياسي الحالي .

٣ ـ إثارة المسائل الأخلاقية

« لم يترك المنافقون وسيلة إلاّ اتبعوها من أجل إماتة الدين وتشويه سمعة المسلمين قادة وقواعد وذلك ليبعدوا الناس عنهم ، ومنها المسألة الأخلاقية ، التي تتسمّ بالدقة والحساسية المفرطة في المجتمعات المحافظة التي تقيم ـ في العادة ـ وزناً

للعفة والشرف ، ولهذا لم يتردد المنافقون في صدر الإسلام عن استخدام هذا العنصر المهم لتحقيق أهدافهم ، وقد وصل بهم الإسفاف إلى حدّ النيل من الرسول محمد (ص) وإحدى زوجاته في قصة (الإفك) المعروفة وقد نزلت في حقّهم آية قرآنية تصفهم دون أن تسميّهم ﴿ **إنّ الذين جاؤوا بالأفك عصبة منكم ، لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم ، لكل امرىءٍ منهم ما اكتسب من الإثم ، والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم** ﴾[1] .

وذكر ابن هشام في سيرته ، أنّ البعض اعتبر عبد الله بن أبيّ وأصحابه هم المقصودين من هذه الآية .

٤ ـ تجزئة وحدة المسلمين

« لا شك أن وحدة المسلمين ، كانت من الظواهر التي تؤرق المنافقين ، لذلك لم يتوانوا عن استخدام مختلف الوسائل لضرب هذه الوحدة التي ، كان لها الأثر البالغ في مجمل الإنجازات التي تحققت على أيديهم بقيادة الرسول محمد (ص) ، ولذلك سعوا إلى إيجاد شرخ بين الرسول محمد (ص) وكبار الصحابة ، من خلال زرع بذور الريبة والشك ، ومسألة إرجاف المنافقين بعلي بُعيد خروج الرسول محمد (ص) إلى تبوك تدخل في هذا السياق ، فقد أشاعوا أن الرسول (ص) « ما خلفه إلاّ استثقالاً له ، وتخففاً منه » ، إلاّ أنّ علياً (ع) لم يدع مقولتهم تأخذ مداها ، إذ أتى رسول الله (ص) وهو لا يزال قريباً من المدينة فأخبره بما قاله المنافقون فقال الرسول (ص) : « كذبوا ، ولكني خلفتك لما تركت ورائي ، فأرجع فاخلفني في أهلي وأهلك ، أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ؟ إلاّ أنه لا نبي بعدي »[٤٣] .

ولما كانت وحدة المسلمين وائتلافهم يتحديان كل مؤامرات المنافقين وغيرهم ، وتحبط الكثير من الخطط ، فإنّ أفضل سبيل لإزالة هذا العنصر الحساس والمهم من طريق مخططاتهم كان يكمن في إحداث الفرقة والتجزئة داخل صفوف المسلمين ، وبما أن المسجد داخل المدينة كان يجسد هذه الوحدة ، من

---

[١] سورة النور : الآية ١١ .

خلال احتضانه لكل المسلمين في أوقات الصلاة وخلف قائد واحد فقط ، فإنّ نظر هؤلاء انصب على رمز وحدتهم فأرادوا النيل منه ، وهو المسجد ، فخططوا لبناء مسجد يكون وسيلة لمنع التقاء كل المسلمين ، بحجة التخفيف عن المرضى والعجز والمصلين في الأيام والليالي المطيرة والشاتية(٤٤) . إلّا أنّ مؤامراتهم الجديدة لم يكتب لها النجاح ، فقبل أن يبادر الرسول إلى الصلاة في مسجدهم ويعطيه الشرعية المطلوبة ، أخبره الباري تعالى عن المسجد وعن كل ما كان يكيده المنافقون ، وذلك قبل عودته من تبوك إلى المدينة : ﴿ **والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل ، وليحلفنّ أن أردنا إلّا الحسنى والله يشهد أنهم لكاذبون ، لا تقم فيه أبداً ، لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبّون أن يتطهّروا ، والله يحبّ المطهرين** ﴾[١] .

عندها أمر الرسول (ص) بإحراقه وهدمه ، ليحول دون تكريسه وليفوّت على المنافقين أهدافهم الخبيثة .

ومسألة مسجد ضرار ، ترمز إلى إمكانية استخدام المنافقين في كل عصر المظاهر الدينية والمؤسسات ذات الطابع (الروحي) لمحاربة الدين ، وهذه من أخطر الأساليب لأنّها لا تنكشف بسهولة ويسر للنّاس السذج الذين قد يستثاروا لمحاربة المسلمين نتيجة جهلهم بالشبهات والأضاليل .

هذه بعض الأساليب والوسائل التي سبق واستخدمها المنافقون الإعتقاديون في مرحلة من مراحل الدعوة ، إلّا أنّ ذلك لا يعني اختصاص أهل ذلك العصر بها ولا أهل ذلك الصنف فبالإمكان ممارستها حتى من قبل المنافقين المعاصرين بكلا صنفيها ـ الإعتقاديين والعمليين ـ .

ولما كنّا سابقاً قد حكمنا على النفاق العملي بأنه أخطر حالات النفاق وبأنّه أخفى على الناس من النفاق الإعتقادي فإنّه لا بأس بمحاولة الكشف عن قواعد ووسائل لفضحهم . لكن أقصر الطرق وأقربها للواقع ، هي تلك التي تنطلق من

---

[١] سورة التوبة : الآية ١٠٧ ـ ١٠٨ .

تشخيص أهدافهم من جهة ودراسة سلوك رموزهم التاريخيين في صدر الإسلام وخلال مسيرة المسلمين من جهة ثانية .

فإنّهما قد يسهما في وضع جملة افتراضات علمية تساعد في رسم ملامح سلوك هؤلاء . لأنّ مختلف الوسائل قد يستخدمها هؤلاء لا بدّ أن تبقى محكومة بهواجس الهدف النهائي ، لكن مع ذلك لا يكفي رسم الطرق ووضع الإفتراضات ، وإنّما قد يحتاج المتتبع والحريص على مستقبل الرسالة وسلامتها إلى ملاحظة المثيرات والمحرّضات المستفادة من روح الأهداف التي يسعون إليها ، لأنّ الخطر ليس في أصل وجودهم فحسب وإنّما في قدرتهم على التخفي واختراع وسائل المكر والخداع والتضليل وبالتالي فإنّ هذه لا يمكن حصرها لاختلافها باختلاف الأحوال والظروف » .

علامات المنافق

١ ـ المنافق يداهن نفسه

وهي خداع الإنسان نفسه ، وإقناعها باتخاد مواقف لا تمت إلى الصوابية بصلة ، وذلك لإنعدام الرؤية والتشويش الفكري .

٢ ـ المنافق يطعن الناس في غيابهم

وهو القول المؤذي ، والإتهام المشين ، الذي يطلقه أهل الأحقاد على من يبغضون ، وهذا من باب الغيبة والهمز واللمز . . .

قال علي (ع) : « المنافق لنفسه مداهن ، وعلى الناس طاعن »(٤٥) .

٣ ـ ظاهر قول المنافق جميل

إنّ كلام المنافق كلام معسول ، ظاهره الكياسة ، واللطف والتودد ، وهدفه خداع السامع ، وهو لا يهدف إلاّ إلى بذر الشر ، ليحصد الفتن .

٤ ـ فعل المنافق داء دخيل

إنّ أفعال المنافق هي بعكس أقواله المعسولة ، باعتبار أنها داء وبيـل ، ينخر العظام والقلوب ، وهو مستعص على الشفاء والدواء ، وذلك لأنّ المنـافق يجهد نفسه وفكره وجسده ليأتي بالحيل الخبيثة للإيقاع بالآخرين ، وخصوصـاً أهل الإيمان والدين ، لإيذائهم في دينهم وعرضهم وأنفسهم وأموالهم .

وقال علي (ع) : « المنافق ، قوله جميل ، وفعله الداء الدخيل » (والدخيـل المرض الذي يصـل إلى الأعماق) وقـال علي (ع) في وصف المنـافقين : « وصفهم دواء ، وقولهم شفاء ، وفعلهم الداء العياء »(٤٦) .

٥ ـ لسان المنافق حلو ، وقلبه قبيح

وهـذه من الصفات المـلازمة للمنـافق فظاهـره جميل ولسـانه حلو كـما سبق وقلنـا ، إلّا أن باطنـه يغلي بـالحقد ، وقلبـه أسود عـلى الإيمان وأهله ، والصـلاح والإسـلام . . . فإن تحـدّث المنافق قلت هـذا كـلام الصلحـاء الأتقيـاء ، الـذين يخافون الله ، وإن مارس وعمل قلت أنه فعل الـوسواس الخنّـاس ، لا بل انـه في البرية شرّ الناس .

٦ ـ المنافق وقح ، غبي . .

قال علي (ع) : « المنافق وقح ، غبي ، متملق شقي »(٤٧) .

إنّ المنافق وقح في أقواله ، سيء الأخـلاق والأفعال ، غبي ، يـرى الحقّ ، فـلا ينتهجه ، أو يشكـك بـه ، سقيم التفكـير لا يعقـل ، متملق ، يمـدح من لا يستحقّ المديح ، ويزيد عن الحدّ ، لبلوغ مآرب وغـايات شخصيـة ، لأنّه خبيث النفس ، وهو شقي نتيجة صفاته الرديئة ، وأفعاله الدنيئة ، محضره محضر سـوء ، وغيابه راحة وسلام .

٧ ـ المنافق كثير الشك ، والإرتياب ، والمكر

سبب الريبة والشك عند المنافق بغضه للغير ، وحقده على الناس ، وبذلك

يعمد إلى خيانتهم والمكر بهم ويعمل جهده لإيذائهم ، فهو لذلك كثير الإرتياب والشك ، ودائم الخوف ، على قاعدة أنّ الخائن خائف دائماً . . . هذا في جانب العلاقات الإجتماعية ، أمّا في جانب الإعتقاد فهو يعيش قلقاً فكرياً ، بالإضافة إلى قلقه النفسي المستمر ، إذ لا يستقر على حال ، وفي كل مجال .

وقال علي (ع) : « المنافق مكور ، مصرّ ، ومرتاب »(٤٨) .

٨ ـ المنافق قاسي القلب ، جامد العين ، مصر على ذنبه ، حريص على دنياه

قال الإمام الصادق (ع) : « أربع من علامات النفاق : قساوة القلب ، وجمود العين ؛ والإصرار على الذنب ، والحرص على الدنيا »(٤٩) .

١ ـ إنّ قساوة قلب المنافق تعود إلى عدم معرفته بالله ، وكفره المستتر بداخله ، وهذا ما ينزع الرحمة من قلبه ، ونعوذ بالله من قلب قاس لا يخشع .

٢ ـ وجمود العين ، ناتج عن قساوة قلب الإنسان ، الذي لا يخاف الله ، والمتجرّد من كل المعاني الإنسانية ، لا تدمع عيناه ، إذا ذكر الله ، وأنّى له ذلك ، ومعين الإيمان قد نضب في أعماقه ، بسبب كفره ونفاقه ، وروحه جفّت ماؤها ، وتبخّرت فكيف تدمع عينه وإن شاهد ما تدمى له القلوب ، وتتفتت له الأكباد ؟ ويأمر بالقتل ، قتل النفس التي حرّم الله ولا يخاف ، أويقتل هو بنفسه ، ويأمر بالضرب والإيذاء ، والحبس ، والتعذيب ، هذا إذا كان من الرؤساء ، وأصحاب السلطان ، ولا يعنيه ، جوع الأطفال وصراخهم شيئاً ، وبؤس البائسين ، وولولات النساء الثكالى ، بل المهم عنده ، أن يعيش هو ، وأن يحافظ على كرسيّه ، وأمّا إذا كان من عامة الناس ، لا سلطان له ، فإنّه يفعل ما بمقدوره من إيذاء ، وشتم وسباب ، ولعن وغير ذلك . . . ونعوذ بالله من كل عين لا تدمع ، عند ذكر الله وذكر آلام الفقراء والمستضعفين .

٣ ـ أمّا الإصرار على الذنب ، فهو سمة مميزة للمنافق ، لأنّه أصلاً لا يؤمن بالله ، فيعتبر الذنب والخطيئة والإنحراف ، حقاً واستقامة ، وتقدماً ، وتحضراً ، فيكذب لأنّه يعتبر الكذب فهماً وذكاءً ، ويغش لأنّه يرى في الغش حنكة

ومصلحة ، ويعتدي على الناس ، لأنّ الإعتداء على الآخرين بنظره ، يدعم مركزه ، ويظهر قوته ، ويخوف غيره منه . . . إلى آخر ذلك .

٤ ـ أمّا حرصه على دنياه ، فإنّه نتيجة لعدم إيمانه بالآخرة ، وبما وعد الله ، وتكذيبه بالحقّ ، وما أتى به الرسل ، ممّا يجعله منكباً على الدنيا ، منصرفاً إليها كلياً ، همّه بطنه ، وشهواته ، قد باع آخرته بدنياه أو بدنيا غيره ، فخسر الآخرة ، وربما يخسر الدنيا في أغلب الحالات .

٩ ـ المنافق يتمنّى الضرر للآخرين ، ولا يحبّ الخير لغيره مطلقاً

إنّ المنافق ، في تصرفاته القبيحة ، وفي ممارساته اللاإنسانية ، يشبه العامل الذي فوّضه مالك بستان أن يزرع أرضه ، بما يناسب من المزروعات ، وأوصاه بأن يعتني بها ، وأن لا يبخل عليها بماء ، ولا ببذار جيّد ، ولا سماد مفيد ، والمالك يريد الخير ، والنصح لنفسه ، ولهذا العامل ، الذي اعتقد فيه الصلاح إلاّ أنّ هذا الزارع كان خبيثاً ، يفعل فعل الشياطين ، ويلبس ثياب الزاهدين المخلصين ، فكان يتظاهر بالتقوى والنصح ، مع أنه كان يخطط ويعمل لمعاكسة رأي الموكّل . . . لذلك زرع الأرض ببذار فاسد ، بعد أن حرثها حراثة رديئة ، ولم يروها ريّاً كافياً ، ولا سمّدها بما يؤمّن النمو المطلوب ، فجاءت النتيجة وبالاً على العامل ، وخسراناً على صاحب الأرض . . . وطرد العامل ، وحرم من مورد رزقه وسلب النعمة لعدم أمانته .

ومن الواضح أن المنافق الخبيث ، لرداءة معتقده ، وسوء سريرته ، لا يضمر لمؤمن خيراً ، لأنّه يعتقد أن الخير إن أصاب غيره ، فإنّه يخسر خسارة عظمى ، لأنّ الخير ينبغي أن يكون له ، وله وحده ، لأنّه أناني ، ومعاد للإيمان وأهله ، وباعتبار أنّ الإيمان هو ضد النفاق ، والنفاق شرّ على الإطلاق ، والإيمان خير ورحمة فهو لا يحبّ الخير لغيره ، لأنّه مجبول على الشرّ .

١٠ ـ المنافق لا يتعظّ بموعظة الإيمان ، لأنّه ليس بمؤمن

قال الإمام علي (ع) : « بالكذب يتزيّن أهل النفاق »[٥٠] .

والمنافق كذّاب ، لأنّه لا يظهـر حقيقة نـواياه ، وبـواطنه ، لـذلك لا يتـأثر بموعظة ولا يلتفت إلى عبرة وليس مستعداً لسماع قول صادق ، ولا فعل مستقيم . لقد طمس على قلبه ، وحال العمـل السيء والنوايـا الخبيثة بينـه وبين نـور الإيمان والحقيقة الهادية للضّالين ، والتائهين .

١١ ـ المنافق يتألم إذا سعد الآخرون ، ويسعد إذا تألموا

إنّ الشبه ظاهر بين المريض بمرض جسدي ، والمريض بمرض النفاق ، على مستـوى القلب ، والعقيـدة ، والنفس والـروح . فبعض المـرضى ، قـد يحم واحدهم ، ويصبح في خطر حتى وإن كان الطقس بارداً جداً . . .

وأيضاً قد يبرد جسد مريض وأطرافه ، مع حرارة الطقس ، وسبب ذلك ، هوتعطّل بعض أجهزة جسم هذا المريض ، فتصبح عـاجزة عن إداء دورهـا ، ولا يمكن أن تعود لما كانت عليه ، إلّا إذا عولجت بالعلاجات المنـاسبة ، وهكـذا حال المنـافق ، فإنّ أجـهـزة الفكر والعقيـدة الصافيـة والوجـدان والسلوك المستقيم قد تعـطّلت نتيجة نفـاقه وانعكس دورهـا الـذي أوجـدت من أجله ، ولا سبيـل إلى إصـلاحها ، إلّا بـالإقلاع عن الحـالة النفـاقيـة التي يعيشهـا ، وتـرك المعـاصي ، والإبتعاد عن كل خلق رديء ، واستبدالها بخـيّر الأعمال ، والعـلاج هو الإصغـاء إلى كلام الله ، بأن يوصد باب سمعه عن كلام الشيطان، وذلك بالإتّعاظ بمـواعظ الإيمان والتقوى ، عنـد ذلك ينـال الإنسان السعـادة في الدنيـا والآخرة ، ويشعـر بالراحة والإطمئنان . ولكن هل يتّعظ المنافقون بموعظة الإيمان ؟! الجواب في قوله تعـالى : ﴿ **يخـادعـون الله وهـو خـادعهم** ﴾ وهـل ينتهـون عن مكـرهـم وخداعهم ؟! .

قال الصادق (ع) : « المنـافق لا يرغب فيـما سعد بـه المؤمنون والسعيـد من يتّعظ بموعظة التقوى ، وإن كان يراد بالموعظة غيره »[٥١] .

١٢ ـ المنافق يخلف الوعد ، ويفشي السر ويخون الأمانة ،
ويكذب في الحديث ، وإذا رزق طاش وإذا منع عاش

هناك سمات أساسية تميّز المنافق وتـدلّ عليه ، وهي تتلخّص بعـدم الثبات

على الموقف ، وباضطراب علاقاته الإجتماعية ، لذلك فإن خلفه بالوعد ، يعتبر عنده من الأمور العادية ، التي يمارسها دائماً ، مع كونها معبّرة عن كذبه ، والكذب يؤدي إلى النفاق ، كما سبق وبيّنا ، وإفشاء السرّ من مستلزمات النفاق ، وصفات المنافق ، لأنّه لا يرعى حرمة لأي شيء ، والخيانة للأمانة من ضمن هذه الدائرة ، لأنّه لا يوجد عند المنافق أي داع لأنّ يكون أميناً ، وهو الذي خان أمانة الله ، في دينه ، فهل يرعى حرمة أمانة الناس .

والمنافق يعيش في الدنيا ، لأجل الدنيا ، فهي غايته ، وأمله ، لذلك فإنّ الرزق بالنسبة له ، ليس من أجل توفير العيش الكريم ، لتأدية دوره الإنساني في الحياة ، بل هو من أجل البطر والفخر ، فإذا رزق طاش ، كما في الخبر ، وكلّ ذلك يفقده حالة التوازن ، لأنّ المنافق لا يستقرّ على حال .

وعلى هذا فشخصية المنافق ، على مستوى العلاقات الإجتماعية ، شخصية متلونة ، حربائية ، (إن صحّ الوصف) وهذا ما سيظهر من الصفات الأخرى التي سنوردها للتو .

قال رسول الله (ص) : « المنافق من إذا وعد أخلف ، وإذا فعل أفشى (وروي : أساء) وإذا قال كذب ، وإذا ائتمن خان ، وإذا رزق طاش ، وإذا منع عاش »(٥٢) .

وعن عبد الله بن سنان ، عن أبي عبد الله (ع) قال : قال رسول الله (ص) : « ثلاث من كن فيه ، كان منافقاً ، وإن صام وصلى ، وزعم أنه مسلم : من إذا ائتمن خان ، وإذا حدّث كذب وإذا وعد أخلف ـ إنّ الله عزّ وجل قال في كتابه : ﴿ **إنّ الله لا يحبّ الخائنين** ﴾ وقال كذلك : ﴿ **إنّ لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين** ﴾ .

وفي قوله تعالى : ﴿ **واذكر في الكتاب اسماعيل ، انه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً** ﴾(٥٣) .

١٣ ـ المنافق يقول قول الصالحين ، ويفعل فعل الطالحين ، كثير التفكير بالطعام ، نوّام فارغ .

إنّ قول الصالحين وفعل الطالحين نتيجة مباشرة لمخالفة الظاهر للباطن عند الإنسان ، والإنسان أمام الظاهر والباطن على أربعة أنواع :

١ ـ باطن وظاهر خيّران ، فصاحبهما إنسان مؤمن ، وعاقل فيه كل الخير .

٢ ـ ظاهر جيّد ، وباطن سيء ، فصاحبهما إنسان منافق .

٣ ـ ظاهر سيء ، وباطن سيء ، فصاحبهما إنسان سفيه ، وفاجر ، لا يرجى منه أي خير .

٤ ـ ظاهر سيء ، وباطن سليم ، فصاحبهما إنسان غبي ، لا يملك الإدراك والوعي الذي يؤهله للتمييز بين الخير والشرّ وبين ما يجب فعله وما لا يجب .

ولا بأس من إيراد لطيفة في هذا السياق تصب في مجرى حديثنا :

دمع العين وفعل اليد

زعموا أنّ صياداً كان يصطاد الطيور في يوم من أيام الشتاء الباردة ، وكان كلّما أصاب طيراً أسرع إليه وذبحه ، ولشدة البرد القارس كانت عيناه تدمعان ، وكان في المكان المجاور عصفوران يراقبان فعل الصيّاد ، ويريان دموعه تجري على خديه ، فقال عصفور ساذج لرفيقه : أنظر ما أرحم قلب هذا الصياد ، إنه يبكي رحمة بهذه الطيور .

فقال العصفور الآخر : ويحك ! لا تنظر إلى دموع عينه ، بل انظر إلى فعل يديه .

وهذا مثل يضرب للمنافق الذي يظهر الصلاح ، ويبطن الشرّ والخبث ، ويفعل فعل السوء ، فالمنافق يقول ما لا يفعل ويفعل خلاف ما يقول ، هذا في جانب الممارسة العامة مع الناس .

أمّا على الصعيد الشخصي

فإنّ المنافق يحبّ الطعام ، ويحبّ النوم ، وهو في هـذه الحالـة يشبه الأنعـام التي همّهـا علفهـا ، وهي لا تعلم مـاذا يـراد بهـا ، فلو كـانت البهيمـة تعـرف أن تسمينهـا ، والإهتمام بها مقدمة لذبحها ، لكانت قلّلت من طعامها ليمسك الجزّار عن ذبحها كما قال الشاعر :

لو يعلم الكبش أن القائمين على ... تسمينه يضمرون الشرّ مـا أكلا

إنّ كثرة الطعام وحبّ النوم عند المنافق ، دليـل على بـلادة الذهن ، وحبّ الشهوات ، ومنقصة للعمل المنتج ، وسـير في ظلمات الميوعـة ، وعدم تمـاسك في الشخصيـة ، وعدم الإتـزان في المواقف ، وأي مخلوق هـو ، ذلك المخلوق الـذي يعيش هـاجس الأكل بـدون صوم أو جـوع ، والنوم بـدون سهـر ، أو تعب إنـه المنافق ، فاعرفه . . . وقال الإمام زين العابدين (ع) في حديث طويل : « المنافق ينهى ولا ينتهي ، ويأمر بمـا لا يأتي إذا قـام في الصلاة اعـترض ، وإذا ركع رَبَضَ وإذا سجـد نقـر ، وإذا جلس شعـر ، . . . . يمسي وهمّـه الـطعـام وهـو مفـطر ، ويصبـح وهمّه النـوم ولم يسهـر ، إن حـدّثـك كـذب ، وإن وعـدك أخلف ، وإن ائتمنته خانك ، وإن خالفته اغتابك »(٥٤) .

١٤ ـ المنـافق في نظره لهـو ، وفي سكوتـه سهـو ، وفي كـلامـه لغـو ، وفي استغنائه طغيان ، سخطه كثير وقريب ، ورضـاه قليل ، وبعيـد ، يتلهّف على ما فاته من فعل الشرّ .

لا بد في هذا المجـال ، من إقامـة مقارنـة بين (المؤمن العـاقل) و(المنـافق السفيه) .

	المؤمن الواعي	المنافق السفيه
في نظره	تفكّر ، وتمعّن ، واعتبار يؤدي إلى عمل دؤوب لمعرفة الأسباب والنتائج والتعامل مع الواقع لخدمة الإسلام ، ولتحقيق أهدافه .	(لهو) وسطحية ، واستهتار ، وبعد عن الواقع ، وإساءة إلى المبادىء الإلّهية ، لأنّه لا يؤمن بها .
في سكوته	تأمل واستماع لما يدور حوله ، وتحليل للأحداث بهدف الإستفادة منها كذلك لتصويب الآراء والتخطيطات ، والتنفيذ .	(سهو) ، وابتعاد عن كل ما له علاقة بالحقائق الواقعية ، وعيش في عالم الأحلام البعيدة عن الواقع ، أو التصورات الآثمة .
في كلامه	إيجاز وسداد ، يصيب الهدف ، ويهدف للصواب يقول الحقّ ، وإن قلّ أهل الحق ، ولا يخاف لومة لائم ، ولا يقول إلّا ما يعرف ، وإن قلّ ما يعرف .	(لغو) لا طائل تحته ، ولا فائدة ، يقول ما يخدم مصالحه الذاتية ، ويدّعي المعرفة ، يقول الكثير ، ويعرف القليل ، ويؤذي جليسه .
في استغنائه	شكر لله ، ورحمة للمستضعفين ، والمساكين .	(طغيان) وتسلط واستقواء على الفقراء .
سخطه	(قليل) لأنه راض بما قسم له مطمئنّ لما هو حقّ له .	(كثير) لأنّه لا يرضى إلّا بالحصول على ما في أيدي الآخرين .

	المؤمن الواعي	المنافق السفيه
ورضاه	(كثير) ، لأنّ المؤمن العاقل يسلّم تسليماً كاملاً لله سبحانه فهو في السرّاء شاكر ، وفي الضرّاء صابر .	(قليل) لأنّ المنافق السفيه ، لا يشكر في السرّاء ولا يصبر في الضرّاء .
نيّته وفعله	لا ينوي إلاّ الخير ويفعله .	(ينوي الشرّ دائماً) ، وإذا لم يقدر على فعله يتأسّف ويتلهّف .

قال علي (ع) : « المنافق إذا نظر لها ، وإذا سكت سها ، وإذا تكلّم لغا ، وإذا استغنى طغا ، وإذا أصابته شدّة صغا ، فهو قريب السخط ، بعيد الرضا ، يسخط على الله اليسير ، ولا يرضيه الكثير ، ينوي كثيراً من الشرّ ، ويعمل بطائفة منه ، ويتلهّف على ما فاته من الشرّ كيف لم يعمل به »(٥٥) .

١٥ ـ المنافق يبكي متى شاء من شدّة نفاقه

إنّ المنافق لا يبكي ، ولكن يتباكى (والتباكي ليس بكاء في الحقيقة ، بل هو تظاهر بالبكاء) ، وبهذا الوسيلة التي يسعى المنافق للتمكن منها ، من أجل أن يوهم الآخرين أنه مظلوم ومهضوم حقّه ، ولكي يستدرّ عطفهم ، وشفقتهم عليه . وقد وصفه الحديث بأنه قادر على أن يبكي كما يشاء ؛ لأنّ دموعه طوع رغبته .

قال رسول الله (ص) : « المنافق يملك عينيه ، يبكي كما يشاء »(٥٦) .

١٦ ـ المؤمن يبكي من قلبه ، والمنافق يبكي من هامته

إنّ البكاء من القلب هو البكاء الصادق الصحيح ، وإنّ البكاء من الهامة هو البكاء الكاذب (التباكي) ، وإنّ بكاء القلب يرافقه ، ويبعث عليه الهمّ والحزن والتفجّع الذي يمتلك الإنسان ، والقلب هو مركز الإحساس والشعور والعواطف ، فإذا اهتم وحزن ، أحاط الأمر بكل أحوال الإنسان وامتلك ذلك عليه وجوده ، فبكى ، وهذا ما نسميه بكاء القلب ، أمّا بكاء الهامة ، فليس بكاء ، بل تظاهر بالبكاء ، خداعاً ، ونفاقاً ، وإيهاماً للغير بأن ما يرغبه ويريده أمر مهم ، وانّ بكاءه دليل صدقه .

وقد يتظاهر بالبكاء من خشية الله ، وهو له عاص ، وتنزل دموعه من عينيه ، وقلبه جاف وقاس .

قال رسول الله (ص) : « بكاء المؤمن من قلبه ، وبكاء المنافق من هامته »[٥٧] .

ويقول الإمام علي (ع) في صفات المنافقين : « أحذركم أهل النفاق ، فإنهم الضالون المضلون ، والزالون المزلون ، يتلونون ألواناً ، ويَفْتَنُّون إفْتناناً ويعمدونكم بكل عماد ، ويرصدونكم بكل مرصاد ، قلوبهم دوية ، وصِفَاحُهم نقية ، يمشون الخفاء ، ويدبون الضراء ، وصفهم دواء ، وقولهم شفاء ، وفعلهم الداء العياء ، حسدة الرخاء ، مؤكدو البلاء ومقنطو الرجاء ، لهم بكل طريق صريع ، وإلى كل قلب شفيع ، ولكل شجو دموع ، يتقارضون الثناء ، ويتراقبون الجزاء ، إن سألوا ألحفوا ، وإن عذلوا كشفوا ، وإن حكموا أسرفوا ، قد أعدوا لكل حقّ باطلاً ، ولكل قائم مائلاً ، ولكل حي قاتلاً ، ولكل باب مفتاحاً ، ولكل ليل مصباحاً ، يتوصلون إلى الطمع باليأس ، ليقيموا به أسواقهم ، وينفقوا به أعلافهم ، يقولون فيشبّهون ، ويصفون فيموّهون قد هوّنوا الطريق ، وأضلعوا المضيق ، فهم لُمة الشيطان ، وحمة النيران ، أولئك حزب الشيطان ، ألا إنّ حزب الشيطان هم الخاسرون »[٥٨] .

١٧ ـ المنافق ضال مضل وزال مُزل

المنافق إنسان قد ضاع عن طريق الحقّ ، وضلّ ، واعتقد أنه على صواب ، فعمد إلى نشر ضلاله ، وأصرّ على ذلك ، وخطط لـذلك ، وبـذل جهداً كبيـراً ، فزلت قدماه ، وأزل غيره ، فمن تأثر بـه ، وتبع خـطواته ، كـان ضالاً مضـلاً ، وزالاً مزلاً .

إنّ الإنسان ، في مواجهة الظروف ، وفي مجال العمل والممارسة ، في حـال عدم إصابته الهدف ، أو تشخيصه ، إمّا أن يكون قاصراً ، أو مقصراً ، والقـاصر لا يتحمّـل مسؤوليـة قصـوره ، لأنّ ذلـك يعـود لسبب خـارج عن إرادتـه ، أمّـا المقصّر ، الذي لا يقوم بما يجب ، لأنّه لا يرغب في ذلك ، أو لم يعمـل على تنفيـذ ما يطلب منه ، أو مارس عكس المطلوب ، فانحرف عن جادة الصـواب ، وضلّ فإنّه سيجازى بما عمل ، وسيسأل عـمّا قصّر فيه ، وسيقـال له يـوم القيامـة ، لما لم تعمل ، فيجيب : كنت لا أعلم ، فيقال له : لما لم تتعلم ؟ .

١٨ ـ المنافق يتلوّن ألواناً ، ويفتنّ افتناناً

إنّ المتلون هو الإنسان الـذي لا يثبت على حـال ، والذي يـظهر بـأكثر من مـظهر ، وذلـك كي لا يؤاخذ عـلى قول تفـوّه به ، أو مـوقف اتخذه ، ومثله تمـاماً كمثل الحرباء التي تأخذ لون أوراق الشجرة ، أو المكان الـذي تكون فيـه ، وهذا حال المنافق والمتلوّن دائماً ، فهو يلبس لكل حال لبـوساً ، ويقف المـوقف المناسب لكل ما فيه مصلحته ، رغبة في المغنم ، وخوفاً من الغرم ، والمنافق يفتنّ افتنانـاً ، فينوّع أساليبه الخادعـة ، ووسائـل إيذائـه للمؤمنين ، وهـو يعمل بكـل جهوده ، ليعمّق خصومته لأهل الإيمان ، حتى تشمل أكبر عدد ، وأوسع ساحة .

والمنافق لا يرعوي عن غيّ ، ولا يخاف وعيـد ، لا بل هـو سادر في فسـاده وإفساده .

١٩ ـ المنافق يعمد بكل عماد

إنّ المنـافق يظهـر للغير أنـه ساعـدهم الأيمن ، وعـمادهم الـذي يعتمـدون

عليه ، ولكن بالكلام فقط ، وعندما تشتّد الأزمات ، وتتراكم المشاكل ، يخنس المنافقون ويختفون ، ويتذرّعون بالذرائع ، ويعتذرون بشتّى الأعذار ، ليعلنوا على الملأ ، عدم قدرتهم على المساعدة والوفاء بما وعدوا . . .

٢٠ ـ المنافق يرصد بكل مرصاد

إنّ المنافق لا يكتفي بعدم المساعدة وعدم الوفاء بما وعد ، بل يعمد إلى تحيّن الفرص ، واغتنامها لكي ينقضّ على الضحية التي نزلت بها النكبات ، واعتورتها المصائب ، فبالأمس كان مساعدا بالكلام ، رواعداً بكل الوعود ، واليوم انقلب عدواً ، وخصماً لدوداً ، يعقّد الأمور ، ويعمّق المصائب ، ويزيد منها ، ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

٢١ ـ المنافقون قلوبهم دوية (مريضة)

إنّ الدوي ، معناه المريض ، وإنّ القلوب الدوية ، هي القلوب المريضة ، فكما أن الأجسام إذا غذيتها بالسموم وخبائث الطعام تمرض وتموت ، كذلك القلوب إذا حجبت عنها نور الإيمان بكثرة الذنوب ، والعيوب ، والمفاسد فانها تمرض وتعتل ، والمنافقون ، مرضى القلوب ، والنفوس ، كما قال سبحانه وتعالى : **﴿ في قلوبهم مرض ، فزادهم الله مرضاً ، ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون ﴾**[١] .

٢٢ ـ المنافق صفاحه نقيّة

الصفاح تعني الجوانب ، ونواحي الجسد ، وربّما عنت الثياب ، والملابس ، ونقيّة تعني نظيفة .

فيتبيّن لنا من هذا أن المنافق ذو مظهر نقي ونظيف ، ليوهم به الآخرين ، ويغشهم بأنه إنسان إجتماعي ، وذو كياسة ، وأن باطنه كظاهره ، وإذا كانت ثيابه

---

[١] سورة البقرة : الآية ١٠ .

نقيّة ، ونظيفة ، فإنّ أفعاله سوداء ، طالحة .

٢٣ ـ المنافق يمشي الخفاء ويدبّ الضرّاء

إنّ مثل المنافق كمثل اللص الذي لا يأتي إلاّ حين لا يراه الناس ، ولا يحدث ما ينبّه الآخرين على وجوده ، حتى يصل إلى غايته بكل سهولة ، وبأقلّ كلفة ، وهكذا المنافق المخادع يأتي خفية كي لا ينتبه إليه أحد ، وينفث سمه القاتل في الجرح النازف ، ليكون الضرر أكثر ، والأذى أشدّ وآلم .

٢٤ ـ المنافق وصفه دواء ، وقوله شفاء وفعله الداء العياء

٢٥ ـ المنافقون حسدة الرخاء مؤكدو البلاء ، ومقنطو الرجاء

إنّ المنافقين حسدة ، والحسدة مفردها حسود ، وهو الذي يتمنى زوال النعمة عن الآخرين وانحصارها به ، وبه فقط ، والمنافقون حالتهم النفسية سيئة ، يعيشون القلق الدائم ، فلا ينعمون براحة أبداً ، وكيف يرتاحون وقد ملئوا حقداً ، واستنفذوا بالتآمر ، والإيقاع بالآخرين . . . هم في غمّ دائم ، لأنهم لا يرون نعمة على غيرهم إلاّ وحزنوا ، **﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾** .

وإنّ المنافقين يؤكّدون البلاء ، ويقنطون الرجاء ، بمعنى أنهم يزيدون في بلاءات الناس ، ويعملون على قطع حبال الرجاء عندهم . ومثالاً على ذلك ، أنهم إذا نزلت مصيبة بإنسان ، قاموا بتعميق آلامها ، بدل التخفيف منها ، وإذا عادوا مريضاً مؤمناً أشعروه بصعوبة الشفاء وقنّطوه منه ولكن بكلام مموّه يتضمن ما يريدون من تأكيد البلاء ، وقطع الرجاء .

٢٦ ـ المنافق له بكل طريق صريع ، وإلى كل قلب شفيع ، ولكل شجو دموع .

الصريع هو القتيل ، وإنّ للمنافق في كل طريق صريعاً ، دليل على كثرة ضحاياه ، وشدّة إيذائه .

وإنّ الشفيع هو الذي يتوسّل للغير ، ويتـوسط لهم عند من يملك المنفعـة ، ويقدر على الصفـح والعطاء ، والمنـافق لشدّة نفـاقه ، وكـثرة تذلله ، وتـظاهره ، بالمسكنة والمظلومية ، وأحقيـة ما يـطلب ، تراه يتمسكن ليحـرز بعض العطف ، والشفقة ، والإستماع لطلباته في قلوب بعض الناس . وإن الشحو يعني الحاجـة ، فهو يبكي عند حاجة يـريدهـا ، فمن هو أقـدر منه وأقـوى على ذلـك ؟ ولا يفعل ذلك إلاّ فاقد المروءة والكرامة .

٢٧ ـ المنافقون يتقارضون الثناء ، ويتراقبون الجزاء .

إنّ القريض هو الشعر ، وإنّ الثناء هو المديـح ، فالمنـافقون يمـدح بعضهم بعضـاً ، ويثنون عـلى أعـمال بعضـهم البعض ، وبنفس الـوقت يـراقب بعضهم البعض ، ليجزوا الحسنات بالسيئات ، والسيئات أضعافاً كثيرة .

ومثلهم كمثـل وحوش الـبرية ، لا يـأمن بعضهم بعضـاً ، وإن عـاشت في مكان واحد ، شريعتهم شريعة الغاب ، لأنّ حجة القوي هي الأقـوى ، والقوي منهم يفترس الضعيف ، إنّهم كالثعالب حيلة ومكراً ، وكالذئاب غدراً . . .

٢٨ ـ المنافق إذا سأل ألحف ، وإن عذل كشف ، وإن حكم أسرف .

إنّ الإلحاف في السؤال يعني اللجاجة ، وتكرار الـطلب ، وهي عادة سيئـة ومنفـرة ، فالمنـافق لسوء سريـرته ، وسـماجته ينفّـر الآخرين بـأسئلتـه المتكـررة ، وطلباته العديدة ، وهو يعتقد أنه يحسن صنعاً .

والعـذل هو اللوم الشـديد ، الـذي يتضمن التـأنيب المؤذي ، والمنـافق إذا عذل كشف كل حقده ، وخبثه الدفين تجاه المؤمنين ، وكشف أيضاً كل ما ستر من عيوب الآخرين ، وخفي من أخطائهم إمعاناً في الأذى والكيد ، وتشفياً ممّن يريـد أذاه وكيده .

أمّـا الإسراف في الحكم ، فيعني تجاوز الـوسـطية في كـل أمـر يحكم بـه ، فالمنافق لا يعرف العدالة إن حكم ، فهو جائر دائماً . . . والمنافق إن رجـا صاحب قوّة وجاه ، كال له من المدائح ، وأغدق عليه من الثنـاء ما لا يحصى عـدداً وأما إن

وقع على من هـو أضعف منه ، أمـطره بوابـل من المنغصات ، وأغـرقه ببحـر من المؤذيات المهلكات .

٢٩ ـ المنافق يعد لكـلّ حقّ باطـلاً ، ولكل قـائم مائـلاً ، ولكل حي قـاتلاً ولكل باب مفتاحاً ولكل ليل مصباحاً .

حق ، وبـاطل ، . . . قـائم ، ومـائـل . . . حي ، وقـاتـل . . . بـاب ، ومفتاح . . ليل ، ومصباح . . .

. . . إنّه النفاق ، وشدّة المكر . . . واستنبـاط للأسـاليب المتنوعـة للكيد ، والتآمر على الآخرين ، وإشاعة للفساد والأذى بين الأفراد والجماعات .

فالمنافق يزعجه الحقّ ، فيعمل جاهداً لمقابلة هذا الحقّ بباطل أعدّه له .

والمنافق يحارب كل أمر قائم ومستقيم ، بل يعمل ليصيّره مائلاً ومنحرفاً .

والمنافق يبغض الحياة ، والأحياء فيعمد إلى إفناء الحياة في الأحيـاء ، ويبذر فى المجتمعات بذور الشقـاق والنفاق التي تفكـك عرى التعـاون ، والتحابب بـين الناس وتحولها إلى هياكل مفكّكة لا نفع فيها ، ومنها ، بل تصبح كالأمـوات ، بلا روح ولا حياة .

. . . والمنـافق لا يعـدم حيلة في إيجـاد وسـائـل لبلوغ مـآربـه ، وغـايـاتـه الدنيئة . . . وبمقدوره أن يصل لما يريد ، إذا أنه بنفاقه ، وخداعه ، قـادر على أن يجد لكل باب مفتاحاً ، يفتحه به ، ويلج إلى الداخل . . .

والمنـافق يقـدر ، مهـما ادلهمّت الأمـور ، وعصفت الخـطوب ، واشتـدت الـظلمات ، أن يهيء لكل ظلمـة ضياء ، ولكـل ليل مصبـاحـاً ، وأن يهيء لكـل مشكل حلاً ، يخدم مصالحـه ومآربـه ، بدون خـوف من الله ، أو رعايـة لمصلحة عامة .

٣٠ ـ المنافقون يتوصلون إلى الطمع باليأس ، ليقيموا به أسواقهم ، وينفقوا به أعلاقهم .

إنّ المنافقين عندما ييأسون من الوصول إلى الغنى الواسع ، يستعملون الطمع وسيلة لجمع المال ، وربما كان اليأس يعني الحرص ، أو البخل . . . إنهم يشتّدون في الحرص والبخل على أنفسهم ، وعلى عبالهم ليتمكنوا من جمع أكبر قدر من المال ، ليقيموا به أسواقهم ، والأسواق هنا تعني المصالح أو الأشغال والتجارات أو غير ذلك .

والاعلاق مفردها علق : وهو الجراب أو الجيب أو الخرق في جانب الثوب ، والمعنى على هذا هو ، ان إقامة الأسواق هي لبيع الأمتعة والسلع التي تكون في حوزتهم ، وقد كنى بالجراب عن مكان البيع أو الدكان . . . لذلك فالمنافق يزرع اليأس ليحصد ما يطمع به ، ويتاجر بكل شيء لينفق بضاعة نفاقه .

٣١ ـ يقول المنافقون فيشبّهون ، ويصفون فيموّهون .

ـ التشبيه هو جمع بعض الأمثلة المتشابهة ومقارنتها ببعضها .

ـ والتمويه هو إخفاء الصورة الحقيقية بصورة متقاربة ومزيفة .

فالمنافقون ، إمعاناً في الخداع والتحايل ، يعمدون إلى الإكثار من التشابيه في الأقوال ، ويكثرون من المقارنات ، ابتعاداً عن أي تحديد ، وخوفاً من الأقوال الملزمة ، أو الإلتزامات .

والمنافق مثله ، كمثل السمك لا يمسك ، ولا يرغب في قول الصدق والحقّ ، لأنّ طبيعته لا تتوافق مع الإستقامة والفطرة السليمة .

والوصف يستعمل لتوضيح الصورة أكثر ، هذا إذا استعمل من أجل غرض صحيح .

أمّا المنافق فيستعمله لتشويش الصورة ، وتمويهها ، وما ذلك إلاّ لحاجة خبيثة في نفسه ، ومأرب انحرافي في عمله ، فأقوال المنافق وأفعاله ، نسخة طبق

الأصل عن شخصيته المتلونة ، المموّهة .

٣٢ ـ المنافق يهوّن الطريق ، ويضلع المضيق .

التهوين يعني التسهيل ، والإضلاع يعني الإثقال ، والإثقال يعني التضييق والتحميل فوق الطاقة ، وتعقيد الأمور ، والمنافق الذي يملك لكل باب مفتاحاً ، يريك ، ويقنعك بكلامه المعسول ، بأنّ الأمور سهلة وهبّنة ، وقد تكون في الحفيفةصعبة وشائكة ، أو يسهّل عليك أوّل الطريق ، ويصعّب عليك نهايته .

وبمعنى آخر فإنّه يعمد إلى وضع عرافيل ، وحواجز في الطريق السهل ، حتى تأتي النتائج عكسية ، وليس كما يرجو السالكون .

٣٣ ـ المنافقون لَمّة الشيطان ، وحمّة النيران .

ـ اللمة جمعها : لّمات ، وهي الجماعة والأصحاب من الثلاثة إلى العشرة .

ـ والحمة جمعها : حمات ، هي العاقصة أو اللاسعة التي تحوي السمّ في العقرب ، أو الزنبور أو النحلة .

وعلى هذا الأساس يكون المنافق من جماعة الشيطان وحزبه ، وأنصار الشيطان وحزبه ، هم كالشيطان في الأذية والكيد للمؤمنين ، والصالحين ، وهم اللّهب الخارق الذي يحرق كل صالح ، ليستبدله بكل فاسد ضار ، إنهم حمة النار اللاسعة ، والسمّ القاتل الحارق ، فهم ، كما قال علي (ع) : « لمة الشيطان ، وحمة النيران » .

وقال الرسول الأكرم (ص) : « للمنافقين علامات يعرفون بها : تحيتهم لعنة ، وطعامهم نهمة ، وغنيمتهم غلول ، لا يقربون المساجد إلاّ هجراً ، ولا يأتون الصلاة إلاّ دبراً ، مستكبرين ، لا يألفون ولا يؤلفون ، خشب بالليل ، سخب بالنهار »[٥٩] .

٣٤ ـ تحية المنافقين لعنة .

التحية هي السلام المتعارف بين الناس ، وإفشاؤه بين الناس أمر إلى الله

محبب ومنه مطلوب ، والتحية تخلق شعوراً بالمودة ، والقرب من الآخرين ومن علاماتها : بشاشة في الوجه ، وحلاوة على اللسان ، وتوجّه نحو الآخرين بكل الكيان . . . وهذا شيم أهل الإيمان .

أمّا المنافقون فتحيتهم لعنة ، واللعنة هي الدعاء بالطرد من رحمة الله ، فهذه التحية ، غير الصادرة من قلب صادق ، إنّما هي لعنة ، وغضب إلهي على قائلها ، وأذى لسامعها .

والمنافقون سلامهم ، ليس سلاماً ، بل سلامهم ، كسلام اليهود على رسول الله (ص) عندما قال قائلهم له : السّام عليكم (يعني بذلك الموت) ، فردّ عليه الرسول (ص) : وعليكم ، ولم يزد .

فالمنافق لا يقصد بتحيته السلام والأمن والمحبة للآخرين ، بل يقصد الدعاء واللعن وطلب الأذية لهم .

٣٥ ـ طعام المنافقين نهمة .

همّ المنافقين علفهم ، كما الأنعام والعجماوات ، يأكلون ولا يشبعون . . لا يتبعون نصيحة ناصح ، ولا تعليمات طبيب ، فهم يتطلعون إلى أكثر من هذه الدنيا ، ويعتقدون خطأ أن مجالهم فيها فقط . . . فليعُبوا منها ، ما قدروا واشتهوا ، ولو على حساب صحتهم ، وسمعتهم ، ومستقبلهم . والنّهم يعني شدّة الإقبال على الطعام ، ونحوه من الأمور الحيوانية .

أمّا أهل الإيمان ، فهم ينفّذون تعاليم الإسلام ، في هذا المجال إذ ورد : نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع .

٣٦ ـ غنيمة المنافقين غلول .

إنّ الغنيمة تعني ما يظفر به من جهة العدو ، على ما جاء في مفردات الراغب ، وإنّ الغلول يعني التدرع بالخيانة والعداء للآخرين ، وعلى هذا فإنّ المنافقين لا يظفرون بشيء ، إلاّ بخيانة أو عداء ، فهم خوّانون للعهود ، والحقد

يأكل نفوسهم ، وتتلبّس الخيانة كيانهم ، ويفخرون بذلك ، ولا يطيب لهم عيش إلاّ إذا كان عيشهم من حرام .

٣٧ ـ المنافق لا يقرب المساجد إلاّ هجراً .

ـ إنّ المسجد (جمعه مساجد) هو المكان المخصّص لأداء فريضة الصلاة (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه) والصلاة فيها بعشرات أمثالها .

ـ وإنّ الهجر والهجران هو المفارقة إمّا بالبدن ، أو باللسان ، أو بالقلب .

وهكذا فإنّ قرب المنافق من أماكن العبادة بُعد ، أو أنه لا يقربها إلاّ قليلاً ، وذلك لاستخفافه بها بسبب شدة استخفافه بأصول الدين ، وأسسه وتشريعاته .

وكيف يقرب المنافق المسجد ، وبينه وبين الله حرب ، والمسجد بيت الله ، فهل يقرب بيت عدوّه ؟ إنّ ذلك لا يكون إلاّ إذا اضطر لإخفاء كفره ، أو لخداع المسلمين والتآمر عليهم .

٣٨ ـ لا يأتي المنافق الصلاة إلاّ دبراً .

إنّ الدبر يعني خلاف القبل ، أو المقدمة ، وأدبر معناه ولّى وابتعد .

والمعنى أن المنافق لا يؤدي الصلوات في أوقاتها ، حيث الأجر الكبير بل يؤخرها إلى نهاية الوقت استهانة وكسلاً ، وإن استطاع ولم يخف من انكشاف أمره ، لم يقربها ولم يأتها .

قال تعالى : ﴿ **إنّ المنافقين يخادعون الله ، وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى ، يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلاّ قليلاً * مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً** ﴾[1] .

---

[١] سورة النساء ، الآية ١٤٢ .

٣٩ ـ المنافقون مستكبرون لا يألفون ولا يؤلفون .

إنّ الإستكبار هو أن يعتبر الإنسان غيره أقلّ منه شأناً ، ويرى نفسه أكبر وأعظم بدون دليل ، أو فضل من علم أو تقوى مع العلم أن العالم المتقي يتواضع للناس ، مهما علا شأنه في العلم والإيمان ليرفعه الله بذلك درجات ، ولا يعتبر نفسه أفضل من غيره، بل يعتقد أن كل من عداه، أفضل منه، وأتقى وأورع ، فلا يزكي نفسه ، ولا يفخر بعلم أو عمل .

والمستكبر يستغني بما أعطاه الله من إمكانيات مادية ، ومعنوية عن ربه ودينه ، فيستعملها في معصيته ، وليس في طاعنه ، ضدّ الناس من المستضعفين والفقراء والمساكين .

وأَلِفَ الشيء أي التأم معه وتوافق ، والإلفة هي التوافق والإنسجام والمحبة .

والإسلام يقول أنه لا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف ، وإن المؤمن ألف مألوف .

أما المنافقون فهم مستكبرون يتطلعون إلى ما ليس لهم ، ويطمعون في حقّ غيرهم ، ويسعون للحصول عليه وشعارهم . . (ما لنا نريده كاملاً وما لكم نتفاوض عليه ، أو أنه ليس لكم في الواقع) .

والمنافقون لا ينسجمون مع أحد ولا أحد ينسجم معهم من عباد الرحمن ، وهم ملعونون في كتاب الله ، لا يحبون أحداً ، ولا يحبهم أحد .

٤٠ ـ خشب بالليل .

الخشب يعني قطع الحطب اليابسة التي لا حياة فيها ، وواحدتها خشبة .

المنافقون لا يقومون إلى العبادة في الليل كما يفعل المؤمنون الصادقون ، بل يبقون نائمين وكأنهم لا حياة فيهم كتلك الخشب المرمية . . .

. . . أجسامهم ، وقوامهم جميل ، إلاّ أنّهم قد طبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ، وقد قال تعالى : ﴿ **وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم ، وإن يقولوا تسمع**

لقـولهم ، كـأنهم خشب مسنّـدة ، يحسبـون كـل صيحـة عليهم ، هم العـدو فاحذرهـم قاتلهم الله أنّى يؤفكون ﴾[1] .

٤١ ـ سخب بالنهار .

إنّ السّخَبَ أو الصخب يعني الضجيج ولعب الأولاد ، فالمنافقون يكـثرون الضجيج في النهار بلا أثر إيجابي ، ولا منفعة ، فهم كالأطفال ، ولكنهم لا يملكون بـراءتهم لأنّه لا علم لهم ولا معـرفة بما يعملون ، أما أهـل النفـاق فيعلمـون مـا يعملون عن سابق تصوّر وتخطيط .

٤٢ ـ علم المنافق في لسانه .

٤٣ ـ ورع المنافق يظهر على لسانه .

قـال الإمـام عـلي (ع) : « علم المنـافق في لسـانـه ، عـلم المؤمـن في عمله »[٦٠] . « ورع المنافق لا يظهر إلّا على لسانه »[٦١] .

إنّ المعـرفة المحكـومة بعقـل راجح ، هي معـرفـة الحكـماء . وأن المعـرفـة المحكومة بأعمال تتجسّد خدمات إجتماعية هي معرفة المؤمنين، أمّا المعرفة والـورع اللذان لا يتعديان اللسـان ، فهما من خصـائص المنافقـين ، الذين يقـولون مـا لا يفعلون .

وقد قال رسول الله (ص) « أكثر منافقي أمتي قرّاؤها »[٦٢] .

وقد جاء في معجم ألفاظ القرآن الكريم : «قرأ الكتاب يقرأه قراءة وقرآنـاً، أي تـلاه ونطق بكلماتـه المكتوبـة جهراً وسـراً ، وان القـارىء جمعـه القـراء ، أي التالون لكتاب الله ، والناطقون بكلماته وبمعنى آخر : هم الذين يمتلكون قدراً من المعرفة في القرآن والدين : « وانّ قسماً كبيراً من المنـافقين هم من القـرّاء ، بالمعنى الـذي ذكرنـاه ، حسب الحديث الـذي أوردناه عن الـرسول (ص) وذلـك لأنّه لم تنفعهم قـراءتهم ، ولا معـرفتهم ، ولأنهم لم يستعملوهـا في مكـانها ، بـل اتّبعـوا

---

[١] سورة المنافقون : الآية ٤ .

الأهـواء ، وقادتهم الشهـوات إلى ما يقبـح ويسنرذل سـراً ، لا تـراهم العيـون في أغلب الأحيان ، وأمام النـاس يقومـون ببعض العبادات التي تـظهرهـم لـلآخرين أنهم عبّاد متديّنون ، وفي الحقيقة هم منافقون يخفون غير ما يظهرون ، ألا بئس ما يفعلون .

٤٤ ـ المنافقون يؤثرون العاجلة على الآجلة .

قال الإمام علي (ع) : « لاتلتمس الدنيا بعمل الآخـرة ، ولا تؤثر العـاجلة على الآجلة فإن ذلك شيّة المنافقين وسجيّة المارقين »[٦٣] .

إنّ الإلتـماس هو الـطلب ، وإن الإثرة معنـاها التفضيـل ، وإنّ الشيّة هي العلامة ، وإنّ السجية معناهـا الطبـع ، فيصبح معنى الحـديث أن التماس الـدنيا بعمل الآخرة ، وإيثار هذه الدنيا على الآخرة ، هو من علاسات المنافقين ، وطبائع المارقين الذين لا يتلهّون إلا بالمظاهر . وعلى ذلك فإنّ المنافقين يلتمسون ويطلبـون الدنيا بعمل الآخرة ظاهراً ، فيقومون ببعض الأعمال ، أو بأعمال عبادية أو غيرهـا مما يقوم به المؤمنون ، ويؤثرون الدنيا الدنية الفانيـة ، على الآخـرة الباقيـة ، لعدم إيمانهم بها ، وتصـديقهم لرسـل الله وأنبيائـه ، وهذا من عـلامات أهـل النفاق ، وطبائع المارقين من الدين ، أعداء الله ، والحق .

٤٥ ـ من علامات المنافقين بغض أهل البيت (ع) .

قال رسول الله (ص) : « من أبغض أهـل البيت فهو منـافق »[٦٤] ، وعن علي (ع) : لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا ، عـلى أن يبغضني ما أبغضني ، لـو صببت الدنيـا بجمّاتهـا على المنـافق على أن يحبني مـا أحبّني ، وذلـك أنّـه قضي فـانقضى عـلى لســان النبي الأمي : يـا عــلي لا يبغضــك مؤمن ، ولا يحبّــك منافق »[٦٥] .

الولاء مفردة تمثل السلك الواصـل ما بـين الإنسان وبـين من يواليهم ، من أئمة ربّانيين من أهل التقى ، والـورع ، والعلم ،والعدل ، والصـلاح والهدى ، أو غير ربّانيين من أهل الضلال ، والفساد ، والإفساد ، والظلم ، والجهل . . .

فمن يوالي الأئمة الربانيين ويحبهم كان من المؤمنين .

ومن كـان من المؤمنين لا بـد له من أن يـوالي أئمة الهـدى ، الـذين نصبهم الله قادة وهداة ، ومنارات للعالمين ، وهم أهل بيت النبوة ، ومعدن الرسالة .

أما من يوالي الأئمة الدنيويين ، ويجعلهم أرباباً له ، كان من المنافقين ، ولا بد أن يحشر معهم لأنّه كما ورد في بعض الأخبار أن المرء يحشر مع من أحب ، ولـو أنه أحب حجراً لحشره الله معه .

وأهل البيت (ع) هم الأئمة الـربانيـون فمن أحبهم ووالاهم كان مؤمنـاً ، ومن أبغضهم وقطع العلاقة معهم كان من المنافقين بلا ريب .

عن أبي سعيد الخدري قال : (ما كنا نعرف منافقينا ، معشر الأنصار ، إلّا ببغضهم علياً)[٦٦] .

٤٦ ـ مثـل المنـافق .

قال رسول الله (ص) : « مثل المنافق مثل جذع النخـل ، أراد صاحبـه أن ينتفع به في بعض بنائه ، فلم يستقم له في الموضع الذي أراد ، فحـوّله في مـوضع آخر فلم يستقم له فكان آخر ذلك أن أحرقه بالنار »[٦٧] .

إنّ الذي يستعمل جذوع النخل في بنائه لا ينتفع منها شيئـاً لأنّها لا تستقيم في مكان .

وإنّ الإستقـامة مـطلوبة حتى في البنـاء المـادي فكيف في البنـاء الإجتـماعي والأخلاقي ، والمجتمعات التي لا تتوخى الإستقامة ، ولا تبعد المنافقين من بنيتهـا الإجتماعية ، حالها حال مستعمل جذوع النخيل في بنائه .

كما أن جذع النخل لا ينفع إلّا بالإحراق . كذلك المنـافق لا ينفع معـه إلّا كشفه وتعريته أمام الجميـع لإظهار عيـوبه ، ومسـاوئه ثم ابعـاده من كل الأجـواء الصالحة حتى لا يؤذي ويعكّر الصفو ويفسد ما صلح .

قلب المؤمن ، وقلب المنافق ، وقلب المشرك .

عن سعد عن أبي جعفر (ع) : « إن القلوب أربعة : قلب فيه نفاق وإيمان . وقلب منكوس ، وفلب مطبوع . وقلب أزهر وأجرد ، فقلت ما الأزهر ؟

قال (ع) : فبه كهيئة السراج ، فأما المطبوع فقلب المنافق ، وأما الأزهر ففلب المؤمن ان أعطاه شكر ، وإن ابتلاه صبر ، وأما المنكوس فقلب المشرك ، ثم قرأ (ع) هذه الآية : أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أمّن يمشي سوياً على صراط مستقيم « فأمّا القلب الذي فيه إيمان ونفاق فهم قوم كانوا في الطائف فإن أدرك أحدهم أجله على نفاقه هلك ، وإن أدركه على إيمانه نجى »(٦٨) .

المعنى اللغوي لأوصاف القلوب.

١ ـ القلب المنكوس : جاء في أساس البلاغة للزمخشري : (نكّس رأسه ونكسه ـ ونكست الشيء أي قلبته فانتكس . والولد المنكوس يعني الذي تخرج رجلاه قبل رأسه) فالقلب المنكوس هو المقلوب وليس هو في وضعه الطبيعي .

٢ ـ القلب المطبوع : هو القلب المختوم أو الصدىء من كثرة الذنوب ، ففي أساس البلاغة : طبع فلان السيف والدرهم أي ضربه وسكّه .

وطبع السيف أي ركبه الصدأ الكثير ، وطبع الكتاب وعلى الكتاب أي ضرب عليه بالخاتم .

٣ ـ والقلب الأزهر هو القلب المنوّر بالإيمان . . .

قال الزمخشري في أساس البلاغة : يقال زهّرت النار والشمس ، وقمر زاهر وأزهر ، وأزهر السراج أي نوّره وأضاءه ، والنجوم تسمّى زهراً .

٤ ـ والقلب الأجرد : هو القلب البعيد من كل رحمة ، وكل معرفة إيمانية .

جاء في أساس البلاغة : يقال جرّده من ثيابه فتجرّد وانجرد ، ويقال متجرّد ومجرّد والمجرد يعني العريان ورجل أجرد يعني لا شعر على جسده .

وإنّ **القلب الأزهـر** هو قلب المؤمن . **والقلب الأجـرد** هـو قلب المنـافق ، **والقلب المنكوس** هو قلب المشرك . **والقلب المطبوع** ، هو قلب الكافر .

خصائص القلوب بأنواعها المختلفة .

١ ـ **القلب الأزهر** : هو قلب المؤمن الـذي نوّر بـالإيمان ، والـذي أزهرت فيه أعمال الخير ، والحب ، والإيمان ، والذي أصبح منوّراً بشكل كـامل ، (لأنّـه أرض طيبة معطاءة ، تنبت كل ما يبذر فيها من بذور الأمل ، والعمل) وذلك لأنّ كـل إنسان لـه نكتة بيضـاء في قلبه ، فـإذا أحسن اتسعت ، وإذا أساء ضـاقت ، فالذي يكثر من الحسنات تستـولي النكتة البيضـاء على قلبـه كلّه ، وكثرة السيئـات تمحوها ، ويصبح القلب مظلماً ، وصاحبه بعدها لا يرجى منه خير .

٢ ـ **القلب الأجرد** : هو قلب المنافق ، الذي هو كالصحراء القاحلة المليئـة بالرمال لا نبت فيها ، ولا أثر للحياة .

٣ ـ **القلب المنكوس** : هو قلب المشرك الـذي يعترف بـوجود الله ، ولكنـه يجعل معه شريكـاً ، ووضع هـذا القلب غير طبيعي ولـو كان طبيعيـاً لحوى بعض المشاعر أو الأحاسيس الإنسانية التي لا بد للإنسان السويّ أن يمتلكها .

٤ ـ **القلب المطبوع** : هو قلب الكافر ، الذي طبـع عليه ، وختم من كـثرة الذنوب ، وأعمال الشر ، وهذا القلب أكثر القلوب سوءً وتردياً .

أشد الناس نفاقاً .

أنّ أشـدّ الناس نفـاقاً من يـأمر النـاس بفعل الخـير ، وهـو يمـارس القبيـح ويطلب إليك الـطاعة ، ويعمـل هو بـالمعصية ، فهـو ينهى عن المعصية ولا ينتهي عنها .

يقول أمير المؤمنين (ع) : « أظهر الناس نفاقاً من أمر بالطاعـة ولم يعمل بهـا ونهى عن المعصية ولم ينته عنها »[٦٩] .

المنافق عليم اللسان

إنّ المنافق عليم اللسان ، وهو الذي وهب قدرة تعبيرية مميّزة يستطيع بواسطتها أن يقنع الآخرين بصوابية كلامه ، أو موقفه مع أنه يعلم أنه ينافق في ذلك .

إنّ المنافق العليم اللسان يشكّل خطراً على الأمة لأنّ لسانه يساعده على التضليل والكذب وتصوير الباطل حقاً .

قال رسول الله (ص) : « إنّ أخوف ما أخاف عليكم بعدي ، كل منافق عليم اللسان »[٧٠] .

المنافق ذو لسانين .

إنّ ذا اللسانين هو الإنسان الذي يثني على أخيه حاضراً ، ويشهّر به غائباً فإن أصابت أخاه نعمة حسده ، وإن أصابه بلاء خذله ، وهو الهمزة اللمزة يظهر لك وجهاً ، ويخفي عنك وجهاً آخر . وفي كل وقت هو في حال مغاير للحال الذي قبله ، وهو الرجل الذي يستقبلك بودّ ظاهر ، وقلبه ممتلىء غشاً وحقداً ، كما جاء في بعض الأخبار ، وقد قال رسول الله (ص) : « بئس العبد له وجهان : يقبل بوجه ، ويدبر بوجه ، إن أوتي أخوه المسلم خيراً حسده ، وإن ابتلى خذله »[٧١] .

« وقال الإمام العسكري (ع) : « بئس العبد عبد يكون ذا وجهين ، وذا لسانين يطري أخاه شاهداً ، ويأكله غائباً ، إن أعطي حسده ، وإن ابتلي خذله » .

وقال الله عز وجل لعيسى : يا عيسى ليكن لسانك في السر والعلانية لساناً واحداً ، كذلك قلبك ، إني أحذرك نفسك ، وكفى بي خبيراً ، لا يصلح لسانان في فم واحد ، ولا سيفان في غمد واحد ، ولا قلبان في صدر واحد ، وكذلك الأذهان »[٧٢] .

يقول المولى النراقي : « . . . أشد أنواع النفاق بعد كفر النفاق كون الرجل

ذا وجهين ولسانين ، بأن يمدح أخاه المسلم في حضوره ، ويظهر له المحبة والنصيحة ، ويذمّه في غيبته ، ويؤذيه بالسب ، والسعاية إلى الظالمين وهتك عرضه ، وإتلاف ماله ، وغير ذلك ، وبأن يتردّد بين متعاديين ويتكلّم لكل واحد بكلام يلفقه ، ويحسن لكل واحد منهما ما هو عليه من المعاداة مع صاحبه ، ويمدحه على ذلك . أو يعد كل واحد منهما أن ينصره ، أو ينقل كلام كل واحد إلى الآخر . وهذا شرّ من النميمة التي هي النقل من أحد الجانبين ، وبالجملة هو بجميع أقسامه مذموم محرّم وقد قال رسول الله (ص) : « يجيء يوم القيامة ذو الوجهين دالعاً لسانه في قفاه ، وآخر من قدّامه ، يلتهبان ناراً حتى يلهبا جسده ثم يقال : هذا الذي كان في الدنيا ذا وجهين وذا لسانين ، يعرف بذلك يوم القيامة »(٧٣) .

مصادقة المتعاديين

يقول المولى النراقي : « . . . ثم لا يخفى أن الدخول على المتعاديين والمجاملة مع كل منهما قولاً وفعلاً لا يوجب كونه منافقاً ، ولا ذا لسانين إذا كان صادقاً ، وإذ الواحد قد يصادق متعاديين ولكن صداقة ضعيفة ، إذ الصداقة التامة تقتضي معاداة الأعداء ، وكذا من ابتلي بذي شرّ يخاف شرّه ، يجوز أن يجامله ويتقيه ويظهر له في حضوره من المدح والمحبة ، ما لم يعتقد به قلبه وهو معنى المداراة وهو إن كان نفاقاً إلاّ أنه جائز شرعاً للعذر .

قال سبحانه وتعالى : ﴿ **إدفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون** ﴾[١] .

وروى أنه استأذن رجل على رسول الله (ص) فقال : ائذنوا له فبئس رجل العشيرة ، فلما دخل ألان له القول حتى ظنّ أن له عنده منزلة ، فلما خرج قيل له : لمّا دخل قلت الذي قلت ثم ألنت له القول ؟ فقال (ص) : إن شرّ الناس منزلة عند الله يوم القيامة من أكرمه الناس اتقاء لشرّه » .

---

[١] سورة المؤمنون : الآية ٩٦ .

وفي خبر : « ما وقى المؤمن به عرضه فهو له صدقة »[٧٤] .

الخصال التي لا تكون ولا تجتمع في منافق .

إنّ الخصال التي لا تكون في منافق ولا تجتمع فيه هي :

حسن السمت ، والفقه في الدين والسنة ، وحسن الخلق .

١ ـ **حسن السمت** : يعني حسن الهيئة ، وحسن الشكل والهندام والمظهر ، وربما كان السمت يعني النحو والحالة . جاء في أساس البلاغة للزمخشري : (خذ في هذا السمت يعني النحو والطريق ، ويقال : ما أحسن سمته) .

٢ ـ **والفقه في الدين والسنة** : هو المعرفة بالتشريع وفي أقوال وأفعال الرسول (ص) يقال : تفقّه في الدين أي تعرّف على معارفه المطلوبة ، وتعاليمه السمحاء ، والفقه وعلمه واجب الطلب بمقدار الحاجة ، وإلاّ عدّ الإنسان مقصراً ومتهاوناً ، وفي الحديث : « تفقّهوا في دينكم ولا تكونوا أعراباً ، فإنّ الذي لا يتفقّه في دينه لا ينظر الله إليه يوم القيامة ولا يزكي له عملاً » .

٣ ـ **حسن الخُلق** : وهكذا فإنّ المنافق الذي لا خلق حميداً عنده ، ولا تفقّه عنده في دين من كتاب أو سنة ولا حسن مظهر وحال يختلف اختلافاً بيّناً عن الإنسان المستقيم الذي يعرف بحسن مظهره ، والذي يدلّ على حسن سيرته . والذي يعرف بحسن دينه ، واطلاعه الكافي على هذا الدين ، وأخلاقه التي هي رمز ونموذج للأخلاق الطيبة السوية .

قال رسول الله (ص) : « خصلتان لا يكونان في منافق : حسن سمت وفقه في الدين »[٧٥] .

قال الصادق (ع) : « خصلتان لا يجتمعان في المنافق : سمت حسن ، وفقه في سنة »[٧٦] . « لا يجمع الله لمنافق ولا فاسق السمت والفقه وحسن الخلق أبداً »[٧٧] .

حال المنافقين يوم القيامة في الكتاب والسنة .

جاء في القرآن الكريم : ﴿ يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا أنظروا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً فضرب بينهم بسور له باب باطنه في الرحمة وظاهره من قبله العذاب ﴾[١] ، ﴿ وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنّم خالدين فيها ﴾[٢] ، ﴿ إنّ المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً ﴾[٣] .

وجاء في السنة الشريفة : قال رسول الله (ص) : « يجيء يوم القيامة ذو الوجهين دالعاً لسانه في قفاه وآخر من قدّامه يلتبهان ناراً حتى يلهبا جسده ثم يقال هذا الذي كان في الدنيا ذا الوجهين وذا اللسانين يعرف بذلك يوم القيامة »[٤] .

قال الصادق (ع) : « من لقي الناس بوجه وعابهم بوجه جاء يوم القيامة وله لسانان من نار » .

قال رسول الله (ص) : « ذو الوجهين في الدنيا يأتي يوم القيامة وله وجهان من نار »(٧٨) .

وعنه (ص) : « من كان ذا لسانين جعل الله له يوم القيامة لسانين من نار »(٧٩) .

الصلاة على محمد وآل محمد تذهب بالنفاق

قال رسول الله (ص) : « الصلاة عليّ وعلى أهل بيتي تذهب بالنفاق »(٨٠) .

« إرفعوا أصواتكم بالصلاة عليّ فإنّها تذهب بالنفاق »(٨١) .

إنّ الصلاة على محمد وآل محمد تعني الإرتباط بالرسول وبالرسالة ارتباطاً

---

[١] سورة الحديد : الآية ١٣

[٢] سورة التوبة : الآية ٦٧ .

[٣] سورة النساء : الآية ١٤٥ .

[٤] لقد سبق وذكرنا هذا الحديث في موضع اخر .

وجدانياً وعقائدياً وتشريعياً ، لأنّ الذي لا يؤمن بنبوّة محمد (ص) ، أو يشكك فيها ، لا يمكن أن يصلي عليه ، بمعنى طلب الرحمة والرضوان لمحمد وآله (ص) . فاعتراف الإنسان بالرسول ، إعتراف بالمرسل والرسالة والربط العاطفي يؤثر على الفكر بحيث تنقشع ظلمة الشك والريب لتحلّ محلّها أنوار الهداية . والنفاق يأخذ منحى التشويش النفسي ، والعقائدي لذلك كان الأمر الرسولي يقضي برفع الصوت بالصلاة على محمد وآله (ع) ، وبذلك تتحقّق أمور :

١ ـ إعلان الموقف الملتزم بالله ورسوله على الملأ .

٢ ـ قمع الوساوس الشيطانية ، باعتبار أن العدو الذي هو الشيطان يخنس أمام هذا الصوت ويختفي ، لأنه لا يستطيع أن يواجه بباطله الشيطاني الحق والنور المحمدي .

٣ ـ إن رفع هذا الشعار يعمّق المفهوم الإسلامي ويدحض ما يعاكسه من النفاق والإنحراف .

النفاق في صدر الإسلام .

يقول العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي في تفسيره الرائع الميزان ما يلي :

« يهتم القرآن بأمر المنافقين اهتماماً بالغاً ويكرّ عليهم كرّة عنيفة بذكر مساوىء أخلاقهم وأكاذيبهم وخدائعهم ودسائسهم والفتن التي أقاموها على النبي (ص) وعلى المسلمين ، وقد تكرّر ذكرهم في السور القرآنية كسورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنفال والتوبة والعنكبوت والأحزاب والفتح والحديد والحشر والمنافقون والتحريم .

وقد أوعدهم الله في كلامه أشدّ الوعيد ففي الدنيا بالطبع على قلوبهم وجعل الغشاوة على سمعهم وعلى أبصارهم وإذهاب نورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون ، وفي الآخرة بجعلهم في الدرك الأسفل من النار .

وليس ذلك إلاّ لشدة المصائب التي أصابت الإسلام والمسلمين من كيدهم ومكرهم وأنواع دسائسهم فلم ينل المشركون واليهود والنصارى من دين الله ما نالوه وناهيك فيهم قوله تعالى لنبيّه يشير إليهم : ﴿ **هم العدو فاحذرهم** ﴾ لقد ظهرت آثار دسائسهم ومكائدهم أوائل ما هاجر النبي (ص) إلى المدينة فورد ذكرهم في سورة البقرة ، وقد نزلت على ما قيل على رأس ستة أشهر من الهجرة ثم في السور الأخرى النازلة بعد ، بالإشارة إلى أمور من دسائسهم وفنون من مكائدهم كإنسلالهم عن الجند الإسلامي يوم أُحُد وهم ثلثهم تقريباً وعقدهم الحلف مع اليهود ، واستنهاضهم على المسلمين وبناؤهم مسجد الضرار وإشاعتهم حديث الإفك وإثارتهم الفتنة في قصة السقاية وقصة العقبة إلى غير ذلك مما تشير إليه الآيات حتى بلغ أمرهم بالإفساد وتقليب الأمور على النبي (ص) إلى حيث هددهم الله بمثل قوله ﴿ **لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغريّنك بهم ثم لا يجاورنك فيها إلاّ قليلاً ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً** ﴾[1] .

لقد استفاضت الأخبار وتكاثرت في أن عبد الله بن أبي سلول وأصحابه من المنافقين وهم الذين كانوا يقلّبون الأمور على النبي (ص) ويتربّصون به الدوائر وكانوا معروفين عند المؤمنين يقربون من ثلث القوم وهم الذين خذلوا المؤمنين يوم أحد فانمازوا منهم ورجعوا إلى المدينة قائلين لو نعلم قتالاً لاتبعناكم وهم عبد الله بن أبي سلول وأصحابه .

ومن هنا ذكر بعضهم أن حركة النفاق بدأت بدخول الإسلام المدينة واستمرت إلى قرب وفاة النبي (ص) .

هذا ما ذكره جمع منهم لكن التدبّر في حوادث زمن النبي (ص) أو الإمعان في الفتن الواقعة بعد المرحلة والإعتناء بطبيعة الإجتماع الفعالة يقضي عليه بالنظر .

أمّا أولاً : فلا دليل مقنعاً على عدم تسرّب النفاق في متّبعي النبي المؤمنين بمكة قبل الهجرة ، وقول القائلين ، أنّ النبي والمسلمين بمكة قبل الهجرة لم يكونوا

---

[1] سورة الأحزاب : الآية ٦١ .

من القوة ونفوذ الأمر وسعة الطول بحيث يهابهم الناس أو يتقونهم أو يـرجون منهم خيراً حتى يظهروا لهم الإيمان ظاهراً ويتقـرّبوا منهم بـالإسلام ، وهم مضـطهدون مفتنون معذبون بأيدي صناديد قريش ومشركي مكة المعادين لهم المعـاندين للحق بخلاف حال النبي بالمدينة بعد الهجرة فإنّـه (ص) هاجـر إليها وقـد كسب أنصاراً من الأوس والخزرج واستوثق من أقوياء رجـالهم أن يدفعـوا عنه كـما يدفعـون عن أنفسهم وأهليهم وقـد دخل الإسـلام في بيوت عـامتهم فكان مستـظهراً بهم عـلى العـدة القليلة الـذين لم يؤمنـوا بـه بقـوا عـلى شركهم ولم يكن يسعهم أن يعلنــوا مخالفتهم ويظهروا شركهم فتوقوا الشرّ بإظهار الإسلام فآمنوا بـه ظاهـراً وهـم على كفرهم باطناً فدسّوا الدسائس ومكروا ما مكروا .

. . . فـما القـدرة والقـوة المخـالفـة المهيبة ورجاء الخير بـالفعل والإستـدرار المعجل علة منحصرة للنفاق حتى يحكم بانتفاء النفاق لانتفائهـا فكثيراً مـا نجد في المجتمعات رجالاً يتبعون كل داع ويتجمعـون إلى كل نـاعق ولا يعبؤون بمخالفـة القوى المخالفة القاهرة الطاحنـة ، ويعيشون في خـطر مصرين على ذلـك رجاء أن يوّفقوا يوماً لإجراء مراميهم ويتحكّموا على الناس باستقلالهم بإدارة رحى المجتمع والعلو في الأرض وقد كان النبي يذكر في دعوته لقومه أن لو آمنوا بـه واتبعوه كـانوا ملوك الأرض .

فمن الجائز عقلاً أن يكون بعض من آمن بـه يتبعه في ظـاهر دينـه طمعاً في البلوغ بذلك إلى أمنيته وهي التقدّم والرئاسـة والإستعلاء والأثـر المترتب عـلى هذا النوع من النفاق ليس هو تقليب الأمور وتـربّص الدوائـر على الإسـلام والمسلمين وإفساد المجتمع الديني بل تقـويته بمـا أمكن وتفديتـه بالمـال والجاه لتنتـظم بذلـك الأمور ويتهيء لاستفادته منه واستدراره لنفع شخصه .

نعم يمكر مثل هذا المنافق بالمخالفة والمضادة فيـما إذا لاح من الدين مثـلًا ما يخالف أمنية تقدّمه وتسلّطه إرجاعاً للأمر إلى سبيل ينتهي إلى غرضه الفاسد .

وأيضـاً من الممكن أن يكون بعض المسلمين يرتـاب في دينه فـيرتـد ويكتم ارتداده كما مرّت الإشارة إليه في قوله تعالى ﴿ **ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا** ﴾ ، وكما يظهر من لحن مثل قولـه تعالى : ﴿ **يـا أيها الـذين آمنوا من يـرتدّ منكم عن دينـه**

فسوف يأتي الله بقوم ﴾[1] .

وأيضاً الذين آمنوا من مشركي مكة يوم الفتح لا يؤمن أكثرهم بل لا يؤمنوا إيمان صدق وإخلاص ومن البديهي عند من تدبّر في حوادث سني الدعوة أن كفار مكة ومن والاها وخاصة صناديد قريش ما كانوا ليؤمنوا بالنبي (ص) لولا سواد جنود غشيتهم وبريق سيوف مسلّطة فوق رؤوسهم يوم الفتح وكيف يمكن مع ذلك القضاء بأنه حدث في قلوبهم والظرف هذا ظرف نور الإيمان وفي نفوسهم الإخلاص واليقين فآمنوا بالله طوعاً من آخرهم ولم يدبّ فيهم دبيب النفاق أصلاً ؟ .

وأمّا ثانياً : فلأن استمرار النفاق إلى قرب رحلة النبي وانقطاعه عند ذلك ممنوع ، نعم انقطع الخبر عن المنافقين بالرحلة وانعقاد الخلافة وانمحى أثرهم فلم يظهر منهم ما كان يظهر من الآثار المضادة والمكائد والدسائس المشؤومة .

فهل كان ذلك لأن المنافقين وفّقوا للإسلام وأخلصوا الإيمان عن آخرهم برحلة النبي وتأثرت قلوبهم من موته ما لم يتأثّر بحياته ؟ أو أنهم صالحوا أولياء الحكومة الإسلامية على ترك المزاحمة بأن يسمح لهم ما فيه أمنيتهم مصالحة سريّة بعد الرحلة أو قبلها أو أنه وقع هناك تصالح إتفاقي بينهم وبين المسلمين فوردوا جميعاً في مشرعة سواء فارتفع التصاك والتصادم .

ولعلّ التدبّر الكافي في حوادث آخر عهد النبي والفتن الواقعة بعد رحلته يهدي إلى الحصول على جواب شاف لهذه الأسئلة والذي أوردناه في هذا الفصل إشارة إجمالية إلى سبيل البحث(٨٢) .

ويقول العلامة الطباطبائي في تفسير قوله تعالى : **﴿ وليقول الذين في قلوبهم مرض ﴾**[2] .

« ذكر بعضهم أن قوله تعالى : **﴿ وليقول الذين في قلوبهم مرض ﴾** الآية

---

[١] سورة المائدة : الآية ٥٤ .

[٢] سورة المدثر : الآية ٣ .

بناء على أن السورة بتمامها مكيّة وانّ النفاق إنّما حدث بالمدينة إخبار عمّا سيحدث من المغيبات بعد الهجرة .

أما كون السورة بتمامها مكية فهو المتعينّ من طريق النقل وقد أدعي عليه إجماع المفسّرين وما نقل عن مقاتل أن قوله ﴿ **وما جعلنا أصحاب النار إلاّ ملائكة** ﴾ الآية مدنية لم يثبت من طريق النقل وعلى فرض الثبوت هو قول نظري مبني على حدوث النفاق بالمدينة والآية تخبر عنه .

وأمّا حديث حدوث النفاق بالمدينة فقد أصرّ عليه بعضهم محتجاً عليه بأن النبي والمسلمين لم يكونوا قبل الهجرة من القوة ونفوذ الأمر وسعة الطول بحيث يهابهم الناس أو يرجى منهم خير حتى يتقوهم ويظهروا لهم الإيمان ويلحقوا بجمعهم مع إبطال الكفر وهذا بخلاف حالهم بالمدينة بعد الهجرة .

والحجة غير تامة كما أشرنا إليه في تفسير سورة المنافقون في كلام حول النفاق فإن علل النفاق ليست تنحصر في المخافة والإتقاء أو الإستدرار من خير معجّل فمن علله الطمع ولو في نفع مؤجل ومنها العصبية والحمية ومنها استقرار العادة ومنها غير ذلك .

ولا دليل على انتفاء جميع هذه العلل عن جميع من آمن بالنبي بمكة قبل الهجرة وقد نقل عن بعضهم أنه آمن ثم رجع أو آمن عن ريب ثم صلح .

على أنّه تعالى يقول : ﴿ **ومن الناس من يقول آمناً بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربّك ليقولنّ إنّا كنا معكم أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين** ﴾[١] .

والآيتان في سورة مكية وهي سورة العنكبوت وهما ناطقتان بوجود النفاق فيها ومع الغض عن كون السورة مكية ، فاشتمال الآية على حديث الإيذاء في الله والفتنة أصدق شاهد على نزول الآيتين بمكة فلم يكن بالمدينة إيذاء في الله وفتنة واشتمال الآية على قوله (ولئن جاء نصر من ربك) لا يدلّ على النزول بالمدينة فللنصر مصاديق أخرى غير الفتح المعجّل .

---

[١] سورة العنكبوت : الآية ١١ .

واحتمال أن يكون المراد بالفتنة ما وقعت بمكة بعد الهجرة غير ظاهر فإن هؤلاء المفتونين بمكة بعد الهجرة إنّما كانوا من الذين آمنوا بالنبي قبل الهجرة وإن أوذوا بعدها وعلى مثل ذلك ينبغي أن يحمل قوله تعالى : ﴿ **ومن الناس من يعبد الله على حرف فإنّ أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه** ﴾[1] .

إن كان المراد بالفتنة العذاب وإن كانت السور مدنية »(٨٢) . .



[١] سورة الحج : الآية ١١ .

مصادر ومراجع البحث

(١) كنز العمال : خطبة ٢٨٩٧٢ , .

(٢) لسان العرب : ج ١٤ ص ٢٤٣ .

(٣) معجم ألفاظ القرآن : ج ٢ ص ٧١٧ .

(٤) جامع السعادات : ج ٢ ص ٤٢٣

(٥) غرر الحكم .

(٦) أصول الكافي : مجلد ٢ ص ٣٩٦ .

(٧) كنز العمال : خطبة ١٧٣٤ .

(٨) غرر الحكم .

(٩) غرر الحكم .

(١٠) جامع السعادات : ج ٢ ص ٤٢٣ .

(١١) ورام : تنبيه الخواطر ونزهة النواظر / مجموعة ورام ج ١ ص ١٠٦ .

(١٢) المصدر نفسه : ص ١٠٧ .

(١٣) ورام : تنبيه الخواطر ، ونزهة النواظر : ج ١ ص ١٨٢ .

(١٤) ورام : تنبيه الخواطر / ونزهة النواظر : ج ١ ص ١٨٢ .

(١٥) المصدر نفسه : ص ١٨٧ .

(١٦) راجع : تفسير الميزان : ج ١٩/ للسيد الطباطبائي : ص ٢٨٧ .

(١٧) ميزان الحكمة : ج ١٠ ، ص ١٥٦ ، عن غرر الحكم .

(١٨) ميزان الحكمة : ج ١٠ ص ١٥٦ عن غرر الحكم .

(*) راجع مجلة المنطلق : عدد ٤٨/ ص ١٤ ـ ١٨ .

(١٩) أصول الكافي : ج ٢ ص ٣٩١ ـ ٣٩٢ .

(٢٠) المفردات للراغب الإصفهاني .
(٢١) أساس البلاغة للزمخشري .
(٢٢) معجم ألفاظ القرآن الكريم .
(٢٣) أصول الكافي : ج ٢ حاشية ص ٣٩٢ .
(٢٤) معجم ألفاظ القرآن الكريم .
(٢٥) المفردات للراغب الإصفهاني .
(٢٦) أساس البلاغة للزمخشري .
(٢٧) معجم ألفاظ القرآن الكريم .
(٢٨) المفردات للراغب .
(٢٩) أساس البلاغة للزمخشري .
(٣٠) أصول الكافي : ج ٢ ص ٣٩١ ـ ٣٩٢ .
(٣١) غرر الحكم .
(٣١) غرر الحكم .
(٣٢) غرر الحكم .
(٣٣) غرر الحكم .
(٣٤) غرر الحكم .
(٣٥) غرر الحكم .
(٣٦) غرر الحكم .
(٣٧) راجع : سيرة ابن هشام : ج ٣ ص ٥ .
(٣٨) المصدر نفسه : ج ٤ ص ١٢٥ .
(٣٩) المصدر نفسه : ج ٣ ص ١٢٧ .
(٤٠) جهجاه ابن مسعود .
(٤١) سنان بن وبر .
(٤٢) سيرة ابن هشام : ج ٣ ص ١٨٣ .
(٤٣) سيرة ابن هشام : ج ٤٣ ص ١٢١ .
(٤٤) راجع : سيرة ابن هشام : ج ٤ ص ١٢٨ .
(٤٥) غرر الحكم .
(٤٦) نهج البلاغة : خطبة ١٩٤ .
(٤٧) غرر الحكم .
(٤٨) غرر الحكم .
(٤٩) بحار الأنوار : ج ٧٢ ص ١٧٦ .
(٥٠) غرر الحكم .

(٥١) فروع الكافي : ج ٨ ص ١٥١ .
(٥٢) بحار الأنوار : ج ٧٢ ص ٢٠٦ .
(٥٣) بحار الأنوار : ج ٧٢ ص ٢٠٦ .
(٥٤) المصدر نفسه : ص ٢٠٥ .
(٥٥) المصدر نفسه : ج ٦٨ ص ٥٠ .
(٥٦) كنز العمال : خطبة ٨٥٤ .
(٥٧) المصدر نفس : خطبة ٨٥٠ .
(٥٨) نهج البلاغة : خطبة ١٩٤ .
(٥٩) كنز العمال : خطبة ٨٦٢ .
(٦٠)(٦١) غرر الحكم .
(٦٢) كنز العمال : خطبة ٢٣٨٩٧٢ .
(٦٣) غرر الحكم .
(٦٤) ينابيع المودة : ج ٢ ص ٦ .
(٦٥) نهج البلاغة : خطبة ٤٥ .
(٦٦) ينابيع المودة : ج ١ ص ٤٥ .
(٦٧) أصول الكافي : ج ٢ ص ٣٩٦ .
(٦٨) الكافي : ج ٢ ص ٤٢٢ .
(٦٩) غرر الحكم .
(٧٠) الترغيب والترهيب : ج ١ ص ١٢٧ .
(٧١) بحار الأنوار : ج ٧٢ ص ٢٠٤ .
(٧٢) بحار الأنوار : ج ٧٥ ص ٢٠٥ .
(٧٣) جامع السعادات : ج ٣ .
(٧٤) جامع السعادات : ج ٣ ص ٤٢٥ .
(٧٥) كنز العمال : خطبة ٧٧١ .
(٧٦) بحار الأنوار : ج ٧٨ ص ٢٥١ .
(٧٧) المصدر السابق : ص ٢٥٤ .
(٧٨) الترغيب والترهيب : ج ٣ ص ٦٠٣ .
(٧٩) المصدر السابق : ص ٦٠٤ .
(٨٠) الوسائل : ج ٤ ص ٢١١ .
(٨١) الوسائل : ج ٦ ص ٢١٦ .
(٨٢) الميزان في تفسير القرآن : ج ١٩ ص ٢٨٧ - ٢٩٠ .
(٨٣) الميزان في تفسير القرآن : ج ٢٠ ص ٩٠ - ٩١ .





الـردّة

لا يذوق طعم الايمان إلاّ من كان الاحراق بالنار أحب إليه من أن يرتد عن دينه .

محتويـات البحـث



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ومن يرتدِدْ منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة ، وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾[١] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتدّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ﴾[٢] .

﴿ كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم ، وشهدوا أن الرسول حقّ ، وجاءهم البينات ، والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾[٣] .

﴿ إنّ الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً ﴾[٤] .

* * *

قال رسول الله (ص) : « ثلاث مَنْ كنّ فيه ذاق طعم الإيمان :

١ ـ من كان لا شيء أحب إليه من الله ورسوله .

---

[١] سورة البقرة : الاية ٢١٧ .

[٢] سورة المائدة : الاية ٥٤ .

[٣] سورة آل عمران : الآية ٨٦ .

[٤] سورة النساء : الاية ١٣٧

٢ ـ ومن كـان لئن يحرق بـالنـار أحب إليـه من أن يـرتـد عن دينه .

٣ ـ ومن كان يحب بالله ويبغض بالله »[١] .

* * *

ماهية الردّة والإرتداد

يقـول الـراغب الاصفهـاني ، في المفـردات ، انّ الـردة والإرتـداد هي : « الـرجوع في الـطريق الذي جـاء منه ، لكن الـردة تختص بـالكفـر ، والإرتـداد يستعمل فيه وفي غيره » .

فالرجوع إلى الكفر ، أو ترك الإسلام ، بالرغبـة عنه والكفـر بما أنـزل على محمـد (ص) ، ومحاربـة دين الله أو اتخاذ آيـات الله هـزواً ولعبـاً ، والإستخفـاف بالدين والشريعة ، وكل قول أو فعل يقصد منه تحقير أو إهانة ما هو معلوم بأنه من الإسلام ، على وجه القطع ، سواء أكان من الأصول العقائـدية ، أو من الفـروع التشريعية ، كل ذلك يعدّ إرتداداً عن الإسلام .

وهذا ما يجعل المرتـد في وضع معـارض للصراط المستقيم ، لأنّه قـد تمسَّك بخطوط منحرفـة . . . وهناك من يتمتـع بقابليـة الإرتداد ، لأنّ إيمـانه بـالله إيمان تقليدي ، سطحي ، غير متجذر في أعـماق نفسه ، وربمـا سقط هذا الإنسـان عند أول امتحان ، لأنّه لم يرتكز في تديّنه على قواعد ثابتة متينة .

ومن المعلوم أن من تشهَّـد الشهادتـين ، عدّ مسلماً ، وجـرت عليه أحكـام الإسلام .

ومن تراجع عن الشهادتين أو عن إحداهما ؛ بإنكار الالوهية ، أو النبـوة أو الـرسالـة ، أو الشريعة ، أو أنكـر ضرورة من ضرورات الدين ، بحيث أدى إلى إنكار النبوّة ، كان مرتداً ، كافراً . . .

قال تعالى : **﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾**[٢] .

---

[١] كنز العمال : ج ١ ص ٣٨ .

[٢] سورة آل عمران : الآية ٨٥ .

وعن علي (ع) أنه قال في صفة النبي (ص) : « أرسله بحجة كافية ، وموعظة شافية ، ودعوة متلافية ، أظهر به الشرائع المجهولة ، وقمع به البدع المدخولة ، وبيّن به الأحكام المفصولة .

« فمن يبتغ غير الإسلام ديناً تتحقق شقوته ، وتنفصم عروته ، وتعظم كبوته ، ويكن مآبه إلى الحزن الطويل والعذاب الوبيل »[1] .

وفي هذا الصدد يقول الشيخ أحمد بن محمد الأردبيلي : « يتحقق الإرتداد من مسلم بالغ عاقل ، اما بفعل دال عليه ، مثل عبادة غير الله تعالى . كعبادة الأصنام والسجود لها ، وعبادة الشمس والقمر ، وإلقاء المصحف عامداً عالماً في القاذورات وضربه بالرجل ، وتمزيقه إهانة وإعراضاً ، ونحو ذلك ممّا يدل على الإستهزاء بالشرع والشارع .

« وأما بقول دال على الخروج من الإسلام ، والإهانة بالشرع والشارع ، والإستهزاء به ، سواء أكان عناداً ، أو سخرية أو إعتقاداً مثل أن يقول : الله ليس بموجود ، أو له شريك أو ليس بشيء ، أو يقول محمد (ص) ليس على حق ، والإسلام ليس بحق ، ونحو ذلك .

أو ينكر ما علم من الدين ضرورة ، مثل إنكار وجوب الصلاة والصوم والزكاة . . . وبالجملة ما يدل على قصده إهانة الشرع ، وعدم الإعتقاد أنه حقّ ، وعدم الإعتداد به فعلاً كان أو قولاً ، معتقداً بالإهانة أو غير معتقد ، بل مجرد الهزل والمزاح ، وعدم الإعتداد أي الإهتمام ـ بشأن الإسلام في تحقّق الإرتداد .

ولا عبرة بفعل الصبي وقوله ما لم يبلغ ، ولا المجنون ما لم يفق ، ولا المكره ما لم يرتفع الإكراه ، ولا السكران ما لم يذهب السكر »[2] .

بين الإيمان والرِّدَّة

إنّ الإيمان هو القوة التي تعصم الإنسان ، عن الهبوط في مهاوي الإنحراف ، والضلال ، وتجعله متمسكاً بالحق ، مدافعاً عنه ، عارفاً بأن سبيل الله هو سبيل العدل والرحمة ، لا يتراجع عنه ، ولا يستبدله بغيره ، وذلك لأنّ من أسلم وجهه لله ، مخلصاً له الدين لا يمكن أن يرتد عن دينه ، أو أن ينكص على

عقبيه ، ولو أحرق بالنار ، عند ذلك يذوق طعم الإيمان .

وبعض الناس يعملون لمدة طويلة من حياتهم عمل أهل الإيمان ، ولكنهم في النهاية يكون مصيرهم إلى النار ، لأنّهم عبدوا الدنيا ، وغرّهم بالله الغرور . . . فارتدوا عن دينهم ، والبعض الآخر ، ربما كان عمله سيئاً ، ولكنه يربح الجنة آخر الأمر ، لأنه تاب إلى الله توبة نصوحاً ، فتاب الله عليه ، وغفر له . وشفع له رسول الله (ص) وأهل البيت (ع) .

وعن رسول الله (ص) : « فإذا مت فأنا فرطكم وموعدكم الحوض . . . فأقول يا ربّ أمتي فيقال : إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك مرتدين على أعقابهم » .

المرتدون مفلسون

إنّ الإرتداد على الأعقاب كفر ، وانحراف ، لأنّ صلاة المرتدين ، وزكاتهم ، وحجهم ، لن ينفعهم بسبب ارتدادهم ، وسوء أعمالهم ، لذلك عدّ ، من كان كذلك من جملة المفلسين ، الذين وصفهم رسول الله (ص) ، عندما سأل (ص) أصحابه .

« أتدرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس من لا درهم له ، ولا متاع . فقال رسول الله (ص) : المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة ، وزكاة وصيام ، يأتي وقد شتم هذا ، وقذف هذا وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطي هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن مات وقد فنيت حسناته ، قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم ، فطرحت عليه ، ثم طرح في النار » .

ويقول الله تبارك وتعالى : **﴿ ومن يرتدْ منكم عن دينه فيمت، وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا ، والآخرة وأولئك أصحاب النار ، هم فيها خالدون ﴾**[١] .

---

[١] سورة البقرة : الآية ٢١٧ .

من أسباب الردة إضاعة مقاييس التمييز بين الحق والباطل

. . . وهكذا فإن التهاون في العمل ، أو الوهن يدخل القلب ، يحوّل الإنسان من تاجر ربحت تجارته أضعافاً مضاعفة ، إلى تاجر لا ينال من تجارته إلاّ التعب والنكد ، لا يجني منها إلاّ الخزي والخسران ، والندم الطويل ، وإن ثبوت إيمان المؤمن ، واستقراره عليه ، هما اللذان يجعلانه ؛ لا يتراجع ، ولو تعرّض لشتى أنواع العذاب والتعذيب لأنّ هذا الإيمان يكون عن قناعة ويقين ، ولأنّه الإيمان الكامل ، الذي يمنع صاحبه من أن يغيّر أو يبدّل . . . فهو كالطود الشامخ ، لا تؤثر فيه الزلازل ، ولا تزعزعه العواصف والأرياح .

إنّ الردة تقابل الإيمان وتعاكسه ، لأن المرتد يعاني من خلل في قناعاته ، أوصلته إلى النكوص ، والتراجع ، حتى غدا يفضّل الظلمة ـ ظلمة الكفر ـ على النور ـ نور الهداية والإسلام ، فالتبست عليه الأمور؛ ، فرأى الباطل حقاً ، والحق باطلاً ، بعد أن أضاع مقاييس التمييز بين الحق والباطل .

الردّة السياسية ـ الثورية

إن موضوع الردة والإرتداد مرتبط بالوضع السياسي والإجتماعي للمجتمع الإسلامي ، فإذا أخذنا نموذج الدولة الإسلامية على عهد الرسول الأعظم (ص) ، نبيّن الكثير من الأمور المتعلقة بهذا الأمر ، ونستنتج من قوله سبحانه : ﴿ **أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم** ﴾[1] . . . . إنه عند حصول توسّع كمي في الجماعة المسلمة ، تخترقها عناصر كثيرة من النفوذيين وهؤلاء هم قطاع المنافقين الذين ينفذون المخططات المشبوهة ، والمعادية للإسلام ، والمسلمين ، ومن هؤلاء وأضرابهم من أعلن كفره وارتداده عن دين الله ، والتحق بصفوف أهل الكفر ، والشرك . ونلاحظ أيضاً ، أنه في زمننا هذا ، هناك من أيّد وبارك انتصار الثورة الإسلامية في إيران ، ولكنّه عاد وتراجع عن ذلك ، لأنّه أدرك أن هذا الإسلام ، الذي تطرحه الثورة

---

[١] سورة آل عمران : الآية ١٤٤ .

يختلف عمّا كان يتصوره، أو يرغبه، وبهذا يكون قد ارتدّ ردّة (سياسية ثورية)، مع العلم أنه لا فصل في الإسلام بين الديانة والسياسة ، فسياستنا عين ديانتنا ، وديانتنا عين سياستنا ، ولكننا نميز بين الردّتين من باب التسامح ، مع أننا لا نريد الخوض في هذا الموضوع ، إلاّ أننا نقول : إنّ الردة لها تأثيرها على الوضع السياسي ، والإجتماعي للجماعة المسلمة ، وهذا يحتاج إلى بحث طويل . . . لا مجال له الآن .

هل في العالم الإسلامي المعاصر ردّة ؟

للجواب على هذا السؤال ننقل ما قاله أحد الكتاب الإسلاميين حول هذا الموضوع لكونه يفي بالغرض :

أ ـ قال تعالى : **﴿ إنّ الذين ارتدّوا على إدبارهم من بعد ما تبينّ لهم الهدى الشيطان سوّل لهم وأملى لهم ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزّل الله سنطيعكم في بعض الأمر ﴾**[١] .

إنّ الآية نص صريح في الحكم بالردة على كل من أطاع الكافرين ولو في بعض أمره . فالآية اعتبرت مرتداً من أعطى لمن كره ما أنزل الله الطاعة في بعض الأمر ، والواقع الذي نرى عليه حال كثير من ذراري المسلمين أنهم أعطوا الطاعة كاملة في كل شيء لطبقات من الكافرين مستحلّين ذلك غير شاعرين بالكفر أو شاعرين به .

ومنهم من أعطاه لكافر صريح ومنهم من أعطاه لمنافق والأمثلة أكثر من أن تحصى .

ب ـ قال تعالى : **﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾**[٢] .

فهذه الآية صريحة في تكفير من لم يحكم بما أنزل الله وبعض العلماء يجعلها

---

[١] سورة محمد : الآية ٢٥ ـ ٢٦ .

[٢] سورة المائدة : الآية ٤٤ .

فيمن يفضلون على حكم الله حكماً آخر أو يستحلون الحكم بغير ما أنزل الله .

وعلى أي حملنا الآية فإنّ تطبيقاته في العالم الإسلامي كثيرة حتى أصبح الحكم بغير ما أنزل الله هو السمة الأصيلة في كل نظام حكم في العالم الإسلامي تقريباً .

والناس في ذلك أقسام فمنهم الداعي جهراً إلى تطبيق غير حكم الله كإباحة الزنا والفجور والعهر والخمر والتماثيل ونبذ الحدود والقصاص والتسمك بالقوانين الوضعية .

ومنهم الذي ينفّذ ذلك ولو ناقشته لوجدته كالآخرين ومنهم الذي لا يرى صلاحية الأحكام الإسلامية للتطبيق ، ومنهم الذي اعتاد على الكفر المحكوم به حتى لو حملته على التفكير بالثورة عليه نفر .

ومنهم الذي إذا دعوته إلى العودة إلى الكتاب والسنة وأقوال الأئمة سخر واستهزأ .

ومنهم الذي إذا دعوته إلى العمل للعودة إلى أحكام الله قال لك قد انتهى هذا الدور .

ومنهم الذي يعتبر أحكام الله رجعية وغيرها تقدمية .

ومنهم الذي ينادي في زعمه بدعوات إصلاحية وهو يدعو إلى ترك أحكام الله واستبدالها بغيرها . . .

وقد ظهرت هذه المعاني كلّها بحكومات وأحزاب وجمعيات ومؤسسات واتجاهات وصحف ومجلات حتى أصبح الأمر لا يطاق .

وقد تتفاوت الأقطار الإسلامية من حيث ظهور هذا المعاني فيها ولكن بذور هذا كله موجودة بعضها أشجر وأثمر وبعضها أخذ طريقه إلى الإشجار والإثمار الخبيث .

حتى لقد وصل الأمر في بعض البلاد أن سار بعض الحكام في طريق استئصال العبادات والعادات الإسلامية فيأمر أحدهم المسلمين بالافطار في

رمضان ويفطر أمامهم علناً ويحدّد بعضهم عدد من يسمح لهم بالذهار إلى الحج ـ هذا إذا سمح ـ .

أما القوانين فحتى قوانين الأحوال الشخصية لم تسلم من إدخال الشرائع الكافرة فيها في أكثر البلدان . فبماذا نحكم على أصحاب ذلك كله ؟ .

ج ـ قال تعالى : ﴿ **فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلّهم ضلالاً بعيداً** ﴾[1] .

لقد ذكرت هاتان الآيتان أن علامة الإيمان القبول والرضا بتحكيم الله في كتابه وتحكيم الرسول في سنّته وعلامة النفاق عدم الرضا والإحتكام إلى غير الله ورسوله .

وواضح أن أغلب المنظمات السياسية في العالم الإسلامي وعامة الحكومات ليس عندهم استعداد أبداً للإحتكام إلى كتاب الله وإذا كانت جماهير المسلمين متأثرة بهذه المنظمات والحكومات إلى حدّ كبير وتشارك في تأييدها وطاعتها فإن ذلك يبينّ بوضوح الطريق الخطر الذي سار عليه المسلمون .

د ـ قال تعالى : ﴿ **إن الحكم إلاّ لله أمر ألا تعبدوا إلاّ إياه ذلك الدين القيّم** ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ **ألا له الخلق والأمر** ﴾[3] .

فقد حصر الحاكمية به جل جلاله فهو الحاكم المطلق وأي خروج على هذه

---

[1] سورة النساء : الآية ٥٩ ـ ٦٠ .

[2] سورة يوسف : الآية ٤٠ .

[3] سورة الأعراف · الآية ٥٤ .

الحاكمية أو عدم إذعان لها أو عدم استسلام ورضا يعني عدم الإيمان ، قال تعالى : ﴿ **فلا وربّك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلّموا تسليماً** ﴾[١] .

وأي نظرة تلقيها على المسلمين تجد بوضوح تام أن كتاب الله في واد والناس في واد آخر . وأي نقاش تدخله مع الكثير ممن هم أبناء مسلمين تجد التسليم للنصوص فيه عندهم مفقوداً .

هـ ـ قال تعالى : ﴿ **وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشدّ العذاب** ﴾[٢] .

لقد اعتبرت هذه الآيات تطبيق بعض الكتاب إيماناً بهذا البعض وعدم تطبيق البعض الآخر كفراً بهذا البعض وإذن فعدم التطبيق العملي للكتاب على مستوى الأمة نوع من أنواع الكفر وما أكثر هذا النوع من الكفر الآن في الأقطار الإسلامية . إن هذا النوع من الكفر جزاؤه الذلة في الدنيا والعذاب في الآخرة. ولعلّ وقوع المسلمين في هذا النوع من الكفر التطبيقي سبب من أسباب ذلتهم .

ولعل هذه الآية تبين لنا سبب النهاية السيئة لكثير من الحاكمين فهم بين طريد وخليع وقتيل ومتّهم . . وكلها أنواع من الذلة .

على ضوء ما مرّ معنا نستطيع أن نقول ان في العالم الإسلامي اليوم ردّة ، ومن لم يرتدّ من أبنائه فإنه في حالة ترك للإسلام والقليل القليل من بقي متمسّكاً به معتصماً بحبل الله .

---

[١] سورة النساء : الآية ٦٤ .

[٢] سورة البقرة : الآية ٨٤ .

الإيمان في مواجهة الصعوبات

وقد ورد في الخبر : « انّ شرف الإنسان في دينه ـ وانه لا شرف أعلى من الإسلام ـ وما سوى ذلك ، فهو ذلّ ومهانة وخسران »[٣] .

ويقول علي (ع) : « إنّ ظاهر الإسلام مشرق ، وباطنه مونق » .

فلا شرف بلا إيمان ولا إيمان بلا قناعة ، وخصوصاً انّ وجود الإنسان يرتبط بالعقل ، والسلوك ، والمشاعر ، فإن استطاع الإنسان أن يحصّل قناعات على مستوى وعي الكون ، والحياة ، والإنسان ، ومعرفة الخالق ، وما يريده من المخلوقين، وائتمر بأوامر ربه ، وانتهى عن نواهيه ، كان صاحب دين وإيمان ، والإنسان الذي ليس عنده كامل القناعة بالدين ، يسهل ارتداده ، فالردّة هي وليدة عدم الإيمان ، الراسخ الواعي ، وفي هذه الحالة ، تكون المصلحة الذاتية ، أو مصلحة الجماعة ، هي التي تطغى على مجرى الأحداث ، وتغيّر مسلك الأشخاص ، وقناعات الناس ، ولا تنكشف حقيقة الإنسان ، وحقيقة إيمانه ، إلّا عندما تتعرّض الجماعة للصعوبات والإبتلاءات ، فالمؤمنون حقيقة ، بقضاياهم ، تحمّلوا ويتحمّلون من الأذى ، ما لا يمكن أن يتحمله أحد . . .

وعلى رأس هؤلاء سيد الشهداء الإمام الحسين (ع) ، والرموز الإسلامية الكبرى ، التي واجهت الصعوبات من أجل الله ، والرسالة .

ومن المعروف أن الكثير من الناس تتغلّب عليهم مصالحهم الخاصة ، وتكون لهم الهدف المرتجى ، ولذلك يتخلّون عن كل أمر مقدس ، ويميلون إلى هذه المصلحة ، بخلاف المؤمن الذي يتقبّل العذاب . . . وحتى الموت ويتقبّل الحياة المليئة بالصعوبات في سبيل الإيمان والإسلام ، وكلّما ازداد إيمان الإنسان ازدادت تضحيته في سبيل الله ، وكلّما ضعف إيمانه ازدادت القابلية للردّة ، والتراجع عن الإسلام .

لا بدّ من انتصار الإسلام على الكفر

إنّ من يعلم أن الإسلام ، هو المشروع الإلهي في الكون والحياة ، وأنّه لا بدّ منتصر ومتحقّق ، يتعاظم تمسّكه بالإسلام ، ويتعمّق إيمانه .

وقـد قال تبـارك وتعالى : ﴿ **هـو الذي أرسـل رسولـه بالهـدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كله** ﴾[١] .

وعن رسـول الله (ص) أنـه قــال : « الإسـلام يعلو ولا يعـلى عليـه »(٤) « الإسلام يزيد ولا ينقص »(٥) .

وعلى هذا الأساس فالله تبارك وتعالى هو الذي أرسـل الرُسُـل بالإسـلام ، دين الله الـذي سيظهـره على الأديـان المنحرفـة عن الصراط المستقيم ، فالإسـلام يعلو ويسمو وغيره يضمحّل ، ويتسافل .

والمتمسّكـون بـدين الله الحنيف هم صفـوة الخلق ، وأحبّـاء الله الـذين لا تلهيهم الدنيا عن ذكر الله ، أولئك لهم عقبى الدار ، وأمّا أهل الفسق والفجور ، وأعـداء الله تعـالى ، والـرسـول (ص) ، البعيـدون عن خط الإسـلام القـويم ، والمرتدّون عن دين الحقّ فلا خلاق لهم ، وليس لهم في الآخرة من نصير ولا مجير .

ومما لا شكّ فيه أن الإيمان والردة ضدان ، فـالمؤمن الحق ، بفضل وعيـه ، وتفكّره ، في خلق السموات والأرض ، وارتباطه بالله سبحانه ، وممارسته للأعمال الخيرة ، يعيش حالة قد تصل إلى درجة تغيّبه عمّا سـوى الله فهل يمكن لمن كـان في مثل هذا المستوى أن يرتّد ، أو أن يفكّر بـالتراجـع عن الإسلام ؟ وهـل يعقل أن يهجر عالم النور من يسبح في بحاره ، ليتخبّط في عالم الظلمات ؟ .

وعـلى هذا الأسـاس فلا إيمـان بلا تضحيـات ، حتى ولو كـان بالحيـاة مـع الإستعداد لمواجهة الصعوبـات ، وتجاوز المحن واستيعـاب أقسى المصائب وتحمّـل المشقات .

الإسلام ومؤامرات الأعداء

يقول علي (ع) : « إنّ الله خصّكم بالإسلام واستخلصكم له ، وذلك لأنّه إسم سلامة وجماع كرامة اصطفى الله منهجه وبيّن حججه . . . لا تفتح الخـيرات إلا بمفاتيحه ، ولا تنكشف الظلمات إلا بمصابيحه »(٦) .

---

[١] سورة التوبة : الآية ٣٣ .

إنّ اختصاص الناس بالإسلام ، من قبل المولى العلي القدير لم يكن إلّا رحمة بهم وإكراماً لهم ، لأنّ الإسلام إسم للسلامة ، والسلامة مطمع كل طالب ، وجماع للكرامة ، كرامة كل إنسان ، عاقل شريف .

وهل هناك أعظم من السلامة وأكمل من الكرامة ؟ .

وسلامة الإنسان هدف أساسي وكرامته غاية سامية ، فالإنسان بلا سلامة لا يهنأ له عيش ، وهو بلا كرامة لا تطيب له نفس . والإسلام ثورة مستمرة لا تتوقف إلا بانتهاء الظلم وإزهاق الباطل وإحقاق الحق ، لذلك فإنّ من سماتها ، الوقوف بوجه الصعوبات ، وتلقي الصدمات ، من أعداء الحق والعدل في الحياة ، وهذا ما نعرفه ، من تاريخنا الإسلامي المشرق ، ممّا جرى مع الرسول(ص) ، والأئمة الأطهار (ع) ، وما يجري الآن مع الثورة الإسلامية في إيران . . . ولولا الإيمان العظيم الذي تحمله صدور أبناء هذه الثورة ، لما قامت لها قائمة ، بسبب ضخامة المؤامرات ، ودقّة تخطيطاتها وقساوة الضربات . . لكن بروح الصبر ، الذيْ يعطي القوة للروح ، وبالعمل والجهاد صمدت الثورة ، واستمرت حتى يأذن الله بخروج صاحب العصر والزمان لإقامة دولة الإسلام العالمية .

النبي إبراهيم (ع) والثبات على الدين والإيمان

عن علي (ع) أنه قال : « إن الله عزّ وجل جعل الإسلام ، صراطاً منير الأعلام ، مشرق المنار ، فيه تأتلف القلوب ، وعليه تآخى الإخوان »(٧) .

وهل هناك سبيل أفضل من أن يسير الإنسان على طريق واضح ، خال من كلّ الموانع ، والحواجز ، تضيئه منارات ، وأعلام لإرشاد السالكين ، وتأخذ بيد المسترشدين ، وتوصلهم إلى مأمنهم وبغيتهم بكل أمان ؟ .

وهل هناك أسمى من أن نسلك طريقاً تأتلف قلوبنا عليه ، وتتآخى نفوسنا فيه ، فبالإلفة والتآخي ، والمحبة ، نصل إلى ما نبتغي ، ونحب ، وتظللنا رحمة الله ويملؤنا رضاه . . . إن نحن تمسّكنا بديننا ، واعتصمنا بحبل ربّنا ، ولم نخف في الله لومة لائم ، ولا أية قوة مهما كانت ظالمة . . .

إن المؤمنـين في المجتمعات الفـاسقـة ، أو العلمانيـة أو الملحـدة ، يفضّلون تحمّـل العـذابـات ، ومعـانـاة أذى الآخـرين لهم عـلى الـتراجـع عن عقيـدتهم الإسـلامية ، لأنّ الحيـاة تقوم عـلى أساس الصراع بـين الحق والبـاطـل منـذ بـدء الخليقة إلى قيام الساعة ، وعودة إلى تاريخ النبوات يظهر ذلـك ، وكمثال نضربـه هو ما حصل للنبي إبراهيم (ع) الذي عاش في مجتمع وثني ، إلاّ أنه لم يتهـاون ولم يتراجع بل طرح الإسلام ودعا إليه بكلّ قوة وعزم . . . إلاّ أنّ قوى الكفر لم تدعه بـل أمرت بتعـذيبه وقتله ، فجمـع الحطب ، وأضرمت النـيران ، ورمى إبراهيم فيهـا ، بواسـطة المنجنيق . وجاء جـبرائيل يعـرض عليه المسـاعدة ، وهـو بأمسّ الحاجة إليها ، ولكنّه عليـه الصلاة والسـلام ردّ قائـلاً : أما إليـك فلا . . أمـا لله فمعرفته بحالي تغنيه عن سؤالي . . .

وقال تعالى : يحكي هذه القصة : ﴿ **فما كان جـواب قومـه ، إلاّ أن قالـوا اقتلوه أو احرقوه** ﴾[١] .

فكـان أمر الله تعـالى ، أن جعل النـار بردا وسـلامـاً عـلى إبـراهيم (ع) ، فـإبراهيم (ع) نمـوذج بارز من النـماذج البشرية عـبر التاريـخ ، فقد عـزم عـلى أن يتحمّل الحرق بالنار ، وألاّ يتراجع أو يتهاون في دعوته ، التي أرسل من أجلهـا ، وكان أن حماه الله ، ودافع عنه ، لأنّه تعالى يـدافع عن الـذين آمنوا ، كـما جاء في محكم التنزيل .

الأئمة (ع) والمحافظة على الرسالة

إن المسـيرة الإسلاميـة ، تعرضت منـذ بدايتهـا ، لهجمات كثـيرة وطعنـات عديدة وحروب ضروس وما ذلك إلاّ لأنّها تشكل خطراً على مصالح أعداء الله منذ عهـد الرسـول إلى زمننا هـذا ، ونحن نرى انّ الضغـوطـات كبـيرة ، من خـلال عمليات المحاصرة للرسالة وللمؤمنين خلال الفترات السوداء التي مـرت بها الأمـة وخـاصة في عهـود الأئمة الأطهـار عليهم أفضل الصـلاة والسـلام ، لا لسبب إلاّ

[١] سورة العنكبوت : الآية ٢٤ .

لأنّهم كانوا يريدون المحافظة على نهج الإسلام الحنيف ، الـذي حاول المنحـرفون أن يحرّفوه ، وينحـرفوا بـه عن الطريق المستقيم ، وهكـذا نرى أن عمليـة الإيمان والمحافظة عليها ، تحتاج إلى جهد على المستوى الفردي ، وعلى مستوى الجـماعة ، ويمكن القول ان خط الأئمة من أهل البيت (ع) ، يتّسم بسمة المحـافظة عـلى نهج الرسالة من الإنحراف ، وقد أعطى الأئمة (ع) العطاء الأكمـل ، وصبروا الصـبر الأعـظم ، وتحملوا الأذى الأكبر ، للحفـاظ على الإسـلام ، وردّوا عـلى الأفكـار الهدامة المعادية للفكر الإسلامي كالدهرية ، والمـانويـة ، والزنـدقة ، والتحـريفية الأموية والعباسية ، وبيّنـوا النهج النـاصع ، وطـرحوا الـطرح الوافي ، الشـافي ، الكامل ، الذي يعطي للرسـالة بُعـدها الإستمـراري المغيّر ، كـل ذلك من أجـل عدم إفساح المجال إمام الردّة أن تأخذ مجالها . . .

الردّة وضعاف النفوس

. . . وحفظت الرسـالة رغم كيـد الأعداء في كـل آن ، ومكان ، ومحـاولة إسقـاط دولة الإسـلام ، وفصـل هـذا الـدين عن الحيـاة والمجتمـع إلاّ أنّ تنـامي الصحوة الإسلامية ، ومن خلال إنطلاق الثورة الإسـلامية ، وقف بـوجه هجمـة صليبيـة جديـدة بدأت تـواجه المـدّ الإسـلامي المتعـاظم ، ومـا ذلـك إلاّ لضرب مـرتكزات الإسـلام التي قامت عليهـا الثورة المبـاركة ، وهنـا نؤكد : أن العمليـة الإيمانية تحتاج إلى الوقوف الموقف الصعب ، والمواجهة الحقيقيـة التي تأخـذ أبعاداً على مستوى الفرد والمجتمع . إن الأعـداء عمدوا إلى استخـدام شتى الأساليب ، لإضعاف المقاومـة الإيمانيـة ، وللإرتـداد عن المنهج الإسـلامي ، وبعض ضعاف النفوس يرتدون عن دينهم وإيمانهم ، بحجة الفقر والعوز والحاجة تارة ، وبداعي الأسباب الأمنية ، أو الظروف غير المـلائمة ، أو تحصيـل منصب أو وظيفة أو غـير ذلك تارة أخرى . . .

ومن الناحية السياسية فإنّ الإرتداد يـأخذ أشكـالاً كثيرة ، لـذلك تـرى أن أصحاب النهج الخاطىء ، يقفون ضـدّ الموقف الإسـلامي الصحيح الصـادر عن الفقيه الولي ، مباشرة أو بالواسطة .

وهـذا كله يقـوم بــه في أكـثر الحـالات الـذين يعتــبرون أنفسهم ، حمـاة

الإسـلام ، وقادة المسـيرة ، وهذا يبـينّ أنّ الإيمان عنـدهم إنما هـو إيمان المصـالح والمناصب . . لذلك فهم يواجهون الإسلام الثائر ، من خلال المواقع التي يفترض أن تدعم وتساند ، فيرتدّون بذلك ردّة سياسية كما سبق وأشرنا ، وقد تأخذ منحى خطيراً لأنّ مصير المؤمنين يتعلق بها ، أو يتأثر بذلك في أكثر الأوقات .

وإذا كان البعض يفتش عن خطوط الـردة ، ليعتنقها فـإنّ آخرين يفتّشـون عن أبواب للتوبـة ليرجعـوا إلى الله سبحانـه ، لذلـك لا بد من التـوجه إلى هؤلاء لنقول لهم : لا يخف الذين أخطأوا في ماضي حيـاتهم ، وارتكبوا بعض السيئـات وهم يريدون التوبة والـرجوع إلى الخط الصحيـح والعمل السليم ، من الـتراجع عن الخطأ . . .

. . . لا يخف هؤلاء من عاقبة الأعمال الماضية ، إذا كانت التوبة نصوحاً لأنّ الله يتوب على من تاب .

فعن رسول الله (ص) أنه قال : « إذا أسلم العبد فحسن إسـلامه ، يُكفـر الله عنه كل سيئة كان أزلفها وكان بعد ذلك القصاص » .

وعنـه (ص) أنـه قـال : « من أحسن في الإسـلام لن يؤاخـذ بمـا عمـل في الجاهلية ، ومن أساء في الإسلام أخذ الأول والآخر »[٨] .

مواقف إيمانية

إن أعلى درجات الإيمـان هي الدرجـة التي يكون فيهـا الإنسان في مـواجهة المصاعب التي تهدد هذا الإيمان ففي حال استطاع هذا الإنسان أن يثبت أمام هذه المخاطر ، التي قد تهدد حياته ، أو مصيره ، أو مستقبله أو تذهب بماله أو بحياته ، عند ذلك يشعر بطعم الإيمان ويتذوقه .

ثبات حتى الموت

وكمثال نضربه هـو ما حـدث مع أحـد الأنبياء (ع) إذ يـروى أنّ زكريـا لما هرب من الكفار ، واختفى في شجـرة ، وعرفـوا ذلك ، جـاؤوا بالمنشـار فنشرت الشجرة حتى بلغ المنشار رأس زكريا ، فأنّ أنّةً ، فأوحى الله إليه : يا زكريا ! لئن

صعدت منك أنّة ثانية لأمحونك من ديوان النبـوة ! فعض زكريـا على أصبعـه حتى قطع شطرين » .

. . . ولم يتراجع عن الحق أو يرتد عن الدين ، والعياذ بالله .

وقال علي (ع) : « أيما رجل حبسه السلطان ظلماً فمات ، فهو شهيد »[٨] .

أصحاب الأخدود

لقـد تحـدّث القـرآن المجيـد ، عن قصـة أصحـاب الأخـدود ، التي تعلّم الأجيال كيفية الثبات على المواقف السليمة ، والـدين القويم ، وقـد وردت حول هذه القصة عدّة روايات :

الرواية الأولى :

جاء في تفسير القمي حول قوله : « قتل أصحاب الأخدود » قال : كان سببه أن الـذي هيج الحبشة ، على غزو اليمن ذو نـواس ، وهو آخـر من ملك من حمير ، تهود واجتمعت معـه حمير عـلى اليهوديـة وسمى نفسه يـوسف ، وأقام عـلى ذلك حيناً من الدهر . ثم أخبر أن بنجران بقايا قوم على دين النصرانيـة ، وكانـوا على دين عيسى (ع) وحكم الإنجيل ، ورأس ذلك الدين ، عبد الله بن بريامن ، فحمله أهـل دينه ، عـلى أن يسير إليهم ، ويحملهم عـلى اليهـوديـة ، ويـدخلهم فيها ، فسار حتى قدم نجران فجمع من كان فيها على دين النصرانيـة ، ثم عرض عليهم دين اليهودية والدخول فيها ، فأبوا عليه فجـادلهم وعرض عليهم وحـرص الحرص كله ، فأبوا عليه وامتنعوا عن اليهوديـة والدخـول فيها ، واختـاروا القتل رتضيف الرواية : فاتخذ لهم أخدوداً وجمع فيه الحطب ، وأشعل فيه النار ، فمنهم من أحرق بالنـار ، ومنهم من قتل بـالسيف ، ومثّل بهم كـل مثلة ، فبلغ عدد من قتل وأحرق عشرين ألفاً ، وأفلت منهم رجل يدعى دوش ذو ثعلبان على فرس لـه تسمى ركضة واتبعوه حتى أعجزهم في الرمل . . .

الرواية الثانية :

وفي المجمع روى سعيد بن جبير قال : لما انهزم أهل (اسفندهان) قال عمر بن الخطاب : ما هم يهود ولا نصارى ، ولا لهم كتاب ، وكانوا مجوساً ، فقال علي بن أبي طالب (ع) : بل قد كان لهم كتاب ورفع ، وذلك ان ملكاً لهم سكر ، فاعتدى على إحدى محارمه ، فلما أفاق من سكره قال : لها : كيف المخرج ممّا وقعت فيه ؟ قالت : تجمع أهل مملكتك ، وتخبرهم أنك ترى نكاح البنات حلالاً ، وتأمرهم أن يحلّوه فجمعهم فأخبرهم فأبوا أن يتابعوه ، فخد لهم أخدوداً في الأرض ، وأوقد فيه النيران ، وعرضهم عليها ، فمن أبى قبول ذلك قذفه في النار ، ومن أجاب خلي سبيله .

الرواية الثالثة :

وعن تفسير العياشي بإسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : أرسل علي (ع) إلى أسقف نجران يسأله عن أصحاب الأخدود فأخبره بشيء ، فقال علي (ع) ليس كما ذكرت ولكن سأخبرك عنهم : إن الله بعث رجلاً حبشياً نبياً ، وهم حبشية ، فكذبوه فقاتلوا أصحابه ، فأسروه وأسروا أصحابه ثم بنوا له حيراً ، ثم ملؤه ناراً ثم جمعوا الناس فقالوا : من كان على ديننا وأمرنا فليعتزل ، ومن كان على دين هؤلاء فليرمي نفسه بالنار فجعل أصحابه يتهافتون في النار فجاءت إمرأة معها صبي لها ابن شهر ، فلما هجمت ، هاجت ، ورقت على ابنها ، فنادى الصبي : لا تهابي وارمني ونفسك في النار فإن هذا والله ، في الله قليل ، فرمت بنفسها في النار وصبيها ، وكان ممّن تكلم في المهد كما تذكر الرواية . . . ولا عجب ، فإن الله على كل شيء قدير . . .

إن ما أوردناه يدلّ على الموقف الثابت للمؤمنين ، الذين لا يرومون إلاّ وجه الله ، ولا يخافون فيه لومة لائم ، ولو قُطّعوا بالسيوف أو حرقوا بالنار .

مواقف ارتدادية

وبالمقابل نعرض صوراً أخرى . تظهر الموقف المتخاذل ، المرتد ،

والمخالف للفطرة ، والإرادة الربانية ، لنُبين أن التراجع ، والـردة عن الإسلام ، حالة مسخ لشخصية الإنسان ، وهذا ما عبر عنه القرآن الكـريم ، عندمـا تحدث عن الـذين مسخهم قـردة وخنـازيـر ، وفي بعض التفـاسـير أنهم لم يتحـولـوا إلى حيوانات تشبه القردة والخنازير حقيقة كما سيأتي ، ولكنهم مسخوا في تصرفـاتهم ، فصارت شبيهة بتصرفات هذه الحيوانات ، وهذا نوع من المسخ النفسي .

وهناك روايات تقول بمسخهم إلى قردة وخنـازير حقيقيـة ، نتيجة لـلإرتداد عن دين الله ، ومخالفة أوامره .

يقول الله تبارك وتعـالى : ﴿ **ولقد علمتم الـذين اعتدوا منكم في السبت ، فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين** ﴾[1] .

١ ـ وعن الباقر (ع) أنه قال : وجدنا في كتاب علي عليه السلام أن قوماً من أهل أيلة ، من قوم ثمود وان الحيتان كانت سبقت إليهم يوم السبت ، ليختبر الله طـاعتهم في ذلك ، فشرّعت إليهم يـوم سبتهم ، في ناديهم ، وقـدّام أبوابهم ، في انهارهم وسـواقيهم فبـادروا إليهـا ، فـأخـذوا يصـطادونها ، ولبثـوا في ذلـك مـا شـاء الله ، لا ينهـاهم عنهـا الأحبـار ، ولا يمنعهم العلماء من صيـدهـا . ثم ان الشيطان أوحى إلى طائفة منهم ، إنّما نهيتـم عن أكلها يوم السبت ، ولم تنهـوا عن صيدها ، فاصطادوا يـوم السبت ، وأكلوها فيـما سوى ذلـك من الأيام ، فقـالت طائفة منهم الآن نصطادها ، فعتت وانحـازت طائفـة أخرى منهم ذات اليمـين ، فقالوا ننهاهم عن عقوبة الله ، ان تعرضـوا بخلاف أمـره ، واعتزلت طـائفة منهم ذات اليسار ، فتنكبت فلم تعظهم ، فقالت الطائفة التي لم تعظهم : « لم تعـظون قوماً الله مهلكهم ، أو معـذّبهم عذابـاً شديـداً » فقالت الـطائفة التي وعـظتهم : « معـذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون » قـال : فقال الله عـزّ وجلّ : ﴿ **فلما نسـوا مـا ذكروا به** ﴾ ، يعني فلمّا تركوا ما وعظوا به ، ومضوا على الخطيئة ، قالت الـطائفة التي وعـظتهم : « لا والله لا نجتمـع معكم ولا نبـايتكم الليلة ، في مـدينتكم هذه ، التي عصيتم الله فيها مخافة أن ينزل بكم البلاء فيعمّنا معكم » .

---

[١] سورة البقرة : الآية ٦٥ .

قال فخرجوا عنهم من المدينة مخافة أن يصيبهم البلاء ، فنزلوا قريباً من المدينة ، فباتوا تحت السماء فلمّا أصبح أولياء الله المطيعون لأمر الله ، غدوا لينظروا ما حال أهل المعصية ، ثم اصعدوا رجلاً منهم ، فأشرف على المدينة فنظروا فإذا هم بالقوم قردة ، يتعاوون ، فقال الرجل لأصحابه : يا قوم أرى والله عجباً ، قالوا : وما ترى ؟ قال : أرى القوم قد صاروا قردة ، يتعاوون ، لها أذناب ، فكسروا الباب قال : فعرفت القردة أنسابها من الإنس ولم تعرف الإنس أنسابها من القردة ، فقال القوم للقردة « ألم ننهكم ؟ » فقال علي (ع) : « والله الذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، إني لأعرف أنسابها من هذه الأمة ، لا ينكرون ولا يغيرون ، بل تركوا ما أمروا به فتفرقوا »[٩] .

وقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فبعداً للقوم الظالمين ﴾ ﴿ أنجينا الذين ينهون عن السوء ، وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون ﴾ .

عن رسول الله (ص) أنه قال : « إن الله تعالى لم يجعل لمسخ نسلاً ، ولا عقباً ، وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك »[١٠] .

عن رسول الله (ص) أنه قال : « ما مسخ الله من شيء فكان له عقب ونسل »[١١] .

عن رسول الله (ص) أنه قال : « إن الله لم يمسخ فيدع له نسلاً أو عاقبة »[١] .

٢ ـ وجاء في مجمع البيان ، في تفسير قوله : « ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت . . . » عن ابن عباس قال : فمسخهم الله عقوبة لهم ، وكانوا يتعاوون وبقوا ثلاثة أيام لم يأكلوا ولم يشربوا ولم يتناسلوا ، ثم أهلكهم الله تعالى ، وجاءت ريح فهبّت بهم فألقتهم في الماء ، وما مسخ الله أمة إلاّ أهلكها ، فهذه القردة والخنازير ، ليست من نسل أولئك ، ولكن مسخ على صورة هؤلاء ، يدل عليه إجماع المسلمين على أنه ليس في القردة والخنازير ، ممن هو من أولاد آدم ـ ولو كانت من أولاد الممسوخين لكانت من بني آدم .

---

[١] رواه أحمد بن حنبل/ المعجم .

وقال مجاهد : لم يمسخوا قردة وإنّما مثل ضربه الله كما قال :

﴿ كمثل الحمار يحمل أسفاراً ﴾ ، وحكي عنه أيضاً أنه قال : « مسخت قلوبهم فجعلت كقلوب القردة ، لا تقبل وعظاً ولا تتقي زجراً ، وهذان القولان يخالفان الظاهر ، الذي أكثر المفسرين عليه من ضرورة تدعو إليه »[١٢] .

وهكذا رأينا الردة مجسمة في صور وأشكال حيّة متحركة ، فالمرتد يعاقب بالتشويه الخَلقي والخُلُقي ، لأنّه شوّه أو حاول أن يشوّه نهج الإله القويم ، فارتدّ عليه ذلك ، بسبب ردّته مسخاً في الصورة والجوهر ، عقوبة من الله ، وتنفيذاً للقوانين الإلهية ، القاضية بمعاقبة المخالف لدين الفطرة . .

مراحل الإرتداد

والمرحلة الأولى من مراحل الردّة هي مرحلة الإرتداد النفسي ، الذي هو حالة من النكوص على المستوى النفسي ، والشعوري ، والتراجع الكامل ، والإنهزام ، والتشتت ، والضياع . وإنّ الإنسان المرتد يصبح في وضع شاذ يشكل خطراً على المجتمع ، ثم إن الإرتداد النفسي ينعكس على العقيدة ، فيكون الإرتداد عقائدياً ، فتوجد لدى هذا الإنسان المرتدّ ، شكوك كثيرة وشبهات . ويتحوّل هذا الإرتداد العقائدي ، إلى انهزام فكري ، وتشويش في الرؤية ، فيرى صاحب هذه الحالة ، الحق باطلاً والباطل حقاً ، وتستر عنه الحقيقة العليا ، المتمثلة بوحدانية الله تعالى ، والتي تشهد عليها كل المخلوقات ، وما في الكون من كائنات ، ويرفض هذا الإنسان وهو في هذه الحالة ، رسولية الرسل ونبوّة الأنبياء وخصوصاً نبوة خاتمهم (ص) فيؤدي ذلك إلى الإرتداد على المستوى الفردي وينعكس على المجتمع الإسلامي ككل ، فيصبح هذا الإنسان في وضع مخالف لمسيرة الأمة ولا بد أن يكون عامل تأخير وإعاقة ، لأنّه في حال رفضه للرسالة ، فإنّه يرفض النظام المنبثق عنها ، والذي يطبّق في المجتمع الإسلامي هذا في المرحلة الثانية ، أما في المرحلة الثالثة ، فتحصل الردّة السياسية ، وربما يتحوّل هذا الإنسان إلى متآمر أو عميل لجهات تضرّ بالأمة ، ومصلحتها العليا ، وهنا يأتي الإرتداد السياسي كما قلنا ، فنرى أن المرتد نفسياً وفكرياً وعقائديا واجتماعياً ، نراه قد ارتبط بجهات عميلة لأعداء الأمة ويتحول إما لعميل فكري أو سياسي ،

أو إلى منفذ لمخططات الأعداء من المستعمرين والمستكبرين ، ومن أكبر المخاطر أن يتسلم هؤلاء مقاليد الأمور كما هو سائد الآن في كثير من البلدان الإسلامية ، فالمرتدون والمنافقون بشكل عام هم الذين يتسلّمون سدة الحكم ، فينفذون مخططات العدو الأجنبي . . .

الردة من الناحية الفقهية

يقول إمام الأمة الخميني قدّس سره ، إنّ المرتد : هو من خرج عن الإسلام ، واختار الكفر وهو على قسمين فطري وملي .

أ ـ المرتد الفطري

وهو من كان أحد أبويه مسلماً ، حال انعقاد نطفته ، ثم أظهر الإسلام بعد بلوغه ثم خرج عنه .

ب ـ المرتد الملي

وهو من كان أبواه كافرين حال انعقاد النطفة ، ثم أظهر الكفر بعد البلوغ ، فصار كافراً أصلياً ، ثم أسلم ثم عاد إلى الكفر ـ كنصراني أو يهودي في الأصل ، أسلم ثم عاد إلى نصرانيته ، أو يهوديته مثلاً .

١ ـ المرتد الفطري

إن كان رجلاً تبين منه زوجته ، وينفسخ نكاحها بغير طلاق ، وتعتد عدة الوفاة ، ثم تتزوج إن أرادت وتقسم أمواله التي كانت له حين ارتداده بين ورثته ، بعد أداء ديونه كالميت ، ولا ينتظر موته ، ولا تفيد توبته ، ورجوعه إلى الإسلام في رجوع زوجته وماله إليه ، نعم تقبل توبته باطناً ، وظاهراً أيضاً بالنسبة إلى بعض الأحكام ، فيطهّر بدنه ، وتصحّ عبادته ويملك الأموال الجديدة بأسبابه الإختيارية كالتجارة والحيازة والقهرية كالإرث ، ويجوز له التزويج بالمسلمة ، بل له تجديد العقد على زوجته السابقة ، وإن كانت امرأة بقيت أموالها على ملكها ،

ولا تنتقل إلى ورثتها إلاّ بموتها ، وتبينّ من زوجها المسلم في الحال بلا اعتداد ، إن كان معقوداً عليها ، أو متزوجة ، فإن تـابت قبل تمـام العدة ، وهي عـدّة الطلاق بقيت الـزوجيـة ، وإلاّ انكشف عن الإنفسـاخ . والـبينـونـة من أول زمـن الإرتداد[١٣] .

ويقول الإمام الخميني قـدّس سره : « إنّ المرتـدّ الفطري لا يقبـل إسلامـه ظاهراً ، وعقوبته القتل إن كان رجلاً . وقد ورد عن الصـادق (ع) : « كل مسلم بين مسلمين ارتد عن الإسلام ، وجحد محمداً نبوته وكذّبه ، فـإنّ دمه مبـاح لكل من سمع ذلك منـه . وامرأتـه بائنـة منه يـوم ارتدّ فـلا تقربـه ، ويقسم مالـه بين ورثتـه ، وتعتّـد امـرأتـه عـدّة المتـوفى عنهـا زوجهـا . وعـلى الإمـام أن يقتله ولا يستتيبه » .

وقـال (ع) : « إذا ارتـد المسلم يـقتـل ولا يـستـتـاب ، . . . » وعـن النبي (ص) : « من بدّل دينه فاقتلوه » .

المرأة المرتـدة

لا تقتل المرأة المرتدة ولو عن فطرة ، فضـلاً عن كونها عن ملة ، بـل تحبس دائماً وتضرب في أوقات الصلاة ، ويضيّق عليها في المعيشة ، وتقبل توبتها ، فـإن تابت أُخْرِجَت من الحبس .

قـال الصادق (ع) : « المـرتدة عن الإسـلام لا تقتل ؛ وتستخـدم خـدمـة شـديدة (أشغـال شاقـة) ، وتمنع الـطعام والشراب إلا مـا يمسك نفسهـا وتلبس خشن الثياب وتضرب على الصلاة » .

ولد المرتد الفطري

ولد المرتد الفطري قبـل ارتداده بحكم المسلم ، فـإذا بلغ واختار الكفـر ، وكذا ولد المسلم ، إذا بلغ واختار الكفر قبل إظهار الإسلام فالـظاهر عـدم إجراء حكم المرتد فطرياً عليهما بل يستتابان ، وإلاّ فيقتلان[١٤] .

٢ ـ وأمّا المرتد الملي

سواء أكان رجلاً أو امرأة فلا تنتقل أمواله إلى ورثته إلاّ بالموت ، وينفسخ النكاح بين المرتد وزوجته المسلمة ، وكذا بين المرتدة وزوجها المسلم ، بمجرد الإرتداد بدون اعتداد إن كانت معقود عليها فقط ، وإن كانت متزوجة وقف الفسخ على انقضاء العدّة ، فإن رجع أو رجعت قبل انقضاء العدّة كانت زوجته وإلا انكشف انها بانت عنه عند الإرتداد[١٥] .

والمرتد الملي يستتاب ، فإن امتنع قتل ، والأحوط استتابته ثلاثة أيام ، وقتل في اليوم الرابع .

قال الصادق (ع) : « . . . إذا أسلم النصراني ثم ارتد عن الإسلام يستتاب ، فإن رجع وإلاّ قتل » .

وإذا تكرر الإرتداد من الملي . قيل : يقتل في الثالثة ، وقيل في الرابعة وهو أحوط . . هذا حسب فتاوى الإمام الخميني قدّس سره .

البلوغ والعقل والإختيار والقصد ، شرط في تحقق الإرتداد

يعتبر في الحكم بالإرتداد البلوغ والعقل والإختيار والقصد ، فلا عبرة بردّة الصبي وإن كان مراهقاً ولا المجنون وإن كان أدوارياً دور جنونه ، ولا المكره ، ولا بما يقع بلا قصد كالهازل ، والساهي والغافل والمغمى عليه ، ولو صدر منه حال غضب غالب لا يملك معه نفسه لم يحكم بالإرتداد[١٦] .

وقد قال تعالى بشأن المكره : ﴿ إلاّ من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ﴾[١] .

وقد روي أن أناساً من أهل مكة فتنوا فارتدوا عن الإسلام ، بعد دخولهم فيه ، وكان فيمن أكره فأجرى كلمة الكفر على لسانه ، مع أنه كان بقلبه مصراً على الإيمان ، عمار وأبواه ، ياسر وسمية ، وصهيب وبلال وخباب وسالم ، فهؤلاء

---

[١] سورة النحل : الاية ١٦٦ .

عذبوا بأنواع العذاب . فأما سميّة ، فقيل : ربطت بين بعيرين ، ووخزت في قلبها بحربة . . . وقتلت ، وقتل ياسر . وهما أول قتيلين قتلا في الإسلام .

وأمّا عمار فقد أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرهاً ، فقيل : يا رسول الله ، إن عمّاراً كفر ، فقال : كلّا إنّ عماراً مليء إيماناً من قرنه إلى قدمه ، واختلط الإيمان بلحمه ودمه ، فأتى عمّار رسول الله وهو يبكي ، فجعل رسول الله يمسح عينيه ويقول : ما لك . . . إن عادوا لك فعد لهم بما قلت » .

ولد المرتد الملي

ولد المرتد قبل ارتداده بحكم المسلم ، فلو بلغ واختار الكفر استتيب ، فإن تاب قبلت توبته ، وإلّا قتل ، وكذلك ولد المرتد الفطري .

الإسلام يحمي نفسه

وبهذه الطريقة يحمي الإسلام نظامه وعقيدته من أن تحصل فيه التراجعات عن المبدأ .

فإن كنت مسيحياً أو يهودياً أو مجوسياً لا يهم ، ولكن عليك فقط أن تخضع لقوانين النظام الإسلامي العامة ، ولا شيء عليك ، ويمكن أن تعتقد كما تشاء ، وأن تصلي كما تريد ، ولكن بمجرد أن تصبح مسلماً ، وتتشهد الشهادتين دون إجبار وإكراه ، بل بالإختيار ، فلا يمكن لك الرجوع عنه ، لأنّه عندما تصبح فرداً من المجتمع الإسلامي ، سيصبح لك موقع ودور كبير أو صغير ، وهذا الموقع جزء من بنيان المجتمع المؤمن ، فإذا تخليت وتراجعت وتركت المجال للآخرين ، فربما يحدث تراجعك هذا ضرراً على كامل البناء ، الذي أنت جزء منه ، لذلك كانت عقوبة المرتد صارمة ، لأنّه تحوّل إلى عنصر مؤذٍ ، أو مزعج ، أو مخرب للمجتمع ، فلا بد من المعالجة الجذرية لهذه الحالة وهذا ما ظهر من طريقة معالجة الإمام الخميني « قده » لقضية المرتد سلمان رشدي .

ونوضح ذلك بمثل فنقول : إن النبات الذي يصبح يبساً ، لا يترك في مكانه ، بل يرفع ويرمى بعيداً ، كذلك المرتد عن الإسلام ، يقتل إن كان فطرياً

دون أن يستتاب وإن كان ملياً يستتاب ، حتى لا يفسح المجال أمام غيره ، بل يغلق باب التراجعات والردّة .

أما مسألة النفاق فتبقى أقل خطراً من الإرتداد ، لأنّ بإمكان المنافق الذي يضمر الكفر ويظهر الإسلام ، أن يتوب بينه وبين الله ، ولا يؤثر ذلك على المسيرة ، بل يقوّيها في حال توبته ، لذلك كان على الإنسان أن يحسم أمره منذ البداية .

الكافر والمشرك المرتد

ونعرض الآن ، لجملة من الآيات القرآنية ، والأحاديث الشريفة ، حول موضوعة الردة ، نحاول من خلال عرضها أن نستنتج بعض ما يمكن لنا من أفكار ومواقف ، تعيننا في سعينا لمرضاة الله تعالى :

يقول تبارك وتعالى : **﴿ فلا يزالون يقاتلونكم حتى يردّوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴾** .

﴿ ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة ﴾[1] .

﴿ من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبّهم ويحبونه ﴾ .

إنّ التأمل في هذه الآيات ، يجعلنا نرى أن الصراع بين الحق والباطل ، كان ولا يزال ، وسيبقى حتى ينتصر أحدهما انتصاراً كاملاً على الآخر .

إنّ المبطلين سيبقون يقاتلون المحقّين ، حتى يردّوهم عن دين الإسلام ، إلى دين الكفر ، إن استطاعوا ، ولكنّهم بإذن الله ، لن يستطيعوا ، فالله تبارك وتعالى متمّ وعده ، وناصر عبده ، ومظهر دينه ، ولو كره كل طواغيت الأرض وجبابرتها .

وإذا كان الإرتداد عن الدين ، رجوع إلى الكفر بعد إيمان ، فمن رغب عن

---

[1] سورة البقرة : الآية ٢١٧ .

الإسلام ، وكفر بما أنزل على محمد (ص) بعد إسلامه ، كان من المرتدين ، والمرتدون أتباع الباطل وأتباع الباطل في النار يخلدون . والجنة لا تقبل فيها أبدا مرتداً ، ولا مشركاً ، ولا كافراً .

يقول الرضا (ع) : « من شبّه الله بخلقه فهو مشرك ، ومن نسب إليه ما نهى عنه فهو كافر ، ومن وصف الله بوجه كالوجوه فقد كفر ، والقائل بالجبر كافر ، ومن قال بالتناسخ فهو كافر ، والمكذّب بالجنة والنار كافر » .

وعن الصادق (ع) : « من ادعى الإمامة وليس من أهلها فهو كافر ، ومن شكّ في الله ، وفي رسوله ، فهو كافر » .

وعن الباقر (ع) قال : « حبّنا إيمان ، وبغضنا كفر » أي حبّ أهل البيت (ع) .

وعنه أيضاً : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، فكلّ طاعة لمخلوق في معصية الله عبادة لغير الله فهو كافر » .

خدمة السلطان الجائر تنزل غضب الربّ

يقول تبارك وتعالى : ﴿ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ﴾[1] .

إنّ الركون إلى الظالمين ، والإعتماد عليهم ، نكوص عن الصراط المستقيم ، كما وإنّ الإرتداد عن العقيدة السمحاء بعد عن الرحاب القدسية ، والساحات الربانية ، فالحذر ، الحذر من الردّة ، لأنّ النار هي المأوى .

أصحاب الحسين (ع) والثبات على الموقف

إنّ مواقف أصحاب الحسين (ع) تبين عظمة الإيمان وأهله ، وتشرح كيف أن الإيمان الثابت ، يخلق الموقف الثابت الذي ليس بعده تراجع ، وقد قال الحسين (ع) لأصحابه في ليلة عاشوراء : « هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً ،

---

[1] سورة هود : الآية ١١٣ .

فإن القوم لا يطلبون غيري » . فأبوا جميعاً إلّا البقاء معه (ع) حتى يقتلوا جميعاً بين يديه ، وقال قائلهم ، وكلّهم قال مثل قوله : « والله لئن قتلت ، وحرقت ، ثم بعثت ، ثم قتلت ، وحرقت ، ثم بعثت ، يفعل بي ذلك ألف مرة ما تركت مولاي الحسين (ع) » .

إنّ ترك الحسين وخذلانه هو ارتداد عن الإسلام ، لذلك فإنّ أصحاب الحسين (ع) يتمنّون لو قتلوا وحرقوا على أن يتركوا الحسين (ع) في ساحة المعركة وحيداً ، وذلك لأنّ تركه يعني ترك الدين والحق .

طريق الإيمان هو طريق ذات الشوكة

إنّ المؤمن في صراع دائم مع الكفر وملّته ، ودربه ، درب ذات الشوكة . . . وربما يشعر في بعض الأحوال ، انّه كالقابض على الجمر لشدة ما يعاني من مواجهة أهل الكفر والضلال ، من جهة ، ومن جهة أخرى ، مواجهة مغريات الدنيا التي تدعوه إلى ترك دينه ، فهو يجاهد نفسه الأمّارة ، التي تدعوه دائماً لمعصية الله تعالى ، ويجاهد أعداء الله الذين يقفون بوجه تقدم الإسلام ، وإمساكه بدفة قيادة الحياة والمجتمع ، وهو في كل ذلك يعيش حالة الشوق إلى الله ، فتذوب معاناته في رضا الله تعالى ، ويغدو رضاه تعالى أحب إليه من الدنيا وما فيها .

يقول الإمام الحسين (ع) : « ألا ترون إلى الحق لا يعمل به وإلى الباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله ، فإنّي لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلّا برماً » .

الأنبياء قدوتنا في الثبات على الحقّ

قال تعالى : ﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ﴾[1] .

---

[1] سورة الأنفال : الآية ٣٠ .

وقال سبحانه : ﴿ **إنّ الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشّرهم بعذاب أليم** ﴾[1] .

لقد حاول المشركون أن يقتلوا رسول الله (ص) ، فتآمروا عليه ليلة الهجرة ، ونام علي (ع) في فراشه وهو غير آبه بالموت ، ولكن الله أنجاهما ونصر دينه .

وقصة فرعون مشهورة في القرآن ، فقد كان فرعون طاغية وكان يعذّب المؤمنين الذين آمنوا بموسى (ع) وبرسالته وقد اتهم موسى (ع) بأنه ساحر ، وجمع فرعون السحرة ، وكان النصر عليهم بإذن الله ، فآمنوا ، وتابوا ولم يلتفتوا إلى تهديدات فرعون لهم بالقتل ، وتقطيع الأيدي والأرجل ، والصلب ، بل ثبتوا على موقفهم ، وانتصر الإسلام ، بإغراق الله تعالى لفرعون الطاغية في مياه البحر الأحمر ، وكانت المعجزة الإلهية بإنجاء المؤمنين ، وهلاك العصاة الكافرين .

أما شعيب (ع) ، فقد ثبت أيضاً ، ولم يخف من تهديد قومه بالإبعاد عن المدينة ، ولم يتراجع عن دينه . . فلنقتد بالأنبياء والرسل (ع) فإنهم معلّمو الإنسانية ، كيفية التمسّك بالحق رغم كل شيء .

وقد قال الله تعالى عند الحديث عن ذلك : ﴿ **قال آمنتم له قبل أن آذن لكم ، إنّه لكبيركم الذي علّمكم السحر فلأقطّعنّ أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنّكم في جذوع النخل ولتعلمنّ أيّنا أشدّ عذاباً وأبقى** ﴾[2] .

﴿ **قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنّما تقضي هذه الحياة الدنيا** ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ **لنخرجنّك يا شعيب والذين معك من قريتنا أو لتعودنّ في ملّتنا** ﴾[4] .

---

[1] سورة آل عمران : الآي ٢١ .

[2] سورة طه : الآية ٧١ .

[3] سورة طه : الآية ٧٢ .

[4] سورة الأعراف : الآية ٨٨ .

لماذا الردة وعدم الثبات ؟

١ ـ يقول الله عز وجل : ﴿ من كفر بالله من بعد إيمانه إلاّ من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ، ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وإنّ الله لا يهدي القوم الكافرين ﴾[١] .

﴿ أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون ﴾[٢] .

٢ ـ ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ﴾[٣] .

٣ ـ ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبّهم ويحبّونه أذلّة على المؤمنين أعزّة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ﴾[٤] .

إنّ الكفر بعد الإيمان وكما ذكرنا مراراً ذنب ولا أكبر ، لا جزاء له إلا النار التي سجّرها خالقها لمرتكبي هذه الذنوب وأمثالها . . .

شرط أن يكون هذا الكفر بعد الإيمان ، بدون إكراه وبالإختيار المحض .

أما إذا أكره الإنسان ، وقلبه مطمئن فلا إثم عليه ، والقول هو في الذي يكفر باختياره ، ويصبح صدره منشرحاً بهذا الكفر ، ونفسه مرتاحة إليه ، فإنه من الصنف الذين غضب الله عليهم .

والذين يحيق بهم هذا الغضب ، لهم العذاب الأعظم ، والجزاء الوفاق ، بإيثارهم الحياة الدنيا على الآخرة فالله لا يهديهم ، ولا يهدي أمثالهم ، لأنهم كفروا بعد الإيمان . لقد فضّلوا بكفرهم الضلال على الهدى ، فأصابهم العمى في

---

[١] سورة النحل : الاية ١٠٦ ـ ١٠٧ .

[٢] سورة النحل : الآية ١٠٨ .

[٣] سورة العنكبوت : الآية ١٠ .

[٤] سورة المائدة : الآية ٥٤ .

القلب والبصيرة ، وران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ، وغشيتهم ظلمة الكفر والفجور بما كسبت أيديهم . وختم الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم فكان الختم على الحواس والطبع عليها دليل بُعدٍ عن الله ومعاداة له . وأصحاب هذه الحواس في غفلة ، لا حدّ لها ولا قرار ، ألا ترون معي أن الله هو العالم بدقائق الأمور ، قد علم أنهم لا خير منهم وفيهم ، وأنهم لا يرجعون إليه ، فطبع على قلوب لا تفقه وأسماع لا تعي ، وأبصار لا تميز . وبالقلوب والحواس يميّز الإنسان عن الحيوان ، وبها صار الإنسان خليفة الله على الأرض ، فإذا لوّثت ومسخت وخلت من كل خير وفضل صار أصحابها شياطين ، بلباس البشر لا يرجى منهم خير ولا صلاح ، بل يتحوّلون إلى أدوات للفساد والإفساد . . .

والإرتداد عن الدين بعد الإيمان لا يضرّ الله شيئاً ومهما كان عدد المرتدين كبيراً لأنّ الله تبارك وتعالى بقدرته المطلقة قادر على الإتيان بأناس يحبّهم ويحبّونه ، ينفذون كل ما يراد منهم بكل نفوس طيبة وصدور منشرحة وهو الذي يقول للشيء كن فيكون ، لا يعجزه شيء وهو العزيز المقتدر ، وقد فعل فعندما ارتد أكثر العرب عن دينهم ، والتحقوا بالمستعمر الكافر يأتمرون بأوامره ، أتى بمن يحبهم ويحبّونه ، من جنود الثورة الإسلامية في إيران ، وها هم يحملون راية لا إله إلاّ الله ، خفّاقة في سماء الدنيا لنصرة الحقّ وإحقاقه ، وإزهاق الباطل ، وتأسيس وتقوية دولة الإسلام ، الممهدة لدولة صاحب الزمان ، عجّل الله تعالى فرجه الشريف ، وجعلنا من أنصاره وأعوانه والمستشهدين بين يديه ، إنّه سميع مجيب الدعاء .



مصادر ومراجع البحث

(١) نهج البلاغة/ خطبة ١٦١ .

(٢) شرح الإرتداد ، باب الحدود ، المقصد الثامن في الإرتداد/ الشيخ الأردبيلي .

(*) راجع كتاب جند الله ثقافة وأخلاقاً/ ص ٥ ـ ٨ .

(٣) بحار الأنوار مجلد ٤١١/٦٩ .

(٤) الوسائل مجلد/ ١٧/ ص ٣٧٦ .

(٥) كنز العمال/ خطبة ٢٤٦ .

(٦) شرح نهج البلاغة مجلد/٩/ ص ١٦٢ .

(٧) نهج السعادة/ مجلد ٣/ ص ٢٠٨ .

(٨) الكافي مجلد/ ٢/ص ٤٦١ .

(٩) الكافي مجلد/٢ .

(١٠) راجع بحار الأنوار؟/ مجلد ١٤/ ص ٥٢ ـ ٥٣ .

(١١) كنز العمال خطبة : ٤٠٠٢٢ و٤٠٠٢٤ .

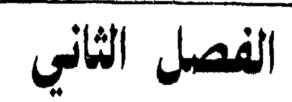
(١٢) مجمع البيان/ مجلد ١ ص ١٢٩ .

(١٣) تحرير الوسيلة ج ٢/ م١٠/ ص ٧٦٣ .

(١٤) تحرير الوسيلة ج ٢/ ص ٤٩٤/ كتاب الحدود .

(١٥) تحرير الوسيلة ج ٢/ ص ٣٦٧ .

(١٦) تحرير الوسيلة ج ٢/ كتاب الحدود .



مـــن
معالم الكفر

١ـ الخيانة رأس الكفر

٢ـ الحسد أصل الكفر

٣ـ تتبع عثرات المؤمنين





الخيـــانة

الخيانة رأس الكفر والنفاق

محتويـات البحث

- التنكر للفرائض الإلهية خيانة .
- أكبر الخيانة أن تكون أميناً للخونة .
- ادخار الدرهم عن المؤمن وعدم إعانته خيانة .
- الخائن يشغل نفسه بنفسه .
- من الخيانة عصيان الرحمن وأذى الجيران .
- غاية الخيانة .
- خيانة العلم أشد من خيانة المال .
- أعظم خيانة خيانة الأمة والأئمة .
- من خان جاره في شبر من الأرض طوق به عنقه حتى يوم القيامة .
- سرّ المؤمن أمانة وإفشاؤه خيانة .
- كاتم السرّ من الذين يستظلون بظل عرش الله .
- المجالس بالأمانات .
- لا تطلع صديقك من سرك إلا على ما لا يضرك إذا انكشف .
- الغلول عار وشنار يوم القيامة .
- لا تخن . . . حتى عدوك .
- لا تشتري خيانة حتى لا تكون كمن خانها .
- الخيانة تخرب البيوت .
- الخيانة تجلب الفقر .
- بادر بإداء الأمانة ولا تسمع لوسوسة الشياطين .
- محمد (ص) الصادق الأمين .
- قدوة الأمناء .

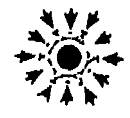
٦ ـ أقسام الخيانة :
- معنى خيانة الله ورسوله .

٧ ـ الأمانة بالنسبة للعقل والتكليف .
- بلغوا أحكام الدين .
- الخيانة للرسول (ص) .
- خيانة القرآن الكريم .

- ذرية الرسول (ص) أمانة .
- الأمانة مالكية وشرعية .
- خيانة أمانة الناس .

٨ - أشكال الخيانة :

- عدو . . . ولكنه غير خائن .
- تكليف غير الأكفاء بالمسؤولية خيانة للأمة والمبدأ .
- خيانة الأمة والمجتمع .
- الخيانة علنية وسرية .
- خيانة النفس وخيانة الغير .
- بناء العلاقات الإجتماعية الفاسدة خيانة .
- الخيانة الإقتصادية .
- الخيانة السياسية .
- الخيانة العسكرية .
- خيانة الأعداء .
- مواصفات القيادي المسلم .



بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى : ﴿ وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل ﴾[١] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون ﴾[٢] .

﴿ علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم ﴾[٣] .

﴿ ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم ﴾[٤] .

* * *

عن علي (ع) : « رأس الكفر الخيانة »[٥] .

وعن الصادق (ع) : « يجبل المؤمن على كل طبيعة إلاّ الخيانة والكذب »[٦] .

* * *

---

[١] سورة التحريم : الآية ١٠ .

[٢] سورة الأنفال : الآية ٢٧ .

[٣] سورة البقرة : الآية ١٨٧ .

[٤] سورة النساء : الآية ١٠٧ .

[٥] مستدرك الوسائل / ج ٢ / ص ٥٠٦ .

[٦] بحار الأنوار / ج ٧٥ / ص ١٧٢ .

١ ـ ماهية الخيـانة

من أجـل معرفـة ماهيـة الخيانـة نحاول ، في البـداية ، أن نعـرف معناهـا اللغوي ، ثم نتعرف إلى معناها الإصطلاحي :

الخيانة في اللغة

يقال خان ، خواناً ، وخيانةً ومخانةً وخانةً في كذا أي أؤتمن فلم ينصح .

ـ وخان العهد أي نقضه .

ـ ويقال : « خانه العهد أو الأمـانة » أي في العهـد أو الأمانـة فهو خـائن ، جمع خوّان وخانة وخونة .

ـ ويقال خانه سيفه : نبا عن الضريبة ، وخانه الدهر : غيّر حالـه من اللين إلى الشدة .

ـ ويقال : خانته رجلاه إذا لم يقدر على المشي .

ـ ويقال : خان الدلو الرشاء إذا انقطع .

ـ ويقال : خوّنه أي نسبه إلى الخيانة ، واختانه بمعنى خانه ، واستخـانه أي حاول خيانته ، والخؤون والخوّان ، الكثير الخيانة[١] .

ويقال : إن في ظهره لخوناً أي ضعفاً وهو من خانه ظهره ـ وتخون فـلان حتى إذا تنقّصه كأنه خانه شيئاً فشيئاً وكل ما غيرك عن حالك فقـد تخونـك قال لبيـد : تخونها نزولي وارتحالي .

وأمّـا تَخَوَّنتُـهُ : تعهدتـه فمعنـاه تجنبت أن أخـونـه وكـان رسـول الله(ص) يتخوفنهم بالموعظة . والحمى تتخونه تتعهده وتأتيه في وقتها .

« ويعلم خائنة الأعين » وهي النظرة المسارقة إلى ما لا يحل ـ وفرسه الخـوّان أي الأسد . وأعوذ بالله من الخوان وهو يوم نفاذ المسيرة[٢] .

ومن جملة معاني الخيانة نستنتج أن الخيانة تتمحور حول نقض العهـد وعدم

النصح ، وتغيير الحال الذي كان عليه ، وفعل خلاف ما ينبغي والمعنى الإصطلاحي لا يخرج عن هذه المضامين .

الخيانة في المصطلح

الخيانة في معناها الإصطلاحي هي نقض ما أبرم وتغيير ما اتفق عليه واستبداله بضده وعدم الإلتزام به نظرياً أو علمياً ، فردياً أو جماعياً ، معنوياً ، أو مادياً من الناحية الخاصة أو العامة ، وعلى المستوى العقائدي أو الفكري أو الإجتماعي أو الإعلامي أو السياسي أو التربوي لا بل في مختلف شؤون الحياة .

من أسباب الخيانة : ١ ـ ضعف الإيمان ٢ ـ الجبن ٣ ـ الطمع .

١ ـ ضعف الإيمان

إن صفتي الإيمان والخيانة لا تجتمعان في إنسان ، وذلك لأن الإيمان قوة ، باعتبار أن المؤمن يرتبط بالله كلي القوة والعزة والعلم ، والخيانة جهل وضعف وذل ، وعدم الثقة بالله ، الخالق ، الرازق ، الرافع ، الخافض ، بحيث يتوسل الخائن لتحقيق مصالحه بكل ما يبعده عن العزة الإنسانية ، ويربطه بكل المعاني الهابطة . . . لذلك كان ضعف الإيمان سبب من أسباب الخيانة .

٢ ـ الجبن

والجبن والخوف من الأقوياء الظلمة ، يمكن أن يجر الجبان إلى الخيانة اتقاء لأذى الظالمين وطمعاً في عطاءاتهم ، لذلك كانت الخيانة خيطاً من نسيج قلة الإيمان والدين .

ولا يخفى أن من الخيانة وضع الإنسان في موقع لا يستحقه أو لا يستطيع القيام بمهامه ، وكذلك من كان عمله وجهده لا يخدم المجتمع المؤمن ، أو لا ينفعه ولا يطوره ، على أي مستوى من المستويات ، فإن هذا الشخص يعتبر خائناً بشكل من الأشكال . . .

وهكذا فإن ضعف النفس وضعف الإيمان أمام قوة العدو كلها تؤدي إلى الخيانة .

٣ ـ الطمع

والطمع سبب من أسباب الخيانة لأنه بسبب الطمع يمكن أن تقبل الرشوة مثلاً والرشوة خيانة وكذلك الإستغلال والإحتكار والسرقة ، وكلها خيانات سببها الطمع .

٢ ـ هل مفهوم الخيانة مفهوم نسبي ؟

مفهوم الخيانة يتفاوت بالنظر للمعتقد والممارسة لمجموعة معينة من الناس ، أو لمجتمع معين وقد يرى مجتمع من المجتمعات أن إنساناً ما يعتبر خائناً ، ونفس هذا الشخص لا يعد كذلك في مجتمع آخر . ويصدق هذا على مستوى الدول والمنظمات والأحزاب وذلك لأن الحق واحد لا يتجزأ . . . فإسرائيل مثلاً مهما تجملت وتبجحت وتظاهرت بالحضارة والعدالة والديمقراطية المزيفة فهي ظالمة كافرة ، وتابعة لأكبر دول الإستكبار العالمي ومنفذة لسياستها وهي خائنة لتعاليم الأنبياء (ع) وخصوصاً النبي موسى (ع) الذي تدعي اتباع تعاليمه ، وكل من تعتبره إسرائيل خائناً فهو في الحقيقة ليس بخائن ، والذي تعتبره أميناً فهو خائن بكل ما للكلمة من معنى .

٣ ـ الخيانة آفة المبادىء

الخيانة آفة الآفات ومفسدة المفاسد .

وإذا وجدت في إنسان ما باعتبارها حالة مرضية تصيب الإنسان فتحوله من قادر إلى عاجز ومن مقاوم لكل المغريات إلى أول من يسقط أمامها . . مسلوب الإرادة والعقل والكرامة فيصبح إنساناً آخر ، مضراً بمجتمعه وأهله وكل من يلوذ به إذ أنه في بعض اللحظات قد يتخلى عن خصوصيته الإيمانية وأخلاقيته ويعمد إلى خيانة مجتمعه ودينه وصداقاته وأماناته ومصيره ، ويتحول إلى منافق ويحترف الخيانة ، فيعرض نفسه للبيع بأي ثمن ، ودافعه الأساسي حب الدنيا وهوايته التي يتلذذ بها أذى الناس .

والعمل السياسي والعقائدي في بلادنا ـ يعاني من آفة الخيانة والسبب أن

مجتمعنا يفتقر إلى الثبات في العقيدة الإيمانية والأخلاق الفاضلة لذلك فإن عدداً كبيراً من الشباب ينتقلون من تنظيم إلى تنظيم ، حباً بالجاه أو طمعاً بالمال على قاعدة الوصولية والإنتهازية فيؤدي ذلك إلى خيانة الأمة والبلاد .

وهكذا يسقط قادة ، وأفراد ، ومشاريع ، نتيجة للإزدواجية التنظيمية والعقائدية والسلوكية . . .

فالجميع في عرف هذه المبادىء والتنظيمات يعتبرون خائنين لمبادئهم لأنهم يعملون لحزب أو تنظيم معين وفي نفس الوقت يعملون لحساب جهات أخرى . . . وهذا يختلف عن معنى الخيانة التي نحن بصدد الحديث عنها وذلك لأن خيانة الخائنين أمانة ، وأمين الخونة أخون الخائنين .

الخيانة المطلقة خيانة الإسلام

إن الخيانة العظمى لا بل المطلقة ، هي خيانة العقيدة الإسلامية ، والشريعة الآلهية ، وان المؤمن هو من يحمل قناعة إيمانية ويعمل لصالح معتقده ، ومن البديهي أن الإلتزام بمبدأ معين يعني العمل بكل تشريعاته وقوانينه فترك أو إهمال أو إغفال بعض التشريعات الإسلامية ، يعد إيماناً ببعض الكتاب وكفراً بالبعض الأخر ، وفي هذا خيانة لله ولرسوله ﴿ **فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب** ﴾[١] .

ومن يقصر عمداً من العاملين أو أصحاب الرأي والحل والعقد عن اداء واجباته الإجتماعية والسياسية والعقائدية يدخله ذلك في باب الخيانة إن لم يكن معذوراً .

وهكذا نرى أن الخيانة ذات مساحة واسعة تشمل كل مسألة صغيرة أو كبيرة مما اؤتمن عليه الإنسان . . .

---

[١] سورة البقرة : الآية ٨٥ .

٤ ـ الجاسوسية والإسلام

لا يقرّ الإسلام مبدأ التجسس على المسلمين ، قال تعالى : « ولا تجسّسوا » وهـذا لا يعني أنه يـترك الأعداء يسرحـون ويمرحـون ويعملون لتخـريب المجتمـع الإسـلامي ، بل يبثّ الحـاكم الإسلامي المـراقبين في صفـوف الأعـداء ويسمـون « العيون » .

التعامل مع العمـلاء

ويجب الحذر الشديد عند التعامل مع العملاء ، لأنك إذا قدرت عـلى شراء عدوك فلن تستفيد منه إلا مؤقتاً ، وقد يخونك عنـدما يشـتريه الآخـرون بأغـلى مما اشتريته لذلك لا ينبغي الـوثوق بـالعملاء من الأعـداء وعلينا أخـذ الحذر منهم ، وإنّما يستفاد منهم ضمن دائرة محدودة وبخطة مدروسة .

٥ ـ الخيانة في منظور الإسلام

المؤمن لا يخـون ، ولا دين للخائن : عن الصـادق (ع) « يجبل المؤمن عـلى كل طبيعة إلّا الخيانة والكذب »[٣] .

إنّ جبلة الإنسان هي تكوينه النفسي وطبائعه الذاتيـة سواء أكـانت خيرة أم شريرة ، ويمكن أن يجبل الإنسان على كل طبيعة وصفة وهذا أمـر معلوم ومشاهـد أما الإنسان المؤمن الحق فإنه لا يمكن أن يجبـل على صفتـين : الخيانـة والكذب ، لأن الإيمان يبتني في الأصل ، على الصدق والتصديق بالله ورسله ورسالاته . فـإنه لا يتعـايش مع الخيـانة والكـذب والخائن ليس بمؤمن وكـذا الكـذاب بـاعتبـار أن الكذب شكل من أشكال الخيانة .

وعن علي (ع) « الخيانة أخو الكذب »[١٣] .

فالأخ يعني الشقيق ويعني الند ، والشبه والمماثل .

والخيانة شبيهة كل الشبه بالكذب لا بل هي كفوء له ، وبـوائقها وسلبيـاتها هي بوائقه وسلبياته .

فالأصل هو الكذب والخيانة فرعه وكل خائن كاذب وكل كاذب غادر .

وعن الصادق (ع) قال : « بني الإنسان على خصال فمهما بني عليه فإنّه لا يبنى على الخيانة والكذب »(٤) .

وعن علي (ع) : « الخيانة دليل على قلة الورع وعدم الديانة »(٥) .

يقال : ورعت الرجل عن الأمر : كففته عنه ، فالورع يعني الكفّ عن المحارم والآثام(٦) فإن خان المرء قلّ ورعه ، وانعدم إيمانه ودينه .

وقد قال الباقر (ع) « المؤمن لا يخون »(٧) .

وذلك لأن الإيمان يهذب النفس ويصقل الغرائز ويوجهها ، وينير العقل ويخلص الإنسان من الشوائب .

وعن رسول الله (ص) : « ليس منّا من خان بالأمانة »(٨) .

إنّ المؤمن هو الإنسان الذي قطع كل رابطة إلّا ما يربطه مع الله وشريعته ، وتخلّى عن كل علاقة سوى العلاقات التي تؤدي إلى رضا الله سبحانه ، فإيمانه يجعله أميناً ، وصادقاً . . . وصدقه وأمانته ، في القول والعمل انعكاس لإيمانه بالله جل جلاله ، ومن خان الأمانة ، خسر إيمانه ، وخرج من دائرة أهل الإيمان والإسلام . . . لأن خيانة المسلمين في أموالهم وأهليهم ، خيانة للمبدأ قبل أن تكون خيانة للأشخاص .

والخيانة خصلة ليست من جبلة المؤمن ولا من طبيعته . . لأنها ليست من طبيعة أتباع رسول الله (ص) وأهل بيته الهداة الميامين . . .

قال رسول الله (ص) : « ليس منّا من يحقّر الأمانة حتى يستهلكها إذا استودعها وليس منا من خان مسلماً في أهله وماله »(٩) .

ومن الواضح أن من قال لا إله إلّا الله ، محمد رسول الله حرم ماله وعرضه ونفسه ، ولا تجوز خيانته أو التعدي عليه ، لأن المسلم هو من سلم الناس من يده ولسانه ، والمؤمن من ائتمنه الناس على أموالهم وأنفسهم .

وعن علي (ع) : « جانبوا الخيانة فإنها مجانبة للإسلام »(١٠) .

جانب الشيء أي وقف منه جانباً وابتعد عنه ، ومجانبة الخيانة يعني الإبتعاد عنها ، لأن عدم مجانبتها مجانبة للإسلام ، ولأن الإسلام من السلام ، والسلام أمن وأمان ، والخيانة أذية ومكر وخديعة .

وعن الحسن بن محبوب قال : « قلت لأبي عبد الله (ع) : يكون المؤمن بخيلاً ؟ قال : نعم . قلت : فيكون جباناً ؟ قال : نعم . قلت : فيكون كذاباً ؟ قال : لا ، ولا خائناً . . . ثم قال : « يجبل المؤمن على كل طبيعة إلّا الخيانة والكذب »[11] .

فليتأمل أصحاب النهى ، وليتدبّر ذلك أولو الألباب . .

أداء الأمانة علامة الإيمان

ويقول الإمام الصادق (ع) : « لا تغتروا بكثرة صلاتهم وصيامهم فإن الرجل ربما لهج بالصلاة والصوم حتى لو تركه استوحش ولكن اختبروهم عند صدق الحديث وأداء الأمانة »[12] .

لا ينفع اللهج بالصلاة ولا الإمتناع عن الطعام والشراب في شهر الصوم ، إلّا إذا اقترن ذلك بعفة وورع وتقوى وبصدق حديث وأداء أمانة .

فلا يعقل أن يصدق مع الله من يكذب مع الناس ولا يعقل أن يؤدي أمانة الله من يخون أمانات الناس ولا يكون المؤمن مؤمناً حتى يأتمنه الناس على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم ، والصلاة أمانة الله ومال الجار أو الصديق أمانة الناس . فلا تقبل الصلاة إذا خين الجار أو الصديق في أمانته ، ولا يقبل منا الصوم إذا همزنا ولمزنا ، وغدرنا ، وخنّا ، وأفشينا السر ، وشهّرنا بالآخرين . .

الخيانة مكر وخديعة وغدر وإفك

إن المكر خيانة . . والخديعة خيانة . . والخيانة مكر وخديعة . . فكل من يمارس ذلك فليس من المؤمنين ، وإن من يجد في نفسه القدرة على المكر أو الخديعة أو الخيانة فلا يغتر ولا يتكبر لأن ذلك شر له إن لم يلجم نفسه ويحاربها ويمنعها عن ذلك ، والله تبارك وتعالى أقدر القادرين وخير الماكرين . .

قال رسول الله (ص) « من كان مسلماً فلا يمكر ولا يخدع ، فإني سمعت جبرائيل يقول : إن المكر والخديعة في النار ثم قال : ليس منا من غش ، وليس منا من خان مؤمناً »[١٤] .

وعن علي (ع) : قال « الخيانة غدر »[١٥] .

إن الغدر يعني الإخلال بالشيء وتركه والغدر يقال لترك العهد ومنه قيل (فلان غادر) والجمع غدرة[١٦] وعلى هذا الأساس كانت الخيانة غدراً ، لأن الخيانة كالغدر ترك للعهد وإخلال بالشيء وتقلّب في المواقف وعدم ثبات بالأقوال ، والخيانة إنحراف عن الحقّ ، وتمسك بالباطل .

فعن علي (ع) : « الخيانة صنو الإفك »[١٧] .

إنّ الإفك هو كل مصروف عن وجهه الذي يحق أن يكون عليه ، ومنه قيل للرياح العادلة عن المهاب مؤتفكة قال تعالى : ﴿ **والمؤتفكات بالخاطئة** ﴾ وقوله تعالى : ﴿ **قاتلهم الله أنّى يؤفكون** ﴾ .

أي يصرفون عن الحق في الإعتقاد إلى الباطل ، ومن الصدق في المقال إلى الكذب ، ومن الجميل في الفعل إلى القبيح . . .[١٨] .

وعلى هذا الأساس كان الخيانة صنو الإفك والصنو يعني الشبيه والند والكفؤ والمماثل وما شاكل والخيانة هي المنطلق للنفاق ، لا بل هي رأسه وأساسه .

الخيانة رأس النفاق

عن علي (ع) : « الخيانة رأس النفاق »[١٩] .

إنّ النّفاق هو الدخول في الشرع من باب والخروج عنه من باب ، وعلى ذلك نبه بقوله : ﴿ **إنّ المنافقين هم الفاسقون** ﴾ أي الخارجون من الشرع وجعل الله المنافقين شراً من الكافرين ، فقال : ﴿ **إنّ المنافقين في الدرك الأسفل من النار** ﴾[٢٠] .

وبقدر ما في النفاق من الخبث والمراوغة وعدم الثبات في أمور الدين والعقيدة والشريعة ، فالخيانة أدهى وأمرّ لأنّها رأس النفاق ، ولا يقوم جسد بلا

رأس ، فـالخيانـة تقوّي النفـاق وتدعمـه ، لا بل منهـا يتفـرع النفـاق عـلى جميـع الصعد .

وعن علي (ع) قال : « إيّاك والخيانة فإنها شر معصيـة ، فإنّ الخـائن لمعذب بالنار على خيانته »[٢١] .

يقال : عصى عصياناً إذا خرج عن الطاعة وأصله أن يمتنع بعصاه ، وعصى معناه فارق الجماعة وشقّ عصا الطاعة . والمعصية واحدة من المعاصي وهي القيـام بـالخروج عن الـطريق السوي والـدخول في المتـاهـات التي تؤدي إلى الضـلال . والخيانة هي شر معصية[٢٢] .

وكـما بيّنا فـإنّ كل خـائن منافق وكـل منافق خـائن . . فالخلف بـالوعـد ، وخيانة الأمانة ، والكذب في الحديث موبقات ثلاث فمن كانت فيه هذه الخصـال كـان منـافقـاً حتى وإن صـام وصـلّى ، فـالنفـاق يحبط كـل عمـل ، ويلغي كـل ثواب . . .

يقول الرسول (ص) : « ثلاث من كن فيه كان منافقاً ، وإن صام وصلى ، وزعم أنه مسلم من :

١ ـ إذا ائتمن خان .

٢ ـ وإذا حدّث كذب .

٣ ـ وإذا وعد أخلف .

الخيانة رأس الكفر

عن علي (ع) : « رأس الكفر الخيانة »[٢٣] .

مهما تعاظمت الذنوب فـالكفر أعـظمها ، والخـائن هو من سـتر الحق وكفر بـه ، لأن الكفر خيـانة لأمـانة الله ورسـوله ، وخيـانة للعهـد والميثـاق الإلهيـين ، وللقوانين الربانية الفطرية والتشريعية ، لذلك فإن الخائن كافر .

لا تخن . . حتى الكافر

عن أبي ثمامة قال : دخلت على أبي جعفر (ع) وقلت له : جعلت فداك إني رجل أريد أن ألازم مكة وعليّ دين للمرجئة فما تقول : فقال : إرجع إلى مؤدّى دينك وانظر أن تلقى الله عز وجل وليس عليك دين فإن المؤمن لا يخون[٢٤] .

الإمتناع عن إيفاء الدين خيانة ، والمؤمن لا يخون ، فيجب الاداء حتى ولو كان صاحب المال كافراً . وإذا لم يؤد الدين عن قصد ولو إلى كافر ولقي الإنسان ربه ، لقيه وهو عليه غير راض .

وبعضهم يظن أن لا مانع من خيانة الكافر ، وينسى ، أن ذلك في الظروف الإجتماعية الإعتيادية ، بالإضافة إلى مفاعيله السيئة على المستوى النفسي ، فإنّه يعبر عن خلقية انحرافية عن الإسلام ، فضلاً عن آثاره السلبية على انتشار الرسالة .

لذلك كان على المؤمن أن يؤدي الأمانة لمن ائتمنه براً أو فاجراً ، مؤمناً أو كافراً . . .

الإستهانة بالأمانة خيانة

عن علي (ع) : « من استهان بالأمانة وقع في الخيانة »[٢٥] .

استهان بالشيء أي أهمله ولم يعطه قدره من الإهتمام .

وإذا حصل الإهمال جاءت النتائج سلبية ، لأن من يقصر في عمل أوكل إليه القيام به يعد خائناً لهذا العمل ، والعمل أمانة ، ولذلك من ائتمن على شيء ، ولم يؤده كما ينبغي أو استهان به وقع في الخيانة . . .

من خان في مال حسب عليه من رزقه

عن أبي عبد الله (ع) وهو يحاسب وكيلاً له والوكيل يكثر أن يقول : والله ما خنت، فقال له أبو عبد الله (ع): «يا هذا خيانتك وتضييعك علي مالي سواء، إلّا أن الخيانة شرّها عليك ثم قال : قال رسول الله (ص) : « لو أن أحدكم فرّ من

رزقه لتبعه حتى يـدركه كـما أنه إن هـرب من أجله تبعه حتى يـدركه . ومن خـان خيانة حسبت عليه من رزقه وكتب عليه وزرها »[٢٦] .

شرّ الخيانة على من فعلها ، والمخون وإن فقد ماله فـإنه لا يخسر أجـره عند الله وكـما أن الأجل لا بـد مدرك الهـارب منـه ، وكـذلـك الـرزق فـإنـه سيـدرك صاحبه ، فالقوانين الربانية قضت بأن يصل إلى كل إنسان رزقه ، وإن أية عمليـة إنقاص أو سرقة أو خيانة في المال فإنها في الـواقع ، لا تؤثـر في المدى الـطويل عـلى رزق الإنسـان ، وإنّما أثـرها السلبي عـلى الخائن أو البـاخس النـاس حقـوقهم أو المطفف في المكيال والميزان ، لأن مـا يظن أنه قد ربحه أو زاد في رزقـه ، إنّما ينقص من مجمـوع رزقه ، ويحسم ، ويختـزل ، ويربـح الوزر ، لأنـه أساء الـظن بالله ، وأسـاء إلى عبد من عبـاد الله ، واعتدى عـلى أموال النـاس أو خان الأمـانة . ولا ننسى أن نقـول ان الذين يخـونون المجتمـع بأن يتـاجروا بـالمحرمـات (من أفيـون وحشيش وكـل أنواع المخـدرات) ، ويجمعون المـلايين ، يحسبـون أنهم أصبحـوا أغنياء ، وينسون أن مـا نالـوه ، وحصلوا عليه كـان سيصلهم إن كان من رزقهم من طـرق الحلال ، وإلاّ فـإنهم سيخسرونه بـألف طريق (أمـراض ، حـوادث ، مشاكل) ، وإن لم يخسروه في حيـاتهم فإن ذلـك سيكون بعـد وفاتهم وعـلى أيدي أولادهم وورثتهم . . وفي كل الحالات فإن الخيانـة تلحق بفاعلهـا ، وتحسب من رزقه ، وإن المخون لا ينقص من رزقه شيء .

لا تخن من خانك

عن رسول الله (ص) « لا تخن من خانك فتكون مثله »[٢٧] .

إنّ الإسلام يأمر بردّ الحجر من حيث جاء لأن الشر لا يدفعه إلاّ الشر ، إلاّ أن هـذا يعني دفع الـظلم وعـدم القبـول بـالضيّم ، ولكن رد الخيانة بمثلهـا غـير مسموح به ولا يقبل ، لأن الذي يرد الخيانة بخيانة مثلها يعد خائناً .

والخائن مرذول في الدنيا والآخرة .

عن عـلي (ع) « لا تخن من ائتمنـك وإن خـانـك ولا تشن عـدوّك وإن شانك »[٢٨] .

إنّ المحافظة على الأمانة واجب مقدس وقد جاء في الحديث الشريف : « لا تخن من ائتمنك وإن خانك » .

قال تعالى : ﴿ ولا يَجْرِمَنَّكُم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾[1] .

والشين يعني التجريح والتشهير وإظهار المعايب والنقائص في الآخرين .

وهذا العمل ليس له مبرر في الدين الإسلامي حتى ولو كان ضد من عاداك ، ولا شك أن هذا ينحصر ضمن إطار المجتمع الإسلامي ، إذ تحصل في حالات كثيرة اختلافات حول بعض الأمور ، فتؤثر على النفوس وتخلق نفوراً بين الأشخاص ، لذلك لم يسمح الإسلام بشين الآخرين من الذين تختلف معهم في الموقف أو الرأي من أهل الإسلام والإيمان ، لأن المطلوب العمل لجمع القلوب وتوحيد الكلمة ، ورص الصفوف . أما الأعداء، أعداء الله ، من الذين يحاربون الله ورسوله فإن الموقف منهم يختلف ، وإن بغوا واعتدوا على المسلمين ، فلا بد من كشفهم وتعريتهم في مواقفهم ومخططاتهم لأنهم أهل بدع أو كفار . . .

عن سليمان بن خالد قال : « سألت أبا عبد الله عن رجل وقع لي عنده مال وكابرني عليه وحلف ثم وقع له عندي مال فآخذه مكان مالي الذي أخذه وأجحده وأحلفُ عليه كما صنع ؟ فقال : إن خانك فلا تخنه ، فلا تدخل فيما عبته عليه »(٢٩) .

. . . لا تجوز الخيانة ، حتى لمن لنا عليهم حقّ ، فكيف نقع في عيب نحن نعيبهم عليه .

فنحن نرفض أن يخوننا الآخرون ، وكذلك علينا أن نرفض أن نخون الآخرين حتى ولو كان لنا عليهم حقوق فالعيب فينا كالعيب في الآخرين ، والخيانة منّا كالخيانة من الآخرين والكل محرم وسيحاسب الخائنون حساباً عسيراً . . .

---

[1] سورة المائدة : الآية ٨ .

« فعن معاوية بن عمار قال : قلت لأبي عبد الله (ع) : « الرجل يكون لي عليه الحق فيجحدنيه ثم يستودعني مالاً ، ألي إن آخذ مالي عنده قال : لا هذه خيانة »[٣٠] .

وعن محمد بن القاسم قال : « سألت أبا الحسن (ع) : عن رجل استودع رجلاً مالاً له قيمة . والرجل الذي عليه المال رجل من العرب يقدر على أن لا يعطيه شيئاً ، والرجل الذي استودعه خبيث خارجي فقال (ع) : « قل له يرد عليه ماله فإنه ائتمنه عليه بأمانة الله »[٣١] .

الوديعة إمانة الله على المرء المستودع ، وخيانة الوديعة خيانة لله وليس لصاحبها ، فحذار من خيانة الودائع والأمانات لأنها ودائع الله وأماناته ولو كان أصحابها خوارج .

عن علي بن الحسين (ع) : « عليكم بأداء الأمانة فوالذي بعث محمداً (ص) بالحق نبياً لو أن قاتل أبي الحسين بن علي (ع) ائتمنني على السيف الذي قتله به لأديته له »[٣٢] .

... دائماً تأكيد على أداء الأمانة والحفاظ عليها .

... ودائماً لا فرق بين المؤتمنين ـ عرباً كانوا أم عجماً ، أصدقاء كانوا أم أعداء . حتى ولو كانت الأمانة السيف الذي قتل به علي (ع) أو الحسين (ع) فيجب رده إلى صاحبه ولا تجوز خيانته .

التنكر للفرائض الإلهية خيانة

عن الباقر (ع) في قوله تعالى : « لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم » فخيانة الله والرسول معصيتهما وأما خيانة الأمانة فكل إنسان مأمون على ما افترض الله عز وجل[٣٣] .

فليس إنكار المال خيانة فقط ، ولا إنكار المتاع ولا نسيان الوعد ، أو إهمال العهد هو خيانة فحسب ، بل إنه عصيان لله وعدم إطاعة الرسول وتنكر لرسالته السمحاء ، وإهمال الفرائض العبادية ، وترك ما أمر الله ، كل هذا هو خيانة .

أكبر الخيانة أن تكون أميناً للخونة

عن الإمام الجواد (ع) : « كفى بالمرء خيانة أن يكون أميناً للخونة »(٣٤) .

الأمانة صفة أهل الإيمان ، والمؤمنون يشكلون وحدة إجتماعية متكاملة ، لها أهدافها وسلوكها وأعمالها المميزة ، والمطبوعة بطابع العبودية لله ، والإلتزام بأوامره ونواهيه . فالروابط الإيمانية مؤسسة على قاعدة العلاقة التفاعلية الإيجابية بين أهل الإيمان ، وهداية جميع الناس والإحسان إليهم . إلا أن أية علاقة أو رابطة تؤدي إلى تقوية التيارات المنحرفة ، والقيادات الفاسقة أو الظالمة ، أو إعطاء شرعية لهم ، أو تشكيل غطاء لممارساتهم فإنها تصب في خانة أعداء الله وأعداء رسوله وهي محرمة بشكل عام ، لذلك فإن خدمة الخونة والظلمة ومساعدتهم ، والأمانة لهم ، والتوظف في دولتهم بحيث يؤدي ذلك إلى إعلاء شأنهم ، وتصليب وضعهم في مواجهة القوى المؤمنة يعد من أكبر الخيانة على الإطلاق .

ادخار الدرهم عن المؤمن وعدم إعانته خيانة

عن أبي هارون المكفوف قال : قال لي أبو عبد الله (ع) : « يا أبا هارون إن الله تبارك وتعالى آلى على نفسه أن لا يجاوره خائن قال : قلت : وما الخائن ؟ قال : من ادّخر عن مؤمن درهماً أو حبس عنه شيئاً من أمر الدنيا »(٣٥) .

إن كل ما في الكون ، وما في الأرض كله لله ، وما يملكه الناس هو ملك إعتباري والملك الحقيقي هو الله ، والناس مستخلفون على المال ووكلاء عليه ، وعليهم أن يتصرفوا بالأموال حسب ما يريد الله ، إنتاجاً وتبادلاً واستهلاكاً .

والملك في الأساس للأمة والشعب كما قال تعالى :

﴿ وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ﴾ .

وقال أيضاً : ﴿ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولاً معروفا ﴾[١] .

---

[١] سورة النساء : الآية ٥ .

فكـل من يحبس درهماً أو يمنـع متاعـاً ، عن أخ له وهـو بحـاجـة إليـه يعـد خائناً ، والله تبارك وتعالى آلى على نفسه أن لا يجاوره خائن .

فعن أبي عبد الله (ع) قال : « ما من مؤمن ضيع حقاً ، إلاّ أعطي في بـاطل مثليه ، وما من مؤمن يمتنع من معونة أخيه المسلم ، والسعي له في حوائجه قضيت أم لم تقض إلاّ ابتلاه الله بالسعي في حـاجة من يـأثم عليه ولا يؤجـر به . ومـا من عبـد يبخل بنفقـة ينفقها فيـما يرضى الله إلاّ ابتـلي أن ينفق أضعـافهـا فيـما يسخط الله »[٣٦] .

وعن الصادق (ع) أيضاً أنه قال : « أيما رجل من أصحابنا استعان به رجل من اخوانه في حاجة فلم يبالغ بكل جهده فقد خان الله ورسوله والمؤمنين »[٣٧] .

إنّ إعـانة المستعـين ، وإغاثـة المستغيث ، وكفايـة المحتاج كلّهـا أمور حثّ عليها الشرع الحنيف ، وادخر الله تعالى لصاحبها جزيل الثواب .

والذي لا يجهد في سدّ حاجة المحتاج ، ولا يسعى في عـون المستعين يكـون خائناً لله وللرسول وللمؤمنين . فخيانة الله تعالى في عدم مساعدة عبـاده ، وخيانـة الرسول (ص) في عدم عون أتباعه ومـريديـه وأنصاره ، وخيـانة المؤمنـين في عدم إغاثة المحتـاج منهم وإدراك اللهيف وإعانـة الضعيف فأيـما مؤمن منع مؤمنـاً شيئاً وهـو يحتاج إليـه ، مع قـدرته عليـه من عنده أو من عنـد غـيره ، حشره الله يـوم القيامة ـ كما جاء في الخبر ـ مسوداً وجهه مزرقّة عيناه مغلولة يداه إلى عنقه ، فيقال هذا الخائن الذي خان الله ورسوله ثم يؤمر به إلى النار .

الخائن يشغل نفسه بغير نفسه

عن عـلي (ع) : « الخائن من شغـل نفسه بغـير نفسه وكـان يومـه شـراً من أمسه »[٣٨] .

شغل الإنسان بنفسه جهاد أكبر ، وشغله بغيره خيانة .

فمن اشتغـل بغيره جلب الشر لنفسـه فلا يشتغلن أحـد بغير نفسـه ، وإلاّ أصابه البلاء وأحاطت به النقم وقلاهُ ربه ، وأبعده عن مجالسهم المؤمنون .

والخائن في تراجع مستمر ، فمستواه الإجتماعي والنفسي والحياتي في هبوط لأنه يسلك درب الإنحدار الإنساني بخيانته ، لذلك كان يومه شراً من أمسه ، وهو إلى النقصان لأنه لا يرى الزيادة في نفسه ، ومن كان إلى النقصان فالموت خير له من الحياة .

من الخيانة : عصيان الرحمن ، وأذى الجيران ، وبغض الأقران ، والقرب إلى الطغيان :

عن رسول الله (ص) : « أما علامة الخائن فأربعة : عصيان الرحمن ، وأذى الجيران ، وبغض الأقران ، والقرب إلى الطغيان »[٣٩] .

ـ عصيان الرحمن ، وعدم إطاعته ، وفعل المنكرات ، من علامات الخائن .

ـ والتعدي على الجيران وأذيتهم ، وعدم مراعاة حقوقهم التي فرض الله لهم من علامات الخيانة .

ـ الحقد ، والضغينة ، والشنآن والبغضاء للاخوان والأقران ، وعدم الإحسان إليهم ومحبتهم وعدم التفاعل معهم خيانة .

ـ ومجاورة الطغاة ، ومعاشرة الظلمة ، والقرب من الجبابرة ، والمتسلطين من علامات الخائن .

ـ فالحذر الحذر من هذه الآفات . . . والإبتعاد الإبتعاد . . . عن هذه السيئات .

خيانة الخل الودود ونقض العهود

عن علي (ع) : « غاية الخيانة ، خيانة الخل الودود ونقض العهود »[٥٠] .

الخلّ هو الصديق والرفيق والصاحب .

والودود هو الذي يكنّ الودّ لغيره، والخل الودود هو من أفضل الأخلاء والأصحاب والعهد يعني الوعد ، والإتفاق على شيء محدد ، لا يجوز انتهاكه أو الإخلال به ، وهذا النوع من الخيانة هو غاية الخيانة ورأسها . كيف لا ، وهي

موجهة ضد إنسان أخلص لك الود ، ومحضك النصيحة ، وأحب لك الخير ، وآثرك على نفسه ، وودّك وأحبك ، فإذا بك تقلب له ظهر المجن ، ولا تحفظ له إلّا ولا ذمة ، وكأنه لك عدو وليس بصديق حميم . . . إن هذا غاية الخيانة ، وكذلك فإن العهود إذا نقضت ، والمواثيق إذا أخل بها ، بعد عقدها وتوكيدها ، والقبول بمضامينها وتيقّن الآخرين من صحة الأقوال هو أيضاً غاية الخيانة .

خيانة العلم أشد من خيانة المال

عن رسول الله (ص) : « تناصحوا في العلم فإن خيانة أحدكم في علمه أشد من خيانته في ماله »[٤١] .

التناصح يعني أن ينصح بعضنا بعضاً .

والتناصح في العلم هو بذل العلم للمتعلم وفق شروط وأهداف محددة :

الأول : أن يكون التعليم والتعلم قربة لله وباسم الله ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق . . .** ﴾ وتحقيقاً لأهداف الإسلام التي يتوخاها من العلم والعالم والمتعلم .

الثاني : أن لا يراد بالتعليم تحصيل منصب أو تفاخر أو طلب جاه أو دنيا ، أو تحقيق غلبة على من يعتبر خصماً ، أو إظهار معرفة وعلم .

الثالث : أن يكون هذا العلم علماً نافعاً (أللهم إنا نعوذ بك من علم لا ينفع ﴾ .

الرابع : إستخدام الأسلوب الأفضل لتقريب المعاني للأذهان ، واختيار أفضل الوسائل لإيصال المعلومات إلى المتعلم .

الخامس : عدم كتمان العلم لأن « من كتم علماً يعلمه ألْجمه الله يوم القيامة بلجام من نار » .

وأي نقص أو فقدان لأحد هذه الشروط ، عن قصد ، يعدّ خيانة علمية ، وخيانة العلم تعني خيانة الحقّ والحقيقة ، وهي أعظم من خيانة المال الذي هو مجرد وسيلة للعيش وتأمين الحاجات .

خيانة الوديعة أفحش خيانة

عن علي (ع) : « أفحش الخيانة خيانة الودائع »[٤٢] .

الودائع (مفردها وديعة) هي ما يودع عند الغير بشكل أمانة ، ويصبح الحفاظ عليها أمراً ضرورياً وواجباً .

ومن خان الوديعة وفرّط بها عدّ خائناً ، وخيانته من أفحش الخيانات . . .

وذلك لأن من أودع عنده وديعته ، أودعها لإعتقاده بأمانة هذا الشخص ، وإذا به يتفاجأ بخيانته للوديعة . . . وهل بعد هذه الخيانة أفحش منها .

أعظم خيانة خيانة الأمة والأئمة

عن علي (ع) : « إن أعظم الخيانة خيانة الأمة وأفظع الغش غش الأئمة (ع) »[٤٣] .

. . . لماذا تكون خيانة الأمة أعظم الخيانات ، وغش وخيانة الأئمة ، والقيادة الشرعية من أفظع أنواع الغش ؟ .

السبب في ذلك هو أن الخيانة عندما تكون على نطاق فردي فإن ضررها محدود بحدود فرد ، أو أفراد من المجتمع ، وأما إذا كانت على مستوى الأمة ، فيعني أن الضرر والأذى والإفساد سوف يشمل المجتمع بكل أفراده ، وكلما كانت المساحة التي تغطيها الخيانة أوسع ، كلما كانت الخيانة أعظم ، وخصوصاً أن الإنسان الذي يعيش في المجتمع الإسلامي ينبغي أن يعمل لتماسك هذا المجتمع ، وعدم الإضرار به ، والإساءة إليه ، لذلك وجّه الإسلام أتباعه ليعيشوا همّ بناء الدولة والمجتمع ، واستمراره وتطوره ، وذلك عن طريق نصح أئمة المسلمين وقادتهم ، وعدم غشهم لأن النصيحة هي لله ولرسوله وللأئمة كما ورد .

الأمان يوم القيامة لتارك الخيانة

عن أبي الحسن الثالث (ع) : قال : « كان فيما ناجى موسى ربه إلهي ما جزاء من ترك الخيانة حياء منك ؟ قال : يا موسى له الأمان يوم القيامة »[٤٤] .

إن ترك الخيانة أمان يوم القيامة من الفزع الأكبر ، وهذا الأمان غاية عظمى لا يعادلها شيء ، ولا تقدر بثمن .

أما لماذا الأمان يوم القيامة لمن ترك الخيانة ، حياءً من الله تعالى ؟ .

. . . الأمان لتارك الخيانة ، لأن الخيانة تخلق حالة من البلبلة والقلق عند الفرد المخون أو المجتمع ، لما تخلقه من أوضاع ، وتوجده من نقص وخلل في موازين الإستقرار الإجتماعي والنفسي ، ولما لذلك من آثار على المستوى المستقبلي ،. فمن ترك الخيانة حياءً وخوفاً من الله تعالى ، فقد ساعد على استقرار الحياة الإجتماعية والفردية ، وأشاع الطمأنينة والسلام ، بحيث يثمر ذلك توجهاً صافياً نحو الله ، وتعاملاً ملتزماً مع الشريعة فيستحق الأمان يوم القيامة .

من خان جاره في شبر من الأرض ، طوّق به عنقه حتى يوم القيامة

في خبر المناهي قال النبي (ص) : « من خان جاره شبراً من الأرض جعلها الله طوقاً في عنقه من تخوم الأرضين السابعة حتى يلقى الله يوم القيامة »(٤٥) .

الشبر من الأرض قدر بسيط من هذه الدنيا الواسعة جداً ، وخيانة هذا الشبر منها جزاؤه كبير ، وكبير جداً يوم القيامة .

وذلك لأن الخيانة في الشبر تعني الخيانة كل الخيانة . والذي يخون في القليل يخون في الكثير ، ويدل ذلك على وجود قابلية الخيانة عنده في كل الأحوال . فالخائن في الشبر خائن في كل شيء ، وخيانته يمكن أن تمتد أفقياً لتشمل كل مال ، وكل عرض ، وكل أرض ، ولما كانت الخيانة ذات امتدادات أفقية ، كانت العقوبة ذات امتداد عمودي ، بحيث يتحول شبر من الأرض ليصبح طوقاً في عنق الخائن ، بدايته من الشبر الذي خان فيه إلى تخوم الأرض السابعة ، يربط به حتى يلقى الله عز وجل يوم يقتص من الخونة والمجرمين وذلك يوم يقوم الناس لرب العالمين .

وروى المجلسي عن النبي (ص) : أنه أمر من ينادي بالمسلمين : « ردوا الخيط والمخيط فإن الغلول عار وشنار يوم القيامة فأقبل رجل معه قبضة شعر كان قد أخذه وقال أخذته لأخيط سرج بعيري فأعفاه رسول الله (ص) من سهمه ،

وأمره أن يدفع قيمة سهام سائر المسلمين ليوزع عليهم » .

وروى المجلسي أيضاً بأن المجرمين يعرفون بسيماهم[٤٦] .

نستنتج مما سبق : ان كل ما خان به الإنسان فإنه لا ينفصل عنه يوم القيامة ، بل يحمله على ظهره . . نعم ، يحشر الإنسان يوم القيامة ويحمل معه مثل ذنبه حتى يعرف أهل المحشر سبب استحقاقه للعقوبة . . . وإن العار والشنار من علامات البؤس والذل والمهانة فكل من يغل يصيبه هذا العار والشنار ، ويصبح معروفاً به ، ويحشر في عداد المجرمين الذين يعرفون بسيماهم[٤٧] .

سر المؤمن أمانة وإفشاؤه خيانة

عن أمير المؤمنين (ع) قال : « إذاعة سر أودعته غدر »[٤٨] .

وعن عبد الله بن سنان عن الصادق (ع) : « قال : قلت له « عورة المؤمن على المؤمن حرام ؟ قال (ع) نعم ـ قلت تعني (سِفْليه) قال (ع) : ليس حيث تذهب إنما هو إذاعة سره »[٤٩] .

وعن الرسول (ص) : « إفشاء سرّ أخيك خيانة فاجتنب ذلك »[٥٠] .

سر الإنسان عورة فمن أذاع سر إنسان أو أفشاه يكون قد كشف له عورة من عوراته ، وهذا محرم في الشرع تحريماً مؤكّداً لأن عورة المؤمن على المؤمن حرام .

وهكذا فإنّ مَنْ أفشى سراً لأخيه المؤمن فقد خانه ، ومن شهّر بعيب مؤمن سواء أكان ظاهراً أو مستوراً فقد خانه ، ومن نقض عهداً أو أهمل وعداً ، ضرب بينه وبين أخيه فقد خانه . . . فاجتنب ذلك . . .

ويقول آية الله دستغيب : « إنّ كشف ما سمعه الإنسان أو رآه دون رضى المتحدّث عدّ خائناً بالأمانة ولا فرق في الحرمة بين إشاعة سر العدو والصديق ، والصالح والطالح ، ولا فرق أكان صاحب السر قد جعله عنده أمانة ، أو بنحو الصدقة » .

كاتم السر من الذين يستظلون بظل عرش الله

عن الإمام موسى بن جعفر (ع) قال : « ثلاثة يستظلون بظل العرش (عرش الله) يوم لا ظل إلا ظله : رجل زوج أخاه المسلم أو خدمه أو كتم سره »[٥١] .

قد يستظل المرء في الدنيا فيأوي إلى فيء الأشجار ونحوها ، خوفاً من أذى حرارة الشمس التي هي ـ كما في الخبر ـ جمرة من جمرات جهنم . ولكن من يحميه من نار الله الموقدة إن خان أخاه في سر له أفشاه . . .

وهل هناك نعمة أعظم وفضل أكبر من أن يقبله الله ، لأن يستظل بظل عرشه سبحانه وقاية له من لظى النار التي سجّرها لمعانديه . . . وهذه المرتبة لا تكلف هذا المرء إلا دريهمات قليلة ، يساعد فيها أخاه على الزواج ليبعده عن المحرمات . أو يخدمه خدمة تفيده في دنياه وآخرته ، أو يكتم سره ولا يفشيه تعبيراً عن الأمانة لأن كتمان سر المؤمن أمانة وإفشاءه خيانة .

المجالس بالأمانات

ورد في الحديث « المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس :

١ ـ مجلس سفك فيه دم حرام .

٢ ـ ومجلس استحل فيه فرج حرام .

٣ ـ ومجلس استحل فيه مال حرام بغير حقّه »[٥٢] .

إذا أشيع خبر مجلس سفك فيه دم حرام لا تكون هذه الإشاعة غدراً ولا خيانة . . .

وإذا أفشي سر مجلس استحل فيه فرج حرام فإن ذلك لا يوجب القصاص والذنب . . إذا كان ذلك حسب أحكام الشرع . وإذا أذيع ان مجلساً ما استحل فيه مال حرام بغير حقه ، كان هذا العمل واجباً ولا شيء على المذيع والمخبر إذا ما راعى القواعد الشرعية .

وإلاّ فكيف يعرف المجرم ؟ وكيف يعرّى ؟ وكيف يصل صاحب الحق إلى حقه ، بالدليل الدامغ والشهادة الصادقة ؟ .

أمانة المجالس إذا كان لا يستحل فيها حرام ، أما إذا كانت بؤرة فساد ، ومقر تعدٍ على المحرمات والأموال فلا حرمة لهذه المجالس وإذاعة ما يحدث فيها أمر شرعي ضمن شروط محددة وذلك لإبانة الحق وإيصاله إلى أصحابه .

لا تطلع صديقك من سرّك إلّا ما لا يضرك إذا انكشف

عن الإمام موسى بن جعفر (ع) قال : « لا تطلع صديقك من سرك إلاّ على ما لو اطلع عليه عدوك لم يضرك فإن الصديق قد يكون عدوك يوماً »[٥٣] .

صديق اليوم يمكن أن يصبح عدو الغد، فلا تطلع صديقك من سرّك على شيء يضرك لو اطلع عليه عدوك فالسر ملكك وأسيرك ما لم تبح به ، وسرك إن حفظته ، لم يقوَ أحد على أن يؤذيك بشيء ، أو يسيء إليك لأن بنيانك متين ، وبإفشاء السر يصبح معرضاً للسقوط . . .

الغُلُول (الخيانة في المغنم) عار وشنار يوم القيامة

يقال غلَّ يَغُلُّ غُلُولاً : خان في المغنم خاصة . . .

وأَغَلَّ إغْلالاً : خان مطلقاً لأن الخيانة في الحالتين أخذ شيء على خفاء وقد ورد منه في خيانة المغنم الماضي والمضارع

مدغماً : غلَّ يَغُلُّ .

مفككاً : غَلَلَ يَغْلُلُ والغُلُول يعني الخيانة في المغنم[٥٤] .

وقال رسول الله (ص) : « ألا لا يَغُلَّنَّ أحد بعيراً فيأتي (فيؤتى) به على ظهره يوم القيامة له رُغاء .

ألا لا يغلَّنَّ أحد فرساً فيأتي (فيؤتى) به يوم القيامة على ظهره له حمحمة فيقول : يا محمد (ص) فأقول قد بلَّغت لا أملك من الله شيئاً » .

وقد قيل في معنى الغلول : « إنّ الغلول هو الخيانة في الاموال المأخوذة من الكفار والواقعة تحت تصرف المسلمين قبل تقسيمها وقال البعض الآخر : بأن الغلول هو مطلق الخيانة ومنها الخيانة في الغنيمة قبل القسمة » .

وقد قال تعالى : ﴿ **ومن يغلل يأت بما غلّ يوم القيامة ثم توفى كـل نفس بما كسبت وهم لا يـظلمون أفمن اتبـع رضوان الله كمن بـاء بسخط من الله ومـأواه جهنم وبئس المصير** ﴾[1] .

ولا شـك أن أي عمل يقـوم به المـرء أو أيـة معصيـة يرتكبهـا يأتي بهـا يـوم القيامة ليعـاقب عليها أو يثـاب . وشتان بـين من يتّبع رضـوان الله وبين من يبـوء بسخط الله فالأمين المرضي لله له جنان الخلد خالـد فيها منعّم ، والخـائن له جهنم وبئس المصير .

قال تعالى : ﴿ **فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيـل ادخلا النـار مع الداخلين** ﴾[2] .

﴿ **إن الله لا يحب الخائنين** ﴾[3] .

وإذا وقعت الخيانة وقع العقاب ، والعقاب على قدر الجناية فامرأتا لوط (ع) ونوح (ع) خانتا زوجيهما بتركهما تنفيذ أوامر الله ، ومساعدة أعداء الله ، فكان إن وردَتا النار مع الواردين .

ولم يغنِ عنهما زواجهما من النبيين الكريمين من عذاب الله شيئاً ، لأنّ الله عز وعلا يكره الخيانة ويمقت صاحبها ولا يحب الخائنين(٥٧) .

لا تخن . . . حتى عدوك

عن الإمام الصادق (ع) : « اتقوا الله وأدوا الأمانـة إلى من ائتمنكم فـلو ان قـاتل عـليّ ائتمنني على أمـانة لأديتهـا إليـه ، اتقـوا الله وأدُّوا الأمـانـة إلى الأسـود والأبيض وإن كان حرورياً ، وإن كان شامياً (أموياً) »(٥٨) .

لا تجوز خيانة الأمانة حتى لأعدى أعدائك ، فـانظر في أمـرك جيداً ، ودقّق في تصرفـاتك ، ولا تـدع العصبية تسيـطر عليك أو تـأخذك الحميـة الجـاهليـة ،

---

[١] سورة آل عمران : الآية ١٦١ ـ ١٦٢ .

[٢] سورة التحريم : الآية ١٠ .

[٣] سورة الأنفال : الآية ٥٨ .

فصاحب الحق يجب أن يؤدى إليه حقه ولو كان حبشياً أم قرشياً ، مسلماً كان أم كافراً ناصبياً كان أم شامياً (أموياً) .

وسأله رجل : الناصبي يحل لي اغتياله ؟

قال (ع) : « أد الأمانة إلى من ائتمنك وأراد منك النصيحة ولو إلى قاتل الحسين (ع) »[٥٩] .

فالنصيحة أمانة فمن استنصحك فانصحه ، وامحض له النصيحة ، فإن لم تفعل تكون خنت الأمانة ، وخالفت قول الله والرسول والأئمة (ع) .

وعن الحسين الشيباني قال : قلت لأبي عبد الله (ع) : رجل من مواليك يستحل مال بني أمية ودماءهم وإنه وقع لهم عنده وديعة ؟

قال (ع) : « أدوا الأمانة إلى أهلها وإن كانوا مجوساً »[٦٠] .

. . . حتى المجوس ، عبدة النار ـ أعداء الله . . يجب أن تؤدى أمانتهم ، وكذلك أمانات بني أمية وأمانات كل الناس مهما اختلفت مشاربهم وعقائدهم يجب أن تؤدى أيضاً . . . فما أعظم الإسلام ! .

وقال الإمام الصادق (ع) : « إن الله عز وجل لم يبعث نبياً إلا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة إلى البر والفاجر »[٦١] .

صِدق الحديث أمانة ، وهو وصية الله للأنبياء ، فمن ائتمر بوصية الله هذه ، عليه بصدق الحديث وأداء الأمانة ، ولا فرق فيهما بين بر ولا فاجر .

لا تشتر خيانة حتى لا تكون كمن خانها

وقال رسول الله (ص) : « من خان أمانة في الدنيا ، ولم يردها إلى أهلها ثم أدركه الموت مات على غير ملتي ويلقى الله وهو عليه غضبان » .

وفي حديث آخر : « فيؤمر به إلى النار ، فيهوى به في شفير جهنم ، ومن اشترى خيانة وهو يعلم فهو كالذي خانها »[٦٢] .

الخائن لا يمت بأية صلة إلى الإسلام ، ويلقى الله وهو عليه غضبان ،

ولـن يـكـــون مـــأواه إلاّ في جـهـنـــم ولا فــرق بـين مـن يخــون الأمـــانـــة ، ومن يشتري الخيانة ، وهوَ يعلم أنها خيانة . . . فإذا علم أنها خيانـة ثم اشتراهـا يُعَدُّ خائناً وإثمه إثم من يخون ويغدر ويغل .

الخيانة تخرب البيوت

عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال : « أربعة لا تدخل واحدة منهن بيتاً إلاّ خرب ولم يعمر بالبركة :

١ ـ الخيانة ٢ ـ السرقة ٣ ـ وشرب الخمر ٤ ـ والزنا »(٦٣) .

البركة تعني الزيادة والنمو ، وبالـبركة تعمـر البيوت ، وبـالصدق والأمـانة تقوم الدول ، وتبنى المجتمعات ، وبالأخلاق الفاضلة ، وبـالعفة عن المحـارم ، تتحق السيادة والعزة والكرامة ، وبدونها لا يقوم بنيان .

والخيـانة خصلة من أربـع خصال (السرقـة ، وشرب الخمر ، والـزنا) ، تعتبر من الأسباب المخربة للبيوت ، وللمجتمعات ، وجميع هذه الخصـال تمت إلى الخيانة في الجوهر ، وهكذا فإن الخيانة تعني هـدم أسس البناء الإجتماعي واقتلاع جذور شجرة الخير ، بحيث لا تنمو ولا تكبر .

الخيانة تجلب الفقر

قال رسول الله (ص) : « الأمانة تجلب الغنى والخيانة تجلب الفقر »(٦٤) .

أمانة وخيـانة . . غنى وفقـر ، مفردات متقـابلة ، ومتضادة ، فـالأمانـة مع الغنى قبلة العاقلين العارفين والخيانـة مع الفقـر سمة المنـافقين ، الجـاحدين لنعم الله ، وأعجب مـا يصادف الإنسـان ، أن يرى عبـداً يعرف أن الخيـانة تقـوده إلى الفقر وغضب الرب واحتقار الناس ثم يخون ، والأعجب أن يرى عبـداً يعرف أن الأمانة تقوده إلى الغنى ويقرب من رضا الرب واحترام الناس ، ولا يحافظ عليها .

أما لماذا تجلب الأمانة الغنى والخيـانة الفقـر ؟ فذلـك يعود إلى أن النـاس ، عندما يعتقدون بأمانة شخص ، فـإن تعاملهم معـه يكـون على أسـاس الثقة بـه وبعمله ، فإن كان تاجراً فإن المتعاملين معه سيكثرون ، وتـربح تجـارته وتقـوى ،

وكذلك إن كان صانعاً أو صاحب مهنة فإن الناس ستقبل على ما يصنع ، أو على الإستفادة من خبرات هذا الإنسان ، أما الخيانة إن اشتهر بها إنسان سواء أكان تاجراً أو زارعاً أم صاحب عمل ومهنة ، فإن الناس ستبعد عنه وتتركه ، وهذا ما يجلب الفقر . . . ولكل نعمة سبب ، وكذلك لكل عقوبة أو نقمة علة لأن الله أبى أن يجري الأشياء إلّا بأسبابها فجعل لكل شيء سبباً .

وعن الصادق (ع) : إمرأة في المدينة كان الناس يضعون عندها الجواري فيصلحن ، وقلنا ما صبَّ عليها من الرزق ؟ فقال (ع) : « إنها صدقت الحديث ، وأدت الأمانة ، وذلك يجلب الرزق »(٦٥) .

الناس كل الناس ، يقبلون على من يصدقهم الحديث ويؤدي لهم الأمانة . ولو كان هؤلاء الناس غير صادقين وغير مؤتمنين .

والمرأة المذكورة في الرواية حصلت على ثقة الناس فاقبلوا عليها ، ووضعوا أماناتهم لديها ، فصدقت معهم بما عاهدتهم ، وأدّت أماناتهم محفوظة ، لذلك أعطوها ما رغبت فزاد الرزق عليها ، لأن من السنن الإلٓهية في الحياة ان صدق الحديث وأداء الأمانة يجلب الرزق .

بادر بالأمانة ولا تسمع لوسوسات الشياطين

عن الإمام الصادق (ع) : أنه قال : « من ائتمن على أمانة فأداها فقد حل ألف عقدة من عنقه من عقد النار فبادروا بالأمانة فإن من ائتمن على أمانة وكّل به إبليس مائة شيطان من مردة أعوانه ليضلوه ويوسوسوا إليه حتى يهلكوه إلا من عصم الله عز وجل »(٦٦) .

العاقل من خاف من عذاب الله ، وعمل للإبتعاد عن النار وعذابها ، ولا يكون ذلك إلا بأداء الأمانة ، وإبطال وسوسة الشيطان ، ومردة أعوانه . والجاهل الجاهل من ترك لنفسه الحبل على الغارب ، تذهب به يميناً وشمالاً . . لا يرعوي عن غي ، ولا يأبه لحق ، بل يمد يده لخيانة أمانته ويسمع لشياطين الإنس والجن ، الذين يدعونه للهلاك بممارسة الخيانة .

وعن أبي عبد الله (ع) قال : « يقول إبليس لعنه الله : ما أعياني في ابن آدم فلم يعييني منه واحدة من ثلاث :
١ ـ أخذ المال من غير حله .
٢ ـ أو منعه من حقه .
٣ ـ أو وضعه في غير وجهه »[٦٧] .

محمد (ص) الصادق الأمين

يقول آية الله دستغيب : « ينقل في أحوال رسول الله (ص) ان قريشاً كانت تلقبه قبل الإسلام بالأمين وتودع عنده متاعها وأموالها ، وكذلك سائر طوائف العرب الذين يغدون إلى مكة المكرمة في موسم الحج ، وهكذا كانت حالهم معه بعد الإسلام ، ولما عزم (ص) على الهجرة إلى المدينة استخلف مكانه أمير المؤمنين (ع) وأمره أن ينادي في الأبطح كل يوم صباحاً ومساء : من كانت له عند محمد (ص) أمانة فليأت أردها إليه »[٦٨] .

قدوة الأمناء

ويقول آية الله دستغيب : « حين وصل سيد الشهداء (ع) إلى الحاجز من بطن الرمة ، كتب إلى مسلم بن عقيل وشيعته في الكوفة قائلاً : أما بعد فقد ورد علي كتاب مسلم بن عقيل ، يخبرني باجتماعكم على نصرنا والطلب بحقنا ـ فسألت الله أن يحسن لنا الصنع ويثيبكم على ذلك أعظم الأجر . وقد شخصت إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة ، فإذا قدم عليكم رسولي فانكمشوا في أمركم فإني قادم في أيامي هذه . . . وبعث الرسالة مع قيس بن مسهر الصيداوي فسار إلى الكوفة ، وفي القادسية قبض الحصين بن نمير التميمي على قيس بن مسهر الصيداوي وكان ابن زياد أمره أن ينظم الخيل ما بين القادسية إلى خفان ومنها إلى القطقطانة ولما أراد أن يفتشه أخرج قيس الكتاب وخرقه .

وجيء به إلى ابن زياد فقال له : لماذا خرقت الكتاب ؟ .

قال : لئلا تطلع عليه ، فأصر ابن زياد على أن يخبره بما فيه فأبى قيس

فقال : إذن اصعد المنبر وسب الحسين وأباه وأخاه أو لأقطعنّك إرباً فصعد قيس المنبر وحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي وآله ، وأكثر من الترحم على أمير المؤمنين والحسن والحسين (ع) ولعن عبيد الله بن زياد وبني أمية ثم قال : أيها الناس أنا رسول الحسين إليكم وقد خلفته في موضع كذا فأجيبوه فأمر ابن زياد أن يرمى من أعلى القصر فرمي وتكسرت عظامه ومات .

ويقال : كان به رمق فذبحه عبد الملك بن عمير اللخمي ، فعيب عليه قال : أردت أن أريحه . ولما وصل خبر مقتله إلى الحسين (ع) سالت عيناه دموعاً وقرأ قوله تعالى : ﴿ **فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا** ﴾ .

ثم رفع يديه بالدعاء وقال : « أللهم اجعل لنا ولهم الجنة واجمع بيننا وبينهم في مستقر من رحمتك ورغائب مذخور رحمتك » .

٦ ـ أقسام الخيانة

يورد آية الله دستغيب في كتابه « الذنوب الكبيرة » تقسيمات للخيانة نذكرها ملخصة :

١ ـ الخيانة ثلاثة أقسام :

خيانة أمانة الله تعالى .

خيانة أمانة الرسول (ص) .

خيانة أمانة الناس .

معنى خيانة الله ورسوله

روي عن الإمام الباقر (ع) : « . . . فخيانة الله ورسوله معصيتهما ، وأما خيانة الأمانة فكل إنسان مأمون على ما افترض الله تعالى عليه » .

أمانة الله

قال سبحانه : ﴿ **إنّا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين**

أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولا ﴾[1] .

« لقد ذكرت وجوه عديدة لبيان ما المراد بالأمانة ؟ ومنها نعمة العقل . وبناء على ذلك يصبح معنى الآية :

إنّا عرضنا العقل والتكليف على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وذلك لعدم امتلاكها قوة الإستعداد بحسب الخلقة ، وأشفقن منها لصعوبة تحمل الأمانة وشدة عذاب الخيانة وحملها الإنسان لامتلاكه الإستعداد انه كان ظلوماً بحمله هذه الأمانة حيث رجح القوة الغضبية على العقل ، وخان الأمانة الإلٓهية باتباعه القوة الشهوية جاهلاً بشدة عقوبة الخيانة لأمانة الله .

٧ ـ الأمانة بالنسبة للعقل والتكليف

إنّ الإنسان يكون أميناً للعقل وذلك عندما يجعل العقل حاكماً في جميع الحالات ويكون أميناً بالنسبة للتكاليف الإلٓهية وذلك :

١ ـ بأن يسعى لتعلمها ومعرفتها .
٢ ـ وأن يقبلها بقلبه وروحه ويعمل على أساسها .

أمير المؤمنين (ع) القدوة في تأدية الأمانة

« ولقد ورد أن علياً (ع) كان إذا حضر وقت الصلاة يتململ ويتزلزل ويتلوّن فيقال له : ما لك يا أمير المؤمنين ؟

فيقول : جاء وقت الصلاة ، وقت أمانة عرضها الله على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها »[٧٠] .

بلغوا أحكام الدين

من المؤسف أن أكثر الناس في هذه الحقبة الزمنية يخونون الأمانة الإلهية لأن

---

[١] سورة الأحزاب : الآية ٧٢ .

همهم الأوحد الدنيا وملذاتها لذلك أصبحت تكاليف الله متروكة ، مهملة ، والمطلوب من الناس في كل عصر ومكان أن يتعلموا ويعلموا ويعملوا بالأحكام الشرعية .

خيانة الرسول (ص)

في حديث يجمع عليه المسلمون : « أن رسول الله (ص) قال : إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي »(٧١) .

وقد ذكر في المجمع ـ أن سبب التعبير عن القرآن والعترة بالثقلين هو ثقل اتباعهما وصعوبته والإنسان يكون أميناً للقرآن بالمداومة على تلاوته .

وتعلم معارفه وحقائقه .

والتأثر بمواعظه .

والعمل بتعاليمه ومبادئه وأحكامه .

خيانة القرآن الكريم

إن الرسول (ص) يكون يوم القيامة خصماً لمن يخون القرآن الكريم وقد قال تعالى : **﴿ وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً ﴾**[١] .

ذرية الرسول (ص) أمانة

أمّا بالنسة إلى عترة رسول الله (ص) فيجب الإعتقاد بأنهم الحجة والواسطة بين الإنسان وبين الله ويتبع المؤمن في جميع أقواله وأفعاله ما صدر عنهم (ع) .

ومن جملة آداء الأمانة لآل محمد (ص) ، تبجيل أسمائهم ، وذكر مناقبهم ، وفضائلهم ، والحزن لحزنهم والفرح لفرحهم ، والتبرك بزيارة قبورهم .

---

[١] سورة الفرقان : الآية ٣٠ .

الأمانة مالكية وشرعية

الأمانة على قسمين :
- أمانة مالكية .
- أمانة شرعية .

١ ـ الأمانة المالكية

هي أن يكون للشخص مال يدفعه لآخر بقصد الأمانة سواء كان هدفه هو التأمين وذلك ما يسمى الوديعة ، أو أن هدفه الإنتفاع فيضع المال أمانة بيد غيره ، كالإجارة (الإنتفاع بما استأجره) أو العارية (الإنتفاع المجاني) ، أو الرهن (جعل رهينة بيد الدائن في مقابل الدين) ، أو مال المضاربة بيد العامل التاجر ، فبالجملة فإن المال الموضوع بيد الأشخاص المذكورين هو أمانة بأيديهم من قبل صاحبه .

٢ ـ الأمانة الشرعية

وهي أن لا يكون المال مدفوعاً لآخر بعنوان الأمانة بل هو بحكم الشرع أمانة ، والأمثلة على ذلك عديدة منها :

ـ أن يقع مال شخص بيد آخر قهراً ، كما لو حملت الرياح لباس شخص ونقلته إلى منزل جاره .

ـ أو ضاع حيوان ودخل منزل شخص آخر .

ـ أو شراء بضاعة ويظهر فيها مال للبائع .

ـ أو مال مسروق فإنه لا يستطيع السارق أو الغاصب التصرف شرعاً به ، بل يبقى في يده أمانة .

خيانة أمانة الناس

إذا كان في يده مال لغيره (أمانة مالكية أو شرعية) يحرم عليه خيانتها ، والخيانة تحصل بأمور ثلاثة :

١ ـ التعدي على الأمانة : ويكـون بالتـطاول والتصرف بها بمـا لم يسمح بـه صاحبها .

٢ ـ التفريط بالأمانة : وهو أن يقصر في حفظها ، ويتسامـح فيما يلزم عـرفاً حفظها به .

٣ ـ المسامحة في رد الأمانة : إن كان المقصود من الأمانة مجرد حفظها ، ففي أي وقت طلبها صاحبهـا وجب على من بيـده الأمانـة فوراً تسليمهـا حتى لو كـان صاحب المال كافراً حربياً .

كـما ويجب إعادتهـا حينما يخـاف عليها من التلف ، وإن لم يكن ميسـوراً لـه إعادتها لصاحبها فإنه يسلمها إلى الوكيل أو الحاكم الشرعي حسب الترتيب(٧٢) .

٨ ـ أشكال الخيانة

١ ـ خيانة الأصدقاء : إذ أن من خان صديقـه ، فإنـه قام بفعـل شنيع كـما سبق وذكرنا .

٢ ـ خيـانة الأمـة والأوطان : كـإفشاء أسرار البـلاد ، والجيش الإسـلامي والإقتصـاد ، أو تسليمها لأعـداء الله . . وهل هنـاك أكبر من أن يخـون الإنسـان وطنه ، أو جيشه بإعطاء المعلومات للعدو أثناء الحروب وفي أي وقت فتقع البلاد في أيدي الأعداء ويمـزق الجيش والوطن شر ممـزق ، لا لشيء إلاّ لأنّ أحد الخـونة قـام بعملية مسـاومة . . . لقـاء منفعة دنيئـة . . وكانت النتيجـة ضياع الـوطن ، وخسران الحرية والإستقلال .

وهذه الخيانة هي من أكبر الخيـانات إذ تؤدي إلى احتـلال وتضييع البـلاد ، وتشكل عامـلاً خطيـراً يهدد بنـاء المجتمع والـوطن ، وتبث الفرقـة والشتات بـين أهله . . والخيانة في كل الحالات تبعد صاحبها عن نور الإيمان والحق .

عدو . . ولكنه غير خائن

إنّ أي فرد أو جهة أو نظام لا يدين بدين الحق ويعتنق مبادىء ونظم مخالفـة لنظام الإسلام ، إن آذى أهل الإيمان ، أو تآمر عليهم أو فعل ما يعرقل مسـيرتهم

لا نسميهم خونة للإسلام ، بل هم أعداء الإسلام الواضحون . . نعم هم خونة لقضيـة الإنسـان والإيمـان ضمن الإطـار الأشمـل ، وهـذا لا يتعلق بمـوضـوع حديثنا . . .

تكليف غير الأكفاء بالمسؤولية خيانة للمبدأ والأمة

إن المجتمع ، أو المسؤول الذي ينحي القادر ويولي العـاجز وهـو يعلم يعدّ خائناً لمجتمعه بدرجة من الدرجات وإلا ما هو وجه الحكمة في ذلك سوى الخيانـة لمصالح الناس ، والأمة والمسيرة الإسلامية على مدى الزمن .

قال رسول الله (ص) : « من استعمـل رجلاً عـلى عصابـة ، ومنهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين » .

فـالأمـة الخـائنـة والتي لا أمـانـة فيهـا ولهـا هي الأمـة التي تحكم بشريعـة الشفاعات والوساطات والمحسوبيات ، ولا تجعل وزنـاً لأقدار الـرجال الأكفـاء ، بل تهملهم وتقدم من هم دونهم .

وروى أنـه جـاء رجـل يسـأل رسـول الله (ص) : « متى تقـوم السـاعـة ؟ فقـال (ص) : إذا ضيعت الأمانـة فـانتـظر السـاعـة . فقـال وكيف إضـاعتهـا ؟ قال (ص) : إذا أسند الأمر لغير أهله » .

ومن الخيانة أن لا يحرص المرء على أداء واجبه كـاملاً في العمـل الذي ينـاط به ، وأن لا يستنفد جهده في إبلاغه تمام الإحسان وأن لا يسهر على حقوق النـاس التي وضعت بين يديه ، وأن يستغل الرجل منصبـه الذي عـيّن فيه لجـر منفعة إلى شخصه أو قرابته ، ومن يرتبط به بأي شكل من الأشكال .

قال (ص) : « من استعملناه عـلى عمل فـرزقناه رزقـاً . . . فما أخـذه بعد ذلك فهو غلول (خيانة) » . وقال (ص) : « إذا حدث رجـل رجلاً بحـديث ثم التفت فهو أمانة . . . » .

نعم إذا مات الضمير انتزعت الأمانة ، وهيهات أن تستقـر الأمانـة في قلب منكر للحق ، لذلك نجد أن الذين غلبهم الظلم والجهل ، خانوا ونافقوا وأشركوا فحق عليهم العقاب ، ولم تكتب السلامة إلاّ لأهل الإيمـان والأمانـة . . . ليعذب

الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفوراً رحيماً .

خيانة الأمة والمجتمع

إن الوقوف ضد مصلحة المجتمع الإسلامي وفي الصف المعادي للأمة الإسلامية هو خيانة . والخيانة تكون على مستويين : على مستوى فردي وعلى مستوى المؤسسات والأعمال .

قد يخون الأفراد قناعاتهم الفكرية والسياسية ، ويبوحون بأسرار تضر بمصلحة المسلمين وتنفع الأعداء . وقد يقف الإنسان موقفاً سياسياً في لحظة معينة لصالح أعداء الأمة ، وهو يعتقد بأن هذا الموقف قد يؤدي إلى تصحيح في وضع الأمة بينما هو في الحقيقة يخدم الأعداء ، والسبب في ذلك أنه لم يرجع إلى ركن وثيق ، ولم يلتزم بأوامر القيادة الشرعية لذلك يضيع ويضيّع .

ولا ينفع الإنسان تبجحه أو ادعاءه للإسلام إن لم يتبع خط ولاية النبي (ص) وأهل بيته والقادة العلماء من مراجع الأمة وفقهائها ، لا سيما فقيهها الأعظم وقائدها الملهم ، إمام الأمة الخميني (رضوان الله تعالى عليه) . . .

ـ أما على مستوى المؤسسات والأنظمة والتنظيمات التي تزعم أنها تعمل لصالح الإسلام ، وهي في حقيقة الأمر مرتبطة بالمصالح الإستعمارية ، وتدور في فلكها ، حتى وإن رفضت بعض الشعارات اللاإسلامية ، أو أظهرت أنها تعمل لمصلحة الطائفة أو الثورة . . . فإنها إن لم تلتزم خط الولاية للفقيه العادل الجامع للشرائط في زمن غيبة الإمام الحجة (عج) ، تكون في خط الإنحراف والتحريف .

الخيانة علنية وسرية

والخيانة قد تكون علنية وقد تكون سرية .

إن الخيانة العلنية هي أن يشتهر الإنسان بمخالفته لأوامر الله تعالى ، ويتخذ المواقف التي تضرّ بمصالح الأمة والمسلمين على المستوى الفردي أو العام .

أما الخيانة السرية فهي غالباً ما تكون خيانة للأمة وذات طابع سياسي أو أمني وقد تكون على المستوى الخُلُقي (الذين يختانون أنفسهم) .

خيانة النفس وخيانة الغير

إن من مصاديق خيانة النفس أن يعرف الإنسان الحق ويقف ضده ، فيكون من المغضوب عليهم ، ومن انحرف عن الحق قصداً فهو خائن لنفسه ، وقد تكون الخيانة خلقية أو أسروية أو تربوية .

- أما خيانة الغير فذات مستويات :

- خيانة الأفراد من أصدقاء وأقرباء وجيران .
- وخيانة الأمة والجماعة المسلمة .
- وخيانة الإسلام والمبدأ .

- وهناك خيانة عقائدية فكرية وتسمى النفاق (المنافق يبطن الكفر ويظهر الإسلام) .

- وهناك خيانة إجتماعية كخيانة المسكين والفقير والمستضعف والوقوف ضد مصلحة هؤلاء ، ومعاونة ناهبي ثروات الشعب على فعلتهم ، والدخول في المنظمات أو اللجان التي ظاهرها العمل للمستضعفين والفقراء وباطنها الغصب لحقوقهم وحب الظهور والشهرة . . . ويأتي هنا موضوع منع الفقير حقّه ومنع الماعون والمساعدة .

قال تعالى : ﴿ والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ﴾[١] .

وجاء في الخبر : « أيما مؤمن منع مؤمناً شيئاً مما يحتاج إليه وهو يقدر عليه من عنده أو عند غيره أقامه الله يوم القيامة مسودا وجهه مزرقة عيناه مغلولة يداه إلى عنقه فيقال : « هذا الخائن الذي خان الله ورسوله ثم يؤمر به إلى النار »(٧٣) .

وفي خبر آخر : « ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع »(٧٤) .

---

[١] سورة المعارج : الآية ٢٥ .

بناء العلاقات الإجتماعية الفاسدة خيانة

لا تروج المفاسد إلا من خلال التقاليد البالية ، فإذا ما حوفظ على الأوضاع السائدة راجت العادات السيئة وأثمرت ثماراً سيئة ومضرة وإذا أريد للمفاسد أن تقتلع من المجتمعات فيجب محاربة الإنحراف الأخلاقي .

والكل يعلم أن المفاسد الرائجة ، وثبات التقاليد والأوضاع البالية يجلب الضرر والأذى وهذا شكل من أشكال الخيانة يدخل ضمن دائرة الخيانة للمجتمع .

إن التنسك حالة سلبية إذا ما اقترنت بعدم القيام بأي عمل إيجابي يدل على نية سليمة ، وممارسة مستقيمة فأي فائدة من تنسك وتعبد لا يوجب أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر ، والصلاة التي هي عمود الدين لا تقبل إلا بشروطها . ومن شروطها دفع الأموال المستحقة للفقراء والمعوزين (من خمس ، وزكاة ،ونحوها) .

وإلا ماذا يستفيد هؤلاء الفقراء المحتاجون من هؤلاء الأغنياء الذين لا يدفعون ما عليهم من حقوق ثم يصلون ويصومون . . . وكفى ! وهل تتحقق بذلك عدالة أو يقام حق . . .

الخيانة الإقتصادية والمالية

إن الخيانة الإقتصادية تتعلق بالنظام الإقتصادي المطبق من جهة صلاحه ، وفساده ، وبحقوق الأفراد في المجتمع وتأثير التطبيقات الإقتصادية على مستوى المعيشة . . .

ومن مظاهر الخيانة المالية والإقتصادية :

المافيا ـ لعبة الدولار ـ الحشيش ـ الأفيون ـ المساعدات المشبوهة والإحتكار .

المافيا : المافيا منظمات عالمية ، لها فروع إقليمية . . . وعناصرها مؤهلة تأهيلاً عالياً على مختلف أساليب الظلم وسرقة الشعوب ، وربما كانت بشكل مؤسسات صناعية أو تجمعات حزبية أو عصابات إرهابية تعمل وبشكل دقيق متقن على نهب ثروات الفقراء والشعوب المستضعفة لتجعلها بعد تجريدها من

قدراتها خاضعة للسياسة الإستعمارية . . .

لعبة الدولار : لعبة الدولار هي لعبة خبيثة مجرمة يقوم بها كثير من أصحاب رؤوس الأموال الكبيرة بدعم من حكام البلاد الظالمين كما يحصل وحصل في لبنان وفي بلدان أخرى . واعتقادهم أن إسقاط قيمة العملة ورفع الأسعار بشكل جنوني كاف لتركيع المناهضين للأنظمة الظالمة الحاكمة ، والمتآمرة مع العدو خارج البلاد وهذه الإجراءات والأساليب الشيطانية في خانة الخيانة الإقتصادية والإجتماعية في آن معاً .

الحشيش والأفيون وكافة أنواع المخدرات : إنها مزروعات مضرة ضرراً أكيداً وكبيراً على مستوى الأخلاق والأبدان ، يقوم بزراعتها جماعات لا تقيم للأخلاق وزناً ولا للدين قيمة ، واستعمالها يروج الفساد والإنحراف ، ويقلل من الزراعات المشروعة التي هي جزء من غذاء الناس اليومي ، فإذا قلّت هذه المزروعات المشروعة ارتفعت أسعارها بسبب زيادة الطلب عليها ، وبما أن معظم أفراد المجتمع ، فقراء وغير قادرين على تأمين حاجياتهم الضرورية فإن الشرخ يكبر بين فئات الشعب (الفقراء والأغنياء) .

المساعدات المشبوهة :

ويتعمق الإرباك والقلق الإجتماعي ، وتدخل الأصابع الخبيثة إلى صلب المجتمع وتنتشر فيه المفاسد بحجة إنقاذه من آلامه وهمومه التي يرزح تحتها أو تجعله ينسى ولو شيئاً يسيراً من هذه الآلام والمتاعب ، أو تعمد إلى استعمال هؤلاء الفقراء ضمن لعبتهم الخبيثة بإعطائهم بعض الأموال والمساعدات المشبوهة بحجة إغاثتهم ، إلّا أن الهدف هو تركيع الشعب المستضعف ، وإذلاله وإبعاده عن خط الإسلام العزيز . . . وهذا كله خيانة إقتصادية ما بعدها خيانة . . .

الإحتكار : الإحتكار أسلوب تجاري لئيم يقوم به جماعات جشعة لا يقف طمعها وحبها للمال عند حد . وهذه الجماعات هي التي تتحكم برؤوس الأموال فتشتري السلع الإستهلاكية وتخزنها في مستودعاتها التي أعدّتها لهذا الغرض ، وتعرض من هذه السلع الشيء القليل ومتى فقدت السلع واحتاج الناس إليها

رفعت أسعارها ، وتحكمت بالسوق وجمعت من ذلك الأموال الطائلة ، وهذا العمل خيانة إقتصادية وإجتماعية .

الخيانة السياسية : الخيانة السياسية تتمثل في الحكم الظالم والإستعانة بالأعداء ضد الأمة الإسلامية ، وتتمثل أيضاً باتباع مناهج سياسية غير مدروسة ، واعتماد أشخاص لا خبرة لهم ولا إخلاص أو عندهم الأخلاص ولكن تنقصهم الخبرة ، أو عندهم الخبرة ولكن ينقصهم الأخلاص ، وهذا يؤدي إلى ضرر كبير ، وبالتالي يؤخر المسيرة ويعرقل سيرها . . . مع أنه من الواضح أن المسيرة الإسلامية ليست حقل تجارب بهدف إجراء دورات لبعض الأشخاص ليتدربوا على الممارسة السياسية ، والفهم السياسي على حساب مصير الأمة ومستقبلها ، وهذا يدخل ضمن دائرة الخيانة السياسية .

الخيانة العسكرية : الخيانة العسكرية من أسوأ أنواع الخيانة وأضرها بالأمة ، وتعود الخيانة العسكرية إلى ضعف الإيمان وعدم الوعي والإخلاص ، مما يؤدي إلى تغلب العدو عسكرياً نتيجة خيانة أفراد أو قوّاد . . . إذا ما أغراهم العدو بالمال أو غيره فإنهم يبيعونه الأمة ، ويعطونهم معلومات تفيده في حربه وهذا قمة الخيانة .

خيانة الأعداء : إن خيانة الأعداء ليست مذمومة بل هي مطلوبة وتدخل ضمن دائرة الأمانة . فإن المؤمن الذي يقدر على خيانة العدو ويخونه لا يعد خائناً بل يعد من أهل الأمانة وينبغي أن يكافأ من قبل القيِّمين لأن عمله يصب في خانة العمل الشريف ، المجاهد . . . لأنه كما قال (ص) : « الحرب خدعة » .

وقال أمير المؤمنين (ع) : « الوفاء لأهل الغدر غدر عند الله والغدر بأهل الغدر وفاء عند الله »(٧٥) .

وخيانة الأنظمة الفاسدة ضرورة وعمل ثوري من أجل خدمة المستضعفين ونشر الأمن والأمان في المجتمع .

الأمانة من مواصفات القيادي المسلم : الأمانة والكفاءة مواصفات القيادة الإسلامية . . .

فالقائد الإسلامي أمين وكفوء ، لأن الأمانة ضرورة من ضروريات

الأخلاق ، والعمل الإسلامي . . . فالمسلم المؤمن لا يخون لا بقول ولا بفعل . .

ويقدم الإمام زين العابدين (ع) صورة رائعة للقائد الإسلامي أو القيادي الإسلامي الرائد ، فيقول (ع) :

« إذا رأيتم الرجل قد حسن سمته وهديه وتخاضع في حركاته وتساكن في منطقه وتطامن في شخصه وشمر عن ثوبه وقصر من خطوته فرويداً لا يغرنّكم فإن كثيراً من يفعل ذلك لضؤولة شخصه وقصر همته فينصب الدين فخاً للدنيا يستجذب به حطامها .

فإن وجدتموه يزهد في مال حرام وإن كثر ويرغب في مال حلال وإن نذر فرويداً لا يغرّنكم حتى تنظروا كيف حبه للدنيا وزينتها وزخارفها وشهواتها ، لأن كثيراً من يترك ذلك كله ثم يحمل نفسه على شوهاء قبيحة فيأتي بها مجرماً فإن شهوات الخلق مختلفة .

فإن وجدتموه لا يرغب بالدنيا ولا بزينتها ولا زخارفها ولا في شهواتها فرويداً ولا يغرّنكم حتى تنظروا كيف حبه للرياسة الباطلة حتى إذا قيل له : اتقِ الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم وبئس المهاد .

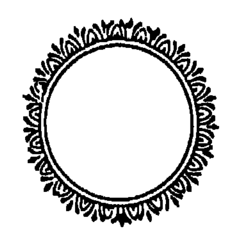
فإن وجدتموه يشنأ السمعة ولا يحب الرفعة ولا يحب الرياسة بالباطل ، فرويداً لا يغرّنكم حتى تنظروا ماذا عقد عليه عقله ، فإن كثيراً ممن ترك ذلك ثم لا يرجع إلى عقل متين ولا رأي سديد ولا حكم رشيد . فيكون ما يفسده أكثر مما يصلحه بفعله .

فإن وجدتموه يرجع إلى عقل متين ورأي سديد وحكم رشيد ، فرويداً لا يغرّنكم حتى تنظروا مع هواه يكون على عقله ، أم مع عقله يكون على هواه .

فإن وجدتموه مع هواه على عقله ، فعنه فانفروا ومن جهته فلا تقربوا وبه إلى ربكم فلا ترغبوا .

وإن وجدتموه مع عقله على هواه فذلكم الرجل ، نعم الرجل ، كل الرجل فيه تمسكوا وبسنته فاقتدوا وبه إلى ربكم فارغبوا فإنه والله لن يدخلكم في ردى ولن يخرجكم عن هدى » .

نستنتج من ذلك أن الإنسان إذا نصب الدين لكسب الدنيا فهو خائن ، وإن اتبع الشهوات المحرمة فهو خائن وإذا سعى للرياسة الباطلة وأحبها فهو خائن ، وإذا كان ما يفسده أكثر مما يصلحه بعمله فهو خائن ، وإذا كان مع هواه على عقله فهو خائن ضال مضل ، ومن كان مع عقله على هواه فذاك هو القيادي الحقيقي والدليل على الهدى ، الأمين المؤتمن . . .



مصادر ومراجع البحث

(١) راجع المنجد .

(٢) أساس البلاغة للزمخشري .

(٣) البحار ج ٧٥ ص ١٧٢ .

(٤) المصدر السابق .

(٥) غرر الحكم .

(٦) راجع أساس البلاغة .

(٧) البحار ج ١٠٣ ، ص ١٧٥ .

(٨) البحار ج ٧٥ ، ص ١٧٢ .

(٩) الإختصاص ص ٢٤٨ .

(١٠) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٥٠٦ .

(١١) الإختصار ص ٢٣٦ .

(١٢) الوسائل كتاب الوديعة ج ١٣ ص ٢١٨ .

(١٣) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٥٠٦ .

(١٤) الوسائل ج ١٣ ص ٢٢٦ .

(١٥) غرر الحكم .

(١٦) راجع المفردات للراغب .

(١٧) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٥٠٦ .

(١٨) راجع المفردات للراغب .

(١٩) غرر الحكم .

(٢٠) راجع المفردات للراغب .

(٢١) غرر الحكم .

(٢٢) راجع المفردات للراغب .
(٢٣) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٥٠٦ .
(٢٤) البحار ج ١٠٣ ، ص ١٤٣
(٢٥) غرر الحكم .
(٢٦) الوسائل ج ١٣ ص ٢٩١ .
(٢٧) البحار ج ١٠٣ ، ص ١٧٥ .
(٢٨) غرر الحكم .
(٢٩) نور الثقلين ج ٢ ص ١٤٤ .
(٣٠) نفس المصدر .
(٣١) الوسائل ج ١٣ ص ٢٢٣ .
(٣٢) المصدر السابق ص ٢٢٥ .
(٣٣) نور الثقلين ج ٢ ص ١٤٤ .
(٣٤) البحار ج ٧٨ ص ٣٦٤ .
(٣٥) البحار ج ٧٥ ص ١٧٣ .
(٣٦) الإختصاص ص ٢٤٢ .
(٣٨) البحار ج ٧٥ ، ص ١٧٤ .
(٣٨) غرر الحكم .
(٣٩) تحف العقول ص ٥٤ .
(٤٠) غرر الحكم .
(٤١) بحار الأنوار ج ٢ ص ٦٨ .
(٤٢) غرر الحكم .
(٤٣) نهج البلاغة كتاب ٢٦ .
(٤٤) بحار الأنوار ج ٧٢ ص ١٧٠ .
(٤٥) آمال الصدوق ص ٢٥٣ .
(٤٦) راجع كتاب الذنوب الكبيرة ، آية الله دستغيب .
(٤٧) راجع كتاب الذنوب الكبيرة .
(٤٨) نفسه ج ١ ص ٣٥٨ .
(٤٩) الوسائل ج ٨ ص ٦٠٨ .
(٥٠) البحار ج ٧٧ ص ٨٩ .
(٥١) خصال الصدوق .
(٥٢) بحار الأنوار ج ٧٢ ص ٤٦٥ .
(٥٣) المصدر السابق .
(٥٤) راجع معجم ألفاظ القرآن الكريم .

(٥٥) الأصول من الكافي .
(٥٦) راجع الذنوب الكبيرة ج ١ .
(٥٧) المصدر السابق .
(٥٨) الوسائل ج ١٣ ص ٢٢١ .
(٥٩) نفسه ص ٢٢٢ .
(٦٠) نفسه ص ٢٢٣ .
(٦١) نفسه .
(٦٢) راجع : الذنوب الكبيرة .
(٦٣) الوسائل ج ١٣ ص ٢٢٦ .
(٦٤) نفسه ص ٢٢٧ .
(٦٥) نفسه ص ٢١٩ .
(٦٦) نفسه ص ٢٢٠ .
(٦٧) الخصال ج ١ ص ٤٢ .
(٦٨) الذنوب الكبيرة ج ١ ص ٣٤٧ .
(٦٩) الذنوب الكبيرة ج ١ ص ٣٦٢ .
(٧٠) تفسير الصافي .
(٧١) البحار .
(٧٢) لمزيد من التوسع : راجع الذنوب الكبيرة ج ١ ص ٣٤٧ ـ ٣٥١ .
(٧٣)(٧٤) الأصول من الكافي ج ٢ ص ٣٦٧ .
(٧٥) شرح نهج البلاغة .





الحسـد

الحسد أصل الكفر

محتويات البحث



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قل أعوذ برب الفلق * من شرّ ما خلق . . ومن شر حاسد إذا حسد ﴾[1] .

﴿ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ﴾[2] .

﴿ ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردّونكم من بعد إيمانكم كفّاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبيّن لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير ﴾[3] .

* * *

قال الإمام محمد الباقر (ع) : « إن الحسد ليأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب »[4] .

وعن الصادق (ع) : « إياكم أن يحسد بعضكم بعضاً ، فإنّ الكفر أصله الحسد »[5] .

---

[1] سورة الفلق : الآية ١ ـ ٢ ـ ٥ .

[2] سورة النساء : الآية ٥٤ .

[3] سورة البقرة : الآية ١٠٩ .

[4] بحار الأنوار : ج ٧٣ ص ٢٣٧ .

[5] بحار الأنوار : ج ٧٨ ص ٢١٧ .

وقـــال رســـول الله (ص) : « دبّ إليكم داء الأمم قـبلكـم الحســـد والبغضاء والبغضة هي الحـالقة لا أقـول حالقـة الشعر ولكن حـالقة الـدين والذي نفس محمد (ص) بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنـوا حتى تحابوا ألا أنبئكم بما يثبت ذلك لكم أفشوا السلام »[1] .

وفي خبر معاذ عنه (ص) : « إنّ الحفظة تصعد بعمل العبـد تزف كـما تـزف العروس إلى أهلهـا حتى إذا انتهوا إلى السـماء الخامسـة بذلـك العمل الحسن من جهـاد وحج ولـه ضـوء كضـوء الشمس فيقـول الملك أنـا الملك صاحب الحسد إنه كان يحسد الناس على ما آتـاهم الله من فضله ويسخط ما رضي الله أمرني ربّي أن لا أدع عمله يتجاوزني إلى غيره »[2] .

* * *

الحســد

إنّ القيم كثيرة وتختلف باختـلاف المجتمعاتْ ، فـالمجتمع الإسـلامي يتبنّى القيم على أساس الفطرة والطبيعـة الإنسانيـة والمبادىء الثـابتة في الحيـاة ، ويعتقد بوجود قيم ثابتة ومطلقة : كالعدل والخيانة والكذب وغير ذلك .

فالعدل : قيمة حسنة وثابتة في كل زمان ومكان .

والخيانة : قبيحة في كل مجتمع .

والكـذب : شرّ أينما وجـد وحـلّ وفي أي مجتمـع أو بيئـة . . إلى آخـر مـا هنالك .

وانطلاقاً من وجـود القيم الثابتـة في النظرة الإسـلامية يمكننـا التحدّث عن الحسد ، لأن النظرة الإسلامية متعارضة كليـاً مع النـظرات الأخرى من رأسـمالية وشيوعية ، ففي المجتمع الأوروبي لا يلتفت إلى مسألة الحسد وبـاقي القيم السيئة ذات المساويء الخلقية ـ بل هي مرغوبة ومقبولة إجتماعياً ويدعى إليها بقوة .

فنحن لا نعجب إذا قـرأنا عن (لينـين) أنه كـان يشجّع الشيـوعيـين عـلى

الخداع ، فيقول : (يجب على المناضل الشيوعي أن يتمرس بشتى ضروب الخداع والغش والتضليل ، فالكفاح من أجل الشيوعية يبارك كل وسيلة تحقق الشيوعية ويجب أن يكون مفهوماً أن الشيوعية غاية نبيلة ، وأن تحقيق الغاية النبيلة يتطلّب في كثير من الأحيان استخدام وسائل غير نبيلة ، ولهذا فإنّ الشيوعية تبارك شتّى الوسائل المناهضة للأخلاق ما دامت هذه الوسائل تساعد على تحقيق أهداف الشيوعية)[٣] . كل ذلك باعتبار أنّ الصدق والأمانة وعدم الخداع وغير ذلك أخلاق برجوازية ، وهكذا تصبح هذه المساوىء في المجتمع الشيوعي محاسن ، وحديثنا عن الحسد من منظور حسّي ، فطري ، ضمن إطار الفهم الإسلامي للنفس الإنسانية ، وضمن إطار المبادىء الناظمة لأمور المجتمع الإسلامي ، ولا بدّ في هذا المقام من التفريق بين عدّة مفردات : بين الحسد والغبطة والغيرة والنصيحة .

ماهية الحسد ، ومن هو الحاسد ؟

يعرّف الحسد بأنه تمنّي زوال النعمة عن الغير ، والحاسد هو الذي لا يحب أن يرى نعمة عليه أبداً إلاّ بزوالها عمّن يحسد ، ولا يفرح إلاّ بالشرّ ، ولا يغتم إلاّ بالسرور وكثيراً ما يظهر الحاسد الودّ في أقواله ، ويخفي بغضه في أفعاله ، فهو صديق إسماً وعدوّ فعلاً .

ماهية الغبطة ، ومن هو المغبوط ؟

الغبطة أو المنافسة هي التمنّي للنفس من النعمة التي فيها صلاح الإنسان مثل ما للغير ، والمغبوط هو من حسن يقينه وسلم دينه . وأولاهم بأن يغبط هو من ترك الدنيا مخفاً ، واستقرّ تحت التراب ، فأمن العقاب ورجا من ربّه الثواب .

عن جابر بن عبد الله قال : « دخلت على أمير المؤمنين (ع) يوماً فقلت له . . . ما تقول في دار الدنيا ؟ قال : ما نقول في دار أولها غمّ وآخرها الموت قال : فما أغبط الناس ؟ قال جسد تحت التراب ، أمن من العقاب ، ويرجو الثواب »[٤] .

قال علي (ع) : « أغبط الناس المسارع إلى الخيرات »[٥] .

ماذا نعني بالنصيحة ؟

النصيحة هي أن تريد لغيرك ما تريد لنفسك ، وتكره له ما تكره لها . والدين هو النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين ولعامة المسلمين ، وأئمتهم . كما جاء في الخبر .

عن تميم الداري أنّ النبي (ص) قال : « الدّين النصيحة ولكن لمن ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمه المسلمين وعامتهم »[٦] .

وقال رسول الله (ص) : « من يضمن لي خمساً أضمن له الجنة ، النصيحة لله عزّ وجلّ ، والنصيحة لرسوله ، والنصيحة لجماعة المسلمين »[٧] .

وقد توفرنا على الحديث عن النصيحة ، بشكل واسع ، في موضع آخر من هذا الكتاب فراجع .

وعلى هذا فالحاسد هو من يرغب لغيره ، ما يكره لنفسه ويكره له ما يرغب لنفسه .

أمّا المؤمن فبخلاف الحاسد يحبّ لغيره ما يحبّ لنفسه .

وقد قال الصادق (ع) : « إنّ المؤمن يغبط ولا يحسد والمنافق يحسد ولا يغبط » .

وعن المجلسي رضوان الله عليه : « الحسد أن يرى الرجل لأخيه نعمة فيتمنى زوالها عنه وتكون له دونه والغبطة أن يكون له مثلها ولا يتمنى زوالها عنه ، واعلم أنه لا حسد إلاّ على نعمة فإذا أنعم الله على أخيك بنعمة فلك فيها حالتان : إحداهما أن تكره تلك النعمة وتحبّ زوالها سواء أردت وصولها إليك أم لا ؟ فهذه الحالة تسمى حسداً ، والثانية أن تحبّ زوالها ولا تكره وجودها ودوامها ولكنك تشتهي لنفسك مثلها وهذه تسمّى غبطة وقد يخص باسم المناقشة . . »[٨] .

علامات الحاسد ؟

من علامات الحاسد : ١ ـ الغيبة ، ٢ ـ التملّق ، ٣ ـ الشماتة بالمصائب .

عن رسـول الله (ص) : « أنه قـال : أمّا عـلامة الحـاسد فـأربعة : الغيبـة والتملّق والشماتة بالمصيبة » .

وقال الصادق (ع) : « قال لقمان لابنه : للحاسد ثلاث علامات : يغتـاب إذا غاب ويتملّق إذا شهد ويشمت بالمصيبة » .

الحـاسد مغتـاب لأنه يكـره الناس ، ويحبّ فقط نفسـه ، وقد لا يجـرؤ على انتقادهم وسبّهم وجهاً لوجه ، فيعمد إلى غيبتهم ، وأكل لحومهم ، وهو متملّق ، لأنه يتصّف بالجبن ، والخوف على مصالحه ، لذلك يمـدح من يكره ، إذا حضر ، ويشتمه إذا غاب ، ويزيد في مدحه وثنائه إلى الحدّ غير المعقـول ، خداعـاً ، ومن العجب العجاب هذه الحالة التناقضية التي يعيشها الحاسد بين الكذب على نفسـه ومديح من يكره ، وبين شتمهم في غيـابهم . وأكثر مـا يسرّه ، أن تنزل المصـائب بمن يتملّق لهم ، ويغتابهم ، فيشمت ، ويحس بالسعادة التي تغمره لأنه رأى نعمة تزول عن غيره ، وتأكّد من ذلك .

أسباب الحسد

١ ـ خيانة النفس وبخلها : إنّ النفس الخبيثة المتعلقة بالدنيا والمحـرمات ، والتي لم تتطهّر بـالطاعـات ، والبعد عن المعـاصي والتي أحضرت الشح ، عندها كامل القابلية لحسد العباد على نعم الله عليهم .

٢ ـ العداوة والبغضاء : فالحاسد يفرح إذا أصـابت عدوّه بليـة ، امّا لـظنّه أنها مكافأة من الله لأجله أو لحبّه إضعاف عدوّه ، وهلاكه .

٣ ـ حبّ الرئاسة وطلب الجاه والمال :

فالحاسد يحبُّ أن يتفرّد في الثناء والمديح ، إذ يستفزّه الفـرح بما يمـدح به من أنـه وحيد الـدهر ، وفـريد العصر في عمله الإبـداعي (شجاعـة ـ علم ـ عبادة ـ صناعة ، وجمال) .

ويسوء الحاسد كثيراً أن يسمع بأقصى العالم بنظيره ، ويرتاح كثيراً لموته ، أو زوال النعمـة التي يشاركـه فيها ، ومـا ذلك إلاّ ليكـون متفرداً في فنّـه ، ومجـال علمه أو عمله .

٤ ـ الخوف من فوات المطالب :

وهذا الأمر يختص بمتزاحمين على مقصود واحد ، وكل منهما يحسد صاحبه على وصوله إلى المطلب المتزاحم عليه ، كتزاحم الأخوة على قلب الأب ، والتلامذة على أستاذ واحد لنيل المنزلة في قلبه ، والوعّاظ والفقهاء و(المعمّمون) من عبدة الدنيا يتزاحمون على أهل بلد واحد ، لنيل القبول والمال عندهم . . .

٥ ـ التعزز

الحاسد يريد أن يكون وحده عزيزاً ، وهو يستصغر كل نعمة تعطى لغيره ، ويستكبر على المنعم عليه حقداً له وبغضاً ، لأنه لا يطيق ذلك لعزّة نفسه فيحسده لو أصاب تلك النعمة .

٦ ـ التكبّر

إنّ في طبع الحاسد التكبّر ، والترفع على الآخرين ، وما ذلك إلّا لخوفه وخشيته من الغيران يتفوّق عليه فيصبح الحاسد خادماً بعد أن كان مخدوماً ، وهذه نفس خبيثة حاقدة ولئيمة .

ومن أمثلة التاريخ على ما نقول : حسد الكفّار لرسول الله (ص) قالوا : كيف يتقدّم علينا غلام فقير ويتيم . . .

﴿ **وقالوا لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم** ﴾[١] .

وما هذا القول إلّا كذب ونفاق منهم وتبرير لعدم القبول بما جاء به الرسول (ص) .

٧ ـ التعجب (العجب)

إنّ المحسود في نظر الحاسد الحاقد ، حقير ، وإنّ النعمة في نظر الحاسد الجشع عظيمة ، لذلك يعجب من فوز المحسود بنيل هذه النعمة ولسان حال

---

[١] سورة الزخرف : الآية ٣١ .

الحاسد يقول ، كما في المثل الشعبي : « أنّ الله يرزق الجوز لمن ليس له أضراس » .

فالكل يعلم أن لا تحاسد بين علماء الآخرة لابتهاجهم بكثرة المشاريكن لهم في معرفة الله تعالى ، بينما التحاسد يكمن بين علماء الدنيا الذين يقصدون بعلمهم طلب المال والجاه[11] .

إنّ الخوف من فوت المقاصد ، وحبّ الرياسة (من أعظم الأسباب فساداً لتعلقهما غالباً بعلماء السوء ، ونظرائهم . .) وقد كان علماء اليهود يعلمون صدق رسالة رسول الله ، وينكرونها ، وقد يجتمع بعض هذه الأسباب ، أو أكثرها أو جميعها في شخص واحد ، فيعظم فيه داء الحسد ، ويتمكّن في قلبه ، ويقوى قوة لا يقدر معها على الإخفاء والمجاملة ، بل ينتهك أستار المجاملة ، ويظهر العداوة بالمكاشفة ، ولا يكاد يزول إلاّ بالموت ، وقلّ أن يتفق بالحاسد سبب واحد من هذه الأسباب بل أكثر .

وأصل العداوة والحسد التزاحم على غرض واحد، والغرض الواحد لا يجتمع فيه متباعدان ، بل متناسبان . . . ومنشأ جميع ذلك حبّ الدنيا ، فإنّ الدنيا هي التي تضيق على المتزاحمين . أما الآخرة فلا ضيق فيها ، وإنّما مثلها مثل العلم ، فإنّ من عرف الله تعالى وملائكته وأنبياءه وملكوت أرضه وسمائه ، لم يحسد غيره ، لأنّ المعرفة لا تضيق على العارفين ، بل المعروف الواحد يعرفه ألف ألف عالم ، ويفرح بمعرفته ، ويلتذّ به ، ولا ينقص لذة واحدة بسبب غيره ، بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الإنس ، وثمرة الإفادة والإستفادة ، فلذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة ، لأنّ مقصدهم بحر واسع ، لا ضيق فيه ، وغرضهم المنزلة عند الله ، ولا ضيق أيضاً فيه ، بل يزيد الإنس بكثرتهم .

نعم إذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا ، لأنّ المال أعيان وأجسام ، إذا وقعت في يد واحد خلت عنه يد الآخر ، وكذلك الجاه ، إذ معناه ملك القلوب ، ومهما امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم ، انصرف عن تعظيم الآخر ، أو نقص منه لا محالة ، فيكون ذلك سبباً للمحاسدة .

أمّا العلم فلا نهاية له ، ولا يتصوّر استيعابه فمن بذل جهده في تحصيله ،

وأشغل نفسه في الفكر في جلالة الله وعظمته ، صار ذلك ألذ عنده من كل نعيم ، ولم يكن ممنوعاً عنده ، ولا مزاحماً فيه ، فلا يكون في قلبه حسد لأحد من الخلق . . . » .

وقد قال (ص) : « ستة يدخلون النار قبل الحساب بستة : الأمراء بالجور ، والعرب بالعصبية ، والدهاقين بالكبر ، والتجّار بالخيانة ، وأهل الرستاق بالجهل ، والعلماء بالحسد »[١٢] .

الدهقان : رئيس الإقليم .

الرستاق : القرى الصغيرة وما يحيط بها من الأراضي . (فارسية) .

أسباب الحسد الإقتصادية والمالية

من أسباب الحسد : الجانب المالي والإقتصادي ، إذ أنّ الحسود لا يألو جهداً في عمل أيّ شيء ، لتحصيل النعمة المادية وتأمين وسائل الكسب ولو على حساب إزالة النعمة أو تمني ذلك ، عن الغير ، وينسى هذا الحسود أنّ الرزق مقسوم له ولغيره من الله تبارك وتعالى ولن يحصل على أكثر ممّا له ، وإن حصل له ذلك بوسائل غير مشروعة فإنّه سيخسره إن عاجلاً أو آجلاً ، بأن تنزل به مصيبة أو يصاب بمرض أو حادث أو سرقة أو غير ذلك فاعتبر واتعظّ .

قال الصادق (ع) : « وعلمت أنّ رزقي لا يأكله غيري فاطمأننت » .

فعندما يعلم الإنسان أنّ رزقه مقسوم له ويقتنع بذلك ، يتخلّى عن حسده وإضراره بالناس .

وقد أكدنا سابقاً أن الحسد يكون حالة مرضية ، تقويّها وتنمّيها التربية الفاسدة ، فالحاسد يصبح شريراً ومؤذياً وخائناً وربما أصبح نمّاماً وكاذباً ، وعلاجه يكون بالتربية والتوجيه في الوقت المناسب ، وإنزال العقوبة به ، من قبل الحاكم الشرعي عندما يسيء إلى الناس ، أو يؤذيهم .

وفي كل الحالات لا بدّ من دراسة الأسباب الموضوعية الذاتية ، لوضع دواء ناجع لشفاء الحاسد من حسده ، أو لتخفيف أثره على الأقل .

وإنطلاقاً من تصوّرات كل من الحاسد والمؤمن لمحيطه ، وبيئته ، يمكن وضع حدّ فاصل بين الإثنين ، فتمنيات الحسود تتحوّل إلى أعمال تؤذي الأفراد والمجتمعات ، بينما تمنّيات المؤمن تجلب الخير والسعادة للآخرين . والحسود قد يبيع نفسه بحفنة من الدراهم أو (الدولارات) ، ويخون بلاده ، لصالح الأعداء ليكيد محسوديه ، ويمكن للدولة الإسلامية أن تعاقب الحاسد إن أساء التصرّف ولكنها لا تستطيع المعاقبة على النوايا ، ويبقى التوجيه والتربية خير وسيلة .

آثار الحسد على مستوى شخصية الحاسد وعلاقته بالآخرين

إنّ تصرفات الحاسد تبدو بشكل عشوائي غير مدروس ، فهو يغضب في حين أنه ينبغي عليه أن يسرّ ، ويحزن في وقت ينبغي عليه أن يفرح ، وربما يصادق في وقت عليه أن يعادي ، وذلك لأنّه مضطرب دائماً ، ويعاني من آزمة ، هي أزمته المستمرة مع كل الآخرين . لأن لكل الآخرين نعماً أنعم الله عليهم بها . . . وهو شخص إنفعالي ، متوتّر الأعصاب ، مرتبك ، قلق بعمق ، يعاني من الأرق في أكثر لياليه وعلاقته الأسروية غير مستقرة ، وكذلك علاقاته مع جيرانه ، وأقرانه سيئة . كما أنّ صداقاته قليلة ، وكل هذا ينعكس على وضعه الإجتماعي ، فهو يكره الناس ، ويعيش حياة إنعزالية عنهم ، وينعكس ذلك أيضاً على صحته الجسدية ، كما ينعكس على صحته النفسية ، وخصوصاً أن هناك علاقة واضحة وأكيدة بين النفس والجسد . وكيف لا يكون ذلك ؟ فالحاسد لا يشفيه إلّا زوال النعمة عن الغير ، وهو قرين الشرّ ، يفرح به دائماً وعدوّ السعادة والهناء يظل دائماً مقطباً مغتماً عند رؤيته للآخرين في وضع لا يرضاه لهم .

وهو ظالم لنفسه دائماً ، لأنّه ، بالأقوال ، والأفعال ، والتصرفات مضرّ بنفسه قبل أن يضرّ بغيره .

فهو من جند إبليس الذي طرده الله من رحمته بسبب حسده فهو في قلق نفس دائم وقلب هائم ، وحزن لازم . . . فالحاسد في ضيق دائم في الدنيا والآخرة .

قال رسول الله (ص) : « ألا : لا تعادوا نعم الله ، قيل : يا رسول الله :

ومن الذي يعادي نعم الله ؟ قال : الذين يحسدون »[١٣] .

قال الصادق (ع) : « بينما موسى بن عمران (ع) يناجي ربّه ويكلمه ، إذ رأى رجلاً تحت ظل عرش الله فقال : يا ربّ من هذا الذي قد أظلّه عرشك ؟ فقال : يا موسى هذا ممّن لم يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله »[١٤] .

الحسد والإيمان لا يلتقيان

إنّ الحسد والإيمان ضدان ، متنافران ، وإن وجد أحدهما ، غاب الآخر وانحسر ، ولا يمكن أن يكون بينهما أي توافق على الإطلاق ، إذا لا إيمان مع الحسد .

عن الإمام الباقر (ع) أنه قال : « إنّ الحسد ليأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب »[١٥] .

قال رسول الله (ص) « إياكم والحسد فإنّ الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب »[١٦] .

والحسد . . . . أليس كفراً ؟

إنّ الحسد بغي ، والبغي يعدل الشرك ، والشرك كفر ، وكلها من أصل واحد .

قال الإمام الصادق (ع) : « يقول إبليس لجنوده : ألقوا بينهم الحسد والبغي فإنّهما يعدلان الشرك »[١٧] .

وعنده أيضاً : « إياكم أن يحسد بعضكم بعضاً فإنّ الكفر أصله الحسد » .

آثار الحسد السلبية على المجتمع

على مستوى الحياة الإجتماعية :

فحالة الحاسد تنعكس سلباً على المجتمع ، وعلى علاقته معه ، لذلك تراه لا يتجاوب مع عمل فيه خدمة عامة ، خوفاً من أن تتضرر مصلحته ، أو أن

يحصل غيره على ما يمكن أن يحصل عليه هو ، في وقت آخر تراه يندفع إلى الخدمة العامة ، في حال أدرك أن الخير من هذه الخدمة ، سيناله وحده، وينسحب بمجرد شعوره بأنّ ذلك لن بتحقق .

على مستوى الحياة السياسية :

وفي عالم السياسة : فإنّ شرّ الحسد كبير ، إذ أن للحسد آثاراً سياسية كبرى ، وشرّ الحسد هو ما يكون على مستوى القيادات العليا ، لأنّ ذلك يعني هلاك الناس ، وينتج عنه الصراع على السلطة ، والمناصب على حساب المصلحة العامه . . . وكم من حاسد من هذه القيادات المنحرفة تحوّل إلى خائن عميل للعدو ، ليحصّل مركزاً ، أو مالاً ، حسداً لآخر من ذوي النفوذ

على المستوى الفكري :

أمّا بالنسبة للوضع الفكري عند الحاسد فإنّه لمشوّش ومرتبك وغير منوازن ، وغير منطقي ، وهو لا يستطيع أن يتطوّر أو أن ينمو معرفياً .

إنّ الحسد ينعكس سلبياً على حياة الحاسد الشخصية والعملية ، فليس لديه الوقت لينظم عمله ، واضطرابه النفسي الدائم لا يسمح له بالنجاح في أي عمل ، إذ أن عمله دون تخطيط ، ودون دراسة وهو دائماً في مباراة حاقدة مع المحسود ليسبقه .

وهذا الإنعكاس السلبي يصل إلى نفسية الحاسد وتفكيره ، فأفكاره لا تأخذ خطاً منظماً ، بل تختلط ببعضها البعض ، ويبتعد عن الناس ، وهذا يجعل الآخرين يبادلونه نفس الموقف ، فيبتعدون عنه لأنه يشكل خطراً عليهم لأنّ الناس يخافون من الحسود ، فهو يعيش ضمن أفكار خاصة به باعتباره يعيش عزلة تكاد تخنقه ، ويعاني من عذاب نفسي ، وإجتماعي مستمر . . .

والحسد هو الصورة المخيفة لشعور الإنسان الأناني ، والإتكالي الذي يولّد عنده الدوافع الشريرة . والحسود يشارك في نشر عيب خطير . . . فهو يطمع ويسعى لبناء مجده على أساس هدم أمجاد الآخرين ، وتخريب المجتمع .

ثم أن تمني الحاسد زوال النعمة عن غيره تعود أسبابه إلى أمر أساسي ، وهو عدم إيمان هذا الإنسان لأنّ المؤمن يعتبر النعمة من الله إن أصابته أو أصابت غيره فهو يتمنى الخير للغير كما لنفسه ، ولا يمكن أن يوجد الحسد في مؤمن ، فإذا وجد تنفى عنه صفة الإيمان .

أمّا آثاره فتتلخص في إضمار الشرّ للمحسود ، وما يخطط له من إساءة لمحاولة إزالة هذه النعمة التي أنعمها الله عليه ، فيؤدي ذلك إلى ضرر المحسود إذا تمكّن الحاسد من ذلك ، أمّا إذا عجز عن إنزال الشرّ به فتكون النتيجة عكسية . ولأنّ الحقد يكمن في نفسه فيحوّله إلى حاقد يضمر الشرّ والإساءة لكل الناس فقد قال سبحانه وتعالى في سورة الفلق ﴿ **من شرّ حاسد إذا حسد** ﴾ .

وذلك لعظم شرّه وأثره السيء على الناس والمجتمع .

ومن آثار الحسد أيضاً ارتكاب المفاسد الأخرى كالسرقة والكذب وغير ذلك .

وإذا ما استولى الحسد على الإنسان أوصله إلى حالة من الإنحراف ، عن المسار الصحيح ، وجادة الصواب لا يحسد عليه .

للحاسد عقوبتان

العقوبة الأولى دنيوية ، والأخرى أخروية .

حزن وألم دائمان ، لرؤية النعم على غيره . ونعم الله لا تنقطع ، ﴿ **وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها** ﴾ ، وضرر الحسد يعود على الحاسد ، أكثر ممّا يعود على المحسود .

وقد قال علي (ع) : « لا راحة مع حسد »[19] .

وبزيادة النعم على المحسود ، يزداد حسد الحاسد ويشتد حقده ، وشنآنه ، فيتحمّل بهذا الحقد أوزار المحسود ، فيظلم نفسه قبل أن يظلم غيره .

والحاسد هو دائماً في مقام المعاندة والمضادة لله سبحانه ، الذي أفاض النعم على الناس ، بمقتضى حكمته وهو يريد بقاءها على العبد ، والحاسد يريد زوالها ،

وهذه الإرادة ، وهذه الممارسة هي سخط على قضاء الله واتّهام للمولى بالنقص .

والله سبحانه وتعالى حكيم ، وكامل وكل ما ينتج عنه متّصف بالحكمة والكمال .

والحاسد مريد للشرّ ، يطلبه ، ويرغب أن ينزل بغيره ، والحاسد شرّ الناس والحسد من أشدّ الرذائل .

قال تعالى : **﴿ أم يحسدون الناس على ما آتاهم من فضله ﴾**[١] .

وقال تعالى : **﴿ ودّ كثير من أهل الكتاب أن يردوكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم ﴾**[٢] .

وقال عزّ وجلّ لموسى بن عمران : « يا بن عمران ، لا تحسدنّ الناس على ما آتيتهم من فضلي ولا تمدنّ عينيك إلى ذلك ولا تتبعه نفسك فإنّ الحاسد ساخط لنعمي صادّ لقسمي الذي قسمت بين عبادي ومن يك كذلك فلست منه وليس مني » .

لله درّ الحسد ما أعدله

قال الصادق (ع) : الحاسد يضرّ بنفسه قبل أن يضرّ بالمحسود ، كإبليس أورث بحسده لنفسه اللعنة ولآدم عليه السلام الإجتباء والهدى والرفع إلى محل حقائق العهد والإصطفاء .

فكن محسوداً ولا تكن حاسداً ، فإنّ ميزان الحاسد خفيف دائماً يقابل ثقل ميزان المحسود . والرزق مقسوم ، فماذا ينفع الحسد الحاسد ، وماذا يضرّ المحسود الحسد ، والحسد أصله من عمى القلب والجحود بفضل الله تعالى ، وهما جناحان للكفر ، وبالحسد وقع ابن آدم في حسرة الأبد وهلك مهلكاً لا ينجو منه أبداً ، ولا توبة للحاسد لأنّه مستمر عليه معتقد به مطبوع فيه ، يبدو بلا معارض مضرّ له ، ولا سبب والطبع لا يتغيّر من الأصل وإن عولج »[٢٠] .

---

[١] سورة النساء : الاية ٥٣ .

[٢] سورة البقرة : الابة ١٠٩ .

الحسد والصحة الجسدية

قال الإمام علي (ع) :

١ ـ « الحسد يضني الجسد » .

٢ ـ « الحسد يذيب الجسد » .

٣ ـ « الحسد ينشيء الكمد » .

٤ ـ « الحسد لا يجلب إلّا مضرّة وغيظاً يوهن قلبك ويمرض جسمك » .

٥ ـ « صحة الجسد من قلة الحسد » .

٦ ـ « العجب لغفلة الحسّاد عن سلامة الأجساد » .

٧ ـ « الحسود دائم السقم وإن كان صحيح الجسم » .

٨ ـ « الحسود أبداً عليل » .

الحسد والقدرة على فعل الخير

قال الصادق (ع) : « قال رسول الله (ص) : كاد الفقر أن يكون كفراً وكاد الحسد أن يغلب القدر »[٢١] .

الفقر (ضدّ الغنى) وهو ، يقرّب من الكفر باعتبار أنه يفضي إلى ترك الرضا بقضاء الله والقدر هنا يعني الطاقة ، والمراد أن الحاسد كاد أن يخرج نفسه عن القدرة والطاقة لفعل الخير فلا يستطيعه .

الحسد سبب للهبوط من المنازل الرفيعة

عن داوود الرقي قال : سمعت أبا عبد الله (ع) يقول : إتقوا الله ولا يحسد بعضكم بعضاً إن عيسى بن مريم (ع) كان من شرائعه السيّح في البلاد (الذهاب في الأرض للعبادة) فخرج في بعض سيحه ، ومعه رجل من أصحابه قصير ، وكان كثير اللزوم لعيسى (ع) فلما انتهى عيسى إلى البحر : قال : بسم الله ، بصحة يقين منه فمشى على ظهر الماء ، قال الرجل القصير حين نظر إلى عيسى (ع) جازه : بسم الله وبصحة يقين منه فمشى على الماء ، ولحق بعيسى (ع) فدخله العجب بنفسه فقال : هو عيسى روح الله يمشي على الماء ، وأنا أمشي على الماء فما

فضله عليّ قال : فرمس (غمس) في الماء فاستغاث بعيسى (ع) فتناوله من الماء فأخرجه ثم قال له : ما قلت يا قصير ؟ .

قال : قلت روح الله يمشي على الماء ، وأنا أمشي على الماء ، فدخلني من ذلك عجب ، فقال له عيسى (ع) لقد وضعت نفسك في غير الموضع الذي وضعك الله فيه فمقتك الله على ما قلت ، فتب إلى الله عزّ وجل مّما قلت قال : فتاب الرجل وعاد إلى مرتبته التي وضعه الله فيها . فاتّقوا الله ولا يحسدنّ بعضكم بعضاً »[٢٢] .

العقوبة الثانية : هي العقوبة الأخروية ، وذلك بإدخال الحسود نار جهنم ، وكفى بها عقوبة . . .

أثر الحسد على مستوى شخصية الفرد والجماعة

أين يتفشى مرض الحسد ؟

إنّ الحسد يتفشى في المجتمع المفكك ، الذي لا يرعى للمبادىء الرسالية حرمة ، ولا يلتزم بروح الإيمان الصحيح ، ومهما كان هذا المجتمع محصناً ضد الأمراض السارية ، فإنه يفقد المناعة ضد أمراض الأخلاق من حسد ، ونميمة وغيبة وغير ذلك ، والمجتمعات التي تخرج على قواعد الإيمان فإنّها تفقد القدرة على معالجة أمراض النفوس والأخلاق . ومن الواضح أن الحسد مستشر في المجتمعات التي تدّعي التحضرّ ، وتبرز هذه الظاهرة على المستوى السياسي والممارسات السياسية ؟ .

فإنّ البعض يدعون التقدمية ، ويحاربون الإيمان والإسلام بغياً وحسداً ، فالحسد يجعلهم إنتهازيين . . وصوليين ، يريدون كل المنافع لهم ، وتحصيل المنصب والجاه وكذلك فإنّ الكثير من الأحزاب والتنظيمات السياسية تعيش ، باستمرار ، حالة من الحسد السياسي بسبب غيرتها من النجاحات التي يحققها الإسلام على المستوى السياسي ، وعالمياً ، وإقليمياً ومحلياً ، وهذا الحسد هو عامل تفكيكي ، ومدمّر لمصالح الناس ، وحياتهم الإجتماعية . والحاسدون السياسيون ، يستخدمون كل الوسائل ، والإمكانيات للوصول إلى السلطة أو

التسلط ، ولا مانع عندهم من إراقة الدماء ، وقتل الأبرياء ، وإثارة الفتن ، دون الإلتزام بأية مناقبية ، بل يساهمون مساهمة فعّالة في نشر المفاسد الإجتماعية لتحقيق أهدافهم الذاتية والأنانية ، وذلك على كل المستويات بدءاً من العمل الفردي أو حتى على صعيد الشارع أو الحي حتى يصل إلى درجة التضحية بمصير الأمة من أجل هذه الأهداف الزعاماتية ، أو التسلطية وهذا كله يؤدي إلى التخلّف والصراع في المجتمع نتيجة الحسد السياسي .

أضف إلى ذلك ، أنّ روح الحسد . تستغل كل الأساليب والإمكانات لتدمير قدرة الآخرين .

التربية والحسد

أنّ للتربية أكبر الأثر في تأصيل الحسد ، أو التخلّص منه ، لأن الإنسان يولد على الفطرة ، فإذا استخدمت الوسائل التربوية المدروسة والإنطلاق من مفاهيم الإسلام ، والفهم المعنوي القائم على الإيمان بالآخرين ، فربما يؤدي ذلك إلى أفضل النتائج في معالجة هذا المرض .

إنّ حبّ النعمة للذات متأصل في أعماق النفس البشرية ولا يمكن التخلّص منه إلّا بالتربية الإسلامية القادرة على خلق حالة توازنية ، تنسق بين حبّ الذات ، وحبّ الخير للغير .

وإنّ العيش ضمن بيئة إسلامية متطورة ، وملتزمة بالتعاليم الإسلامية ، يبعد عن الإنسان صفة الحسد بشكل تدريجي ، وكلّما تعمّق الإيمان في النفوس ، كلما أدّى ذلك إلى الإنتقال من حالة الأنانية إلى حالة الغيرية ، مصداقاً للحديث القائل : « لا يؤمن أحدكم حتى يحبّ لغيره ما يحبّ لنفسه » .

ومن العجب أن الحسود ، من أجل الإضرار بغيره ، يضرّ بنفسه .

وإنّ أخفّ أنواع الحسد ما كان على المستوى القائم على أساس التمنيات بالإضرار بالآخرين ، ولكن لا يقوم بأي فعل تحقيقي لهذه النوايا .

وإذا كان الحسد يبتني على أساس قابلية وراثية (إن صحّ ذلك) فإنّ علاجه أكثر صعوبة ، ومثله في ذلك مثل الأمراض الوراثية الجسدية ، الصعبة الشفاء ،

والمداواة ، وفي كل الحالات فإنّ التركيز على التربية الإيمانية قادر على تحويل القابليات الشريرة إلى قابليات خيرة .

الطفولة والحسد

أنّ الطفولة عند الإنسان ، تمرّ بعدّة مراحل ، والطفل في بعض مراحل نموّه يرغب في معرفة كل شيء ويعمل لإثبات ذاته وفي حال لم يدرك الأهل نفسية الطفل ، فإنّهم يعاملونه معاملة ، قد تقتل شخصيته ، وتخلق عنده ـ حالات إحباط ، وربما حرم من بعض ما ينبغي أن يوفّر له مادياً أو معنوياً ، فتكون ردّة الفعل حسداً وأنانية وكراهية للآخرين . والطفل ـ في مرحلة تفتح الوعي والتمييز عنده ـ يصطدم ببعض العقبات الإجتماعية التي تمنعه من تحصيل رغبات وحاجات معينة ، وإنّ شفاء الحسد الذي يبدأ مع الطفولة يحتاج إلى معالجة مستمرة لأنّه أكثر عمقاً وتملكاً في نفس الإنسان ، أمّا الحسد الذي يبدأ مع مرحلة التمييز فإنّ احتمال شفائه يكون أكثر سهولة وذلك ، إذا عاش المرء في مجتمع مؤمن ملتزم ومنفتح ، وفي المرحلتين المذكورتين تكون آثار الحسد سلبية على المجتمع وخصوصاً إذا وصل الحسود إلى ارتكاب الجرائم على المستوى الفردي والإجتماعي .

وماذا عن المجتمعات الرأسمالية والمجتمعات الإشتراكية ؟

إنّ المجتمعات الرأسمالية تنمّي الجشع والطمع وبالتالي يؤدي هذا العمل إلى خلق الحسد في النفوس .

أمّا النظم الإشتراكية فتكبت المواهب والطاقات ، والمبادرات الخاصة ، وهذا الكبت ليس في صالح الفرد ولا في صالح المجتمع ولعل هذا كان من جملة أسباب إنهيار المعسكر الإشتراكي ، والمجتمع المؤمن الإسلامي يختلف عن الرأسمالي والإشتراكي ، حيث تطلق المواهب ، وتؤمّن التربية الصالحة ، فيمكن بنشر المفاهيم الإسلامية الحدّ من الحسد ومضاره .

ونضرب لهم الأمثال :

١ ـ إلى أن يأتي الترياق من العراق . . . !

يقال أن أحد ملوك الفرس أصدر أمراً مفاده أنّ كل من يملك جملاً ينبغي أن يسخّر لحساب المملكة ، فسمع إبن آوى بالخبر ، فهرب إلى خارج المدينة ، وعلى مشارفها التقى بجماعة من رفاقه فسألوه : إلى أين أنت هارب يا ابن آوى ؟ قال : أما سمعتم بأمر الملك . . . لقد سمعنا ولكن أية علاقة بينك وبين الجمل قال : أيها الرفاق لو أن الحاسدين أمسكوني ، وأخذوني إلى الملك وقالوا : هذا جمل . . . من يخلّصني ، إذا أدخلت السجن . . . وإلى أن تبحث الأوراق ، ويأتي الترياق من العراق . . يكون لديغ الحية قد فارق . .

٢ ـ عشرة فقراء وملكان

ـ ويروى أنّ رجلاً كان عنده خمسة أولاد ، أربعة منهم على غاية فائقة من الجمال وواحد غاية في البشاعة ، لكن ذلك البشع كان أكثرهم قوّة ، وأشدّهم ذكاء ، وائتمر الأخوة فيما بينهم بأن يقتلوه فدسّوا له السمّ ، فنبهته إليه أخته . . واجتمع مجلس العائلة برعاية الأب والأم وابتدأت المحاكمة ، وعندما وصل الكلام إلى المجني عليه ، التفت إلى والده وقال له : يا أبتي لا تأخذك الحيرة في الأمر ، ولا يأخذ العجب منك موضعاً ، إنّ سبب ما حصل هو الحسد .

وإنّ حماراً يحمل أثقال الناس . . . هو خير من أسد يمزقهم . . .

وإنّ عشرة فقراء تجبرهم على أن يناموا على فراش واحد ، لكنّ ملكين لا يسعهما إقليم .

٣ ـ إصبر على حسد الحسود فإن صبرك قاتله

من أعجب القصص في الحسد وهي من أعاجيب الدنيا ، انّه كان أيام موسى الهادي ببغداد رجلاً من أهل النعمة ، وكان له جار في دون حاله وكان يحسده ويسعى بكل مكروه يمكنه ، ولا يقدر عليه قال : فلمّا طال عليه أمره

وجعلت الأيام لا تزيده فيه إلاّ غيظاً . اشترى غلاماً صغيراً فربّاه وأحسن إليه فلمّا شبّ الغلام واشتدّ وقوى غضبه قال له مولاه : يا بني إنّي أريدك لأمر من الأمور جسيم ، فليت شعري كيف لي أنت عند ذلك ؟ قال ، كيف يكون العبد لمولاه والمنعم عليه المحسن إليه والله يا مولاي لو علمت أنّ رضاك في أن أتقحم النار لرميت بنفسي فيها ولو علمت أنّ رضاك في أن أغرق نفسي في لجّة البحر لفعلت ذاك وعدّد عليه أشياء فسرّ من قوله وضمّه إلى صدره وأكبّ عليه يترشفه ويقبّله وقال : أرجو أن تكون ممّن يصلح لما أريد قال : يا مولاي إن رأيت أن تمنّ على عبدك بعزمك هذا ليعرفه ويضمّ عليه جوانحه قال : لم يأن لذلك بعد ، وإذا كان ذلك فأنت موضع سرّي ومستودع أمانتي .

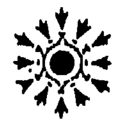
فتركه سنة فدعاه فقال : أي بنيّ قد أردتك للأمر الذي كنت أرشّحك له قال له : يا مولاي مرني بما شئت ، فوالله لا تزيدني الأيام إلاّ طاعة لك قال : إنّ جاري فلاناً قد بلغ مني مبلغاً أحبّ قتله قال : فأنا أفتك به الساعة : قال : لا أريد هذا وأخاف ألاّ يمكنك ، وإن أمكنك أحالوا ذلك عليّ ولكنّي دبرت أن تقتلني أنت وتطرحني على سطحه فيؤخذ ويقتل بي .

فقال له الغلام : أتطيب نفسك بنفسك ؟ وما في ذلك تشفّ من عدوك وأيضاً فهل تطيب نفسي بقتلك ، وأنت أبرّ من الوالد الحدب والأم الرفيقة ؟ قال : دع عنك فإنّما كنت أربيك لهذا ، فلا تنقض عليّ أمري فإنه لا راحة لي إلاّ في هذا ، قال الله الله في نفسك يا مولاي ، وأن تتلفها للأمر الذي لا يدري أيكون أم لا يكون ، فإنّ كان لم تر منه ما أملّت وأنت ميّت قال : أراك لي عاصياً وما أرضى حتى تفعل ما أهوى . قال : أمّا إذا صحّ عزمك على ذلك فشأنك وما هويت لأصير إليه بالكره لا بالرضا ، فشكره على ذلك ، وعمد إلى سكين فشحذها ودفعها إليه ، وأشهد على نفسه أنّه دبّره ودفع إليه من صلب ماله ثلاثة آلاف درهم ، قال : إذا فعلت ذلك فخذ في أي بلاد الله شئت ، فعزم الغلام على طاعة المولى بعد التمنّع والإلتواء فلمّا كان في آخر ليلة من عمره ، قال له : تأهل لما أمرتك به ، فإني موقظك في آخر الليل ، فلمّا كان في وجه السحر ، قام وأيقظ الغلام ، فقام مذعوراً وأعطاه المدية فجاء حتى تسوّر حائط جاره برفق واضطجع على سطحه ، فاستقبل القبلة ببدنه ، وقال للغلام : هيا وعجّل ،

فترك السكين على حلقه ، وفرى أوداجه ، ورجع إلى مضجعه وخلاّه يتشحط في دمه .

فلمّا أصبح أهله خفي عليهم خبره ، فلمّا كان في آخر النهار أصابوه على سطح جاره مقتولاً فأخذوا جاره ، وأحضروا وجوه المحلّة لينظروا إلى الصورة ورفعوه وحبسوه ، وكتبوا بخبر إلى الهادي ، فأحضره فأنكر أن يكون له علم بذلك وكان الرجل من أهل الصلاح ، فأمر بحبسه ، ومضى الغلام إلى أصبهان .

وكان رجل من أولياء المحبوس وقرابته ، وكان يتولّى العطاء للجند بأصفهان ، فرأى الغلام وكان عارفاً به فسأله عن أمر مولاه ، وكان قد وقع الخبر إليه ، فأخبره الغلام حرفاً حرفاً ، فأشهد على مقالته جماعة ، وحمله إلى مدينة السلام وبلغ الخبر الهادي فأحضر الغلام فقصّ عليه كلّه فتعجب الهادي من ذلك وأمر بإطلاق الرجل المحبوس ، وإطلاق الغلام أيضاً(٢٣) .



مصادر ومراجع البحث

(١) محاسبة النفس : الشهيد الثاني ص٥٢ ، تنبيه الخواطر ج ١ ص ١٢٧ .

(٢) محاسبة النفس ص ٥٣ ، عدة الداعي ص ٢٢٨ .

(٣) راجع كتاب : إفلاس الأحزاب العلمانية / علي طه ص ١٩٩ .

(٤) بحار الأنوار مجلد ٧٧ ص ٧٦ .

(٥) غرر الحكم .

(٦) صحيح مسلم : مجلد ١ ص ٧٤ .

(٧) مشكاة الأنوار ص ٣١٠ .

(٨) بحار الأنوار مجلد ٧٣ ص ٢٣٩ .

(٩) تحف العقول ص ٢٣ .

(١٠) بحار الأنوار مجلد ٧٣ ص ٢٥١ .

(١١) راجع : جامع السعادات ج ٢ ص ٢٠٥ وما بعدها .

(١٢) كشف الريبة عن أحكام الغيبة ص ٢٦٠ ـ ٢٦١ الشهيد الثاني .

(١٣) بحار الأنوار مجلد ١ ص ٣١٥ .

(١٤) بحار الأنوار مجلد ٧٣ ص ٢٥٥ .

(١٥) بحار الأنوار مجلد ٧٣ ص ٢٣٧ .

(١٦) بحار الأنوار مجلد ٧٣ ص ٢٥٥ .

(١٧) بحار الأنوار مجلد ٨٥ ص ٣٨٨ .

(١٨) بحار الأنوار مجلد ص ٢١٧ .

(١٩) غرر الحكم .

(٢٠) مصباح الشريعة ص ١٠٤ .

(٢١) أصول الكافي مجلد ٢ ص ٣٧ .

(٢٢) أصول الكافي مجلد ٢ ص ٤٥٣ .

(٢٣) بحار الأنوار مجلد ٧٠ ص ٢٥٢ ـ ٢٦٠ .



تتبّع عثرات المؤمنين

أدنى ما يخرج الانسان من الايمان ، أن يحصي على أخيه المؤمن زلّاته وعثراته وذنوبه لتعييره بها وفضحه بين الناس .

محتويات البحث

١ ـ آيات كريمات .
٢ ـ حديث شريف .
٣ ـ أدنى الكفر .
٤ ـ ستر الذنوب .
٥ ـ التعيير بالخطيئة .
٦ ـ التخلق بأخلاق الله .
٧ ـ إشاعة الفاحشة .
٨ ـ الخطيئة الفردية والإضرار بالمجتمع .
٩ ـ توجيهات أساسية للتعامل بين المؤمنين .



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إنّ الذين يحبّون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾[1] .

﴿ ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتّقوا الله إن الله توّاب رحيم ﴾[2] .

* * *

قال الإمام الصادق (ع) : « أدنى ما يخرج الإنسان من الإيمان ، أن يؤاخي الرّجل على دينه ، فيحصي عليه عثراته وزلّاته ليعنّفه بها يوماً ما »[3] .

وعن رسول الله (ص) : « أدنى الكفر أن يسمع الرجل من أخيه الكلمة فيحفظها عليه يريد أن يفضحه بها أولئك لا خلاق لهم »[4] .

* * *

[1] سورة النور : الآية ١٩ .

[2] سورة الحجرات : الآية ١٢ .

[3] بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٤٣٨ .

[4] بحار الأنوار ج ٧٧ ص ١٩٣ .

إنّ الإسلام قد عني عناية كبيرة بموضوع الكلام ، وأسلوب أدائه ، لأنّ الكلام الصادر عن إنسان ما ، يشير إلى حقيقة عقله ، وطبيعة خلقه ، وقدرته على التكيّف مع المواقف ، فالإعراض عن الكلام حيث لا ضرورة له ، عبادة جزيلة الأجر ، موفورة النفع ، تؤمن صاحبها كثيراً من المزالق والمطبّات . وأمّا الذين تقودهم ألسنتهم ، فإنّما تقودهم إلى مصارعهم ، وتصل بهم إلى كل مهلك ، كما جاء على لسان أحد كتابنا .

ويقول أيضاً : إنّ بعض المتنسبين إلى الدين ، يستسهلون أداء العبادات المطلوبة ، ويظهرون في المجتمع بمظهر الحرص على إقامتها ، وهم يرتكبون في الوقت نفسه أعمالاً ، يأباها الخلق الكريم ، والإيمان الحقّ . وفي هذا ورد عن رسول الله (ص) : « أنّ رجلاً قال يا رسول الله إنّ فلانة تذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقتها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها فقال (ص) : في النار . . . »[1] .

وهكذا نرى أنّ لا قيمة لصلاة أو صيام أو تصدّق مع أذى الآخرين ، والتشهير بهم ، لأنّ اللسان السائب حبل مرخي في يد الشيطان ودمية يتلهّى بها ، ويصرف صاحبها كيف يشاء ، فإذا لم يملك الإنسان أمره كان فمه مدخلاً لما يلوّث قلبه .

ويقول رسول الله (ص) : « لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه »[2] .

وهذه الإستقامة لا تقوم إلاّ بعد أن ينفض يديه ممّا لا شأن به له وألاّ يقحم نفسه فيما لا يسأل عنه .

وقد جاء في الحديث : « من حسن إيمان المرء تركه ما لا يعنيه »[3] .

إنّ من فضل الله على العباد أنه أحب ستر عيوب الخلق ، ولو صدق اتّصافهم بها ، ولا يجوز لمسلم أن يتشفّى بالتشنيع على مسلم ولو ذكره بما فيه . . فصاحب الصدر السليم ، والنفس الشريفة والأخلاق العالية يأسى لآلام العباد ويجهد في تخفيفها . أما التلهي بسرد الفضائح ، وكشف الستور وإبداء العورات فليس مسلك المؤمن الحق .

قال الرسول (ص) : « من علم من أخيه سيئة فسترها ستر الله عليه يوم القيامة »[٤] .

وكثيراً ما يكون متتبّعو العورات لفضحها أشدّ إجراماً ، وأبعد عن الله قلوباً من أصحاب السيئات المنكشفة ، فإنّ التربص بالجريمة لنشرها أقبح من فعل الجريمة نفسها .

ليست الجريمة فقط أن يحصي المرء عثرات الآخرين ليفضحهم بها يوماً ما ، بل الجريمة أيضاً أن يشير الإنسان إلى عثرات غيره لإفشائها ، والتشنيع عليه بها ، وبالتالي الغمز من قناته ، وتوجيه مرضى القلوب للنيل منه ، امّا بالإفتراء عليه بأن ينسبوا إليه ما لم يفعل ، أو بذكر بعض نواقصه ، والتحريض على ذلك ، فالمحرّض على الجريمة كفاعلها لا بل أخطر .

أدنى الكفر

لقد أوضح الحديث الذي أوردناه ، في بداية هذا البحث ، أن أدنى الكفر أن يسمع الرجل من أخيه الكلمة فيحفظها عليه ، يريد أن يفضحه بها ، وأن أولئك لا خلاق لهم ، باعتبار أنّ هذا الإنسان قد عادى الله ، وارتكب ما يعتبر أدنى درجات الكفر ، بأذية مؤمن وذلك بالتشهير به ، فكمن له حافظاً عليه كلمة قد قالها ، وقد يكون فيها زلل ، أو انحراف عن خط الكلام السوي ، وربما عمد البعض إلى إحصاء أخطاء الغير ، معرضاً عن أخطاء نفسه ، مبيناً حال هذا الشخص ، وما سيحل به .

قال الصادق (ع) : « إذا رأيتم العبد متفقداً لذنوب الناس ، ناسياً لذنوبه فاعلموا أنّه قد مكر به »[٥] .

وعن علي (ع) أنه قال : « يا عبد الله لا تعجل في عيب أحد بذنبه فلعلّه مغفور له ، ولا تأمن على نفسك صغير معصية ، فلعلّك معذّب عليه ، فليكفف من علم منكم عيب غيره لما يعلم من عيب نفسه . . »[٦] .

أنّ الإنسان الذي يفكّر بواقعية ، وخوف من الله سبحان ، يعرف نفسه جيداً ، ويحاسبها ويؤدبها ، ويلجم غرائزه وأهواءه ، ويحارب نزعة العداوة

للغير ، أو الإعتداء على الآخرين ، فلا يتربّص بالآخرين الدوائر ، أو ينتظر منهم أدنى خطأ أو ذنب ، حتى يعيّب عليهم ، وتنهال منه الإنتقادات القاسية ، يريد النيل من إخوانه ، والإرتفاع على حساب أذيتهم . . ألا يعلم هذا أنّ الله تعالى قد يغفر لهؤلاء ، فيكون الإستعجال في عيب الآخرين ذنب قد لا يغفره الله ، ولما لا يتلفت المرء إلى نفسه ومعاصيه ، ولما يفتش عن التبريرات والأعذار إذا ما عصى ربّه ، وخالف أمره . . . ألاّ يعلم أن العذاب قد يحيق به . نعم إنّ من يعرف نفسه وأخطاءه ، لا شك أنّه إنْ أراد الله به خيراً ، وأراد لنفسه الصلاح ، يسكت عن غيره ويكفف حتى يسكت عنه .

ولكن الإنسان المنحرف عن تعاليم الإسلام ، الذي يسلك طريق الكفر ، مبتدئاً بأدناه يعمد إلى كل ذلك لأنه ينوي في قلبه نية العداء ، لا نيّة الأخوة للغير ، فهو يمكر بصاحبه ان استطاع إلى ذلك سبيلاً والمكر والعداء والإعتداء صفتان تبعدان المرء عن الإيمان ، وتقرّبانه من الكفر .

ويقول علي (ع) : « لا تتبعن عيوب الناس ، فإنّ لك من عيوبك ان عقلت ، ما يشغلك من أن تعيب أحداً »[7] .

ويقول رسول الله (ص) : « ثلاث من كن فيه أو واحدة منهنّ كان في ظل عرش الله يوم لا ظلّ إلاّ ظلّه : رجل لم يعب أخاه المسلم ، إلاّ حتى ينفي ذلك العيب عن نفسه ، فإنّه لا ينتفي عنه عيب إلاّ بدا له عيب ، وكفى بالمرء شغلاً بنفسه عن الناس »[8] .

إنّ كل من يتفقّد عيوب الناس ، ويلهو بها عن عيوب نفسه ، كما يفعل الكثيرون ، فإنه قد مكر به ، ومن يمكر به يكون حليف الشيطان ، ومن كان حليف الشيطان كان مآله إلى خسران .

وإنّ أصحاب الأخلاق الفاضلة ، والعقول الراجحة ، يعملون بمضمون الآيات الكريمة ، والأحاديث الشريفة ، التي تحض على الإشتغال بعيوب النفس ، قبل الإشتغال بعيوب الغير ، لأنّ الإلتفات والتنبّه إلى الأقوال والأفعال ، وعدم القيام بأي تحرك إلاّ بعد دراسة طبيعته ، وقربه ، وبعده عن التعاليم الإسلامية ، لا شك أنه يقلل من الأخطاء والهفوات ، ويبعد الإنسان عن

مراقبة الناس وتتبّع عيوبهم . وإن من يعمل لتنقية نفسه ، وأخلاقه ، وأعماله من النواقص ، والتعلّق بالسفاسف ، يهتم بذنوبه ، وعيوبه فقط لأنّه يعلم أنّ الله سبحانه لا يسأله يوم القيامة إلاّ عن أخطائه هو ، ولا يتحمّل أية مسؤولية أمام الله ، إذا ما أذنب غيره وانحرف ، سوى مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإرشاد الضال .

يقول الإمام الصادق (ع) : « ومن مكر الله به فإنّه من الخاسرين » .

إنّ خسران الذي يمكر به ، يعود إلى أنه يسعى من خلال إحصاء ذنوب الآخرين عليهم يريد فضحهم ، وشينهم بين الناس وإذلالهم والمكر بهم ، ويسعى كذلك بين الناس لإيذائهم ، والتفرقة بينهم ، فهو نمّام يحاربه القريب ويمقته البعيد .

وإنّ هذا الذي يفتش عن عيوب الآخرين ، لفضحهم بها ، وإن كان يقول الصدق عنهم ، فإنّه مغتاب وأثيم وليس بمؤمن وهو كما يقول علي (ع) : « أسوأ الصدق النميمة » .

ويقول الباقر (ع) : « محرّمة الجنة على الفتانين المشائين بالنميمة » .

وكيف يكون من المؤمنين من يحصي على الناس عيوبهم ، ويترك عيوب نفسه ، ويأكل لحم أخيه ميتاً .

يقول الرسول (ص) : « يبصر أحدكم القذى في عين أخيه وينسى الجذع في عينه »[٩] .

ويقول الرسول (ص) : « طوبى لمن منعه عيبه عن عيوب المؤمنين من إخوانه »[١٠] .

ويقول علي (ع) : « عجبت لمن ينكر عيوب الناس ونفسه أكثر شيء معاباً ولا يبصرها »[١١] .

ويقول علي (ع) : « من أبصر زلّته ، صغرت عنده زلّة غيره »[١٢] .

ويقول الإمام الصادق (ع) : « من استصغر زلّة نفسه ، استعظم زلّة غيره »[١٣] .

أليس من التفاهة ، وسوء التقدير ، أن يرى المرء القذى في عين غيره ، ولا يري جذع الشجرة في عينه ؟ . .

وكيف يعقل أن يكون ذلك ؟ كيف يوثق بمن كان حاله كذلك ؟ .

إنّ القذى جسم صغير لا يرى إلاّ بصعوبة ، بينما جذع الشجرة مهما كان صغيراً فحجمه وجرمه مرئي بلا شك . . . فتدبروا يا أولي الألباب .

وإنّ الذي لا يرى عيوبه ، أو يتناساها مهما كبرت ، فهو من الذين ران على قلوبهم فهم لا يبصرون .

وكيف يذكر الإنسان عيوب وزلات غيره ، ويعمل على إفشاء عثرات وخطايا الآخرين ، وهو كثير العثرات والعيوب . . لا ريب أنه مات قلب هذا العبد ، وتلوّثت نفسه ، وتلاشت عنده كل نخوة أو مرؤة تدفع به إلى الخلاص ممّا هو فيه .

ومن الواضح أنّ أيّ عمل سوء يقرّب الإنسان من الناحية العملية إلى الكفر، ويبعده عن الإيمان، لذلك فإنّ الرسول(ص) ينهانا عن مثل هذه الأفعال، وكذلك الأئمة (ع) يعلموننا كيف نعوّد أنفسنا على تجنبها ، بغية أن يصبّ اهتمامنا على محاسبة النفس ، والإبتعاد عن الإنحرافات :

يقول رسول الله (ص) : « ليردّك عن الناس ما تعلم من نفسك »[١٤] .

ويقول علي (ع) : « ليلهك عن ذكر مصائب الناس ، ما تعرف من مصائبك »[١٥] .

ويعلمنا علي (عليه السلام) فيقول : « من بدأ بعيوب الناس فليبدأ بنفسه »[١٦] .

ويقول الصادق (عليه السلام) : « لا تنظروا في عيوب الناس كالأرباب ، وانظروا في عيوبكم كالعبيد »[١٧] .

ويقول أمير المؤمنين (ع) : « أعقل الناس من كان بعيبه بصيراً ، وعن عيب غيره ضريراً »[١٨] .

ستر الذنوب

من المعلوم أنّ ستر الذنوب يدل على سمّو الخلق ، والإلتزام بالإسلام الحقّ ، الذي يدعو إلى المحافظة على نظافة المجتمع من الآثام ، حتى لا يتجرأ المتجرؤن على فعل المنكرات ، بل لتستر الإنحرافات الفردية ، وتصحّح بطريقة النصح سراً ، بدل النصح العلني .

فقد ورد في الحديث : « من نصح أخاه سرّاً فقد زانه ، ومن نصحه علانية فقد شانه » .

والله تعالى هو الذي يحصي ذنوب العباد ، ويؤخرهم ، وينذرهم ، وهو الستّار الذي لا يفضح ، وعلى المؤمن التخلّق بأخلاق الله تعالى ، لذا يقول الرسول (ص) : « من علم من أخيه سيئة فسترها ، ستره الله يوم القيامة »[١٩] .

ويقول (ص) : « من ستر أخاه في فاحشة رآها عليه ، ستره الله في الدنيا والآخرة »[٢٠] ، « من ستر على المؤمن خزية ، فكأنما أحيا موؤدة من قبرها »[٢١] .

ويقول (ص) : « يجب للمؤمن على المؤمن ، أن يستر عليه سبعين كبيرة »[٢٢] .

ومن وصايا الخضر لموسى (ع) : « يا ابن عمران لا تعيّرنّ أحداً بخطيئة ، وابكِ على خطيئتك »[٢٣] .

ويقول الرسول (ص) : « من عيّر أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله »[٢٤] .

ويقول (ص) : « من أذاع فاحشة كان كمبتدعها ، ومن عيّر مؤمناً بشيء لم يمت حتى يرتكبه »[٢٥] .

ويقول الصادق (ع) : « أبعد ما يكون العبد من الله ، أن يكون الرجل يؤاخي الرجل ، وهو يحفظ عليه زلّاته ليعيّره بها يوماً ما »[٢٦] .

إنّ ستر الذنوب الفردية لا يعني السكوت عن الإنحرافات التي تسيء إلى الأمة والدولة الإسلامية ، بل تحتاج إلى مواجهة علنية مدروسة للحفاظ على مسيرة الإسلام ، والنظام الإسلامي ، من أجل عدم إفساح المجال أمام قوى الإنحراف كي تلعب دوراً تخريبياً في المجتمع الإسلامي .

التعيير بالخطيئة

إنّ التعيير بالخطيئة ليس أسلوباً إنسانياً سلبياً ، حتى لو كان يعبّر عن حقيقة والـذين يمارسـون هذه الممارسة هم أصحـاب نفـوس قـد عشعش فيهـا الشرّ ، والحقد على الناس للنيل منهم لذلك لا يرون في الآخرين إلاّ الجانب المظلم ، مـع العلم أنّ أي إنسان مهما كثرت أخطاؤه ، لا بد أن يمتلك بعض الإيجابيـات ، فلما نركّز على السلبيات ، وندع الإيجابيات . . . إنّ هذا الإسلوب السيء النتائج عـلى صـاحبه ، وعـلى الآخرين خـطر ومؤذٍ ، ولا ينبغي استعمالـه وخصوصـاً أنّ الذي يستعمله سـوف يقـع لا محالـة ـ في نفس الأخـطاء ، أو الـذنـوب التي يعـيّر بهـا الآخرين . والحديث يقول :

« من عيّر أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله »[٢٧] .

وإفشـاء العيوب ونشرهـا وإذاعتها كفعلهـا تمامـاً ، إذ أن الذي يعمـل على إفشاء العيوب ، والتشهير بأصحابها كفاعلها أو مفتريها .

ثم ان من يحصي أخطاء أخيه ، من أجـل التشهير بـه في الوقت المنـاسب ، ليكيـل له الضربـات عن سابق تصـوّر وتصميم ، عقوبتـه عند الله كبـيرة ، لأنـه معتـد ، والله لا يحبّ المعتدين ، كيف لا ، وقـد أمر أن يعيش مـع الناس ، عـلى أساس التآلف والتحابب والتعاون والرأفة .

قال علي (ع) : « خالطوا أخوانكم مخالـطة إذا غبتم حنّوا إليكم ، وإذا متّم بكوا عليكم »[٢٨] .

والمعنى أن يكـون الإنسان مثـلاً أعلى لا يفكـر بالإيـذاء مطلقـاً بـل منهجـه الإستقامة ، وخدمة الناس ، والمحافظة على سيادة الأخلاق الفاضلة في المجتمع ، أما إحصاء الزلاّت فهو بعيد عن الإستقامة ، لا بل هـو خروج عن الإيمـان ، لأنّ المؤمن هو من أمن الناس منه الأذى، والمسلم من سلمـوا من يده ولسـانه ، ومن يتجاوز كل هذا ، ويعتدي على غيره ، بهـدف إظهار نـواقصه ، والإسـاءة إليه ، فإنّ عقوبته من جنس جريمته ، كما جاء في الحديث :

« من تتبّع عورات المؤمنين تتبّع الله عورته ومن تتبّع الله عورتـه فضحه ولـو في جوف داره »[٢٩] .

الله تعالى ستّار ، فتخلّق بأخلاق الله

إنّ من جملة الصفات الإلهية ، الستر ، فهو الستّار ، فإذا أراد الله أن يستر على عبد ، فإنّه ينسي الملائكة ذنبه ، وينسي جوارحه والأرض ما اقترفه من خطأ . فسعة الرحمة الإلهية على المذنبين تدعو المؤمن لأن يرأف على الخطاة ، لأنّه يعرف أنه يخطيء أيضاً ، وهو يحتاج إلى من يستر عليه ، فإنّه من ستر على غيره ستر الله عليه .

والستر هو من الأخلاق الإلهية العظيمة ، التي يجب على المؤمن أن يتّصف بها . وكما نوّهنا في أكثر من موضع من هذا الكتاب ، فإنّه من المفروض أن يتخلّق الإنسان بأخلاق الله ، فتكون الصفات الإلهية مجال كسب وتحرّر ، فالله سبحانه ، ستّار ، والمؤمن بالله ، المتخلّق بأخلاقه سبحانه ، عليه أن يكتسب ويربح صفة الستر من الله ، وأن يتحرر من الصفة المضادة وهي حبّ الفضيحة للآخرين .

ففي الحديث أنّ هناك تسعة وتسعين إسماً لله سبحانه فمن أحصاها دخل الجنّة ... وقيل : أكثر من ذلك ، كما في بعض الروايات ، وأحصاها (أي تخلّق بها وعمل بمقتضاها) . وهذا يحقق الإتصال الحقيقي بين الخالق والمخلوق وذلك بتمثل صفات الله ، في كل فعل صغير وكبير ، من خلال التقرّب المعنوي ، أي التخلّق بأخلاقه سبحانه كما قلنا آنفا .

إشاعة الفاحشة

إنّ كل ما يحطّ من نفسية المؤمن ، يبعد الإنسان عن الإيمان ، بنسبة معيّنة باعتبار أنّ التآخي الإسلامي هو عملية ترابطية بين المؤمنين .

والمؤمن عندما يعيش جو الأخوة في الله ، لا يمكن أن يفكر بالإساءة إلى مؤمن أو أن يدفع باتجاه فضح مؤمن ، أو تشويه سمعته ، لأنّ هذه المؤاخاة تكون في حقيقتها عداوة وانحراف عن خط الله ، في شأن العلاقات بين المؤمنين ، فيصبح خارج إطار الإيمان الحق ، وغير مرتبط بالصراط المستقيم .

فالمؤمن الحقّ ، هو الذي يعيش للآخرين ومن أجلهم ، فإن خرج على هذا

النهج خرج عن دينه ، فصالح الجماعة هو من صميم الإيمان والدين ، والنصوص التي سنوردها تؤكّد ذلك :

عن أبي المأمون الحارثي قال : قلت لأبي عبد الله (ع) : « ما حقّ المؤمن على المؤمن ؟ .

قال : إنّ من حقّ المؤمن على المؤمن المودّة له في صدره ، والمؤاساة له في ماله ، والخلف له في أهله ، والنصرة له على من ظلمه ، وإن كان نافلة في المسلمين (النافلة أي الغنيمة) وكان غائباً ، أخذ له بنصيبه ، وإذا مات الزيارة إلى قبره وأن لا يخونه ، وأن لا يخذله ، وأن لا يكذّبه ، وأن لا يقول له أفّ ، وإذا قال له : أفّ ، فليس بينهما ولاية ، وإذا قال له : أنت عدوي فقد كفر أحدهما ، وإذا اتهمه ، إنماث الإيمان في قلبه كما ينماث الملح في الماء »[٣٠] .

٢ ـ عن معلّى بن خنيس عن أبي عبد الله (ع) قال : « قلت له ما حقّ المسلم على المسلم ؟ قال له : سبع حقوق واجبات ما منهنّ حقّ إلاّ وهو عليه واجب ، إن ضيّع منها شيئاً خرج من ولاية الله ، وطاعته ، ولم يكن لله فيه نصيب، قلت له: جعلت فداك وما هي ؟ قال : يا معلّى إني عليك شفيق أخاف أن تضيّع ولا تحفظ، وتعلم ولا تعمل قال : قلت له : لا قوّة إلاّ بالله قال : أيسر حقّ منها : أن تحب له ما تحب لنفسك ، وتكره له ما تكره لنفسك ، والحق الثاني أن تجتنب سخطه وتتبّع مرضاته وتطيع أمره ، والحق الثالث : أن تعينه بنفسك ومالك ولسانك ويدك ورجلك ، والحق الرابع : أن تكون عينه ودليله ومرآته ، والحق الخامس : أن لا تشبع ويجوع ولا تروى ويظمأ وتلبس ويعرى ، والحق السادس : أن يكون لك خادم وليس لأخيك خادم فواجب أن تبعث خادمك فيغسل ثيابه ويضع طعامه ويمهّد فراشه ، والحق السابع : أن تبر قسمه(أي قبول قسمه لئلا يكسر قلبه) وتجيب دعوته ، وتعود مريضه ، وتشهد جنازته ، وإذا علمت أن له حاجة تبادره إلى قضائها ولا تلجئه أن يسألكها ، ولكن تبادره مبادرة ، فإذا فعلت ذلك وصلت ولايتك بولايته وولايته بولايتك »[٣١] .

٣ ـ وعن أبي عبد الله (ع) : « حق المسلم على المسلم أن لا يشبع ويجوع أخوه ، ولا يروى ويعطش أخوه ولا يكتسي ويعرى أخوه ، وما أعظم حق المسلم على أخيه المسلم ، ثم قال : أحب لأخيك المسلم ما تحب لنفسك وإذا احتجت

فسله ، وإن سألك لا تمله خيراً ، ولا يمله لك (أي لا تسأمه من جهة إكثارك الخير ولا يسأم هو من جهة إكثاره الخير لك) وكن له ظهيراً فإنّه لك ظهر ، وإذا غاب فاحفظه في غيبته ، وإذا شهد فزره وأجلّه واكرمه فإنّه منك وأنت منه فإن كان عليك عاتباً فلا تفارقه حتى تسأل سميحته (أي تستخرج غضبه برفق) وإن أصابه خير فاحمد الله وإن ابتلي فاعضده وأن تمحّك له (أي كيد له) فاعنه وإذا قال الرجل لأخيه أفّ انقطع ما بينهما من الولاية وإذا قال أنت عدوي كفر أحدهما فإذا اتهمه إنماث الإيمان في قلبه(أي ذاب) كما ينماث الملح في الماء وقال أيضاً: إن المؤمن ليزهر نوره لأهل السماء ، كما تزهر نجوم السماء لأهل الأرض وقال : إن المؤمن وليّ الله يعينه (أي الله يعينه) ويضع له ولا يقول عليه إلاّ عليه الحق ولا يخاف غيره »(٣٢) .

٤ ـ وعن عبد الأعلى بن أعين قال : كتب بعض أصحابنا يسألون أبا عبد الله (ع) عن أشياء فأمروني أن أسأله عن حقّ المسلم على أخيه ، فسألته فلم يجبني فلما جئت لأودعه فقلت : سألتبك فلم تجبني ؟ فقال : إني أخاف أن تكفروا : إن من أشد ما افترض الله على خلقه ثلاثاً : إنصاف المرء من نفسه حتى لا يرضى لأخيه من نفسه إلا بما يرضى لنفسه منه ، ومؤاساة الأخ في المال ، وذكر الله على كل حال ليس سبحان الله والحمد لله ولكنّ عندما حرم الله عليه فيدعه »(٣٣) .

٥ ـ عن أبان بن تغلب قال : « كنت أطوف مع أبي عبد الله (ع) فعرض لي رجل من أصحابنا كان سألني الدهاب معه في حاجة إليّ فكرهت أن أدع أبا عبد الله (ع) واذهب إليه فبينا أنا أطوف إذ أشار إليّ أيضاً ، فرآه أبو عبد الله (ع) فقال : يا أبان إيّاك يريد هذا ؟ قلت نعم قال : فمن هو ؟ قلت رجل من أصحابنا قال : هو على مثل ما أنت عليه (أي من الإيمان) قلت نعم : قال : فاذهب إليه قلت : فاقطع الطواف ؟ قال : نعم قلت : وإن كان طواف الفريضة ؟ قال : نعم ، قال فذهبت معه ؟ ثم دخلت عليه بعد فسألته ، فقلت : أخبرني عن حقّ المؤمن على المؤمن فقال : يا أبان دعه لا ترده قلت : بلى جعلت فداك فلم أزل أردد عليه فقال : يا أبان تقاسمه شطر مالك ثم نظر إليّ فرأى ما دخلني ، فقال : يا أبان أما تعلم أن الله عز وجل قد ذكر المؤثرين على

أنفسهم ؟ قلت : بلى جعلت فداك ، فقال : أما إذا أنت قاسمته فلم تؤثره بعد ، إنّما أنت وهو سواء إنّما تؤثره إذا أنت أعطيته من النصف الآخر »[٣٤] .

وعلى هذا ، فإننا نرى أنه أية محاولة لفكّ الربط بين المؤمنين ، تعرّض هذه العلاقة إلى الانتكاس ، وتبعد الإنسان عن خط الإيمان ، فإذا قال لأخيه المؤمن أفّ ، فليس بينهما ولاية (المؤمنون بعضهم أولياء بعض) وإذا قال له : أنت عدوي ، فقد كفر أحدهما .

فمن عادى مؤمناً ، فقد عادى المبدأ لأن المؤمن كان مؤمناً بإيمانه ، فمعاداته معاداة للإيمان ، ومن عادى الإيمان والدين ، فقد مال إلى الكفر والجحود ، وصادق أعداء الله ، وعادى أولياءه ، ومن وجّه تهمة إلى أخيه المؤمن ، ذاب الإيمان في قلبه ، كما الملح في الماء أي أنه أيضاً يكون قد دخل في صراع مع الحق ، لأنه لا إيمان بدون مؤمنين ، والتهمة تعني عدم الثقة بأهل الإيمان ، وعدم ثقة بإيمانهم أما عدم الثقة بالإيمان فهو كفر وظلم وضلال . (راجع الحديث رقم ١ ـ ٣ .

ومن ضيّع شيئاً من حقوق المؤمنين خرج من ولاية الله وطاعته ، أي إنه خسر إيمانه ، وسلكُ غير طريق المؤمنين لأنه يقطع الروابط التي أمر الله بها بين المؤمنين فيما بينهم ، ولم يكن لله فيه نصيب ، بل أصبح ملك الشيطان ، ومن حزبه . (راجع الحديث رقم ٢) .

وقد رأينا كيف أن الإمام الصادق (ع) لم يجب من سأله عن حق المسلم على أخيه ، ولما سئل عن سبب امتناعه عن الجواب قال (ع) : إني أخاف أن تكفروا (أي بسبب ترككم القيام بحقوق المؤمنين) (راجع حديث رقم ٢) .

ويصل الإمر إلى درجة أن حق المؤمن على المؤمن من أكبر العبادة بمعناها الخاص ، ألا ترى إلى أن الإمام الصادق (ع) يأمر أحدهم بأن يقطع طوافه حول الكعبة ، استجابة لمؤمن سأله الذهاب معه في حاجة (راجع الحديث رقم ٥) ، الا يعني هذا أن خدمة الناس ، والنفع لعباد الله ، والإرتباط معهم وبهم ، لب الإيمان وروح الإسلام . . فتدبر .

إن الربط بين الفرد والجماعة أمر لـه مردوده الإيجابي والنافع من باب ، ان المسلم الفرد في خدمة الجماعة المسلمة . . . وذلك كما يأمر الله ويرضى ، والجماعة المسلمة تحفظ وتصون حقوق الأفراد وكل عمل بلا هدف خيّر ، لا مجال لـه في قاموسنا الإسلامي . . . وكل من يسعى للقفز فوق أشلاء الآخرين ، ليصل إلى مآرب شخصية ، مآله إلى ندمة ، وخيبة أمل في الدنيا والآخرة .

والشخص المدعي للإيمان والذي يقوم بإحصاء عثرات المؤمنين وأخطائهم من أجل نشرها وإذاعتها بين الناس ، ومن أجل إسقاطهم من أعين الناس والإساءة إليهم ، هو من محبي إشاعة الفاحشة ، لأن الفاحشة تشمل كل أنواع الذنوب من غيبة ونميمة وكذب وزور وزنا وقمار . . .

يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ **والذين يحبّون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم** ﴾[1] .

إنّ الذين يحبون أن تشيع الفاحشة ويعملون على ذلك ، لهم عذاب أليم لماذا ؟ لأنهم يعملون على هدم المجتمع المؤمن ، وضرب استقراره والمساعدة على ترويج الإنحرافات ؟ . . . بالإضافة إلى أن عملهم يضاعف الأذى ، ضعف يقع على فاعل الفعل ، وضعف آخر يقع على المجتمع ، وأذى المجتمع أشد وأكثر إرباكاً لمسيرته الحياتية . وعلى هذا فإنّ مجموعة القيم والمفاهيم التي يعمل الإسلام على نشرها ، تهدف إلى خلق حالة تكامل بين الفرد والمجتمع ، لتحقيق مجتمع العدل والحرية .

فبالتربية ونشر المفاهيم السليمة، وبالقدرة الحسنة تسير الأمور سيراً حسناً. ولو ألقينا نظرة سريعة على المجتمع الغربي ، نرى أن المجتمع الرأسمالي تشيع فيه الفاحشة دون حياء ، أو خجل ، ودون أن يفكّر أحد بالحدّ من حجمها وتأثيرها لأن المآرب الشخصية ، والمصالح الذاتية هي التي تحرك الجميع ، الذين تربّوا في ظل المجتمع الذي يطبّق نظاماً وضعياً علمانياً فاسداً ، ففي مجال علاقات الأفراد تسود الروح النفعية والإنتهازية ، فعندما يتودد أحد إلى أحد فكثيراً ما يكون

---

[1] سورة النور : الآية ١٩ .

الهدف هو التعرف إلى نقاط الضعف فيه ، ليدخل منها من أجل تحطيمه ، والتشهير به وصولاً إلى تحقيق مآرب خاصة . وكذلك الأمر في المجتمع الشيوعي (المفلس) . . إنّ هذه الحالات لا يمكن أن توجد في مجتمع إسلامي سليم لأنه يقوم على أسس مخالفة للأسس الرأسمالية والشيوعية .

الخطيئة الفردية والإضرار بالمجتمع

بيّنا أن ستر الذنوب هو باب من أبواب الصلاح ، والإصلاح ، للتركيز على الإيجابيات ، ولجعل المجتمع سليماً معافى أخلاقياً ونفسياً .

إنّ الأحاديث الشريفة والآيات الكريمة تربط الأخوة بين الناس برابط الإيمان وقد قال تعالى : ﴿ **إنّما المؤمنون أخوة** ﴾[١] .

وصحيح أن المؤمن يخطىء لأنه ليس بمعصوم إلّا أن خطأه يبقى على مستوى فردي ، لا يؤثر سلباً على المجتمع ، إلّا إذا عمل على إفشائه ونشره وجعله مؤثراً وضاراً على الآخرين .

والإنسان المتلون ليس بمؤمن وإن صلى وصام ، إذ كيف يكون مؤمناً من يظهر الإيمان وهو يفعل السيئات ؟ فالعاصي المتستر على عصيانه أقل ضرراً على المجتمع من العاصي المجاهر .

فالذي يشرب الخمر سراً ، لا يؤذي المجتمع ، كما يؤذيه شارب الخمر علانية، والمتجاهر بشربها، وقس على ذلك. أن الضرر والأذى يتضاعفان مراراً في حال الإفشاء، والنشر وعدم التقيد بقيود الأخلاق الحميدة ، أخلاق الأنبياء والأولياء والصالحين في ستر العيوب .

أن التجاهر بالفسق ، قولاً وفعلاً ليس مقبولاً ، والمتجاهر بالفسق هو الذي يعمل سوء فيخبر عنه ، دون خجل ولا حياء أو أنه لا يهمه أن يخبر عنه .

وكشف العيوب وإفشاء العثرات أمر منهي عنه أيضاً ، إن لم يكن أصحابها

---

[١] سورة الحجرات : الآية ٤٩ .

من المتجاهرين بها ـ أما إذا كـانوا متجـاهرين ، فيجب كشفهم أمـام الناس لكي يحذروهم فهم يحدثون أكبر الأذى والضرر على المجتمع والناس ، لذلك تحرم غيبة المسلم (الفـاسق) غير المتجـاهر ، ويمكن لـك أن تنصحـه سـراً أو تـردعـه دون التشهـير به ، امـا المعلن والمتجاهـر بالفسق فتجـوز غيبته ، بعكس سـابقه ، لأن المسألة الأولى إشاعة للفاحشة بينما المسألة الثانية دفع ضرر عن المجتمـع . مثلاً : إذا اطلعنا على إنسان وعرفنا أنه يشرب الخمر سراً ، فلا يجوز لنا التكلم عنه أمـام الناس ، بل نأمره وننهاه ، أما من يمارس أعمالاً تضر بالأمة والمجتمع والرسـالة ، علينا أن نحذّر منه ونحذر ، رفعاً للضرر عن المجتمع ، ولـولا ذلك مـا كان أمـير المؤمنـين (ع) يقوم بمـراقبـة المـوازيـين ، والأعـمال التجـاريـة ويـرسـل مـراقبـين (محتسبين) للقيام بهذه المهمة . ومن الناحية السياسية فيجب على المؤمن أن يعلن عداءه للمتآمرين على الأمة والدين ، ويعـريهم أمام الـرأي العام ، وأمـير المؤمنين عـلي (ع) نراه عنـدما يتعلق الأمـر بذنب فـردي يقول : « لـو وجدت مؤمنـاً عـلى فاحشة لسترته بثوبي هذا » .

أما عندما يتعلق بمصير الرسالة ، فإنه يقف موقفاً تشهيريـاً من العدو ، ومـا مـوقفه من معـاوية إلاّ خـيرشاهـد . ولنا في قضيـة نخلة سمرة بن جنـدب ما يبـينّ حقيقة الموقف ، إذ أنه كان لسمرة نخلة في دار أحد الأنصار ، وكان يدخل على صـاحب الـدار ساعـة يشاء ، بـدون استئذان ، فتـأذى وكلّمه فلم يقبـل بـأن يستـأذن ، فاشتكى إلى رسوله الله (ص) أمره ، فأمر الرسول (ص) سمرة بالإستئذان فأبى ، ورفض أن يبيعها أو أي حل آخر ، عندهـا أمر الـرسول (ص) بـاقتلاعهـا ورميها إليه وقال لـه : إنّك رجـل مضار ، لا ضرر ولا ضرار في الإسـلام ، وهكذا فـإن الذي يشكل ضرراً عاماً ، يتخذ منه موقف علني بعد نصحه وإرشاده .

والإيمـان هو صفـة تلازم النفس ، وهـو يكـبر وينمـو ويـزداد بعمـل الخـير المتواصل، وقد ورد في الحديث: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعـلاها قـول: لا إلـه إلاّ الله وأدناهـا إماطـة الأذى عن الطريق». وهكـذا نستنتج أن بـين الدرجـة العليا ، والدنيا مسافة بعيدة تحوي كل أمور الحياة وشؤونها ، والإيمان هو التعامل مع الآخرين بصدق وأمانة . وإنّ مقياس الإيمان ، الأمانة والسلوك الصحيح وقد ورد في الحديث :

« المؤمن من إئتمنه الناس على أموالهم وأنفسهم »[٣٥] .

ولا يكون العبد مؤمناً إلاّ إذا إئتمنه الناس على أنفسهم وأموالهم أو لم يمانعوا في ذلك . . . وعمل البر سريع الوصول إلى رحاب الله ، ومأمون النتيجة ، ولن تكون هذه إلاّ خيرة أما البغي فهو من الشرور الموصلة سريعاً إلى غضب الله ، وعقابه ونتيجته سيئة .

« وكفى بالمرء عيباً أن يبصر من الناس وفيهم ما يعمى عنه في نفسه ، وأن يعيّر الناس بما لا يستطيع تركه وأن يؤذي جليسه بما لا يعنيه »[٣٦] .

إنّ أدنى ما يخرج الإنسان عن إيمانه هو خيانة أخ لـه في الله . وهذه الخيانة تتمثّل في إحصاء العثرات والزلاّت بهدف الفضيحة ، وبناء المجد الشخصي على أساس هدم شخصيات الآخرين .

توجيهات أساسية للتعامل بين المؤمنين :

إنّ الإسلام وضع قواعد ، وتوجيهات للتعامل بين الناس ، ويظهر ذلك في قول الإمام زين العابدين (ع) لرجل قال له :

« إنّ فلاناً ينسبك إلى الضلال والبدع فقال (ع) : « ما رعيت حقّ مجالسة الرجل ، حيث نقلت كلامه إلينا ، ولا رعيت حقي حيث أبلغتني عن أخي ما ليس أعلمه : إنّ الموت يعمنا ، والبعث محشرنا ، ويوم القيامة موعدنا والله يحكم بيننا . إيّاك والغيبة فإنّها كلاب النار واعلم أن من أكثر عيب الناس شهد عليه الإكثار انّه إنّما يطلبها بقدر ما فيها » .

وعن الإمام الصادق (ع) : « من روى عن مؤمن رواية ، يريد بها شينه ، وهدم مروّته ليسقط من أعين الناس ، أخرجه الله تعالى من ولايته إلى ولاية الشيطان فلا يقبله الشيطان » .

« وروي أن حكيماً زاره بعض اخوانه ، وأخبره بخبر عن غيره ، فقال له الحكيم لقد أبطأت الزيارة وأتيتني بثلاث خيانات : بغضّت لي أخي ، وأشغلت قلبي الفارغ ، واتهمت نفسك الأمينة » .

« وروي أن رجلاً تبع حكيماً سبعمائة فرسخ في سبع كلمات ولمّا قدم عليه قال : إني جئتك للذي أتاك الله من العلم أخبرني عن السماء ، وما أثقل منها ، وعن الأرض وما أوسع منها ، وعن الحجارة وما أقسى منها ، وعن النار وما أحر منها ، وعن الزمهرير وما أبرد منه ، وعن البحر وما أغنى منه ، وعن اليتيم وما أذل منه ، فقال الحكيم : البهتان على البريء أثقل من السماوات ، والحق أوسع من الأرض ، والقلب القانع أغنى من البحر ، والحرص والحسد أحر من النار ، والحاجة إلى القريب أبرد من الزمهرير ، وقلب الكافر أقسى من الحجارة ، والنمّام إذا بان أمره أذل من اليتيم » .

« وقيل أن رجلاً استأجر شخصاً ليخدمه وسأل عنه فقيل له : ليس فيه من عيب سوى أنه نمّام . قال رضيت فمكث أياماً ، ثم قال لزوجة الرجل أن زوجك يبغضك ، وهو يريد أن يطلقك ويتزوج بأخرى ، فخذي الموسى ، واحلقي من قفاه شعرات حتى أسحر عليها ، فيحبّك .

ثم قال للزوج : إن امرأتك تبغضك وتريد الخلاص منك ، وهي تبغي قتلك ، فتناوم لها ، فجاءت المرأة بالموسى، فظنّ أنّها تقتله فقام وقتلها ، فجاء أهل المرأة وقتلوا الزوج فوقع القتال بين القبيلتين .

وقال الصادق (ع) : « المؤمن أصدق على نفسه من سبعين مؤمناً » .

وقال الصادق (ع) : « يبلغني عن الرجل من أخواني ما أكره فاسأله فينكر وقد أخبرني عنه الثقات فقال (ع): كذّب سمعك وبصرك عن أخيك، فإن شهد عندك خمسون قسّامة فصدّقه وكذّبهم . تأول ما تستنكره منه سبعين تأويلاً » .

وقال (ع) : « لا تظنّن بكلمة خرجت من أخيك سوء وأنت تجد لها من الخير محملاً » .

إنّ من أسباب خراب المجتمع وتفككه : الوشاية والغيبة والبهتان والتهمة . . .

١ ـ إنّ الوشاية ليست من فعل الأتقياء الورعين وليست من أخلاق المؤمنين ، فبالوشاية تشحن النفوس بالحقد ، والبغضاء ، وتملىء القلوب بالغيظ والغضب ، وطالما أوقعت كلمة وشاية وبهتان خلافاً ، أو صداماً راح ضحيته

أناس من الأبرياء لا ناقة لهم ولا جمل في هذه المسائل .

أليس الموت هو الذي ينهي حياتنا وتكالبنا على حطام الدنيا ؟ .

أوليس البعث والنشور هو موعد جمعنا ، وسؤالنا والإقتصاص منّا ؟ .

إنّـه لا بد من هـذه المصائب الفـظيعة ، التي سنـرد إليها رغم أنـوفنـا والله الحاكم العادل هو الذي سيحكم بيننا ، وسيوصل كلّاً منـا إلى حقّه ، وسيقضي ، وسيعاقب الظالم بالنار وسيدافع عن المظلوم ، وينيله ثواباً عظيماً .

٢ ـ والغيبـة : التي هي طعامنـا اليومي وفـاكهتنـا التي نتفكّـه بهـا في أكـثر مجالسنا ، هذه الغيبة ستنقلب علينا في الآخرة كلاباً لا أشرس ولا أقبح ولا أشدّ ، تسمّى كلاب النار ، والعياذة بالله من ذلك .

إنّ الغيبة وإفشاء زلّات وعثرات الأخوة المؤمنين ، يخرج الإنسـان من ولاية الله إلى ولاية الشيطان ؟ .

وهل تصدقون أن الشيطان لا يقبل في ولايته هذا الصنف من العباد ؟ .

ودليلنا على ذلك ـ الحديث الشريف الذي ذكرناه آنفاً فراجعه إن شئت .

٣ ـ والنميمـة والبهتان : خيـانة بـل خيـانـات لا يقبلهـا الله ورسـولـه ولا المؤمنون . فهي توقع البغضاء بين الناس ، وتشغـل القلوب الفارغـة ، وتبعد عن الله وتكـون دليلاً عـلى اتهام من يقـوم بهـا ، بـأن مسلكـه وممـارستـه بعيـدان عن الإنسانية والإيمان .

٤ ـ إنّ البهتان على البريء ثقيل جداً وهو أثقـل من السموات . ولنتصـور أنّ السموات أطبقت على إنسان واحد ماذا يحل به !! إنّ الذي يتهم بـريئاً يكـون كمن ألقي عليه بثقل السمـوات . والحقّ لا أرحب منه ، ولا أوسـع ، فهو يسـع كـل شيء حتى أنه يسـع هذا الكـون على كـبره واتساعـه ـ لذلـك قيل : إنّ الحق أوسع من الأرض ـ لأن الأرض جزء صغير من هذا الكون الكبير وعلينـا أن نلتزم دائماً جانب الحق وألا نجانبه أو نبتعد عنه . والقناعة كنز لا يفنى كما يقال ، وتأكيد ذلك أن القلب القانع غني جداً، بل هو أغنى من البحر ، والبحر كـما نعلم واسع جداً ، ويحوي من الأحياء والجمادات النفيسة ما لا يقدر أحد على عدّه أو حصره ،

لـذلك قيـل أن البحر غني جـداً ، وما أجمـل أن نكون قنوعين ، فنكـون أغنيـاء مكتفين بالله ورحمته .

والإيمان هو المفازة التي ينجو بها ومنها المؤمن ، ويتخلّص بواسطتهـا من كل كفـر وإلحاد ، وهـذا بحد ذاتـه فوز كبـير . . . فقلب المؤمن رحيم شفوق لـينّ . وفضيلة الرحمة والشفقـة صفة كـل مؤمن ، بينما القسـاوة والصلابـة وعدم الـرحمة صفة تلازم الكافر ، وتحوّل قلبه إلى صخر بل أقسى من الصخر والحجارة .

قـال تعالى : ﴿ ثم قست قلوبكم من بعـد ذلـك فهي كـالحجـارة أو أشـد قسوة ، وإن من الحجارة لما يتفجّر منـه الأنهار وإن منها لمـا يشقّق منه الماء ، وإنّ منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عمّا تعملون ﴾[١] .



[١] سورة البقرة : الآية ٧٤ .

مصادر ومراجع البحث

(١) الحديث ورد في عدة مصادر مع بعض الإختلاف في اللفظ .
(٢) كنز العمال/ خطبة ٢٤٩٢٥ . بحار الأنوار ج ٧١ ص ٢٨٧
(٣) بحار الأنوار ج ٢ ص ١٣٦ .
(٤) الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٢٣٩ .
(٥) بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٢١٥ ، تحف العقول ص ٢٦٨ .
(٦) بحار الأنوار ج ٧٨ ص ٢١٥ ، نهج البلاغة خطبة ١٤٠ .
(٧) غرر الحكم .
(٨) بحار الأنوار ج ٦٩ ص ٣٨٩ .
(٩) كنز العمال خطبة ٤٤١٤١ .
(١٠) بحار الأنوار ج ٧٧ ص ١٢٦ .
(١١)(١٢) غرر الحكم .
(١٣) بحار الأنوار ج ٧٨ ص ٢٠٢ .
(١٤) كنز العمال خطبة ٤٣١٨٣ .
(١٥)(١٦) غرر الحكم .
(١٧) بحار الأنوار ج ٧٨ ص ٢٨٤ .
(١٨) غرر الحكم .
(١٩) الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٢٣٩ .
(٢٠) كنز العمال خطبة ٦٣٩٢ .
(٢١) كنز العمال خطبة ٦٣٨٧ .
(٢٢) بحار الأنوار ج ٧٤ ص ٣٢٢ .

(٢٣) الوسائل ج ٦ ص ٢٨ .
(٢٤) بحار الأنوار ج ٧٤ ص ٣٩٦ .
(٢٥) بحار الأنوار ج ٩٣ ص ٧ أيضاً مصباح الشريعة .
(٢٦) الوسائل ج ٦ ص ٢٢١ .
(٢٧) الوسائل ج ٦ ص ٢٢٠ .
(٢٨) جامع السعادات ج ٣ ص ١٢٨ .
(٢٩) نفسه ج ٢ ص ١٢٩ .
(٣٠) الكافي ج ٢ ص ١٧١ .
(٣١) الكافي ج ٢ ص ١٦٩ .
(٣٢) الكافي ج ٢ ص ١٧٠ .
(٣٣)(٣٤) المصدر السابق .
(٣٥) بحار الأنوار ج ٦٧ ص ٣٠٩ .
(٣٦) راجع جامع السعادات ج ٢ ص ٢٨٠ .

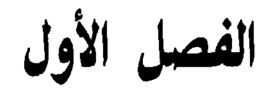


القسم الثاني

الباب الثاني

فـــي معالم الايمان



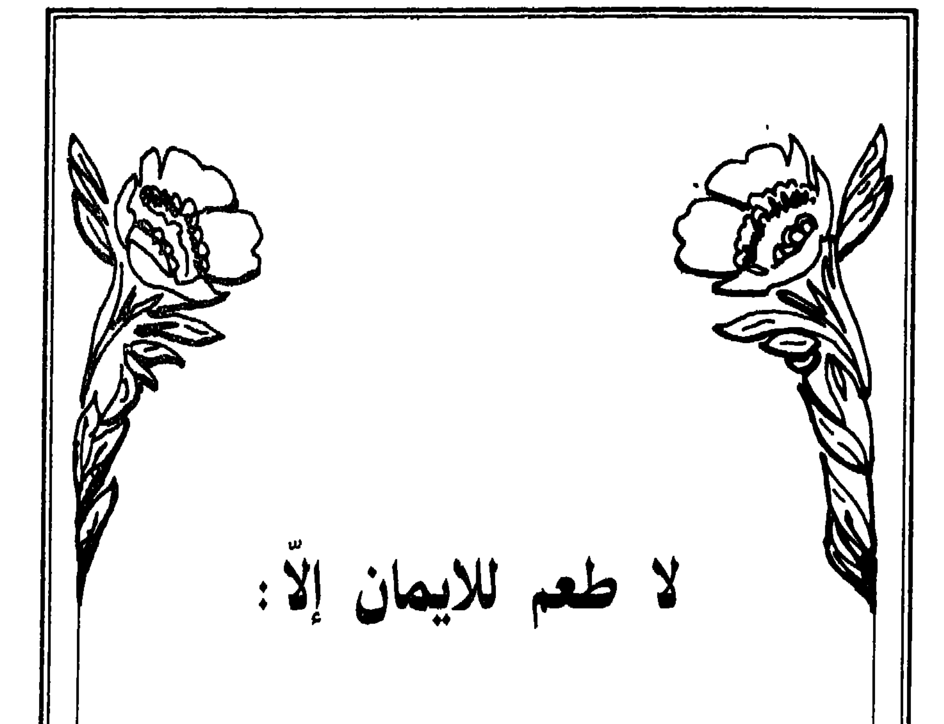


١ ـ عبادة الله وحده

٢ ـ تزكية النفس وزكاة المال

٣ ـ الرخاء ... فتنة ، والبلاء .. نعمة

٤ ـ كظم الغيظ و(الغضب)،من كمال الايمان



لا طعم للايمان إلّا :

١- بعبادة الله وحده

٢- وتزكية النفس وزكاة المال

محتويـــات الـبحث



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إنّي أنا الله لا إله إلاّ أنا فاعبدوني وأقم الصلاة لذكري ﴾[١] .

﴿ ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كلّه فاعبده وتوكّل عليه وما ربّك بغافل عمّا تعملون ﴾[٢] .

﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربّكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلّكم تتّقون ﴾[٣] .

﴿ قد أفلح من زكّاها * وقد خاب من دسّاها ﴾[٤] .

﴿ فأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ﴾[٥] .

﴿ وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله ، فأولئك هم المضْعفون ﴾[٦] .

* * *

[١] سورة طه : الاية ١٤ .

[٢] سورة هود : الآية ١٢٣ .

[٣] سورة البقرة : الآية ٢١ .

[٤] سورة الشمس : الآية ٩ ـ ١٠ .

[٥] سورة الحج : الاية ٧٨

[٦] سورة الروم : الاية ٣٩ .

قال رسول الله (ص) : « ثلاثة مَنْ فعلهن فقد طعم طعم الإيمان : من عبد الله وحده وأنه لا إله إلاّ الله وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه . . . وزكّى نفسه »[١] .

* * *

لا طعم للإيمان إلاّ بعبادة الله وحده وأنه لا إله إلاّ الله

قال تعالى : ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيّم ، ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون * منيبين إليه واتّقوه ، وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين * من الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون ﴾[٢] .

لا ريب إنّ العقيدة هي الأساس لجميع ممارسات الإنسان المؤمن وأعماله ، والإيمان ، كما قال الرسول (ص) ، ليس بالتّحلي ولا بالتمني ، بل هو عقيدة وعمل يترجم المبادىء والمفاهيم المنبثقة عن هذه العقيدة .

لهذا ، صار من الضروري أن نحدّد علاقتنا مع الخالق والمخلوقين ، ومع الموجودات ومختلف الكائنات .

وعلى هذا ، نرى أن كل علاقاتنا تنبع من الإرتباط الرئيسي القائم بين الخالق والمخلوق ، والربّ والمربوب ، وهذا الإرتباط هو ارتباط خضوع وطاعة وانسجام ، في حال الإيمان ، وفي حال عدم الإيمان علاقة إنكار وجحود وعناد وطغيان وكفر .

وبما أنّ الإنسان كائن من كائنات الكون ، عليه أن يخضع لسنن الكون والتكوين ، ولقوانين الحياة الطبيعية والتشريعية ، فإنّ ارتباطه بالله تعالى يعتبر ارتباطاً ضرورياً ، والعلاقة قائمة على أساس العبادة للمعبود ، والمحبّة للمحبوب ، والخضوع للقهّار . . . إنّها علاقة المحتاج بالغني ، والضعيف

---

[١] كنز العمال مجلد ١٠ خ ١١٠ .

[٢] سورة الروم : الآية : ٣٠ ـ٣٢ .

بالقوي ، والذليل بالعزيز ، والجاهل بالعالم ، مع أن غناه وقوّته وعزّته وعلمه . . . ليس نسبياً بل مطلقاً . وواضح أن لله على الإنسان حقاً أكبر ، يحدّده الإمام زين العابدين (ع) فيقول :

« فأمّا حقّ الله الأكبر عليك ، فأن تعبده لا تشرك به شيئاً ، فإذا فعلت ذلك بإخلاص جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة ، ويحفظ لك ما تحب منهما »[1] .

وحقّ الله الأكبر هو أن نعبده ـ وحده ـ عبادة مخلصة ، إذ أن الإيمان بالله يعني التصديق به وبما وعد والتصديق برسله وكتبه وملائكته واليوم الآخر ، والحساب والعقاب والثواب والجنة والنار والصراط والميزان . والناس ، في مواقفهم من هذه العقائد على درجات ، فمنهم من هو على مثل نور الشمس . . . وقد قال الإمام علي (ع) .

« لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً » .

وتتدنى الرتبة حتى تصل إلى درجة الطمأنينة ، وبعض الناس تصديقه تصديق ظنّي سريع التغير والتقلّب بأقل شبهة .

وقد قال الصادق (ع) : « إنّ للإيمان حالات ودرجات وطبقات ومنازل ، فمنه التام المنتهي تمامه ، ومنه الناقص البيّن نقصانه ، ومنه الراجح الزائد رجحانه » .

إن نور اليقين ، وطمأنينة القلب ، لا تحصل بالتلقين ، ولا بالجدل الفارغ ، بل هي من انعكاسات العمل والجهاد المستمر في سبيل الله ، والتقوى السلوكية والسياسية ، والورع عن محارم الله ، والإشتغال بتلاوة القرآن وتدبّر آياته ، وتفسيره ، ودراسة حديث الرسول (ص) وسيرته ، ومعاشرة الأخيار ، والإبتعاد عن معاشرة أهل السوء ، وجهاد النفس دوماً . . . ونسأل الآن :

ما معنى العبادة إذن ؟ .

إنّ عبادة الله لا تعني فقط سجوداً وركوعاً وصياماً وحجاً وربّ عابد لا يعبد إلاّ ذاته ، لأنّه لا يمارس إلاّ طقوساً فارغة من المضمون الصحيح للعبادة ، فتراه كما قال الإمام علي (ع) :

« يلعن إبليس في العلانية وهو صديقه في السر » .

فالعبادة الحقيقية ، هي الخضوع الكامل لله في كل شيء ، في حياتنا الفردية ، كما في حياتنا الإجتماعية ، وفي الجانب العقائدي ، كما في الجانب التشريعي ، وفي الجانب التربوي كما في الجانب الإقتصادي والسياسي ، ولما كان الدين الإسلامي ـ بالمعنى الثوري القرآني ـ هو المنهاج الربّاني المكوّن من عقيدة إلهية ينبثق عنها نظام كامل للإنسانية ، يؤمّن لها السعادة ، فإننا نعرف أنّ عبادة الله هي امتثال أمره في كل ما أمر ، فلا طاعة إلاّ لله ، ولا خضوع إلاّ له ، ولا خشية إلاّ منه ، ولا حرية إلاّ في العبودية له . فالمؤمن المؤمن الذي يحبّه الله ورسوله ، هو الذي لا يعبد إلاّ الله ، ولا يعبده إلاّ بما شرّع . . . لا بما شرّع الناس .

وقد قال تعالى : ﴿ فلا تخشوا الناس واخشون ﴾[١] .

أي أن نخشاه إذا خالفنا أحكامه وقوانينه ، ومن أطاع غير الله ، فيما لا يرضى الله فقد أشرك بالله شركاً خفياً ، وإن الشرك لظلم عظيم .

يقول الإمام الصادق (ع) : « لو أنّ قوماً عبدوا الله ـ وحده لا شريك له ـ وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وحجّوا البيت وصاموا شهر رمضان ، ثم قالوا لشيء صنعه الله أو صنعه رسول الله ، الاّ صنع بخلاف الذي صنع ، أو وجدوا ذلك في قلوبهم لكانوا بذلك مشركين » .

والإخلاص لله في العبادة ، يستدعي نفي الشرك ، وتحصيل اليقين ، وقد قال (ص) : « اليقين الإيمان كله » .

فالمؤمن صاحب اليقين ، لا يرجع في أمور حياته إلاّ إلى الله ، ولا يتوكل إلاّ عليه ، وهو يعلم أنّ من وكّل ربّه عنه لم يخب ، ولا يثق إلاّ بالله ، ولا يرى لنفسه ، أو لأي إنسان على الإطلاق ، قدرة على شيء مهما عظمت قوته ، وكبر جاهه ، فهو في جميع حالاته مطمئن ، لا يعرف القلق . . . في حالتي الغنى والفقر ، والزيادة والنقصان ، والمدح والذم ، والصحة والمرض ، ولا يحزن على ما فاته ، ولا يفرح بما آتاه ، إذ لا تبهره الأسباب القريبة ، لأنّ عقله وقلبه

---

[١] سورة المائدة : الآية ٤٤ .

يتوجهان إلى السبب الأول ، ربّ الأسباب وخالقها ومسخّرها تحت إرادته . . .

ولقد قيل : « من ضعف يقينه تعلّق بالأسباب ، ورخّص لنفسه بذلك واتّبع العادات وأقاويل الناس بغير حقيقة . . مقراً باللسان أنه لا مانع ولا معطي إلّا الله . . . وينكر ذلك بفعله وقلبه » .

قال الله سبحانه : ﴿ **يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون** ﴾[١] .

والله تعالى يأمرنا في هذه الآيات التي أوردناها من سورة الروم ، بإقامة الوجه للدين ، وذلك بالإقبال عليه وبالتوجه من غير غفلة ، حنيفاً ، أي مائلاً عن الشرك لأنّ الحنف هو ميل القدمين إلى الوسط ، والمراد به الإعتدال ، وذلك بلزوم الفطرة ، إذ أن هذا الدين الذي يجب إقامة الوجه له ، هو الذي تهدي إليه الفطرة « الخلقة » الإلهية التي لا تبديل لها ، فللإنسان فطرة خاصة تهديه إلى سنّة خاصة في الحياة ، وسبيل معينة ذات غاية مشخصة ، ليس له إلّا أن يسلكها خاصة ، وهو قوله :

﴿ **فطرة الله التي فطر الناس عليها** ﴾[٢] .

وليس الإنسان الذي يعيش في هذه النشأة ، إلّا نوعاً واحداً لا يختلف ما ينفعه وما يضرّه بالنظر إلى هذه البنية المؤلفة من روح وبدن ، فما للإنسان من جهة أنه إنسان إلّا سعادة واحدة وشقاء واحد فمن الضروري حينئذٍ أن يكون تجاه عمله سنة واحدة ثابتة ، يهديه إليها هاد واحد ثابت . . وليكن ذاك الهادي هو الفطرة ، ونوع الخلقة ولذلك عقّب قوله :

فطرة الله التي فطر الناس عليها . بقوله : ﴿ **لا تبديل لخلق الله** ﴾[٣] .

وليس المراد بهذا إنكار أن يكون لاختلاف الأفراد أو الأمكنة أو الأزمنة بعض التأثير في انتظام السنة الدينية في الجملة ، بل إثبات أن الأساس للسنة الدينية هو البنية الإنسانية التي هي حقيقة واحدة ثابتة مشتركة بين الأفراد ،

---

[١] سورة الروم : الآية ١٦٧ .

[٢] سورة الروم : الاية ٣٠ .

[٣] سورة الروم : الاية ٣٠ .

فللإنسانية سنّة واحدة ثابتة بثبات أساسها ، الذي هو الإنسان ، وهي التي تدير رحى الإنسانية مع ما يلحق بها من السنن الجزئية المختلفة باختلاف الأفراد أو الأمكنة أو الأزمنة . وهذا هو الذي يشير إلى قوله بعد :

﴿ ذلك الدين القيّم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾[1] .

وقوله تعالى : ﴿ منيبين إليه واتّقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين ﴾[2] .

تعميم للخطاب بعد تخصيصه بالنبي (ص) : فيؤول المعنى إلى نحو من قولنا : فأقم وجهك للدين حنيفاً أنت ومن معك منيبين إلى الله ، والإنابة الرجوع بالتوبة .

وقوله : **﴿ واتّقوه وأقيموا الصلاة ﴾**[3] .

التقوى بحسب دلالة المقام تشمل امتثال أوامره والإنتهاء عن نواهيه تعالى ، فاختصاص إقامة الصلاة من بين سائر العبادات بالذكر للإعتناء بشأنها فهي عمود الدين .

وقوله : **﴿ ولا تكونوا من المشركين ﴾**[4] .

القول في اختصاصه من بين سائر المحرّمات بالذكر نظير القول في الصلاة ، فالشرك من أكبر الكبائر الموبقة التي لا يغفرها الله ويغفر ما دونها لمن يشاء ، كما جاء في سورة النساء الآية (٤٨) وأخص صفات المشركين هو تفرقهم في دينهم ، بحيث يصبحون شيعاً متحاربة وأحزاباً متناحرة ، كل حزب بما لديهم فرحون ، والسبب في ذلك ما ذكره قبيل هذا بقوله : **﴿ بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم فمن يهدي من أضلّ الله وما لهم من ناصرين ﴾**[5] .

---

[1] سورة الروم : الآية ٣٠ .

[2] سورة الروم : الآية ٣١ .

[3] سورة الروم : الآية ٣٠ .

[4] سورة الروم : الآية ٣٠ .

[5] سورة الروم : الآية ٢٩ .

فبين ـ هنا ـ أنهم بنوا دينهم على أساس الأهواء وأنه لا يهديهم ولا هادٍ غيره[٢] .

ثمرات الإخلاص في العبادة

ويمكن القول ، ان الإخلاص لله في العبادة ، والخضوع لأوامره يحقق للإنسان التحرر الداخلي ، والراحة النفسية والسعادة في الدنيا والآخرة ، ومن نتائج الإخلاص لله في السرّ والعلن ، هو أن الله يكفي المؤمن أمر الدنيا ، وأمر الآخرة .

ففي الدنيا يحقق المؤمن :

١ ـ الراحة النفسية : إذ أن حياة الكافر ، أو الفاسق ، أو المنافق حياة قلقة غير مستقرة ، يعيش وهو من الموت خائف ، ومن الفقر جازع ، وكذلك موقفه من المرض والمصاعب والمصائب ، لا يشعر براحة ، ولا يستقرّ على حال ، وهو يعلم أنه إلى التراب صائر ، ثم يأكله الدود في قبره . . انه إنسان يائس فاشل ، يحاول أن ينسى إلاّ كل ما في الحياة يذكره بمصيرة الأسود ، يتكالب على الدنيا وزخارفها في محاولة تعويض ، ولكن كيف يمكن ذلك ، وربما يستغرق في عالم المخدرات والمسكرات ، ولكنّه لا يلبث أن يستفيق على مصيبته الكبرى . . .

أما المؤمن فإنه يعيش حالة شبه دائمة من الهدوء والراحة والإستقرار، لا تبطره النعمة ، ولا يندم على ما فات كما قال تعالى : ﴿ **لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم** ﴾[١] .

وهو يعلم أن ما لم يستطع تحصيله وإدراكه قد يكون أفضل له مما لو استطاع ذلك . . . كله أمل ورجاء برحمة الله وغفرانه ، وخوف من سخطه وغضبه في آن معاً ، إنه متوازن القوى ، يعلم أنه من التراب فلا يتكبّر ، وإلى التراب فلا يطغى ولا يتجبّر : ﴿ **إنّا لله وإنّا إليه راجعون** ﴾ .

٢ ـ سعادة أسروية : الأسرة المؤمنة ـ بصورة عامة ـ بلا مشاكل أساسية

---

[١] سورة الحديد : الآية ٢٣ .

لأنها تبنى على التفاهم والمحبة والثقة ، باعتبار أن الله سبحان خلق للناس : ﴿ من أنفسهم أزواجاً ، وجعل بينهم مودّة ورحمة ﴾[١] .

٣ ـ **صحة جسدية** : إنّ امتناع المؤمن عن المحرمّات ، من خمرة وقمار وزنا وتعدّ على الآخرين وسرقة وغير ذلك من الممنوعات ، يكفيه شر أزمات تلك التصرفات ويريح معدته التي هي بيت الداء ، وكبده ، وأمعاءه ، فيقيه الله شر أسبابها ، ومن المعلوم أن نسبة الوفيات المتسببة عن شرب الخمر مرتفعة جداً . فينجو بذلك من شرور الأمراض وكثير من الآفات .

٤ ـ **سعادة إجتماعية** : المؤمن محبوب من الناس ، مرغوب منهم ، باستثناء أهل الفسق والكفر والنفاق ، وحتى هؤلاء فإنهم لا يستطيعون إلاّ أن يعترفوا باستقامته وجميل صفاته . والمؤمن يعيش حياة جهادية ، ويحمل همّ الرسالة ، ويرى أنه مسؤول عن إيصالها إلى الناس ، وهذا ما يدعوه لأنّ يجاهد نفسه لتحصيل المعرفة بهذه الرسالة ، وهكذا فإنّه رابح على مستويين :

الأول : على المستوى العلمي والتثقيفي .

الثاني : على المستوى العملي والتطبيقي .

وإذا قدّر للمؤمن أن يحقّق ، مع غيره من المؤمنين ، شيئاً من الإنجازات الإيمانية على مستوى التطبيق ، فإنّه ينال من خيرها خيراً ، وينال من خيرها غيره أيضاً ، ولما كان الجهاد ، والسعي من أجل تطبيق أحكام الله سعادة ، فإنّه لن يربحها إلاّ المؤمن المجاهد .

والدين لا يمنع المؤمن من التمتّع بطيبات الحياة ، إنّما يحرّم عليه عبادتها ، كما يفعل أهل الدنيا من الملحدين والمنحرفين .

قال تعالى : ﴿ **قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هي للذين آمنوا خالصة يوم القيامة** ﴾[٢] .

---

[١] سور الروم : الآية ٢١ .

[٢] سورة الأعراف : الآية ٣٢ .

ويقول الإمام الصادق (ع) : « لا خير فيمن لا يحب جمع المال من حلال ، يكف به وجهه ، ويقضي به دينه ، ويصل به رحمه » .

ويقول تعالى : ﴿ ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب ﴾[١] .

٥ ـ **سعادة أخروية** : إنّ سعادة الآخرة مؤمَّنة لمن دفع الثمن . والثمن هو الإيمان الواقعي ، والجهاد بالمال والأنفس لأن « الجنة عروس ، مهرها النفوس» ، ومجاهدة الأهواء الذاتية ، والرغبات الخاصة ، المحرّمة ، والسعي نحو الأفضل والأنفس بالمقياس الأخروي ، لأنّ الدنيا مزرعة الآخرة ، كما ورد في الحديث الشريف ، فهل سمعت أن أحداً زرع قمحاً فحصد شوكاً . . . ولقد تكفّل الله للعبد إذا عبده ، وأتقاه ولم يشرك به شيئاً ، لا في الظاهر ولا في الباطن ، وخضع له خضوعاً مخلصاً ، لا يشوبه ، حب جاه ، ولا حبّ مال ولا حبّ لذّات محرمة ، أن يحفظ له نصيبه في السعادة الدنيوية والأخروية . ولا ريب أن كل إنسان سينتقل إلى عالم الآخرة سواء أحبّ أم كره وسواء آمن أم كفر ، وسواء صدّق أم كذب ، وهو أمام خيارين :

إمّا أن يكذّب بما وعد الله من الثواب والعقاب والجنّة والنار .

وفي هذه الحالة فإنّ هناك احتمالاً كبيراً أن يكون تكذيبه مبنياً على أساس غير صحيح ، ويكون أمر الآخرة أمراً واقعياً ، فإنّ النتيجة أنّ هذا المكذّب خاسر لا محالة ، إذ أنه سيكون من أهل النار بلا شك .

وإمّا أن يكون ما زعمه صحيحاً ، فهو في هذه الحال ، لن يخسر شيئاً لأنّه سيكون والمؤمن سواء بسواء ، وسيحقق ربحاً في الحياة الإجتماعية من جانبين :

الجانب الإنساني والإجتماعي والأخلاقي .

والجانب الصحي ، النفسي والجسدي .

إذن هو رابح في الحالتين (اقتبسنا ما ذكرنا من احتمالات من حوار دار بين

---

[١] سورة البقرة : الآية ٢٠٢ .

الصادق (ع) وابن أبي العوجاء) . والهدف الرئيس هو تحصيل السعادة الدائمة المستمرة ، ولا يكون ذلك إلاّ في الآخرة في عالم الجنة ، ومعلوم أنّ سلعة الله غالية ، وسلعة الله هي الجنة ، والطريق إلى السعادتين ، هو بأن نجعل رضى الله هدفنا ، من كل أعمالنا ، والجهاد في سبيل الله ثورتنا ، ولنتخذ من قول الإمام الحسين (ع) دليلاً ورائداً ، وذلك عندما توجّه إلى الشباب بقوله :

« يا معاشر الشباب ، عليكم بطلب الآخرة ، فقد والله ، رأينا قوماً طلبوا الآخرة فأصابوا الدنيا والآخرة ، والله ما رأينا من طلب الدنيا فأصاب الآخرة » .

وعلى هذا فإنّ تأمين السعادتين في الدنيا والآخرة لا يكون إلاّ بتأمين حقوق النفس وحقوق المجتمع .

يقول الإمام زين العابدين (ع) : « وأما حقّ نفسك عليك : أن تستعملها بطاعة الله عز وجل ، فتؤدي إلى لسانك حقّه ، وإلى سمعك حقّه ، وإلى بصرك حقّه ، وإلى يدك حقّها ، وإلى رجلك حقّها ، وإلى بطنك حقّه ، وإلى فرجك حقّه ، وتستعين بالله على ذلك »[٣] .

وحقّ نفس الإنسان ، على نفسه ، هو أن يكون منسجماً مع قواعد الحياة الأخلاقية والإنسانية والإجتماعية ، كما أن جسده وبشكل طبيعي ، كما ذكرنا ، منسجم مع القوانين التكوينية ، ولما كان الإنسان قد منح حرية الإختيار بين ما هو خير وبين ما هو شرّ ، وكانت هذه المنحة ، من الله له تكريماً وتعظيماً لشأنه ، لأنّ منح الحرية يعني القدرة على تقرير المصير وتصريف الأمور ، نستنتج أن الله تعالى قد أقدر الإنسان على أن يكون قادراً ، وأجبره على أن يكون حراً مختاراً فهو (مجبر على أن يختار) ، لذلك أصبح بإمكان الإنسان أن يستخدم جوارحه وأعضاءه في طاعة الله تعالى .

ومن الواضح إنّ لكل عضو من أعضاء الجسد ، وظيفة من أجلها كان ، فإذا تجاوز حدوده ، فقد خرج عن الخط المرسوم له ، وإذا قصّر عمّا هو مطلوب منه ، فمعنى ذلك أنّه لم يؤد دوره ، ويظهر أن المقصود بحقّ هذه الأعضاء هو استعمالها فيما خلقت له ، من أجل تأدية وظيفتها على أكمل وجه ، وأن أي عضو لا يمكن له أن يقوم بوظيفته إذا انفصل عن مصدر وجوده ، الذي منحه الطاقة

والقدرة . . . فلا بدّ للعقل الذي يدير هذه الأعضاء من الإتصال بمنبع القوّة ، ليستمد منه قوّة وانطلاقاً ، وبمصدر الإرادة ليتعلم منه كيف يريد .

وبمصدر العلم ليأخذ عنه كيف يفهم الأمور ، وليخطط لها ويحيط بها ويعلمها . . . ولهذا فإنّ الإستعانة بالله ، هي مبدأ أساسي في تحرك المؤمنين في جميع المجالات ، ومن شأن هذا المفهوم أن يبعث الثقة والأمل بتحقيق الأهداف ، بعكس الكفار الذين يعتمدون على مقدرتهم الذاتية ، التي تتلاشى أمام أدنى الصعوبات ، وتضمحل وتزول وتنعدم كلياً ، عندما تنزل بهم المصائب والبلايا ، وقد قال سبحانه : ﴿ **ومن يتوكل على الله فهو حسبه** ﴾ .

وقد قال الرسول (ص) : « من انقطع إلى الله كفاه كل مؤونة ، ورزقه من حيث لا يحتسب ، ومن انقطع إلى الدنيا وكّله الله إليها » .

والتوكل على درجات ، إلّا أنه ينبغي ، في البداية ، أن نفرّق بين التوكل (على الله) ، والتواكل الذي يعني التكاسل والإنهزامية ، ونحن مأمورون بالعمل والتوكل على الله معاً (إعقلها وتوكّل) . وقد قال الصادق (ع) :

« أوجب الله لعباده أن يطلبوا منه مقاصدهم بالأسباب التي سببها لذلك وأمرهم بذلك » .

وأدنى درجات التوكل هي أن توكّل الله تعالى في أمورك ، وتثق بحسن تدبيره ، وحال الإنسان المتوكل ، في هذه المرتبة ، حال الموكّل مع الوكيل .

وأوسط درجات التوكل هي التعلق بالموكل (أي الله سبحانه) ، ونسيان التوكل نفسه ، فالمتوكل لا يعرف غير موكله ، ولا يعتمد إلّا عليه ، وحال صاحبه كحال الطفل مع أمه ، يتعلّق بها ويلهج بذكر اسمها . . .

أما أعلى درجات التوكل فهي أن يكون الإنسان أمام الله ، بحيث لا يشعر بذاته ، ولا بقدرته الشخصية ، ومثله كمثل الطفل الذي لا يتعلق بثياب أمه لعلمه أنها سوف تحمله ، وإن لم يسألها اللبن فهي تسقيه .

وهوذا نبي الله إبراهيم الخليل (ع) ، عندما وضع في المنجنيق ليرمى به إلى النار ، أشار عليه الروح الأمين ـ كما ورد في الروايات ـ أن يطلب النجاة من الله

سبحانه . فقال : « حسبي من سؤالي علمه بحالي » . وهذه المرتبة هي مرتبة الصديقين .

وفي هذه الحالة ، فإنّ المؤمن المتوكل على الله ، يصل إلى درجات يسكت فيها لسانه ليتكلم واقع حاله ، والمتوكلون على درجات أيضاً ، فأعلاها : من يتوكل على الله في كل أموره ، ويرضى بما يحصل له من الله ، وهو مطمئن أن الله لا يريد به إلّا الخير والدرجات الأخرى تختص بمن يتوكل على الله في بعض أموره دون البعض الآخر(٤) .

وهكذا فإنّ الإخلاص لله في العمل هو الأساس والمرتكز ، وقد ورد في ذلك نصوص كثيرة نذكر منها :

قال الإمام علي (ع) : « طوبى لمن أخلص لله العبادة والدعاء ، ولم يشتغل قلبه بما تراه عيناه ، ولم ينسى ذكر الله بما تسمع أذناه ، ولم يحزن صدره بما أعطي غيره » .

ويقول الإمام الصادق (ع) : « إنّ الله تبارك وتعالى أعطى محمداً (ص) من شرائع نوح ، وإبراهيم ، وموسى وعيسى (ع) ، التوحيد والإخلاص ، وخلع الأنداد ، والفطرة الحنيفية السمحة ، ولا رهبانية ولا سياحة ، أحلّ فيها الطيبات ، وحرّم الخبائث ، ووضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم » .

لا يجد طعم الإيمان إلاّ من أعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه

إنّ الواجب ألّا تمنع الزكاة ، ولو كانت قليلة في مقدارها ـ فربما كان هذا القليل وسيلة لإعانة طفل صغير أو شيخ مريض . إذ أن أداء الزكاة والصدقات والخمس هو الدليل على مدى ارتباط الإنسان بدينه ويقينه وهو التعبير الواضح عن سلوكه وانسجامه مع غاية وجوده وبروز عنصر الخير في نفسه وفي ذلك يجد الإنسان طعم الإيمان .

وهاكم بعض الآيات القرآنية التي تحض على الإنفاق في سبيل الله لمساعدة المحتاجين والمساكين .

يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ ومّما رزقناهم ينفقون ﴾[١] .

﴿ وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إنّ الله يحب المحسنين ﴾[٢] .

﴿ ربّنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ﴾[٣] .

﴿ يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإنّ الله به عليم ﴾[٤] .

﴿ الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يُتبعُونَ ما أنفقوا منّا ولا أذى لهم أجرهم عند ربّهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾[٥] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى ﴾[٦] .

﴿ وما تنفقوا من خير فلأنفسكم ﴾[٧] .

من الواضح أنّ الإسلام دين يقوم على البذل والعطاء ، لذلك حبّب إلى المؤمنين به أن تكون نفوسهم سخية ، ووصّاهم بالمسارعة إلى الإحسان ، ووجوه البر ، وأن يجعلوا خدمة الناس شغلهم الشاغل .

يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ الذين ينفقون أموالَهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾[٨] .

إذن من الواجب على المسلم أن يقتصد في مطالب نفسه حتى يشرك غيره فيما أتاه الله من فضله .

---

[١] سوره البقرة : الآية ٣ .

[٢] سورة البقرة : الآية ١٩٥ .

[٣] سورة البقرة : الآية ٢٠١ .

[٤] سورة البقرة : الآية ٢١٥ .

[٥] سورة البقرة . الآية ٢٦٢ .

[٦] سورة البقرة : الآية ٢٦٤ .

[٧] سورة البقرة : الآية ٢٧٢ .

[٨] سورة البقرة : الآية ٢٧٤ .

قال (ص) : « يا ابن آدم إنّك إن تبذل الفضل خير لـك ، وإن تمسكه فشرّ لـك ، ولا تـلام عـلى كفـاف ، وابـدأ بمن تعـول ، واليـد العليـا خــير من اليـد السفلى » .

وقد أشار القرآن الكريم إلى هـذا المعنى حيث قرن النهي عن التبـذير بـأمر الإنفاق على القرابة والمساكين فقال الله تعالى :

﴿ وآتِ ذا القربى حقّه والمسكين وابن السبيل ولا تبذّر تبذيـراً إنّ المبذّرين كانوا أخوان الشياطين وكان الشيطان لربّه كفوراً ﴾[1] .

عن الـرضا (ع) عن الـرسول (ص) أنـه قال : « السخي قـريب من الله ، قريب من الناس ، قـريب من الجنة ، بعيـد عن النار . . . ولجـاهل سخي أحب إلى الله تعالى من عابد بخيل »[٥] .

وهكذا فإنّ الأموال التي لم يدفع منها حق المسكـين ، والبائس ، شرّ جسيم على صاحبها في الدنيا والآخرة .

وقـد جاء في الحـديث : « يقول العبـد مـالي ، مـالي : وإنّمـا لـه من مـالـه ثلاث : ما أكل فأفنى أو لبس فأبلى أو أعـطى فأقنى (ملك) ومـا سوى ذلـك فهو ذاهب وتاركه للنّاس » .

وإنّ الأموال التي تبذل من زكـاة أو هبة أو نفقـة ، فإنّها تقـوي صلة المسلم بدينه وبربه .

وقد قال (ص) : « حصّنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضـاكم بالصـدقة » ، « ما نقص مال عبد من صدقة أو زكاة إلّا زاده الله بها عزاً » .

الزكاة والتزكي في اللغة والمصطلح

إنّ الزكاة ، كـما هو معلوم ، إسم لفـريضة تعـد فرعـاً من فروع الـدين ، ويجب عـلى المسلم إذا ما بلغ ورشـد أن يبذلهـا إذا بلغت أمواله وغلاتـه النصاب

---

[١] سورة الإسراء : الآية ٢٦ ـ ٢٧ .

المعيّن في الشريعة السمحاء وهي تشمل : القمح والشعير والزبيب والتمر وكذلك في البقر والإبل والماعز والضأن وسيأتي تفصيل ذلك .

والزكاة من : زكا يزكو زكاء ، والنعت منه : زكي وزكية ، وصيغة المبالغة : (أزكى) .

والمعنى اللغوي للزكاة له مدلولان :

الأول : يدل على النماء والزيادة (نما وزاد) .

الثاني : يدل على الطهر والصلاح (طهر وصلح) .

ولقد وردت آيات وأحاديث كثيرة ، تحض على هذه الفريضة ، وتأمر بالقيام بها دون تردد ولا إبطاء ، وذلك لخير الإنسان ، وتنفيذاً لأمر الله المعطي ، والذي وعد بالزيادة أضعافاً .

من الآيات التي ورد فيها ذكر الزكاة قوله تعالى : **﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبداً ﴾**[١] .

﴿ ذلكم أزكى لكم وأطهر ﴾[٢] .

﴿ فلينظر أيها أزكى طعاماً ﴾[٣] .

﴿ قال إنّما أنا رسول ربّك لأهب لك غلاماً زكياً ﴾[٤] .

﴿ قد أفلح من زكاها ﴾[٥] .

﴿ فلا تزكّوا أنفسكم هو أعلم بمن أتقي ﴾[٦] .

﴿ يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ﴾[٧] .

---

[١] سورة النور : الآية ٢١ (أي طهر وصلح) .

[٢] سورة البقرة : الآية ٢٣٢ .

[٣] سورة الكهف : الآية ١٩ (أي أطهر وأصلح) .

[٤] سورة مريم : الآية ١٩ (أي طاهراً وصالحاً)

[٥] سورة الشمس : الآية ٩ (أي طهّرها وأصلحها) .

[٦] سورة النجم : الآية ٣٢ (أي فلا تخدعوها وتنسبوها إلى الطهر والصلاح) .

[٧] سورة البقرة : الآية ١٥١ ﴿ يزكيهم ﴾ سورة البقرة : الآية ١٢٩ .

﴿ ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ﴾[١] .

﴿ فقل هل لك إلى أن تزكّى ﴾[٢] .

﴿ ومن تزكّى فإنّما يتزكّى لنفسه ﴾[٣] .

﴿ الذي يؤتي ماله يتزكّى ﴾[٤] .

﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتُزكيهم بها ، وصلّ عليهم إنّ صلواتك سكن لهم ، والله سميع عليم ﴾[٥] .

ولقد نقلت كلمة الزكاة ، لتأخذ معنى إصطلاحياً ، يتعلق بإخراج قدر معروف من المال ، باعتباره صدقة أي زكاة ـ وكل موضع في القرآن تقرن فيه الزكاة بالإيتاء ، فهي بمعنى المال المراد إخراجه .

قال تعالى : ﴿ وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله ، فأولئك هم المُضْعِفون ﴾[٦] .

﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾[٧] .

زكاة المال وطيب النفس

إنّ سعادة الإنسان لا تكتمل ، إلاّ إذا اكتملت سعادة من حوله من البشر ، لأنّه كائن إجتماعي ، فإن سعدوا سعد ، وإن شقوا شقي .

فلا بد من تأمين الحاجات الإنسانية للنّاس ، ورفع ما يسبب لهم الشقاء والتعاسة ، كالعوز والفقر . من هنا كان تشريع الخمس والزكاة في الإسلام ،

---

[١] سورة البقرة : الآية ١٧٤ (ومعنى ذلك أنه لا يمدحهم ولا ينسبهم إلى الطهر والصلاح) .

[٢] سورة النازعات : الآية ١٨ .

[٣] سورة فاطر : الآية ١٨ (أي يتطهر ويصلح) .

[٤] سورة الليل : الآية ١٨ (أي يتطهر ويصلح) .

[٥] سورة التوبة : الآية ١٠٣ .

[٦] سورة الروم : الآية ٣٩ .

[٧] سورة البقرة : الآية ٤٣ .

لتأخذ من الغني المستطيع ، وتعطي للفقير المحتاج ، وبذلك تذوب الفروقات الإجتماعية ، والمالية أو تتقارب ، وقد شرّعت هذه الحقوق من أجل تأمين الحاجات الحياتية للناس ، مع أن تشريع الزكاة وفلسفتها يختلفان عن الأنظمة الوضعية ، لأن الضرائب تؤخذ في هذه الأنظمة من كل الناس ، الأغنياء والفقراء ، وحتى المساكين لا يعفون منها أما الإسلام فإنه يمتاز عنها فهو لا يأخذ مالاً من إنسان ، إلاّ بعد تدقيق ، كما ان الزكاة تؤخذ من القادر وفق شروط معينة .

والدارس للقرآن الكريم ، يرى أن فريضة الزكاة ، كعبادة مالية ، قد ارتبطت بالصلاة في كثير من المواضع :

قال الله تعالى : ﴿ **فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة** ﴾[١] .

وهذا الإرتباط بين الصلاة والزكاة يدل على الأهمية الكبرى للزكاة ، فالصلاة هي عمود الدين ، إنْ قُبلَت قُبل ما سواها وإن ردّت ردّ ما سواها ، وارتباط الزكاة بها يدل على أن الزكاة من ركائز التشريع الإسلامي الذي يجعل الإنفاق في سبيل الله عظيماً ومباركاً ، والزكاة أحد وجوهه .

يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ **والذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وممّا رزقناهم ينفقون** ﴾[٢] .

وقد وردت الزكاة أيضاً ، عنواناً لفلاح المؤمن ، ونيله رضى الله ، وثوابه في الدنيا والآخرة ، وترك الزكاة ، أو الإنفاق في سبيل الله ، صفة من صفات المجرمين ، الذي يسكنون النار ، وينزل بهم العذاب الشديد ، وما ورد في سورة المدثّر يدل على ذلك .

قال تعالى : ﴿ **ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلّين ولم نك نطعم المسكين وكنّا نخوض مع الخائضين وكنّا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين** ﴾[٣] .

---

[١] سورة الحج : الآية ٧٨ .

[٢] سورة البقرة : الآية ٣ .

[٣] سورة المدثّر : الآية ٤٢ ـ ٤٧ .

أما الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ، وعن طيب خاطر فسيجزون الجزاء الأوفى ، وسيضاعف لهم هذا الجزاء .

قال تعالى : ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ، كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ﴾[١] .

وهكذا نرى بأن كمال إيمان المسلم ، يتم بدفع الزكاة والإنفاق مما يملك ، وذلك لتأمين سعادته التي هي جزء من سعادة المجتمع .

وموضوع الزكاة يتعلق بجزء من النظام الإسلامي ، الذي يعمل المبلّغون لنشر مفاهيمه ومبادئه في العالم ، وعلينا مقارنة مبادئه ومفاهيمه مع المبادىء والمفاهيم الأخرى لنعرف عظمة الإسلام ، وعظمة تشريعاته ونظمه التي تشكل حلاً للمعضلة الإجتماعية في جميع مستوياتها ، وخصوصاً أن الإسلام نظام إلهي يتفوق على جميع الأنظمة الوضعية لأنه من الله الخالق العالم بما يصلح للبشرية ، ويصلحها ، بعكس الأنظمة البشرية الوضعية ، التي هي نتيجة فكر قاصر ، وتجارب محدودة ، وآفاق ضيقة .

الزكاة والضرائب

ومن الملاحظ بأن التهرّب من دفع الضريبة سمة الأنظمة الوضعية ، وخصوصاً في النظام الرأسمالي ، أما في الإشتراكي[*] فيتم التهرب من دفع الضرائب ولكن بشكل آخر ، فالحزب يجمع الضريبة ويحصلها ، والمنتفع هو الجهاز الحاكم . أما في الإسلام فيقف الفرد المؤمن أمام خالقه ، ويحاسب نفسه بدون تفكير بالتحايل على الزكاة ، التي هي بالمعنى القانوني تعد ضريبة ، فالمسألة هنا مسألة تربوية ، باعتبار أن الإسلام يغيّر المجتمع من خلال تغيير نفوس الأفراد ، وذلك بجعل الفرد يحس بالرقابة الإلهية من جهة ، ورقابة القانون الإسلامي من جهة أخرى .

---

[١] سورة البقرة : الآية ٢٦١ .

[*] ولعل هذا من أسباب إنهيار هذا النظام .

ومانع الزكاة عمداً يعتبر مرتداً عن الإسلام ، وإذا أثبت عليه ذلك من قبل الحاكم الشرعي ، فإن جزاءه القتل ، لأنه يسيء إلى أسس النظام الإقتصادي الإسلامي ، وبالتالي فإنه يتآمر على معيشة الناس ومستقبلهم لا بل على الأمة والمبدأ . وإنطلاقاً من تحقيق ركن الزكاة ، يصبح المجتمع الإسلامي خالياً من الفروقات الطبقية ، وينعم الناس في ظلال النظام الإسلامي العادل .

إن التكافل والتكامل الإجتماعي قد ضمنه المجتمع الإسلامي ، ويتم ذلك بتطبيق كافة الأحكام : من زكاة وخمس وصدقة . . وغير ذلك ، ونستخلص من هذا بأن الزكاة هي جزء من حركة الإنسان المسلم في المجتمع ، وإذا أخلّ أحد الأفراد بشرط من الشروط المطلوبة ، فإنّه يخلّ بنظام المجتمع ككل وينحرف به عن غايته ، وينتفي فيه التكافل ، خصوصاً في حركته الإجتماعية والإقتصادية والفكرية والثقافية وغيرها .

والزكاة هي لمصلحة الآخرين ، وفي ذلك إرتباط بهم ، وعندما أعطي زكاة مالي ، فأنا أرتبط بالمؤمنين (في الدنيا وفي الآخرة) لأنّ الله أوصى بالعمل لخير المجتمع من خلال التوصية بالعمل لخير الفرد وبذلك يرتبط الفرد بالمجتمع ، والمجتمعات الإسلامية بعضها بالبعض الآخر .

وإنّ عدم التزام المسلم بالقيام بالواجبات ، ومنها الزكاة أحدث خللاً في مجتمعنا ، ونقصاً في تماسك المجتمع الإسلامي وتكامله .

وإنّ الخلل الموجود ، والمتسبب عن ضعف العلاقات الإجتماعية ، يعود إلى عدم الإلتزام المبدئي بالإسلام . فإسلامنا هو إسلام ظاهري . . لا يلزمنا بالإلتزام بأوامر الله والإبتعاد عن نواهيه ، وعندما يصل المسلم إلى درجة عالية من الإيمان ، عليه أن يؤدي ما عليه من حقوق شرعية وأن يحسّن وضعه الإنتاجي ما أمكنه ذلك ، لتزداد مساعدته للمستحقين ، وبذلك يعيش المجتمع في حالة من الكفاية والإستقرار .

إنّ الزكاة تطهير للأموال وتزكية للنفوس وليست مجرد معونة للفقراء ، بل هي واجب إلهي ، وقد قال تعالى :

﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ﴾[1] .

---

[1] سورة التوبة : الآية ١٠٣ .

ثم انّ تطبيق النظام الإسلامي يستدعي عدم فصل الدين عن الدولة كما يرى عملاء الغرب الفكريين لأن ذلك إخلال بالأنظمة التي تؤمّن السعادة في المجتمع .

والزكاة جزء من كلّ مترابط ، فكيف نؤمن ببعض الكتاب ونكفر بالبعض الآخر . لذلك لا ينبغي أن ينظر للزكاة كأمر منفصل عن غيرها ، ويجب أن تُفهم على أساس استخلاف الله للإنسان في الأرض مع وجود التكليف الخاص له ، وهو ما أراده الله له ، وأوجبه عليه من خلال الشرائع ، ومنهاج العمل الذي رسمه كتاب الله تعالى .

والإنسان المسلم الذي يعيش في هذا العصر ، يتميز عن الأوائل من المسلمين ، وذلك لوجود الأنبياء بينهم أما اليوم فلا وجود للأنبياء بين الناس ، إنّما الشرائع هي الموجودة ، وفي حال صدق الإيمان يحصل التكامل في جميع الأمور المطلوبة من الفرد ، وذلك يؤدي إلى تكامل المجتمع بشكل عام .

فارتباط الزكاة بكل تفاصيل التشريع ، يجب أن يعود بنا إلى جميع ما يطلب الله منّا لتطبيقه قولاً وفعلاً ، كما ينبغي الرجوع إلى أصالة النفس والعقيدة ، لتحقيق رضا الله دون إجبار أو فرض .

الحرب الإقتصادية والإستعمار

إنّ الزكاة هي من مقومات النظم المالية والإقتصادية في الإسلام ، لذلك فإنّ الدعوة إلى عدم إيتاء الزكاة يخدم المخطط الإستعماري ضد الإسلام .

ومن الواضح أن الإستعمار الغربي، يحارب الإسلام، وأنّ الحرب الأساسية التي تشن على المسلمين في العالم، هي من خلال الوضع الإقتصادي، لتجويعهم وتركيعهم وكذلك فإن محاربتهم للجمهورية الإسلامية هي حرب إقتصادية في خدمة الحرب العسكرية ، لذلك فإن الزكاة تعتبر عاملاً أساسياً لقيام دولة إسلامية كبرى (على يد المهدي (ع)) نحلم بوجودها ونهوضها تكون دولة الإسلام في إيران الممهدة لها . ثم ان نفقات الجمهورية الإسلامية في معركتها مع قوى الإستكبار ، إنّما كانت نسبة مهمة من هذه النفقات مقدمة من قبل الشعب مباشرة .

ولقد أراد الإستعمار أن يضرب إقتصاد الدولة الإسلامية ، من خلال الحصار الإقتصادي والمعارك العسكرية ، ولكن الشعب المسلم ، وخزينة الدولة الإسلامية في أمان ، فالشعب المسلم كما قلنا هو أساس في تمويل المعركة ، وإيران الإسلام ـ مع ذلك ـ تساعد المستضعفين في كل أنحاء العالم ، مع كونها خاضت معركة طويلة الأمد ولا تزال ناهضة بأعباء هذه المعركة المستمرة ضد أعداء الله والإنسانية .

الزكاة عن طيب نفس

والزكاة ينبغي أن تكون عن طيب نفس لأنها ، كالصلاة واجب شرعي ، فالله ليس بحاجة إلى صلاتنا ، ولكنها شكر وعرفان بالجميل ، وطاعة وخضوع ، وكذلك فقد أمر الله بالزكاة لينقذ الفقير من براثن الجوع والمرض . . . وهذا بحد ذاته مطلب تشريعي ، وهو بالتالي إمتحان للإنسان ، فالمؤمن يعطي عن طيب نفس ، لأنه يعلم أن المال الذي بين يديه هو مال الله ، وإن تملكه لهذا المال تملك إعتباري ، وليس حقيقياً ، وأنه مستخلف عليه ، فليؤد الأمانة كما يريد الله تعالى ، ومن ناحية أخرى ـ فإنَّ الزكاة تشكل مبدأ أساسياً في النظام المالي الإسلامي ، الذي هو جزء من النظام الإقتصادي ، كما قلنا آنفاً والذي يشكل الأساس في الوضع الإجتماعي ككل .

ومن مقومات النظام الإسلامي :

١ ـ الشعب الذي يعيش في كنف الدولة الإسلامية (من مسلمين وغير مسلمين) .

٢ ـ الضمان الإجتماعي الإسلامي لفئات المجتمع أي أن الدولة الإسلامية ، تكفل حياة ، ومستقبل كل من يعيش في كنفها ، على أساس أن بيت مال المسلمين والذي تشكل الزكاة جزءاً كبيراً منه ، إنّما كان لخدمة المسلمين جميعاً ، وجميع من يعيش على أرض الدولة الإسلامية من معاهدين وذميين (من أهل الكتاب) .

إنّ الإقتصاد الإسلامي يهتم كثيراً بموضوع التكافل الإجتماعي ، بحيث أن

الإسلام جعل كل إنسان في المجتمع مسؤولاً عن غيره ، في عملية إنسجامية متكاملة ، وهو ذا رسول الله (ص) ، ينفي الإيمان عن الذي يشبع ، ويدع جاره جائعاً فيقول :

« ما آمن من بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم » .

إنّ التكافل الإجتماعي في الإسلام هو شعور الفرد بالمسؤولية تجاه الآخرين . فالإسلام دين غيري ينطلق من النفس إلى الغير على أساس أن نشاط الفرد ، يفترض أن يكون من أجل الجماعة .

ولا شك أنّ الزكاة هي القنطرة التي يعتبر من عبرها أنه وصل إلى مبتغاه ، والذي يمنعها يسقط دون هذه القنطرة .

والزكاة إن أديّت فإنها تطفيء غضب الرب ، وتوصل إلى رحمته ورضوانه ، أما إذا منعت فعقابها كبير ، والحساب عليها عسير .

وقد ورد عن رسول الله (ص) أنه قال : « الزكاة قنطرة الإسلام ، فمن أداها جاز القنطرة ومن منعها احتبس دونها وهي تطفيء غضب الرب »(٦) .

من علل تشريع الزكاة وآثارها

١ ـ أداء الزكاة شرط لقبول الصلاة :

عن الصادق (ع) أنه قال : « لما أنزلت آية الزكاة : ﴿ خذ من أموالهم . . . ﴾ في شهر رمضان ، أمر رسول الله (ص) مناديه فنادى في الناس : إنّ الله تبارك وتعالى قد فرض عليكم الزكاة ، كما فرض عليكم الصلاة ، ثم لم يتعرض لشيء من أموالهم ، حتى حال عليهم الحول من قابل ، فصاموا وأفطروا فأمر (ص) مناديه فنادى في المسلمين : « زكوا أموالكم تقبل صلاتكم »(٧) .

٢ ـ شرعت الزكاة من أجل قوت الفقراء :

إن في أداء الزكاة تحصين لأموال الأغنياء وشكر نعم المولى وطلب الزيادة ،

والرحمة والرأفة لأهل الضعف ، والعطف على أهل المسكنة ومعونتهم .

ولو علم الله أن القدر المفروض لا يسع الفقراء ، لزادهم ولو أدى الناس زكاة أموالهم ، لاغتنى كل فقير .

عن الإمام الرضا (ع) أنه قال : « علة الزكاة من أجل قوت الفقراء ، وتحصين أموال الأغنياء لأنّ الله تبارك وتعالى كلّف أهل الصحة القيام بشأن أهل الزمانة والبلوى كما قال عزّ وجل : ﴿ لتبلونّ في أموالكم ﴾ بإخراج الزكاة ، ﴿ وفي أنفسكم ﴾ بتوطين الأنفس على الصبر ، مع ما في ذلك من أداء شكر نعم الله عز وجل ، والطمع في الزيادة ، مع ما فيه من الرحمة ، والرأفة لأهل الضعف ، والعطف على أهل المسكنة ، والحث لهم على المواساة ، وتقوية الفقراء ، المعونة لهم على أمر الدين ، وهم عظة لأهل الغنى ، وعبرة لهم ليستدلوا على فقر الآخرة بهم »[8] . . .

٣ ـ الزكاة تزيد المال ولا تنقصه :

عن رسول الله (ص) : « إذا أردت أن يثري الله مالك فزكّه »[9] .

وعن الباقر (ع) : « الزكاة تزيد في الرزق »[10] .

٤ ـ أداء الزكاة تحصين للأموال ومحافظة عليها :

عن الصادق (ع) أنه قال : « ما ضاع مال في بر ولا بحر إلاّ بتضييع الزكاة فحصّنوا أموالكم بالزكاة »[11] .

وعن الباقر (ع) أنه قال : « وجدنا في كتاب رسول الله (ص) : « إذا منعوا الزكاة منعت الأرض بركتها من الزرع والثمار والمعادن كلها »[12] .

وعن الرضا (ع) أنه قال : « إذا حبست الزكاة ماتت المواشي »[13] .

٥ ـ جزاء مانع الزكاة في الدنيا سؤال الرجعة عند الموت والقتل ، واعتباره سارقاً :

عن الصادق (ع) أنه قال : « من منع الزكاة سأل الرجعة عند الموت ، وهو قول الله عز وجل : ﴿ **حتى إذا جاء أحدهم الموت قال ربِّ ارجعوني لعلي أعمل صالحاً فيما تركت** ﴾ »[١٤] .

وعن الصادق (ع) أنه قال : « إذا قام القائم أخذ مانع الزكاة فضرب عنقه »[١٥] .

عن الصادق (ع) أنه قال : « السرّاق ثلاثة : مانع الزكاة ، ومستحل مهور النساء ، وكذلك من استدان ولم ينوِ قضاءه »[١٦] .

٦ ـ عقاب مانع الزكاة في الآخرة : التطويق بما بخل ، وأن يجر أمعاءه في النار ، وشد الأيدي إلى الأعناق :

عن الباقر (ع) أنه قال : « الذي يمنع الزكاة يحوّل الله ماله يوم القيامة شجاعاً ، من نازله ريمتان ، فيطوقه إياه ، ثم يقال ألزمه كما لزمك في الدنيا وهو قول الله : ﴿ **سيطوقون ما بخلوا به** ﴾[١٧] . .

وعن رسول الله (ص) أنه قال : « مانع الزكاة يجر قصبه في النار ، (يعني أمعاءه في النار) ومثّل له ماله في النار في صورة شجاع أقرع ، له زبيبان أو زبيبتان يفر الإنسان منه وهو يتبعه حتى يقضمه كما يقضم الفجل ويقول : أنا مالك الذي بخلت به »[١٨] .

عن الباقر (ع) أنه قال : « إنّ الله عزّ وجل يبعث يوم القيامة ناساً من قبورهم مشدودة أيديهم إلى أعناقهم ، لا يستطيعون أن يتناولوا بها قيد أنملة ، معهم ملائكة يعيرونهم تعييراً شديداً ، يقولون : « هؤلاء الذين منعوا خيراً قليلاً ، من خير كثير ، هؤلاء الذين أعطاهم الله عزّ وجل ، فمنعوا حقّ الله عزّ وجل في أموالهم »[١٩] .

٧ ـ مانع الزكاة كافر :

عن رسول الله (ص) أنه قال : « من منع قيراطاً من زكاة ماله فليس بمؤمن ولا مسلم ولا كرامة »[٢٠] .

عن الصادق (ع) أنه قال : « من منع قيراطاً من الزكاة ، فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً »[٢١] .

٨ ـ طيب النفس بالزكاة كفارة وحاجز من النار :

عن علي (ع) أنه قال : « إنّ الزكاة جعلت مع الصلاة قرباناً لأهل الإسلام ، فمن أعطاها طيّب النفس بها فإنها تجعل له كفارة ؛ ومن النار حجازاً ووقاية ، فلا يتبعنّها أحد نفسه ، ولا يكثرن عليها لهفة ، فإن من أعطاها غير طيب النفس بها ، يرجو بها هو أفضل منها ، جاهل بالسنّة ، مغبون الأجر ضال العمل ، طويل الندم »[٢٢] .

وخلاصة المعاني الواردة في الأحاديث السابقة هي كالآتي :

١ ـ إنّ الزكاة مدعاة لقبول الصلاة ، لأنّ مانع الزكاة لا تقبل صلاته .

٢ ـ وهي وسيلة للعطف على أهل المسكنة ومعونتهم ، وهي لو أديت كما يجب ما بقي مسلم فقيراً محتاجاً .

٣ ـ ودفعها عن طيب نفس توأم الإيمان الصادق ، والنفس الزكية الطاهرة .

٤ ـ والزكاة حصن المال فلا يضيع مال إلّا بتضييع الزكاة .

٥ ـ وإذا بخلت السماء بمائها ، والأرض بنباتها ، كان ذلك بسبب منع الزكاة وعدم إعطاء الفقير حقّه .

٦ ـ ومنع الزكاة يؤدي إلى موت المواشي ، باعتبار أن الأرض تمنع بركاتها من الزرع والثمار ، فيقل غذاء هذه المواشي وفي ذلك موتها ، وانتشار للأوبئة والأمراض التي تقضي عليها .

٧ ـ والذي يمنع الزكاة في حياته ، سيندم في آخرته ندماً ولا أكبر وهيهات

أن ينفع ندم بعد فوات الأوان ، لأنّ الحياة عمل ، والاخرة حساب ـ وإذا سأل مانع الزكاة العودة إلى الدنيا لكي يعمل عملاً صالحاً يرفض طلبه ويقرع تقريعاً مهيناً .

٨ ـ ومانع الزكاة يستحق ضرب العنق ، والقائم (عج) سيضرب عنق كل مانع زكاة . وهذا المانع يسمى سارقاً لأنه سرق حقّ الفقراء والمساكين ولم يؤد ما عليه .

٩ ـ والزكاة الممنوعة ستتحول في الآخرة إلى شجاع أقرع (ثعبان مخيف المنظر) يلاحق هذا المانع للزكاة ، حتى يلحق به ، فيبدأ بقضم أطرافه كما يقضم الفجل ، أعاذنا الله من هول ذلك اليوم .

١٠ ـ والأنكى من ذلك وأدهى ، أن الذي يمنع الزكاة وينكر وجوبها يرتد كافراً ، ويعامل يوم القيامة معاملة الكفار، الذين لا مصير لهم إلاّ النار ، وبئس القرار لأنه ليس بمؤمن ولا مسلم .

كما أنّ مانع قيراط واحد من الزكاة ، إن مات مات يهودياً أو نصرانياً ، ولا محيص أمام من أراد النجاة إلاّ دفع الأخماس والزكوات ، حتى ينجو من شجاع أقرع يطارده ، كما جاء في الرواية ، هذا عدا عن أن عمله يضل ، وندمه يطول .

٩ ـ في المال حق معلوم للفقراء ، غير الزكاة :

يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ والذين في أموالهم حقّ معلوم للسائل والمحروم ﴾[١] .

وعن الصادق (ع) أنه قال : « . . ولكن الله عزّ وجل فرض في أموال الأغنياء حقوقاً غير الزكاة ، فقال عزّ وجل ﴿ والذين في أموالهم . . . ﴾ فالحقّ المعلوم غير الزكاة ، وهو شيء يفرضه الرجل على نفسه في ماله يجب عليه أن يفرضه على قدر طاقته وسعة ماله فيؤدي الذي فرض على نفسه إن شاء في كل يوم وإن شاء كل جمعة وإن شاء كل شهر . . . »[٢٣] .

---

[١] سورة المعارج : ٢٤ ـ ٢٥ .

إنّ الزكاة والخمس فروض معينة ، ومعلومة القيمة في مال الإنسان الغني ، وهي واجبة وإلاّ عدّ مانعها مخالفاً للتشريع السماوي ، أو سارقاً أو كافراً مرتداً كما بيّنا آنفاً .

وإنّ هناك حقوقاً أخرى يجب على الإنسان الغني دفعها إلى الفقراء المحتاجين ، وربما كانت هذه الحقوق (مستحبات) مثل الصدقات والمعونات والهبات ونحوها ، وهذه دفعها سراً خير من دفعها علانية ، لأن صدقة السر تطفيء غضب الرب .

١٠ ـ الزكاة ظاهرة وباطنة :

عن المفضل قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فسأله رجل في كم تجب الزكاة من المال ؟ فقال له : « الزكاة الظاهرة أم الباطنة ؟» قال أريدهما جميعاً . فقال : « أما الظاهرة ففي كل ألف خمسة وعشرون درهماً ، وأما في الباطنة فلا تستأثر على أخيك بما هو أحوج إليه منك »[٢٤] .

١١ ـ لكل شيء زكاة فزكّ نفسك :

قال الإمام علي (ع) :

« ١ ـ زكاة القدرة : الإنصاف .

٢ ـ زكاة الجمال : العفاف .

٣ ـ زكاة الظفر : الإحسان والعفو .

٤ ـ زكاة اليسار : برّ الجيران ، وصلة الأرحام .

٥ ـ زكاة الصحة : السعي في طاعة الله .

٦ ـ زكاة الشجاعة : الجهاد في سبيل الله .

٧ ـ زكاة النعم : اصطناع المعروف .

٨ ـ زكاة العلم : بذله لمستحقه وإجهاد النفس .

٩ ـ زكاة العقل : احتمال الجهل .

١٠ ـ زكاة الأبدان : العمل ، وما أديت زكاته فهو مأمون السلب .

١١ ـ زكاة الجاه : الشفاعة » .

وقال الصادق (ع) : « على كل جزء من أجزائك زكاة واجبة لله عزّ وجل ، بل على كل شعرة ، بل على كل لحظة .

١ ـ فزكاة العين : النظر بالعبرة ، والغض عن الشهوات ، وما يضاهيها .

٢ ـ وزكاة الأذن : إستماع العلم والحكمة والقرآن ، وفوائد الدين من الموعظة والنصيحة ، وما فيه نجاتك بالإعراض عمّا هو ضده من الكذب ، والغيبة وأشباههما .

٣ ـ وزكاة البدن : الصوم ، والجهاد ، وأن تصاب بآفة أو علة ، وتنكب النكبة ، وتعثر العثرة ، وتمرض المرضة ، وتشاك الشوكة وأن تخدش الخدش . . . وإختلاج العين .

٤ ـ وزكاة اللسان : النصح للمسلمين ، والتيقظ للغافلين ، وكثرة التسبيح والذكر ، وغيره .

٥ ـ وزكاة اليد : البذل والسخاء بما أنعم الله عليك ، وتحريكها بكتابة العلوم ، ومنافع ينتفع بها المسلمون في طاعة الله ، والقبض عن الشرور .

٦ ـ وزكاة الرجل : السعي في حقوق الله من زيارة الصالحين ، ومجالس الذكر ، وإصلاح الناس ، وصلة الرحم ، والجهاد ، وما فيه صلاح قلبك ، وسلامة دينك .

هذا ما تحمل القلوب فهمه ، والنفوس استعماله ، وما لا يشرف عليه إلا عباده المقربون المخلصون أكثر من أن يحصى ، وهم أربابه وهو شعارهم ودثارهم »[٢٥] .

١٢ ـ زكاة الفطرة من تمام الصوم :

عن الإمام الصادق (ع) أنه قال : « إنّ من تمام الصوم إعطاء الزكاة يعني الفطرة . كما أن الصلاة على النبي (ص) من تمام الصلاة لأنه من صام ولم يؤد الزكاة فلا صوم له إذا تركها متعمداً »[٢٦] .

وعن علي (ع) أيضاً أنـه قال : « من أدى زكـاة الفطرة تمم الله بهـا ما نقص من زكاة ماله »[٢٧] .

وعن أبي عبـد الله قال : « إنّ الله أشرك بـين الأغنياء والفقـراء في الأمـوال فليس لهم أن يصرفوا إلى غير شركائهم » .

وقال الصادق عليه السلام : « إنّما وضعت الزكاة اختباراً لـلأغنياء ومعـونة للفقـراء ، ولو أن الناس أدوا الـزكاة من أمـوالهم ما بقي مسلم فقيـراً محتاجـاً ولا مستغن بما فرض الله له ، وأن الناس ما افتقروا ولا احتاجوا ولا جـاعوا ولا عـروا إلّا بذنوب الأغنياء . . .

وحقيق على الله أن يمنع رحمته ممّن منع حق الله في ماله ـ وأقسم بالذي خلق الخلق وبسط الرزق ـ أنه ما ضاع مـال في بر ولا بحـر إلّا بترك الـزكاة ـ ومـا صيد صيد في بر ولا بحر إلّا بتركه التسبيح في ذلك اليوم وأنّ أحبّ الناس إلى الله تعالى أسخـاهم كفاً ، وأسخى النـاس من أدى زكاة مـاله ، ولم يبخـل على المؤمنـين بما افترض الله لهم في ماله »[٢٨] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إنّ الزكاة ليس يحمد بها صـاحبها وإنّمـا هي شيء ظاهر حقن بها دمه وسمّي بها مسلماً ، ولو لم يؤدها لم تقبل له صلاة » .

١٣ ـ سر وجوب الزكاة وفضيلة الإنفاق

يقول العلامة النراقي :

إنّ السر في إيجاب الزكاة ، بل فضيلة مطلق إنفاق المال ، ثلاثة أمور :

الأول : إنّ التوحيد التام ألّا يبقى للموحّـد محبوب سـوى الواحـد الفرد إذ المحبة لا تقبل الشركـة ، والتوحيـد باللسـان قليل الجـدوى ، وإنّما تمتحن درجـة الحب بمفارقة سائر المحاب ، والأموال محبـوبة عنـد الناس لأنها تمتعهم بـالدنيـا ، ولأجلها يأنسون بهذا العالم ويخافون من الموت ، ويتوحشون منه ، مع أن فيـه لقاء ـ المحبـوب ـ فـامتحنـوا في دعـواهم الحب التـام لله تعـالى بمفـارقتهم عن بعض محـابهم ، أعني المال ، ولـذلك قـال الله سبحانـه : ﴿ إنّ الله اشترى من المؤمنـين

أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾[١] .

ولفهم هذا السر في بذل الأموال إنقسم الناس بحسب درجاتهم في التوحيد والمحبة إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : صدقوا التوحيد ، ووفوا بعهده ، ولم يجعلوا قلوبهم إلاّ محلاً لحب واحد . فنزلوا عن جميع أموالهم ، ولم يدخروا شيئاً من الدرهم والدينار ، وغير ذلك من أنواع المال ، حتى قيل لبعضهم في شأن الزكاة : كم يجب من الزكاة في مائتي درهم ؟ فقال : أما العوام بحكم الشرع فخمسة دراهم ، وأمّا نحن فيجب علينا بذل الجميع وسئل الصادق (ع) : وفي كم تجب الزكاة من المال ؟ فقال : أمّا الزكاة الظاهرة ففي كل ألف ، خمسة وعشرون ، وأمّا الباطنة فلا تستأثر على أخيك بما هو أحوج إليه منك » .

القسم الثاني : درجتهم دون هذا ، وهم الذين أمسكوا أموالهم ولكنهم راقبوا مواقيت الحاجات ، ومواسم الخيرات ، ويكون قصدهم من الإمساك الإنفاق على قدر الحاجة ، دون التنعم وصرف الفاضل عن قدر الحاجة إلى وجوه أكبر ـ وهؤلاء لا يقتصرون على إعطاء مجرد ما يجب عليهم من الزكاة والخمس ـ بل يؤدون جميع أنواع البر والمعروف أو أكثرها .

القسم الثالث : اقتصروا على أداء الواجب فلا يزيدون عليه ولا ينقصون منه ، وهو أدون الدرجات ، وأقل المراتب وهو درجة العوام الراغبين في المال ، لجهلهم بحقيقته وفائدته وضعف حبهم للآخرة .

الثاني : تطهير النفس عن رذيلة البخل ، فإنّه من المهلكات وإنّما تزول هذه

---

[١] سورة التوبة : الآية ١١ .

الـرذيلة ببذل المـال مرة بعـد أخرى حتى يتعـود الإنسان عـلى ذلـك ، إذ أنّ حبّ الشيء لا ينقطع إلاّ بقهر النفس عـلى مفارقتـه حتى يصير ذلـك عادة وعـلى هذا ، فالإنفاق يطهر صاحبه من خبث البخل ، المهلك وإنّما طهـارته بقـدر بذلـه وبقدر فرحه بإخراجه واستبشاره بصرفه إلى الله تعالى .

الثالث : شكر النعمة ، فإنّ لله سبحانه على عبده نعمـة في نفسه ، ونعمـة في ماله : فالعبادات البدنية شكر لنعمة البـدن ، والماليـة شكر لنعمـة المال ، ومـا أقبح بالغني المسلم أن ينظر إلى فقير مسلم ، وقد ضيّق الرزق عليه وأحوج إليـه ، ثم لا تسمح نفسه أن يؤدي شكر الله تعالى عـلى إغنائـه عن السؤال وإحواج غـيره إليه ، بإعطاء عشر أو ربع عشر من ماله »[٢٩] .

إنّ للزكاة جانبين : إلزامي وتطوعي .

فالجانب الإلزامي : هو الفـرض الواجب عـلى كل مسلم مستـطيع ، وهي كما هو معلوم من فروع الدين ، ومن قطعها أو منعهـا عامـداً منكراً لـوجوبهـا عدّ كافراً .

والجانب التطوعي : وهو ما سميّ بالصدقات المندوبـة ودفع الـزكاة جهـراً خير من دفعها سراً ، بينما تأدية المستحب سراً خير من تـأديته جهـراً ، وقد تحـدثنا سابقاً عن هذا فراجعه إن شئت . والسؤال الآن : **لماذا شرّعت الزكاة ؟**

والجواب : لقد شرّعت الزكاة لأمور كثيرة منها :

١ ـ من أجل قوت الفقراء كما مر .

٢ ـ الربح المادي والمعنوي من الله ، فالله يربي المال المزكّى فيضاعفه ، ومن الملاحظ أن من لا يدفع الزكاة أو الخمس عن طيب نفس فسيدفعها مرغماً ، وذلك متسبب عن الحوادث والنكبات التي تصيبه في حياته ، والتي تضطره لأن يدفع أكثر بكثير من ماله ونفسه ، للتطبيب أو إصلاح شأنه ، أو دفع الديات والغرامـات لمن تسبب في أذيتهم أو غير ذلك .

ومن لا يؤدي زكاة أو خمس ماله فهو سارق لأموال الآخرين ، لذلـك كانت صلاته بثوب مغصوب وهي غير مقبولة لأن جزء من ثمن هذه الثياب مال حرام ،

قد سرق من الفقراء ، على أساس أن فيه الخمس أو الزكاة .

الزكاة والمؤلفة قلوبهم :

ولا بأس هنا بالحديث عن معالجة الإسلام لضعاف النفوس ، وضعاف الإيمان عن طريق الزكاة ، فقد جعل تعالى أحد مصارف الزكاة ، للمؤلفة قلوبهم ، وباعتبار أن طبائع الناس مختلفة ، إذ أن بعضهم يهمه فقط تحصيل المال ، ولو أن الصلاة مثلاً كلفتهم شيئاً من أموالهم لتركوها كما تركوا أشرف الأعمال وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما جاء في الخبر ، والوصول إلى عقول وقلوب هؤلاء ، لا يكون إلّا عن طريق الجيوب أو البطون لتحييدهم أو استمالتهم إلى الإسلام ، ومنعهم من أذى المجاهدين والعاملين في سبيل الله .

وبهذه الطريقة يعالج الإسلام هؤلاء الناس ، فيعطيهم من الزكاة ، ويقربهم من نهج الإسلام الصحيح ، بحيث لا يقفون بوجهه إن لم يلتزموا به التزاماً كاملاً .

وقد قال تعالى : **﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله ﴾**[1] .

إنّ الله تعالى قد قرن تأدية الزكاة بالإيمان بالله واليوم الآخر ، وإقامة الصلاة ، كما أنه ربطها أيضاً بكثير من الصفات الخاصة بالمؤمنين ومنها : الوفاء بالعهد ـ التقى ـ الأخوّة في الدين ـ طاعة الله ورسوله ـ فعل الخيرات ـ التمكين في الأرض ـ عدم اللهو بالبيع والتجارة عن ذكر الله ـ التوبة وإقراض الله القرض الحسن . . . وهذا ما يظهر من بعض النصوص المقدسة .

طريقة جباية الزكاة

قال بريدة سمعت أبا عبد الله (ع) يقول : بعث أمير المؤمنين (ع) (مصدّقاً) من الكوفة ، إلى باديتها فقال له : يا عبد الله انطلق وعليك بتقوى الله

---

[1] سورة البقرة : الآية ١١٠ .

وحده ، لا شريك له ، ولا تؤثر دنياك على آخرتك ، وكن حافظاً لما ائتمنك عليه داعياً لحق الله فيه ، حتى تأتي نادي بني فلان ، فإذا قدمت فأنزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم . ثم أوح إليهم بسكينة ووقار حتى تقوم بينهم ، فتسلّم عليهم ، ثم قُل لهم : يا عباد الله أرسلني إليكم وليّ الله ، لآخذ منكم حقّ الله ، في أموالكم ، فهل في أموالكم من حقّ فتؤدوه إلى وليّه ؟ فإنّ قال لك قائل لا ، فلا تراجعه . . . وإن أنعم لك منهم منعم ، فانطلق معه من غير أن تخيفه ولا تعده إلّا خيراً . . فإذا أتيت ماله فلا تدخله إلّا بإذنه ، فإن أكثره له ، فقل يا عبد الله أتأذن لي في دخول مالك ؟ فإن أذن لك فلا تدخله دخول متسلط عليه فيه ولا عنف له . . فاصدع المال صدعين ، ثم خيّره فأيهما اختار فلا تعرض له ثم أصدع الباقي صدعين ثم خيّره فأيهما اختار فلا تعرض له ولا تزال كذلك حتى يبقى ما فيه وفاء لحقّ الله في ماله فإذا بقي ذلك فاقبض حقّ الله منه ـ وإن استقالك فأقله . .

ثم أخلطهما واصنع مثل الذي صنعت أولاً حتى تأخذ حقّ الله من ماله ـ فإذا قبضته فلا توكل به إلا ناصحاً أميناً حفيظاً غير معنّف بشيء منها ، ثم أصدر كل ما اجتمع عندك من كل ما عاد إلينا وصيّره حيث أمر الله عزّ وجلّ فإذا انحدر بها رسولك ، فأوعد إليه أن لا يحول بين ناقة وبين فصيلها ، ولا يفرق بينهما ولا يمصرن لبنها فيضر ذلك بفصيلها ، ولا يجهد بها ركوباً وليعدل بينها في ذلك ، وليوردهن كل ماء يمر به ، ولا يعدل بهن عن نبت الأرض أي جوار الطرق في الساحة التي فيها تريح وتعبق ، وليرفق بهنّ جهده حتى تأتينا بإذن الله سبحانه صحاحاً سماناً ، غير متعبات ولا مجهدات فيقسمن بإذن الله على كتاب الله وسنّة نبيه وأوليائه ، فإنّ ذلك أعظم لأجرك وأقرب لرسول الله (ص) ، ينظر الله إليها وإليك وإلى جهدك ونصيحتك لمن بعثك وبعثت في حاجته فإنّ رسول الله (ص) قال ما ينظر الله إلى عبد يجهد نفسه بالطاعة والنصيحة له ولا حاجة إلّا كان معنا في الرفيق الأعلى .

إنّ الحديث الذي أوردناه يقدم المثال الأعلى في الأخلاق والتربية الإجتماعية الراقية وتطبيق التعاليم المستفادة منه تنشر جواً من الرحمة والعدل والمساواة بين الناس في التعامل والتعاطي الرسالي .

بالإضافة إلى أن الحديث الأنف الذكر ، يبين مواصفات وميزات العامل على الزكاة أي الجابي ، كما يريدها الإسلام ، بعكس جباة الضرائب في الدول ذات الأنظمة الوضعية ، الذين ينطلقون عادة من منطلقات مادية وقانونية ، لا تراعي المشاعر الإنسانية في أكثر الأحوال .

من مواصفات العاملين على الزكاة (الجباة) :

١ ـ أن يكون مُصدّقاً ـ أي موثوقاً ـ لأنه لو كان غير ذلك لما ائتمنه الناس ، ولما أدوا إليه ما عليهم من حقوق .

٢ ـ أن يكون تقياً ـ أي يخاف الله ـ لأنه لو كان غير ذلك لخان ما ائتمن عليه .

٣ ـ أن لا يؤثر الدنيا على الآخرة ، لأن الذي يؤثر الدنيا على الآخرة ، لا يرى إلّا نفسه ولا يسعى إلّا لمصلحته الخاصة ، ولو على حساب مصالح الآخرين .

٤ ـ أن يكون أميناً محافظاً على الأمانة وغير مستهتر ولا مهمل ، وإلّا ضاع العمل وانتهكت الأمانات . . .

٥ ـ أن يكون لين المعشر سَهلَه فيه سكينة ووقار . .

٦ ـ أن يكون قادراً على استعمال الأسلوب المنطقي المقنع ، وإلّا لفشل في مهمته الصعبة .

٧ ـ أن يكون قادراً على استيعاب الأمور ، حتى لا يضيق صدره أمام أصغر مشكلة تعترضه باعتبار أن سعة الصدر آلة الرياسة والسياسة .

٨ ـ أن يكون حليماً لا يغضب ولا ينفعل ، لأنّ الغضب مرض عضال ، لا يستقيم معه أمر .

٩ ـ أن يكون عنده القدرة على التعامل مع الناس ، بدون تسلط ولا تجبر ولا عنف .

١٠ ـ أن يكون عارفاً أنّ دخول بيوت أو أرزاق الناس لا يصح ولا يجوز إلاّ بإذن أصحابها .

١١ ـ أن يكون عارفاً بطريقة تحصيل الزكاة بالشكل الـذي يرضي صـاحب المال ولا ينفره .

١٢ ـ أن يكون قادراً على اختيار الرجال الأكفّـاء لمساعـدته في حفظ الـزكاة وعدم التفريط بها أو إضاعتها .

١٣ ـ أن يكون رحيماً حتى مع الحيوانـات ، لأنّ من لا يرحم الحيـوان ، لا يرحم الإنسان .

والرحمة تكون في حال الـركوب عليهـا وفي سقيها ، وفي أطعـامها ، وعـدم منع صغارها من الحليب .

بعض أحكام وآداب الزكاة :

١ ـ يروي رجل من ثقيف ، استعمله الإمـام أمير المؤمنـين (ع) على سـواد من سواد الكوفة يقول :

قال الإمام عليه السلام : « إيّاك أن تضرب مسلماً ، أو يهودياً ، أو نصرانياً في درهم خـراج أو تبيع دابـة عمل في درهم فـإنّما أمـرنا أن نـأخذ منهم (العفـو) وأشـار إلى قـولـه تعـالى : ﴿ **خـذ العفـو وأمـر بـالعـرف واعـرض عن الجاهلين** ﴾[١] » .

إنّ ما نستفيده من كلام الإمام (ع) هو الآتي :

١ ـ استعمال الرحمة مع الناس .

٢ ـ إعطاؤهم الفرصة لتمكينهم من الأداء .

٣ ـ أخذ العفو ممّن لا يستطيع الأداء .

---

[١] سورة الأعراف : الآية ١٩٩ .

وبمعنى آخر : إنّ إعطاء المهلة أمر مطلوب ، والأخذ وتحصيل الحقوق الشرعية لا يكون إلاّ حسب الإستطاعة ، فمن لا يستطيع أداءها ، لا يضرب حتى يدفع ، ولا تباع دابته . والأفضل أن يترك الأمر لهم ، وأن يعفى عنهم عند عدم الإستطاعة ، على أن يبينّ لهم النفع من عَملية أداء الزكاة ، وماله من دور هام في سد حاجة المحتاجين من الفقراء والمعوزين . . . وغير ذلك .

٢ ـ قال أبو عبد الله عليه السلام : « كان رسول الله (ص) يقسم صدقة أهل البوادي في أهل البوادي ، وصدقة أهل الحضر في أهل الحضر ، حتى أنه لو وجد في بلدة مستحق يندب (يستحب) ألاّ تنقل الزكاة إلى مكان آخر .

فقال محمد بن مسلم قلت لأبي عبد الله عليه السلام : رجل بعث بزكاة ماله لتقسم فضاعت هل عليه ضمانها حتى تقسم ؟ .

فقال : إذا وجد لها موضعاً فلم يدفعها إليه فهو لها ضامن حتى يدفعها ، وإن لم يجد لها من يدفعها إليه فبعث بها إلى أهلها ، فليس عليه ضمان لأنها قد خرجت من يده .

٣ ـ ولصاحب الزكاة أن يدفعها بنفسه إلى المستحق بدون الرجوع إلى الحاكم الإسلامي ، قال جابر : أقبل رجل إلى أبي جعفر (ع) وأنا حاضر فقال : يرحمك الله أقبض مني هذه الخمسماية درهم فضعها في مواضعها فقال أبو جعفر (ع) : بل خذها أنت فضعها في جيرانك ، والأيتام ، والمساكين ، وفي أخوانك من المسلمين .

إنّ المبادىء والأحكام المستفادة من هذا الحديث هي :

أ ـ عدم إخراج الزكاة من بلد وفيه مستحق .

ب ـ عدم ضمان الزكاة المرسلة إلى بلد آخر إذا لم يكن في بلده مستحق .

ج ـ وضمان الزكاة إذا كان هناك مستحقّون في البلد ولم يدفعها إليهم . . .

٤ ـ وقال عثمان بن عمران لأبي عبد الله (ع) إني رجل موسر ويجيء الرجل ويسألني الشيء وليس هو إبّان زكاتي ؟ فقال له أبو عبد الله (ع) : القرض عندنا بثمانية عشر والصدقة بعشرة وماذا عليك إن كنت كما تقول موسراً أعطيته فإذا كان أبان زكاتك احتسبت بها من الزكاة يا عثمان لا تردّه فإنّ رده عند الله عظيم » .

أ ـ إن القرض الحسن خير من الصدقة ، لأن القرض بثماني عشرة حسنة بينما الصدقة بعشر حسنات .

ب ـ وإنّ الزكاة وإن لم تكن في وقت أدائها تقرض إلى المحتاج والمستحق لها ثم تحسب عندما يأتي الوقت المناسب .

٥ ـ وقال أبو بصير قلت لأبي عبد الله (ع) : الرجل يموت ويترك العيال يعطون من الزكاة ؟ قال : « نعم حتى ينشأوا ويبلغوا يحفظ فيهم ميتهم » .

إنّ رحمة الله تطال الجميع ، والتشريع الإسلامي يتّسع لكل جوانب الحياة ، ومن ذلك :

ـ أنّ الزكاة تعطى للعيال إذا مات عائلهم .

ـ لأنه بحفظ العيال الصغار ، حتى يكبروا حفظ للميت .

٦ ـ ولصاحب الزكاة أن يشتري العروض حيث يراه خيراً للفقير .

قال يونس : قلت لأبي عبد الله (ع) : عيال المسلمين أعطيهم من الزكاة ، فاشتري لهم منها ثياباً وطعاماً وأرى أنّ ذلك خير لهم ؟ فقال (ع) : « لا بأس » .

إنّ الزكاة تعطى ثياباً وطعاماً لمستحقيها إذا لزم الأمر ، وذلك خير لأنّ الهدف إيصال ما ينفع ويقيم أود المحتاجين .

٧ ـ وإذا غيّر المالك بعض النصاب فراراً من وجوب الزكاة لم تجب عليه ، وإن كان فراره مرغوباً عنه :

قال زرارة : قلت لأبي جعفر (ع) : رجل كانت عنده دراهم أشهراً فحولّها دنانير ، فحال منذ ملكها دراهم حولاً أيزكيها ؟ قال (ع) : « لا » .

إذن لا تزكّى الأموال دنانير كانت أو دراهم أو غير ذلك من ذهب أو فضة إلّا إذا حال عليها الحول ، وحتى ولو حوّلها صاحبها (من دراهم إلى دنانير مثلاً) أو بالعكس خلال المدة وإن كان الأمر فراراً من الزكاة .

٨ ـ ولا يجب على المالك الإخراج من العين بل بما تيسّر :

قال البرقي : كتبت إلى أبي جعفر الثاني (ع) هل يجوز أن أخرج عمّا يجب في

الحرث من الحنطة والشعير وما يجب على الذهب دراهم قيمة ما يسوى ، أم لا يجوز إلّا أن يخرج من كل شيء ما فيه ؟ فأجاب أيّما تيسّر يخرج .

٩ ـ وما الحكم إذا دفع الزكاة إلى شخص ، ثم تبيّن أنه غير مستحق لها :

قال زرارة لأبي عبد الله (ع) في حديث فإن لم يعلم أهلها فدفعها إلى من ليس هو لها بأهل وقد كان طلب واجتهد ثم علم بعد ذلك سوء ما صنع ؟ قال : ليس عليه أن يؤديها مرة أخرى .

(هذا إلى مئات الأحكام التسهيلية المذكورة في كتب الفقه ، والتي لا تكاد تجد عشر معشارها في قانون أو ضريبة أو دين أو نظام ، أوليس من السخف أو العناد أن يقول الغرب الماكر ومؤيدوه الغفلة أنّ نظام الإسلام غير قابل للتطبيق ؟ أمثل هذا النظام (العاطفي ـ الإنساني ـ الواقعي) ، في الضريبة مثلاً غير قابل للتطبيق ، والضرائب المجحفة التي ترهق كواهل الشعوب قابلة للتطبيق . .) .

إنّ المتأمل في هذه النصوص يخلص إلى ما يلي :

١ ـ وجوب إخراج العين أو ما بقيمة العين .

٢ ـ يجب أن تدفع الزكاة إلى مستحقيها ، ويجب الإجتهاد في معرفة هؤلاء المستحقين ، حتى لا يحصل أي اشتباه .

٣ ـ إذا أعطيت الزكاة لغير مستحقيها جهلاً ، وعلم بعد إعطائها أنها في غير محلّها ، وأن صاحبها قد اجتهد لمعرفة المستحق ولكنه أخطأ ففي هذه الحال ليس عليه أن يدفعها مرة ثانية .

وهناك الكثير من الأحكام الموجودة في بطون الكتب الفقهية نقف ـ فيما يلي ـ عند أهمها :

تجب الزكاة في الأنعام الثلاث : الإبل ـ البقر ـ الغنم ـ (الماعز والضأن) .

وفي النقدين : الذهب والفضة .

وفي الغلّات الأربع : الحنطة والشعير والتمر والزبيب .

ولا تجب في غيرها ـ بل تستّحب :

النصاب (أي المقدار أو العدد المطلوب)

أ ـ في الإبل اثنا عشر نصاباً :

١ ـ كل خمسة من الإبل فيها ـ شاة واحدة .
٢ ـ كل عشرة من الإبل فيها ـ شاتان .
٣ ـ كل خمسة عشر من الإبل فيها ـ ثلاث شياه .
٤ ـ كل عشرين من الإبل فيها ـ أربع شياه .
٥ ـ كل خمسة وعشرين من الإبل فيها ـ خمس شياه .
٦ ـ كل ستة وعشرين من الإبل فيها ـ بنت مخاض .
٧ ـ كل ستة وثلاثين من الإبل فيها ـ بنت لبون .
٨ ـ كل ستة وأربعين من الإبل فيها ـ حقة واحدة .
٩ ـ كل إحدى وستين من الإبل فيها ـ جذعة واحدة .
١٠ ـ كل ستة وسبعين من الإبل فيها ـ بنتا لبون اثنتان .
١١ ـ كل إحدى وتسعين من الإبل فيها ـ حقتان إثنتان .
١٢ ـ كل مئة وإحدى وعشرين من الإبل فيها ـ في كل خمسين حقة أو في كل أربعين بنت لبون .

ملاحظة : بنت مخاض (إبل أكملت من العمر سنة واحدة ودخلت في السنة الثانية) .

بنت لبون (إبل أكملت من العمر سنتين إثنتين ودخلت في السنة الثالثة) .

حقة (إبل أكملت من العمر ثلاث سنوات ودخلت في السنة الرابعة) .

جذعة (إبل أكملت من العمر أربع سنوات ودخلت في السنة الخامسة) .

ب ـ في البقر ومنه الجاموس نصابان :

١ ـ كل ثلاثين من البقر وفيها ـ تبيع أو تبيعة .
٢ ـ كل أربعين من البقر وما زاد وفيها ـ مسنّة .

ملاحظة : تبيع أو تبيعة (بقرة أكملت من العمر سنة واحدة ودخلت في السنة الثانية) .

مسنّة (بقرة أكملت من العمر سنتين اثنتين ودخلت في السنة الثالثة) .

ج ـ في الغنم خمسة أنصبة أو نصب :

١ ـ كل أربعين وفيها ـ شاة واحدة .

٢ ـ كل مئة وإحدى وعشرين وفيها ـ شاتان اثنتان .

٣ ـ كل مئتين وواحدة وفيها ـ ثلاث شياه .

٤ ـ كل ثلاث مئة وواحدة فيها ـ أربع شياه .

٥ ـ كل أربع مئة فصاعداً وفيها ـ في كل مئة شاة بالغاً ما بلغ (أي ١٪) .

أحكام إضافية

١ ـ إنّ الشاة إذا كانت ماعزاً فلا بدّ أن تكون قد دخلت في السنة الثالثة .

أما إذا كانت من الغنم فلا بدّ أن تكون قد دخلت في السنة الثانية .

٢ ـ لا زكاة إلّا على السائمة وهي التي تعتمد على نفسها في الرعى طيلة سنة كاملة ، أمّا إذا علّفت في أثناء السنة بما يخرجها عن إسم السائمة فتصبح معلوفة فلا شيء عليها ، نعم لا يؤثر تناولها للعلف في يوم أو يومين .

٣ ـ يتحقق الحول بتمام الأحد عشر شهراً .

وتصبح الزكاة ملك أصحابها بدخول الشهر الثاني عشر . وإن كان هذا الحقّ أو الملك يبقى متزلزلاً ولا يحقّ التصرف منه تصرّفاً متلفاً في نهاية الشهر الثاني عشر ، وذلك في الحول الأول على أقل تقدير .

٤ ـ لو فقد أحد الشروط ، كعدد النصاب مثلاً ، في الشهر الثاني عشر لا يجب على المالك دفع الزكاة .

٥ ـ أن لا تكون عاملة في تمام الحول أو أثنائه فإن كانت كذلك فلا زكاة فيها وإن كانت سائمة ، ولا يؤثر استعمالها في الفلاحة أو النقل مثلاً لمدة يوم أو يومين . . .

الـذهب	
الأنصبة (كمية الذهب)	مقدار الزكاة
ـ عشرون ديناراً/٦٩ , ١٢ غراماً ـ لا زكـاة في أقـل من عشرين ديناراً ـ كلما زاد المبلغ ٤ دنـانـير ففيهـا (أي في كل أربعة) ـ أما إذا زاد أقل من أربعة دنانير	ـ نصف دينار/٧٢٨ , ١غراماً/ ـ عشر الـديـنـار $\frac{1}{10}$ /٣٤٠٦ , ٠ غراماً/ ـ فلا زكاة عليها

الفضـة	
الأنصبة (كمية الفضة)	مقدار الزكاة
ـ مئتا درهم/٤٨٤ غراماً/ ـ وكـلـما زاد أربـعـين درهماً/٨ , ٩٦ غراماً/	ـ ففيها خمسة دراهم/١ , ١٢ غراماً/ ـ ففيهـا درهم واحـد /٤٢٠ , ٢ غراماً/

أحكـام أخرى

١ ـ لا زكاة فيما دون المئتي درهم .

٢ ـ ولا فيما زاد عليها حتى يبلغ الأربعين درهماً .

٣ ـ المقـدار المتوجب إخـراجه من الـزكـاة في الـذهب والفضـة هـو (ربـع العشر) أي ٥ , ٢٪ شرط أن يتحقق النصاب كما ذكرنا آنفاً .

٤ ـ والذهب يخرج ذهباً والفضة فضة .

٥ ـ لا تجب الزكاة في غير المسكوك ، أمّا إذا كانت مسكوكة أي منقوشة من قبل حاكم ، مؤمناً كان أو كافراً ، فتجب ولو مسحت بالعارض .

٦ ـ وإذا استعمل المنقوش (المسكوك) حلية للزينة فلا تجب الزكاة فيه .

٧ ـ الحول ويعتبر أن يكون النصاب موجوداً فيه أجمع ، فلو نقص عنه في أثنائه أو تبدلت أعيان النصاب بجنسه أو غيره أو بتحويله إلى سبائك ولو بقصد الفرار من الزكاة لم تجب فيه الزكاة .

الغلّات الأربع :

(الحنطة ـ الشعير ـ التمر ـ الزبيب) .

١ ـ تجب الزكاة في الغلّات الأربع إذا بلغت النصاب / وهو ٨٤٧,٢٠٥ كلغ / فصاعداً ، ولا تجب في الأقل من النصاب .

٢ ـ مقدار زكاة الغلّات : ١٠٪ إن كانت مروية بالمطر أو نحوه مما لا كلفة فيه . و٥٪ إن كانت مروية بوسائل الري : يدوية أو آلية .

٣ ـ تجب زكاة الغلّات عند صدق التسمية (حنطة ـ شعير ـ تمر) ولا يترك الإحتياط في الحصرم .

ـ وقت وجوب الإخراج حين تصفية الغلة ، واجتذاذ التمر ، واقتطاف الزبيب ، وذلك في حال الجفاف ـ أمّا إذا كان في حال الجفاف ناقصاً فلا تجب الزكاة .

ـ التملك بالزراعة إن كان ممّا يزرع أو انتقال الزرع أو الثمرة مع الشجرة أو منفردة إلى ملكه قبل تعلق الزكاة فتجب عليه الزكاة على الأقوى فيما إذا نمت مع ذلك في ملكه وعلى الأحوط في غيره .

ـ ولو ملكه بالشراء ، كما إذا اشترى القمح مثلاً بعد حصاده لا تجب فيه الزكاة .

ـ تجب الزكاة في الغلّات بعد إخراج المؤن أي التكاليف ، أي على القسم المتبقي فقط .

المستحقون للزكاة ثمانية أصناف :

قال تعالى : ﴿ **إنّما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله** ﴾[1] .

من هذه الآية الكريمة نستنتج أن المستحقين للزكاة هم الأصناف التالية :

الأول : **الفقير** ، وهو من لا يملك مؤنة (مصاريف) سنته لا بالقوة ولا بالفعل .

الثاني : **المسكين** ، وهو من كانت حاله أسوأ من حال الفقير ، على قول .

الثالث : **العاملون عليها** ، أي جباة الزكاة يأخذون رواتبهم منها ، وهؤلاء تعينهم الدولة الإسلامية .

الرابع : **الغارمون** ، وهم الذين تراكمت الديون عليهم من حلال ، تؤدى عنهم من الزكاة .

الخامس : **في سبيل الله** ، وهو كل عمل فيه مصلحة للمسلمين عامة ، كبناء المستشفيات ، والمدارس وشق الطرق الخ . . .

السادس : **ابن السبيل** ، وهو المسافر الذي انقطع بحيث أنه لا يملك مالاً ليرجع به إلى بلده فيعطى من الزكاة ولو كان غنياً في بلاده .

السابع : **المؤلفة قلوبهم** ، وهم على قسمين :

١ ـ الكفار الذين يراد إلفتهم إلى الإسلام أو الجهاد .

٢ ـ المسلمون من أصحاب العقائد الضعيفة ، يعطون من الزكاة لتأليف قلوبهم ، وقد بينا سابقاً فلسفة هذا الحكم فراجعه إن رغبت .

الثامن : **في الرقاب** ، وهم العبيد ، وذلك إن قسماً من الزكاة كان يصرف لتحرير العبيد من الرق (أما في زمننا فلا موضوع لذلك) .

وللتذكير نكرر ما قلنا سابقاً إنّ الزكاة هي من ضروريات الدين ،

---

[١] سورة التوبة : الآية ٦٠ .

ومنكرها ، الذي يرجع إنكاره إلى إنكـار الرسـالة ، أو عـدم تصديق النبي (ص) هـو من الكفار ، وقـد ورد عن أهل البيت (ع) ، « إنّ مـانع قـيراط منها ليس من المؤمنين ولا من المسلمين . . . وليمت إن شاء يهودياً ، وإن نصرانياً . . . » .

أما فضلها فعظيم ، فقد ورد في فضـل الصدقـة وهي منها : ان الله يـربيها كما يربي أحدكم ولده حتى يلقاه الله يوم القيامة وهـو مثل أحـد ، وإنها تدفـع ميتة السوء . . . وصدقة السر تطفيء غضب الـرب » والله هو أرحم الـراحمين ، ورب المستضعفين ولا قوة إلاّ به والحمد لله رب العالمين .



مصادر ومراجع البحث

(١) رسالة الحقوق الإمام زين العابدين (ع) .
(٢) راجع : تفسير الميزان : ج ١٦ ، ص ١٧٨ وما بعدها .
(٣) رسالة الحقوق : الإمام زين العابدين (ع) .
(٤) راجع : جامع السعادات للنراقي .
(٥) بحار الأنوار : ج ٧٣ ، ص ٣٠٨ .
(٦) بحار الأنوار : م ٧٧ ، ص ٤٠٥ .
(٧) الوسائل : مجلد ٦ ، ص ٣ .
(٨) الوسائل : ج ٦ ص ٥ .
(٩) بحار الأنوار : ج ٩٦ ، ص ٢٣ .
(١٠) بحار الأنوار : ج ٧٨ ، ص ١٨٣ .
(١١) بحار الأنوار : ج ٦٩ ، ص ٣٩٢ .
(١٢) بحار الأنوار : ج ٧٣ ، ص ٣٦١ .
(١٣) بحار الأنوار : ج ٧٣ ، ص ٣٧٣ .
(١٤) بحار الأنوار : ج ٩٦ ، ص ٢١و٢٢ .
(١٥) بحار الأنوار : ج ٩٣ ، ص ٢١ .
(١٦) بحار الأنوار : ج ١٢ .
(١٧) بحار الأنوار : ج ٩٣ ، ص ٨ .
(١٨) بحار الأنوار : ج ٩٣ ، ص ١٥ .
(١٩) بحار الأنوار : ج ٩٣ ، ص ٢١ .
(٢٠) بحار الأنوار : ج ٧٧ ، ص ٥٨ .
(٢١) بحار الأنوار : ج ٩٣ ، ص ٢٠ .

(٢٢) بحار الأنوار : ج ٩٣ ، ص ٢٣ .
(٢٣) الوسائل : ج ٦ ص ٢٨ .
(٢٤) بحار الأنوار : ج ٧٤ ، ص ٣٩٦ .
(٢٥) بحار الأنوار : ج ٩٣ ، ص ٧ أيضاً مصباح التشريعة .
(٢٦) الوسائل : ج ٦ ، ص ٢٢١ .
(٢٧) الوسائل : ج ٦ ، ص ٢٢٠ .
(٢٨) راجع . جامع السعادات : ج ٣ ص ١٢٨ .
(٢٩) راجع : جامع السعادات : ج ٢ ص ١٢٩ .





الـرّخـاء والبـلاء ...
فتنة ونعمة

من كمـال الايمان أن تعـدّ الرخاء فتنة ، والبلاء نعمة .

محتويـات البحث

٢٨ ـ البلاء في طاعة الله ، أحبّ للمؤمن من صحة في معصيته .
٢٩ ـ القدر الإلهي والعمل البشري .
٣٠ ـ الحمل والعمر . . . وكل شيء بقدر وقضاء وعلم من الله .
٣١ ـ من آمن بالقدر استخفّ بالمصائب .
٣٢ ـ العقل ومكانته في عمل الإنسان .
٣٣ ـ الرخاء والكسب الحلال .
٣٤ ـ القيادة الإسلامية لا تعرف الرخاء مواساة للشعب المستضعف .
٣٥ ـ بيت الإمام الخميني (قده) .
٣٦ ـ مصروفات الإمام الخميني(قده) .
٣٧ ـ البلاء واستقرار حالة المؤمن النفسية .
٣٨ ـ البلاء والدعاء .
٣٩ ـ قصة النبي موسى (ع) والخضر (ع) . . فتن ونعم .
٤٠ ـ القصة من الروايات .
٤١ ـ أبعاد قصة الخضر مع موسى (ع) حسب نظرية المفروغ والمستأنف .
٤٢ ـ توضيح حول نظرية المفروغ والمستأنف . .



بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى : ﴿ ولنبلونّكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشّر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنّا لله وإنّا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربّهم وأولئك هم المهتدون ﴾[1] .

* * *

وقال رسول الله (ص) : « لا يكمل إيمان المؤمن حتى يعدّ الرخاء فتنة والبلاء نعمة »[2] .

وعن الرسول (ص) أيضاً : « لا تكون مؤمناً حتى تعدّ البلاء نعمة ، والرخاء محنة ، لأنّ بلاء الدنيا نعمة في الآخرة ، ورخاء الدنيا محنة في الآخرة »[3] .

* * *

ماهية الرخاء والبلاء

إنّ الرخاء والفتنة والنعمة هي مفردات تدخل ضمن إطار مفهوم

---

[1] سورة البقرة : الآية ١٥٥ .

[2] غرر الحكم ، كنز العمال خطبة ٧٢٩ .

[3] بحار الأنوار مجلد ٦٧ ص ٢٣٧ .

الإبتلاءات والإختبارات التي يجرّب بها الإنسان ليثبت ـ من خلال هـذه التجارب التي يمرّ بها ـ نجاحه وجدارته ، أو انهزامه وسقوطه .

ومع النجاح في الإختبارات تحصيل رضـا الله ، ورضوانـه ، وجنّة عـرضها السموات والأرض ، ومع السقوط غضب الله ، وناره التي لا تبقى ولا تذر .

ثمّ انّ كـمال إيمـان الإنسـان ، أو عـدم كـمالـه ، ونقصـه يتحـدد طـرداً ، وعكساً ، حسب نتائج هذه الإبتلاءات .

فـإذا اعتقد الإنسـان بأن الـرخاء الـذي أعطيـه ، والنعم التي أفاضهـا الله عليه ، ما هي إلاّ فتنة ينبغي ألاّ يفتن بها ، وان عليه أن يتعامل معها بما يتلاءم مع إرادة الخـالق ، ومشيئتـه ، ومـا يتـوافق مـع إطـاعـة أوامـره ، والإنتهـاء عن نواهيه . . . وإذا أيقن الإنسان أنّ البلاء ، أي بلاء ، كبيراً كان أم صغيراً ، هـو نعمـة أنعمها الله عليـه ليصبر ويتحمـل ، وينال الثـواب من الله ، ويبني بـذلـك شخصيته ، حتى يصبح قادراً على تحمّل الصعاب والمشقّات ، مستوعباً لما يـراد منه ، عارفاً بكل حيثيات مهمته ورسـالته ، في هـذا الكون الفسيـح . . إنْ أيقن بذلك وأدركـه ، فإنّ هـذا الإنسان ينجـح وينال الجـائزة الكـبرى التي أعدّهـا الله للصـابرين ، وإلاّ كـان الفشل والسقـوط والخسران من نصيبه ، وجـوزي الجزاء الوفاق ، على ما قدّمت يداه في هذه الحياة الدنيا .

مفردات البحث في اللغة والمصطلح

١ ـ الرخاء	٢ ـ الفتنة	٣ ـ البلاء
٤ ـ النعمة	٥ ـ المحنة	٦ ـ النقمة

١ ـ الـرخـاء

قـال الراغب في المفـردات : « الرخـاء يعني اللين ، وشيء رخـو يعني شيء ليّن » .

قال تعالى : ﴿فسخّـرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب﴾[١] .

---

[١] سورة ص : ٣٦ .

والمصدر : رخاء ورِخـاء ،الرجل في رخاء : في نعمة وسعة عيش .

وقال الزمخشري في أساس البلاغة : « يقال إنّ فلاناً لفي عيش رخي ، وفي رخاء من العيش ، وهو رخي البال »[1] .

٢ ـ الفتنـة

يقول الراغب : إنّ أصل الفَتْن هو إدخال الذهب النـار لإظهار جـودته من ردائه . .

واستعمل الفَتن في إدخال الإنسـان النار . ﴿ **يـوم هم على النـار يفتنون** ﴾ ﴿ **ذوقوا فتنتكم** ﴾ أي عذابكم .

ومن معاني الفتنة : العذاب ، ﴿ **ألا في الفتنة سقطوا** ﴾ .

وكذلك من معانيها : الإختبار ﴿ **وفتنّاك فتوناً** ﴾ .

والفتنة كالبلاء في انهما يستعملان فيما يدفع إليه الإنسان من شدّة ورخـاء ، وهما في الشدة أظهر معنى وأكثر استعمالاً ، قال تعـالى : ﴿ **ونبلوكم بالشرّ والخـير فتنة** ﴾ .

« الفتنة أشد من القتل » .

والفتنة تعني الوقوع في البليّة والعذاب قال تعالى : ﴿ **فتنتم أنفسكم** ﴾ .

والفتنة تكون لتمييز الخبيث من الطيّب . قال تعالى : ﴿ **ليميـز الله الخبيث من الطيّب** ﴾ .

وهكـذا فالفتنـة من الأفعال التي تكـون من الله تعـالى ومن العبـد كـالبليّـة والمصيبة والقتل والعذاب وغير ذلـك من الأفعال الكـريهة ومتى كـان الأمر من الله يكون على وجه الحكمة ، ومتى كان من الإنسان وبغير أمر الله لا يكون كـذلـك .

وجـاء في معجم ألفاظ القـرآن الكـريم : والفَتِـين من الأرض يعني الحـرة السوداء ، كأنها محرّقة ، وكذلك الأمة السوداء تسمّى مفتونة ، كأنها محترقـة ولأنها كالحرة السوداء .

ومن المعنى الحسي في الإحـراق تستعمل الفتنـة فيما هـو إهـاجـة أو إحـراق

معنوي قلبي كالحب والوله وما هو منه بسبيل الإعجاب والإغراء .

ويقول الزمخشري : يقال : أعوذ بالله من الفتّان (الشيطان) ويقال كذلك : استغوتهم الفُتّان (الشياطين) .

ويقال : هو مفتون بالدنيا ومُفْتَتِن وقد فتنته الدنيا .

والفتنة تعني الحرب ، قيل : بنو ثقيف يتفاتنون معناه يتحاربون .

والناس عبيد الفتّانين ، يعني الدرهم والدينار . جاء في الحديث : « ابتليتم بفتنة الضراء فصبرتم وستبتلون بفتنة السراء » وهذا يعني فتنة السيف ، وفتنة النساء .

وجاء كذلك : « إن كنتم من أهل الفطن فلا تدر حول الفتن »[٢] .

٣ ـ البــلاء

قال الراغب : إذا قيل : بلي الثوب بلى وبلاء أي خَلُقَ .

ويقال لمن يسافر كثيراً : بلاه السفر وأبلاه .

وبَلَوْتُه يعني أختبرته كأني أخلقته من كثرة اختباري له .

وسميّ الغمّ بلاء من حيث أنه يبلي الجسم : قال تعالى : ﴿ **وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم** * **ولنبلونكم بشيء من الخوف** ﴾ وقال عزّ وجل : ﴿ **إنْ هذا لهو البلاء المبين** ﴾ .

وسمي التكليف بلاء من أوجه :

الوجه الأول : انّ التكاليف كلها مشاق على الأبدان فصارت من هذا الوجه بلاء .

الوجه الثاني : انّ التكاليف اختبارات ، ولهذا قال الله عز وجل : ﴿ **ولنبلونّكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين** ﴾ .

الوجه الثالث : انّ إختبار الله تعالى للعباد ، تارة يكون للعباد بالمسارّ ليشكروا وتارة أخرى بالمضار ليصبروا فصارت المحنة والمنحة جميعاً بلاء ، فالمحنة

مقتضيـة للصبر والمنحـة مقتضية للشكـر والقيـام بحقـوق الصـبر أيسر من القيـام بحقوق الشكر ، ولذلك صارت المنحة أعظم البلاءين وبهذا قال أحدهم :

بلينا بالضراء فصبرنا وبُلينا بالسراء فلم نصبر » .

وقال أمير المؤمنين (ع) في هذا المجال : « من وسّع عليه دنياه فلم يعلم أنـه قـد مكر بـه فهو مخـدوع عن عقله » وقال تعـالى : ﴿ ونبلوكم بالشرّ والخـير فتنـة **وليبلي المؤمنين منه بلاء حسناً** ﴾ .

وإذا قيل ابتلى فـلان كذا أو أبـلاه فذلـك يتضمن أمرين : أحـدهما تَعَـرُّفُ حاله والوقوف عل ما يُجهل من أمره ، والثاني ظهور جودته ورداءته .

وجاء في أساس البلاغة : يقال أللهم لا تَبْلنا إلاّ بالذي هو أحسن .

وفي الحديث : أعوذ بالله من جهد البلاء إلاّ بلاء فيه علاء، أي علو منـزلة عند الله .

ويقال : لا أباليه : أي لا أخابره لقلة اكتراثي له ـ وهذا أفصح من لا أبالي به .

وقيـل : هو قلب لا أبـاوله (من البـال) أي لا أخطره ببـالي ولا ألقي إليه بالاً .

وأبليته عذراً إذا بَيَّنْتَه له بياناً لا لَـوْم عليك بعـده بمعنى آخر : جعلتـه باليـاً لعذري : أي خابراً له عالماً بكنهه .

ويقال أيضاً : أبـلى في الحرب بـلاء حسناً إذا أظهـر بأسـه حتى بلاه النـاس وخبروه ، وابتليت الأمر أي تَعَرَّفْتُه[٣] .

٤ ـ النعمـة :

قال الراغب : إنّ النعمة تعني الحالة الحسـنة وبنـاؤها بنـاء الجلسة والـرٌكبة وإنّ النعمة (التنعم) بناؤهـا كبناء المـرة من الفعل كـالضربة والشتمَـة ، والنعمة للجنس تقال للقليل والكثير .

قال تعالى : ﴿ **وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها** ﴾ ، ﴿ **اذكـروا نعمتي التي أنعمت عليكم** ﴾ ، ﴿ **وأتممت عليكم نعمتي** ﴾ ، ﴿ **فانقلبوا بنعمة من الله** ﴾ .

وفي معجم الفاظ القرآن الكريم انّ النعمة معناها : الخير يصل إلى المرء في دينـه ودنياه ، فـالمال نعمـة ، والجـاه نعمـة ، والإيمـان نعمـة ، والسمـع والبصر نعمتان ، والعلم والحكمة نعمة والقرآن نعمة . . .

والإنعام يعني إيصال الإحسان إلى الغير ـ ولا يقال إلاّ إذا كان الموصل إليـه من جِنْس الناطقين فلا يقال : أنعم فلان على فرسه ـ قال تعالى : إذ تقـول للذي أنعم الله عليه .

والنّعـماء نقيض الضراء ، قـال تعـالى : ﴿ **ولئن أذقنـاه نعـماء بعـد ضراء مسّته** ﴾ .

وفي المعجم أيضـاً : النعماء تعني النعمـة والنعيم ، هو كـل مـا يتلذذ بـه ، ويتنعم من مطعم ، ومفرش ، ومركب وغير ذلك .

والنعمى نقيض البؤس ، قال تعالى : ﴿ **إن هو إلا عبد أنعمنا عليه**) .

والنعيم معنـاه النعمـة الكثـيرة : قـال تعـالى : ﴿ **جنّات النعيم** ﴾ وفي المعجم : ومن النعيم الصحـة والأمن . . . وقد يـأتي بمعنى التلذذ بالنعم والتمتّـع بها .

وتنعّم معناه تناول ما فيه النّعمة وطيب العيش .

ونعّمه تنعيماً فتنعّم أي جعله في نعمة وفي لين عيش وخصب ، قال تعالى : ﴿ **فأكرمه ونعّمه** ﴾ .

ويقال طعام ناعم معناه طيب وسائغ وسهل الهضم .

والنَّعَمُ مختص بالإبل وجمعـه أنعام وسمي كـذلك لأنّ الإبـل في الباديـة من أعظم النعم .

وتقـال (الأنعام) لـلإبل والبقـر والغنم ، ولكن لا يقال لهـا (أنعام) حتى يكون في جملتها الإبل .

قال تعالى : ﴿ **وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون ، ومن الأنعام حمولة وفرشاً** ﴾ .

وقال كذلك : ﴿ **فاختلط به نبات الأرض ممّا يأكل الناس والأنعام** ﴾ .

فالأنعام هنا عام في الإبل وغيرها .

والنّعامى : الريح الجنوب الناعمة الهبوب .

وسميّت (النعامة) باسمها تشبيهاً بالنَّعَم في الخلقة .

وإنّ النعامة المظلة في الجبل وعلى رأس البئر تشبيهاً بالنَّعَامَةَ في الهيئة من البعد ـ وقولهم (تنعم فلان إذا مشى مشياً خفيفاً في النعمة) .

ونِعْمَ : كلمة تستعمل في المدح بإزاء بئس في الذّم .

قال تعالى : ﴿ **نِعْمَ العبد إنه أوّاب * فنعم أجر العاملين** ﴾ .

ونِعِمّاً : يقال : فبها ونِعْمَت أي نعمت الخصلة هي .

فعل كذا وأنعم أي زاد وأصله من الإنعام .

وفي المعجم قال : نَعِمَ يَنْعَمُ نَعْمَةً فهو ناعم وهي ناعمة كان في رفاهية من العيش وترف ولذاذة وحياة فَتَمَتّع بذلك وقرّت عينه .

وقال تعالى : ﴿ **وذرني والمكذّبين أولي النعمة ومهلهم قليلاً** ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿ **وجوه يومئذٍ ناعمة لسعيها راضية** ﴾[٢] .

نَعُمَ يَنْعَمُ نُعُومة فهو ناعم كان لينّ العيش ناضراً ـ ووجه ناعم ـ ناضر ذو بهجة ورُواء .

وأَنْعَمَ عليه : أوصل إليه خيراً وأحسَنَ إليه أو دفع عنه ضراً ، أو عفا عنه فلم يصبه بسوء(٤) .

---

[١] سورة المزمل : الآية ١١ .

[٢] سورة الغاشية : الآية ٨ .

٥ ـ المحنــة

قال الراغب : المَحْن والإمتحان يعني الإبتلاء .

قــال تعالى : ﴿ أولئـك الـذين امتحن الله قلوبهم للتقـوى ﴾ أي ابتـلاهم بالاختبار . وجاء في معجم ألفاظ القرآن الكريم :

يقـال : إمتحن فلان الـذهب والفضـة إذا أذابهما في النـار حتى تخْلُص من الخبث وتُصفّى وتُنقّى .

كما يقال : إمتحن فلاناً يعني اختبره ليعلم حقيقة أمره .

وامتحـان الله للعبد يكـون بتكليفه مـا شاء أو إنـزال ما شـاءبه من المكـروه ليظهر صدق إيمانه بالإمتثال أو الصبر .

وقــال الـزمخشري : مَحَنَ أي وقــع في محنـة ومحن . ومُحِنَ فــلان وامْتُحِنَ ويقـال : رجل مَمْحُـون ومُمتَحَن ومن المجاز : ثـوب ممحـون أي خلق ـ ومُحن هـذا الثوب إذا مُحِقَ بطول اللبس .

وَمَحَنَ الأديم أي مـدده حتى وسّعه ، وبـه فُسِّر قولـه تعـالى : ﴿ امتحن الله قلوبهم ﴾ أي شرحها ووسعها . . . (٥) .

٦ ـ النقمــة

في المفردات للراغب : يقال : نَقِمْتُ الشيء ونَقَمْتُه إذا نكرتـه إما بـاللسان وإما بالعقوبة .

قال تعالى : ﴿ وما نقموا منهم إلاّ أن أغنـاهم الله * وما نقمـوا منهم إلاّ أن يؤمنوا بالله ـ هل تنقمون منّا ﴾ .

وقـال الـراغب : والنِّقْمـة تعني العقـوبـة قـال تعـالى : ﴿ فـانتقمنـا منهم فأغرقناهم في اليّم * فانتقمنا من الذين أجرموا * فانتقمنا منهم فانظر كيف كـان عاقبة المكذبين ﴾ .

وفي معجم الألفاظ : إنْتَقَمَ منه : عاقبه على ذنب صدر منـه ، ويأتي الإنتقـام

في الكتاب مضافاً إلى الله سبحانه في قصة من أذنب من عباده .

قال تعالى : ﴿ **ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انْتِقام** ﴾[١] .

قال تعالى : ﴿ **إنّا من المجرمين مُنْتَقِمُونَ** ﴾[٢] .

ويقال ، كما في معجم ألفاظ القرآن الكريم : نَقَمَ الشيء نَقْماً ونُقُوماً ، كرهه أشدّ الكراهية وسَخِطَه ، ويقال : نَقَمَ من فلان أو على فلان الشيء عَابَه عليه وأنكره .

ونقول : فلان لا يَنْقَم من فلان إلّا أنه يحسن إليه ، أي أنه يكرهه ولا باعث على ذلك ، فإن التمس لذلك سبباً فلن يجد إلّا الإحسان وهو بلا ريب ليس سبباً للكراهة .

الموقف من الرخاء والبلاء :

قال تعالى : ﴿ **قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ، ومن شكر فإنّما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني كريم** ﴾[٣] .

إنّ بعض البشر يتعرضون لصنوف من الإبتلاء ، ربما انتهت بمصارعهم ، وليس أمام الفرد إلّا أن يستقبل البلاء النازل به بالصبر والتسليم ، وما دامت الحياة بما فيها ، تشكّل امتحاناً للناس فلنكرّس كل جهودنا للفوز بهذا الإمتحان . . . ومن يرغب في أن يشقّ طريقه في الحياة ، فعليه أن يعلم أن دربها مفروش بالأشواك ، لذلك فالأولى بالمؤمن أن يعدّ البلاء نعمة ، وانه هو كذلك حقيقة في الآخرة ، وأن يدرّب نفسه على تحمّل ذلك ، والقاعدة المستنتجة من النصوص الشريفة أنّ البلاء ينزل حسب مستوى الأشخاص ، وبقدر ما آتاهم الله من قدرات ومواهب ، وما أتوا به من أعمال .

---

[١] سورة المائدة : الآية ٩٥ .

[٢] سورة السجدة : الآية ٢٢ .

[٣] سورة النحل : الآية ٤٠ .

أشدّ الناس بلاء

سئل رسول الله (ص) : « أي الناس أشدّ بلاء قال (ص) : الأنبياء ثم الأمثل ، فالأمثل » .

نعم ، يبتلى الناس على قدر دينهم وتقواهم ، فمن قوي دينه ، اشتدّ بلاؤه ، ومن ضعف دينه ، ضعف وقلّ بلاؤه ، وإنّ الرجل ليصيبه البلاء ، حتى يمشي على الأرض وما عليه خطيئة ، كما ورد في بعض الروايات .

وقد أكرم الإسلام المصابين بالأمراض والأوجاع ، وواسى المتعبين ، مواساة تطمئن بالهم وتخفّف آلامهم .

الخير والشرّ فتنة واختبار :

إنّ كل نعمة من مال ، أو صحة ، أو جاه ، أو كل بلاء من مرض ، أو مصيبة ، أو كارثة ، أو غير ذلك يعتبر فتنة ، واختباراً لإيمان الإنسان ، وبلورة لشخصيته ، وصهراً لها ، حتى يعلم موقفه ، الواضح العميق ، من النعم والإبتلاءات .

قال رسول الله (ص) : « من يرد الله به خيراً يصب فيه » ، « إذا أحبّ الله قوماً ابتلاهم » .

وقال تعالى : ﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة ﴾[١] . ﴿ واعلموا إنّما أموالكم وأولادكم فتنة ، وإنّ الله عنده أجر عظيم ﴾[٢] .

فتنة المال

قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون ﴾[٣] .

---

[١] سورة الأنبياء : الآية ٣٥ .

[٢] سورة الأنفال : الآية ٢٨ .

[٣] سورة المنافقون : الآية ٩ .

﴿ واعلموا إنّما أموالكم وأولادكم فتنة ، وإنّ الله عنده أجر عظيم ﴾[١] .

إنّ المال من وجهة النظر الإسلامية هو وسيلة وليس غاية . . . وسيلة لتأمين الحاجات المعيشية حتى يستطيع الإنسان الإستمرار ، لتأدية وظيفته في الحياة ، لذلك وضع الإسلام قواعد وأسس الإنفاق . ومن أجل تحصيل المال من حلّال ، أمر بالعمل والكدّ ، ونهي عن التكاسل وسؤال الناس .

وقد ورد في الحديث : « ملعون ملعون من ألقى كلّه على الناس » .

وأمّا اعتبار المال غاية وهدفاً ، فإنّ في ذلك معنى العبادة للمال ، بحيث يتحوّل إلى صنم ، ويتحوّل الناس إلى عبدة للدرهم والدينار أو الدولار ، فيجمعون المال من أجل المال ، لا من أجل تسهيل الحياة وتأمين الحاجات .

وقد قيل : « الدرهم عقرب فإن لم تحسن رقيته فلا تأخذه ، فإنّه إنْ لدغك قتلك سمّه ، قيل وما رقيته ؟ قال أخذه من حلّه ، ووضعه في حقّه » .

إن المال فتنة واختبار ، والمؤمن عليه أن يعلم ذلك ،ويتعلّم كيف يتعامل مع المال ، حتى لا يميل عن خط الله ، وذلك يقتضي :

١ ـ أن يكون الموقف الشعوري من المال موقفاً حيادياً ، أو كارهاً ، أو محباً بدرجة دنيا ، إن استطاع إلى ذلك سبيلاً .

٢ ـ وإنْ لم يستطع فليكن الموقف العملي من المال موافقاً للشرع بحيث يؤدّي المرء الحقوق الشرعية الواجبة ، وينفق إنفاقاً مستحباً .

المال له وجهان :

الأول : الوجه المذموم :

١ ـ جاء في الروايات : قال رسول الله (ص) : « حبّ المال والشرف (الجاه) ينبتان النفاق ، كما ينبت الماء البقل » .

---

[١] سورة الأنفال : الآية ٢٨ .

٢ ـ « ما ذئبان ضاريان أرسلا في زريبة غنم بأكثر فساداً من حبّ المال والجاه في دين الرجل المسلم » .

٣ ـ ويقول الله تعالى في الحديث القدسي : « **يا ابن آدم : مالي ، مالي ، مالي . . وهل لك من مالك إلا ما تصدّقت فأمضيت ، أو أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ؟** » .

٤ ـ «أخلّاء ابن آدم ثلاثة : واحد يتبعه إلى قبض روحه ، وهو ماله ، وواحد يتبعه إلى قبره وهو أهله ، وواحد يتبعه إلى محشره وهو عمله » .

٥ ـ «يجاء بصاحب الدنيا الذي أطاع الله فيها ، وماله بين يديه ، كلّما يكفأ به الصراط ، قال له ماله : إمضِ وقد أديت حقّ الله فيّ ، ثم يجاء بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها ، وماله بين كفيّه ، كلّما يكفأ به الصراط قال ماله : ويلك ألا أديّت حقّ الله فيّ . . . فما يزال كذلك حتى يدعو بالويل والثبور » .

٦ ـ « إنّ الدينار والدرهم أهلكا من كان قبلكم وهما مهلكاكم » .

٧ ـ « ولكلّ أمة عجل ، وعجل هذه الأمة الدينار والدرهم » .

٨ ـ « يؤتى برجل يوم القيامة ، وقد جمع مالاً من حرام ، وأنفقه في حرام، فيقال : اذهبوا به إلى النّار ، ويؤتى برجل قد جمع مالاً من حرام وأنفقه في حلال فيقال : اذهبوا به إلى النار ، ويؤتى برجل قد جمع مالاً من حلال وأنفقه في حلال فيقال له : قف ، لعلّك قصّرت في طلب هذا بشيء ممّا فرضت عليك من صلاة لم تصلّها لوقتها ، وفرّطت في شيء من ركوعها وسجودها ووضوئها فيقول : « لا يا رب . . كسبت من حلال وأنفقت في حلال ، ولم أضع شيئاً ممّا فرضت ، فيقال لعلك أختلت في هذا المال في شيء من مركب أو ثوب باهيت به . فيقول يا رب : لم أختل ولم أباه في شيء فيقال لعلك منعت حقّ أحد أمرتك أن تعطيه من ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فيقول : لا يا رب لم أضع حقّ أحد أمرتني أن أعطيه ، فيجيء أولئك فيخاصمونه فيقولون : يا ربِّ أعطيته وأغنيته وجعلته بين أظهرنا ، وأمرته أن يعطينا فإن كان قد أعطاهم وما ضيّع من ذلك شيئاً من الفرائض ، ولم يختل في شيء فيقال : قف الآن ، هات شكر نعمة أنعمتها عليك من أكلة أو شربة أو لقمة أو لذة . . فلا يزال يسأل » .

٩ ـ وروي : إنّ أوّل ما ضرب الدينار والدرهم رفعها إبليس ثم وضعها

على جبهته ثم قبّلهما وقال : من أحبكما فهو عبدي حقاً » .

١٠ ـ وقال عيسى عليه السلام : « لا تنظروا إلى أموال أهل الدنيا ، فإنّ بريق أموالهم يذهب بنور إيمانكم »(٦) .

الثاني : الوجه الممدوح :

١ ـ جاء في الروايات : قال رسول الله (ص) : « نعم المال الصالح للرجل الصالح » .

٢ ـ قال تعالى في مقام الإمتنان : ﴿ ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً ﴾[١] .

٣ ـ وقال الإمام الصادق (ع) : « لا خير في من لا يحبّ المال من حلال فيكفّ به وجهه ، ويقضي به دينه »(٧) .

٤ ـ « نعم العون الدنيا على الآخرة »(٨) .

٥ ـ وقال علي (ع) : « الغنى في الغربة وطن ، والفقر في الوطن غربة »(٩) .

٦ ـ قال رسول الله (ص) : « سباب المؤمن فسوق ، وقتاله كفر ، وأكل لحمه من معصية الله وحرمة ماله كحرمة دمه »(١٠) .

الحرب لمنع الفتنة :

قال تعالى : ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ﴾[٢] .

يقول أحد الكتاب الإسلاميين ما مضمونه : الحرب التي يقرّها الإسلام هي القتال حتى تكون كلمة الله هي العليا .

وكلمة الله هي التعبير عن إرادته الظاهرة ، المتفقّة مع ناموسه الذي وضعه للكون والحياة والنّاس .

---

[١] سورة نوح : الآية ١٢ .

[٢] سورة البقرة : الآية ١٩٣ .

هذا الناموس الذي يعني التناسق الذي يمنع الفساد والإضطراب ، والذي يسمح للحياة بالرقي الدائم والإرتفاع والذي يحقّق الخير العام للبشرية في جميع العصور .

قال تعالى : ﴿ وتعاونوا على البرّ والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾[١] .

إنّ إرادة الله ومشيئته ، هي أن يصل الخير إلى جميع الناس وألاّ يحول دون وصوله حائل وكل من يحول دون وصوله بقوّة ونحوها فهو معتدٍ على الله وكلمته ، فالإسلام لا يكره أحداً على اعتناقه (لا إكراه في الدين) ، ولكن لا يقبل أن يقف أحد في طريق انتشاره ، حتى يعمّ أكبر مساحة من هذا العالم ويصل إلى أكبر عدد من ساكنيه ، والإسلام جاء لتحقيق العدالة بين جميع الناس إجتماعية كانت أو قانونية أو دولية ، لذلك كان كل من يخالف هذه العدالة ، ببغي أو ظلم يكون قد خالف كلمة الله وسعى في الفتنة . . . (١١) .

قال تعالى : ﴿ إنّ الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنّم ﴾[٢] .

وقال رسول الله (ص) : « كفر بالله العظيم من هذه الأمة عشرة : إلى أن قال (ص) والساعي في الفتنة »(١٢) .

في معاني الفتنة العرفية :

إنّها إحداث الشغب ، وسلب أمن واستقرار وحرية الآخرين فرداً أو جماعة ، وإيجاد الفرقة بين الناس عن طريق خلق صراعات عقائدية أو مذهبية أو مصلحية أو سياسية .

---

[١] سورة المائدة : الآية ٢ .

[٢] سورة البروج : الآية ١٠ .

وتتمثل بسعي أصحاب الفتن في تضليل الناس ؛ وإبعادهم عن طريق الحقّ ، بشبهات وشكوك يطرحها هؤلاء بأقلامهم وألسنتهم .

كما تتمثّل ، أيضاً ، بمنع الآخرين من الإستجابة للدين بالقوّة ، وذلك بإيذائهم وتعذيبهم وأمثلة التاريخ كثيرة : (قريش ، بنو أمية ، صدام ، الشاه) ونحوهم . . .

ومن كلام لأمير المؤمنين (ع) في خطبة له :

« ألا وإنّ أخوف الفتن عندي فتنة أمية ، فإنها فتنة عمياء مظلمة عمّت خطتها ، وخصت بليتها ، وأصحاب البلاء من عمي عنها »(١٣) .

إنّ الفتن هي ابتلاءات واختبارات ، بها يتميّز الخبيث من الطيّب ، والصادق من الكاذب ، والعامل المجاهد ، من المدّعي القاعد .

قال تعالى : **﴿ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون ﴾**[١] .

ومن مثيرات الفتن التي اجتاحت العالم ، وابتلي بها الناس في عصرنا الحاضر ، المبادىء الوضعية العلمانية والمادية ، كالشيوعية والرأسمالية ، والفلسفات الوجودية ، والمذاهب العنصرية ، والقومية المتعصبة ، والطائفية المتحجرة .

إنّ هذه المبادىء الوضعية ، تحاول أن تقتلع من قلوب ونفوس معتنقيها ، العقيدة بالمبدأ والمعاد ، لتغرس مكانها بذور المادية ، والشهوانية ، والذاتية ، وحبّ الدنيا .

وقد قال تعالى : **﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة ، واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيّاً ﴾**[٢] .

---

[١] سورة العنكبوت : الآية ٢ .

[٢] سورة مريم : الآية ٥٩ .

والشغل الشاغل لأتباع هذه الأنظمة الوضعية ، أن يسلبوا الجوانب الإنسانية والمعنوية من المجتمع البشري ، ويمنعوهم من ذكر الله ، والإيمان بالآخرة بواسطة التربية الفاسدة ، وأن يشغلوهم بأنواع الشهوات والفسق والفجور .

وبحلول الذاتية والأنانية ، وقساوة القلب ، وفقدان الرحمة ، يزول من المجتمع البشري ، التعاون والتعاضد ، والحنان ، والشعور بالرحمة ، وطلب الخير ، والعفو وأمثاله ، وهذا ما جناه المجتمع البشري من الأنظمة الوضعية .

وبتأثير كل ذلك شاع الكذب في القول والعمل ! وكذلك الخداع والغش والتحايل والتلاعب ، في معظم جوانب المجتمع ، كما شاع بين الناس موضوع التجسس لصالح الكفّار ضدّ المسلمين ، وهذا الأمر من آفات الفتن والبلايا وأخطرها .

قال تعالى : ﴿ وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ﴾[١] .

وإفشاء أسرار المؤمنين ، من أسباب الفتن ، وكثيراً ما نكّل بأهل الإيمان ـ عبر التاريخ ـ لأخذهم بتعاليم الأنبياء ، والتمسك بمناهجهم ، فأتى من يفشي أسرارهم ، ويظهر إلى العلن خفي أعمالهم ، مما أوغر صدر الظالم ، فانتقم منهم . . .

وقد قال تعالى : ﴿ ويقتلون الأنبياء بغير الحقّ ﴾ .

وقال علي (ع) في تفسير هذه الآية : « أمّا والله ، ماقتلوهم بأسيافهم ولكن أذاعوا سرّهم ، وأفشوا عليهم فقتلوا »[١٤] .

الفتنة في الأمور الحياتية :

إنّ الفتنة الدنيوية أسوأ من القتل ، لأنّ ذلك يؤدي إلى إشعال نار الحقد ، والكراهية بين الناس ، وسلب راحتهم ، واطمئنانهم وهو بمثابة قتلهم على الدوام ، والفتن تجرّ إلى التقاتل والقتل .

---

[١] سورة النساء : الآية ٨٣ .

ويقول الشهيد الثاني وهو يعـدد الكبائـر : « والقتل بغـير حق » .

وفي كثير من الأحيان تفسر الفتنة بالكفر والشرك :

وقـال الإمـام البـاقـر (ع) في تفسـير آيـة ﴿ حتى لا تكـون فتنـة ﴾ « إنّـه الشرك » .

والمؤمن الحقيقي لا يدخل في عـالم الفتن ، لا من قريب ولا من بعيـد ، بل هـو في الفتنـة كـابن اللبـون ، لا ظهـر فـيركب ، ولا ضرع فيحلب ، كـما قـال علي (ع) .

وكما قال أمير المؤمنين (ع) أيضاً ، في صفات المتّقـين « الخير منهم مضمـون والشرّ منهم مأمون »(١٥) .

الفتنة على المستوى الفردي :

إنّ كل ما يـرد على الإنسـان في حياتـه الدنيـا ، من خير أو شرّ ، مـادي أو معنوي ، له تـأثيرات شتّى عـلى مستوى بلورة شخصيته ، واكتشاف إمكـاناتـه ، وإظهـار حقيقته ، والله سبحـانه وتعـالى ، قد جعـل الحياة ، بمـا فيهـا والمـوت ، والمصائب ، والمال ، والأولاد ، والنعم ، مواد امتحان للإنسان ، ليعرف نفسه ، ويعرفه الناس ، وحتى لا يكون له على الله حجة . . .

على صعيد الأمم والحضـارات :

إنّ الـترف سبب واقعي في هـلاك الـدول والحضـارات والمـدن وهـلاك أصحـابهـا ، ودمـارهـا ودمـارهم ، وذلـك لأن الـترف يعني تفككـاً في الـروابط الإجتماعية ، كما أن انتشار الفساد والرذيلة ، مدعاة لنزول العقوبة القاضية بتدمير البلاد ، والمجتمعات التي لا تـأمر بـالعدل والإحسـان ، وتطبيق نـظم العدالـة ، والتي فسقت عن أمر ربها ، وانحرفت .

قال تعالى : ﴿ وإذا أردنا أن نهلك قريـة أمرنـا مترفيهـا ففسقوا فيهـا فحقّ

عليها القول فدمرناها تدميراً ﴾[١] .

الفتنة . . وفقدان المقاييس الشرعيـة :

لقد ورد في رواية أنه : « قام رجل إلى أمير المؤمنين (ع) فقال لـه : يا أمـير المؤمنـين أخـبرنـا عن الفتنـة ، وهـل سألت رسـول الله (ص) عنهـا ؟ فقـال عليه السلام : إنّه لما أنزل الله سبحانـه قولـه : **﴿ أم حسب الناس أن يـتركوا أن يقـولـوا آمنـا وهم لا يفتنـون ، ولقـد فتّنـا الـذين من قبلهم فَلَيَعْلَمنَّ الله الـذين صدقوا ، وليعلمّن الكاذبين ﴾**[٢] .

علمت أن الفتنـة لا تنزل بنـا ورسـول الله (ص) بـين أظهـرنـا ، فقلت يـا رسول الله ما هذه الفتنة التي أخبرك الله تعالى بها ؟ « فقال يا علي إنّ أمتي سيفتنون من بعدي . . . يا علي إنّ القوم سيفتنـون بأمـوالهم ، ويمنّون بـدينهم على ربّهم ، ويتمنـون رحمته ، ويـأمنون سـطوته ، ويستحلّون حـرامه بـالشبهات الكـاذبـة ، والأهـواء الساهيـة ، فيستحلون الخمـر بـالنبيـذ ، والسحت بـالهـديـة ، والـربـا بالبيع » ، قلت يا رسول الله : فبأيّ المنازل أنزلهم عند ذلك ؟ أبمنزلة ردّة أم بمنزلة فتنة ؟ فقال (ص) : « بمنزلة فتنة »[١٦] .

من المـلاحظ أنّـه عنـدمـا يفتقـد النـاس المـوازين الشرعيـة ، نـظراً لكـثرة الـطروحات التي تحـاول أن تقرّب بـين المفاهيم البعيـدة عن الإسلام ، والمفـاهيم الإسلامية الحقة ، أو بين المبادىء والنظم الإسلامية ، وغيرها من علمانية وإلحادية وتقليـدية ، تختلط الأمـور ، ويلتبس الحق بالبـاطل فيعمـد أصحاب الـطروحات المنافقة ، لتشـويه الصـورة ، وتشـويش الـرؤية ، فيـظن البعض أن بـاطلهم حقّ وينقلب المنكر إلى معروف ، والمعروف إلى منكر في نظر هؤلاء ، ويحارب الإسلام بـاسم الإسلام . . . والمخـرج من كل ذلـك هو التمسـك بشرع الله ، من خلال المرجعية الرشيدة التي تبينّ عن طريق الإجتهاد أحكام الشريعة ، وتحدد وتصـوّب النظرات المختلفة إلى الأمور .

---

[١] سورة الإسراء : الآية ١٦ .

[٢] سورة العنكبوت : الآية ٢ .

من مظاهر الفتنة :

١ ـ المنّ بالدين على الله فتنة :

بالإضافة إلى الفتنة بالأموال التي سبق وتحدثنا عنها ، فإنّ من مظاهر الفتنة على الصعيد الفردي ، أن يمنّ الإنسان على ربّه بأن أسلم ، وأدّى واجباته ، أو بعضها تجاه هذا الدين ، والذي يعيش هذه المفاهيم ، وهذه المشاعر بعيد عن الفهم الحقيقي للدين والعقيدة ، لأنّ المنّة والفضل على الناس أجمعين ، هو لله ربّ العالمين فلوْلا الرحمة الإلهية التي قضت بإرسال الرسل ، وإنزال الشرائع ، وكذلك الحكمة الإلهية المتمثلة بخلق الإنسان ، وجعله خليفة في الأرض وإعطائه إمكانات الإهتداء ، لما تمكّن أي إنسان من أن يدخل ضمن إطار الإيمان والتديّن .

ومن الواضح لكل ذي عقل ، أنّ الله سبحانه لا مصلحة له مع أحد ، ولا فائدة له من عبادة أحد ، لأنه الفرد الصمد الغني عن العالمين ، فكيف يجوز لعبد ضعيف أن يتجرأ على الله سبحانه ، فيمنّ عليه بدينه .

قال تعالى : **﴿ يمنّون عليك أن أسلموا ، قل لا تمنّوا عليّ إسلامكم ، بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين ﴾**[1] .

ولا شك أن من يقع في هكذا مأزق شعوري وعقيدي يكون قد وضع نفسه في موضع الفتنة ، ولعب الشيطان بعواطفه وأفكاره ، فأذلّه ، لذلك لا بدّ للمؤمن الحقّ ، من أن يتواضع لله ، وأن يشكره على هدايته له .

وقد جاء عن الإمام زين العابدين (ع) في الصحيفة السجادية قوله : « يا إلهي لو بكيت إليك حتى تسقط أشفار عينيّ ، وانتحبت حتى ينقطع صوتي ، وقمت لك حتى تتنشّر قدماي ، وركعت لك حتى ينخلع صلبي ، وسجدت لك حتى تتفقأ حدقتاي ، وأكلت تراب الأرض طول العمر ، وشربت ماء الرماد آخر دهري ، وذكرتك خلال ذلك حتى يكلّ لساني . ثم لم أرفع طرفي إلى آفاق السماء استحياء منك . . . ما استوجبت بذلك محو سيئة واحدة من سيآتي ، وإن كنت

---

[١] سورة الحجرات : الآية ١٧ .

تغفر لي حين استوجب مغفرتك ، وتعفو عني حين أستحقّ عفوك ، فإنّ ذلك غير واجب لي باستحقاق ، ولا أنا أهل له باستيجاب ، إذ كان جزائي منك في أول ما عصيتك . . . النار ، فإنّ تعذبني فأنت غير ظالم لي »(١٧) .

٢ ـ تمني رحمة الله بلا عمل فتنة :

من الإبتلاءات العظمى التي يبتلى بها بعض المتديّنين ، هو تمنّي الحصول على الجنّة والثواب ، والرحمة الإلهية بدون عمل عملوه ، أو جهاد للنفس وبالنفس أو المال . إنّ من يفكّر بهذه الطريقة قد غشّ نفسه وخدعها ، لأنّ الجنّة سلعة الله ، وسلعة الله غالية ، كما في بعض النصوص ، لا يصل إليها إلاّ من عمل عملاً يرضي الله ، يجعله من أهل الجنة شرط الإستمرار والأصرار على ذلك دون الإلتفات إلى غير الله في التوجّه ، والنيّة والممارسة ، وذلك لأنّ الجنّة كما قيل عروس مهرها بذل النفوس .

٣ ـ الأمان من سطوة الله وغضبه فتنة :

إنّ بعض المتدينين البسطاء ، وكذلك الذين ظنّوا أنّ الدين يكون بالتحلي والتمنّي ، فلم يتعمّقوا في حقيقة وجوهر الإيمان ، بل غرتهم الأماني واطمأنوا إلى ما يعتقدون من أن لهم كرامة من الله ، تخوّلهم النجاة من عقابه ، فعاشوا وهم يفكرون بالرحمة الإلهية ، ولم يعلموا بأن الله يهب رحمته ، لمن خاف سطوته ، وإنّ من أمن عذابه ناله هذا العذاب ، وسطوة وغضب الله في حال مخالفة أوامره . إنّ من يأمن عذاب الله ، اعتماداً على أعماله التي مهما كثرت وتنوّعت ، لا تعدّ شيئاً ، ولا تنيله شيئاً من الآخرة ، إلاّ برحمة من الله وفضل ، ولا شكّ ، أنّ ذلك ينعكس عليه قلّة في الطاعة ، وابتعاداً عمّا يرضي الله ، وارتكاباً للذنوب لأنّ من أمن عذاب الله ، تجرأ على حرماته ، وهل بعد هذا من فتنة ؟؟ .

٤ ـ استحلال حرام الله بالشبهات الكاذبة والأهواء الساهية فتنة :

وقد يقع الناس في هذه المحرمات ، وذلك بسبب الأهواء التي تقودهم إلى الوقوع فيما حرّم الله ، وإلى حسبان الباطل حقّاً ، لعدم معرفتهم بأمور الدين

والحدود بين الحلال والحرام معرفة تـامّة ، فهم يخلطون بـين البيع والـربا ، وبـين الخمر والنبيذ ، والسحت والهدية . . إلى غير ذلك من الأمور .

استحلال الربا ، بالبيع فتنة :

١ ـ البيع : البيع أخـذ وعطاء ، بـطريقة شرعيـة أقرّهـا الدين والعـرف ، والتجـارة من بيع وشراء عمليـة إحـتراف ، والله يحبّ المحـترف الأمـين ، والبيـع (التجارة) يزيد في العقل والتجارة عزّ لصاحبها ، وغنى عمّا في أيدي الناس . كما ورد في بعض الروايات .

والبيع مبادلة مال بمال ، فيقال : باعه يبيعه بيعاً ـ كـما يقال بـايعته أبـايعه ـ وتستعمل لفظة البيع في المعاوضة لما فيها من مبادلة الحقوق[١٨] .

والبيـع كما الشراء ، أعـطاء الثمن وأخذه (وشروه بثمن بخس) وكـذلـك المبايعة والمشاراة[١٩] .

قال تعالى : ﴿ وأحلّ الله البيع وحرّم الربا ﴾[١] .

٢ ـ الـــربا

الربا معناه النّماء ، والتكاثر بطريقة غير شرعية ، وهي سحت ومن الكبـائر وقد وعد الله مرتكبه النار ، وهو محرّم على لسان كل نبي مرسل ، وفي كل كتـاب منزل ، والربّا من أخبث المكاسب ، والله تبارك وتعالى ، يلعن آكل الربـا وموكله وكاتبه ، وشاهده ، كما في الحديث .

والربا تعني الزيادة على رأس المال ولكن خصّ في الشرع بالزيـادة على وجـه دون وجه ، ونبّه الله بقوله : « يمحق الله الربا ، ويربي الصدقات » .

فالزيادة المعقولة ، والمعبّر عنها بالبركة ليست ربا[٢٠] .

ويقال ربا الشيء ربوا ورباء : زاد ونما فهو راب وهي رابية[٢١] .

---

[١] سورة البقرة : الآية ٣٧٥ .

وفي التجارة الحلال قال علي (ع) : « وتعرّضوا للتجارات فيها غنى عمّا في أيدي الناس ، وإنّ الله عزّ وجل يحبّ المحترف الأمين »(٢٢) .

وفي التجارة الحرام قال الإمام الرضا (ع) : « اعلم يرحمك الله أنّ الرّبا حرام ، سحت من الكبائر ، وممّا قد وعد الله عليه النّار فنعوذ بالله منها وهو محرم على لسان كل نبيّ وفي كل كتاب »(٢٣) .

١ ـ السحت

يقال سحته يسحته سحتاً : قشره ، وبالغ في قشره ، وسحته يعني استأصله .

والسحت : المال الذي يكتسب من وجه حرام سميّ بذلك لأنّه يمحق الحلال ويستأصله .

قال تعالى : ﴿ فيسحتكم بعذاب ﴾ أكالّون للسحت .

أي لما يسحت دينهم قال عليه السلام : « كل لحم نبت من سحت ، فالنار أولى به »(٢٤) .

قال تعالى : ﴿ سمّاعون للكذب ، أكّالون للسحت ﴾[١] .

وقال علي (ع) : « أبواب السحت ثمانية : « رأس السحت ، رشوة الحكم ، وكسب البغي ، وعسب الفحل ، وثمن الميتة ، وثمن الخمر ، وثمن الكلب ، وكسب الحجّام ، وأجر الكاهن »(٢٥) .

٢ ـ الهدية

الهدية : ما يقدمه المرء من مال ونحوه إلى غيره بقصد الإكرام والإلطاف مهما كان ما يقدّم ثميناً أو بخساً بلا مقابل والهدية تذهب الضغائن ، وتسهّل السخائم ، وتجلي ضغائن العداوة ، والأحقاد ، وتورث المودّة وتجذّر الأخوّة .

---

[١] سورة المائدة : الآية ٤٢ .

قال تعالى : ﴿ وإنّي مرسلة إليهم بهدية ـ بل أنتم بهديتكم تفرحون ﴾ .

استحلال الخمر بالنبيذ فتنة :

١ ـ الخمر

الخمر هو الإسم المتخذّ من العنب والتمر لما روي عنه (ص) : « الخمر من هاتين الشجرتين : النخلة والعنبة » . فالخمر هو الشراب المسكر الذي لا يبقى صفة فاضلة إلاّ وذهب بها ، وهو لا يترك في شاربه قوّة بدنية ، ولا جرأة إلاّ على الحرام ، ولا مروءة[٢٦] .

فعن المفضل قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : « لم حرّم الله الخمر ؟ قال : « حرّم الله الخمر لفعلها ، وفسادها ، لأن مدمن الخمر تورثه الإرتعاش ، وتذهب بنوره ، وتهدم مرؤته ، وتحمله على أن يجتريء على ارتكاب المحارم ، وسفك الدماء ، وركوب الزنا ، ولا يؤمن إذا سكر أن يثب على حرمه ، وهو لا يعقل ذلك ولا يزيد شاربها إلاّ كل شرّ »[٢٧] .

٢ ـ النبيذ

وبعض الناس ظنّوا أن النبيذ ليس بخمر فشربوه ، وبعضهم شربه ، مموهاً على نفسه وعلى الناس وهو يعلم ، فوقع في الفتنة . . . أجل ، إنّ من الفتنة ارتكاب المحرمات ، واعتبارها حلالاً بالشبهات الكاذبة ، وخلط الهدى بالضلال كما أن ممارسة الباطل باسم الحقّ ، هو الفتنة التي ينبغي الوقوف أمامها ، وقفة واعية متبصرة ، حتى لا يقع فيها ، ولا ينحرف عن الخط الواضح المستقيم .

الإبتلاءات طريق التكامل وتحصيل الثواب :

قال علي (ع) : « . . . كلّما كانت البلوى والإختبار أعظم ، كانت المثوبة والجزاء أجزل ، ألا ترون أنّ الله سبحانه وتعالى إختبر الأوّلين من لدن آدم صلوات الله عليه وإلى الآخرين من هذا العالم ، بأحجار لا تضرّ ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع ، فجعلها بيته الحرام الذي جعله الله للناس قياماً . . . ولكن الله

يختبر عباده بأنواع الشدائد ويتعبدهم بأنواع المجاهد ويبتليهم بضروب المكاره ، إخراجاً للتكبر من قلوبهم ، وإسكاناً للتذلّل في نفوسهم ليجعل ذلك أبواباً إلى فضله »(٢٨) .

وكلّما صبر الإنسان على البلوى ، وتحمّل مشاقها وآلامها كلّما ناله أجر أكبر ، ومثوبة أعظم . وهذا قانون ربّاني ، لا يخرج عنه أحد من الناس ، منذ أن كان آدم عليه السلام وإلى أن تقوم الساعة . ومن جملة ما اختبر الله به الناس من الأوّلين والآخرين ، من عهد آدم حتى آخر الزمن هو الأحجار التي بني بها بيت الله الحرام ، وكعبته المشرّفة ، مع العلم أنّ هذه الأحجار لا تنفع ولا تضر ولا تبصر ولا تسمع ولكن الله سبحانه جعل التوجّه إليها وزيارتها والحجّ إليها ، عبادة له وامتثالاً لأمره . . . هذه الأحجار جعلت كذلك للإختبار ، كما النعم الجليلة والمصائب الكبيرة ، والبلايا المهلكة ، التي تنزل بالإنسان . فكل من صبر على البلايا ، كان كريماً عند الله ، وحظي برحمته ورضوانه . أمّا الذين لم يصبروا على الشدائد ، التي حطّت بكلكلها عليهم ، كانوا من الخاسرين ، والذين حبطت أعمالهم فلن يجدوا من الله نصيراً .

إنّ هذه التجارب الإختبارية ، تهدف إلى كشف حقيقة الإنسان ، لذلك فالرخاء ، والغنى ، والفقر والبلاء هي مادة للتجربة :

وقد قال علي (ع) : « لا تفرح بالغناء والرخاء ، ولا تغتم بالفقر والبلاء ، فإن الذهب يجرب بالنار ، والمؤمن يجرّب بالبلاء »(٢٩) .

وفي خبر آخر : « إنّ البلاء للظالم أدب ، وللمؤمن امتحان ، وللأنبياء درجة »(٣٠) .

يوصي أمير المؤمنين (ع) الناس بألا يفرحوا إذا ما أقبلت الدنيا عليهم ، وكانوا أغنياء ، مترفين يعيشون في رخاء لا يعكر صفوهم معكر ، ولا تشوب حياتهم شائبة ، لأنّ هذا الغنى ، والرخاء فتنة وابتلاء يقتضي حساباً ، يتبعه عقوبة إلهية ، ونار حامية .

وعلى الناس ألاّ يغتموا إذا ما أدبرت الدنيا عنهم ، وكانوا فقراء معوزين ، لأنّ الفقر والعوز نعمة تنزل بساحتهم إذا ما صبروا ، لأنّها تبلور شخصياتهم ،

وتعطيهم قوة ، ومناعة وقدرة على مواجهة الصعاب وبشر الصابرين .

ولا يعني هـذا عدم السعي لتحسين الوضـع المعيشي بتهيئة فـرص العمـل والإنتاج للجميع بل والعمل على تغيير الأنظمة الإقتصادية الفـاسدة التي تؤدي إلى إفقار الشعب .

البلاء في الدنيا نعمة في الآخرة والرخاء فيها محنة في الآخرة :

قـال رسول الله (ص) : « لا تكـون مؤمناً حتى تعـد البلاء نعمـة والرخـاء محنة ، لأنّ بلاء الدنيا نعمة في الآخرة ، ورخاء الدنيا محنة في الآخرة »[٣١] .

وقـال الكاظم (ع) : « لن تكـونـوا مؤمنـين ، حتى تعـدّوا البـلاء نعمـة ، والـرخـاء مصيبـة ، وذلـك أنّ الصـبر عنـد البـلاء أعـظم من الغفلة عنـد الرخاء »[٣٢] .

إنّ الرسول (ص) لا ينطق عن الهوى ، لذلك فكلامه أنّ الإنسان لا يكمل إيمانه ، حتى يسلّم تسليماً كاملاً لمشيئة الله ، ويتسـاوى لديـه ، البلاء والـرخاء من الناحية الشعورية ، فيصبر على البلاء ، ويعدّه نعمة ، ويشكر على الرخاء ويستعدّ للحساب . . . وبهذا يوضح(ص) أن حسابات الدنيا والآخـرة مختلفة ، والميـزان فيهما مغاير . فبلاء الدنيا ودواهيها والصبر عليه نعمة في الآخـرة ، بينما الـرخاء في الدنيا ، والعيش الرغيد ، من دون شكر عليه هو في الآخرة محنة لا يعدلهـا محنة ، وذلك لأنّ هذه الدنيا في حلالها حساب ، وفي حرامها عقاب .

ما من بلية إلاّ وتحيط بها نعمة من الله :

قـال الإمـام العسكـري (ع) : « مـا من بليـة إلاّ ولله فيهـا نعمـة تحيط بها »[٣٣] .

إنّ من نعم الله على خلقه ، أنه إذا أحبّ بعضاً منهم ، لإخلاصهم وحسن عملهم ، وأراد أن يخلصهم من عيوبهم وذنوبهم ، ابتلاهم بالنفس والمال والولد ، حتى إذا نجحـوا وتحمّلوا وصـبروا كـانت النتيجـة نـعمـاً وخـيرات ورضى من الله أكبر . . .

إحذر ربك عند تتابع النعم عليك :

قال علي (ع) : « إذا رأيت ربّك يوالي عليك البلاء فاشكره ، إذا رأيته يتابع عليك النعم فاحذره »(٣٤) .

إنّ الشكر على البلاء يعني عملياً الصبر عليه ، والثناء على الربّ باللسان ، فإذا ما ابتلي عبد ببلاء ما ، وصبر على هذا البلاء ، يكون قد قام بفعل الشكر الذي هو من مظاهر الإيمان ، وطاعة للخالق وتسليماً لمشيئته وإرادته .

وإنّ الحذر من تتابع النعم وتواليها على العبد مطلوب ، لأنّ في النعم حساباً ، وفي الحساب عقاباً ، وضرورة الحذر تأتي من تقصير الإنسان في أعماله المطلوبة منه ، وعلى الوجه الذي يريده ويرضاه الله عز وعلا ، فعلينا أن لا ننسى القاعدة التي وضعها لنا أمير المؤمنين (ع) ، وهي الشكر عند البلاء والحذر عند الرخاء .

الصبر على البلاء يصحح نسبة الإيمان :

قال الإمام الصادق (ع) : « البلاء زين للمؤمن ، وكرامة لمن عقل ، لأنّ في مباشرته ، والصبر عليه ، والثبات عنده ، تصحيح نسبة الإيمان »(٣٥) .

زينة الرجال الأكفاء ، تكمن في عقولهم الراقية وأخلاقهم العالية ، ولا يظهر ذلك إلّا بنزول البلاءات ، واشتداد الصعاب ، واستفحال الخطوب ، والصبر عليها والثبات عندها ، ومباشرتها بشكل يجعل الإنسان يتعالى فوق كل هذا البلاءات ويستوعبها ويحوّلها إلى قوّة ، يتقوّى بها بدل أن يستسلم لها فتحوّله إلى حطام ، وتجعله بلا إرادة ولا رأي ولا معرفة لذلك كان البلاء زيناً للمؤمن ، وكرامة لمن يعقل .

البلايا تورث رضا الله وقربه وكرامته :

وقد قال الإمام الصادق (ع) : « إعلم أن بلاياه ، محشوة بكراماته الأبدية ، ومحنه مورثة رضاه ، وقربه ، ولو بعد حين »(٣٦) .

إنّ البلايا التي في ظاهرها الألم والحزن والهمّ والخسران ، محشوة في الداخل بالكرامات الإلهية الأبدية وموصلة دون أدنى شكّ ولا ريب إلى رضا الله وقربه ، مهما طال الأمد .

وهذا القول الجميل ، موعظة لكل معتبر ومتعظ ، فكما أنّ تعاطي الدواء المرّ ، والذي تعافه النفس نتيجة الشفاء من الأمراض والعلل والأدواء . التي لو تركت بلا علاج لاستعجل ضررها ، ولأودت بصاحبها ، فكذلك الصبر على البلاء والشكر على الرخاء فيه شفاء النفوس ، والعقول المريضة وفيه الأمان والأمن ، والراحة والسلام .

البلاء غذاء المؤمن :

قال رسول الله (ص) : « إنّ الله ليغذي عبده المؤمن بالبلاء ، كما تغذي الوالدة ولده باللبن »(٣٧) .

إنّ الغذاء هو قوام الحياة ، فلا تستمر حياة إلّا بغذاء .

وإنّ لبن الوالدة هو غذاء لولدها ، وهي تغذّيه ، وكلّها حبّ له ، وعطف عليه ، ولولا هذا اللبن ، وهذه الشفقة والعناية ، لما ترعرع الوليد ، ولما اشتدّ عوده وصلب ، والخالق عز وعلا أرحم بالناس من أمهاتهم لذلك فهو يغذّي عبده المؤمن بالبلاءات لكي يتكامل ، وتتّسع مداركه ، ويسمو ويثبت .

البلاء المتتابع إيقاظ من الغفلة والنعم المتتابعة مع المعاصي استدراج :

قال تعالى : ﴿ ولنذيقنّهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلّهم يرجعون ﴾[١] .

يستفاد من الآية الكريمة أن العذابات التي تصيب العبد في مسيرته الحياتية ، هي خير له لتقويم مساره المعوج ولتصحيح أعماله الخاطئة ، وإلّا إذا استمر العبد في عناده ، وتمرّده على أوامر الله ، والتنكر لرسله وكتبه أصابه العذاب

---

[١] سورة السجدة : الآية ٢١ .

الأكبر ، الذي هو أضعاف العذاب الذي هو العذاب الأدنى . وهذا الأمر من نعم البلاء على الناس فهو يذكرهم بالرجوع إلى الله ، وإطاعة أوامره .

قال علي (ع) : « إذا رأيت الله سبحانه يتابع عليك البلاء فقد أيقظك ، إذا رأيت الله سبحانه يتابع عليك النعم ، مع المعاصي فهو استدراج لك »(٣٨) .

إنّ تتابع البلاء على العبد إيقاظ له ، من غفوته ، وتمحيص لذنوبه وتصويب لخط سيره ، وإنّ تتابع النعم مع المعاصي استدراج لهذا العبد ، وإيصاله إلى نهاية سوداء إذا لم يتنبّه ويتّعظ .

وقد قال الإمام الصادق (ع) : « إذا أراد الله عز وجل بعبد خيراً فأذنب ذنباً تبعه بنقمة ، ويذكّره الإستغفار وإذا أراد الله عزّ وجل بعبد شراً فأذنب تبعه بنعمة ، لينسيه الإستغفار ويتمادى به وهو قول الله عزّ وجل : ﴿ **سنستدرجهم من حيث لا يعلمون** ﴾(٣٩) .

إنّ الله سبحانه يعلم المصلح من المفسد ، والمؤمن من الفاسق ، فإذا وقع المؤمن في ذنب ، وأراد الله به خيراً لصلاح نيته ، ذكّره بالإستغفار ، والتوبة والندم على ذنبه ، بأن يتبع ذنبه بنقمة ، أو أذى أو مصيبة ، فيكون ذلك دافعاً له للتراجع عن أخطائه ، وأمّا إذا كان هذا الإنسان مصراً على انحرافه ، ولا يريد العودة عن ذنوبه ، استكباراً عن عبادة الله ، وطاعة للشيطان ، واعتداداً بالنفس واغتراراً ، أي إذا كان هذا الإنسان ـ بعلم الله ـ لا يستحق المغفرة ، نظراً لعناده في الكفر ، والبعد عن الله ، فإنّ القانون الإلهي قضى أن يتّبع الذنب بنعمة ، ومن طبيعة النعم أن تنسي الإنسان أنه مذنب ، فيستغرق في ذلك ، ويتمادى به ، ويقترب من العذاب ، وبهذا يكون الإستدراج الإلهي لأهل الباطل من المنافقين ، والفاسقين ، والضالين .

وجاء في الرواية : خرج مولانا أمير المؤمنين (ع) للإستسقاء فقال : « إنّ الله ليبتلي عباده عند الأعمال السيئة ، بنقص الثمرات ، وحبس البركات ، وإغلاق خزائن الخيرات ، ليتوب تائب ويقلع مقلع ويتذكر متذكر ويزد جر مزدجر »(٤٠) .

إنّ النقص في الثمرات ، وحبس البركات ، وإغلاق خزائن الخيرات ، هو

عطف من الله على عباده المسيئين ، وذلك ليقلع عن عادة سيئة ، أو ذنب قبيح ، وليتذكر متذكر أنّ الله مطلع على أعمال عباده ، ما خفي منها وما ظهر فيستحي هذا المتذكر فيتوب عن هذه الأعمال السيئة ، وليزدجر مزدجر عن قبائح الأعمال ، وخبائث الأقوال ، والنوايا التي لا ترمي إلّا إلى ما يغضب الله ولا يرضيه . وهكذا نستنتج أنّ الكثير من الصعوبات الإقتصادية ، والمعيشية التي يواجهها الأفراد والمجتمعات تعود أسبابها في حالات كثيرة إلى الإنحراف السلوكي للمجتمع والأفراد ، وإلى العلاقات غير القائمة على أساس التعاليم الإلهية ، فينعكس ذلك على المستوى المعيشي ، والإقتصادي لأنّه يؤثر سلباً على الوضع الإنتاجي (إحتكار ، استغلال ، سرقة) فتنقص الثمرات وتغلق خزائن الخيرات .

لا يجمع الله على مؤمن عقوبتين :

قال علي (ع) : « ما عاقب الله عبداً مؤمناً في هذه الدنيا ، إلّا كان الله أحلم وأمجد وأجود وأكرم من أن يعود في عقابه يوم القيامة . . . »[٤١] .

يبيّن أمير المؤمنين (ع) في كلامه هذا ، أن عقاب الدنيا ينفي عقاب الآخرة عن المؤمن . فالله تبارك وتعالى يعاقب المؤمن مرة واحدة ، إنّ في الدنيا أو في الآخرة . فطوبى لمن يرعوي عن أفعاله الشائنة في حياته ، ويصبر على بلاءات الله النازلة حتى يوفر على نفسه عذابات الآخرة ، التي لا يقوى عليها أحد . . . وتبقى التوبة هي باب الفرار إلى الله من عذابه إلى رحمته .

قال الإمام الباقر (ع) : « إنّ الله تبارك وتعالى ، إذا أحبّ عبداً غتّه بالبلاء غتّاً ، وثجّه ثجّاً ، فإذا دعاه قال : لبيك عبدي لئن عجلت لك ما سألت إنني على ذلك لقادر ، ولكن إدّخرت لك ، فما ادّخرت لك خير »[٣٢] .

غته بالبلاء غتاً ، وثجه ثجاً ، معناه غمره بالبلاء ، بشكل كلي وبقوة ، ودفعه دفعاً إليه ، تماماً كالماء الثّجاج المتدافع . والعبد الذي يُغَت بالبلاء ويثجّ به ، هو قريب من الله وضمن دائرة رضاه .

درجات لا تبلغ إلاّ بالبلاء في الجسد :

قال رسول الله (ص) : « إنّ الرجل ليكون له الدرجة عند الله لا يبلغها بعمله ، يبتلى ببلاء في جسمه ، فيبلغها بذلك »(٣٣) .

إنّ الدرجة الكريمة عند الله ، التي لا يبلغها المؤمن بعمله ، وقد يبلغها إذا ابتلى بجسمه فصبر ، فابتلاءات الجسم والأمراض التي يبتلى بها الإنسان ، والصبر عليها بخلوص نية والتوجّه إلى الله بالدعاء للتخلص من هذه الإبتلاءات قد توصل الإنسان إلى درجات رفيعة ، في جنّات عالية . مع العلم أن أسباب الأمراض قد تكون راجعة إلى تصرف الإنسان وقد تكون عائدة إلى عوامل خارجية ، لا يتحمل المريض مسؤوليتها ، وفي الحالتين ، فإنّ الصبر عليها يورث رفيع الدرجات .

البلاء في طاعة الله ، أحب إلى المؤمن من الصحة في معصيته :

عن شعيب العرقوفي قال : قلت لأبي عبد الله (ع) : شيء يروى أن أبي ذر رحمه الله أنه قال : « ثلاثة يبغضها الناس وأنا أحبها : أحبّ الموت ، وأحبّ الفقر وأحبّ البلاء ، فقال (ع) : هذا ليس على ما يروون أنّما عنى : الموت في طاعة الله ، أحبّ إليّ من الحياة في معصية الله ، والفقر في طاعة الله أحبّ إليّ من الغنى في معصية الله ، والبلاء في طاعة الله أحبّ إليّ من الصحة في معصية الله »(٤٤) .

إنّ المؤمن الحقّ ، هو من وضع طاعة الله ، فوق كل أمر ولو كان فيها الموت والفقر والبلاء ، إذ أنّ من يطع الله ، يجعل له من أمره مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحتسب .

ولفهم مسألة البلاء والنعمة ، فهماً جيداً ينبغي الإكثار من النصوص التي تتحدث عن هذه المسائل ، واستيعابها بشكل تام ، وفي هذا خير كثير وعميم لكل من فهم واستوعب . فالمؤمن يحبّ الموت ، لأنّه تحفة له ، إذا كان في سبيل الله ، ولكن لا يتمنّاه ، ولقد جاء عن الإمام زين العابدين (ع) : « لا يتمنى أحدكم الموت ، فإن كان لا بد فاعل فليقل : أللّهم أحيني ما دامت الحياة خيراً لي ، وأمتني إذا كان الموت خيراً لي » .

وذلك لأنّ الحياة نعمة إلهية ، وتمني الموت أو طلبه في غير رضا الله ، رفض للنعمة الإلهية العظمى .

والمؤمن يحب الفقر في طاعة الله ، ويفضله وذلك لأنّ الغنى في معصية الله ، معناه توقع العذاب الإلهي ، والسقوط في جهنّم ، فالصبر على الفقر في الدنيا ، ربح الآخرة ، لذلك فإنّ المؤمن لا تغريه مغريات الدنيا ، لا مالاً ولا جمالاً ، ويحافظ على موقفه المستقل والحر في كل حين .

والمؤمن يفضّل البلاء في طاعة الله ، على الصحة في معصيته ، لأنّ الصحة في معصية الله في الدنيا ، تعني البلاء الذي لا نهاية له في الآخرة ، والبلاء المؤقت في الدنيا ، يعني الصحة الدائمة في الآخرة .

القدر الإلهي والعمل البشري :

« قال رجل لعلي بن الحسين عليهما السلام : جعلني الله فداك أبقدر يصيب الناس أم بعمل ؟ .

فقال عليه السلام : « إنّ القدر والعمل بمنزلة الروح والجسد ، فالروح بغير جسد لا يحسّ والجسد بغير روح صورة لا حراك بها فإذا اجتمعا قويا وصلحا ، كذلك العمل والقدر فلو لم يكن القدر واقعاً على العمل ، لم يعرف الخالق من المخلوق ، وكان القدر شيئاً لا يحس ولو لم يكن العمل بموافقة من القدر ، لم يمض ولم يتم ، ولكنهما باجتماعهما قويا ، ولله فيه العون لعباده الصالحين »(٤٥) .

هناك علاقة جوهرية بين القدر والعمل ، تشبه العلاقة بين الروح والجسد ، فالله تعالى يقدّر ، والتقدير هو التخطيط الإلهي ، الذي لا يحتاج إلى أعمال فكر ، تعالى الله عن ذلك ، ويأمر سبحانه أن تكون الأشياء بمقدار معين ، وحتى الإنسان وقواه ، وإمكاناته قد جعلت بمقدار ، حسب قوانين ربانية ، حاكمة لوجود الإنسان ، وحركته في الحياة ، وكذلك فإنّ الطاقة ، والقوة التي بها يتحرك ويسعى الإنسان ، ممنوحة له من قبل الله وبمقدار ، وحرية الإختيار والقدرة على التنفيذ ، والفعل بتقدير من الله ، وهنا يتداخل القدر والعمل ، وإذا

بالإنسان مجبر على أن يختار ، على قاعدة لا جبر ولا تفويض وإنّما ، أمر بين أمرين كما جاء عن الصادق (ع) ، وهكذا فإنّ الأعمال التي تصدر عن الإنسان ، لم تكن إلّا بقدر وتقدير من الله ، وإمضاء منه ، أي أنّ أعمال الإنسان ، معلومة لله قبل أن يقوم بها صاحبها ، والقائم بها ليس بإمكانه القيام بذلك لولا أقدار الله له على الفعل بشكل عام ، وفعلها بشكل خاص ، والإنسان يتحمّل مسؤولية عمله ، لأنّ عمله كان باختياره ، الذي مكّنه الله منه .

إنّ الترابط والتداخل بين القدر والعمل ، مثله كمثل الروح التي تخلق الحركة في الجسد ، والجسد بلا روح لا يحسّ ، كذلك فإنّ القدر يقع على العمل ، وإلّا كان القدر غير متحقق في عالم الواقع لولا العمل ، والموافقة بين القدر (المخطط الإلهي) والعمل ضرورية لتنفيذ المشروع الإلهي (البشري) في بناء وإعمار الحياة ، ولا يمكن أن يكون الأمر على غير ما هو عليه ، لأنّ الإنفصال بين القدر والعمل ، يجعل العمل في إطار عدم التحقق ، والقدر أيضاً بدون العمل ، يدور في عالم فراغي ، وباجتماعهما وتكاملهما يقويان وينفذان .

وقد قال تعالى : ﴿ إنّا كل شيء خلقناه بقدر ﴾[1] .

وقال الصادق (ع) : « إنّ الله إذا أراد شيئاً قدّره ، فإذا قدّره قضاه ، فإذا قضاه أمضاه »[46] .

إنّ الله تعالى محيط بكل شيء ، وهو مقدر ومهندس الأحياء والحياة (القدر هندسة) ، ومخرجها إلى حيّز الوجود بقضائه (القضاء إبرام) وبهذا يكون الخلق والإيجاد ﴿ إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾ .

وبكلمات أخرى نقول : الخلق هو الأيجاد والإحداث الأول .

والقدر هو القدر اللازم لخلق الشيء المراد إيجاده .

فالتقدير أو المقادير المطلوبة أولاً .

ثم القضاء ثانياً ، وهو الإبرام والتثبيت ، وبعد التقدير والقضاء يأتي دور

---

[1] سورة القمر : الآية ٤٩ .

الإمضاء ، وهذه هي المرحلة الثالثة من مراحل الخلق الثلاث (تقدير ، فقضاء ، فإمضاء) كل ذلك بلا فاصل زمني بل الفواصل اعتبارية .

الحمل والعمر والحياة والموت وكل شيء بقدر ، وقضاء ، وعلم من الله :

قال تعالى : ﴿ وما تحمل من أنثى ولا تضع إلّا بعلمه ، وما يعمر من معمر ، ولا ينقص من عمره إلّا في كتاب ﴾[١] .

إنّ حمل المرأة بوليد : ذكر أم أنثى ، لا يكون إلّا بعلم الله ومشيئته .

وكذلك الأعمار ، ونقصها ، وزيادتها ، بتقدير الله ، وعلمه السابق ، وكل ذلك وما يشببه يخضع للقوانين الإلهية ، المقنّنة والمنظمة لكل شيء في الحياة ، وبعدها ، وقبلها ، وهذا كله ، يتقولّب ، ويتحرك ، ضمن إطار القدر والقضاء الإلهيين .

قال تعالى : ﴿ والله خلقكم ثم يتوفّاكم ، ومنكم من يردّ إلى أرذل العمر لكي لا يعلم بعد علم شيئاً إنّ الله عليم قدير ﴾[٢] .

من آمن بالقدر استخفّ بالمصائب والغِيَر :

قال علي (ع) : « كلّما ازداد عقل الرجل قوي إيمانه بالقدر واستخفّ بالغِيَر »(٤٧) .

« لن يبطيء عنك ما قدّر لك »(٤٨) .

« من أيقن بالقدر لم يكترث بما نابه »(٤٩) .

« الإيمان بالقدر يذهب الهمّ والحزن »(٥٠) .

إنّ العبد إذا ازداد عقله قوي إيمانه بالقدر ، واستخفّ بالغِيَر .

---

[١] سورة فاطر : الآية ١١ .

[٢] سورة النحل : الآية ٧٠ .

والغِيَر هي الحوادث والنوازل والمصائب التي تحدث للإنسان ، أو تنزل به . وعلى هذا ، فكل زيادة في العقل يستتبعها قوة في الإيمان ، بما قدّر الله وقضى واستخفاف بالغِيَر والحادثات ، لأنّه لا رادّ لحكم الله .

وأنّه لمن الوهن والسخف ، أن يتجنّد الإنسان لمقارعة حوادث الأيام معتقداً القدرة على النيل منها ، والتغلّب عليها ، لأنّ ما يحصل لا بدّ أن يحصل ، وحصوله معلوم لله سبحانه قبل وقوعه ، ووقوعه كان بأسباب سببته ، بعضها من صنع الإنسان فيما يتعلّق بدائرة اختياره ، وبعضها من فعل الله مباشرة ، حسب قوانين إلهية تحكم مجريات هذه النوازل ، كما نوّهنا آنفاً .

ففعل الإرادة البشرية ، والوصول إلى النتائج ، هي بمشيئة الإنسان التي أرادها الله فيه ، لتكون امتحاناً له وخبرة في هذا الوجود ، وبذلك يكون الإنسان حيث يضع نفسه . . فكم من مستسلم في هذه الحياة غير فاعل ، ومؤثّر فيها ، قد يصل إلى فتنة تجرّ إليه البلاء وكم من إنسان أوقعته الحياة في ظروف صعبة فصقلته فقوي فعل الخير والجمال فيه فكانت النعمة . والإيمان صلة بين الإنسان وبين الله ، والله سبحانه لم يجعل الدنيا دار راحة ، وقرار ، بل جعلها دار تمحيص وامتحان للإنسان ، والإنسان قد يمتحن بالشيء وضده مثلما يصهر الحديد في النار ثم يرمى في الماء .

العقل ومكانته في عمل الإنسان :

جاء في الحديث القدسي : « إنّ الله عندما خلق العقل قال له : أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر فقال سبحانه وتعالى ، وعزّتي وجلالي ما خلقت شيئاً أحبّ إليّ منك ، ولا أكملك إلاّ فيمن أحبّ ولكن إيّاك آمر وإيّاك أنهي وإيّاك أعاقب وإيّاك أثيب » .

إن الله تبارك وتعالى ، يعلم أنّ الإنسان سيخطيء ، وأنه سيعاند ، وسينكر لأنعم الله ، وبما أن الله عادل رحيم ، لا يظلم أحداً ، لم يترك هذا الإنسان تائهاً بلا دليل ، ولا هاد يهديه بل زوده ببوصلة تنجيه من الغرق في هذه البحار المتلاطمة ، وبها يوجه سفينته إلى شاطيء السلامة ، ألا وهي العقل .

وقد يبطل الإنسان فعل العقل بإرادته ، فيأخذه التيار الجارف إلى حيث لا رجعة فيغرق في لجحه ، أو ربما يأوي إلى جبل زاعماً أنه سيعصمه من الماء كما فعل (ابن نوح) . . ولكن لا نجاة ، ولا حول ، ولا قوة لمخلوق إلاّ بالله .

قال تعالى : ﴿ **ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني إركب معنا ولا تكن من الكافرين ، قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلاّ من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين** ﴾[١] .

وواضح أنّ الله لم يأمر الإنسان بذلك ، ولكنه يعلم أنه سيفعل وعندها يحق عليه العذاب ﴿ **وما كنا معذّبين حتى نبعث رسولاً** ﴾[٢] .

والرسول هنا يعني الرسول الظاهري (الأنبياء والرسل) ، أمّا العقل فهو الرسول الباطني الذي يهدي إلى سواء السبيل كما يعلم كلّ ذي عقل صاف ، غير مشدود برباط الهوى والشهوات .

الرخاء والكسب الحلال :

قال الإمام الصادق (ع) : « لا خير في من لا يحبّ جمع المال من حلال ، يكفّ به وجهه ، ويقضي دينه ، ويصل به رحمه »[٥١] .

وعن الصادق (ع) أيضاً : « إذا أقبلت الدنيا فالمؤمن أحقّ بها من الكافر » .

ويروى ما مضمونه أنّ أخوين جاءا رسول الله (ص) يحملان أخاً لهما لا يستطيع المشي ، فقالا له إنّه قد هجر الناس وذهب إلى جبل ليعبد ربه ، فقال لهما أيكم يكفيه طعامه وشرابه قالا : نحن قال (ص) أنتما أعبد منه .

ويروى كذلك أن رسول الله وبعض الصحابة التقوا بشخص مفتول العضلات يحمل مسحاة ، فقالوا ويح هذا لو أن جلده وصبره كانا في سبيل الله ، لكان أفضل فنظر إليهم رسول الله (ص) وقال : إنّه إن كان يسعى على نفسه

---

[١] سورة هود : الآية ٣٢ ـ ٤٣ .

[٢] سورة الإسراء : الآية ١٥ .

ليكفها عن الناس فهو في سبيل الله ، وإن كـان يسعى على أبـوين شيخين فهـو في سبيل الله ، وإن كان يسعى عـلى ذرية ضعـاف فهو في سبيـل الله ومن كان يسعى تفاخراً وتكاثراً فهو في سبيل الشيطان .

وهكذا صحّح الـرسول الأعـظم (ص) مفهوم القـوم عن العمل عنـد من ظنّ عكس ذلك .

وعن أبي يعفور : قلت لأبي عبد الله (ع) : إنّا لنحبّ الدنيا فقال لي تصنـع بها ماذا ؟ قلت أتزوج منها وأحـجّ وأنفق على عيـالـي وأنيل أخـواني وأتصدق قـال لي : « ليس هذا من الدنيا بل من الآخرة »[٥٢] .

إنّ حبّ الدنيا لقضاء حوائـج أمر الله بهـا ، وحثّ عليها ، هـو ليس للدنيا والترف والرخاء ولكنه لـلآخرة وهـو عمل محمـود وليس مذمـوماً . فـالذي يسعى ليحصل على المال ليحجّ به هو من المؤمنين والعاملين لـرضا الله . والـذي يتصدّق بمال سعى به فجمعـه . على مستحقيـه ، والمحتاجـين إليه فهـو عبد من عبـاد الله الصالحين .

والذي يسعى جاهداً لينفق على عياله وعلى والديه ، وليساعدهم فإنّه يعمل بعمـل من عرف مهمّتـه في الحياة ونفّـذها لـرضا الله تعـالى ، فعلينـا أن نميّـز بـين الرخاء ، وبـين الكسب الحلال وجمـع المال ، لا حبـاً بالمـال ، بل لخـدمة الأهـل والعيال والمساكين وقضاء الحوائج .

القيادة الإسلامية لا تعرف الرخاء ، مواساة للشعب المستضعف :

من المعلوم أن أمـير المؤمنـين (ع) كـان يكتفي بخبـز الشعـير يكسره عـلى ركبتيه ، ويأكله ، مع أنه كان باستطاعته أن يـأكل أطـايب الطعـام كيف لا وبيده بيت المال ، وهو الأمير ، فقيل له ، لمَ تفعل بنفسـك هذا يـا أمير المؤمنـين فقال : أأقنع أن يقال لي أمـير المؤمنين ولا أشـاركهم مكاره الـدهر . وبـاعتبار أنـه ما دام هناك فقراء فعلى أميرهم أن يعيش عيشهم ، ويتحمّل المشاق حتى يـرتفع مستـوى معيشتهم ، أليس هو القائل :

« ألا وإنّ لكـل مأمـوم إمامـاً يقتدي بـه ، ويستضيء بنور علمـه ، ألا وإنّ

إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه (الثوب الخلق) ،ومن طعامه بقرصيه . ألا وإنّكم لا تقدرون على ذلك ، ولكن أعينوني بورع واجتهاد ، وعفّة وسداد ، فوالله ما كنزت من دنياكم تبراً ، (فتات الذهب) ، ولا ادخرت من غنائمها وفراً (المال) ، ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً .

وإنّما هي نفسي أروضها بالتقوى (أذللها) لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر ، وتثبت على جوانب المزلق (مواضع الإنزلاق) ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل ، ولباب هذا القمح ونسائج هذا القزّ ، ولكن هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جشعي (شدّة الحرص) إلى تخيّر الأطعمة . ولعلّ بالحجاز أو اليمامة (منطقة في اليمن) من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبّع . أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى وأكباد حرّى ؟ أو أكون كما قال القائل وحسبك داء أن تبيت ببطنه ، وحولك أكباد تحنّ إلى القدّ . أأقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر ، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش (خشونة) . فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همُّها علفها ، أو المرسلة شغلها تقمّمها (تناول الأوساخ) ، تكترش من أعلافها وتلهو عما يُرادُ بها . أو أُتْرَكَ سدىً أو أُهْمَلَ عابثاً ، أو أجُرَّ حبل الضلالة ، أو اعتَسِفَ طريقَ المتهمة (موضع الحيرة) .

وكأني بقائلكم يقول إذا كان هذا قُوت ابن أبي طالب فقد قعد به الضعف عن قتال الأقران ومنازلة الشّجعان .

ألا وإن الشجرة البرية أصلبُ عوداً ، والروائع الخَضِرة (الأشجار اليافعة) أرَقُّ جلوداً ، والنباتات البدوية أقوى وُقُوداً (حطب) وأبطأ خُمُوداً ، وأنا من رسول الله كالصِنو (الند ـ المثل) والذِّراع من العَضُد . والله لو تظاهَرَت العَرَبُ على قتالي لما وَلَّيْتُ عنهم ، ولو أمْكَنَتِ الفُرَصُ من رِقابها لسَارَعْتُ إليها ، وسأجْهَدُ في أن أُطَهِّرَ الأرض من هذا الشخص المعكوس والجسم المَرْكُوس (المقلوب) حتى تَخْرُجَ المَدَرَةُ من بين حبِّ الحصيد (حب النبات المحصود) .

إليك عني يا دنيا حبلك على غاربك (الكاهل) ، قد انسللت من مخالبك ، وأفلت من حبائلك ، واجتنبت الذهاب في مداحضك ، أين القرون

الذين غررتهم بمداعبك (المزاح) ، أين الأمم الذين فتنتهم بـزخارفـك . ها هم رهائن القبور ومضامين اللحود . والله لو كنت شخصـاً مرئيـاً وقالبـاً حسياً لأقمتُ عليـك حدود الله في عبـاد غَرَرْتِهم بـالأمـاني ، وأمم ألقيتِهم في المهـاوي ، وملوك أسلمتهم إلى التلف وأوردتهم مـوارد البلاء إذ لا ورد ولا صـدر (عودة) هيهـات من وطيء دحضـك زلت (زلت قدمـه) ، ومن ركب لججك غـرق ، ومن أزوّر (مال) عن حبائلك وفّق . والسالم منك لا يبالي إن ضاق به مناخـه والدنيـا عنده كيوم حان انسلاخه زواله . اعزبي عني (ابعدي) فوالله لا أذل لـك فتستذليني ، ولا أسـاس لك فتقـوديني . وأيم الله يميناً أستـثني فيها بمشيئة الله لأروّضنّ نفسي رياضة تهش معها إلى القرص إذا قدرت عليها مطعومـاً ، وتقنع بـالملح مأدومـاً ، ولأدعنّ مقلتي كعين ماء نضب (مصدر) مستفرغة دموعها ، أتمتليء السـائمة من رعيها فتبرك ، وتشبع الربيضـة من عشبها فـتربض (تبرك) ويـأكل عـلي من زاده فيهجع ؟ . قرت إذاً عينه إذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة والسائمة المرعبة .

طوبى لنفس أدت إلى ربها فـرضها ، وعـركت بجنبها بؤسهـا (الضر ، ذل وهم) . وهجرت في الليل غمضها (نوم) حتى إذا غلب الكرى افترشت أرضهـا وتـوسدت كفهـا في معشر أسهر عيـونهم خوف معـادهم ، وتجافت عن مضـاجعهم جنـوبهم . وهمهمت (صوت الصـدر) بـذكـر ربهم شفـاههم ، وتقشعت بـطول استغفارهم ذنوبهم ﴿ أولئك حزب الله ألا إنّ حزب الله هم المفلحون ﴾[٥٣] .

نعم . . وهذا ما كان يمارسـه إمام الأمـة الخميني قدس سره ، الـذي تخرّج من مدرسة أمير المؤمنين علي (ع) ، حيث كان يعيش في بيت متـواضع يجلس عـلى الأرض ، مقتـدياً بـأميره عـلي (ع) وهذه صـورة سريعة عن حيـاة الإمـام الخميني قدس سره ينقلها بعض العلماء :

بيت الإمـام « قدّس سره »

يقول أنصاري كـرماني ، في بيت الإمـام الخميني ، مظهـراً تواضعـه الذي يستمـده من تواضـع أمير المؤمنـين (ع) يقـول : طلب الإمـام من السيـد رسـولي قـائلاً : اذهبـوا وابحثوا لي عن بيت مثـل بيت والدك فذهبنا للعثـور على بيت في

المنطقة الشمالية من طهران ، ولكن يجب أن يكون بناؤه من الآجر والطين ، ولم يكن ذلك أمراً هيناً ، وهدد الإمام بالذهاب إلى قم إن لم يتهيأ البيت ، فتعبأ الجميع وسعينا كثيراً لإيجاد بيت بسيط يتناسب مع ما يريده الإمام من جانب ، ويكون هناك مجال لمقابلاته من جانب آخر ، وهذا ما تحقق لنا في البيت الذي عرض علينا ، وهو المجاور لحسينية جماران التي يمكن أن تستخدم للمقابلات العامة . إنّ مجموع مساحة بيت الإمام ومكتبه ١٦٠ متراً مربعاً . أما بيت الإمام فيشتمل على غرفتين ، واحدة لمقابلة الشخصيات والأخرى خاصة للنوم ، وعندما كان يزداد عدد الضيوف في بعض الأحيان ، كنا نضطر إلى استخدام الغرفة الثانية ، أما حالة مكتبه فليست بأحسن من بيته إذا ليس فيه سوى بعض الكراسي . . .

جاء الإمام يوماً إلى الحسينية ولاحظ مجموعة من العمال والبنائين مشغولين بطلاء جدران الحسينية بالكلس فقال لنا كلمة عجيبة : اتركوني أموت ، وبعدها بادروا إلى هذا العمل . بالرغم من أن مبالغ إيجار البيوت (بيت الإمام ومكتبه) كان يعطي إلى مالكيها ، ومع ذلك فقد أمرنا الإمام ـ وكان ذلك قبل شهر رمضان المبارك ـ أن نرسل من يخبر مالك هذه البيوت وأفراد عائلته ، ليقابلوه ويسألهم ، فهو : (غير مطمئن إلى رضا أصحاب هذا البيت في بقائه هنا) ، فجاء جماراني وأخوه وأفراد عائلته ، فتكلم الإمام مع الرجال أولاً وقال لهم : « إنهم راضون (في بقائي) هنا أم لا ؟ أجابوه : (إنه من دواعي الفخر والإعتزاز لنا ولعائلتنا أن تكونوا هنا وهذه نعمة إلهية نشكر الله عليها إلى يوم القيامة » . قال الإمام : « اتركوا هذه المجاملات جانباً وأجيبوني بصراحة » فكرّروا ما قالوه أولاً ، مظهرين رضاهم ، فقال الإمام : لتأتِ النساء فجاءت النسوة ، فقال الإمام : لعلكّن تحببن العودة إلى بيوتكن ولا ترغبن في الذهاب إلى مكان آخر » وسألهن إن كنّ راضيات بسكناه في دارهن ، فأظهرن رضاهنّ أيضاً . عندئذٍ قال الإمام : حسن سأبقى هنا .

ويضيف كرماني وإني لأتمنى لو كانت معي الرسالة التي بعثها الإمام إلى المرحوم الشهيد آية الله بهشتي والتي يذكر فيها ما يملك الإمام من أموال وممتلكات ، لنتبين ما يملكه قائد الثورة في هذه الدنيا ، فكما تعلمون ، إن على

قائد الثورة ورئيس الجمهورية وبعض المسؤولين الآخرين في الدولة أن يقدموا قائمة بممتلكاتهم إلى مجلس القضاء الأعلى كما ورد في القانون الأساس لدستور الجمهورية الإسلامية . وبالرغم من أن بني صدر لم يقدم تلك القائمة أبداً ، ولكن الإمام ومن خلال سطرين أو ثلاثة ذكر كل ما يملك ، ومن الطريف أن نذكر أن الإمام قام بتسجيل حتى عدد الكتب التي يملكها وما لديه من مال يرجع إلى بيت المال وغيره ، ولم يتجاوز كل ذلك الثلاثة أسطر وحينها أيضاً أمر ابنه أن يفعل كما فعل .

مصروفات الإمام

يقول آية الله ناصري : . . . إن رأيي بالمرحوم الشهيد السيط مصطفى الخميني (ابن الإمام) أنه شخص لا نظير له . كان يأتي إلى الإمام في نهاية كل أسبوع ليأخذ مصروفه الأسبوعي ، ولا يزيده الإمام بأي شكل من الأشكال ، وعندما أراد المرحوم مصطفى أن يحج إلى بيت الله الحرام ، باع بيته في قم وأضاف إليه مقداراً من المال أخذه من زوجته وحينها سافر إلى مكة المكرمة .

. . . ويوصينا الإمام (عندما كنا في النجف) . لا يحق لأحد أن يستعمل الهاتف كثيراً وكان أجاز لنا أن نستعمله داخل مدينة النجف ولكنه حرم استعماله للإتصالات الخارجية مثل كربلاء أو أماكن أخرى ، حتى أن الإمام كان يقول للسيد أحمد : لا يحق لك أن تتصل بطهران أو بأي مكان آخر إلّا إذا كانت المكالمة خاصة بالثورة كأن يراد نقل منشور أو بيان

وأذكر لكم هذه الحادثة حول إقتصاد الإمام باستعماله الورق ، كتب الأخ رضواني للإمام (وهو المسؤول المالي له) شيئاً ما خلف كيس ورقي ، أجابه الإمام على ورقة صغيرة ، وكتب له هذه الملاحظة : بإمكانك أن تستفيد من هذه الورقة .

ولهذا كان الأخ رضواني يجمع قصاصات الأوراق ويحتفظ بها ، ويستعملها عندما يريد أن يكتب شيئاً للإمام ، وكان الإمام يكتب الجواب عليها .

في بداية مجيء الإمام إلى النجف الأشرف ، لم يوافق على شراء مبردة

للبيت ، ولكن بعد الإصرار الشديد من قبل الأخ خلخالي ، قائلاً : « إن كل من في البيت وكل من يزوره سوف يعاني من شدة الحرّ . عندئذٍ وافق الإمام على الشراء . وهذا ما حصل بالنسبة لشراء عدد من البطانيات .

. . . وقدم يوماً آية الله إشراقي إلى بيت الإمام وشاهد جزءاً منه متهدماً ، فقال للإمام رمموا الغرفة واصبغوها فأجابه الإمام : « لا يمكنني أن أصرف لذلك الأمر من بيت المال ، فقال آية الله إشراقي : سأقوم بدفع التكاليف وتمّ الإتفاق مع السيد رضواني على صبغ الغرفة وترميمها ، وانتهزنا فرصة سفر الإمام إلى كربلاء فقمنا بذلك ، وفرشنا الغرفة ببعض الفرش ، ولكن عندما عاد الإمام من كربلاء ، رأى الغرفة فقطب حاجبيه ، وقال للسيد رضواني : « لقد وافقت على صبغ الغرفة ولكن ليس بهذا الشكل . هذا مع إننا لم نسرف في عملنا . . إنّما فقط قمنا بوضع السجادة في وسط الغرفة وفرشنا حولها بعض البسط للجلوس وغطيناها بقطع من القماش الرخيص جداً .

. . . وعندما كان بعضنا يريد أن يتزوج كان يأتي إلى الإمام ليقترض منه قرضاً لمدة شهر أو شهرين . ويوم حصل هذا لي ، تصور بعضهم أن الإمام سيقوم بمساعدتي بمختلف المساعدات ، ولكن الإمام يوصي السيد رضواني بأن يعطيني مبلغ عشرة آلاف توماناً كقرض ، ويقول له : وتأخذ منه المبلغ بعد شهرين . ولكن هذا لا يعني أن الإمام لا يهتم بشؤون الطلبة ، بل على العكس ، فهو يعمل كل ما بوسعه من أجل حل مشاكلهم ورفع احتياجاتهم ، وإذا مرضوا فيساعدهم على المعالجة .

. . . ونأتي الآن إلى جانب آخر من حياة الإمام الخاصة وهو طعام الإمام ، فهو يرغب كثيراً في تناول الخبز والجبن مع الشاي ، ففطوره في الصباح ، وسحوره في شهر رمضان ، لا يزيد على الخبز والجبن والشاي ، وفي الفترة التي كانت زوجة الإمام مريضة ولا قدرة لها على الصيام ، كانت تأتي خادمة لتساعدهم بإداء أعمال البيت ولكنها لم تكن تستيقظ من نومها بسرعة على نداء الإمام ، ولهذا كان الإمام يقوم بنفسه ليعد الشاي لنفسه ويتناول طعام السحور .

صادف يوماً أن كان الإمام في كربلاء ، ولم تكن الخادمة في البيت ، ولهذا

حاولت أن أتطفل وأدخل المطبخ لأرى ما الذي تشتمل عليه ثلاجة الإمام ؟ فتحت باب الثلاجة فلم أجد سوى إناء يحتوي على الجبن وقطعة من الرقي (البطيخ) .

في صباح اليوم الذي قررنا فيه أن نذهب إلى الكويت ، توقفنا في الطريق عند أحد المقاهي لتناول الفطور وحينها تناول الإمام (الخبز والجبن والشاي) وفي ليلة اليوم نفسه عند عودتنا من الحدود الكويتية ، ذهبنا إلى أحد الفنادق وبعد أن نزلنا فيه قلنا للإمام لنطلب منهم أن يأتوا لك بالطعام فرفض ، فخرج أحدنا إلى السوق واشترى قطعتي كعك مع علبة لبن فأكل الإمام منها . . . [٥٤] .

* * *

وهكذا نستنتج مما سلف إنّ الإنسان في مسيرته الحياتية يترقى رتباً :

المرتبة الأولى : الإنسان الذي يكتفي بالأدنى من حياة عادية وهو قادر على الأكثر ولكنه لا يفعل .

المرتبة الثانية : الإنسان الذي يقبل على الدنيا إذا أقبلت عليه ولكن في الحلال .

المرتبة الثالثة : هي مرتبة المسرفين والمترفين ، ولتفصيل ذلك نقول :

إنّ المرتبة الأولى تخص من يريد أن يتخفف من أثقاله كأبي ذر (رض) حيث دخلوا إلى بيته ، فوجدوه فارغاً إلاّ من بعض الحاجيات الضرورية جداً ، ولما سئل عن سبب ذلك قال : نقلنا أثاثنا إلى دار إقامتنا الدائمة لأننا عما قريب سنسافر . . (يقصد إلى عالم الآخرة) .

ومن المعلوم ـ كما ورد في الخبر (أوردناه سابقاً) : انّ الإنسان يوم القيامة يسأل عن ثلاث : عن عمره فيما أبلاه ، وعن ماله فيما أفناه ، فحتى لا يطول وقوفه يوم الحساب ، فإنّ عليه أن يتخفف من حمل ثقل المتاع ، أما المرتبة الثانية : فهي مرتبة المؤمن العادي الذي يراعي السنن والقوانين الشرعية ، ويخاف الله فيما ينتج وفيما يستهلك .

أما المرتبة الثالثة ، فهي مرتبة عباد المال والدنيا ، الذين يعيشون من أجل

الدنيا ، وهدفهم جمع المال ، للذة وإرواء الشهوات .

قـال تعالى : ﴿ وابتـغِ فيـما آتـاك الله الـدار الآخرة ولا تنسى نصيبـك من الدنيا ﴾[1] .

البلاء واستقرار حالة المؤمن النفسية :

إن من كـمالات المؤمن وصولـه إلى حالـة تجعله يعيش استقراراً نفسيـاً تجـاه الإبتلاءات التي يتعرض لهـا في حياتـه ، ويعيش حالـة الحذر والتفحص والإنتبـاه تجاه الرخاء والنعم .

وشرط هـذه الحالـة أن تكون مستمـرة ، حتى يتعامـل مع الـرخـاء في كـل مصاديقه : مع المال ، والجـاه ، ومع القـوة الجسديـة والنفسية الممنـوحة لـه . . . يتعامل مع الرخاء على أساس أنه اختبار له ، وعليه أن ينجح في هذا الإمتحان .

وإذا تحول الرخاء إلى فتنة يصبح ضرره كبيراً ، وتصبح نفسية المصاب بهذا الرخاء في عنـاء وتعب ، أما الـذي ينزل بـه البلاء ، فيستسلم لمشيئـة الله ، ويعد نفسه لهذا البلاء حتى يحوله إلى نعمة ، فإنه يربح الدنيا والآخرة ، وذلك بالتعامـل مع هذه البلاءات بفرح وسرور وسعادة .

ويمكن أن نميز بين عدة حالات :

١ ـ إن من البـلاءات ما لا يمكن تغيـيره ، كمن يفقد عـزيزاً ، فهـذا بـلاء ينزل بالإنسان فلا يستطيع أن يفعل شيئاً تجاهه .

٢ ـ وهناك نوع من البـلاءات يمكن تغييره ، كـالمرض العـادي فهو يتعـامل معه على أنه فتنة ، وفي نفس الوقت يعمل للتداوي لمعالجة هذا المرض ، فلا يجوز للمسلم أن يهمل نفسه لأنه يتحمل عاقبة هذا الإهمال .

٣ ـ وهناك قسم ثالث من البلاءات يحتمل تغيـيره ، أو انّ تغييره يحتـاج إلى فترة طويلة كبعض الأمراض المزمنة المستعصية ، وفي هذه الحالة عليه ألا ييأس من

---

[1] سورة القصص : الآية ٧٧ .

رحمة الله ، وأن يسعد في بلاء الله هذا ، وأن يوطن نفسه على الألم ويعلم أن أوجاعه وآلامه ، إنّما هي حسنات في ميزان يوم القيامة ، فيشعر بالغبطة والراحة النفسية ، كما أن الإيمان يتعمق ويكمل عندما يصل الإنسان إلى وضعية نفسية ، بحيث لا تؤثر فيه البلاءات ولا يبطره الرخاء .

البلاء والدعاء

قال تعالى : ﴿ الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنّا لله وإنّا إليه راجعون ﴾[١] .

وفيما أوحى الله إلى موسى (ع) : « يا موسى . . . اتخذوني جنة للشدائد وحصناً لملمات الأمور » .

وفي فقه الرضا (ع) قال : « رأيت أبي عليه السلام فقال : يا بني إذا كنت في شدة فأكثر من أن تقول : يا رؤوف يا رحيم والذي نراه في النوم كما نراه في اليقظة »(٥٦) .

وقال رسول الله (ص) : « إذا رأيتم أهل البلاء فاحمدوا الله ولا تسمعونهم فإن ذلك يحزنهم » .

وعن الباقر (ع) : « تقول ثلاث مرات إذا نظرت إلى المبتلى من غير أن تسمعه : الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به ، ولو شاء فعل ، قال : من قال ذلك لم يصبه ذلك البلاء أبداً »(٥٧) .

وقال الصادق (ع) : « إذا رأيت الرجل قد ابتلي وأنعم الله عليك ، فقل : أللهم إني لا أسخر ولا أفخر ولكن أحمدك على عظيم نعمائك علي »(٥٨) .

بعد هذا نقول : إلى من يتوجه المؤمن في الملمات والصعاب والشدائد ؟ .

إلى من ينصب وجهه ، ويفتح قلبه ، ويرفع كفيه ؟ .

---

[١] سورة البقرة : الآية ١٥٦ .

أليس الله هو الرب الرؤوف ، الرحيم ، الـذي منه البـداية وهـو الغايـة ، وإليه المصير ، والرجوع ؟ .

من يكشف السـوء ، ويجيب المضـطر إذا دعــاه . . . أليس هـو الله ، رب العالمين ، الرؤوف ، الرحيم ؟ .

ومن لأهل البلاء ، غير الله ؟ وما هو موقف المعافى إذا رأى مبتلى ؟ .

ألا يشعر بأن الله قادر على أن يصنع به ما صنع بهذا الذي ابتلى ؟ .

أليس من واجبه أن يسمو بنفسه وأخلاقه وإيمانـه ، فلا يسخـر ولا يفخر ، ولا ينظر إلى صحته ، وعافيته ، فرب عافية صارت بلاء ، ومرضاً عضالاً ، ورب سلامة صارت سقماً ؟ .

. . . الحمد ـ على العافية ، يقولها في سره ، حتى لا يحزن مبتلى ، ولا يشعر معافى بالفخر ، أو الإعتزاز ، لأن من عـافاك ، وعليـك أنعم ، إن عنك تخـلى ، فلا تدري ساعتئذٍ ، ما دهاك ، وأصابك من بلاء .

وذلـك لأن الشعور مـع الناس ، وتحسس آلام المتـألمـين ، صفـة إنسـانيـة إيمـانية ، لا يـدركها إلاّ أهـل الله ، من الذين أنعم الله عليهم ، بنعمـة العقل ، والإيمان ، والمحبة لخلق الله ، بالرأفة والرحمة ، لأن الله رؤوف رحيم .

قصة النبي موسى (ع) والخضر (ع) ، فتن . . . ونعم

لقد وردت في القرآن الكريم ، قصة النبي موسى والخضر عليهما السـلام ، ونظراً لما تحويه هذه القصة العجيبـة من عناصر الإبتـلاءات والنعم ، وتوحيـه من معان عميقة ، نثبتها كما جاءت في القرآن الكريم :

﴿ وإذ قال موسى لفتاه لا أبرحُ حتى أبلُغَ مجمَعَ البحرين أو أمضي حقباً * فلما بلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِما نسِيَا حوتهما فاتَّخَذَ سبيله في البحر سَرَباً * فلما جاوزا قال لِفتاه آتنا غَدَاءَنا لقد لقينا من سفرِنَا هذا نَصَباً * قال أرأيت إذ أوينـا إلى الصخرة فـإني نسيتُ الحوتَ وما أنسانيه إلاّ الشيطانُ أن أذكُرَهُ ، واتَّخذَ سبيلهُ في البحر عَجَبـاً * قال ذلك ما كنا نبغِ ، فارتدا على آثارهما قصصاً * فوجدا عبداً من عبـادِنَا آتينـاهُ

رَحْمَةً من عندنا وعلّمناه من لدُنّا علماً * قال له موسى هل أتّبِعُك على أن تُعلمنِ مما عُلِّمْتَ رُشداً * قال إنّك لن تستطيعَ مَعِيَ صبراً * وكيف تَصْبِرُ على ما لم تُحِط بِهِ خُبْراً * قال سَتَجدُني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً * قال فإن اتّبعتَني فلا تَسْئَلْني عن شيءٍ حتى أُحْدِثَ لك منه ذكراً * فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينةِ خَرَقَها قال ، أخَرَقْتَها لِتُغْرِقَ أهلها لقد جئت شيئاً إمراً * قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صَبراً * قال لا تؤاخذني بما نَسِيتُ ولا تُرْهِقني من أمري عُسراً * فانطلقا حتى إذا لقيا غُلاماً فقتله قال أقتلتَ نَفْساً زكيةً بغير نَفْسٍ لقد جئت شيئاً نُكراً * قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً * قال إن سألتُك عن شيءٍ بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدنّي عذراً * فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يُضيّفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه ، قال لو شِئت لتّخذْتَ عليه أجراً * قال هذا فراقُ بيني وبينك سأنبّئك بتأويل ما لم تستطع عليه صَبراً * أما السفينة فكانت لمساكينَ يعملون في البحر فأردت أن أعيبَهَا وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً * وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يُرْهِقهما طغياناً وكُفراً * فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاةً وأقرَبَ رُحماً * وأمّا الجدَار فكان لِغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنزٌ لهُمَا وكان أبُوهُما صَالِحاً فأرادَ رَبُّكَ أن يبلُغا أشُدَّهُمَا ويستخرجا كنزهُما رحمةً من ربِّك وما فَعَلْتُهُ عن أمري ، ذلك تأويلُ ما لم تسطِع عليه صَبْراً ﴾[1] .

القصة من الروايات :

أوحى الله سبحانه إلى موسى (ع) ، انّ هناك عبداً من عباده عنده من العلم ، ما ليس عند موسى (ع) ، وأخبره أنه إن انطلق إلى مجمع البحرين وجده هناك ، وهو في المكان الذي يحيى فيه الحوت الميت أو يفتقد فيه الحوت .

عن الصادق عليه السلام : انّ الخضر (ع) كان نبياً مرسلاً ، وتقول الرواية ان اسمه كان : تاليا بن مالك بن عابر بن أرفخشد بن سام بن نوح .

وفي رواية أن الخضر وذي القرنين لم يكونا نبيين بل كانا عالمين ، فتأمل .

---

[1] سورة الكهف : الآية ٦٠ إلى ٨٢ .

وعن أهل البيت عليهم السلام أن الخضر لا يزال حياً ، وهذا ليس مستحيلاً عقلاً وليس بمعجز لخالق الكون وهو الذي يقول للشيء كن فيكون .

ومن المعروف أن موسى عليه السلام كان نبياً ورسولاً ، وهو من أولي العزم ، وعن جعفر بن محمد (ع) في خبر قال : « ان موسى (ع) كلمه الله تكليماً ، وأنزل عليه التوراة وكتب له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء ، وجعل عصاه آية في يده ، وفي الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وفلق البحر وأغرق الله فرعون وجنوده ، فقال موسى في نفسه : ما أرى الله عز وجل خلق خلقاً أعلم مني ، فأوحى الله إلى جبرائيل : ادرك عبدي قبل أن يهلك وقل له : إن عند ملتقى البحرين رجلاً عابداً فاتبعه وتعلّم منه . وإنّ جبرائيل (ع) هبط على موسى بما أمره به ربّه عز وجل ، فعلم موسى أن ذلك لما حدثته به نفسه .

فمضى موسى وفتاه (يوشع بن نون) حتى انتهيا إلى ملتقى البحرين فوجدا هناك الخضر (ع) يعبد الله عز وجل كما قال الله في كتابه : ﴿ **فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا ، وعلمناه من لدنا علماً** ﴾ إلى آخر القصة .

لقد اختلفت الروايات في مكان مجمع البحرين .

ففي رواية ابن بابويه والقمي أن مجمع البحرين من أرض الشامات ، وفلسطين ، بقرينة أن القرية التي ورداها هي الناصرة التي ينسب إليها النصارى .

وفي رواية أخرى أن الأرض كانت أذربيجان ، وهو يوافق رواية السدي في الدر المنثور وأن البحرين هنا : الكر والرس ، وقيل أنهما بحرا الروم والفرس .

أما الحوت فهو نوع من السمك الكبير ، يعيش في البحار والمحيطات[٥٤] .

فعزم موسى (ع) أن يلقى العالم ويتعلم منه بعض ما عنده إن أمكن ، وأخبر فتاه عما عزم عليه ، فخرجا قاصدين مجمع البحرين ، وقد حملا معهما حوتاً ميتاً وذهبا حتى بلغا مجمع البحرين ، وقد تعبا وكانت هناك صخرة على شاطىء البحر فأويا إليها ليستريحا هنيهة ، وقد نسيا حوتهما ، وهما في شغل منه ، وإذا

بالحوت اضطراب ووقع في البحر حياً ، أو وقع فيه ، وهو ميت وغار فيه ، والفتى يشاهده ، ويتعجب من أمره غير أنه نسي أن يذكره لموسى ، حتى تركا الموضع وانطلقا حتى جاوزا مجمع البحرين ، وقد نصبا (تعبا) فقال له موسى : آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً ، فذكر الفتى ما شاهد من أمر الحوت ، وقال لموسى إنّا إذا آوينا إلى الصخرة حيي الحوت ، ووقع في البحر يسبح فيه حتى غار وكنت أريد أن أذكر لك أمره ، ولكن الشيطان أنسانيه ، (أو إني نسيت الحوت عند الصخرة فوقع في البحر وغار فيه) .

قال موسى : ذلك ما كنا نبغي ، ونطلب فلنرجع إلى هناك فارتدا على آثارهما قصصاً ، فوجدا عبداً من عباد الله ، آتاه الله رحمة من عنده ، وعلمه علماً من لدنه فعرض عليه موسى ، وسأله أن يتبعه فيعلمه شيئاً ذا رشد ، مما علمه الله ـ قال العالم : إنّك لن تستطيع معي صبراً على ما تشاهده من أعمالي ، التي لا علم لك بتأويلها وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً ؟ فوعده موسى (ع) أن يصبر ولا يعصيه في أمر إن شاء الله تعالى فقال له العالم : بانياً على ما طلبه منه ووعده به ـ فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً .

فانطلق موسى والعالم حتى ركبا سفينة ، وفيها ناس من الركاب وموسى خالي الذهن عما في قصد العالم ، فخرق العالم السفينة خرقاً لا يؤمن معه الغرق ، فأدهش ذلك موسى وأنساه ما وعده ، فقال للعالم : أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمراً ، قال له العالم : ألم أقل إنّك لن تستطيع معي صبراً ؟ فاعتذر إليه موسى بأنه نسي ما وعده من الصبر قائلاً : لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً .

فانطلقا فلقيا غلاماً ، فقتله العالم فلم يملك موسى نفسه ، دون أن أنكر عليه ذلك قائلاً : أقتلت نفساً زكية بغير نفس ؟ لقد جئت شيئاً نكراً . فقال له العالم ثانياً : ألم أقل لك إنّك لن تستطيع معي صبراً ؟ فلم يكن عند موسى ما يعتذر به ويمتنع به عن مفارقته ونفسه غير راضية بها فاستدعى منه مصاحبة مؤجلة بسؤال آخر إن أتى به كان له فراقه واستمهله قائلاً : إن سألتك عن شيء بعدها ، فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً ، وقبله العالم وانطلقا حتى أتيا قرية وقد بلغ

بهما الجوع فاستطعما أهلها فلم يضيفهما أحد منهم ، وإذا بجدار فيها ، يريد أن ينقض ويتحذر منه الناس ، فأقامه العالم : قال له موسى : لو شئت لاتخذت على عملك منهم أجراً ، فتوسلنا به إلى سد الجوع فنحن في حاجة إليه ، والقوم لا يضيفوننا فقال له العالم : هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً ، ثم قال : أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر ويتعيشون بها ، وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً ، فخرقتها لتكون معيبة لا يرغب فيها .

وأما الغلام فكان كافراً ، وكان أبواه مؤمنين ، ولو أنه عاش لأرهقهما بكفره وطغيانه فشملتهما الرحمة الإلهية فأمرني أن أقتله ليبدلهما ولداً خيراً منه ، زكاة وأقرب رحمة فقتلته .

وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة ، وكان تحته كنز لهما ، وكان أبوهما صالحاً فشملتهما الرحمة الإلهية ، لصلاح أبيهما فأمرني أن أقيمه فيتسقيم حتى يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما ولو انقض لظهر الكنز وانتهبه الناس ، قال : وما فعلت الذي فعلت عن أمري بل عن أمر من الله وتأويلها ما أنبأتك به ثم فارق موسى (ع)(٥٩) .

من هذه القصة القرآنية ، نرى أهمية الوعي للتعامل مع الأحداث ، ومجريات الأمور بتفكير ، وصبر ، لأن الرخاء فتنة ، ومحنة ، والبلاء نعمة ، كما جاء في الحديث ، فتدبر .

أبعاد قصة الخضر مع موسى (ع) في حوار
يعتمد نظرية المفروغ والمستأنف للشهرستاني

يقول الشهرستاني : (للأجساد تربية بالغذاء الجسماني . . بالطعام والشراب ، وللأرواح تربية بالغذاء الروحاني . . . بالتنزيل والتأويل .

الأجساد مخلوقة من « التراب » و« الماء » ، وغذاؤهما مصنوع من ذلك أيضاً ، والأرواح مخلوقة من « الأمر » و« الكلمة » ، وغذاؤهما مصنوع من الكلمة .

إن أكلت عشرة أمنان من الطعام لا تصبح عالماً ، وإن تعلمت عشرة علوم لا تصبح بديناً .

الجوع للأنبياء مفيد والشبع مضر : (أجوع يوماً وأشبع يوماً ، لأنهم يربّون الروح لا البدن) .

الشبع لأهل الدنيا مفيد والجوع مضرّ : « يأكلون الأنعام » لأنهم يربّون البدن لا الروح .

إذا بلغ الأجل تودع جسدك القبر ، فما فائدة السمنة ؟ وتذهب الروح إلى العالم الروحاني ، فما ضرر النحافة ؟ هنالك النحافة ليست بعيب للرجل العالم .

موسى عليه السلام كان يجد طعام الملوك ، مدّة بقائه جوار فرعون ، بذلك يسمن .

قيل له : إن أردت علم شعيب فضع قدمك على الطريق ، اجلس تحت شجرة جائعاً حائراً مردداً : ﴿ . . . ربّ إني لما أنزلت إليّ من خير فقير ﴾ ، عليك أن تقضي عشرة أعوام في العمالة لتتعلم عشر مسائل علمية ، إن أردت علم الخضر ـ عليه السلام ـ فابحث حول العالم عاماً كاملاً : ﴿ . . . آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ﴾ قال : ما كان عندي غير حوت ، وهذا أيضاً نسيت أنه ﴿ . . . اتّخذ سبيله في البحر عجباً ﴾ قال : قد وجدنا علامة الرجل العالم ، انهض لنأتي منزله .

ما لم يتسرّب غذاؤه الجسمي منه في البحر ، لم يحصل على غذائه الروحي : ﴿ فوجدا عبداً من عبادنا ﴾ قد آتيناه رحمة خاصة ، وعلمناه علماً خاصاً . فما تلك الرحمة ؟ إنها « الصبر على ما لا يعلم حتى يعلم فيعلّم » وتلك ميزته التي لم تكن عند موسى .

يقول موسى : ﴿ . . . هل اتّبعك على أن تعلّمن مما علمت رشداً ﴾ . . . ستة آداب في التواضع عمل بها ليعلن عن تلمذته .

أولاً : « هل » تفيد الإستفهام لا الجزم ، « اتبعك » تفيد المتابعة لا المصاحبة ، « على أن تعلمن » تعني أن الأستاذية والمعلمية لك ، والتلمذة والتعلم لي ، « ممّا » تفيد التنقيص لا التكميل « علّمت » أي مما علّموك ، لا ممّا علِمت ، « رشداً » أي اقبلني على قدر لياقتي ، لا على قدر قوتك وقدرتك . . . أدّى ستة ألوان من أدب التواضع ، لكنه تلقى جواباً خشناً : ﴿ . . . . إنّك لن تستطيع معي صبراً ﴾ ﴿ وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً ؟ ﴾ .

ومرة أخرى عبر عن تواضعه : ﴿ ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً ﴾ .

عجباً ! خشونة موسى ، أين ذهبت ؟ نعم ، حينما كان يجب أن أتحدث مع هارون فأنا مُعلِّم وهو متعلم : ﴿ وأخذ برأس أخيه يجرّه إليه ﴾ ، كنت معه خشناً وهو يصبر . وها أنا ذا متعلم والخضر معلِّم ، فمنه الخشونة ومني الصبر . . . ﴿ ستجدني إن شاء الله صابراً ﴾ دون أن أعصي لك أمراً .

﴿ قال فإن اتبعتني فـلا تسألني عن شيء حتى أحـدث لك منـه ذكراً ﴾ وفي ثلاثة أحوال أدى ثلاثة أعمال :

الأول ـ خرق سفينة مساكين البحر ، بدون سبب .

الثاني ـ قتل غلام ، دونما ذنب .

الثالث ـ اقامة جدار قديم ، دون أجر .

مـوسى يقول : خـرق السفينة دون سبب تصرّف في مـال الآخـرين بـدون استحقـاق ، ولا يجـوز ذلـك في الشريعـة ، وقتـل غـلام دون ذنب تصرّف في دم شخص بدون قصاص ، وهذا أيضاً لا ينبغي في الشريعة ، وعمارة جـدار مكسور بدون أجر ، إقحام للنفس في عمل لا طائل تحته وهذا أيضاً محظور في الشريعة .

يقـول الخضر : لأنّ غاصبـاً أراد أن يغتصب السفينة ، فخـرقتهـا ليـتركهـا الغاصب ، وفي شريعّتك يجوز الإحتفاظ بالكلي بواسطة فسـاد جزئي ، كـما تقطع اليد المجذومة ليبقى الجسد كله . وهذا جواب خرق السفينة .

وأمّا الحادثـة الأخرى ، فـلأن الغلام سيكفـر بعد بلوغـه ، سيتعدى كفـره لوالديه المؤمنين ، فجاز قتل الغلام للإحتفاظ بالأصـل عن طريق هـلاك الفرع ، كما أن الغصن يقطع حين ييبس لتفرع الشجرة غصناً آخر ، وهذا جائز في العقـل والشرع .

وأمّا الحادثـة الثالثـة : فإن اختيـار مصلحة الآخـرين ونفعهم على حسـاب تعبي وضـرري من مكارم الأخلاق ، فذلك الجدار كان علامة كنز ليتيمين ، وإن إنهارَ ذهبت العلامة وضاع الكنز ، وحرم اليتيمان ، وكان لهما أب صالح .

يقـول موسى : الأول ، تصرف في مـال شخص بدون إذنـه في (الحال) ، والغصب الذي سيأتي هو في (ثاني الحـال) ، وأنت في هذا الحـال غاصب ، بـل ظالم ، فربمـا جاء ذلـك الغاصب وربمـا لم يأتِ ، والثـاني تصرف في نفس شخص بريء في الحال ، والكفر الذي سيعتنقه ، هو في ثاني الحال ، وأنت في هـذا الحال قاتل وظالم ، فذلك الكفر قـد يحصل وقـد لا يحصل والثـالثة : تصرّف في النفس وإيـذاؤها بـالرغم ممـا تعانيـه من جوع وحـيرة ، وهو عمـل لا طائـل تحته ، ومن

الممكن أن لا يسقط ، وإن اتخذت عليه أجراً فذلك أولى .

يقول الخضر : (لعل) و(لعل) بك لأنك في عالم (لعلّ) و(ربّ) ، في عالم الشك والشبهة ، وأنا في عالم اليقين : ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾ .

كل ما هو لك شك فهو لي يقين ، كل ما هو لك ممكن لي واجب . أنت تقول : لعل الغاصب لا يأتي ، وإذا أتى قد لا يأخذ السفينة ، لعل هذا الغلام يبلغ ولا يكفر ، وإن كفر فقد لا يتعدى كفره لوالديه ، لعل هذا الجدار لا يسقط ، وإن سقط فقد يعمره آخر . وأنا أرى بعين اليقين أن الغاصب يأتي ، واعلم يقيناً أن ذلك الجدار ينقضّ . حكمي على أساس اليقين ، وحكمك على الشك ، عليك أن تنتظر ليتبدل شكك إلى يقين ، وعلي أن لا أنتظر .

موسى يقول : هذه الأحكام التي تطلقها هي أحكام المستقبل ، وأنا أحكم بحكم الحال . وحادثة اليوم يجب أن نحكم فيها بحكم اليوم ، ولغد حكم الغد . ما زال الغاصب لم يأت فكيف تحكم بمجيئه ؟ الغلام لم يبلغ رشده ولم يكفر ، فكيف تحكم عليه بالكفر ؟ الحائط لم يسقط فيكف تحكم عليه بالسقوط ؟ .

الخضر يقول : أمس واليوم وغد . . . زمان ، وأنت رجل زمان ، عليك أن تحكم بمقتضى الزمان . وأنا لست برجل زمان ، الأمس واليوم وغد بالنسبة لي على سواء . كل ما سيقع قد وقع بالنسبة لي . والغاصب ، الذي سيأتي ، قد اقترب مني . وكفر الغلام ، الذي سيقع ، قد وقع لي . والحائط الذي سينقضّ ، قد انقضّ لي . وأنا لا أحكم زمانياً لأن حكمي فوق الزمان ، لا بد أن تمر عليك سنة لتجدني ، أنا أجدك في لحظة ، أصل بلحظة واحدة من المشرق إلى المغرب . والزمان والمكان تحتي . وأنا فوق الزمان وفوق المكان . كل حكم أصدره ليس بزمانيّ .

موسى يقول نعم صحيح ، لكن أسباب الأعمال يجب أن تسبق ، لنصدر الأحكام بناء على الأسباب ، لم يظهر السبب إلى الوجود ، فكيف تصدر الحكم ؟ الغلام لم يكفر فكيف تصدر بحقّه الكفر ؟ وما دام الجدار لم يسقط فكيف تصدر عليه حكم الساقط ؟ لم ير أحد قط إطلاق الأحكام قبل الأسباب .

يقول الخضر : في عالم الأسباب تتقدم الأسباب على الأحكام ، ولكن في عالم انعدام الأسباب تطلق الأحكام دونما سبب . تنطلق الأحكام بالأمر . تطلق الأحكام بالعمل ، ويطلق الحكم بالمشيئة : « فهي بمشيئتك دون قولك مؤتمرة ، وبإرادتك دون وحيك منزجرة » .

ما هو معلوم محكوم ، وما يراد محتوم .

يقول موسى : فعلام التكليف ؟ لِمَ إرسال الأنبياء عليهم السلام ؟ ولمن الأوامر والنواهي ؟ كيف تطبّق الشرائع والأحكام ؟ وأين العدل والشريعة ؟ أنت ـ دونما سبب ـ تتلف أموال الفقراء، وبدون موجب تسفك دماً غير مباح، وبدون أجر تؤدي أعمال الآخرين ، وتقول : احكم بالعلم . احكم بالإرادة والمشيئة . ﴿ فأردت أن أعيبها ﴾ ، ﴿ فأردنا أن يبدلهما ربّهما خيراً منه زكاة ﴾ ، ﴿ فأراد ربّك أن يبلغا أشدهما ﴾ هل يبقى لي تكليف ؟ وكيف يصبح حكم الشريعة وإلى أين يتجه الأمر والنهي ؟ .

يقول الخضر : يا موسى لقد أخطأت حيث اعتبرت الحكم واحداً ، ولله تعالى في مجاري الأحكام حكمان :

أحدهما : مفروغ ، والآخر مستأنف .

الأول : قد انتهى ، والآخر : يبدأ .

أحدهما : قد قُدّر ، والآخر يتجه للتكليف .

أحدهما : ﴿ وتمّت كلمة ربّك صدقاً وعدلاً لا مبدّل لكلماته . . . ﴾ والآخر : ﴿ . . . وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا ﴾ .

أحدهما : ﴿ ما يبدل القول لديّ . . . ﴾ ، والآخر : ﴿ وإذا بدّلنا آية مكانة آية . . . ﴾ .

ولما كان ثمة حكمان ، فثمة حاكمان ، قاضيان ، أحدهما قاضٍ يقضي بحكمه ، والآخر قاضي يقضي بشاهدين وقسم .

أحدهما قاضي الشريعة والآخر قاضي القيامة .

حكم قاضي الشريعة : العدل في الشريعة . وحكم قاضي القيامة : العدل

في القيامة ، عدل الشريعة شاهد وقسم ، وعدل القيامة علم ومشيئة .

أنت قاضي الشريعة ، لا تحكم ما لم تر أو تسمع ، وأنا نائب قاضي القيامة ، حكمت إذ علمت وعملت إذا أردت . أنت تعمل على قاعدة (اعملوا تؤجروا) ، وما لم تعمل لا تؤجر ، وما لم تؤجر لا تعمل . وأنا عامل بدون أجر ، وأؤجر بدون عمل : « وكل ميسرّ لما خلق » .

يقول موسى : لما كان الحال كذلك ، فما فائدة التكليف ؟ ولّما كانت الأعمال مفروغة فما فائدة (لا تكفر) ؟ لما جاء : ﴿ **وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون** ﴾ ، فما فائدة ﴿ **قم فأنذر** ﴾ ؟ .

كانت الكلمة قد قضيت ، ولا يكون غير الذي قضي ، فما فائدة الحكم ؟ إذا لم يرفع هذا الحكم ذاك الحكم فيستلزم في التكليف الظلم .

الخضر يقول : التكليف مظهر التقدير ، والتقدير مصدر التكليف ، ما كان في التقدير لا يظهر إلاّ بالتكليف ، وما كان في التكليف لا يظهر إلاّ بتقدير الفائدة .

المفروغ يظهر في المستأنف ، والمستأنف يظهر من المفروغ . فالمفروغ والمستأنف إذن كلاهما مفروغ ، ومع ذلك فالمفروغ مفروغ والمستأنف مستأنف .

أنا حاكم المفروغ ، وأنت حاكم المستأنف ، أنا رجل التأويل ، وأنت رجل التنزيل ، أنا أحكم على الباطن وأنت على الظاهر . وكلا الحكمين حقّ : (وكل مجتهد مصيب) .

اتضح من هذا أنه لا حكمي يرفع حكمك ، ولا حكمك يرفع حكمي . لا يستلزم حكمي عجزاً ، ولا يستلزم حكمك ظلماً قوله : ﴿ **ما يبدّل القول لديّ** ﴾ يعلمك أنه ليس ثمة عجز ، قوله : ﴿ **وما أنا بظلّام للعبيد** ﴾ يعلمك أنه ليس ثمة ظلم .

لما كان في العالم خير مطلق ، وشرّ مطلق ، وخير وشرّ بالإضافة ، فإن ما هو خير مطلق جوهر لا يتغير أبداً ، وما هو شرّ مطلق جوهر أيضاً لا يتغيّر أبداً وما هو خير وشرّ بالإضافة فهو في حالة دوران . من هنا فكل ما هو خير ولا يتغيّر ، مفروغ ، وما يتغيّر مستأنف .

اليتيمان اللذان لهما كنز كانا من الخير المطلق ، فلا جرم أن يقوم بعملهما رجلان كبيران على ما فيهما من حيرة وجوع ، كيلا يضيع أثر الكنز ، وذلك الطفل كان من حيّز الشر المطلق : (كان الغلام الذي قتله الخضر (ع) مطبوعاً على الكفر) فلا جرم أن يقطع رأسه في الطفولة : وانظر إلى علامته المكتوبة عليه : (كافر مطبوع) ، وتلك سفينة مساكين البحر التي أراد أن يستولي عليها الغاصب كانت على حدّ الإمكان ، من حيّز الخير الإضافي والشرّ الإضافي : ﴿ **وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبراً** ﴾ .

يقول موسى عليه السلام : هذه الثنائية في الحكم والشكل التي ذكرتها قد اتضحت . ويبقى السؤال : أي حكم هو الأصل وأيهما الفرع ؟ وأي القوانين متقدم وأيهما متأخر ؟ وأي حكم يهيمن على الحكم الآخر ويحيط به ، وأيهما محاط ؟ ومن منهما كلي والآخر جزئي ؟ أم هل الحكمان متساويان ؟ .

الخضر يقول : الأسئلة تتوالى حتى يعلم الرجل (كلمة الفصل) . إن أذعنت أني معلم وجئتني متعلماً ، فلا بد ـ على كل حال ـ أن أجعلك تستسلم إني أعلم شيئاً لا تعلمه ، وأعمل شيئاً لا تستسيغه ، فإن اعترضت يبطل التسليم ، وإن سكت تبقى محروماً من علم ذلك الشيء . وصعب هو (الصبر على ما لا يعلم حتى يعلم) ، إنه عمل الرجال .

وهنا حيث اعتبرت نفسك متعلماً وأنا معلم ، وذكرت المفروغ والمستأنف ، فالمفروغ كمال والمستأنف نقصان متجه إلى الكمال . المفروغ رجل كامل الخلقة ، والمستأنف نطفة متجهة إلى الكمال . المفروغ العالم ، والمتسأنف المتعلم . المفروغ النبي ، والمستأنف الأمة . العالم محيط والمتعلم محاط . النبي كل ، والأمة جزء . والكل متقدم على الجزء . والجزء متأخر عن الكل .

إفهم التنزيل والتأويل والأول والآخر والظاهر والباطن على هذا الميزان . وتعلم الترتب بينهما كي يرتفع كلّ إشكال . وفي كل حال . وفي كل مسألة لا يعرف الشخص فيها الحكمين والحالتين يبقى في ظلمات الشبهات . قد ينجر إلى التشبيه وقد ينجرّ إلى التعطيل ، وقد ينجرّ إلى حالة الجبر والمفروغ وقد ينجرّ إلى حالة القدر والمستأنف ، وقد ينجرّ إلى انتهاج السمع ، وقد ينجرّ إلى انتهاج العقل .

وشبهات العالمين ليست أكثر من هذه المسائل الثلاث : تشبيه أو تعطيل ، وجبر أو قدر ، وسمع أو عقل . ومن هذه الثلاث انطلقت كل الشبهات والعلوم ، ومن حكم بواحدة فله عين واحدة ، (أعور بأي عينيه شاء نظر) .

وبعد أن جرت هذه المناظرة بتفاصيلها بين موسى والخضر ـ عليهما السلام ـ وأرادا أن يفترقا ، جاءت غزالة من البر ووقفت بين الرجلين ، نصفها مطبوخ ، ونصفها نيء ، المطبوخ باتجاه الخضر والنيء باتجاه موسى . قال الخضر : يا موسى إن أردت أن تأكل من لحمها فانهض واوقد النار ، وهات الحطب واشعله ، واطبخ اللحم النيء ، لتستطيع أن تأكل . والخضر مدّ يده وأكل المطبوخ .

كنت أقرأ ذلك في التفسير أيام الشباب ، وأقول : ما معنى هذا المثل ؟ حتى سمعت بخبر الجبر والقدر الذي دار بين أبي بكر وعمر ، حيث أنكر عليهما النبي (صلى الله عليه وآله) ، وقال « أبهذا أمرتم ؟ » هلا تكلمتم في ملك خلقه الله تعالى نصفه من النار ونصفه من الثلج ، فلا النار تذيب الثلج ، ولا الثلج يطفىء النار ، تسبيحه سبحان من جمع بين النار والثلج » .

وذلك الملك الذي خلق نصفه من النار ونصفه من الثلج هو نفسه نصفه مطبوخ ونصفه نيء .

يا موسى : لمّا كنت في عالم الأسباب فأنتَ موكل بالنيء ، موكل بالمستأنف ، قم وأتِ بالنار واطبخ اللحم النيء لتأكل . ولما كنتُ في عالم انعدام الأسباب فأنا موكل بالمطبوخ ، موكل بالمفروغ ، يجب أن آكل المطبوخ ، في دنياي كل شيء مطبوخ ، وكل الأشجار مثمرة ، وكل الأثمار ناضجة ، وكل الكينونات كائنة ، وكل العقول كاملة ، وكل النفوس تامة ، وكل الأمزجة معتدلة .

أنا ـ إن خرقت السفينة ـ فقد حافظت عليها ، وإن قتلت الطفل فقد حافظت على الحياة ، وإن أعدت بناء الجدار فقد حافظت على الكنز .

وأنت يا موسى . قد شاهدت هذه الحالات الثلاث في نفسك . سفينتك كانت جسمك . ألواح السفينة أعضاء جسمك . مساكين السفينة المعاني الموجودة في بدنك . كان الغاصب فرعون ، والخضر جبرائيل الذي مدّ يدك إلى النار لتضعها في فمك ، وليحترق لسانك ، واللسان كان لوحاً من ألواح السفينة

للمساكين . وحادثة قتل الغلام كقتل ذلك القبطي الذي وكزته بدون ذنب وقتلته ، ممّا أدى إلى فرارك وإلى أن تصل إلى مرتبة النبوّة ، والحادثة الثالثة الحائط . وأنت أيضاً قطعت طريقاً طويلاً ، ووصلت جائعاً ضنكاً إلى بئر حيث الرعاة يسقون ماشيتهم ، وعلى تعبك وجوعك ساعدت ابنتي شعيب كي يسقيا ماشيتهما ، ولم تطلب أجراً فلمَ فعلت ذلك ؟ عبارة ﴿ **وأبونا شيخ كبير** ﴾ هي عبارتي نفسها ﴿ **وكان أبوهما صالحاً** ﴾ . ولما كانت تلك الحالة قد مرت عليك فلماذا أنكرتها عليّ .

وهذه الحالات الثلاث تمر على كل شخص ، قلب المؤمن مكسور : « أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي » ، والقلب المكسور يتركه الشيطان ليبقى لسكنة القلب ، النفس الأمّارة يجب أن تقتل ، وإن استفحلت تُبيد الأبوين : العقل والنظر . وتجرّ إلى الأهواء . والنفس الأمّارة إن قتلت تحل النفس المطمئنة . وهكذا جدار حول الإنسان وقوته قابل للهدم وإعادة البناء فتحته كنز : « لا حول ولا قوة إلاّ بالله كنز من كنوز الجنة » ولذلك الكنز كلمتان وكلاهما يتيما هذا العالم . أحدهما : كلمة التوحيد ، والأخرى : كلمة النبوة . أحدهما : لا إله إلاّ الله والأخرى : محمد رسول الله (ص) . وأبوهما : الأمر الأول . وإن قلت أبوهما فالقلم واللوح . أحدهما رجل والآخر قابل . أحدهما فاعل والآخر منفعل .

ومرة أخرى ، الكنز الثمين هو القرآن ، والجدار الكائن علامة للكنز هو الإنسان ﴿ **الرحمن ، علّم القرآن ، خلق الإنسان** ﴾ . ومتى ما أراد الجدار أن ينقضّ يتصدى له عظيمان ليعيدا بناءه .

أحياناً الإنسان علامة للقرآن ، والقرآن هو الكنز . وأحياناً القرآن علامة للإنسان والإنسان هو الكنز .

أمير المؤمنين علي ـ عليه السلام ـ كان يجمع القرآن الذي تحته كنز ليتيمين : أي الحسن والحسين عليهما السلام . « وكان أبوهما صالحاً » « وأبوهما خير منهما » .

أحدهما : كنز التنزيل ، والآخر كنز التأويل . كنز ساكن . والآخر كنز متحرك ؟؟ هما إمامان قاما أو قعدا » . وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .

توضيح حول نظرية المفروغ والمستأنف

يقول الشهرستاني في (الفصل العاشر) من مقدمة تفسيره المخطوط : « إن لفظ المفروغ والمستأنف إنما أخذ من (أبي بكر وعمر) : « حيث تكلما في القدر وارتفعت أصواتهما حتى بلغ النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ صوتهما ، وهو في الحجرة ، فخرج إليهما ووجنتاه كأنهما رمّانة شقّت بنصفين فقال عليه وآله السلام : « فيم أنتم ؟ » قالوا : « نتكلم في القدر » فقال : « هلا تكلمتم في ملك خلقه الله تعالى نصفه من نار ونصفه من ثلج ، فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفىء النار . تسبيحه سبحان من جمع بين النار والثلج » فقام إليه عمر حتى جلس عنده وقال : « يا رسول الله ، أنحن من أمر مبتدأ أم نحن في أمر مفروغ » . وفي رواية « الأمر أنف ؟ » فقال (ص) : نحن في أمر مفروغ عنه .

فقال عمر : « إن كان الأمر قد فرغ منه ففيمَ العمل إذن ؟ فقال عليه وآله السلام : « يا عمر اعملوا وكلّ ميسرّ لما خلق له » ، فأخذ لفظ المفروغ والمستأنف من ذلك المجلس . . . » .

من النص المذكور يتبينّ أن الإصطلاحين مشتقان من هذه الرواية الآنفة الذكر والرواية وردت بألفاظ مختلفة في الصحاح والمسانيد وكتب التفسير ، من ذلك ما رواه الطبري في تفسيره عن عمر قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ **فمنهم شقيّ وسعيد** ﴾ ، سألت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقلت : يا نبي الإسلام ، فعلام العمل ؟ على شيء قد فرغ منه أم على شيء لم يفرغ منه ؟ قال :

فقال رسول الله (ص) : « على شيء قد فرغ منه يا عمر وجرت به الأقلام ولكن كل ميسرّ لما خلق » .

ثم يواصل الشهرستاني حديثه عن هذين المصطلحين مبيناً الآثار التي ترتبت على عدم وضوحهما لدى المتكلمين المسلمين ، يقول : وذهب قوم إلى أن الأحكام كلها مفروغة مقدّرة في الأزل ، والخلق مجبورون تحت مجاري الأقدار لا يملكون تأخراً عمّا قدّمهم إليه ، ولا يستطيعون تقدماً إلى ما أخّرهم عنه ، حتى بلغوا حد التفريط في نفي الإستطاعة وإثبات تكليف ما لا يطاق .

وذهب قوم إلى أن الأحكام كلها مستأنفة مقدّرة على اختيار العبد ، والمكلفون كلهم مختارون في مجاري التكليف بما يكون النفع والضرّ ، ويحدثون الإيمان والكفر حتى بلغوا في حدّ الإفراط إلى إثبات الإستقلال ونفي الإستعانة في جميع الأفعال .

والمذهبان محمولان على طرفي الإفراط والتفريط . ومصدرهما اختلاف أبي بكر وعمر في الحكمين لو عرفوا أن القول فيه أمر بين أمرين ، لا جبر ولا تفويض ، وانّ المفروغ والمستأنف على مثال ملك نصفه من نار ونصفه من ثلج ، والنار جانب المفروغ ، والثلج جانب المستأنف ، وكما لا يذيب النار الثلج ولا يطفىء الثلج النار ، كذلك لا يبطل حكم المفروغ حكم المستأنف ، ولا يبطل حكم المستأنف حكم المفروغ . ولذلك أحال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نظرهما إلى ذلك الملك ، ولما عاودوه على إقامة الحجة بعد الحكم : إن كان الأمر قد فرغ ففيمَ العمل إذاً ؟ قال « اعملوا وكل ميسرّ لما خلق له » . فقد أفتى بالحكمين . فإنّ قوله : (اعملوا) إشارة إلى حكم المستأنف . وقوله : « وكل ميسرّ لما خلق له » إشارة إلى حكم المفروغ .

مبدأ (المفروغ والمستأنف) في رأي الشهرستاني يجري في الخلق والأمر ، يقول : « وأنت إذا لاحظت الخلفيات وجدتها على قسمين : إحدهما موجودات حاصلة بالفعل ، كاملة في الذات منزهة على المادة والزمان والمكان ، كالقدسيات من الملائكة والمقرّبين من الروحانيات . والثاني : موجودات حاصلة بالقوة متوجّهة إلى الكمال ، مخلوقة من مادة ، وفي زمان ومكان .

كـذلك إذا لاحـظت الأمريـات وجدتهـا على قسمـين : أحدهمـا ، أحكام مفروغة قد تمتّ ، وكلمات تامّة قد كملت ، كما قال تعـالى : ﴿ **وتمّت كلمة ربّـك صدقاً وعدلاً لا مبدّل لكلماته . . .** ﴾ ، والثاني ، أحكام مستأنفة قد تـوجهت إلى التمام والكمال .

فمن حكم المفروغ : « جرى القلم بمـا هو كـائن » وقيل « فـرغ ربكم عن الخلق والرزق والأجل » .

وصـدق الخبر « السعيـد من سعد في بـطن أمـه والشقي من شقي في بـطن أمه » . ودلّت عليه آيات الختم ، والطبـع والأقفال . وحملت عليـه آيات اليـأس من إيمان الكفار : ﴿ **سـواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنـذرهم لا يؤمنون** ﴾ و﴿ . . . **وسـواء عليكم أدعوتمـوهم أم أنتم صـامتـون** ﴾ و﴿ **فلعلّك بـاخـع نفسـك عـلى آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً . . .** ﴾ إلى أمثال ذلك .

ومن حكم المستـأنف : « جـرى قلم التكليف بمـا سيكـون » ، وتـوجّـه الخطاب إلى المختارين بفعل الخير واعتقاد الحقّ وقول الصدق ، وتقدّر الجـزاء على الأفعال خيرها وشرّها ، وإيمانها وكفرها ، وطاعتها وعصيانها ، ودلّت عليـه آيات التكليف والتعـريف والإنذار والتحـريف ، مثل قـولـه تعـالى : ﴿ **قم فـأنـذر** ﴾ و﴿ **أنـذرهم** ﴾ و﴿ **ولتنـذر قـومـاً** ﴾ و﴿ **ولتنـذر بـه** ﴾ و﴿ **ذكـرى للمؤمنـين** ﴾ و﴿ **فقولا له قولاً ليناً لعلّه يتذكّر أو يخشى** ﴾ و﴿ **فذكّر إن نفعت الذكرى سيـذّكّر من يخشى** ﴾ . . . إلى أمثال ذلك .

ومن لم يعرف الحُكمين تعـذر عليه الجمـع بين آيـات الثابتـين على الإنـذار وبين آيات الأمر بالإنذار وذلك هو سر الأسرار .

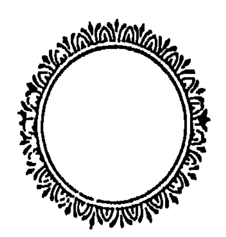


مصادر ومراجع البحث

(*) راجع : مجلة التوحيد/ عدد ٢٧/ السنة الخامسة ص ٦٨ وما بعدها .
(١) راجع المفردات للراغب ومعجم ألفاظ القرآن وأساس البلاغة .
(٢) المصادر السابقة .
(٣) نفس المصادر .
(٤) نفس المصادر .
(٥) نفس المصادر .
(٦) أخذت هذه النصوص من جامع السعادات .
(٧) بحار الأنوار : ج ٣ ص ٧ .
(٨) فروع الكافي : ج٥ ص ٧٢ .
(٩) بحار الأنوار : ج ٧٢ ص ٤٦ .
(١٠) من لا يحضره الفقيه : ج ١ ص ٣٠٠ .
(١١) راجع كتاب السلام العالمي والإسلام سيد قطب .
(١٢) راجع الوسائل : باب الجهاد .
(١٣) نهج البلاغة خطبة ٩٣ .
(١٤) راجع الأصول من الكافي .
(١٥) الذنوب الكبيرة : ج ٢ ص ٣٠٤ بتصرف كبير .
(١٦) نهج البلاغة خطبة ١٥٦ .
(١٧) الصحيفة السجادية من دعائه في الإستقالة من الذنوب .
(١٨) راجع معجم ألفاظ القرآن الكريم .
(١٩)(٢٠) راجع المفردات للراغب .
(٢١) معجم ألفاظ القرآن الكريم ج ١ ص ٤٥٣ .

(٢٢) الوسائل ج ١٢ ص ٤ .
(٢٣) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٤٧٨ .
(٢٤) راجع معجم ألفاظ القرآن الكريم .
(٢٥) كنز العمال خطبة ٤٣٥٨ .
(٢٦) المفردات للراغب .
(٢٧) بحار الأنوار : ج ٧٩ ص ١٣٣ .
(٢٨) شرح نهج البلاغة ج ١٣ ص ١٥٦ .
(٢٩) غرر الحكم .
(٣٠) بحار الأنوار : ج ٨١ ص ١٩٨ .
(٣١) بحار الأنوار : ج ٦٧ ص ٢٣٧ .
(٣٢) المصدر السابق .
(٣٣) بحار الأنوار : ج ٧٨ ص ٣٧٤ .
(٣٤) غرر الحكم .
(٣٥) بحار الأنوار : ج ٦٧ ص ٢٣١ .
(٣٦) بحار الأنوار : ج ٧٨ ص ١٠٠ .
(٣٧) بحار الأنوار : ج ٨١ ص ١٩٥ .
(٣٨) غرر الحكم .
(٣٩) البحار : ج ٦٧ ص ٢٣٠ .
(٤٠) البحار : ج ٩ ص ٧٦ .
(٤١) البحار : ج ٨١ ص ١٧٩ .
(٤٢) البحار : ج ٨١ ص ١٧٤ .
(٤٤) المصدر السابق .
(٤٥) التوحيد : ص ٣٦٧ .
(٤٦) البحار : ج ٥ ص ١٢١ .
(٤٧) غرر الحكم .
(٤٨) نهج البلاغة : حكم ٣٧٩ .
(٤٩) غرر الحكم .
(٥٠) كنز العمال : خطبة ٤٨١ .
(٥١) فروع الكافي : ج ٥ ص ٧٢ .
(٥٢) البحار : ج ٧٣ ص ١٠٦ .
(٥٣) نهج البلاغة : ج ٣ ص ٧٠ .
(٥٤) الإمام قدوة/ راجع البحث التاريخي في تفسير الميزان ج ١٣ ص ٣٥٤ وما بعدها .
(٥٥) البحار : ج ٨٤ ص ٢٥٠ .

(٥٦) البحار : ج ٩٣ ص ٢٧٢ .
(٥٧) البحار : ج ٧١ ص ٣٤ .
(٥٨) نفس المصدر السابق .
(٥٩) تفسير الميزان : ج ١٣ ص ٣٥٠ وما بعدها .





من كمال الايمان

عدم شفاء الغيظ

محتويـات البحـث

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى : ﴿ الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحبّ المحسنين ﴾[1] .

﴿ وإذا ما غضبوا هم يغفرون ﴾[2] .

* * *

وقال رسول الله (ص) : « لا يستكمل العبد الإيمان حتى يحسن خلقه ، ولا يشفي غيظه ، وأن يودّ للناس ما يودّ لنفسه ، فلقد رجال الجنّة بغير أعمال ولكن بالنصيحة »[3] .

* * *

تتفاوت درجات الناس في الثبات أمام المشاكل والمصاعب . فمنهم من تسحقه المشاكل البسيطة فيشتعل غضباً ، وينفعل ، ومنهم من لا تستفزّه الشدائد والمخاطر والتحديات ، فيبقى محتفظاً برجاحة عقله ، وهدوء أعصابه . ويحسن بنا هنا أن نذكر ما قاله الشاعر :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

[1] سورة آل عمران : الآية ١٣٤ .

[2] سورة الشورى : الآية ٣٧ .

[3] كنز العمال : خطبة ٥٢٤٤ .

والإنسان ، الإنسان ، هو الذي كلّما حلّق في آفاق الإيمان ، اتّسع صدره ، وزاد حلمه ، وعذر الناس من أنفسهم ، والتَمَسَ المبررات لأخطائهم

الغضب والغيظ في اللغة

جاء في مفردات الراغب : انّ الغضب هو : « ثوران دم القلب وإرادة الإنتقام، وإذا وصف الله تعالى به ، فالمراد به الإنتقام دون غيره .

وقوله : ﴿ **فباؤوا بغضب على غضب** ﴾[١] .

وقوله : ﴿ **وباؤوا بغضب من الله** ﴾[٢] .

وقال : ﴿ **ومن يحلل عليه غضبي** ﴾[٣] .

وقوله : ﴿ **غضب الله عليهم** ﴾[٤] .

وقوله : ﴿ **غير المغضوب عليهم** ﴾[٥] .

والغضبة كالضجرة والغضوب : الكثير الغضب . وتوصف به الحية ، والناقة الضجور : وقيل : فلان غضبة : سريع الغضب . وحكي أنه يقال : غضبت لفلان إذا كان حياً ، وغضبت به ، إذا كان ميتاً » .

وجاء في فروق اللغات : (أنّ الغضب ضد الرضا ، وهو إرادة العقاب المستحق بالمعاصي) .

والغيظ : « هيجان الطبع لكثرة ما يكون من المعاصي ، ولذلك يقال : غضب الله على الكفار ، ولا يقال : اغتاظ منهم »[١] .

وفي مفردات الراغب ورد أن الغيظ هو :

« أشدّ الغضب ، وهو الحرارة التي يجدها الإنسان في فوران دم قلبه » .

---

[١] سورة البقرة : الآية ٩٠ .

[٢] سورة آل عمران : الآية ١١٢ .

[٣] سورة طه : الآية ٨١ .

[٤] سورة المجادلة : الآية ١٤ .

[٥] سورة الفاتحة : الآية ٧ .

﴿ قل موتوا بغيظكم ﴾[١] .

﴿ ليغيظ به الكفار ﴾[٢] .

وقد دعا الله الناس إلى إمساك النفس عندما يعتريهم الغيظ ﴿ والكاظمين الغيظ ﴾[٣] .

وإذا وصف الله سبحانه به ، فإنّه يراد به الإنتقام ، كما أشرنا آنفاً : ﴿ وإنّهم لنا لغائظون ﴾[٤] .

أي داعون بفعلهم إلى الإنتقام منهم ، والتغيظ : هو إظهار الغيظ ، وقد يكون ذلك مع صوت مسموع ، كما قال : ﴿ سمعوا لها تغيّظاً وزفيراً ﴾[٥] .

قالوا في الغضب

١ ـ لقد عرّف الأخلاقيون الغضب فقالوا : الغضب حركة نفسية يهتاج لها الدم في القلب ، فيثور وينتشر في العروق ، ويرتفع إلى أعالي البدن كما ترتفع النار ، إذا شبّت ، والماء في القدر إذا غلا ، ويحكي الدماغ إذ ذاك كهفاً اضطرمت فيه النار ، فأظلمت نواحيه ، وتكاثف دخانه ، وفيه مصباح ضئيل فانطفأ فيحمر الوجه والعينان . . .

٢ ـ وقالوا : إنّه إذا اشتدّ الغضب ، فإنّه يوجب حركة عنيفة فيمتلىء الدماغ وسائر الأعصاب بالدخان المظلم فيستر نور العقل ، ويضعف فعله ، حتى ينعدم تأثيره على صاحبه .

٣ ـ وقال فيه البعض : « الغضب شعلة نار ، اقتبست من نار الله الموقدة ، إلاّ أنّها لا تطلع على الأفئدة ، وأنها لمستكينة في طي الفؤاد ، إستكانة الجمر تحت الرماد ، وتستخرجها حمية الدين من قلوب المؤمنين ، أو حمية الجاهلية والكبر

---

[١] سورة آل عمران : الآية ١١٩ .

[٢] سورة الفتح : الآية ٢٩ .

[٣] سورة آل عمران : الآية ١٣٤ .

[٤] سورة الشعراء : الآية ٥٥ .

[٥] سورة الفرقان : الآية ١٢ .

الدفين من قلوب الجبارين ، التي لها عرق إلى الشيطان حيث قال : « خلقتني من نار وخلقته من طين » .

إنّ الغضب إذا استفحل تحوّل إلى عدو ، يعطل عقل صاحبه ، فتهون الكرامات أمام الغاضب ، وقد يفقد صوابه ، فيعمد إلى سفك الدماء ، دون تفكرٍ أو رويّة .

وقال بعض الحكماء : « السفينة التي وقعت في اللجج الغامرة ، واضطربت بالرياح العاصفة ، وغشيتها الأمواج الهائلة ، أرجى إلى الخلاص من الغضبان الملتهب » .

وقد قال أمير المؤمنين (ع) : « بئس القرين الغضب ، يبدي المعايب ، ويدني الشر ، ويباعد الخير »[٢] .

وعن الصادق (ع) يقول : « كان أبي (ع) يقول : أي شيء أشدّ من الغضب ؟ إنّ الرجل يغضب ، فيقتل النفس التي حرّم الله ، ويقذف المحصنة » .

أسباب الغضب

من أسباب الغضب كما يعددها بعض علماء النفس :

١ ـ ضعف النفس حتى صارت تتأثر بأقل مؤثر .
٢ ـ تأثر النفس من شعورها بالإهانة .
٣ ـ المرض الذي يضعف قوى الإنسان العقلية .
٤ ـ الإنهاك بسبب العمل الشاق ، والمتواصل ، ومداومة السهر ، وإشغال الذهن بالمطامع ، التي تبذر في الجسم والنفس بذور هذا الداء الخبيث .

وأضاف بعضهم فقال : « إنّ من الأسباب المهيجة للغضب : الزهو ـ العجب ـ المزاح ـ الهزل ـ المماراة ـ المضادة ، والغدر ـ وشدّة الحرص على فضول المال والجاه ، وهي بأجمعها أخلاق رديّة مذمومة شرعاً ، ولا خلاص من الغضب مع بقاء هذه الأسباب فلا بد من إزالة هذه الأسباب بأضدادها »[٣] .

الأنبياء والغضب

إنّ الإهانات الغاضبة تسقط على قاذفها ، قبل أن تصل إلى مرماها البعيد ، وتصيب المتفوّه بها قبل أن تصيب من تطلق نحوه ، والإنسان العاقل ، الذي تمرّس على استعمال هذه السلاح القاتل ، وعرف نتيجة استعماله ، لا يقوم بتصويبه نحو نفسه لأنّه هو المتضرر الأساسي من ذلك .

وقصة النبي هود (ع) مع قومه ، لا تبعد كثيراً عن هذه المعاني ، وهي مثال نضربه على حلم النبي هود (ع) ، وغيره ، من الأنبياء ، في معالجتهم للمشاكل التي اعترضتهم مع أقوامهم . فقد دعا هو (ع) قومه إلى توحيد الله وعبادته ، ولكنهم ركبوا رؤوسهم ولم يستمعوا له ، بل رموه بالسفاهة ، فتجاوز (ع) تعنّت قومه ، واستعمل الحلم والعقل معهم ، وقد قال تعالى على لسان هود (ع) :

﴿ يا قومي ليس بي سفاهة ، ولكنّي رسول من ربّ العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين ﴾[1] .

فشتائم الشاتمين من قوم هود (ع) وجهالة الجاهلين منهم ، لم تؤثر عليه ، ولم يذهب كل ذلك بحلمه ، بل ردّ على سفههم ، وتعنتهم بحلم الحليم ، ومعرفة العارف بعواقب الأمور .

كظم الغيظ : عظمة ، واتزان ، وأمن ، وإيمان :

وعن حفص قال : « بعث الصادق (ع) غلاماً له في حاجة فأبطأ ، فخرج عليه السلام في أثره ، فوجده نائماً فجلس عند رأسه ، يروحه حتى انتبه ، قال له أبو عبد الله (ع) : يا فلان ، والله ما ذلك لك تنام الليل والنهار ، لك الليل ، ولنا منك النهار » .

ويقول أمير المؤمنين (ع) : « أعظم الناس سلطاناً مع نفسه ، من قمع غضبه وأمات شهوته »[٤] .

« لا يقوم عز الغضب بذلّ الإعتذار »[٥] .

---

[١] سورة الأعراف : الآية ٦٧ .

فإذا كان الإنسان ، لا يقدر على قمع غيظه ، ولا على إماتة شهوته فإنه لا يتمكن من أن يكون سيّد نفسه الأمّارة ، ولا يكون عظيماً ، لأنّ العظيم من قمع غضبه ، وأمات شهوته ، وكان سلطاناً مع نفسه كما قال الأمير (ع) .

ثم أنّ الشخص الغضوب ، يذهب به غضبه ، مذاهب حمقاء . ومعلوم أن آثار وسلبيات الغضب كثيرة جداً ، وبعضها خطير لذلك فإنّ ضبط النفس عند ثورتها ، هو دليل قدرة محمودة ، وتماسك كريم ، وكلّما ربا الإيمان في النفس ، ربت معه السماحة وازداد الحلم ، وابتعد عن طريق الهلاك .

يقول الإمام الباقر (ع) : « من كظم غيظا ، وهو يقدر على إمضائه ، حشا الله قلبه أمناً وإيماناً يوم القيامة »(٦) .

إنّ العظمة تظهر عند القادر على فعل السيئة ، والذي يحجم عن ارتكابها ، وينشط في تنفيذ الأعمال الإيجابية الخيّرة ، ولا فضل لمن يترك ما لا يقدر عليه ، لأنّ العظمة تتحقق بالقيام بالأعمال العظيمة ، التي ينبغي القيام بها ، وترك ما لا ينبغي ، كما تظهر بالتماسك الذي يعيشه ، ويبديه الإنسان عند الغضب ، حيث لا يشفي غيظه ، ويعمد إلى إطفاء غضبه ، بماء الحلم ، ويقبض يده ، فلا يقتصّ ، ويعفو عمّن أساء إليه من المؤمنين ، ويعطي من منعه شكراً لله الذي منحه القدرة ، على أن يأخذ حقّه إن شاء .

الغضب جمرة شيطانية توقد في القلوب :

يقول الإمام علي (ع) : « إن هذا الغضب جمرة من الشيطان ، توقد في قلب إبن آدم ، وإنّ أحدكم إذا غضب إحمّرت عيناه ، وانتفخت أوداجه ، ودخل الشيطان فيه »(٧) .

نعم ، إنّ الغضب جمرة من الشيطان ، توقد في قلب ابن آدم ، وهذه الجمرة تتحوّل إلى نار تحرق ما حولها ، إذا لم يعمل على إطفائها ، والغضوب هو من تحكّم به الغضب، فاستجاب له، لذلك يعمل على إزكاء هذه النار، بطرق مختلفة . والنفس الأمّارة ، تدفع لإضرام نار الغضب ، وهنا لا بدّ لقدرات الإنسان الخيّرة ، أن تتدخل لكبح جماح الغضب ، باتجاه ما ينفع ، والعقل هو

خير ما وهب الله للإنسان ، ليقود قوى النفس . والوعي هو السبيل إلى لجم الغضب ، وتحاشي آثاره السلبية على الحياة الفردية والإجتماعية .

يقول الشاعر :

أرى بين الرماد ، وميض نار ويوشك أن يكون لها ضرام
فإن لم تطفها عقلاء قوم يكون وقودها جثث وهام
فإنّ النار بالعودين تزكو وإنّ الحرب أوّله كلام

والمطلوب توفير الإدراك ، والقدرة على المواجهة الداخلية ، مع النفس ، قبل المواجهة الخارجية مع الأعداء ، وذلك بجهاد النفس ومحاسبتها ، وردعها عن الإنحراف ، والهوى ، وإبعادها عن المساويء في التعاطي مع الغير ، فإذا رغب الإنسان في التصدي لأخطاء الآخرين تجاهه ، عليه أن يتدرب على التصدي لأخطائه تجاه الآخرين ، فمحاسبة النفس تكون قبل محاسبة الغير ، ثم إنّ عليه ألّا يترك الغضب يتفاعل في نفسه ، ويتفاقم ، مهما كان حجم الإساءة ، بل عليه أن يحوّل هذا الغضب ، إلى تسامح ، وعفو ، وغفران ، وإصلاح ، بذلك يكون قد وضع نفسه في رحاب الإيمان الصحيح ، فيجعل غضبه على مناهج الإنحراف ، والفسق ، وعلى البدع وأتباعها فيغضب لله ، وممّا يغضبه ، ويرضى لله ، ولما يرضيه . . .

الغضب يبعد عن الصواب فاحذره :

يقول أمير المؤمنين (ع) : « أقدر الناس على الصواب من لم يغضب »[٨] .

وعن الصادق (ع) : « من لم يملك غضبه ، لم يملك عقله »[٩] ، « الغضب ممحقة لقلب الحكيم »[١٠] .

ولا شك أنه ينبغي على المؤمن ، أن يكون قدوة للناس ، كي يكسب الآخرين ويقربهم من الإيمان فإذا فعل ذلك ولم يغضب ، مهما اعترضه من صعوبات ، كان مصيباً لا بل كان أقدر الناس على فعل الصواب لأنه ملك نفسه ونأى بعقله ، عن رياح الغيظ ، التي تطفيء مصباح العقل وتقتلع أشجاره أمّا إذا غضب فقويت عنده غريزة الإنتقام ، والتشفي ، فإنّه بفعله هذا يكون قد أبعد الناس عن الحق والإسلام ، وهذا العمل ليس دليل إيمان راسخ واع ، بل يدل

على عدم التزام بالمفاهيم ، والمبادىء الإسلامية ، الداعية إلى عدم شفاء الغيظ ، والحاضّة على التسامح والحلم والإحسان .

الغضب جنون ، وندم :

يقول أمير المؤمنين (ع): « إيّاك والغضب، أوله جنون، وآخره ندم »(١١) .

ويقول الباقر (ع) : « الحدة ضرب من الجنون ، لأن صاحبها يندم ، فإن لم يندم فجنونه مستحكم »(١٢) .

وعن رسول الله (ص) : « ليس الشديد بالصرعة ، إنّما الشديد من يملك نفسه عند الغضب »(١٣) .

وعن علي (ع) : « الغضب يفسد الألباب ، ويبعدها عن الصواب ، وأقوى الناس من قوي على غضبه بحلمه »(١٤) .

والصرعة هو الرجل القوي الشديد .

وسئل عيسى (ع) ما بدء الغضب ؟ قال : « الكبر ، التجبّر ، ومحقرة الناس »(١٥) .

إنّ الإنسان عندما يغضب تتعطل إمكانيات العقل عنده ، ويتصرف تصرّف من لا عقل له ويكون بمثابة المجنون ، وهذا مصداق قول علي (ع) : « الغضب أوّله جنون » .

وإذا أفلت العنان لهذا الغضب ، فعل الأفاعيل ، فخرّب ، ودمّر ، وحطّم ، وقطع كل علاقة موصولة بين الأفراد والجماعات .

. . . ثم يهدأ الغضب ، ويرجع الغاضب إلى رشده ، ويكتشف آثار ما قال ، وما فعل ، فيندم ولات ساعة مندم ولهذا قال علي (ع) :

« الغضب آخره ندم » .

الآثار السلبية للغضب

يقول رسول الله (ص) : « الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الخل العسل » .

وعن علي (ع) : « من طلب شفاء غيظ بغير حقّ ، أذاقه الله هواناً بحق »[16] .

وعن علي (ع) : « إنّ من عزائم الله في الذكر الحكيم التي عليها يثيب ويعاقب ولها يرضى ويسخط أنّه لا ينفع عبداً وإن أجهد نفسه وأخلص فعله أن يخرج من الدنيا لاقياً ربه بخصلة من هذه الخصال لم يتب منها ـ أن يشرك بالله ، فيما افترض عليه من عبادته ، أو يشفي غيظه بهلاك نفس »[17] .

المؤمن لا يشفي غيظه ، لأنّه فوق غريزة الإنتقام ، يعيش الإسلام في تسامحه ، وإحسانه ، ويتصدّق على من ظلمه من أخوانه بمظلمته ، هذا إذا كان على حق ، أمّا إذا كان عكس ذلك ، فإنّه لا يفكر أصلاً في شفاء غيظ ، أو ثأر من عبْد مسلم لله ، لأنّه يعلم أن شفاء الغيظ بدون حق ظلم للغير ، واعتداء ، وإنّ الله تعالى يعاقب من يفعل ذلك بهوان في دنياه يستحقه ، نتيجة بعض أعماله أو تصرفاته ، لذلك فالمؤمن يكظم غيظه ، ويحبسه ويمسك ما في نفسه منه ، لأنّ الغضب يردي صاحبه، ويبدي معايبه ، ومن أطلق غيظه فقد تعجّل حتفه ، وهو مفتاح كل شرّ .

جاهد غضبك بكظمه :

عن علي (ع) : « احترسوا من سَوْرَة الغضب ، وأعدّوا له ما تجاهدونه به من الكظم »[18] .

« الغضب نار موقدة ، من كظمه أطفأها ، ومن أطلقه ، كان أوّل محترق بها »[19] .

وعن رسول الله (ص) « ما تجرّع عبد جرعة ، أفضل عند الله من جرعة غيظ كظمها لله ابتغاء لوجه الله »[20] .

وعن الصادق (ع) : « نعم الجرعة الغيظ ، لمن صبر عليها ، فإن عظيم الأجر لمن عظيم البلاء ، وما أحبّ الله قوماً إلّا ابتلاهم »[21] .

وعن علي (ع) : « إنّ لجهنم باباً لا يدخلها إلّا من شفي غيظه بمعصية الله تعالى »[22] .

وعن الصادق (ع) : « من كظم غيظاً ، ولو شاء أن يمضيه أمضاه ، ملأ الله قلبه يوم القيامة رضاه »[٢٣] .

وعنه (ع) قال رسول الله (ص) : « ما أعزّ الله بجهل قط ، ولا أذلّ بحلم قط »[٢٤] .

ولقد أوحى الله تعالى إلى داوود (ع) : « إذا ذكرني عبدي حين يغضب ذكرته يوم القيامة في جميع خلقي ولا أمحقه في من أمحق » .

وسئل عيسى (ع) : « أي الأشياء أشدّ فقال : أشد الأشياء غضب الله عز وجل ، قالوا : فيما يتقى غضب الله فقال : ألّا تغضبوا وسئل (ع) عن منشأ الغضب فقال : الكبر ، والتجبّر ، ومحقرة الناس »[٢٥] .

عن الصادق (ع) : قال : « إنّ في التوراة مكتوباً : ابن آدم اذكرني حين تغضب ، أذكرك عند غضبي ، فلا أمحقك فيمن أمحق وإذا ظلمت بمظلمة فارض بانتصاري لك ، فإنّ انتصاري لك ، خير من انتصارك لنفسك »[٢٦] .

وقال رسول الله (ص) لعلي (ع) : « يا علي لا تغضب ، فإذا غضبت على من تقدر ، ففكر بقدرة الربّ على العباد ، وحلمه عنهم ، فإذا غضبت اتّق الله ، في نبذ غضبك ، وراجع حلمك »[٢٧] .

متى ينبغي أن نغضب ؟

وهنا سؤال يحتاج إلى جواب وهو : متى ينبغي أن يغضب الإنسان ويغتاظ ؟ .

إنّ المرء قد يعتدى عليه بدون حقّ ، أو يغتصب حقّه ، أو يتعرض لإهانة لا تحتمل . . . فيغضب محاولاً استعادة حقّه ، أو ردّ هذه الإهانة . . . هذا في التعامل مع غير المؤمنين من إخوانه ، أما مع المؤمنين والأرحام ، فالحلم أو التحلم هو المطلوب أما إذا كان الأمر يتعلق بأهل الفسق ، أو الكفر ، فالمؤمنون ، أشداء على الكفّار ، رحماء بينهم ، وبذلك يكون قد أخذ بمنطوق القول التالي :

« من أُغضب ولم يغضب فهو حمار » .

إلّا أنّ هذا الغضب ، ينبغي ألّا يجانب العدل حتى مع الأعداء .

قال تعالى : ﴿ **ولا يجرمنّكم شنآن قوم على ألّا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى** ﴾[١] .

وعلى المؤمن أن يتريث ، ويدرس الأمر بموضوعية ، ليتعرّف على نتائجه ، على مستوى الفرد والجماعة ، وبهذا التريث ، وبالعودة إلى التعاليم الإلهية ، يتجنّب الوقوع في الظلم ، فلا يعتدي على أحد ، ولا يهين أحداً بغير حقّ . أجل ، المؤمن يغضب ، ولكن لا يغضب لنفسه ، بل لله ، وفي سبيل الله ، وتقرباً إلى الله ، . . . يغضب إذا أهين المبدأ والرسالة والشريعة ، أو أبعد الإسلام عن التطبيق ومنع من ممارسة دوره في الحياة . . .

يغضب إذا غصب حقّ ، وظلم ضعيف . . . إنّه يغضب لإحقاق الحقّ وإزهاق الباطل ، ولكن غضبه ليس مجرد انفعال بل هو فعل مدروس هدفه التغيير للمفاسد .

وهذه الصفة من مميزات رسول الله (ص) ، ولنا فيه أسوة حسنة ، فلنتأسى ونقتدي فإذا أغضبه الحقّ ، لم يعرفه أحد ، ولم يقم لغضبه شيء ، حتى ينتصر له .

ومن المسلمات أنّ غريزة الغضب ، لا بدّ أن تتمظهر ، وأن تعلن عن نفسها ، بشكل من الأشكال ، لذلك علينا أن نوجهها في الإتجاه ، الذي يخدم الإسلام ، والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، وبهذا نكون قد حققنا الهدف من وجود هذه الغريزة ، ونفعنا الناس ، وحرسنا المبدأ .

وهوذا أمير المؤمنين (ع) في غزوة الأحزاب ، نراه يتراجع عن قتل عمرو بن ود العامري بعدما ضربه فوقع أرضاً ، لأنّ عمروا شتم علياً وسبّه ، فتراجع عنه قليلاً ، ثم عاد وقتله ، وعندما سئل عن سبب ذلك ، أجابهم أنه عندما شتمه عمرو غضب وانزعج ، فتراجع حتى يهدأ ، ثم عاد إليه ليقتله ، بعد ذلك ، حتى لا يكون عمله انتقاماً لنفسه ، بل غضباً لله سبحانه .

---

[١] سورة المائدة : الآية ٨ .

وعن علي (ع) أنه قال : « من أحدّ سنان الغضب لله ، قوي على قتل أشداء الباطل »(٢٨) ، « من شنأ الفاسقين وغضب لله ، غضب الله له ، وأرضاه يوم القيامة »(٢٩) .

وعن الصادق (ع) : « المؤمن إذا غضب لم يخرجه غضبه من حق ، وإذا رضي لم يدخله رضاه في باطل ، والذي إذا رضي لم يأخذ أكثر ممّا هو له »(٣٠) .

إنّ الشنآن هو البغض الشديد ، وهي صفة مذمومة إلّا إذا كانت باتجاه الفاسقين ، فالذي يشنأ الفاسقين ، والمارقين غضباً لله ، وحباً به ، يغضب الله له ، يوم القيامة ويرضيه ، ويكون الرضا بإعطائه ما يريد ، وأقله أن يدخله الجنة . فلا بدّ إذاً من قتال الباطل وأهله ، بلا تراجع ولا إحجام ، لأنّه أمر رباني ، إذ لا تعايش مع أعداء الله مهما اختلفت أهدافهم ، ومشاربهم ، إلّا من أمر الله بالتعايش معهم من أهل الكتاب على أساس عقد الذمة ، ومن كان بيننا وبينهم عهد أو ميثاق .

وقد قال تعالى : ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم ، أن تبرّوهم وتقسطوا لهم ، إنّ الله يحبّ المقسطين ﴾[١] .

ومن كتاب لأمير المؤمنين إلى أهل مصر حين ولى عليهم الأشتر قال : « من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى القوم الذين غضبوا حين عصي في أرضه وذهب بحقّه »(٣١) .

إنّنا نرى أن أمير المؤمنين (ع) يمدح ، في كتابه هذا ، هؤلاء القوم ، لأنّ غضبهم ، كان لله ، عندما تجوزت أحكامه ، وذهب بحقّه وعصيت أوامره .

وفيما قال موسى (ع) : عن ربّه سبحانه وتعالى أنه قال : « من أهلك الذين تظللهم في ظل عرشك يوم لا ظل إلّا ظلّك ، فأوحى الله إليه : « الطاهرة قلوبهم ، والبريئة أيديهم ، الذين يذكرون حلالي ، ذكر آبائهم إلى أن قال : . . . والذين يغضبون لمحارمي ، إذا استحلّت ، مثل النمر إذا جرح »(٣٢) .

---

[١] سورة الممتحنة : الآية ٨ .

شفاء الغيظ والفتن الداخلية

وإذا وقعت فتن داخلية ، واشتعلت نار الخلافات بين الفرقاء في الساحة الواحدة ، أو أبناء الصفّ الواحد ، والعقيدة الواحدة ، ماذا يجب أن نفعل ؟ هل يفكر كل منّا بشفاء غيظه ، والإنتقام من أخيه ؟ .

سؤال يطرح نفسه في هذه الظروف العصيبة ، التي تتكالب علينا فيها ، كل قوى الشرّ والإستكبار ، والجواب واضح وصريح : ينبغي حل الأمور حلاً إسلامياً ، أخوياً ، لأن الحروب الداخلية تدخلنا في متاهات ، لا خروج منها إلّا بخسارات فادحة ، وتلهينا عن العدو الأساسي الذي هو إسرائيل وأميركا والإستكبار العالمي . فعدم شفاء الغيظ في هذه الأحوال ، هو الحل الواقعي والأمثل ، ويجب اتباع الطرق التي تبعدنا عن الفتن فيما بيننا ، على الصعيدين الفردي والإجتماعي ، على أن نعتصم جميعاً بحبل الله ، ونتّبع مناهج الإسلام ، فلا نوالي أعداء الله ، ونعادي أولياءه ، وبذلك نحقّق أهداف الإسلام في الحياة ، ونتوحد على أساس التوحيد ، والنبوّة ، والولاية لله ولرسوله وللأئمة ، و للفقيه العادل الجامع للشرائط . وهذا أمر مطلوب ، ولا مناص منه ، والذي يفعل غير ذلك ، لا يعدّ من العقلاء ، وسيخسر خسراناً مبيناً ويندم . . .

وصفات علاجية للغضب

إنّ العودة إلى حديث النبي (ص) ضرورية ، لإعطاء وصفات علاجية ، سريعة للغضب ، وإليكم ما قاله الطبيب الإلهي رسول الله (ص) إذ يقول :

« إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس ، فإن ذهب عنه الغضب وإلّا فليضطجع »[٣٣] .

وعن علي (ع) : « إذا غضب أحدكم فليتوضأ ، ويغتسل فإن الغضب من النار »[٣٤] .

وعلينا أن نأخذ بهذه الوصفة النبوية ، فنعمل على استيعابها وتطبيقها لأنها تتضمن علاجاً ناجعاً للغضب والغيظ ، كما أنها تبيّن العلاقة بين الأوضاع النفسية ، والأوضاع الجسدية ، من وقوف وجلوس واضطجاع ، ولها الأثر الكبير

في التقليل من حدّة الغضب وخلق حالة هدوء للنفس .

فالجلوس يخفّف من الغضب ، والإضطجاع يزيله ، إذا أريد لهذا الغضب أن يزول .

وصفات أخرى

عن ميسر قال : ذكر الغضب عند أبي جعفر (ع) فقال : « إنّ الرجل ليغضب فما يرضى أبداً حتى يدخل النار ، فأيما رجل غضب على قوم ، وهو قائم فليجلس من فوره ذلك فإنّه سيذهب عنه رجز الشيطان ، وأيّما رجل غضب على ذي رحم فليدن منه فليمسه ، فإن الرحم إذا مستّ سكنت » .

وعن علي (ع) : « دواء الغضب الصمت » .

نستنتج من كل ما سبق ، إنّ من العلاجات الأساسية ، لدفع الغضب ، وتهدئة الغاضب ما يلي :

١ ـ الإستعاذة بالله من شرّ الشيطان الرجيم .

٢ ـ إذا كان الغاضب قائماً فليجلس من فوره .

٣ ـ إذا لم يذهب عنه الغضب فليضطجع .

٤ ـ إذا غضب يمكن أن يتوضأ فيذهب عنه الغضب أو ليغتسل .

٥ ـ إذا غضب على ذي رحم فليدن منه فليمسه فيسكن غضبه .

٦ ـ أن يصمت ولا يتكلّم .

ويمكن معالجة الغضب بأمور عدة أخرى :

الأول : إزالة الأسباب المثيرة للغضب بأضدادها

١ ـ إماتة الزهو ، بالتواضع ٢ ـ والعجب ، بالمعرفة بالنفس ٣ ـ والفخر بمعرفة أنه يكون بالفضائل ، وليس بالرذائل ، ٤ ـ ويزال الهزل ، بالجد في طلب الفضائل ٥ ـ والهزؤ بالترفع عن إيذاء الناس ، وبصيانة نفسك من أن يستهزأ

بك . . . ٦ ـ والتعيير بالحذر عن قول القبيح ، وصيانة النفس عن مرّ الجواب ٧ ـ وأما شدّة الحرص على مزايا العيش ، فتزال بالقناعة بقدر الضرورة طلباً لعز الإستغناء ، وترفعاً عن ذل الحاجة(٣٥) .

الثاني : أن يتذكر قبح الغضب ، وسوء عاقبته ، والنصوص الذامّة له .

الثالث : تذكر ما ورد من النصوص الذاكرة للثواب ، على دفع الغضب :

١ ـ وإن كفّ الغضب عن الناس ، مدعاة لكفّ عذاب الله يوم القيامة .

٢ ـ وإن من كفّ غضبه ، ستر الله عورته .

الرابع : تذكر فوائد مضادات الغضب (من الحلم ، وكظم الغيظ) .

الخامس : أن يفكر ويتروى ، في كل فعل ، أو قول يصدر عنه ، ويتنبه لنفسه ، حتى لا يغضب .

السادس : الإحتراز من مصاحبة أرباب الغضب ، ومجالسة أرباب الحلم ، والكاظمين الغيظ ، والعافين عن الناس .

السابع : أن يعلم أن ما وقع إنّما هو بعلم الله ، وقضائه وقدره وإنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وأنّ ما أخطأه لم يكن ليصيبه وربما كان صلاح المرء فيما وقع ، وخيره فيما حلّ ، وإنّ سخطه على ما هو واقع ، لا يغيّر من الأمر شيئاً ، فليرض وليعمل ، في هذا الجانب النفسي ، على أساس الكلمة التالية :

« إذا لم يكن ما تريد ، فأرد ما يكون » .

الثامن : أن يتذكر أنّ الغضب ، مرض قلب ونقصان عقل ، وأنه صادر عن ضعف النفس ونقصانها ، لا عن شجاعتها وقوتها ، ولذا يكون المجنون أسرع غضباً من العاقل ، والمريض أسرع غضباً من الصحيح ، والهرم أسرع غضباً من الشاب . . .

التاسع : أن يتذكر أن قدرة الله عليه ، أقوى من قدرته ، على هذا الضعيف ، الذي يغضب عليه ، وهو أضعف في جنب قوته القاهرة ، بمراتب غير متناهية ، من هذا الضعيف في جنب قوته ، فليحذر ، ولا يأمن إذا مضى غضبه

عليه ، أن يمضي الله عليه غضبه ، في الدنيا والآخرة . وقد روي :

(أنه ما كان في بني إسرائيل ملك إلاّ ومعه حكيم ، إذا غضب أعطاه صحيفة فيها : إرحم المساكين ، واخش الموت ، واذكر الآخرة) ، فكان يقرأها حتى يسكن غضبه .

العاشر : أن يتذكر أن من أمضى عليه غضبه ، ربما قوي وقابله ، وجرّد عليه لسانه ، وأظهر معائبه ، وشمت بمصائبه ، وآذاه في نفسه ، وأهله ، وماله وعرضه .

الحادي عشر : أن يتفكر في السبب الداعي للغيظ والغضب ، وبعد التأمل يعلم أن الغضب لا ثمرة له سوى التألم في العاجل ، وعقوبة الآجل ، وحينئذٍ لا يغضب ، وإن غضب يدفع الغضب عن نفسه بسهولة .

الثاني عشر : أن يعلم أنّ الغضب مبغوض إلى الله تعالى ، وما يبغضه الله ، يبغض العامل به ، فلا بدّ من تحصيل رضا لله ومحبته .

الثالث عشر : أن يتفكر في قبح صورته وحركاته عند غضبه ، بأن يتذكر صورة غيره ، وحركاته عندما يغضب[٣٦] .



مصادر ومراجع البحث

(١) فروق اللغات في التمييز بين مضاد الكلمات ص ١٨٢ .
(٢) غرر الحكم .
(٣) المحجة البيضاء : ج ٥ ص ٣٠٤ .
(٤)(٥) غرر الحكم .
(٦) الكافي ج ٢ ص ١١٠ .
(٧) بحار الأنوار ج ٥ ص ٢٦٧ .
(٨) غرر الحكم .
(٩) بحار الأنوار ج ٧٧ ص ٣٨١ .
(١٠) بحار الأنوار ج ٧٣ ص ٢٦٢ .
(١١) غرر الحكم .
(١٢) بحار الأنوار ج ٧٣ ص ٦٦ .
(١٣) تنبيه الخواطر ص ٩٩ .
(١٤) غرر الحكم .
(١٥) مشكاة الأنوار ص ٢١٩ .
(١٦) بحار الأنوار ج ٧٩ ص ٤٥ .
(١٧) نهج البلاغة خطبة ١٥٣ .
(١٨) غرر الحكم .
(١٩) غرر الحكم .
(٢٠) كنز العمال خطبة ٥٨١٩ .
(٢١) الكافي ج ٢ ص ١٠٩ .

(٢٢) تنبيه الخواطر ص ٩٨ .
(٢٣) الكافي ج ٢ ص ١١٠ .
(٢٤) المحجة البيضاء ج ٥ ص ٣١٤
(٢٥) بحار الأنوار ج ٧٣ ص ٢٦٣ .
(٢٦) المحجة البيضاء ج ٥ ص ٢٩٣ .
(٢٧) تحف العقول ص ١٨ .
(٢٨) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٣٦٢ .
(٢٩) نهج البلاغة حكم ٣١ .
(٣٠) بحار الأنوار ج ٧٨ ص ٢٠٩ .
(٣١) نهج البلاغة كتاب ٣٨ .
(٣٢) الوسائل ج ١١ ص ١٧ط .
(٣٣) الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٤٥ .
(٣٤) المصدر السابق .
(٣٥) راجع الأخلاق : للسيّد عبد ا شبّر ص ١٤٥ ـ ١٤٦ .
(٣٦) راجع : جامع السعادات/ للنراقي .



الفصل الثاني

١ ـ الكلمة المسؤولة

٢ ـ النصيحة لأهل الاسلام

٣ ـ ترك الكذب في الهزل والجد





الكلمة المسؤولة

الصمت إلا من خير

من كمال إيمان العبد أن يخاف الله في مزاحه وجدّه، ويصمت لسانه إلّا من خير.

محتويـات الـبحث

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إنّ الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ﴾[١] .

﴿ إذا تلقّونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيّناً وهو عند الله عظيم ﴾[٢] .

* * *

وقال رسول الله (ص) : « لا يستكمل عبد الإيمان حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وحتى يخاف الله في مزاحه وجدّه »[٣] .

وعن الإمام علي (ع) : « الصمت آية النبل وثمر العقل »[٤] .

* * *

الصمت إلاّ من خير

لقد خلق الله تعالى الإنسان ، وجعل له لساناً متكلّماً ، به يتفاهم مع

---

[١] سورة النحل : الآية ١١٦ .

[٢] سورة النور : الآية ١٥ .

[٣] كنز العمال/ خطبة ١٠٦ .

[٤] غرر الحكم .

الآخرين ، وبه يتوصّل إلى غاياته ، فيعرف غيره ما يريد بكلمة واحدة ، أو جملة مفيدة وبما أن لكل شيء ـ إن لم يستعمل فيما وجد له ، وضمن الحدود المطلوبة ـ سلبيات ، فإن آفة اللسان ، الكلام غير المسؤول ، الذي ربما أحدث ما لاتحمد عقباه ، أو أضاع وقت العاملين ، فيما لا نفع منه ، لذلك فإن الإسلام أوصى بالصمت كوسيلة للحدّ من الكلام غير الهادف أو المنتج .

وفي هذا الصدد يقول الرسول (ص) : « عليك بطول الصمت ، فإنّه مطردة للشيطان ، وعون لك على أمر دينك »(١) .

ويقول تعالى : ﴿ واستقم كما أمرت ، ولا تتبع أهواءهم ﴾[١] .

وأول مراحل هذه الإستقامة ، أن يستقيم قلب العبد ، كما جاء في الحديث ، ولا يستقيم قلبه ، إلاّ باستقامة لسانه ، بأن يسكت عندما يجب ، ويخاف الله في مزاحه وجدّه ، وبذلك يستقيم إيمان الإنسان :

ومن باب المعالجة للمساوىء الناتجة عن كثرة الكلام نورد باقة من الأحاديث ، والأخبار التي تنصح بالصمت إلاّ من خير .

١ ـ عن الصادق (ع) أنه قال : « إن من كان قبلكم كانوا يتعلمون الصمت ، وأنتم تتعلمون الكلام ، كان أحدهم إذا أراد التعبد يتعلّم الصمت قبل ذلك بعشر سنين ، فإذا كان يحسنه ، ويصبر عليه ، تعبّد وإلاّ قال : ما أنا لما أروم بأهل »(٢) .

٢ ـ وعن رسول الله (ص) أنه : قال لرجل أتاه : « ألا أدلك على أمر يدخلك الله به الجنة ؟ قال بلى يا رسول الله : قال أنل ممّا أنالك الله قال : فإن كنت أحوج ممن أنيله ؟ قال : فانصر المظلوم ، قال : فإن كنت أضعف ممّن أنصره ؟ قال فاصنع للأخرق (يعني أشر عليه) قال : إن كنت أخرق ممّن أصنع له ؟ قال : فأصمت لسانك إلاّ من خير ـ أمّا يسرك أن تكون فيك خصلة من هذه الخصال تجرّك إلى الجنة »(٣) .

٣ ـ وقال الإمام علي(ع) في وصف المؤمن التقي : « إن صمت لم يغمّه

---

[١] سورة الشورى : الآية ١٥ .

صمته وإن ضحك لم يعلُ صوته »[٤] .

« كثير صمته ، مشغول وقته »[٥] .

« وعلى هذا فإنه على كل عاقل ، أن يبتعد عن اللغو والمزاح إلّا أن يقول حقاً ، وقد كره الإسلام اللغو لأنّه إسفاف وتفاهة ومضيعة للوقت والعمر وإبعاد للإنسان عمّا خلق له .

« إذ بقدر تنزّه المؤمن عن اللغو تكون درجته عند الله » .

« فمن الضروري أن يحتاط المرء في حديثه ، وان يخاف الله في مزاحه ، وجدّه كي لا يؤدي ذلك إلى فتنة فيوقع الشيطان العداوة بين الناس في المزاح والجدّ .

إن الخوف في الجد هو إيمان كلّه ، لأنّ ذلك من آثار الإعتقاد بالله ، وقدرته ، وعلمه ، وإحاطته بكل شيء ، وخشية الله تعالى تترتب على العلم به ، وبشريعته ، فكلّما تدرج الإنسان في مسالك الرقي ، كلّما خاف الله وخشيه أكثر .

قال تعالى : ﴿ فقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً ﴾[١] .

الكلمة المسؤولة

إنّ الإيمان هو معيار القيمة الحقيقية للإنسان ، وهو المقياس لحياته ، وسلوكه وعلاقاته الإجتماعية ، والإقتصادية ، والسياسية ، والتربوية وغيرها ، وعلى هذه القاعدة ، أصبح للكلمة قيمتها ، ومعناها والكلمة المقصودة هي الكلمة المسؤولة ، وهي تعبر عن حقيقة المرء ، فأمّا أن يكبر شأنه ويسمو ، وأمّا أن يهبط ، فربّ كلمة مزاح أو جدّ ، لا يخاف الله فيها تقوده إلى التهلكة .

وكل ما يقوم به المرء ، لا بد أن يكون مبرمجاً ، ومنسقاً ، وهادفاً ، حتى يكون كل ما ينطق به ، ويفعله في خدمة المجتمع ، لذلك فإنّ على المؤمن

---

[١] سورة الإسراء : الآية ٥٣ .

الواعي ، أن يراقب ذاته ، وكلماته ، وحركاته ، وسكناته ، ليؤكّد على خوفه من الله تعالى ضمن إطار الموقع الإيماني الصحيح .

فوائد الصمت

هناك سؤال يطرح نفسه : ماذا نستفيد من الصمت مع العلم أن الله تبارك وتعالى خلق اللسان وسيلة للتعبير عمّا نريد ، ونحتاج ومن أجل الإتصال والتعارف مع الآخرين ؟

والجواب واضح ، وذلك لأنّ للصمت ثمرة نافعة ، ومفيدة ، قد ركّزت عليها الأحاديث في أكثر من مجال ، وقد بيّنا فيما سبق ، أنّ الصمت ، يطرد الشيطان ، لأنّه لا يجد ما ينفذ منه ، وبالصمت يستعين المرء على أمر دينه وآخرته . .

وعن الإمام الرضا (ع) أنه قال : « إنّ الصمت باب من أبواب الحكمة ، إنّ الصمت يكسب المحبة ، إنّه دليل على كل خير »[٦] .

ومن فوائد الصمت : ١ ـ الهيبة للصامت ، ٢ ـ والسلامة له ، ٣ ـ وأنه الحكمة البالغة ، ٤ ـ وهو الحافظ من كل عثار ، ٥ ـ والصمت كنز وزينة تزيّن الحكيم ، وتستر الجاهل ، ٦ ـ وهو الحلّ الناجح لكثير من المشكلات ، ٧ ـ والصمت وقار لذلك فإنّ الصامت لا يحتاج إلى الإعتذار ، في أي موقف من المواقف ، ٨ ـ والصمت خزّان الفكر ومنار القلب وسلامة الناس والنفس .

وعن رسول الله (ص) أنه قال : « إذا رأيتم المؤمن صموتاً فادنوا منه ، فإنه يلقي الحكمة »[٧] .

الصمت هو بترك فضول الكلام :

فقد جاء على لسان الرسول (ص) قوله : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه »[٨] .

« طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه ، وأنفق الفضل من ماله »[٩] .

والحق يقال أن أكثر الناس يفعلوّن العكس تماماً ، فهم يمسكون فضل المال ، وينفقون فضل الكلام .

وفي رواية عن رسول الله (ص) أنه قال ذات يوم : « إنّ أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة ، فلما دخل هذا الرجل قالوا له : أخبرنا بأوثق عملك في نفسك ترجو به فقال : إنني رجل ضعيف العمل ، وأوثق ما أرجو الله به ، سلامة الصدر ، وترك ما لا يعنيني »[١٠] .

وفي رواية أخرى أن رسول الله (ص) قال لأبي ذر (رض) : « ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن ، ثقيل في الميزان . قال : بلى يا رسول الله ، قال (ص) : هو الصمت ، وحسن الخلق ، وترك ما لا يعنيك »[١١] .

وعن ابن عباس قال : « خمس هنّ أحسن من الدراهم المونقة : لا تتكلم فيما لا يعنيك ، فإنّه فضل ، ولا آمن عليك الوزر ، ولا تتكلم فيما يعنيك ، حتى تجد له موضعاً ، فإنه ربّ متكلم في أمر يعنيه ، قد وضعه في غير موضعه ففتن ، ولا تمارِ حليماً ولا سفيهاً ، فإنّ الحليم يغلبك بصمته ، وإنّ السفيه يؤذيك بمنطقه ، واذكر أخاك إذا تغيّب عنك ، بما تحب أن يذكرك به ، واعفه ممّا تحبّ أن يعفيك منه ، واعمل عمل رجل يرى أنّه مجازى بالإحسان مأخوذ بالإجرام »[١٢] .

وقيل للقمان ما حكمتك ؟ قال : « لا أسأل عما كفيت ولا أتكلف ما لا يعنيني »[١٣] .

الصمت الممدوح :

١ ـ الصمت الذي لا يكون عن قصور ، بل نتيجة قرار بعدم الكلام ، والتدخل فيما لا يعني وإن لم يكن كذلك ، كان العي أفضل منه .

٢ ـ الصمت الذي يقابل الهذر ، لأن المهذار كثير السقطات ، مع العلم أن القول الذي يدافع عن الحقّ أو يبيّنه هو خير من الصمت .

٣ ـ لا فائدة ترجى من الإكثار أو الإقلال ، لأنّ في الإكثار هذراً ، وإنّ في الإقلال عياً وحصراً ، بل خير الأمور أوسطها . . . هذا إذا كان الكلام في خير .

وعن علي (ع) يصف أهل البيت (ع) : « هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم ، وصمتهم عن منطقهم وظاهرهم عن باطنهم ، لا يخالفون الدين ، ولا يختلفون فيه ، فهو بينهم شاهد ، صادق وصامت ناطق »[١٤] .

إن عدم الثرثرة هي الصمت المطلوب وهو حالة عيش مع النفس عندما لا يجب الكلام ، والصمت نقيصة عند لزوم الكلام ، فإذا لم يرافق الكلام خوف من الله ، فالصمت أولى وأجدى ، وهذا يحتاج إلى قدرة على تقدير الأمور ، بأن تزان بميزان حساس ، رائده ذكر الله والخوف منه ، وتحليل المسائل المطروحة ، حتى يدرك الإنسان ما ينبغي ، وما لا ينبغي وبالتالي اتخاذ الموقف المناسب ، الذي فيه لله رضى ، وللناس فائدة ومنفعة ، واختيار الكلمات المعبرة عن هذا الموقف المدروس ، بلا زيادة أو نقصان ، وهذا يتطلب تدريباً للعقل ، والمشاعر واللسان ، حتى يكون السلوك مستقيماً ، بحيث يصبّ ضمن دائرة النفع الإجتماعي العام .

فمن يتذكّر أن الله يراه ، ويراقبه ، وسيحاسبه ، يتذكر أن عليه أن يخاف الله في مزاحه ، فلا يؤذي أحداً بلسانه ، ولا يكذب ليضحك الآخرين بحجة المزاح ، وكذلك عليه أن يكون جدياً في طرحه للمسائل التي تدعوا إلى الخير ، وتساهم في تقدّم المجتمع وازدهاره .

المـــزاح :

وقبل الحديث عن المزاح ، لا بد من ذكر بعض الأحاديث التي وردت بشأنه :

« كثرة المزاح تذهب البهاء وتوجب الشحناء »[١٥] .

« لا تمارِ فيذهب بهاؤك ، ولا تمازح فيجترأ عليك »[١٦] .

في هذين الحديثين نرى أن الإسلام ينهى عن كثرة المزاح ، ولكن ليس بشكل كلي ، لأنّ الإسلام يسمح بالترويح عن النفس .

وقد جاء في الحديث : « روّحوا القلوب ساعة بعد ساعة » .

فعلى من يعمل لوجه الله ، وفي أي مجال ، عليه أن يروّح عن نفسه في بعض الأوقات ليأخذ قسطاً من الراحة ، كي يستعد للقيام بعمل جديد بهمّة أقوى ونشاط أكبر .

وفي المزاح القليل ، على المؤمن أن يتوخى رضا الله سبحانه ، فلا يتجاوز الحدود ، فيظلم الآخرين ويقع في غضب الله تعالى .

مخافة الله في الجد والمزاح :

قال الله سبحانه : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾[1] .

إنّ الدعوة إلى الله تعالى ، تكون بالحكمة والموعظة الحسنة ، وقد ورد .

عن الرضا (ع) قوله : « رأس الحكمة مخافة الله »[١٧] .

فعندما يخاف المؤمن ربه ، فإنّه يجعل نصب عينيه رضاه ، في كلّ عمل يقوم به ، وبهذا يكتمل إيمانه .

ونسأل أي خوف هو المطلوب في الجد والمزاح ؟ وما هي آثاره ؟ .

الخوف المطلوب هو الشعور بأن الله يراك ويسمعك ، وهو أقرب إليك من حبل الوريد ، وانّه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، فمن شعر بكل هذا ، فإنّه يتجلبب بالخوف من معصية الله ، وأذية الناس ، بيده أو لسانه ، لأنّه يعرف عاقبة هذا الأمر ويدرك سرّه .

وفي هذا يقول أمير المؤمنين (ع) : « الخوف جلباب العارفين »[١٨] .

وعن الإمام زين العابدين (ع) : « ابن آدم لا تزال بخير ما كان الخوف لك شعاراً والحزن دثاراً » .

وعن الرسول (ص) : « خف الله في السر ، كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك »[١٩] .

وعن رسول الله (ص) : « من كان بالله أعرف كان في الله أخوف »[٢٠] .

---

[1] سورة النحل : الآية ١٢٥ .

وعن الباقر (ع) « في حكمة آل داوود ، يا ابن آدم ، أصبح قلبك قاسياً ، وأنت لعظمته ناسياً ، فلو كنت بالله عالماً وبعظمته عارفاً لم تزل منه خائفاً »[٢١] .

أجل أنّ الخوف من الله جلباب العارفين ، وشعار المتقين ، والحزن يلازم الخوف ، إلا أنّ الحزن من أجل الآخرة ، هو السرور الحقيقي . والمؤمن العارف ، هو من يكون خوفه في السر كخوفه في العلن ، لأنّ الخوف على قدر المعرفة ، وهذا الخوف بعيد عن أهل الجهالة ، والغفلة ، وأعداء الحقّ والدين ، وكيف يحدث هذا الخوف ، في قلوب لا تعيش الإيمان ، وفي نفوس لا تعرف ولا تريد أن تعرف الله ، وإنّ القلوب القاسية لا نصيب لها من الخوف ، الذي هو سبيل السعادة ، وكيف يكون ذلك وأصحاب هذه القلوب ناسون أنهم عباد الله ، وأنّهم إليه راجعون لا محالة ، وسيحاسبون على كل صغيرة وكبيرة ، وإنّ المنزلة الأعلى ، والأقرب إلى الله هي : للّذين يعرفون ، فيخافون ، فيقتربون ، فيسعدون . . . فبالعلم والمعرفة نتقرّب إلى الله ، ورأس المعرفة الحكمة ، ورأس الحكمة مخافة الله ، ورأس المخافة معرفة الله .

وقال علي (ع) : « لا تخافوا ظلم ربكم ، ولكن خافوا ظلم أنفسكم »[٢٢] .

وهذا الخوف هو ممحاة الذنوب ، ومطهر النفوس ، والحاجز عن المعاصي والموبقات ، فالذي يوقن أن الله يراه ويسمع ما يقول ويعلم أنه يعلم ما يعمل من خير وشر ، فإنّ ذلك يحجزه عن القبيح من الأعمال ، ويكون بذلك من الذين يخافون الله حقاً .

المؤمن يمزح ولكن لا يقول إلاّ حقاً :

إنّ الآحاديث والأخبار ، تصنّف المزاح إلى صنفين ، أحدهما ممدوح ، والآخر مذموم :

فعن رسول الله (ص) أنه قال : « إني لأمزح ولا أقول إلاّ حقاً »[٢٣] . « المؤمن دعب لعب ، والمنافق قطب غضب »[٢٤] .

وعن الإمام الصادق (ع) : « ما من مؤمن إلاّ وفيه دعابة ، قيل له ، وما الدعابة ؟ قال المزاح »[٢٥] .

وعن يونس الشيباني قال : « قال لي أبو عبد الله (عليه السلام) : كيف مداعبة بعضكم بعضاً ؟ قلت قليل ، قال : أفلا تفعلون ، فإنّ المداعبة من حسن الخلق وأنّك لتدخل بها السرور على أخيك ، وقد كان رسول الله (ص) يداعب الرجل يريدان يسرّه »[٢٦] .

إنّ الآحاديث الشريفة المذكورة ، تشجع على شيء من المزاح ، وهو الذي يخلق نوع من الدعابة ، والمرح ، حتى لا يكون الإنسان في حالة من الكآبة ، تشيع حوله جواً من التعاسة ، المثبطة للعزائم ، المانعة من العمل المنتج والمزاح الممدوح هو الذي لا يعاقب الله عليه ، بل يحبّه ويرضاه .

وطبعاً إنّ قول الحق بطريقة فرحة ، مرحة فيها دعابة ، أمر مسموح به شرعاً لا بل مطلوب في بعض الحالات ومن الإيمان أن يكون العبد هشاً ، بشاً ، لأن العبوس ، والتقطيب ، والغضب من علامات المنافق . وينبغي أن لا ننسى ، أنّ الدعابة من حسن الخلق ، وأنّها تدخل السرور على قلوب الآخرين ، والرسول (ص) كان يفعل ذلك .

إيّاك والمزاح الذي يورث الضغينة :

عن رسول الله (ص) أنه قال : « يا علي لا تمزح فيذهب بهاؤك ولا تكذب فيذهب نورك »[٢٧] .

وعن علي (ع) أنه قال : « ما مزح امروء مزحة إلاّ مجّ من عقله مجّة »[٢٨] . « المزاح يورث الضغائن »[٢٩] . « لكل شيءبذر وبذر العداوة المزاح »[٣٠] .

وعن الصادق (ع) أنه قال : « إيّاك والمزاح ، فإنه يذهب بماء الوجه ومهابة الرجال »[٣١] . « إذا أحببت رجلاً فلا تمازحه ولا تماره »[٣٢] .

إنّ المزاح يذهب بهاء الوجه ، ويدعو إلى الإستخفاف بصاحبه ، والتجروء عليه ، وهذا أمر لا يقبله الإسلام وينهى عنه .

وكذلك ، كل مزاح يهوّن من أمر العقل ، أو يوقع بين الإخوان أو يورث

الضغائن والعداوات ، فهـو مرفـوض بحكم العقل والشرع . ولا يقبـل مزاح لا يبقى هيبة ، ولا مروءة ، ولا قدر صاحبه ، وكذلـك المزاح الـذي لا يبقي حباً ، ولا مودة بين الأحباء وخلّان الصفاء .

الحياة تبنى على أساس الجد :

ويمكن لنا أن نقـول :

إنّ الإيمان هو الحياة ، والإسلام هو دين الحياة .

والذي نراه في هذه الكلمة ، إنّها تشكل في الحقيقة ميـزان التعاطي اليـومي مـع النـاس ، وهي تتعلق بشخصيـة الفـرد ، قبـل كـل شيء ، وتضـع مقيـاسـاً للكلمة ، إذ أن لكل عضو من أعضاء الإنسان وظيفة ، ووظيفة اللسان الكلام ، والكلام المطلوب هو الكلام المسؤول ، كما سبق وبيّنا .

والشخصيـة الإسلاميـة المتوازنـة هي الشخصيـة ، التي تجمـع بـين المـزاح والجد ، ولكن على أساس الحقّ .

ومن مزاح رسول الله (ص) : انّ إمرأة أتت تسأله عن زوجها ، قـال لها : زوجك الذي في عينيه بياض فانفجرت بالبكاء بعد أن ظنت أن زوجها قد أصيب بـالعمى ، مع العلم أن كـل إنسان سـوي في عينيه بيـاض وتأتيـه إمـرأة تقـول : « احملني يا رسول الله على بعير ، فقال : بل نحملك على ابن البعير » ، ولا شـك أن كل بعير هو ابن بعير . . . ولا بـأس بعد هـذا ، من استقراء بعض خصـائص الحياة الواردة في الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة لأنّه لا حياة بلا دين وإيمان ، كما ورد في الخبر عن الإمام علي (ع) إذ قال :

« لا حياة إلا بالدين ، ولا موت إلا بجحود اليقين ، فـاشربوا من العـذب الفرات ، ينبهكم من السبـات ، وإياكم والسمام المهلكات »[٣٣] .

وعن الإمام علي (عليه السلام) أنـه قال : « اعلمـوا أنه ليس من شيء إلا يكاد صاحبه يشبع منه ويملّه إلاّ الحياة ، فإنّه لا يجـد في الموت راحـة ، وإنّما ذلـك بمنزلة الحكمة التي هي حياة القلب الميّت ، وبصر للعـين العمياء ، وسمـع للأذن الصمّاء ، وريّ للظمآن ، وفيها الغنى كلّه والسلامة »[٣٤] .

وعن الإمام الصادق (ع) أنه قال : « إن الله عز وجل خلق الحياة قبل الموت »[٣٥] .

وعن الإمام العسكري (ع) أنه قال : « خير من الحياة ما إذا فقدته بغضت الحياة وشرّ من الموت ما إذا نزل بك أحببت الموت »[٣٦] .

وعن علي (ع) أنه قال : « التوحيد حياة النفس »[٣٧] ، « الذكر الجميل أحد الحياتين »[٣٨] ، « الذكر الجميل أحد العمرين »[٣٩] ، « العلم أحد الحياتين »[٤٠] ، « اكتسبوا العلم يكسبكم الحياة »[٤١] ، «بالعلم تكون الحياة »[٤٢] .

إنّ الحياة سرّ من أسرار الله ، أوجدها لغاية سامية ، وهي اعمار هذا الكون وأعطاها لمخلوقات لا يشبعون منها أبداً وكل المخلوقات بها يتشبثون ، وعلى كل شيء لها يفضلون ، وبالموت لا يرغبون ، إذ لولا الحياة في القلب والعين والأذن ، لما أحس القلب ووعى ، ولما رأت العين ونظرت ، ولما سمعت الأذن التسابيح الربانية ، والأغاريد الطبيعية . وكيف تنظر العين وترى ولا حياة فيها ؟ فالعين بلا حياة عمياء ، وكيف تسمع الأذن ولا حياة فيها ، فهي بلا حياة صماء ؟ والحياة مقدمة على الموت ، لأن الحياة وجود ، والموت عدم ، والوجود بلا شك أفضل من العدم . والماء في هذا الكون حياة وبدونه لا حياة في شيء ، وطعمه طعم الحياة . ولا لذة بلا ماء ، والحياة بلا ماء يبس وجفاف . واليبس موت المخلوقات بعد حياتها . . . والجد أساس في الحياة ، وعماد لها وهل يبقى كون وسموات وأفلاك بالهزل والمزاح ؟ .

إنّ غاية وجود الإنسان خير من الحياة ، فلولا الغاية التي وجد لها الإنسان ، لما كانت الحياة ، ولما وجدت . ولقد وجد الإنسان فيها لاعمارها ، ولكن ليس هو الهدف الأساس ، وإنّما هو طريق موصل لتلك الحياة الباقية التي وعد الله بها عباده .

وإنّ إعمار هذه الحياة الدنيا ، شبيه بممر موصل لعمارة جميلة جداً صرف صاحبها على بنائها أموالاً طائلة ، فلا بدّ من تحسين هذا الممر وتعبيده، وزرع جوانبه ، بكل زهر عبير وورد نضير ، وإلّا كان غير لائق بهذه العمارة ، فالحياة

الأخرى هي الحيوان لـو كانـوا يعلمون ولا وصـول إليها ولا حصـول عليها ، إلاّ بالعمل الصالح والتقرّب إلى خالق هذا الكون بكل ما يرضى ويقبل .

ولا يقبـل عمل عبـد إلاّ بالتقـوى والإيمـان ، فـالتقـوى والإيمـان خـير من الحيـاة ،لأنّه لا حياة حقـاً ، بلا إيمـان وإلاّ كان المنقلب عسيـراً والـرحلة طـويلة وشاقة .

فـالمؤمن العاقـل ، العامـل في دنياه لآخـرته ، يعشق المـآل ، لأنّ الـطريق سـالـك ، ومعبـد ، ومـوصـل إلى روح وريحـان وجنّـة عـرضهـا السمـوات والأرض . . . وهكذا فإنّ الإيمان خير من الحياة .

إن عدم تحديـد الغايـة ، والهدف الـذي وجد الإنسـان من أجله ، مدعـاة لكي يعـاف الإنسـان الحيـاة ، ويحبّ المـوت فكثـيز من الهيبيـين ، والمـلاحـدة والعبثيين ، أعطتهم الحياة كل ما طلبوا ، وعبّوا منها حتى تملّوا ، ولما انقطع الربط بينهم وبينها عافـوها ، وتخلّوا عنهـا ، وطلبوا المـوت انتحاراً . . . فسبحـان مكوّن الأكوان ، وخالق العقول ، وهادي الـطيور إلى وكنـاتها ، والنفـوس المطمئنـة إلى خالقها ، وهاديها إلى خير وصالـح عملها . . . وإذا كـانت العقود تحـلّى بالـلآلىء والياقوت والمرجان فإنّ الكلام يحـلّى بالآيـات الكريمـة والأحاديث الشريفـة . قال تعالى : ﴿ **إنّ الدين عند الله الإسلام** ﴾ هـذا الدين هـو المقصود بـالحياة وجـاء في الحديث : « لا حياة بلا دين ، وما الموت إلاّ بجحود اليقين » وجحود اليقـين يعني إنكار الدين ، وعدم الأخذ بالرسالات الربانية ، والإستهتار بكل ما جاء به رسل ربّ العالمين .

ونصـل بهـذا القـول إلى أن التخـلي عن المبـادىء الكـريمـة ، والفضـائـل الأخلاقية السامية ، وتـرك كل مـا له صلة بـالتكامـل والتسامي ، وحبّ الخـير ، والصلاح ، هو الموت الحقيقي معنوياً وليس جسدياً .

ونحن نـرى أن المتفلتين من قيـود الأخلاق ، والضـاربين عـرض الجدار ، بكل المثل العليا ، نراهم يجيئون في هذه الحياة ويرحلون عنهـا ، ولكن لو جلست إليهم ، وخـبرت دخائلهم لعـرفت أنهم أموات بهيـاكل متحـركـة . . . متعلقـون بالتفاهات ويعيشون الحياة الهازلة والمزاح السخيف الـذي يشدّهم إلى الحضيض ،

وقـد غلبت عليهم شهواتهم ، فهم كـالأنعام بـل أضل سبيـلا ، كما يقـول الله في كتابه العـزيز . . . وحـول الكلام الـوارد في الحديث عنـدما يقـول : ﴿ **فاشربـوا من العـذب الفرات ينبهكم من السبـات ، وإيّاكم والسـام والمهلكـات** ﴾ . . . نقـول إننا أمـام مجموعـة من المفردات المتبـاينة شكـلاً ومضمـونـاً . . . نحن مـع العـذ ب الفرات والتنبـه والسبات ، والسـام المهلكات . . . نحن أمـام العـذب الفـرات في أعلى درجـات السلم ، وفي السـام المهلكـات في أسفله . إنّ العـذب الفرات هو السائغ شرابه ، والطيب ريحه ، واللذيذ طعمـه ، والأمر بـالشرب من العذب الفرات يعني التمسك بالإيمان ، واليقين الصادق ، والتقرّب إلى الله بكـل إخـلاص فإنّ فيـه التنبّه من السبـات . . . أما السبـات ، فهو النـوم ، والغفلة ، وإبطال عمل الحواس المدركات ، والمقصود به الكفر والإلحاد والشرك بالله وإنكار النبوّات والرسالات .

والسمام المهلكات فمعناها اللغوي : كلّ طعـام أو شراب خالـطه سم فقتل أو أهلك ـ أمـا المـراد فهـو الإنـزلاق في طـريق الـرذيلة ، والإنحـدار إلى الـدرك الأسفــل ، من الإنحـطاط الخلقي والقيمي ، والتنصــل من كـل طــاهـر طيّب عفيف . أو تسأل بعد ذلك هل من الصحيح أن « لا حياة بـلا دين وما المـوت إلاّ بجحود اليقين » .

بالإضافـة إلى ذلك فـإنّ وحدة الكـون ، ووحدة الخلق ، دليـل كاف عـلى وحدانية الخالق وإنّ قوانينـه فصل ليس بـالهزل وانعكـاس ذلك تـوحيده تعـالى ، وتنـزيهه سبحـانه ، عن كـل شريك ونـد وكفؤ . وقـد جـاء في الحديث الشريف : « التوحيد حياة النفس » .

فالنفس البشرية بتركيباتها المعقدة وتناقضاتها المتباينة ، ونوازعها ودوافعها ، التي تنزع في كل اتجاه ، وتدفع إلى كل ناحية ، تخضع لنظام الـوحدة والتـوحيد ، ولا بقاء لها بدون هذا النظام الكوني والتكـويني الدقيق وإذا تعـطل هذا النـظام ، وانفـرط عقد هـذا التوحيـد في الخلق والإرادة والمشيئة ، تحـول الأمـل إلى فـوضى واختـل تـوازن كـل شيء والحـديث الشريف يقــول : « الـذكــر الجميـل أحــد الحياتين » .

وفي موضع آخر : « العلم أحد الحياتين » وفي هذه المعادلة نرى أن الحياة تعادل الذكر الجميل من جانب ، وتساوي العلم من جانب آخر . وبهذا يمكن القول ان العلم حياة وأن الدين حياة ، وان العلم دين يدان به . ومن هنا جاء قول أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة والسلام : « الناس موق وأهل العلم أحياء » .

المزاح الهادف :

بعد هذا كله ، عرفنا أن الحياة جدّ وحق ، وليست هي بالهزل ، لذا فإنّ كل لحظة ينبغي أن تستغل ويستفاد منها ، لذلك سمح الإسلام بالمزاح ، ولكن بشروط ، حتى يكون مزاحاً هادفاً ، يخلق أجواء الراحة والإطمئنان ، والحيوية والنشاط في القلوب والأجساد . والمزاح الهادف هو الذي يطرد الخمول والكسل وهو المبني على أساس الحق لأنّه ليس فيه كذب ، ولا عدوان ولا تجاوز على حقوق الآخرين ، على مستوى الأفراد وعلى المستوى الإجتماعي العام ، لذلك ينبغي في المزاح والجدّ الخوف من الله ، لأنّ من خاف الله تنبّه لكل قول حتى لا ينحرف عن الجادة والصراط .

المزاح الإعلامي :

إنّ الطابع العام للإعلام ، ووسائله هو الكذب على الناس ، والتلاعب بعواطفهم ، أمّا الإعلام الإسلامي ، المعتمد على التعاليم القرآنية ، فيقوم على أساس الصدق والحقّ وعدم الإفتراء ، وتبني الحقائق ونشرها ، فنحن نحارب أعداءنا بسلاح الحق ، ومن أجل الحقّ والحقيقة ، بينما نرى أنّ الدول المستكبرة لا تتورع عن النفاق والدجل الإعلامي وتشويه الحقائق . . . إلى درجة أنّ كلمة الإعلام أصبحت موازية للكذب فكم من حقّ صار في عرف أولئك باطلاً ، وكم من باطل صار في موازينهم حقاً .

المزاح السياسي :

وفي المزاح السياسي كما في رسم الكاريكاتير مثلاً ، ينبغي الصدق والأدب ، لكي يكون الرسم الكاريكاتيري بحدّ ذاته مؤدّباً ، لأنّ التشويه والإفتراء على مؤمن ، أمر محرّم ولا محيص من مراعاة الضوابط الشرعية ، هذا فيما يخصّ المؤمن أما فيما يخص الكافر فلا حرمة في ذلك ضمن أطر وقواعد معينة .

ويدخل ضمن دائرة خوف الله في الجدّ ، حرمة الغيبة والنميمة وهاكم بعض الروايات ، حول هذين الموضوعين ، اللذين يحتاجان إلى بحث منفصل .

أ ـ النميمة :

فقد ورد في رواية :

« إنّ الأرض أجدبت في عهد موسى (ع) ولم ينزل المطر، فخرج موسى (ع) مع قومه ، يدعون الله لينزل المطر ففعلوا ، ولكن المطر لم ينزل ـ فخاطب موسى ربّه : يا ربّ لماذا لم تمطر السماء ؟ وكان الجواب : إنّ فيكم نماماً ـ فقال موسى (ع) يا ربّ دلّنا عليه فنخرجه من بيننا فقال الله جلّ جلاله لموسى (ع) : « أنهاكم عن النميمة وأكون نماماً » عندها تاب النمام وآمن ، وهطل المطر ورويت الأرض » .

وعن ابن فضال عن الصادق (ع) عن أبيه عن آبائه عن النبي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قال : « شرّ الناس المثلث ، قيل يا رسول الله ، وما المثلث ؟ قال : الذي يسعى بأخيه إلى السلطان فيهلك نفسه ، ويهلك أخاه ، ويهلك السلطان »[٣٤] .

وقال رسول الله (ص) : « إياكم وقاتل الثلاثة ، فإنّه من شرّ خلق الله قيل : يا رسول الله وما قاتل الثلاثة ؟ رجل سلم أخاه إلى سلطانه ، فقتل نفسه ، وقتل أخاه ، وقتل السلطان »[٤٤] .

وعن رسول الله (ص) أنه قال : « من سعى بأخيه إلى سلطان أحبط الله تعالى عمله كله ، وإن وصل إليه مكروه أو أذى ، جعله الله تعالى مع هامان في درجة في النار »[٤٥] .

وعن علي (ع) أنه قال : « شرّ الناس من سعى بالإخوان ونسي الإحسان »(٤٦) . « بئس السعي التفرقة بين الأليفين »(٤٧) .

وقال تعالى : ﴿ ولا تطع كل حلّاف مهين* همّاز مشّاء بنميم ﴾[١] .

﴿ ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها ﴾[٢] .

قال رسول الله (ص) : « إياكم والعضة ، النميمة القالة بين الناس »(٤٨) ، « ومن كتاب الصادق (ع) إلى النجاشي والي الأهواز : « إيّاك والسعاة وأهل النمائم فلا يلتزمن بك أحد منهم ، ولا يراك الله يوماً ، ولا ليلة وأنت تقبل منهم صرفاً ولا عدلاً ، فيسخط الله عليك ، ويهتك سترك »(٤٩) .

وقال رسول الله (ص) لبعض جلسائه : « ألا أخبركم بشراركم قالوا : بلى يا رسول الله قال : المشاؤون بالنميمية المفرقون بين الأحبة ، الباغون للبراء العيب »(٥٠) .

وعن الصادق (ع) قال : « إنّ من أكبر السحر النميمة يفرق بها بين المتحابين ، ويجلب العداوة على المتصافين ، ويسفك بها الدماء ، وتهدم بها الدور ، وتكشف بها الستور ، والنمّام أشرّ من وطيء الأرض بقدم »(٥١) .

ب ـ الغيبة :

قال تعالى : ﴿ لا يغتب بعضكم بعضاً أيحبّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتّقوا الله إنّ الله توّاب رحيم ﴾[٣] .

قال (ص) : « أيّها الناس إنّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا . . . إنّ الله حرّم الغيبة كما حرّم المال والدم »(٥٢) .

عن الصادق (ع) أنه قال : « لا تغتب فتغتب ولا تحفر لأخيك حفرة فتقع فيها فإنّك كما تدين تدان »(٥٢) .

---

[١] سورة القلم : الآية ١٠ ـ ١١ .

[٢] سورة النساء : الآية ٨٥ .

[٣] سورة الحجرات : الآية ١٢ .

عن رسول الله (ص) أنه قـال : « مررت ليلة أسرى بي عـلى قوم يخمشـون وجوههم بأظفارهم فقلت يا جبرائيل من هؤلاء ؟ قال هؤلاء الذين يغتابون الناس ويوقعون في أعراضهم »(٥٤) .

عن الصادق (ع) أنه قال : « قال رجـل لعلي بن الحسـين عليهما السـلام : إنّ فلاناً ينسبك إلى أنك ضال مبتدع ، فقال له عـلي بن الحسين عليهـما السلام ؛ مـا رعيت حقّ مجالسـة الرجـل حيث نقلت إلينـا حـديثـه ، ولا أديت حقّي حيث أبلغتني عن أخي ما لست أعلمه . . . إيّـاك والغيبة فـإنّها أدام كلاب النـار واعلم أن من أكـثر من ذكر عيـوب الناس شهـد عليه الإكثـار أنـه إنّمـا يـطلبهـا بقدر ما فيه »(٥٥) .

وعن الكاظم (ع) أنه قال : « كذب سمعك وبصرك عن أخيك وإن شهـد عندك خمسون قسامة ، وقـال لك قـولاً فصدّقـه ، وكذّبهم ولا تـذيعن عليه شيئـاً تشينه به ، وتهدم به مرؤته فتكون من الذين قال الله عزّ وجل فيهم : ﴿ **إنّ الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم** ﴾[١] .



[١] سورة النور : الآية ١٩ .

مصادر ومراجع البحث

(١) بحار الأنوار / ج ٧١ / ص ٢٧٩ .

(٢) بحار الأنوار / ج ٧٨ / ص ٢٢٨

(٣) بحار الأنوار / ج ٧١ / ص ٢٩٦ .

(٤) نهج البلاغة / خطبة ١٩٣ .

(٥) نهج البلاغة / حكم ٣٣٣ .

(٦) بحار الأنوار / ج ٧١ / ص ٢٩٤ .

(٧) بحار الأنوار / ج ٢ / ص ٣١٢ .

(٨) بحار الأنوار / ج ٢ / ص ١٣٦ .

(٩) نهج البلاغة حكم ١٢٣ .

(١٠) المحجة البيضاء / ج ٥ / ص ٢٠١ .

(١١) المصدر السابق .

(١٢) المصدر السابق .

(١٣) المصدر السابق / ص ٢٠٢ .

(١٤) نهج البلاغة / خطبة ٢٣٩ .

(١٥) غرر الحكم .

(١٦) بحار الأنوار / ج ٧٨ / ص ٣٧٠ .

(١٧) بحار الأنوار / ج ٧٨ / ص ٤٥٣ .

(١٨) غرر الحكم .

(١٩) بحار الأنوار / ج ٧٠ / ص ٧ .

(٢٠) بحار الأنوار / ج ٧٠ / ص ٣٩٢ .

(٢١) بحار الأنوار / ج ٢ / ص٦٨ .
(٢٢) غرر الحكم .
(٢٣) بحار الأنوار / ٢٦ / ص ٢٩٨ .
(٢٤) بحار الأنوار / ج ٧٧ / ص ٥٣ .
(٢٥) بحار الأنوار / ج ٧٦ / ص ٦٠ .
(٢٦) أصول الكافي ج ٢ / ص ٦٦٣ .
(٢٧) بحار الأنوار / ج ٧٧ / ص ٤٨ .
(٢٨) شرح نهج البلاغة / ج ٢٠ / ص ١٠٠ .
(٢٩) نهج البلاغة حكم ٤٥٠ .
(٣٠) غرر الحكم .
(٣١) أصول الكافي / ج ٢ / ص ٦٦٥ .
(٣٢) أصول الكافي / ج ٢ / ص ٦٦٤ .
(٣٣) الإرشاد للمفيد / ص ١٥٧ .
(٣٤) شرح نهج البلاغة / ج ٨ / ص ٢٨٧ .
(٣٥) التوحيد / ج ٥ / ٣٧٩ .
(٣٦) تحف العقول / ص ٣٦٣ .
(٣٧) إلى(٤٢) غرر الحكم .
(٤٣) بحار الأنوار / ج ٧٥ / ص ٢٦٩ .
(٤٤) كنز العمال / خطبة ٨٨٤٦ .
(٤٥) كنز العمال خطبة ٧٥٤٥ .
(٤٦) (٤٧) غرر الحكم .
(٤٨) كنز العمال / خطبة ٢٣٤٨ .
(٤٩) بحار الأنوار / ج ٧٧ / ص ١٩٠ .
(٥٠) بحار الأنوار / ج ٧٥ / ص ٢٦٤ .
(٥١) بحار الأنوار / ج ٦٣ / ص ٢١ .
(٥٢) شرح نهج البلاغة / ج ٩ / ص ٦٢ .
(٥٣) بحار الأنوار / ٧٥ / ص ٢٤٩ .
(٥٤) تنبيه الخواطر / ص ٩٣ .
(٥٥) بحار الأنوار / ٧٥ / ص ٢٤٦ .



النصيحة لأهل الاسلام

من كمال الايمان النصيحة لأهل الاسلام وأن يود العبد للناس ما يودّ لنفسه .

محتويات البحـث

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون ﴾[1] .

ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربّكم وإليه ترجعون ﴾[2] .

* * *

وقال رسول الله (ص) : « لا يستكمل العبد الإيمان حتى يحسّن خلقه ، ولا يشفي غيظه ، وأن يودّ للناس ما يودّ لنفسه ، ولقد دخل رجال الجنة بغير أعمال ، ولكن بالنصيحة لأهل الإسلام »[3] .

« إنّ أعظم الناس منزلة عند الله يوم القيامة ، أمشاهم في أرضه بالنصيحة لخلقه »[4] .

* * *

---

[1] سورة الأعراف : الآية ٦٢ .

[2] سورة هود : الآية ٣٤ .

[3] كنز العمال خطبة ٥٢٤٤ .

[4] بحار الأنوار/ج ٧٤ / ص ٣٥٨ .

ماهية النصيحة :

النصيحة هي أن تبذل جهدك في التعرف على الأساليب ، والإمكانات ، والأهداف التي تصلح شأن الأمة والأفراد على المستويين الدنيوي والأخروي ، وترشدهم بإخلاص ، ومودّة وتواضع إلى ما فيه صلاحهم وإصلاحهم .

النصيحة سنة الأنبياء والأولياء :

إن الرسل والأنبياء ، والأئمة الأطهار (ع) ، هم سادة الناصحين .

فقد قال تعالى على لسان نبيّه هود (ع) : ﴿ **أبلغكم رسالات ربّي وأنا لكم ناصح أمين** ﴾[1] .

وعن الإمام الصادق (ع) أنه قال : « إنّ علياً (ع) كان عبداً ناصحاً لله عزّ وجل ، فنصحه ، واحبّ الله فأحبه »(1) .

إنّ من أحبّ العبادات إلى الله النصيحة ، وإنّ أحبّ ما يعبد المرء به ربه ، هو الإخلاص في النصيحة .

من لم ينصح المسلمين فليس منهم :

جاء في الحديث القدسي ، يقول الرسول (ص) : « قال الله عز وجلّ : « أحبّ ما تعبّد به عبدي النصح لي »(2) .

وعنه (ص) : « من لا يهتم بأمر المسلمين ، فليس منهم ، ومن لم يصبح ويمسي ناصحاً لله ، ولرسوله ، ولكتابه ، ولإمامه ، ولعامة المسلمين فليس منهم »(3) .

إنّ الإهتمام بأمور المسلمين واجب شرعي ، والتخلّي عنه يبعد الإنسان عن الإسلام والمسلمين ، ويخرجه في بعض الحالات من دائرة الإيمان . . .

وقول الرسول (ص) (. . . فليس منهم) ، شاهد أكيد ، ودليل واضح

---

[1] سورة الأعراف : الآية ٦٨ .

على ذلك ، وان النصيحة هي الدين ، وهي الموعظة الحسنة ، والود الأخوي ، والرحمة ، والمحبة بين المؤمنين : (رحماء بينهم) كما في القرآن الكريم ولولا المحبة ، لما كان نصح ، فالنصح ثمرة المحبة ، ويقول رسول الله (ص) « لينصح الرجل أخاه كنصيحته لنفسه »[٤] فالرسول (ص) يأمر بالنصح والإخلاص فيه ويشدد على هذا الأمر ، حتى ليجعل الآخرين كالنفس . وهذا القول ليس بعيداً في معناه عن مضمون القول التالي : « أحبب لأخيك ما تحب لنفسك واكره له ما تكره لها »[٥] .

فالنصيحة إذاً هي الهداية الحقيقية ، لسلوك طريق الله السوي ، وهي تدخل بمعنى من المعاني في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . . . لأنّ الأمر والنهي ، أشمل في معناه ، وأوسع في إطاره . . . مما يفهمه الكثير من الناس من معناهما . . . وبالنصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، استمرّت رسالة الإسلام ، حتى يومنا هذا ، وستبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

النصيحة للمؤمنين على المؤمنين واجبة :

إنّ الإيمان فطرة ـ والفطرة أم الغرائز ، والغرائز خيرة وشريرة ، والنصح ، والإرشاد ، وهداية الآخرين ، غريزة المؤمن ، كما جاء على لسان أتقى الأتقياء ، وأفصح الفصحاء علي (ع) : « المؤمن غريزته النصح »[٥] .

وكما ورد في الخبر فإنّ النصيحة واجبة ، لأنّ الحياة الإجتماعية ، من منظور الإسلام ، تقوم على أساس التعاون والتكافل ، وخصوصاً أن كفاءات الناس متفاوتة ، وأن الروابط الإجتماعية في الإسلام ، تحتم على الناس أن يعيشوا مع بعضهم وأن يخدموا بعضهم البعض ، أمّا على وجه الوجوب ، وأمّا على وجه الاستحباب ، وبما أن الإسلام يخطط لتطوير الحياة ، ويأمر بذلك ، ويعمل لتوفير إمكانية تقدمها ، لذلك كانت النصيحة واجبة ، في كل مجال ، وعلى جميع المستويات : العقائدية ، والفكرية والإجتماعية ، والسياسية ، والنظمية ، والعسكرية ، والصناعية ، والتربوية . . . الخ . . .

يقول الإمام الصادق (ع) : « المؤمن أخو المؤمن يحق عليه النصيحة »[٦] .

ويقول الإمام الباقر (ع) : « يجب للمؤمن على المؤمن النصيحة »[٧] .

وقال الرسول (ص) : « المؤمن أخو المؤمن لا يدع نصيحته على كل حال »[٨] .

ومن كلام لأمير المؤمنين (ع) في الصالحين من أصحابه : « أنتم الأنصار على الحق ، والأخوان في الدين . . . فأعينوني بمناصحة خلية من الغش »[٩] .

فالصالحون هم الأنصار على إحقاق الحق ، ونصرة الدين ، والتي لا تتحقق إلّا إذا كان الساعون في هذا السبيل مترابطين ، متآخين في الله ، ينصحون لإمام المسلمين ، ولمجتمعهم النصح النقي ، الخالي من أية شائبة ، مصلحيّة ، أو مادية ، أو إثبات ذات ، أو سمعة ، أو رياء ، و بلوغ الهدف هو بمناصحة خلية من الغش بالنصيحة الخالصة لوجه الله تبارك وتعالى التي لا يرجو المؤمن منها إلّا رضاه ، ومثوبته ورحمته .

صفات الناصحين :

يقول رسول الله (ص) : « أمّا علامة الناصح فأربعة : يقضي بالحق ، ويعطي الحق من نفسه ، ويرضى للناس ما يرضاه لنفسه ولا يعتدي على أحد »[١٠] .

١ ـ إنّ من صفات الناصح : أنه يقضي بالحق ، فلا محسوبيات ، ولا مصالح ، بل القضاء بالحق ولو على أقرب المقربين .

٢ ـ ويعطي الحق من النفس ، حتى لا يخشى أحد منه ظلماً ، بل يثقون بعدله لأنّه يعامل نفسه كما يعامل غيره .

٣ ـ والرضا للناس بما يرضاه لنفسه ، بحيث يحبّ لهم ما يحبّ لها ، فهم كنفسه ، لا يؤثرها بشيء .

والناصح لا يعتدي على أحد ، لأنه يشعر بمسؤوليته عن الآخرين ، وبانسجامه معهم ومحبته ورحمته لهم فكيف يعتدي عليهم ؟ فمرحى للناصحين في الله ، وطوبى لهم من منقلب يحسدهم عليه المقصّرون ، وغير المخلصين ، فالممارسة العملية والتطبيق على أرض الواقع هي التجسيد الحقيقي لكل ما ذكرنا ،

وإلاّ بقي الأمر قولاً فارغاً من المضمون العملي . وإن التعدي على الناس أمر مرفوض في كل المجتمعات ، تعافه النفس ، وتشمئز منه الروح ، وخصوصاً في المجتمعات الإسلامية التي ينبغي أن تطبق الإسلام شريعة ومقاييس وأهدافاً .

وإنّ استعمال القوّة والجبروت والتعدي سبيل أهل الباطل ، من الذين لا يخافون الله ، ولا يؤمنون به ، بل يعملون لدنياهم ، ولسيطرتهم . أما أهل الإيمان فهم أهل النصح ، والحاملون لِهَمِّ الأمة ، وهم المستضعفون . . . هاجسهم الإصلاح ، ورائدهم خدمة عيال الله ، قربة إلى الله ، وسعياً لتحقيق رضاه .

ومن الواضح أنه لا يسلك سبيل النصح والهداية والإرشاد إلا المؤمنون المحبّون ، المخلصون . أما من المنافقين ، الحاسدين المبغضين ، فمحال أن تصدر نصيحة :

يقول الصادق (ص) : « النصيحة من الحاسد محال »[11] .

وذلك لأن القلب البشري لا يتسع إلاّ لنوع واحد من العواطف : أما حبّ أو بغض .

ويقول علي (ع) : « لا ينصح اللئيم أحداً ، إلاّ عن رغبة ، أو رهبة ، فإذا زالت الرغبة ، والرهبة عاد إلى جوهره »[12] .

وقال الرسول (ص) : « المؤمنون بعضهم لبعض نصحة وادّون وإن افترقت منازلهم وأبدانهم ، والفجرة بعضهم لبعض غششة متخاذلون وإن اجتمعت منازلهم »[13] .

إن اللئيم هو من حشي بالحقد والبغض والحسد ، حشواً وامتلأ جوفه مكراً وكيداً وضغينة على الناس ، وخصوصاً على المؤمنين المخلصين ، لا يحبّ أن يرى خيراً من أحد ، ولا أن يصل الخير إلى أحد .

فهذا النموذج من البشر لا يتوقع منه النصح والخير ، اللهم إلاّ لمصلحة يرجوها ، أو لحظوة ينالها ، أو عمل يربح من جرائه ، أو أنه يقدّم النصيحة اتقاء لخطر ، أو تحاشياً لسوء يحتمل وقوعه .

أنصح الناس لنفسه :

يقول علي (ع) : « إن أنصح الناس لنفسه ، أطوعهم لربّه وإن أغشهم لنفسه أعصاهم لربّه »[١٤] .

النصح نوعان : نصح للنفس ، ونصح للغير ، ونصح النفس مقدّم على نصح الغير ومتى قام المرء بنصح نفسه لا بُد آنئذ أن ينصح غيره ، أما كيف يكون نصح النفس . . . فبإطاعة الرب . . . ولا يكون صادقاً من يدّعي أنه ينصح نفسه ، وهو لا يطيع ربه ، ولا يعمل لمرضاته . . . وإطاعة الرب لا تكون إلاّ بتنفيذ أوامره ، ونواهيه ، وهذا هو النصح المطلوب .

فإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم شهر رمضان ، وحج بيت الله الحرام ، وبرّ الوالدين ، والجهاد في سبيل الله ورعاية اليتيم . . . إلى ما هنالك من برامج ربانية ، على المستويات الفردية ، والإجتماعية ، أمر الله بها ودعا إليها . . . كل ذلك نصح للنفس ، إذا كان الهدف من القيام بها ، رضا الله سبحانه ، وروي ان رجلاً ولي ولاية ، وهو معروف بعدم الإهتمام بأوضاع أسرته ، وأهله ، وبعد بضعة أيام عزل . ولما سأل عن السبب قيل له : من لا يرحم أهله ، لا يرحم غيره ، وهو غير مؤهل لأن يسوس الناس . والغش هو عدم الإخلاص في القول والعمل ، وإظهار المرء خلاف ما يخفي ويضمر ، والعاصي لربّه غاش لنفسه كل الغش يقول الشاعر :

تعصي الإله وأنت تظهر حبّه ... هذا محال في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

وعن علي (ع) أنه قال : « من نصح نفسه كان جديراً بنصح غيره ، ومن غش نفسه كان أغش لغيره »[١٥] .

وعن علي (ع) أنه قال : « من أمرك بإصلاح نفسك فهو أحقّ من تطيعه »[١٦] .

الإصلاح هو عملية استبدال الفاسد من أمر أو مسألة ، أو عمل بالأصلح ، والأفضل ، الذي يفي بالغرض ، ويوصل إلى الهدف وإصلاح النفس مقدّم على كل الإصلاحات ، لأن الإصلاح الخارجي ، ينبغي أن يكون نابعاً من

نفس صالحة ، فكيف يصلح من هو غير صالح ، من هنا كان حق الذي يأمرني بإصلاح نفسي ، إطاعته فيما يأمر ، وكيف لا أطيعه ، وهو يدلني على صلاحي ، ويمحضني نصحه الخالص من كل غش وخداع .

من ينتفع بالنصيحة ؟

يقول علي (ع) : « كيف ينتفع بالنصيحة من يلتذ بالفضيحة »[١٧] .

وهنا لا بدّ لنا من طرح سؤال : متى تنفع النصيحة ؟ ومن ينتفع بها .

والجواب : لا تنفع النصيحة إلّا إذا قبلت وعمل بها ، أمّا من يلتذ بالفضيحة ، ويرى أن العيب الذي يقوم به ، شارة يزين بها هامته ، ووساماً يضعه على صدره ، لا ينتفع أبداً من أية نصيحة ، مهما بلغت قيمتها ، والذي لا تهمه الفضيحة أمام الناس ، أو يشعر بغبطة ولذة ، هو من وصفه الإمام علي (ع) بقوله :

« لا تنتصح بمن فاته العقل ، ولا تثق بمن خانه الأصل ، فإنّ من فاته العقل يغش من حيث ينصح ، ومن خانه الأصل يفسد من حيث يصلح »[١٨] .

فالإنسان عقل وأصل : العقل هو نعمة الله الكبرى على الإنسان ، وبه كان إنساناً ، فطوبى بمن كمل عقله ، أو كان عاقلاً ، والأصل ، هو القاعدة الوراثية والتربوية والتكوينية الطاهرة ، الطيبة التي ترتكز عليها شخصية الإنسان ، وتؤثر في حياته وسلوكه وممارساته الفردية والإجتماعية ، فالهناء ، والإستقامة لمن تولد من الأصلاب الطاهرة ، والأرحام الطيبة . والعقل كما عرّف في الحديث هو ما يعبد به الرحمن وتكتسب به الجنان أمّا الذين لا عقل لهم من الناس ، لا خير فيهم ، ولا يرجى منهم نصيحة (لا تنتصح بمن فاته العقل) وفوات العقل يعني عدم التفكير الصحيح ، أو التفكير بطريقة غير موجهة نحو الأهداف الإنسانية المشروعة . وكم يوجد في المجتمع من أناس لا همّ لهم إلّا بطونهم ، ولا يختلفون كثيراً عن العجماوات من المخلوقات ، وكيف لا والذي يميز الإنسان عن الحيوان ، هو العقل الرحماني النافع ، ومتى فات الإنسان هذا العقل اقترب من عالم الإنعام ، وانحدر نحو اللاإنسانية .

أمـا الذين لا نصيب لهم من العقـل وخانهم الأصـل ، وفـاتهم التـولّـد من الأصلاب ، والأرحام السليمة ، والطاهرة . . . فقد حرموا الإستواء في الخلقة ، والإعتـدال في العمـل ، وأكـثرهم سيّئي السريـرة والسـيرة . . . دأبهم النفـاق ، والدجل ، والخداع ، فلا أمـان لهم ولا ثقة بهم ، وكـلام أمير المؤمنـين (ع) فيهم واضح : « لا تثق بمن خانه الأصل » .

اقبلوا نصيحة الله

يقـول الإمام عـلي بن أبي طالب عليـه أفضل الصـلاة والسلام : « اتعـظوا بمواعظ الله واقبلوا نصيحة الله . . . واعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الـذي لا يغشّ . . . واستنصحـوه عـلى أنفسكم واتّهمـوا عليـه آراءكم ، واستغشـوا فيـه أهواءكم »[١٩] .

إنّ أفضل المواعظ ما كانت من عنـد الله ، وأجدى النصـائح مـا كانت من قبله ، وإنّ كل موعظة إلهية ونصيحة ربّانية مصدرها القرآن ، والقـرآن ناصـح لا يغشّ وهـو السبيل الـواقي من العثرات ، والمـوصل إلى بـر الأمان فعـلى من يريـد نصيحة نفسه ، فليبادر إلى الفرقان ، يسألـه النصيحة وليقبـل بها ، وليـأخذهـا ، وإذا اختلف رأي البشر ، مـع القرآن ، فليضرب بـآراء الناس عـرض الحـائط ، لأنّ الهوى ، يضلّ الرأي ويموّه على الإنسان الحقيقة .

لا تخالف نصيحة الناصح من الناس

يقـول علي (ع) : « أشفق النـاس عليـك أعـونهم عـلى صـلاح نفسـك ، وأنصحهم لـك في دينك »[٢٠] ، « من خـالف النصـح هلك »[٢١] ، « من قبـل النصيحة أمِنَ الفضيحة »[٢٢] ، « من أقبل على النصيح أعرض عن القبيح ، من استغشّ النصيـح غشيه القبيـح »[٢٣] ، « مـرارة النصـح أنفـع من حـلاوة الغش »[٢٤] .

إنّ الشفقـة والعطف والـرحمة والمحبـة كلها مشـاعـر إنسـانيـة يـطورهـا ، وينمّيها ، ويقويها الإيمان بـالله ، وحبّ خلق الله وإنّ أشفق الناس عـلى الناس ،

من أحب الله وآمن به ، وبأنه رحيم رحمن ، حليم كريم . كما أن أفضل الشفقة وأرقاها ، ما كانت عوناً لنا على ما يعترضنا من مصاعب ، ومشاكل وما يصلح أنفسنا ، ويقربها من الله سبحانه ثم أن مخالفة النصح تقود إلى الهلاك ، فالنصح هو نتيجة تفكير ناضج ، وتجربة في الحياة ، والأفكار المدروسة والمجرّبة ، هي مشاركة للناس في عقولها ، واستفادة من تجارب الآخرين ، وهي أمان من كل عيب ، وبعد عن كل فضيحة . . . والفضائح لا تكون إلّا بالتّعب والمكابرة ، ورفض كل نصح ومشورة .

وقد يعتبر بعض البسطاء بسبب ، تمويه المموهين ، وخداع المخادعين ، أن النصح ثقيل عليهم ، لمرارة ما يرتب عليهم من تبعات ، ومسؤوليات ، فيستسهلون ، ويحبّون أهل الغش ، لتزويقهم لهم ما يغشونّهم به لذلك نصحنا الباقر (ع) فقال :

« اتّبع من يبكيك وهو لك ناصح ولا تتبع من يضحك وهو لك غاش »[٢٥] .

ثم إن معنى النصح يتجاوز الإطار الخاص ، إلى الإطار العام ، وهو الإطار التكاملي الإجتماعي العام ، فالنصح هو باب الحياة الواسع ، الذي يدخل منه الإنسان ، إلى رحاب الحياة السعيدة ، والتي لا تكتمل آفاقها إلّا بتكامله مع الآخرين ، وتقديم النصح لهم ، من هذا المنطلق نستطيع أن نحدّد الخطوات الرئيسة ، التي ينبغي على الإنسان أن يتّبعها ، من أجل أن يكون مخلصاً ، مدركاً لواجباته ، ناصحاً لنفسه وللآخرين ، من أجل إرضاء الله سبحانه وتعالى. ان الدعوة إلى النصح ترتكز على قاعدة التفاعل مع الناس الذين نعيش معهم ، وهي دعوة للإنسان لئلا يكون منعزلاً عن المجتمع ، بل مشاركاً في عملية التطور والتقدم والدفع لمجتمعه إلى الأمام بواسطة تقديم النصح للآخرين ، بهدف تكامل الحياة الإجتماعية وترقّيها .

إنّ النصيحة ، غايتها ، كما سبق ، تصحيح الأخطاء الصغيرة والكبيرة ، على الصعيد الفردي وعلى صعيد الجماعة ، وإذا لم يؤخذ بالنصيحة ، فإن العلم يبقى خاطئاً ، أو ناقصاً ، وبهذا تصبح النصيحة نوعاً من الواجب ، حتى لا ندع مجالاً للتدهور وسقوط الآخرين .

وهكـذا فإنّ النصيحـة هي عامـل تقويم لمسـار الفرد والمجتمـع ، ليسير في دورة حياته الصحيحة ، كلما خرج عن الصراط المستقيم أو أراد أن يخرج ، كانت النصيحة هي العامل المقوّم ، والمهذّب لحركـة الحياة التي يـريدهـا لنا الإسـلام ، بوجهها الأخلاقي ، والنظمي ، والعقيدي والذي هو وجه الإيمان فيها .

والحق يقـال ان المسلم ما دام قـد أسلم لله وجهـه ، وأخلص نيتـه ، فـإنّ حـركاتـه وسكناتـه تحتسب خطوات إلى مـرضاة الله وقـد يعجز عن عمـل الخير ، الذي يصبو إليـه ، لقلّة مالـه ، أو اعتلال صحتـه ، ولكن الله مطلّع عـلى خفايـا النفـوس ، يـرفـع الحـريص عـلى الإصـلاح والنصـح إلى مـراتب المصلحـين النـاصحين ، والـراغب في الجهاد إلى مـراتب المجـاهـدين . إن خلوص النيـة ، وإخلاص العمل لرب العالمين ، وإسداء النصيحة لأهل الإسلام ، يرتفـع بمنزلـة العمل ، ليكون عبادة خالصة لله تعالى .

وإن خبث النيّة ، يهبط بالطاعات فيقلبهـا إلى معاصٍ ، ولا ينـال المرء منهـا إلا الفشل والخسارة وأما الإخلاص بـالنصيحة لأهـل الإسلام ، فـأشد مـا تدعـو الحـاجة إليـه ، في الشدائـد والملمّات حيث ينسلخ الإنسان عنـدها عن أهـوائـه ، ويتبرأ من أخطائه ، ويقف في ساحـة الله أواباً ، يـرجو رحمتـه ، ويخاف عـذابه ، لهـذا وأمثالـه نرى أنـه دخل الجنـة رجال بغـير أعـمال ، ولكن بـالنصيحـة لأهـل الإسلام .

وإذا كانت الأمة غير مهيأة من النـاحية النفسيـة فإنها لا تنتصـح وتجمح بهـا الـرغبة إلى سلوك الخط المنحـرف ، أو البعيد عن الإسـلام ، وإذا عشعشت فيهـا روح الـترف واللهـو ، وخـاضت غـماره ، تصبـح أبعـد مـا تكـون عن النصحـاء والمنتصحـين . وإذا كـانت نفسيـة الفـرد قـد تشبّعت بـالتكـبر ، والإستغنـاء عن النصيحـة ، مع حـاجتها إلى ذلـك ، كان هـذا الإنسان جـاهلاً جهـلاً مـركبـاً ، لاعتقاده أنه يعلم ، وهو لا يعلم أنه لا يعلم .

وهـذا الصنف من الأفراد لا ينتفعـون بالنصيحـة ، لأنهم يعتبرون أنفسهم فوقها . . . والمحبة أساس في عملية النصح . فالناصح إذا لم يكن يحمل في قـرارة نفسه ، محبة لمن ينصحه ، فإنّه لن يستطيع أن يكون ناصحاً ، مخلصاً . ولا بد أن

تكون النصيحة حباً بالغير ، وابتغاء لمصلحته ، لتحصيل رضا الرحمن ، أما إذا كان للنصيحة غاية أخرى ، فإن تأثيرها يخف ، ويبطل أجرها . . . أما اتّباع الغايات والمصالح المادية ، للحصول على منفعة ما ، فإن فاتهم ذلك ينفون الإحترام ، والتقدير عن النصح والناصحين ، وتفتقد هذه العملية تأثيرها على أرض العمل والعاملين ويمكن أن نرى الأمر من عدة زوايا :

الزاوية الأولى : الترابط بين أفراد المجتمع الإسلامي .

وهي مسألة الترابط بين أفراد المجتمع الإسلامي ، بحيث يصل هذا الترابط إلى درجة الإنسجام ، الذي يتسامى على الإنانيات فيصبح (الغير) هو (أنا)وأنا هو الغير، فالأنا تذوب مع الآخرين ،إلى درجة أن المؤمن لا يستكمل إيمانه ، حتى يودّ للناس ما يود لنفسه ، بدليل أن الهدف واحد ، وطريق السير واحد ، وبالتالي فإن الوحدة الخارجية ، تشكل انعكاساً للوحدة النفسية عند الأفراد ، الذين يشكلون المجتمع المسلم ، ومجموع المجتمعات الإسلامية هي التي تشكل الأمة المسلمة .

وتحت هذا العنوان وبفضل هذه المشاعر الغيرية ، تنتفي العصبيات سواء أكانت عصبيات حزبية أو طائفية ، أو عنصرية ، أو قومية الخ . . . ليحل محلها الإنسجام ، والتواصل ، الذي يقترب من التوحد ، فالأمة الواحدة تؤمن بالرب الواحد ، والإيمان بوحدانية الربّ ، باعتبارها الصفة الأساسية لله سبحانه وتعالى ، تنعكس على مستوى الأمة وحدة في الأهداف والتطلعات . وبالتالي تنعكس في الشعور العميق بالود والمحبة لبعضهم البعض ، ويتجلى هذا الأمر أكثر ما يتجلّى بالإنطلاقات الجهادية على مستوى مجاهدة أعداء الله في الداخل والخارج .

ومن هنا كان قوله سبحانه : **﴿ إنّ الله يحبّ الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص ﴾**[١] .

---

[١] سورة الصف : الآية ٤ .

الزاوية الثانية : الإخلاص في النصيحة .

إن حالة الإنسجام والتطابق في الأهداف والسلوك والسير نحو هذه الأهداف ، يجعل المؤمن في وضع يمنعه من التفكير بالمصلحة الشخصية ، فينطلق ليفكّر في الآخرة ، هدفه رضا الله والجنة ، لذلك فهو يعمل على بناء نفسه وشخصيته ، على أسس إسلامية ، ليتحوّل إلى إنسان يقوم بعملية الإرشاد ، والنصح المستمر ، لا يريد منفعة ولا أجراً من أحد ، ولا يقوم بذلك لمصلحة سياسية ، كما نرى في ممارسات السياسيين الدنيويين ، فكم من (مصلح) يقوم بما يقوم به ، من أجل الشهرة أو من أجل تحصيل مكسب مادي ، أو من أجل تحصيل مكسب سياسي ، فإذا ما انتفت هذه المصلحة تراه ينكفىء على عقبيه ، ويعتبر أن دوره قد انتهى ، لأنه كان يريد شيئاً معيناً ولأنه لم يتحقق ، فإنه يتخلى عن دوره في النصيحة .

الزاوية الثالثة : النصيحة والرقابة من مقومات استمرار الإسلام في الحياة .

يعتبر الإسلام المبدأ الأوحد الذي وضع مناهج وأساليب لحماية نفسه واستمراره وبقائه ، ولحماية حامليه ومعتنقيه من الإنحراف .

فالإسلام وحده ينص على مبدأ الرقابة الإجتماعية ، ولا يوجد نظام في العالم ينص على ذلك غيره فكل فرد في المجتمع الإسلامي ، رقيب على نفسه وغيره ، وناصح لنفسه ولغيره ، على قاعدة أن : المؤمن مرآة أخيه ، والدين النصيحة .

وهنا نرى أن جوهر التدين هو النصح ، فمن كان في نفسه غش أو خداع فهو بعيد عن الإيمان ، كما ورد في الحديث : « من غشنا ليس منا » والغش يكون في الجانب المادي المصلحي ، والتجاري ، ويكون أيضاً في الجانب النفسي والجانب التربوي والأخلاقي ، وفي الجانب السياسي وجميع جوانب الحياة .

لذلك نرى أن الإسلام بحسب مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قد جعل النصيحة في مرتبة أولى ، قبل الوصول إلى مرتبة الإلزام ، ومرتبة العلاقات الإجتماعية التي هي قاعدة العلاقات الإنسانية .

. . . لعلّ المخطىء يتراجع ، فإذا لم ينفع أسلوب النصيحة فإنه يستخدم

أسلوب الإلزام الذي يقول : « من رأى منكم منكراً ، فليغيّره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » .

وتعالج النصيحة الأمور بالإرشاد قبل الوقوع في الخطأ ، وكذلك بعد الوقوع فيه حتى لا يقع الخطأ مرة ثانية . . .

الزاوية الرابعة : النصيحة السياسية ـ النصيحة لغير المسلمين .

وأعلى مراتب النصيحة كما يحدّدها الإسلام : النصيحة لأئمة المسلمين ، والمقصود بالنصيحة للأئمة ، كما ذكرنا سابقاً ، يعني النصيحة السياسية ، باعتبار أن النظام السياسي والقيادات السياسية ، هي ذات تأثير كبير على مجمل الوضع الإجتماعي ، فيما يخص حرية الناس ، وضمان الحياة الكريمة ، والكرامة الإنسانية للمجتمع الإسلامي ، فإذا ما غشّ الحاكم ساء الوضع السياسي والإجتماعي وأدى ذلك إلى أخطاء كثيرة ، ربما يستطيع العدو الخارجي أن ينفذ من خلال هذه الثغرات ، ليحقق أهدافاً في الإساءة إلى الأمة والمبدأ ، وهذا المبدأ يتناقض كلياً مع النظرة العلمانية للسياسة والتي تقول : بأن السياسة هي عملية خداع وغشّ بينما يرى الإسلام أن السياسة هي واجب خدمة الناس ، وحلّ مشاكلهم ، وتأمين حوائجهم بإخلاص وأمانة .

عن أبي عبد الله (ع) قال : « قال رسول الله (ص) من سعى في حاجة لأخيه فلم ينصحه فقد خان الله ورسوله » .

وقال الصادق (ع) : « من مشى في حاجة أخيه ثم لم ينصحه فيها ، كمن خان الله ورسوله ، وكان الله خصمه » .

ولا يكون العبد نصوحاً ، ولا تقبل نصيحته إلاّ إذا كان خالياً من كل غش وحسد . فقد روي أن رسول الله (ص) شهد لرجل من الأنصار بأنه من أهل الجنة وكان باعثه ، بعد التفحص ، خلوه من الغش والحسد .

وروي أيضاً أن موسى (ع) لما تعجّل إلى ربه رأى في ظل العرش رجلاً فغبطه في مكانه وقال : « إن هذا لكريم عند ربه ، فسأل ربّه أن يخبره باسمه فلم يخبره باسمه ، وقال أحدثك عن عمله : كان لا يحسد الناس على ما أتاهم الله من

فضله ، وكان لا يعق والديه ، ولا يمشي بالنميمة»[٢٦] .

ومن المعلوم أن المبدأ السياسي الميكافيلي يرى بأن : الغاية تبرر الوسيلة .

أما في الإسلام فالغاية لا تبرر الوسيلة وشرف الغاية ، يتطلب الوسيلة الشريفة لأن الغاية في الإسلام هي من جنس الوسيلة ، وإذا كانت الغاية شريفة فلا بد أن تكون الوسيلة شريفة .

النصيحة لغير المسلمين .

وإذا كانت النصيحة واجبة لأهل الإسلام ، فهل يعني أننا لا ننصح غير المسلمين ؟ .

إن الإسلام يرى أن النصيحة تتعدى إلى غير المسلمين ، بشرط عدم كون هؤلاء محاربين لله ولرسوله .

يقول تعالى : **﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم ان تبرّوهم وتقسطوا إليهم إن الله يحبّ المقسطين ﴾**[١] .

والنصيحة أيضاً توجه إلى جميع مواطني الدولة الإسلامية ، باعتبارهم يعيشون في ديار الإسلام ، ودار الإسلام تشمل المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب .

الزاوية الخامسة : النصيحة تدخل الجنة بغير عمل .

إن النصيحة تدخل الجنة بغير عمل ، أي أنّ الإنسان الناصح يكون قد دخل الجنة بعمله غير المباشر ، بل بفكره ، وعقله ، وقدرته ، على الإرشاد ، والتخطيط ، فتأثيره معنوي وذلك بإرشاده للآخرين ، ليوجههم إلى العمل العام في المجتمع فيكون بأسره عاملاً من خلال نصيحة هذا الرجل ، وقيمة عمله بقيمة المجتمع بأسره ، لذلك فإنه يدخل الجنة من دون أن يعمل عملاً جسدياً بل عملاً معنوياً ، من خلال القول والإرشاد والنصيحة لأهل الإسلام ، وغيرهم من رعايا دولة التوحيد والعدل .

---

[١] سورة الممتحنة : الآية ٨ .

مصادر ومراجع البحث

(١) فروع الكافي ج ٨ ص ١٤٦ .
(٢) الترغيب والترهيب ج ٢ ص ٥٧٧ .
(٣) المصدر السابق .
(٤) تنبيه الخواطر ص ٤٣٢ .
(٥) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٤١٢ .
(٦)(٧) ميزان الحكمة .
(٨) كنز العمال خطبة ٦٨٧ .
(٩) نهج البلاغة خطبة ١١٨ .
(١٠) تحف العقول ص ٢٢ .
(١١) بحار الأنوار ج ٧٨ ص ٣٥٨ .
(١٤) غرر الحكم .
(١٥)(١٦)(١٧)(١٨) غرر الحكم .
(١٩) نهج البلاغة خطبة ١٧٦ .
(٢٠)(٢١)(٢٢)(٢٣)(٢٤) غرر الحكم .
(٢٥) بحار الأنوار ج ٧٥ ص ١٠٣ .
(٢٦) جامع السعادات ج ٢ ص ٢١٨ ـ ٢٢٠ .

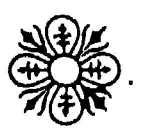


ترك الكذب في الهزل والجد

لا طعم للايمان إلّا بترك الكذب في الهزل والجد .

محتويـات البحـث

١٣ ـ إياكم وآقل الكذب حتى الكذبية !
١٤ ـ ما هي علة الكذب ؟
١٥ ـ آثار الكذب وثمرته .
١٦ ـ الكذب على الله ورسوله .
١٧ ـ الكذب والتورية .
١٨ ـ استماع الكذب .
١٩ ـ مصادر ومراجع البحث .



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يـا أيها الـذين آمنوا اتقـوا الله وقـولـوا قـولاً سـديـداً يصلح لكم أعـمالكم ويغفـر لكم ذنــوبكم ومن يـطع الله ورسـولـه فقـد فـاز فـوزاً عظيماً ﴾[١] .

﴿ سـمّاعون للكـذب أكّالـون للسحت فإن جـاؤوك فـاحكم بينهم أو إعرض عنهم إن تعرض عنهم فلن يضرّوك شيئاً . . . ﴾[٢] .

﴿ . . . فمن أظلم ممن افـترى عـلى الله كـذبـاً ليضـلّ النـاس بغـير علم ﴾[٣] .

* * *

وقـال أمـير المؤمنـين (ع) : « لا يجـد عبـد طعم الإيمـان حتى يـترك الكذب هزله وجدّه »[٤] .

* * *

---

[١] سورة الأحزاب : الآية ٧٠ .

[٢] سورة المائدة : الآية ٤٢ .

[٣] سورة الأنعام : الآية ١٤٤ .

[٤] بحار الأنوار ج ٧٨ ، ص ٢٥٢ .

الكذب أعظم الرذائل :

لا شك ولا ريب أنّ الكذب رذيلة محضة تنبيء عن تغلغل الفساد في نفس صاحبها ، فيندفع إلى الأثم من غير ضرورة مزعجة ، والمرء قد يَستَسهل الكذب حين يمزح ، حاسباً أن اللهو لا حظر فيه على تلفيق أخبار أو اختلاق ، ولكن الإسلام الذي أباح الترويح عن القلوب لم يرض وسيلة لذلك إلاّ في حدود الصدق المحض .

والذي يؤكد أن الكذب رذيلة من الرذائل ذات العواقب الوخيمة ، كونه أقبح الذنوب وأفحشها وأخبث العيوب وأشنعها ، وإنّ الذي يكذب عامداً يلعنه سبعون ألف ملك وخرج من قلبه نتن حتى يبلغ العرش فيلعنه حملة العرش كما في بعض الروايات .

وقد قال الرسول (ص) : « ويل للذي يحدّث الحديث ليضحك منه القوم فيكذب ويل له . . . ويل له . وقال : أنا زعيم ببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً » .

« كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك مصدّق وأنت له كاذب »(١) .

« تحرّوا الصدق وإن رأيتم أن الهلكة فيه فإنّ فيه النجاة »(٢) .

وقال علي (ع) : « الكذب زوال المنطق عن الوضع الإلهي »(٣) .

إنّ اللهو بالكذب كثيراً ما ينتهي إلى أحزان وعدوات .

وإن الصدق في الأقوال يؤدي بصاحبه إلى الصدق في الأعمال والصلاح في الأحوال ، ويجعل ضياء الحق يسطع على قلبه وعلى فكره .

يقول الله عز وجل : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً** ﴾[١] .

---

[١] سورة الأحزاب : الآية ٧٠ .

وهكذا فإنّ نجاح الأمم في إداء رسالتها يعود إلى ما يقدمه بنوها من أعمال صادقة .

وقال (ص) : « إياكم والكذب فإنّه يهدي إلى الفجور وهما في النار »(٤) .

« لا يزال العبد يكذب ويتحرّى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً »(٥) .

وعلى هذا الأساس لا بد للمرء أن يكون بعيداً عن الكذب في هزله وجدّه وأن يغرس فضيلة الصدق في نفوس أطفاله ومن حوله .

راقب نفسك تنجُ .

قال الله سبحانه : ﴿ **ما يلفظ من قول إلاّ لديه رقيب عتيد** ﴾[١] .

﴿ **لا خير في كثير من نجواهم إلاّ من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس** ﴾[٢] .

إنّ الرقابة الإلهية خير واق من الإنزلاق في العيوب والخطايا قولاً وفعلاً ، والرقيب والعتيد ملكان كريمان مكلّفان بإحصاء الحسنات والسيئات على كلّ مخلوق مكلّف ، وسيجدها في كتاب لا يغادر كبيرة ولا صغير إلاّ أحصاها ، ولا خير في أي كلام (سراً أو علانية) ، إلاّ إذا كان أمراً بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس . . . ولينتبه الإنسان إلى كل كلمة تصدر عنه ، لأنّ الملائكة تسجل حتى الصفير وقد ورد أن الملكين يقول أحدهما للآخر : (اكتب الصفير وعلى الله التفسير) .

وقال الرسول (ص) : « لا يؤمن العبد الإيمان كلّه حتى يترك الكذب في المزاح والمراء وإن كان صادقاً » .

« أعظم الخطايا اللسان الكذوب »(٦) .

« الكذب ينقص الرزق » .

إنّ كمال الإيمان لا يكون إلاّ بترك المزاح ، وترك المراء ، لأنّ من أعظم

---

[١] سورة ق : الأية ١٨ .

[٢] سورة النساء : الأية ١١٣ .

الخطايا ، وأشدّ الذنوب لِسانا كذوبا ولو مزاحا ، وكيف يكذب إنسان عاقل وهو يعلم أنّ الكذب ينقص له رزقه . . .

وعن علي عليه أفضل الصلاة والسلام : « أقل شيء الصدق والأمانة ، أكثر شيء الكذب والخيانة »(٧) ، « شر القول الكذب »(٨) .

وقال الصادق (ع) : إنّ العاقل لا يكذب ، وإن كان فيه هواه »(٩) .

« فرض الله الإيمان تطهيراً من الشرك . . . وترك الكذب تشريفاً للصدق »(١٠) .

أن نكون صادقين أمناء شيء جميل ، وهو أقل شيء يجب علينا القيام به .

أمّا أن نكون عكس ذلك فلا شيء أكبر ولا أخطر .

فالصدق والأمانة توأمان ، وعلى كل مؤمن عاقل أن يتحلّى بهما ـ فتحسن علاقاته مع الآخرين ، وتجمل هذه العلاقات مع الله وتطمئن النفس .

أما الخائن والكذاب فعلاقته سيئة مع الآخرين ، ولا وفاق له مع الله ونفسه ، فهو دائماً في ارتباك وتشويش واضطراب ، والكذاب كالخائن لا يكون مؤمناً أبداً ، إذ أن الإيمان صدق وأمانة ، فلا يجوز أن يلوّث بالكذب والخيانة .

وعن علي (ع) : « الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرك ، على الكذب حيث ينفعك »(١١) .

« إيّاكم والكذب فإنّ كل راج طالب ، وكل خائن هارب »(١٢) .

ليس الضرر أن يخسر الإنسان مبلغاً من المال في تجارة ونحوها ، أو أن يضيّع شيئاً ذا قيمة وقدر، بل الضرر الحقيقي أن نضيع ثقة الناس بنا وأن نخسر الإطمئنان والراحة النفسية ، وأن نقع ضمن دائرة الغضب الإلهي ، وذلك بسبب عدم اهتمامنا بالصدق ، وأن نتعامل مع الأمور بطريقة اللامبالاة ، ناسين أن الكذب يقود إلى الفجور والفجور يقود إلى النار ، وغضب الجبّار (أعاذنا الله من ذلك) ـ والسؤال المطلوب طرحه الآن :

ما هو طعم الإيمان : وبأي شيء يرتبط ؟ الجواب : انّ الإيمان له طعم لا

أطيب ولا ألذ ، هذا الطعم يرتبط بـالقيم الأخلاقيـة ، وإذا كان خـارج الأخلاق والفضيلة ، فأنّه يفقد الأساس الذي بني عليه ـ والكفـر كذلـك له طعم ، ولكنّـه خبيث لا يلذ ولا يريح .

إنّ طعم الإيمان يتلخص بالإنسجام الكامل بين الإنسـان والكون ، بحيث يعيش حالة من الشعـور بالإطمئنـان ، وهو مـا يحصله فقط من آمن بالله ورسـوله واليـوم الآخر ، فيخلق هـذا الإيمان تـوازناً عنـده ، ويجعله مطمئنـاً إلى وجـوده ، وحياته ، فيشعر بالسعادة التي وعده الله بهـا في الدنيـا والآخرة انسجـاماً مـع الآية الكريمة : ﴿ **فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها** ﴾[١] .

وعـلى أساس الإرتبـاط بـين المؤمن ، وبـين الكـون نستـطيـع القـول : انّ الكذب يخالف ذلك الإرتباط فكل شيء في الكون وجد وفق نظام دقيق متـوازن في كل شيء .

ولمزيد من البيان نقول : انّ من الروابط التي تشد أجزاء الكون بعضهـا إلى بعض (الجاذبية) وبفضـل الجاذبيـة فإن الكـواكب تدور في أفـلاكها ضمن نـظام دقيق بحيث لا يغادر أي كوكب منهـا مداره ، حتى للحـظة واحدة ـ ثم انّ ازديـاد حـرارة الشمس أو ازديـاد قـوة الجـاذبيـة أو نقصـانها يؤثـر عـلى جميـع الكـواكب الأخرى ، فيخرب النظام الشمسي بكامله : فلولا الجـاذبية لتـطايرت الجبـال من الأرض بسبب الـدوران . ولـو اقـتربت الشمس أكـثر من الأرض لاحـترق كـل شيء ، ولو علت وبعدت أكثر لتجمّد كل شيء على الأرض ، لذلك كانت المسافة الفاصلة بين الشمس والأرض هي المسافة المطلوبة بلا زيادة أو نقصان ، والإنسان جزء من هذا الكون ، الذي تحكمه قوانين معينة ، لذلك ينبغي أن يكون منسجماً مع هذا الكون ، وقوانين الطبيعة صادقة في عملها مع خالقها . . . فعلى الإنسـان أن يكون صادقاً مع خالقه ومع الخلق .

رائحـة الكـذب :

ثم ألا يكفي أنّ الكذاب لا تواصـل لـه مـع المـلائكـة ، ولا اقـتراب منهم نحوه ، وذلك لرائحته الكريهة .

---

[١] سورة الروم : الآية ٣٠ .

فقد قال (ص) : « إذا كـذب العبد تباعد الملك عنـه ميلاً من نتن مـا جاء به »[١٣] .

وعلى هذا فأعمال العباد نوعان :

نوع له رائحة الورود الزكية ، وآخر له رائحة الجيف النتنة .

فكل ما يصدر عن المؤمن الصادق من أعمال له رائحة المسك والعنبر ، وكل ما يصدر عن الكـذاب له رائحـة تشمئز منهـا النفوس وتعـافها ، والصـدق يرفـع صاحبه إلى درجة الملائكة .

والملك مهما كان عند الله عظيماً ومقدراً ، لا يكره أن يلتقي بالمؤمن الصـادق الأمين بل يحب ويرغب .

ألا يكفي الصـدق قدراً أن يحمـل أصحابـه إلى هـذه الـدرجـات العـلى ، درجات الملائكة المقرّبين من الله .

والنتن هي أخبث الروائح كراهة لا بـل الأخبث بينها . والقيـام بكل عمل قبيح يقودنا إلى رائحة تبعد عنّا الملائكة وتغضب علينا الرب .

المنازل الرفيعة عند الله رهن بالصدق في القول والعمل :

يقـول علي (ع) : « وقـد علمتم مـوضعي من رسـول الله (ص) بـالقـرابـة القريبة والمنزلة الخصيصة وضعني في حجره وما وجد لي كذبة في قـول ولا خطلة في فعل »[١٤] .

أجل ، لو كان الكذب جميلاً لارتضاه الرسول (ص) لعـلي (ع) ، ولو كـان الخطل جيداً لقبله له . يقول عليه الصلاة والسـلام : « لقد علمتم مـوضعي من رسول الله » ـ والرسول (ص) لا ينطق عن الهوى ـ وهو الذي جاء برسالة الأخلاق ـ وكان على خلق كريم فلعلي ـ (ع) من رسـول الله (ص) قرابـة ولا أقرب ، ولـه منه منزلة ولا أخص . ولقد ربّاه في حجره ، وكانت التربيـة فاضلة ، لا كـذب في قول ولا خطل في فعل ـ والخطل من عائلة الكذب وزمرته ـ فمن لم يقدر أن يكون مثلهم فليتشبه بهم لأن التشبه بالكرام فلاح .

لا تلقن غيرك أحاديث الكذب :

عن رسـول الله (ص) أنه قـال : « لا تلقنوا النـاس فيكـذبـون ، فـإنّ بني يعقـوب لم يعلمـوا أن الـذئب يـأكـل الإنسـان فلمّا لقنهم ﴿ إني أخـاف أن يـأكله الذئب ﴾ قالوا : أكله الذئب »[١٥] .

كثيـراً ما نمـازح أطفالنـا فنذكـر أمامهم بعض الحكـايات أو الأحـاديث غير الصحيحة مثلاً ، وكثيراً ما نخوفهم من أمور وهمية ، أو نرغبهم بأمور مستحيلة ، كل هذا له مردود سلبي على نفوسهم لأنه يؤدي إلى زعزعة ثقتهم بنا ، ويتعلّمـون أشياء لا تعود عليهم إلاّ بالضرر ونكون نحن السبب في ذلك .

والكذاب شريك الشيطان ، فكلاهما مفسد ، ومخـل بكل ارتبـاط في مسيرة الإنسان الحياتية . وإنّ الشيطان يتوسل إلى الكـذاب ، ويتودد لـه ، لكي يرضيـه ويجعله يتـمادى في كـذبـه وفي بعـده عن أي عمـل إيجـابي ، وفي عمـل الكـذاب والشيطان تشابه وتقاطع . والنفاق قاسم مشترك بـين عمل الكـذاب والشيطان . وما أكثر المنافقين في هذا العالم . . ولكن إلى أين ؟ .

يقول تعالى : ﴿ إنّ المنافقين في الدرك الأسفل من النار ﴾[١] .

من الكذب أن تعد أطفالك ثم لا تفي لهم :

١ ـ قال الرسـول (ص) : « إنّ الكذب لا يصلح منـه جد ولا هـزل ، ولا أن يعد الرجل إبنه ، ثم لا ينجز له ، إنّ الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنـة ، وإن الـكـذب يهـدي إلى الـفـجـور ، وإنّ الـفـجـور يهـدي إلى النار . . . »[١٦] .

٢ ـ وقد قال علي (ع) : « لا يصلح من الكذب جدّ ولا هزل ، ولا أن يعد أحدكم صبيته ثم لا يفي له ، إنّ الكـذب يهدي إلى الفجور ، والفجور يهدي إلى النار »[١٧] .

٣ ـ « وعن عبد الله بن عامر قال : دعتني أمي يوماً ، ورسول الله صلى الله

---

[١] سورة النساء : الآية ١٤٥ .

عليه وآله قاعد في بيتنا ، فقالت : ها ها تعالى أعطك ، فقال لها ، رسول الله صلى الله عليه وآله : ما أردت أن تعطيه ؟ قالت : أردت أن أعطيه تمراً ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أما أنك لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة »[18] .

ويقول الكاظم (ع) : « إذا وعدتم الصغار فأوفوا لهم ، فإنهم يرون أنكم أنتم الذين ترزقونهم ، وإن الله لا يغضب بشيء كغضبه للنساء والصبيان »[19] .

من الواضح أن الطفل كالورقة البيضاء ، يؤثر فيه أدنى المؤثرات ، وهو يرى أن والديه هما القدوة في كل شيء والمثال الأعلى ، لذلك ينبغي على الأبوين أن يراعيا هذا الجانب أيما مراعاة حتى لا يتعلم الطفل العادات القبيحة ، والأعمال السيئة ، بدل أن يغرس في نفسه الفضائل والخصال الحميدة .

وانطلاقاً من هذه الحقيقة التربوية ، فإن التوجيهات الإسلامية ركزت بوضوح على هذا الأمر ، وورد النهي الصريح عن أن يعد الأهل ولدهم ثم لا يفون له ، لأن ذلك يجعله كذاباً ، ويتحمل الأهل كامل المسؤولية في ذلك في الدنيا والآخرة .

ولا غرو أن نجد رسول الله (ص) يعالج هذه المسألة ، ويقف عندها ، حتى أنه يتدخل في التصرفات الجزئية للناس فيقول للمرأة التي نادت ابنها لتعطيه تمراً ، « أما أنك لو لم تعطيه شيئاً كتبت عليك كذبة » .

يا سبحان الله ، حتى مثل هذا يحاسب الله عليه ويعاقب ، إنّها عبقرية الإسلام في كل الشؤون والمجالات . . .

والله تعالى ، كما جاء في الخبر ، لا يغضب بشيء كغضبه للنساء والصبيان » . يقول الكاظم ذلك ، في سياق الحديث عن الوفاء بالوعد للطفل الصغير ، الذي لا يعرف الكذب والتلون ، بل يعيش الصدق على أساس الفطرة ، وهو يرى أن والديه يرزقانه ، وعدم الوفاء له بالوعد يرسم في نفسه علامات استفهام كثيرة لا تمحى من أعماقه ، فيفقد الثقة بالكبار ، وبالوالدين ، وينعكس ذلك على تدينه مستقبلاً ، وعلى شخصيته ، وقد يوصله إذا ما تركزت هذه الخصلة في نفسه لأن يكون من الكاذبين في علاقاته وارتباطاته مع

الآخـرين . . . وربما يتحـول إلى منافق ، أو محتـال ، أو مخادع ، . . . كـل ذلك بسبب القدوة السيئة ، والتربية الفاسدة ، لذلك فـإن الله تعالى يعـاقب على ذلـك ويغضب .

الكذب شين ، وفحش ، ودناءة ، وشر الشيم :

عن عـلي (ع) أنه قـال : « الكـذب شـين الأخـلاق »[٢٠] ، « تحفـظوا من الكــذب فـإنّــه أدنى الأخـلاق قـدراً ، وهــو نــوع من الفحش ، وضرب من الدناءة »[٢١] ، « أقبح شيء الإفك ـ أقبح الخلائق الكذب ـ شر الأخلاق الكذب والنفاق ـ شر الشيم الكذب ـ لا شيمة أقبح من الكذب »[٢٢] .

إنّ الأخلاق الفاضلة سبب استمرارية الأمم واستقرار مجدهـا وازدهارهـا ، ولـولا الأخلاق لـذهبت الأمم ، وتلاشت الحضـارة ، ولعمّت الفـوضى ، وسـاد الفساد ، ولانقلبت الحياة عبئاً ثقيلاً لا يطاق . يقول الشاعر :

وإنّمـا الأمم الأخلاق مـا بقيت   فإن ذهبت أخلاقهم هـم ذهبوا

والكـذب كما نعلم هـو آفة من الآفـات الخلقية العـظمى وهـو مفسـد كـل صـالح ، ومعـه لا يقوم شيء ، والأخـلاق التي هي الدعـامة لمسـيرة الإنسانيـة لا يخاف عليها إلّا من الكذب . وأمير المؤمنين عليه أفضـل الصلاة والسـلام يحذرنـا من الكذب ـ فيقول (ع) : « تحفظوا من الكذب » كما مرّ عليك .

والتحفظ هنا يعني التنبّه ويعني الإحتيـاط . ولم يطلق الأمـير هذا القـول إلّا لمعـرفته بـالكذب ومضـاره ـ وقد وصفـه بالفحش والـدناءة . وشـين الأخـلاق ، وأدناها .

فعلى المؤمنين أن يتحفّظوا من الكذب وأن يعملوا بقول أمير المؤمنـين (ع) ، حتى لا يقعـوا في مهاوي الكـذب وحفائـره ، (أعـاذنـا الله من الكـذب وفحشـه ودناءته) .

الكذب مفتاح الخبائث :

إنّ للشيطان كحلاً ولعوقاً ونشوقاً كما في بعض الروايات .

أمّا لعوقه فالكذب وأما نشوقه فالغضب وأما كحله فالنوّم . وكلّها من وساوس الشيطان وأحابيله فبوساوس الشيطان ، وأحابيله يخرب الإيمان وتحصل الندامة .

وفي الحديث : « أن الخبائث كلّها جعلت في بيت واحد وجعل مفتاحها الكذب » .

إنّ الإنسان هذا المخلوق العجيب ، خليفة الله على هذه الأرض ، مكوّن من مادة وروح ، ولا بدّ من الإنسجام بين جسد الإنسان وروحه ، حتى ينسجم الإنسان والكون ، فالإنسجام الأول إنسجام داخلي ، والإنسجام الثاني خارجي ، فبالإنسجام الداخلي والإنسجام الخارجي ، وبانسجامهما مع بعضهما البعض ، تسير سفينة الحياة بكل طمأنينة ، وتبحر وتصل إلى شاطىء الأمان ، وذلك كما يحب الله ويرضى ، محققة لمصلحة الإنسان في كل مكان وزمان .

قال تعالى : ﴿ **إنّ الله لا يهدي من هو مسرف كذّاب** ﴾[١] .

﴿ **إنّ الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون** ﴾[٢] .

﴿ **بل كذّبوا بالحقّ لما جاءهم بل هم في أمر مريج** ﴾[٣] .

﴿ **فمن أظلم ممّن افترى على الله كذباً** ﴾[٤] .

إنّ الإسراف في الكذب يؤدي بالإنسان إلى الفشل والإنزواء عن الناس ، وإن الذين يبنون بنيانهم على أساس الباطل تختلط عليهم الأمور ، فيتيهون ولا يعرفون للباطل حداً .

والذين بعدوا عن الله ، وعن رسالته ، هؤلاء هم الذين يفترون الكذب لأنهم لا يؤمنون ، لأنّ من خصائص أهل الفسق والإنحراف الكذب والإفتراء .

والإفتراء يعني التعدي وتجاوز الحدود المرسومة ، وانتهاك الحرمات .

---

[١] سورة غافر : الآية ٢٨ .

[٢] سورة النحل : الآية ١٦ .

[٣] سورة ق : الآية ٥ .

[٤] سورة الأنعام : الآية ١٤٤ .

النظام الكوني صادق لا يختلف ولا (يكذب) :

١ ـ إنّ الكذاب لا يكون مؤمناً ، بل جاحداً لأنه يكذّب بآيات الله الكونية التي هي مخلوقاته وآثاره في هذا الكون من إنسان وحيوان ونبات وجماد ، فالذين لا يؤمنون بأن هذه المخلوقات هي من صنع الله وآثاره يعدّون من الكذبة لأنّ عقولهم ، لو لم يأسرها الهوى لشهدت بذلك . فالله تبارك وتعالى ، لم يخلق السماوات والأرض إلّا بالحق . وهو يريد من الإنسان أن يفعل ما يريده الله بالحقّ والصدق أيضاً . والمخلوق ينبغي أن يتخلّق بأخلاق الخالق ، لأنه خليفته في الأرض .

وقوانين الكون مستقرة ومستمرة وهذا يظهر صدقها فلو كانت هذه القوانين غير صادقة لاختلّ النظام الكوني .

٢ ـ وكذلك من ينكر آيات الله التي أنزل على رسله من خلال كتبه السماوية ، يكون كذاباً ، لأنّه لو استخدم عقله ، كما قلنا آنفاً لأدرك صحتها وأنها على حقّ .

إنّ الإنسان له جانبان : أ ـ جانب إرادي ب ـ جانب غير إرادي . والجانب اللاإرادي فيه دقيق العمل ، صادق في تنفيذ ما وجد لأجله . فجريان الدم في العروق مثلاً ، ومسألة الابصار بالعيون ، والسمع في الآذان كلها دقيقة في حركتها . ولو لم تعمل هذه الجوارح بهذا الشكل لاختلت حياة هذا الإنسان ، ولارتبك نظام حياته .

وفي الجانب الإرادي يختار الإنسان طريقه دون إحراج أو إلزام . ومن هنا نستنتج ، كما أسلفنا بأن الصدق والحقّ هما سمة هذا الكون ، فمطلوب من الكائنات والمخلوقات أن لا تخرج على إرادة المكوّن وذلك ضمن المشيئة الربانية العالية الدقة ، الراقية التدبير والتنظيم .

الكذب عمل النار ، والصدق عمل الجنة :

وفي الحديث : « إنّ رجلاً جاء إلى النبي (ص) فقال : يا رسول الله ما عمل الجنة ؟ قال : الصدق إذا صدق العبد برّ ، وإذا برّ آمن ، وإذا آمن دخل

الجنة ، قال : يا رسول الله وما عمل النار ؟ قال : الكذب إذا كذب العبد فجر ، وإذا فجر كفر ، وإذا كفر يعني دخل النار »[٢٣] .

والسؤال الآن : كيف يدخل الصدق الإنسان الجنة ؟ وكيف يدخله الكذب النار ؟ .

الجواب : إنّ الصدق بر وإنّ البر هو عمل الخير الخالي من المنة والرياء والتكلّف .

وبعبارة أخرى هو الإيمان بالله والتكامل مع ما أوجد من مخلوقات ، وانسجام مع نظام هذا الكون وقانونه الربّاني ـ وبعد هذا ـ فالجنة في الإنتظار ، وما ربّك بغافل عما يعمله الناس ، خيراً كان أو شراً ، وإنّ الكذب فجور والفجور كفر وإلحاد ، ونكران للحق . . . وبعد كل هذا لا ريب أن النار في الإنتظار ، لأمثال هذه النماذج الهابطة في مستواها الإنساني ، الرافضة لشرعة التسليم لله سبحانه ، العابدة للطواغيت والأهواء . والكذاب بسبب كذبه ، تنقطع علاقته مع ربه ، وعباد الله المخلصين ، ويحذف اسمه من سجل الصادقين الذين يرثون الأرض .

يقول الله تبارك وتعالى في كتابه المجيد : ﴿ **ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ، إنّ الأرض يرثها عبادي الصالحون** ﴾[١] .

والصالحون هنا هم المؤمنون الذين يذوقون طعم الإيمان ، بإطاعتهم لله وصدقهم الكامل ، وعدم ابتعادهم عن طريق الله الحق .

الكذب شر من الخمر :

وعن الإمام الباقر (ع) أنه قال : « أن الله عزّ وجل جعل للشرّ أقفالاً ، وجعل مفاتيح تلك الأقفال الشراب ، والكذب شرّ من الشراب »[٢٤] .

من الواضح أن الشر هو كل قول ، أو عمل يجلب الأذى ، أو يدفع إلى السلبية تجاه النفس أو الغير . والأقفال مفردها : (قفل) ، وهو الآلة التي توصد

---

[١] سورة الأنبياء : الآية ١٠٥ .

بها الأبواب ، وتجعلها محكمة الإغلاق ، ولهذه الأقفال مفاتيح ومن هذه المفاتيح ، (الشراب) . ومن هنا نستنتج أنّ الشراب المسكر له تأثير سلبي كبير ، يقود صاحبه إلى مهاوي الرذيلة ، ويبعده عن الأخلاق والفضيلة . ومع ذلك فالكذب شرّ من الشراب أجارنا الله من الكذب وموبقاته .

فكما أنّ النور يقابله الظلام ، فإنّ الحقّ يقابله الباطل ، والكذب هو روح الباطل وأساسه ، وهو القاطع للعلاقات بين الأفراد ، والمجتمعات كما قلنا مراراً . ويكفي الكذّاب عقاباً أنه يفقد طعم الحياة الطيب، لذلك كان للمؤمن نور يمشي بين يديه ـ وللكذّاب ظلام يتيه فيه ، فكيف له أن يهتدي إلى الصراط السوي ، وهو يغرق في دياجير الظلمة .

وعن علي (ع) أنه قال : « جانبوا الكذب فإنّه مجانب للإيمان ، الصادق على شفا منجاة وكرامة ، والكاذب على شرف مهواة ومهانة ـ »[٢٥] .

وعن الباقر (ع) : « انّ الكذب خراب الإيمان »[٢٦] ، وقيل : « الصادق على سبيل منجاة وكرامة ، والكذاب على شفا هلك وهون » .

وعن الرسول (ص) : « كثرة الكذب تمحو الإيمان »[٢٧] .

وفي حديث شريف : « أنّ رجلاً قال للنبي (ص) أنا يا رسول الله استسر بخلال أربع : الزنا ـ شرب الخمر ـ السرق ـ والكذب ـ فأيتهنّ شئت تركتها لك : قال (ص) : دع الكذب ، فلمّا ولىّ همّ بالزنا فقال : يسألني فإن جحدت نقضت ما جعلت له ، وإن أقررت حددت . ثم همّ بالسرق ، ثم بشرب الخمر ، ففكّر في مثل ذلك ـ فرجع إليه فقال : لقد أخذت عليّ السبيل كلّه فقد تركتهنّ أجمع »[٢٨] .

أجل إنّ هذه العيوب الأربعة : الزنا ـ شرب الخمر ـ السرقة ، والكذب ، كلها موبقات ، وعلى العاقل أن يتخلص منها ، وإلاّ ندم حين لا ينفع الندم .

إلاّ أنّ الكذب أكثرها شراً ، وأعظمها ضرراً ، وهو أم المفاسد . فإذا تخلصنا منه ، تخلصنا من كل فساد وابتعدنا عن كل عيب . فالصادق لا ينقض الوعد ، إذا عاهد ، ولا ينكر الحق ويفعل ما في استطاعته للإبتعاد عن كل منكر

من شرب وسرقة ونحوه . والإلتزام بكل ما هو إيماني وعقيدي ، وأخلاقي ، أمر واجب ومفروغ منه . فعلى العبد أن يكون إيمانه بالله كاملاً وولاؤه له مطلقاً ، ولا فائدة تعود على الذين يحاولون من خلال نظريات معينة ، يطرحونها لتحريف الخط الرسالي الصحيح ، بل أنّ الضرر كلّه سيلحق بهم في الدنيا والآخرة ، لأن الله تكفّل بحفظ دينه ، وفي ذلك فضيحة لمن كذب وافترى . والضرر الكبير على الأشخاص الذين يتبوؤن مراكز حساسة في العمل الإسلامي، ويتبنون مواقف مغايرة للخط الإسلامي الصحيح ، اتكالاً على أنفسهم أو على القوى الخارجية التي تساندهم ورفضاً لأوامر الشرع المتمثلة بطاعة أولي الأمر من المعصومين (ع) والعلماء الفقهاء جامعي الشرائط ، ضمن إطار ولاية الفقيه .

وهذا ما يؤدي إلى النكسات ، والسبب هو الكذب وعدم الأخذ بجدية الخط الرسالي الشريف .

الكذب والهزل :

. . . ولنقل للذين يكذبون ويدّعون أنه هزل للترويح عن النفس ، إنّ الإسلام كلّه جدّ، ولا يبنى على الهزل أبداً، وهو يقاتل، ويقتحم حصون الكفر، ويقارع الباطل منذ انطلاقته الأولى . والأجدر بهم أن يقلعوا عن كذبهم (هزلا وجدّاً) ، لأنّ حججهم الواهية لن تنفعهم أبداً .

ويجبل المؤمن على كل طبيعة إلاّ الخيانة والكذب ، ومن رحمة الله بالعباد أنّ العبد إذا هفا هفوة ، أو كذب كذبة ثم عاد فتاب ـ تاب الله عليه وعفا عنه .

عن رسول الله (ص) : أنّه قال : « أنا زعيم ببيت في ربض الجنة وبيت في وسط الجنة وبيت في أعلى الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً ولمن ترك الكذب وإن كان هازلاً ولمن حسن خلقه »(٢٩) .

إنّ المراء والمماراة من الجدل العقيم ، الذي لا نفع يرجى منه ، لذلك جاء في الحديث : « لا تمار وإن كنت محقاً » .

وقال رسول الله (ص) : « لتارك المراء وإن كان محقاً بيت في الجنة بل في أعلى الجنة ولمن ترك الكذب وإن كان هازلاً »(٣٠) .

إنّ الهزل مضر في أي من الأمور ، كفانا الله مؤنته إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير .

وإنّ الإنسان الكاذب لا قيمة له في المجتمع ، إذ كيف يكون ذلك ، وقيمته لا تحدد إلاّ بقدر صدقه وجدّه في الأمور الحياتية ، والكذب كما هو معلوم محرّم ، لذا وجب الإبتعاد عنه ، وإلاّ دخلنا أنفاقاً مظلمة ، لا يعلم مداها وسوء نتائجها إلاّ الله العلي القدير .

المواقف الثابتة والأباطيل :

إنّ نظرة الناس إلى الأمور في هذا الكون مختلفة ، لذلك كانوا مختلفين في المواقف . ولكن لا بدّ من قواسم مشتركة توحّد نظرتهم ، وينطلقون منها ، فهذه القواسم أو النقاط المشتركة هي قواعد ثابتة ينبغي أن يكون مسلّم بها عند الجميع ، ويبقى الإختلاف بينهم في التفاصيل ، ومن هنا تأتي الإفتراءات والأباطيل من الذين لا يؤمنون ، بل يعمدون للقفز فوق القواعد والقواسم المشتركة .

الكذب الصغير والكبير

كان علي بن الحسين (ع) يقول لولده : « اتّقوا الكذب الصغير منه والكبير ، في كلّ جدّ وهزل ، فإنّ الرجل إذا كذب في الصغير اجترأ على الكبير »[٣١] .

اتّقوا الكذب الصغير منه والكبير في الجد والهزل ، (لا إله إلاّ الله . . .) أئمتنا عليهم السلام يوصوننا ، ويوصون بنيهم باتقاء الكذب في كل فعلة كبيرة أو صغيرة ونحن نردد : (الكذب ملح الرجال ، وعيب على من يصدق) . . إنهم يقولون لنا عليهم أفضل الصلاة والسلام : ﴿ **لا تماروا وإن كنتم محقين** ﴾ ونحن نقول : (الشاطر ما يموت) . . قاتل الله السفه في العقول ، والشطط في الفعال ، والكذب في المقال ؟ أيجوز أن نسمع كلام أئمتنا (ع) ، وأولياء الله ولا نعمل بما قالوا ؟ .

أيجوز أن نكون من الذين يستمعون القول فلا يتّبعون أحسنه ؟ .

هذا، والله إن كان فإنه من عمل شياطين الإنس والجان . .

وحتى يتبينّ الإنسان المسالك الأكثر سلامة والأكثر إطمئناناً في الحياة ، عليه أن يتحاور مع من هم أكثر وعياً منه وأعلم لأنه في حلبة الصراع في هذا العالم ، كائن صغير ، ضعيفة مداركه ومحدودة ، ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ .

الكذب والإيمان لا يجتمعان :

من مميزات شخصية المؤمن الإستقامة والإنسجام مع إرادة الله التكوينية والتشريعية قال تعالى : ﴿ فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ﴾[١] .

وتتميز أيضاً بالإنسجام مع الذات ، ومع النفس ، وبالإنسجام مع الحقّ ، والإلتزام به فلا يمكن أن يكون مؤمناً من كان كاذباً لأن الكذب يعني انحرافاً عن الحقّ ، وبعداً عن المنهاج الصحيح ، الذي رسمه الله سبحانه وتعالى للناس .

وقد جاء عن رسول الله(ص) : « في رواية عن صفوان بن سليم قال : قيل يا رسول الله أيكون المؤمن جباناً ؟ قال : نعم ، قيل له أيكون المؤمن بخيلاً ؟ قال : نعم ، قيل له أيكون المؤمن كذاباً ؟ قال : لا »(٣٢) .

وعن رسول الله (ص) أنه قال : « كفى بالمرء إثماً أن يحدِّث بكل ما سمع »(٣٣) ، وعنه (ص) أنه قال : « الكذب باب من أبواب النفاق »(٣٤) ، عن الصادق (ع) أنه قال : « يُجبل المؤمن على كل طبيعة إلّا الخيانة والكذب »(٣٥) .

ويقول تعالى : ﴿ إنّما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون ﴾[٢] .

وإنّ الايمان والكذب لا يجتمعان عند رجل قط ، فيجب أن نميّز بين الكذب الذي ينحرف بالإنسان عن الإيمان وبين الفلتات التي يقع فيها الإنسان مرغماً أو

---

[١] سورة هود : الآية ١١٢ .

[٢] سورة النحل : الآية ١٠٥ .

ساهياً ، أو يسبقه لسانه دون أن يكون ذلك عادة مستمرة أو ملكة عنده .

والكذاب هو الذي يكون مطبوعاً على الكذب ، وعلى الإنسان العاقل ألا يأخذ بكل ما يسمع ، بل عليه التحري عن كل قول يقال ، وكلّ لفظة تلفظ ، لأنّ الفرق بين الحقّ والباطل أن ترى وتسمع ، فإذا رأيت فذلك حق ، وإذ سمعت ولم تتحرّ فباطل .

أنواع الكذب :

الكذب العقائدي : وهو ما يسمى بالنفاق ، إذ أن المنافق يظهر غير الذي يبطن ، وخطر هذا النوع من الكذب كبير على الأفراد والمجتمعات ، لذلك بيّن القرآن أن عقوبة المنافقين هي أشدّ من عقوبة الكفّار ، **فالمنافقون في الدرك الأسفل من النار ، وأنّك لن تجد لهم نصيراً** ، كما جاء في محكم التنزيل .

الكذب الإجتماعي : ويكون على مستوى العلاقات بين الناس ، وهذا النوع من الكذب الذي يسمى بالدجل الإجتماعي قد يأخذ منحى الجدّ ، وقد يأخذ منحى الهزل . وهو يصدر عن نفوس مريضة ، ويسيء إلى الترابط الإجتماعي ، ويضعف الثقة بين الناس فيؤثر بذلك على البناء الإجتماعي كله ، ويخلخل الروابط الإجتماعية ، ممّا يؤدي إلى التفكك في المجتمع ، والتفكك يؤدي إلى حالات من الضعف ، وبروز الأنانيات والصراعات على توافه الأمور ، فينسى المجتمع أنّ له قضية ، وينسى العدو الخارجي ، ويتلهّى بالتالي بالصراعات الداخلية ، وربما أدّى ذلك إلى تقاتل فعلي ، يسيء إلى القضية المركزية والهدف الأعلى للأمة ، وهذا ما يفسّر الصراعات بين القوى السياسية على المستوى المحلي نتيجة لهذه الأسباب .

الكذب السياسي : قد يصدر هذا الكذب عن شخصية سياسية أو عن تنظيم سياسي أو عن دولة . فالقيادة التي تعد الشعب بوعود ولا تفي ، هي زعامة كاذبة ، تهدف إلى وضع الناس في خدمة الشخصية المعينة ، إلى أن تصل الأمور إلى ما يسمى بعبادة الشخصية . وهناك من يتبنى من التنظيمات العلمانية هذا الأسلوب ، ويدّعي أنه ضروري للسياسة وفي السياسة . وعلى هذا الأساس يبرّرون ما يعتقدون من ضرورة فصل الدين عن الحياة ، ومنع علماء الدين من

التدخل في السياسة ، بحجة أنّ السياسة كذب وتدجيل ولا يليق بهؤلاء الدخول في هكذا مجالات ، لذلك صنّفوا الناس إلى صنفين : رجال السياسة (الناهجون نهج الكذب في علاقاتهم) وعلماء الدين الصادقون ، والذين ينبغي عليهم أن يترّفعوا عن الكذب بالتأكيد . والحقيقة أنّ السياسة هي تدبير لأمور المجتمع في مختلف المجالات ، وهذا هو المفهوم الإيماني للسياسة . وعالم الدين هو رجل السياسة الحقّة ، الآمرة بالمعروف ، الناهية عن المنكر ولا فصل بين الدين والسياسة لأنّ الفصل بينهما خداع للشعب . . . والأمة كلّها .

متى يجوز الكذب ؟

لا يجوز الكذب إلّا في ثلاثة مواضع :

١ ـ في الحرب لأن الحرب خدعة .

٢ ـ وعد الأهل (الزوجة) وعدم الاتمام ، أو يحدثها ليرضيها .

٣ ـ في الإصلاح (إنّ الله أحب الكذب في الصلاح وأبغض الصدق في الفساد) وفي حديث آخر : « الكذب مذموم إلّا في أمرين :

« دفع شر الظلمة ـ وإصلاح ذات البين » .

قال رسول الله (ص) « ما لي أراكم تتهافتون في الكذب تهافت الفراش في النار ، كل الكذب مكتوب كذباً لا محالة ، إلّا أن يكذب الرجل في الحرب ، فإنّ الحرب خدعة أو يكون بين رجلين شحناء فيصلح بينهما ، أو يحدث إمرأته ليرضيها » .

وإذا كان الكذب يتوقف عليه تحصيل مصلحة مهمة ـ ولم يمكن التوصل إليها بالصدق ، زالت حرمته ، وارتفع إثمه ، فإن كانت المصلحة ممّا يجب تحصيلها ، كإنقاذ مسلم من القتل أو الأسر ، أو حفظ عرضه أو ماله المحترم كان الكذب فيه واجباً .

إياكم وأقل الكذب حتى الكذيبة !

عن أسماء بنت عميس قالت : « كنت صاحبة عائشة التي هيأتها ، وأدخلتها على رسول الله (ص) ومعي نسوة قالت : فوالله ما وجدنا عنده إلا قدحاً من لبن ثم ناوله عائشة قالت : فاستحيت الجارية ، فقلت لا تردين يد رسول الله خذي منه ، قالت فأخذته على حياء فشربت منه ثم قال: ناولي صواحبك، فقلن لا نشتهيه قال : لا تجمعن جوعاً وكذباً ، قال : إنّ الكذب ليكتب حتى يكتب الكذيبة كذيبة » .(٣٦)

من هذا الحديث نرى أنّ الله يحاسب على أقل الهفوات ، وأقل الكذبات (الكذيبة) ، والمطلوب الإنتباه إلى أقل الخطرات التي تخطر على بالنا ، أو أقل الأفكار و(الأكاذيب) التي تتراءى لنا ، لأنّ كل شيء يسجل في كتاب لا يضيع منه شيء . ويظهر من هذا الحديث أيضاً أنّ رسول الله (ص) كان لا يملك رياشاً ولا أقواتاً مختلفة يتلذذ بأطايبها وكان يعيش في حياته عبش الكفاف ، مع أنّه كان بمقدوره أن يتمتع بما يقدر على الحصول عليه وهو القادر على ذلك ، ولكن إدراكه لمجريات الحياة ، ولمعرفته لبواطن الأمور ، يرى أنّ التخفف من حطام الدنيا أسلم ، والإبتعاد عن ملذاتها أجدى . كيف لا وهو مثال القائد الصادق ، مع أمته ومع ربّه والمنسجم مع تعاليم دينه . . . يصف التواضع ويلتزم به ، ويأمر بالصدق وهو الصادق الأمين ، بخلاف قيادات الباطل تنادي بحقّ الفقير ، وبالحرية والإشتراكية وتلتزم بمبدأ القمع والعيش على الطريقة الرأسمالية ، مأكلاً ومشرباً وملكية . . . مع العلم أن النظامين : الإشتراكية والرأسمالية ، في واقع الأمر ، لا يمكن أن يحققا للإنسانية سعادتها ، كما أثبتت التجارب ، وعرف القاصي والداني .

ما هي علّة الكذب ؟

إنّ الإنسان لا يكذب إلّا إذا كانت نفسه هينة عليه ، وهو يشعر أنه مهان ذليل بين معارفه ، وغير معارفه ، ولن ينجو أبداً فهو على شفا مهواة ومهانة ، وأصل السخرية ، كما في الرواية ، الطمأنينة إلى أهل الكذب ، وعلّة الكذب ، أقبح علّة .

يقول الله تبارك وتعالى في كتابه المجيد : **﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ، كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾**[١] .

إنّ الكـذّاب (من أئمة الضـلال) له مـواصفات كثـيرة ؛ كما تـذكر بعض الروايات منها :

١ ـ انّه مطبوع على الكذب .

٢ ـ ليس في قلبه موضع إبرة من الصدق .

٣ ـ كذّاب ويتحرّى الكذب .

٤ ـ يخبر عن السماء والأرض ولا يعرف عن الحلال والحرام شيئاً .

٥ ـ يَهلك بالبيّنات ويُهلك أتباعه بالشبهات .

آثار الكذب وثمرته :

والآن ما هي ثمرة الكذب وآثاره ؟ .

إنّ ثمرة الكذب مرّة وطعمها كالعلقم .

وقد جاء في القرآن الكريم :

﴿ إنّ لله لا يهدي من هو مسرف كذّاب ﴾[٢] .

﴿ إنّ الله لا يهدي من هو كاذب كفّار ﴾[٣] .

﴿ فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ﴾[٤] .

أما ثمرة الكـذب في بعض الأحاديث الشريفـة المرويـة عن أهل البيت (ع) فهي كالتالي :

١ ـ مهانة في الدنيا وعذاب في الآخرة .

---

[١] سورة الصف : الآية ٢ ـ ٣ .

[٢] سورة المؤمن : الآية ٢٨ .

[٣] سورة الزمر : الآية ٣ .

[٤] سورة البراءة : الآية ٧٧ .

٢ ـ الكـذب يسوّد الـوجـه ، ويـذهـب بهـاءه ، ويسـوّد القلب ، ويـذهـب صفاءه .

٣ ـ فسـاد الدين وتعـاظم الوزر ، وخيـانـة وفجـور لا بـل هـو من أعـظم الخطايا .

٤ ـ الندم الذي لا ينفع .

٥ ـ عار في الدنيا ، ونار في الآخرة . . . انه مهانة بين الناس .

٦ ـ نفاق ودجل ودناءة .

٧ ـ ذهاب المروءة وإفقاد الإنسان كرامته .

٨ ـ قلة الثقة بالكذاب .

٩ ـ مساواة الكذّاب بالميت .

١٠ ـ الكذّاب متهمّ بقوله وإن صدق وقويت حجّته .

١١ ـ الكذب منقصة للرزق ، ومورث للفقر .

١٢ ـ الكذب فساد كل شيء ، وموجب للوقيعة .

١٣ ـ الكـذاب يقـرب البعيـد ويبعـد القـريب ، وينحـرف بـالمنـطق عن الصواب .

١٤ ـ سخط الله على الكاذب ، واستهانة الناس به ، ومقت الملائكة له .

١٥ ـ الكذاب أبعد الناس من الصلاح .

١٦ ـ لا خير في علم الكذّابين ، وعلينا إن أردنـا أن ننقل فتـوى أو خبراً أو علماً أن نحتاط من الكذابين .

١٧ ـ وعن عـلي (ع) : « كذب السفـير يـولـد الفسـاد ، ويفـوّت المـراد ، ويبطل الحزم ، وينقص العزم » .

١٨ ـ وعن الصادق (ع) : « إن الرجل ليكذب الكذبة ، فيحرم بها صـلاة الليل » .

١٩ ـ وعن عـلي (ع) : « الكـذب في العـاجلة عـار ، وفي الآخـرة عـذاب النار »(٣٧) .

وهكـذا فإن الكـذب عـار في العـاجلة ، وعيب فـاحش ، وخـطل دائم ، وجريمة ترتكب ، ويكفي الكذاب عاراً أن يسمى كذاباً ، ويكفيه خـزياً أنـه يشار إليه بالاصبع . . . هذا كذاب . . . فلا تصدقوه ! .

هذا في الدنيا ، أما في الآخرة ، فمصيره إلى النار ، وبئس القرار ، فكلما نضجت جلودهم بدّلت بجلود غيرها ، حتى يذوقوا العذاب . . . طعامهم من زقوم ، وضريع ، وشرابهم من حميم . . . ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم . . .

الكذب على الله ورسوله :

قال تعالى : ﴿ فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ليضلّ الناس بغير علم . . ﴾[١] .

﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحي إليّ ولم يوح إليه شيء ﴾[٢] .

﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ، إنّ الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ﴾[٣] .

﴿ ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ﴾[٤] .

﴿ ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة . . ﴾[٥] .

لا شك أن الدراسة المستوعبة للكون والإنسانية والحياة ، تظهر ان الإنسان ليس باستطاعته ، أن يضع النظام الأفضل للمجتمعات ، بسبب قصور ذاتي عنده ، ومؤثرات خارجية وداخلية تمنعه من ذلك ، لذلك فإن الكثير من هؤلاء يعمدون إلى وضع أنظمة ونظم بشرية مخالفة للشرع الإلهي ، ويدعون لأنفسهم الخبرة والعلم والاستيعاب ، بالإضافة إلى القدرة على حل المشكلات الإنسانية في جميع جوانبها ، وهكذا تتعدد النظم ما بين نظم رأسمالية وأخرى شيوعية أو

---

[١] سورة الأنعام : الآية ١٤٤ .

[٢] سورة الأنعام : الآية ٩٣ .

[٣] سورة النحل : الآية ١١٦ .

[٤] سورة آل عمران : الآية ٧٨ .

[٥] سورة الزمر : الآية ٦٠ .

إشتراكية ، وبعضها علماني يؤمن بفصل الدين عن الحياة ، وبعضها إلحادي يقول بأزلية وأبدية المادة وانها لم تخلق ولا تفنى .

وهناك من يحاول أن يضل الناس ، ويدعوهم إلى نفسه ، فيستغل الدين ، ويفتري على الله الكذب ، أو يدعي النبوة ، وهو كاذب ، ويجعل الدين مطية لمآربه الخاصة ، وهو من الظالمين ، المفترين على الحق والحقيقة ، الذين يريدون أن يشوّهوا مسيرة الإنسانية والمجتمع بطروحاتهم المنافقة ، وانحرافاتهم الفكرية والسياسية والعملية .

وآخرون عمدوا إلى التحليل والتحريم دون الرجوع إلى كتاب أو سنة أو فقيه أو مجتهد ، فما تصفه ألسنتهم يتحول إلى أحكام شرعية ، بالزور والكذب ، ﴿ **ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون** ﴾ ان هذا كذب ، فهم عن سابق تصور وتصميم يحاولون التخريب في دين الله فهؤلاء وجوههم مسودة يوم القيامة لأنهم كذبوا على الله ، وأعطوا لأنفسهم الحق في التشريع ، ورفضوا حاكمية الله سبحانه ، ليحكموا بأحكام أرضية بشرية .

وقد جاء عن الإمام علي (ع) : « انّه سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس فيه شيء أخفى من الحق ولا أظهر من الباطل ، ولا أكثر من الكذب على الله ورسوله . . . »[٣٨] .

وعن الباقر (ع) : « إنّ علياً (عليه السلام) كان يقول : لئن يخطفني الطير أحب إلي من أن أقول على رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما لم يقل . . . »[٣٩] .

أما التباس الحق بالباطل ، بحيث يخفى الحق ، ويظن الكثيرون أن الباطل حق ، ويظهر الباطل ، ويظن الكثيرون أن الحق باطل فذلك عندما تلعب الأيدي الخبيثة في مقدرات الأمة ، وتنحرف بها عن دينها ، وتستعير المبادىء الضالة ، وتطبّقها في حياتها وتبتدع النظم والأحكام التي لم ينزل بها الله من سلطان ، وبعضهم يكذب على الله ورسوله ، بنسبة مبادئهم ومناهجهم إلى الله وكتابه ورسوله أو يدعون بأنها لا تتعارض مع الشريعة ، كزعمهم أن النظام الرأسمالي ،

والإشتراكي موافق للإسلام والحديث عن الإشتراكية الإسلامية ، والقومية العربية غير المتنافية مع الإسلام ، إلى ما هنالك من بدع ومناهج منحرفة .

لذلك عدّ هذا النوع من الكذب من الذنوب الكبيرة ، فقال الصادق (ع) : « الكذب على الله وعلى رسوله (صلى الله عليه وآله) من الكبائر »(٤٠) .

الكذب والتورية :

ما هي التورية وكيف يورِّي الإنسان في أقواله دون أن يكذب ؟ .

إنّ التورية هي عدم التصريح بالكذب ، والعدول عنه إلى التعريض وهذا الأمر أولى ، لأنّ في المعاريض لمندوحة عن الكذب ، وإنّ فيها ما يغني الإنسان عن الكذب ، وذلك عند الإضطرار والحاجة .

في كتاب المكاسب للشيخ الأنصاري (رضوان الله عليه) : وممّا يدل على سلب الكذب عن التورية ما روى في الإحتجاج ، أنه سئل الصادق (عليه السلام) عن قول الله عز وجل في قصة إبراهيم على نبينا وآله وعليه السلام : « بل فعله كبيرهم . . . » قال ما فعله كبيرهم ، وما كذب إبراهيم قيل : وكيف ذلك ؟ فقال : إنّما قال إبراهيم : « إن كانوا ينطقون » ، أي أن نطقوا فكبيرهم فعل ، وإن لم ينطقوا فلم يفعل كبيرهم شيئاً ـ فما نطقوا وما كذب .

وسئل عليه الصلاة والسلام عن قوله تعالى : ﴿ **أيتها العير إنّكم لسارقون** ﴾ قال انّهم سرقوا يوسف من أبيه ألا ترى أنهم قالوا : ﴿ **نفقد صواع الملك** ﴾ ، ولم يقولوا : سرقتم صواع الملك .

وسئل عن قول الله عزّ وجل : حكاية عن إبراهيم : ﴿ **إني سقيم** ﴾ قال : ما كان إبراهيم سقيماً وما كذَب إنّما عني سقيماً في دينه أي مرتاداً .

وفي مستطرفات السرائر من كتاب ابن أبي بكير قال : قلت لأبي عبد الله (ع) ، الرجل يستأذن عليه أن يقول للجارية قولي : ليس هو هنا ، فقال : « لا بأس ليس بكذب » .

وتوضيح ذلك أنها تضع يدها على شيء ، وتقول ما قالت عند ذلك لا يعدّ كذباً بل تورية .

إستماع الكذب :

- هل يجوز الإستماع للكذب ؟
- الجواب ، من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة .

قال تعالى : ﴿ **ومن الذين هادوا سمّاعون للكذب** ﴾[1] .

﴿ **لا يسمعون فيها لغواً ولا كذاباً** ﴾[2] .

وفي الحديث - سئل الإمام الصادق (ع) عن القصّاص أيحل الإستماع لهم ؟ .

فقال (ع) : « لا » وقال (ع) : « من أصغى إلى ناطق فقد عبده فإن كان الناطق عن الله فقد عبد الله وإن كان الناطق عن إبليس فقد عبد إبليس »(٤١) .

وعن علي (ع) : « لا ترفعوا من رفعته الدنيا ولا تشيموا بارقها ، وتسمعوا ناطقها ، فإن برقها خالب ونطقها كاذب »(٤٢) .

وعن علي (ع) : « لا تمكّن الغواة من سمعك »(٤٣) .

إنّ النهي عن استماع الكذب ، واعتبار من يصغي إلى ناطق كاذب أو مبتدع ، أو صاحب منهج منحرف أو مبادىء هدامة تخالف الإسلام يكون قد عبده بدل أن يعبد الله يعود إلى أن في استماع الكذب ، والسكوت عن الكذب تشجيع له ، وإقرار بما قال ، وإغراء للكاذب بمتابعة كذبه ، والسير وفق خطّه المتحرف عن جادّة الصواب .

لذلك ينبغي الوقوف بوجه الخطوط المنحرفة ، ومحاربتها وإظهار فسادها ، كما جاء في الخبر ، أنه ، إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه .. والكلام حول البدعة فصّلناه في موضع آخر فراجعه ...

---

[1] سورة المائدة : الآية ٤١ .

[2] سورة النساء : الآية ٣٥ .

مصادر ومراجع البحث

(١) تنبيه الخواطر : ص ٩٢ .

(٢) غرر الحكم .

(٣) غرر الحكم .

(٤) الترغيب والترهيب : ج ٣ ص ٥٩٢ .

(٦) تنبيه الخواطر ص ٩٢ .

(٧) كنز العمال خطبة ٣١٢٨ .

(٨) نهج البلاغة : خطبة ٨٤ .

(٩) بحار الأنوار ج ٧٨ ص ٣٠٥ .

(١١) نهج البلاغة حكم ٢٤٦ .

(١٢) بحار الأنوار ج ٧٢ ، ص ٢٤٦ .

(١٣) الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٥٩٧ .

(١٤) نهج البلاغة خطبة ١٩٢ .

(١٥) كنز العمال خطبة ٨٢٣٨ .

(١٦) كنز العمال خطبة ٨٢١٧ .

(١٧) بحار الأنوار ج ٦٩ ص ٢٥٩ .

(١٨) الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٥٩٨ .

(١٩) بحار الأنوار ج ١٠٤ ص ٧٣ .

(٢٠) غرر الحكم .

(٢١) بحار الأنوارس ج ٦٨ ، ص ١٤ .

(٢٢) غرر الحكم .

(٢٣) الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٥٩٢ .

(٢٤) بحار الأنوار ج ٧٢ ص ٢٣٦ .
(٢٥) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ٣٥٤ .
(٢٦) بحار الأنوار ج ٧٢ ص ٢٥٩ .
(٢٨) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ٣٥٧ .
(٢٩) بحار الأنوار ج ٦٩ ص ٢٦١ .
(٣٠) المحجة البيضاء ج ٥ ص ٢٠٨ .
(٣١) بحار الأنوار ج ٧٢ ص ٢٣٥ .
(٣٢) الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٥٩٥ .
(٣٣) كنز العمال خطبة ٨٢٠٧ .
(٣٤) تنبيه الخواطر ص ٩٢ .
(٣٥) بحار الأنوار ج ٧٥ ، ص ١٧٢ .
(٣٦) بحار الأنوار ج ٦٩ ، ص ٢٥٨ .
(٣٧) غرر الحكم .
(٣٨) نهج البلاغة خطبة ١٤٧ .
(٣٩) الوسائل ج ١١ ، ص ١٠٢ .
(٤٠) الكافي ج ٢ ص ٢٣٩ .
(٤١) بحار الأنوار ج ٧٢ ، ص ٢٦٤ .
(٤٢) نهج البلاغة خطبة ١٩١ .
(٤٣) نهج البلاغة كتاب ١٠ .



الفصل الثالث

تحرّر المرأة

من كمال الايمان

إنصاف المرأة والاحسان إليها .

محتويـات البحـث

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى : ﴿ ولهنّ مثل الذي عليهنّ بالمعروف ﴾[١] .

﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ﴾[٢] .

﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾[٣] .

* * *

وقال رسول الله (ص) : « كلما ازداد العبد إيماناً ازداد حباً للنساء »[٤] .

« من أخلاق الأنبياء حب النساء »[٥] .

« إن أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لأهله »[٦] .

---

[١] سورة البقرة : الآية ٢٢٨ .

[٢] سورة الأعراف : الآية ١٨٩ .

[٣] سورة الروم : الآية ٢١ .

[٤] البحار ج ١٠٣ ص ٢٨٨ .

[٥] فروع الكافي ج ٥ ص ٣٢٠ .

[٦] البحار ج ١٠٠ ص ٢٢٦ .

« اتّقـوا الله ، في الضعيفـين : اليتيم والمـرأة فـإن خيـاركم خيـاركم لأهله »﴾[1] .

* * *

ويقـول الإمـام الخميني رضـوان الله عليـه : « المـرأة في ظـل النـظام الإسـلامي ، لها مـا للرجـل من حقـوق ، كحق طلب العلم وحقّ العمـل والتملّك والترشيح ، والإنتخاب ، إنّ لها الحق في كـل المجالات التي يملك الرجل فيها حقوقاً ، لكن هناك أموراً محرّمة حتى على الرجل لأنها تؤدي إلى مفاسد معيّنة ، وكذا الحال في المرأة ، إنّ الإسلام أراد أن يحافظ عـلى منزلـة كل من الرجل والمرأة ، أراد أن لا تصبح المرأة ألعـوبة بيـد الرجـل . وما يشاع في الخارج من أنّ المرأة تعامل في ظل الإسـلام بعنف لا أساس لـه من الصحة مطلقاً ، بل إنها دعايات مغـرضة ، المـرأة والرجـل يتمتعان كـلاهما بحقوق معينة وإن وجدت بعض الفروق فـذلك إنّمـا يعود لاختـلاف طبيعة الجنسين . . . » .

* * *

تحرر المرأة : رؤية واقعية

ما المقصود بالرؤية الواقعية لتحرّر المرأة ؟ .

إنّ موضوع تحرير المرأة من الموضوعات الحساسة التي كـثر الحديث فيهـا إلى درجـة أننا نجـد أن من أكثر المـوضـوعـات الإجتـماعيـة التي بحثت إنّمـا هـو هـذا الموضوع ، ومع ذلك فإن هناك تبايناً بين آراء الباحثـين ، فبعضهم يرى أن المـرأة مظلومة مضطهدة ، مسلوبة الحقوق ، إذ أن الرجل قد عمد إلى استعبادها على مرّ التـاريـخ ، ولم يفسـح لهـا في المجـال من أجـل أن تعـبّر عن ذاتهـا ، وأن تمـارس إنسانيتها الحقة بل وضع لها التشريعات والقوانين باعتبـاره يسيطر عـلى المؤسسات

---

[1] البحار ج ١٠٠ ص ٢٢٤ .

التشريعية ، من أجل أن تبقى المرأة في خدمة الرجـل . والبعض الآخر يعـزو سرّ تخلّف واستعباد المرأة إلى الأديان أو إلى الإسلام بوجه خـاص ، فيطرحـون مسألـة مسـاواة المرأة للرجـل ومسألـة القوامـة ، والطاعـة والإرث ، والعمل الإجتـماعي والسياسي ، والحجاب إلى ما هنالـك من انتقادات يـوجهها هؤلاء إلى الإسـلام ، ولكن لا على أساس الدراسة المستوعبة لكل جوانب المـوضوع . بـل على أسـاس آراء مسبقـة ، وتأثـر بوضـع المرأة الغـربية التي يـزعمون لهـا التحـرّر والتقـدّم ، ويصفون المرأة المسلمة أو الشرقية بشكل عام بالجهل والتأخر .

ونسي هؤلاء أن الظروف التي يعيشها الرجل والمـرأة في المجتمعات الشرقيـة الإسلامية ، نتيجة لسيطرة الإستعمار وإشاعة الفقر والكفـر والإنحلال ، تتحمـل المسؤولية العظمى في تخلف المرأة والرجل على السواء .

ولا يمكن أن نحمّـل الإسـلام مسؤوليـة تخلّف المـرأة ، لأن الإسـلام والتشريعات والأهداف والقيم والمبادىء الإسلامية لا يمكن أن تؤدي دورها إلاّ إذا طبّقت على مستوى الحيـاة الخاصـة والعامـة ، وهذا يعني الثـورة على المخـططات الإستعمارية والثقافية المنحلة والحكومات الجائرة المرتبطة بعجلة السياسات الشرقية والغربية ولكي لا يكون كلامنا مجرد دعوى ، يحسن بنا أن نتعرّف إلى حقوق المرأة التي تُؤَمِّن لها حريتها ، ثم نرى إذا كان الإسلام قد وفّر لها هذه الحقوق أم لا ؟ .

١ ـ حق المساواة مع الرجل .

٢ ـ حق التعلّم والتعليم .

٣ ـ حق الإستقلالية الإقتصادية للمـرأة ، والتملّك والإنتاج والتبـادل وكل ما يترتب على هذا الأمر .

٤ ـ حق المعاملة الإنسانية الكريمة .

٥ ـ حق الإنفصال عن زوجها إذا عوملت بطريقة غير إنسانية .

٦ ـ حرية الزواج ممن تشاء .

٧ ـ حق العمل .

وكل هذه الحقوق قد وفّرها الإسلام وأقرّها كما سنبينّ . . .

أما حريـة التهتك والإبتـذال ، فهي الحريـة الوحيـدة التي حرمهـا الإسلام

للمـرأة ، كما حـرم الرجـل منها[1] ، وإن كـان أنصار الثقـافة الغـربية والتقـاليـد الأوروبيـة يرون أن الأسـاس في حريـة المرأة هـو التهتّك والسفـور وسنثبت ذلـك بالشواهد .

إنّ المخطط الإستعماري يهدف إلى إشاعة الإنحلال والإنحـطاط الإجتماعي وقد نجح هؤلاء إلى حدّ بعيد في هذا الجانب .

ففي خطاب ألقاه الماسوني الشهير « بيركرتو » عام ١٩٢١ يقول فيه :

« بغية التفرقة بين الفرد وأسرته عليكم أن تزعزعوا الأخلاق من أسسها لأن النفوس تميل إلى قطع روابط الأسرة والإقتراب من الأمـور المحرمـة ، لأنّها تفضّل الثرثرة في المقـاهي على القيـام بتبعات الأسرة ، وأمثـال هؤلاء من الممكن إقناعهم بالوظائف والرتب الماسونية ، ويجب أن يلقّن هؤلاء بصورة عـرضية متاعب الحياة اليومية وعليكم أن تنتزعوا أمثال هؤلاء من بين أطفالهم وزوجاتهم وتقـذفوا بهم إلى ملاذ الحياة البهيمية » .

وجاء في بروتوكولات حكماء صهيون ، البروتوكول الأول :

« ومن النـاس من أضرّتهم الخمـرة وانقلب شبـابهم إلى مجـانـين والمجـون المبكر . . . هذه الوسائل التي أغراهم بها وكلاؤنا ومعلمونا وخدمنا وقهرماناتنـا في البيوت الثرية وكتابنا ونساؤنا في أماكن لهوهم » .

ومن يراجع بروتوكولات حكماء صهيون يرى أنهم يهدفون إلى :

- تقويض دعائم الأسرة بالإباحية .
- عرض الأفلام الخليعة الماجنة .
- الأزياء الفاحشة المتجدّدة .
- المجلات والكتب السافلة .
- القصص المثيرة للغرائز الحيوانية .
- الصور العارية .
- وسائل الدعاية للتشجيع على الإختلاط بين الجنسين .

وتقول الحركة الصهيونية :

« يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق في كل مكان لتسهل سيطرتنا ، إن فرويد منا ، وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس ، لكي يبقى في نظر الشباب الشيء المقدّس ويصبح همّه الأكبر هو إرواء غرائزه الجنسية وعندئذٍ تنهار الأخلاق » .

وإنّ أكبر ناشر للأدب الجنسي الإباحي في العالم رجل يهودي يعمل تحت إسم مستعار « موريس غيروديباس » واسمه الحقيقي « غورديباس بن جاك كاهان » عمره (٥٨) عاماً ،وأبوه من قبله كان له نفس المهنة ، وتوفي عام ١٩٤٩ . وسلسلة كتبه تحت عنوان « أولمبيا » والمكتبة الشهيرة التي تروّج هذه الكتب هي « برنتانو » في باريس[٢] .

فالمرأة تستعبد حقيقة في ظل الحضارة الغربية ، إذ أنها تحولت إلى سلعة إستهلاكية فبدلاً من أن تفكّر في تعليمها ومستقبلها وحياة أمتها أصبحت تفكر في شيء واحد وهو كيف تخرج بكامل زينتها من أجل أن تغري الرجال . وكيف تجعل الآخرين مشدودين إليها نتيجة ما تضعه من عطورات ، ومساحيق ، وهم أرادوا بكل ذلك سحقها تحت وطأة سحق عقلها ، وإنعاش عاطفتها فقط . فغدت المرأة بلا قضية سوى قضية الزينة وبلا مستقبل سوى إشباعها لرغبات الراغبين . . .

وممّا يثير التقزّز أن يكون أمثال الفيلسوف الوجودي « سارتر » يرى أن تحرير المرأة هو أن يكون لها الحق في أن تتزوج أكثر من زوج وأن تمارس الحبّ مع من تشاء ولو كانت متزوجة[٣] .

وتقول نازك الملائكة ، في مقال لها ، مبينة أن تحرر المرأة ، على الطريقة الأوروبية هو استعباد لها ، بحيث أنها تفقد كرامتها ونبلها .

تقول الكاتبة : « وأما التأنق فما أتفهه ، وما أشد إذلاله لروح الإنسان . التأنق هو الوسائل المصطفاة التي يظنونها تؤدي إلى طريق الجمال أو لنقل انه الجمال المزيف المصنوع بالوسائل الآلية وسواها .

فبدلاً من أن تعتمد الفتاة على مرونة ذهنها ، وسعة ثقافتها ، وجمال روحها ، نجدها تعتمد على كثرة ملابسها ، والتصنع في شعرها .

وبدلاً من أن توسع آفاق فكرها بالمعرفة والعلم تلجأ إلى التبرج ، والتغنج والملابس القصيرة الضيقة التي تبرز أعضاء الجسم ، كما تبرز أجسام الجواري في سوق النخاسين . فالتأنق شرّ عظيم يحيق بذهن المرأة ، ويقتل روحها ويذل عقلها ، لأنه يمدّ مظهرها على حساب ذهنها ، ويكرّ بها إلى العصور الغابرة حين كانت المرأة تباع وتشترى في قصص ألف ليلة وليلة[٤] .

ولا بد للمرأة الواعية أن تفهم المؤامرة عليها ، وأن الغزو الثقافي الإستعماري يهدف إلى هدم حضارتنا لإحلال الإنحلال في مجتمعاتنا . يقول المبشّر المستشرق (جسب) : « إنّ مدارس البنات في البلاد العربية هي بؤبؤ عيني ، لقد شعرت دائماً بأن مستقبلنا في سورية إنّما هو بتعليم بناتها ونسائها . لقد بدأ نشاطنا في ذلك على ضعف ، ولكن ها هي ذي قد أثارت اليوم اهتماماً شديداً في أوساط الجمعيات التبشيرية »[٥] .

ولا شكّ أن الإباحية ، والتبرج ، والإختلاط ، والتأنق ، والفساد سبب أساسي في هدم الحضارات ، ولقد كان هلاك الرومان بسبب الفساد الخلقي ، ولقد صاح الفيلسوف (كانون) فيهم قائلاً : « يا أيها الرومان ، لقد سمعتموني كثيرا ما أشكو من إسراف الرجال والنساء والعامة والمشترعين أيضاً ، ولقد سمعتموني كثيراً ما أقول : « إنّ الجمهورية مصابة بداءين متناقضين : الشح والبذخ ! . . . وهما الداءان اللذان قلبا الممالك العظيمة رأساً على عقب »[٦] .

والحضارة الغربية ، هي حضارة اللاحياء ، بل انّ المرأة هناك تفتخر بالعري والإنحراف والإنحطاط ، وكأني بأمير المؤمنين علي (ع) يتحدّث عن هؤلاء وأمثالهن عندما قال : « يظهر في آخر الزمان ، واقتراب الساعة ، وهو شرّ الأزمنة نسوة كاشفات ، عاريات متبرجات ، من الدين خارجات ، في الفتن داخلات ، مائلات إلى الشهوات ، مسرعات إلى اللذات ، مستحلات المحرمات ، في جهنم خالدات »[٧] .

وقد أصدرت الكاتبة الإنكليزية (ايرين كليفين) كتاباً لها بعنوان : « نحو الحرية الجنسية » جاء فيه :

« إن اختفاء الأفكار القديمة بالعري ، صاحبها اختفاء الخوف من منظر

الأجسام العارية التي كانت من مميزات العصر الڤيكتوري » .

« لقد انقص من أزياء النساء الكثير خلال فترة الحرب الماضية (١٩١٤ ـ ١٩١٨) حتى يستطعن مسايرة الحياة الجديدة التي فرضتها ظروف الحرب ، ويلائمن بين ملابسهن وأعمالهن الجديدة التي ألقي على كواهلهن القيام بها »[٨] .

وكما قال ليوبولد فايس : « إنّ العفاف والإحصان يصبحان مع الأيام خبراً ماضياً في الغرب الحديث وإليكم هذه الإحصائية المنشورة في (دي وورلد المانالك) في سنة ١٩٦٠ عن الأولاد غير الشرعيين في أميركا :

عمر الأم	البيض	غير البيض
أقل من ١٥ سنة	١,١٠٠	٣,٥٠٠
من ١٥ ـ ١٩	٢٦,٩٠٠	٤٩,٦٠٠
١٥ ـ ١٧	١٢,٥٠٠	٢٦,٩٠٠
١٨ ـ ١٩	١٤,٤٠٠	٢٢,٧٠٠
٢٠ ـ ٢٤	٢٢,٧٠٠	٣٧,٨٠٠
٢٥ ـ ٢٩	٩,٨٠٠	٢٠,١٠٠
٣٠ ـ ٣٤	٦,٠٠٠	١٢,٢٠٠
٣٥ ـ ٣٩	٣,١٠٠	٦,٣٠٠
٤٠ ـ فأكثر	١,٢٠٠	١,٢٠٠
	٧٠,٨٠٠	١٣٠,٩٠٠

وفي ٨ حزيران ١٩٧٣ وافق برلمان المانيا الغربية بأغلبية ٢٥٤ صوتاً ضد ٢٠٣ صوتاً على مشروع الحكومة بإجراء تعديلات خطيرة على قوانين متعلقة بالجنس ، ومن هذه القوانين :

ـ رفع الحظر عن تبادل الزوجات .

ـ إباحة ممارسة الشذوذ بموافقة الطرفين بين الرجال والنساء ابتداءً من سن ١٨ بدلاً من ٢١ .

ـ السماح ببيع مطبوعات الجنس الفاضحة لأي مواطن جاوز عمره ١٨ سنة(٩) .

زواج فتاتين

ونشرت مجلة « لي ميلر » الفرنسية :

« تزوجت الفتاتان « لونا أنبلوم » ٢١ سنة و« ايرين لندة » ٢٣ سنة من الدانمارك كل منهما الأخرى . وهذا الزواج تم تحت رعاية الكنسية هناك ، وقام بعقد هذا الزواج وباركه القس « هارولد سورلي » وذلك في كنيسة « هيليود بالدانمارك » .

وقالت هاتان الفتاتان : « نحن نعتقد أن هذا النوع من الزواج سوف يتقبله المجتمع مستقبلاً » .

زواج مبارك لشابين !!



وزّعت « وكالة الصحافة الفرنسية » هذه الصورة للقس المعمداني جاك دوسيه:

ـ إلى اليسـار ـ وهو يبـارك زواج الشابـين دومينيك مـوتي (٢١ عـامـاً) ـ إلى اليمـين ـ وباتريك مونفوازان (٢١ عاماً) .

وتم الـزواج في مدينـة ليون الفـرنسية وكـان مـوتي ينتمي إلى إحـدى الكنـائس الـبروتستانتيـة قبل أن يـطرد منها في ١٩٨٢ بسبب شـذوذه جنسيـاً ، إلاّ أنـه أكـد نيتـه الإستمرار في التبشير . . . ونقول : بئس الحضارة حضارة الشذوذ .

وها هو أحد الأشخاص في البرازيل يـدفع زوجتـه وفاء لـدين عليه ، فقـد نشرت وكالات الأنباء الخبر التالي :

« إنتقلت زوجة برازيلية « فاتنة » من زوج إلى زوج آخر على أثر اتفاق ودّي تسيطر عليه روح التفاهم ، وذلك مقابل سداد دين قدره (٢,٥) مليـون كروزرو بـرازيلي (٢٥٠ جنيهـاً أستراليـنيـاً) كـان دينـاً عـلى زوج الفـاتنـة . فلمّا يئس من سداده ، عرض على صاحب الدين أن يعطيـه زوجته مقـابل الدين، ثم دخـلا في مفاوضات أسفرت عن الإتفاق الودّي »[١٠] .

ولقد دعت الشيوعيـة على لسـان ماركس وأنجلز إلى هـدم العائلة فقـالا : « . . . هـدم العائلة ، حتى أشـد الراديكـاليين تـطرفاً تسخـطهم نية الشيـوعيين هذه ، الفاضحة المرذولة . .[١١] .

ويرى الشيوعيون أن مسألـة إشاعـة المرأة مسـألة طبيعيـة ولا تحتاج إلى أيـة دراسـة ونقاش ، بـل إنهم يريـدون أن يمنحوهـا المشروعية القـانونيـة فقط ، لأنها مـوجودة أسـاسـاً . جـاء في البيان الشيـوعي عـلى لسـان مـاركس وأنجلز : « وان البرجوازية تزعق في جـوقة واحـدة : ولكنكم تريـدون أيها الشيـوعيون ، إشـاعة المـرأة . . . وأشدّ مـا يبعث على السخف ، عـلى أيـة حـال ، هـذا الـذعـر فـوق الأخلاقي الذي تـوحيه إلى الـبرجوازيـة إشاعـة النساء الـرسمية التي يـزعمون أن الشيوعيين يدعون إليها ويريـدون تحقيقها علنـاً . إنّ الشيوعيـين لا يحتاجـون إلى إشاعة النساء ، فهي كانت موجودة بصورة دائمة تقريباً . . .

إنّ الزواج البرجوازي هو في الحقيقة نظام إشاعة الـزوجات . فقصـارى ما يمكن أن يهتم بـه الشيوعيـون إذن هو أنهم يـريدون إبـدال إشاعـة النساء المغـطاة بصورة الرياء ، بإشاعة صريحة ومشروعة »[١٢] .

الحضارة الغربية تسير نحو الإنهيار

يقول الدكتور الكسيس كاريل ، الحائز على جائزة نوبل سنة ١٩٢١ ، في كتابه « الإنسان ذلك المجهول » وكان طبيباً ، ثم اعتزل مهنة الطب . . .

قال : « إن التقدم الهائل الذي أحرزته علوم الجماد على علوم الحياة هو إحدى الكوارث التي عانت منها الإنسانية فالبيئة التي ولدتها عقولنا واختراعاتنا غير صالحة بالنسبة لقوامنا ولا بالنسبة لهيئتنا . إننا قوم تعساء لأننا ننحط خلقياً وعقلياً . . . » .

« وإنّ الجماعات التي بلغت فيها الحضارة الصناعية أعظم نمو وتقدم ، على وجه الدقة الجماعات الآخذة في الضعف ، والتي ستكون عودتها إلى البربرية والهمجية أسرع من عودة غيرها إليها » .

إنّ المرأة وفق تقليعة (تحرر المرأة) على الطريقة الغربية ، تركت سعادتها وأنسها في بيتها ومع أسرتها لتقيم على غلاف المجلات ، وشاشات التلفاز وصار كل إعلان لا يلتفت إليه إلاّ إذا كانت المرأة وصورتها هي التي تقدمه أو تعرضه ، فالسيجارة والسيارات والأثاث والحذاء . . . وكل شيء لا بدّ له من صورة المرأة وإعلانات التوظيف في الشركات والمؤسسات تشترط أن تكون المرأة جميلة لأن ذلك يجلب الزبائن . مسكينة أيتها المرأة ، لا أحد يعرف إلى أين مصيرك . . .

في ظل هذه الحرية الحمقاء .

تقول طبيبة نفسية تدعى « هلن ڤلاندرز » من نيويورك :

« إنّ المجتمع الذي رضي للمرأة أن تصبح ملكاً للموضة ، والإستعراض والرقص ، هو الذي دفع بها إلى أحضان الأمراض والقلق البطيء ، بعد أن أفقدها كل مقومات السعادة في حياتها العامة كامرأة ، وكانسانة ، وكأم »[١٣] .

وفي بعض الإحصاءات : « إنّ واحد من أربعة راشدين في أميركا يتناولون بانتظام (حبوب السعادة) وهو الإسم المستعار المخادع للمهدئات ، وأن نصف الشعب الأميركي أي أكثر من مائة مليون نسمة ، يتناولها من حين لآخر » .

« وإنّ متوسط استهلاكُ الشخص الواحد في اليوم ـ في السويد ، يبلغ ١٠ ـ إلى ٢٠ حبة »[١٤] .

أزمة الضحك في فرنسا بسبب القلق

لقد أصبح الحزن بادياً على وجوه الفرنسيين ، ويرجع ذلك إلى وجود ، أزمة ضحك كبرى ، وفي هذا الصدد وجهت إحدى الصحف اليومية الشعبية « لو باريزيان ليبيرية » ، تحذيراً على كامل صفحاتها الأولى حيث نشرت نتائج استطلاع رأي أجراه معهد لويس هاريس المعروف بجديته التامة .

وأكدت الصحيفة قائلة انه « منذ خمسين عاماً كان المرء يقهقه بمعدل عشرين دقيقة يومياً ، أما اليوم فلم يعد يبسط أساريره حسبما جاء في استطلاع الرأي سوى ٨ في المئة فقط من السكان لمدة خمس دقائق .

وجاء في الإستطلاع أن ٢٤ في المئة من الفرنسيين يرون أنهم يضحكون لمدة أقل من دقيقة في اليوم وهم الشباب والموظفون والتجّار والعمال والشيوعيون إلاّ أن ٧ في المئة على وجه التخصيص يؤكدون أنهم لا يضحكون مطلقاً ، ومعظم هؤلاء من الرجال والسيدات ممن تتراوح أعمارهن بين ٥٠ و٦٤ عاماً وكذلك العاطلون والمتقاعدون والمزارعون[١٥] .

وتقول أستاذة الفلسفة في الولايات المتحدة الأميركية (أثيل عدنان) : « مشكلة المرأة في أميركا قد تكون إقتصادية وسياسية ، وحركة تحرير المرأة الأميركية تختلف عن رغبة المرأة العربية في التحرر ، فالأميركية متضايقة من كثرة (التحرر) ، من كونها لا زالت تعيش في انغلاق . . . هناك تبدو الحركة كردة فعل محافظة ردّة فعل أخلاقية . فالنساء ثائرات على استغلال جسد المرأة تجارياً في الإعلانات والسينما كشيء له أهمية تجارية فحسب »[١٦] .

والأمر المهم أن النقمة بدأت تبرز على مستوى المفكرات من النساء اللواتي أدركن الإنحطاط التي بلغتها المرأة في ظل التحرر المزعوم .

فهذه الكاتبة الفرنسية (ماري هاري) تقول : « يا أخواتي العزيزات . . .

لا تحسدننا نحن الأوروبيات ولا تقتدين بنا . إنكن لا تعرفن بأي ثمن من عبوديتنا الأدبية اشترينا حريتنا المزعومة . أقول لكن : إلى البيت . . . إلى البيت . . . كن حلائل . . . أبقين أمهات . . . كنّ نساء قبل كل شيء »[١٧] .

ونشرت مجلة (ماري كلير) بياناً موقعاً من ٢,٥ مليون امرأة فرنسية جاء فيه :

« مللنا المساواة مع الرجال . . . مللنا حالة التوتر الدائم ليل نهار ، مللنا الإستيقاظ عند الفجر للجري وراء المترو . . . مللنا الحياة الزوجية التي لا يرى فيها الزوج زوجته إلا عند النوم . . . مللنا الحياة العائلية التي لا ترى فيها الأم أطفالها إلا حول مائدة الطعام . . . وداعاً يا عصر الحرية والمساواة . . . وأهلاً بعصر الحريم »[١٨] .

ثياب مارلين مونرو بالمزاد العلني

أقام « بيت أزياء أسوثبايز » مزاداً علنياً في نيويورك تضمن مجموعة من ثياب نجم هوليوود . وقد بيع ثوب مارلين مونرو بمبلغ ١٨٧٠٠ دولاراً محققاً أكبر رقم في المزاد . . . والثوب من الساتان والموسلين وقد ارتدته مارلين مونرو عام ١٩٥٧ في فيلم الأمير وفتاة الإستعراض .

وقامت بتصميم هذا الثوب مصممة الأزياء بياتريس داوسون . وكان الثوب ضمن مجموعة أزياء يمتلكها وليام توماس وهو أميركي من كاليفورنيا اقتنى الثياب الخاصة بنجوم هوليوود في ١٣٠ فيلماً وسبع استديوهات في هوليوود[١٩] .

ولعل النساء اللواتي نلن أكبر قسط من الحرية المزيفة ، وهنّ اللواتي يعملن في السينما هنّ أتعس الخلق . . . وإليكم ما قالته مارلين مونرو قبل انتحارها : « . . . إني أتعس إمرأة على هذه الأرض ، لم أستطع أن أكون أماً . إني إمرأة ، أفضل البيت ، الحياة العائلية الشريفة الطاهرة ، بل إن هذه الحياة العائلية لهي رمز سعادة المرأة بل الإنسانية . لقد ظلمني الناس ، وإن العمل في السينما يجعل المرأة سلعة رخيصة تافهة مهما نالت من المجد والشهرة الزائفة »[٢٠] .

وهناك كلام مماثل للممثلة الأميركية (بربارا ستريانند) ولأخريات مما يدلّ

على أن تحرر المرأة بالمعنى الغربي يعني تحررها من إنسانيتها ، وكرامتها وفي هذا الصددد تقول نازك الملائكة : « تنظر في المجلات التي تسمي نفسها نسائية فماذا ستجد فيها ؟ إنّها في أغلب الحالات مجلات أزياء لا تحمل للمرأة هدفاً أبعد من ملابسها وحقائبها وأحذيتها ، وهذه المجلات تعامل المرأة الحديثة معاملة جواري ألف ليلة وليلة .

فتكتب لهن أمثال هذه العناوين المهمة : « سيدتي ماذا تلبسين في رحلة بحرية ؟ » .

أو « فساتين للصباح » أو « تسريحات للشعر بعد الظهر » أو « بأي ملابس تظهرين في حفلة العشاء » « . . . وقد تظن الفتاة أن تبرجها شيء ظاهري لا يمس عقلها فهي تستطيع أن تكون حرّة رغم إمعانها في الأناقة وإسرافها في التصنع ، وهي في هذا مخطئة ، فإن لكل عمل يقوم به الإنسان آثاراً فكرية وروحية بعيدة المدى . إن أعمالنا تؤثر في عقولنا وأرواحنا وتعيد صياغتها .

فإذا لم يتحكم العقل في سلوكنا تحكم سلوكنا في عقلنا .

«وأول نتائج هذا التحكم أن التأنق يذلّ المرأة ويقتل كبرياءها ، وأساس هذا الإذلال انّ إقامة أسس الأناقة على كثرة الملابس وعلى الحلاقة ، يشعر المرأة بأن الجمال هو الذي ينقصها ، لا الشيء الذي تملكه ، فإذا أرادت أن تكون جميلة وجب عليها أن تكافح في سبيل ذلك ، فتعمل ليل نهار في استكمال ذاتها الناقصة ، والمرأة الأنيقة يجب أن تملك ثياباً كثيرة وملحقات لا حصر لها ، ولا يخفى عليكم أن مؤسسات الأزياء قد عقدت هذه تعقيداً مسرفاً ، فالحرص على أبسط مستوى في هذا يقتضي مالاً كثيراً ، ومن ثم مبدأ التأنق حين يصبح هو القانون النافذ في المجتمع يحرم نساء (الطبقة الفقيرة) أن يكنّ جميلات ، وبذلك يصبح الجمال حكراً تملكه (الطبقة المرفهة) وحدها . وفي ذلك إذلال للفقراء والفتاة الفقيرة ، فالتأنق ضرب من الطبقية الإجتماعية .

وجناية أخرى تجنيها الأناقة المسرفة على الإنسانية تلك هي الجناية على الوقت الذي هو ثروة الأمة . إنّ الأناقة النموذجية التي تدعو إليها مجلات المرأة تقتضي من الوقت ما لا تتسع له الحياة . . . فلقد تربصت بهذه المجلات عدة

أشهر ذات مرة وأحصيت مجموعة الأشياء التي تحتاج إليها المرأة لإنجاز الأناقة المثلى فوجدت الحياة كلها لا تكفي .

لقد حقروا المرأة بأن جعلوا شعرها النموذجي تعقيداً علمياً لا يحققه إلّا الحلاق الذي يهينها بإجلاسها تحت المجفّف ساعتين ليصفف شعرها تصفيفاً مصطنعاً ، وقد فرضوا عليها الصفافة لبشرتها نصف ساعة كل مساء وربع ساعة للأهداب ، وكذا من الوقت للأظافر ووقتاً للعناية بالكفين والقدمين، وتمارين رياضية لتخفيف الخصر وأخرى لمنع تجعدات الوجه ، وتمارين استرخاء وحمامات بخار .

وكل هذا يأكل من وقت المرأة وعقلها ، ولا يبقى منها جانباً للشعور الإنساني ، وإنّما يحولها إلى دمية مزيفة أنيقة لا روح لها ، حركاتها آلية وبسماتها مصطنعة .

إنّ الوقت الثمين الذي يضيع عند الخياطة كان يمكن أن ينفق في إسباغ الحب على أب شيخ مريض ، أو زوج مرهق أو طفل يحتاج إلى التوجيه ، وبدلاً من أن تذهب الفتاة إلى الحلاق تستطيع أن تطالع كتاباً ينير عقلها ، ويهدي روحها »[٢١] .

ومما يعجب له الإنسان الفراغ الذي يعيشه دعاة التحرر المزيف إلى درجة أن هؤلاء يفقدون وعيهم وأحاسيسهم الإنسانية ، ويتصرفون بطرق غير عقلانية .

فقد بلغ نبأ وفاة المطرب الشاب (ألفيس بريسلي) المعجبين به ، فامتنعوا عن الطعام واعتصموا بناديهم في (فوتنكهام) ، ولكن معظمهم أغمي عليه ، وحضرت الإسعاف لنجدتهم ووضع عشرون منهم في المصح العقلي لإصابتهم بالهستيريا ، وقد بذل البوليس جهوداً جبارة لمنع المعجبين من فتح المقبرة والحصول على أيّ تذكار منه ، وانتشرت الفتيات يحملن صورته ملصقة على صدورهن ولافتات مكتوب عليها كلمات حب مهداة إلى المرحوم[٢٢] .

ويقول أحد رؤساء الجمهورية في أحد البلدان العربية (وهو متوفى) لفيروز المطربة اللبنانية المعروفة : « إنّك الصوت الذي يوحد الأمة العربية » .

وقال أحد المهتمين بشؤون الأمة العربية :

« إنّ العـرب يبلغ عددهم(١٠٠) مليـون نسمة ، وهم بحـاجة إلى مليـون مطرب على الأقل . . . فتأمل . .

وتعترف الكاتبة الفرنسيـة المعروفـة (فرانسـواز ساجـاه) التي أجرت معهـا صحيفة (بون سوار) الفرنسية مقابلة . . . فسألتها :

س : في مسرحيتك الأخيرة ، تسخرين من حركة تحرير المرأة . . . ألم تتغير نظرتك بعد تجربة عشرين سنة مع الحياة الزوجية ؟ .

ج : أجابت أنا لا أحب مهاجمة الرجل . . ولكن من خلال نظرتي لتجارب الغالبية العظمى من النساء.
أقول: إن حركة تحرير المرأة هي أكذوبة كبيرة اخترعهـا الرجـل ليضحك على المرأة[٢٣] وهذه الأكذوبة تذكرنا بقصة خيالية يقرؤهـا التلاميـذ في كتب القراءة الإبتدائية وهي قصة ليلى والذئب ، واليكموها : « ليـلى ذهبت إلى بيت جـدتها لتـأخذ طعـاماً ، وكـان الذئب يـريد أن يـأكل ليـلى ، ولمـا خـرجت من البيت عـرف الـذئب إلى أين تـذهب ، ولم يستطع أن يأكلها في الشارع ففكر بخطة خبيثة وما أن وصلت ليلى إلى بيت جدتها حتى رأت جدتها قد تغيرت هيأتها، أسنانها طويلة، وأذنيهـا لم تعد على جانبي رأسها واكتشفت أن الذي تغير ليس هيئة جدتهـا بل تغـيرت كل جـدتها . . . إنـه الذئب يـرتدي مـلابس جدتهـا بعـد أن أكلها ، فبكت ليلى وطلبت من الذئب أن يتركها فقال لهـا : منذ زمن وأنـا أفكر كيف آكلك بـدون ضجة والآن كيف أتـركـك ولقـد جئت بنفسك[٢٢] .

موضـــة ٨٤ولكل سنة موضتهـــا

وقد تحدث أحد أصحاب محلات الأزياء إلى إحدى الصحف قال :

« موضة ٨٤ تعود بالمرأة إلى أنوثتها التي كانت تتباها بها في الماضي ، فـأزياء السنـة عودة إلى مـوضة الأربعينـات والخمسينات حيث استعـادت المـرأة أنـوثتهـا ولياقتها بعد أن فقدتهـا لمدة عشر سنـوات حيث كانت الأزيـاء النسائيـة تسير عـلى

خطى الأزياء الرجالية . وهذه السنة كانت العودة إلى الماضي إلى التراث فوجد المصمّمون الأنوثة في أزياء الأربعينات والخمسينات التي أدخلوا عليها بعض التعديلات والتطوير لتتناسب ومتطلبات المرأة العصرية مما يخدم بالتالي المرأة لتكون أنثى أنيقة .

أما ألوان السنة فهي من أكثر الألوان التي تناسب المرأة اللبنانية والعربية فالتوبر والكارو والمقلم من خطوط أزياء هذه السنة .

وأضاف من أهم تشكيلاتنا (بيار بالمان) الذي خصص ألوانه للأحمر والأخضر والموقف فأبدع في تصاميمه التي أتت قطعاً فنية ساحرة ، أنوثة على أناقة ، فجمع الألوان المتناقضة وميّز بها تصاميمه كما أدخل الجلد إلى الجوخ ، هذا بالإضافة إلى تشكيلات واسعة من عدّة ماركات ألمانية ، وقد لاقت استحساناً وتجاوباً في السوق واستطاعت أن تنافس الماركات الفرنسية . . .

أما الجلد فكان رائد هذه السنة في جميع دور الأزياء العالمية وقد اهتم به كبار وصغار مصمّمي الأزياء في الكون ولكن برونق جديد وألوان جديدة .

وكذلك المخمل عاد إلى الحياة من جديد وأصبح من صلب الموضة من أنسامبلات السموكينغ الأسود .

ولا بدّ من أن نأتي على ذكر الكنزات التي أتت على هذه السنة قطعاً فنيّة وقد أبدع المصمّمون في حياكتها وقد لاقت رواجاً منقطع النظير بالرغم من غلاء سعرها ، كان التركيز فيها على (الشك) و(البراق)[٢٤] . . هذا عن موضة ٨٤ ولكن أي مصيبة ستنزل مع موضة ٢٠٠٠ .

المساواة الواقعية بين الرجل والمرأة على أساس الطبيعة البشرية

إنّ دعوات تحرير المرأة في البلاد العربية والإسلامية بشكل عام ، هي دعوات تقليد للغرب وليست دعوات أصيلة ، وهذا لا يعني أن المرأة في مجتمعاتنا تعيش وضعاً جيداً وتنال كامل حقوقها ، وإنّما منهاج تحريرها المطروح هو منهاج يقوم على قاعدة التقليد الأعمى للحضارة المادية ، ويصطدم بواقع الفطرة البشرية ، ويؤدي تطبيقه إلى مآس كثيرة ، ذكرنا نتفاً منها ، على مستوى تفكك

الأسر ، وشيوع الميوعة والخلاعة والقلق والإنتحار وغير ذلك . . .

والدعوة الأصيلة هي الدعوة التي تنطلق على أساس الإسلام لتعيد الإسلام إلى المرأة أو تعيد المرأة إلى الإسلام .

ووقفة مع النصوص ترينا المساواة الواقعية بين الرجل والمرأة .

يقول تعالى : ﴿ **يا أيها الناس اتّقوا ربكم الذي خلقكم من نفسٍ واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساء** ﴾[١] .

ونستنتج أن هناك وحدة في المنشأ والأصل والمصير والدور .

فكل الحقوق مشتركة لأن الأصل واحد ، والجزاء للجنسين في الآخرة إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

قال تعالى : ﴿ **فاستجاب لهم ربهم إني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض** ﴾[٢] .

ولكن نسأل الآن ؟ هل المرأة كالرجل ؟ ألا يوجد اختلاف في التكوين بين الرجل والمرأة حتى تكون الوظيفة واحدة ، أم أن هناك دورا واحداً للجنسين يتكوّن من وظائف متكاملة .

إن واقعية الإسلام تنطلق على أساس التركيب الفيزيولوجي والسيكولوجي للمرأة والرجل ، ولنعد إلى علم الأحياء (البحوث البيولوجية) لنرى ماذا يقول :

« قد أثبتت بحوث علم الأحياء وتحقيقاته أن هناك اختلافاً كبيراً من الناحية التكوينية بين الرجل والمرأة ، تبدأ من الصورة والسمت والأعضاء الخارجية إلى ذرات الجسم والجواهر الهيولينية (البروتينية) لخلاياه النسيجة ، فمن لدن حصول التكوين الجنسي في الجنين يرتقي التركيب الجسدي في الصنفين في صورة مختلفة ، فهيكل المرأة ونظام جسمها يركّب كله تركيباً تستند به لولادة الولد وتربيته ، ومن التكوين البدائي في الرحم إلى سن البلوغ ينمو جسم المرأة وينشأ لتكميل ذلك

---

[١] سورة النساء : الآية ١ .

[٢] سورة آل عمران : الآية ١٩٥ .

الإستعداد فيها ، وهذا هو الذي يحدد لها طريقها في أيامها المستقبلية .

ومع بلوغ سن الشباب يعروها المحيض ، الذي تتأثر به أفعال كل أعضائها وجوارحها ، وتدلّ مشاهدات أساطين علمي الأحياء والتشريح على أنّ المرأة تطرأ عليها في مدة حيضها التغييرات الآتية :

١ ـ ثقل في جسمها وقوة إمساك الحرارة ، فيزداد خروج الحرارة منه ، وتنخفض درجتها فيه .

٢ ـ ويبطؤ النبض وينقص ضغط الدم ويقلّ عدد خلاياه .

٣ ـ وتصاب الغدد الصماء واللوزتان والغدد اللمفاوية أيضاً بالتغيّر .

٤ ـ وينتقص الإستقلاب الهيوليني (البروتيني) .

٥ ـ ويقل إخراج أملاح الفوسفات والكلوريد من الجسم وينحط الإستقلاب الغازي .

٦ ـ ويختل الهضم ، ويقلّ التحام الشحم والأجزاء الهيولينية (البروتينية) في المأكولات مع أجزاء الجسم .

٧ ـ وتضعف قوة التنفس وتصاب آلات النطق بتغييرات خاصة .

٨ ـ ويبلد الحس وتتكاسل الأعضاء .

٩ ـ وتتخلف الفطنة والذكاء وقوة تركيز الأفكار .

واستنتج البروفسور (كرشي شكفسكس) من اختباراته النفسية أن المرأة يلتهب فيها المجموع العصبي في هذه الأيام ، ويبلّد الحس ويختل ويضعف الإستعداد ، وربما تعطل بالمرّة لقبول الإنطباعات المرتبة حتى يضطرب في شعورها ما قد قرّ فيه قبلاً من تلك الإنطباعات المرتبة .

مما يجعلها تتخلج حتى في أعمالها التي قد اعتادتها في حياتها اليومية . فمثل هذه المرأة إن كانت جابية في الترام ، أخطأت في قطع التذاكر ، وارتبكت في عدّ الكسور . وإن كانت سائقة ساقت سيارتها بحذر بالغ وتمهل وحارت عند كل منعطف . وإن كانت سيدة كاتبة أخطأت في كتابتها الآلية وتوانت فيها وفاتتها

الأحرف على الرغم منها ، ولم توفق في تركيب الجمل ، ولم تصب الحرف المقصود بضربة أصبعها . وإن كانت محامية خانتها قوة حجاجها ، وأخطأ فكرها وبيانها في عرض قضيتها ، وإن كانت قاضية تأثرت ملكة فهمها وقوة حكمها بهذه الحالة المرضية التي هي فيها ، وكذلك إن كانت الحائض طبيبة أسنان لم تنشط في عملها ولم تجد آلاتها عند الطلب إلّا بجهد منها ، وإن كانت مغنية فقدت محاسن لحنها ومفاتن صوتها في أيامها تلك ، حتى أن الماهر في التلحين ليعرف حالتها تلك بمجرد سماعه لغنائها .

ويكتب الأستاذ ربنسكي في كتابه ، نشأة شخصية المرأة : « إنّ مدة الحيض تحرم المرأة حريتها العملية ، فهي تكون في أثنائها تابعة لحركاتها الإضطرارية ، وتنقصها جداً قوة استعمال إرادتها للإقدام على عمل أو تركه » .

ويرى آخرون من المدققين : « أن معظم الجرائم المرتكبة من قبل النساء ترتكب في حال المحيض ، لأنهن لم يكن تابعات لإرادتهن .

وزمان الحمل عند المرأة أشد عليها من مدة الحيض . يقول الطبيب فشر : « إنه لا تسلم حتى المرأة الصحيحة من الإضطراب الشديد في زمان الحمل فتصاب في مزاجها بالتلون وفي أفكارها بالتشويش وفي عقلها بالشرود . واتفق بعض الإخصائيين على أن الشهر الأخير من أشهر الحمل لا يصح فيه البتة تكلّف المرأة جهداً بدنياً وعقلياً » .

وبعد الوضع تكون المرأة عرضة لأمراض متعددة تعروها وتنمو فيها وتبقى مدة سنة كاملة مريضة أو شبه مريضة بعد قرار الحمل(٢٥) .

ويقول صاحب كتاب الحجاب : « أما والله إنه ليس من الإنصاف ، بل هو عين الظلم والعدوان وليس بمساواة بين الصنفين، بل هو عبث صريح بالمساواة وإنّما الذي يقتضيه الإنصاف ، هو أن الصنف الذي قد كلفته الفطرة أعباء جسام ، لا يكلف من أعمال التمدن إلّا ما هو خفيف المحمل ، وإن الذي لم تكلفه الفطرة بشيء عظيم ، يحمل عليه واجبات التمدن ما هو أهم وأثقل وأدعى للجهد والتعب ، ويكون أيضاً قواماً على الأسرة يرعاها ويربيها »(٢٦) .

يقول تعالى : ﴿ ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهم درجة

والله عزيز حكيم ﴾[١] .

والإختلاف التكويني أمر ثابت حتى اضطر إلى الإعتراف به العلماء الشيوعيون فهو ذا العالم الطبيعي الروسي الممتاز (أنطون نيميلاف) يكتب مئتي صفحة في أحد كتبه The Biological Tragedyo Fwon لإثبات عدم المساواة الفطرية بين الرجل والمرأة بتجارب العلوم الطبيعية ومشاهداتها ويقول :

« إذا قيل في هذه الأيام : إنّ المرأة يجب أن تمنح في دائرة التمدن حقوقا محدودة ، لم يؤيده من الرجال إلّا الأقل ، ونحن بأنفسنا ممن يخالفون هذا الرأي . ولكن ينبغي ألا نخدع أنفسنا بزعم إن إقامة الرجل والمرأة في الحياة العملية أمر هين ميسور . الحق أنه لم يجتهد أحد في الدنيا لتحقيق هذه المساواة بين الصنفين مثل ما أجتهدنا في روسيا السوفياتية ، ولم يوضع في العالم من القوانين السانحة البريئة من التعصب ، في هذا الباب مثل ما وضع عندنا ، ولكن الحق ، مع ذلك كله ، إنّ منزلة المرأة قلما تبدلت في الأسرة . . . بل قلما تبدلت في المجتمع أيضاً »(٢٧) .

ويقول في موضع آخر : « لا يزال تصور عدم مساواة الرجل والمرأة ، ذلك التصور العميق راسخاً لا في قلوب الطبقات ذات المستوى الذهني البسيط بل في قلوب الطبقات السوفيتية العليا أيضاً . بل النساء أنفسهن قد بلغ من تأثير هذا التصور في نفوسهن ، إنّهنّ إذا عوملن معاملة المساواة الكاملة مع الرجال ، يعددن ذلك خفضاً في مكانة أولئك ويجدن لهم فيه معاني التخنث . ولو أننا نتتّبع في هذا الأمر أفكار عالم طبيعي أو مصنف أو طالب أو تاجر أو شيوعي خالص العقيدة ، لانكشف لنا عن غير بعد ، إنه لا يرى المرأة كفوؤاً له أو نداً يماثله الخ . . .

السبب في ذلك أن المبادىء الإنقلابية تصطدم في هذا النظام بأمر واقع هام ، هو أنه لا مساواة بين الجنسين باعتبار عالم الأحياء (Biology) ولم تكلفهما الفطرة بأعباء سواء »(٢٨) .

---

[١] سورة البقرة : الآية ٢٢٨ .

ويرى الشيخ محمد عبده : « ان هذه كلمة جميلة جداً ، جمعت على إيجازها ما لا يؤدي بالتفصيل إلا في سفر كبير ، فهي قاعدة كلية ناطقة بأن المرأة مساوية للرجل في جميع الحقوق إلّا أمراً واحداً عبر عنه بقوله : « وللرجال عليهن درجة » وقد أحال في معرفة ما لهنّ وما عليهن على المعروف بين الناس في معاشرتهم ومعاملتهم بين أهليهم . . . وهذه الجملة تعطي الرجل ميزاناً يزن به معاملته لزوجه في جميع الشؤون والأحوال ، فإذا همّ بمطالبتها بأمر من الأمر يتذكر أنه يجب عليه مثله بإزائه . . . وليس المراد بالمثل المثل بأعيان الأشياء وأشخاصها ، وإنّما المراد أن الحقوق بينهما متبادلة ، وإنّهما أكفاء . . . فهما متماثلان في الحقوق والأعمال كما أنهما متماثلان في الذات والإحساس والشعور والعقل . . .

ويفسّر الشيخ عبده معنى : « وللرجال عليهن درجة » فيرى أنها القيادة التي لا بد منها لأي مجتمع ، صغيراً أم كبيراً ، أسرة أم قرية أم مدينة أم أمة والتي هي ضرورة من ضرورات توزيع العمل بين البشر . . . والدرجة هي درجة الرياسة والقيام على المصالح المفسرة بقوله تعالى : ﴿ **الرجال قوامون على النساء بما فضّل الله بعضهم على بعض** (أي بما اختلفوا عن بعضهم البعض من الناحية التكوينية) **وبما أنفقوا من أموالهم** ﴾ فالحياة الزوجية حياة إجتماعية ولا بدّ لكل إجتماع من رئيس ، لأن المجتمعين لا بدّ أن تختلف آراؤهم ورغباتهم في بعض الأمور ولا تقوم مصلحتهم إلّا إذا كان لهم رئيس يرجع إلى رأيه في الخلاف ، لئلا يعمل كل ضد الآخر فتفصم عرى الوحدة الجامعة ويختل النظام[٢٩] وإذا كانت المرأة من الناحية التكوينية تختلف عن الرجل فإنّ الله تعالى جعل لها ميزة تكريمية من الناحية التشريعية .

يقول الرسول الأعظم (ص) : « من كان له أنثى فلم يهنها ولم يؤثر (يفضل) ولده عليها أدخله الله الجنة »[٣٠] .

قال أمير المؤمنين علي (ع) : « إنّ المرأة ريحانة وليست بقهرمانة[★] فدارها على كل حال وأحسن الصحبة ليصفو عيشك » .

[★] القهرمان هو وكيل الدخل والخرج الذي يحكم في الأمور ويتصرّف فيها بأمره

وعلى هذا فليست المرأة بطل في الملاكمة وحمل الأثقال بل هي ريحانة لا بدّ من مداراتها .

ويخطب رسول الله (ص) في حجة الوداع فيقول : « فاتقوا الله في النساء ، واستوصوا بهنّ خيراً »[٣١] .

وروي أن رسول الله (ص) أتته أخت له من الرضاعة ، فلما نظر إليها سرّ بها وبسط ملحفته لها فأجلسها عليها ، ثم أقبل يحدثها ، ويضحك في وجهها ، ثم قامت وذهبت ، وجاء أخوها فلم يصنع به ما صنع بها ، فقيل له : يا رسول الله صنعت بأخته ما لم تصنع به وهو رجل ؟ فقال (ص) : لأنها كانت أبر بوالديه منه »[٣٢] .

وعن أبي خديجة عن الإمام الصادق (ع) قال : « جاء رجل إلى النبي (ص) فقال : إني ولدت بنتاً ، وربيتها حتى إذا بلغت فألبستها ، وحليتها ، ثم جئت بها إلى قليب (بئر) فدفعتها في جوفه وكان آخر ما سمعته منها وهي تقول : يا أبتاه .

فما كفارة ذلك . قال : ألك أم حية ، قال لا . قال : فلك خالة حية ؟ قال نعم قال : فابررها فإنها بمنزلة الأم ، يكفّر عنك ما صنعت .

قال أبو خديجة لأبي عبد الله (ع) : متى كان هذا ؟ فقال كان في الجاهلية[٣٣] .

وعن الإمام الصادق (ع) : « قال رسول الله (ص) : من عال ثلاث بنات أو ثلاث أخوات وجبت له الجنة . فقيل : يا رسول الله . واثنتين ؟ فقال واثنتين . فقيل : يا رسول الله وواحدة ؟ فقال : وواحدة »[٣٤] .

وعن الرضا (ع) أنه قال : قال رسول الله (ص) إن الله تبارك وتعالى على الأناث أرأف منه على الذكور ، وما من رجل يدخل فرحة على امرأة بينه وبينها حرمة إلاّ فرّحه الله يوم القيامة[٣٥] .

وعن الصادق (ع) قال : « البنون النعم ، والبنات الحسنات ، والله يسأل عن النعم ويثيب على الحسنات »[٣٦] .

وقال (ص) : « نعم الولد البنات ملطفات مجهزات مؤنسات » .

وقال (ص) : « ما أكرم النساء إلا كريم وما أهانهن إلّا لئيم » .

وعلي (ع) كان يقول : « رفقاً بالقواريـر » أي ارفقوا بـالنساء لأنهن قـوارير العطر والطيب .

ويقـول الصادق (ع) : « ليس للمـرأة خطر إلّا لـطالحتهن فأمـا صـالحتهن فليس خطرها الذهب والفضة ، هي خير من الذهب والفضة وأما طالحتهن فليس خطرها التراب ، التراب خير منها » .

وهنـا لا بد من منـاقشة بعض الأحـاديث التي نسبت إلى أمير المؤمنـين (ع) والتي تنتقص من المرأة فبعضها ليس بصحيح ، لأنه مخـالف للموازين التي يعـرف بها الحديث الصحيح من غيره ، وبعضها فهم خطأ ولم يفهم على حقيقته .

روي عن علي (ع) أنه قال : « المرأة شر كلها وشر ما فيها أنه لا بد منها » .

الـواقع أن ظـاهر هـذا الكلام لا يمكن صـدوره عن علي (ع) ، إلّا إذا أراد بكلامه إمرأة مخصوصة وكانت « الـ » التعريف هنا « الـ » العهدية . . .

أي أنه يقصد المرأة المعهودة بيني وبينكم أمـا بشكل عـام فإن الحـديث هذا يخـالف كتاب الله كـما جاء عن أهـل البيت في موضـع الميزان لتمييـز الصحيح من الفاسد :

« مـا أتاكـم من حـديث من برّ أو فـاجر فـاعرضـوه على كتـاب الله فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فذروه » .

وهناك حديث آخر مفترى على الإمام علي (ع) قولـه : « المرأة حشرة » وهـو غير صحيح ، إنّما أراد واضعوه الإساءة إلى علي (ع) وإلى المرأة معاً .

وقوله أيضاً : « المرأة كالنعل يلبسها الرجل إذا شاء ، لا إذا شاءت » .

أيضاً قوله : « المرأة عقرب حلو اللبسة » . . . ينطبق عليه نفس الكلام .

ونقف هنا أمام كلام علمي ومهم لعلي (ع) فهم خطأ من قبل أكثر الباحثين وبعضهم من المغـرضين . يقـول علي (ع) : « معـاشر الناس إنّ النسـاء نـواقص الإيمان ، نواقص الحظوظ ، نواقص العقول ، فأمـا نقصان إيمـانهن فقعودهن عن

الصلاة والصيام في أيام حيضهن . وأما نقصان عقولهن فشهادة امرأتين كشهادة الرجل الواحد ، وأما نقصان حظوظهن فمواريثهن على الانصاف من مواريث الرجال »[٣٧] .

ونبدأ الآن بمناقشة هذا الحديث فنسأل ؟

١ ـ هل النساء نواقص الإيمان ،
وكيف يمكن أن نفهم قول أمير المؤمنين (ع) ؟

أولاً : إن معنى النقص هنا ، هو الإختلاف في التكوين والطبيعة ، فإذا أخذنا الرجل كمقياس كانت المرأة ناقصة بالنسبة له .

وإذا أخذنا المرأة كمقياس كان الرجل ناقصاً بالنسبة لها .

لذلك فإن الإمام علي (ع) قصد بالنقص الإختلاف . . . . وهذا الإختلاف تكاملي .

فمن الضروري أن تحيض المرأة وإلاّ لانقطع النسل وهلكت البشرية ، وقعود المرأة عن العبادات هو بأمر من الله وليس باختيارها والمطبق لأمر الله ليس مذموماً بل ممدوحاً . والإختلاف التكويني ليس نقصاً بل كمالاً .

٢ ـ هل النساء نواقص العقول ؟

الإنسان مركب من عقل وعاطفة .

والمجتمع البشري مؤلف من رجال ونساء .

والرجل يتميز بقلة العاطفة أما المرأة فتتميز بزيادة في العاطفة وفائض فيها .

والعقل وإمكانية التفكير متوفران عند الرجل والمرأة .

ونقص العاطفة عند الرجل يجعله أكثر موضوعية ، وزيادة العاطفة عند المرأة تقربها من الذاتية ، وتفقدها الصلابة ، لذا فإنّها تتصف بالحنان والرقة والقدرة على (تربية الأطفال) .

أما الرجل فيتميز بالخشونة وعدم الرقة ، وكون المرأة ذات عاطفة وحنان ،

فإنّ ذلك كمال لها ، وإذا كانت عاطفة الرجل كما المرأة فإنّ ذلك نقص فيه .

وتحقيقاً للعدالة وضماناً لها ، اشترط الشارع أن يتوفر في مجال الشهادة امرأتان مقابل رجل ، وهذا لا يعني أن المرأة تساوي نصف رجل كما يظن الجاهلون لأنه توجد حالات لا تقبل فيها شهادة الرجال مطلقاً ، فهل يعني ذلك أن الرجل يساوي صفراً كما يقول بعض كتابنا .

والله تعالى يعلل لماذا روعي هذا الأجراء من جعل شهادة رجل واحد بقوله : « إنّ تضلّ إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى » .

فلما كانت المرأة بطبيعتها العاطفية المتدفقة السريعة الإنفعال مظنة أن تتأثر بملابسات القضية « فتضلّ » عن الحقيقة ، روعي أن تكون معها إمرأة أخرى . . . وقد يكون المشهود له أو عليه إمرأة جميلة تثير غيرة الشاهدة ، أو قد يكون فتى يثير كوامن الغريزة أو عطف الأمومة . . . إلى آخر هذه العواطف التي تدفع إلى الضلال بوعي أو بغير وعي ، ولكن من النادر جداً حين تحضر امرأتان في مجال واحد ، أن تتفقا على تزييف واحد ، دون أن تكشف إحداهما خبايا الأخرى فتظهر الحقيقة »[٣٨] .

وهناك أمور لا تقبل فيها شهادة ألف رجل وتقبل شهادة إمرأة واحدة وذلك في الأمور النسائية الخاصة التي تعتبر المرأة خبيرة ومختصة بها .

ونسأل الآن هل النساء نواقص الحظوظ ؟

يقول تعالى : ﴿ يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الإنثيين ﴾[١] .

إنّ هذا التوزيع ليس انتقاصاً من المرأة وحقوقها بل هو عدل كامل ، وبالتدقيق يتبين أن المرأة أكثر ربحاً من أخيها في هذه القسمة ، وذلك يظهر من خلال عملية حسابية بسيطة .

أولاً : إنّ البنت عندما تتزوج ، تنتقل إلى بيت مجهز وتأخذ مهراً وليس عليها مسؤولية الإنفاق بل لها حق في ذلك على الزوج ولو كانت غنية . إذن ما

---

[١] سورة النساء : الآية ١١ .

تأخذه من إرث والدها هو مال احتياطي لا تحتاجه إلاّ في أوقات نادرة .

والشاب عندما يريد أن يتزوج عليه أن يجهز بيتاً ، وأن يدفع المهر وأن ينفق على أسرته ، وقد ينفق ما ورثه ، ويحتاج إلى مال إضافي في كثير من الحالات ويضطر للعمل لكي يقوم بواجباته فمن هو الرابح يا ترى ؟ .

ثانياً : هذه القاعدة ليست قاعدة عامة ففي بعض الحالات ترى أن المرأة تأخذ أكثر من الرجل وفي حالات أخرى يتساوى الرجل والمرأة ، وإليك بيان ذلك .

١ ـ إرث المرأة مساوٍ لإرث الرجل

قال تعالى : ﴿ **وإن كانت واحدة فلها النصف ، ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد** ﴾[1] .

٢ ـ المرأة تأخذ أكثر من الرجل

كما لو توفي شخص وترك بنتاً وأحد أبويه ، فعندئذٍ (يأخذ أحد الأبوين الربع بالتسمية والردّ ، وتأخذ البنت ٣/٤ الباقي) .

فالجد هو رجل يستحق في هذه الحالة الربع وحفيدته (البنت) تستحق ٣/٤ الميراث(٣٩) .

ويعبر الإمام علي (ع) عن هذا الإختلاف التكويني بين الرجل والمرأة بكلام يختصر كل الأبحاث العلمية والإجتماعية حول هذا الموضوع يقول (ع) : « خيار خصال النساء شرار خصال الرجال » .

الحجاب الشرعي لماذا ؟

ولماذا أصبحت هذه الكلمة غير محببة إلى بعض النفوس ؟ .

إنّ كل شيء في الطبيعة يرتدي حجاباً بالمعنى المجازي ، وإلاّ فسد ، فالبرتقالة وثمرة الجوز والتفاح وغيرها لها قشر خارجي يحميها ، وإن نزع وتركت بدونه تفسد وهكذا المرأة . . .

---

[١] سورة النساء : الآية ١١ .

وتقـول الدكتـورة نوال السعـداوي في كتابهـا : « الـوجـه العـاري للمـرأة العربية » ، وفي معرض انتقادها للحجاب : « يحظر على النساء الخروج من البيت إلى عالم الرجـال الخارجي إلاّ للضرورة القصـوى ، وفي حالـة خروج النسـاء من البيت يتحتم عليهنّ ألاّ يـظهـرن أي شيء من فتنتهنّ وذلـك بتغـطيـة أجسـادهن وحفظ فروجهنّ وعدم إظهار مفاتنهن أو زينتهن .

ويتضح لنا الآن السبب الحقيقي وراء ذلك الحجاب الـذي لم يكن موجـوداً في بدء الإسلام ولا في حياة محمد (ص) ، ولكنه شاع في المجتمعـات العربيـة بعد ذلك . . .

فالحجاب لم ينشأ لحماية المرأة وإنّمـا أنشيء الحجاب من أجـل حمايـة الرجـل أساساً . . . »[٤٠] .

وننقل رأي أحد دعاة تحرير المرأة على الطريقة الغربيـة وعلى الأصـح تحريـر المرأة من كرامتها وإنسانيتها وهو أحـد الأدباء الـذي لعب دوراً في إشاعـة السفور والفساد ، إنه ولي الدين يكن إذ يورد كلاماً على لسان فقيه سئل هل حجاب المرأة واجب شرعاً ؟ .

فـأجاب : لا وأي شرع يكـون شقاء عـلى العباد . ويقـول يكن : « نفسي فداء أرواح صعقت بين الأسوار المرفوعة (البيوت) والسدف المسدولة (البراقع) أو وقعت تلقاء القدرة ضعافاً مثل هذه خليق ، بأن يبكى عليها لأنها تموت قبل أن تولد » .

ونقتطف بعض الأبيات له يقول :

ألا مـا لـسيـدتي مـن نـاحـبـة — بـروحي مـدامعـهـا الـسـاكـبـه
أزيـلي الحـجـاب عـن الحـسـن — يـومـاً ، وقـولي مَلَلْتُـك يـا حـاجبـه
فـلا أنـا مـنـك ولا أنـت مـني — فـرح ذاهـبـاً ، هـا أنـا ذاهـبـه

ويقول : شهدت مصارع ثلاث نسوة : إحداهن قتلها الإستبداد ، والثانية أرداها الجهل ، والثالثة أودى بها الحجاب ، ونكتفي بـالكلام عن التي أودى بهـا الحجاب ، كما يعبّر الكاتب :

« وأمّا التي قتلها الحجاب فقد تزوجها رجل من أهل « أدنة » ، شديد الغيرة دخلت بيته ليلة زفّت إليه ، ولم تخرج منه أبداً ، حتى إذا مرضت وثقل عليها المرض واشتد الألم دعا زوجها طبيباً ، وأخذ يصف ما تشكوه ، فقال أنا لا أداوي على السماع ، ولا بد من رؤية المريضة وفحص موضع العلة فأبى الزوج الأبي ذلك ، وما مضت أيام قلائل إلّا وقد أزروها في أكفانها ، وشيعوها إلى منزلها الأبدي »(٤٥) .

والآن علينا أن نناقش دعوى هؤلاء (البؤساء) الذين يظنون أن الإسلام لم يأتِ بفكرة الحجاب كما زعمت الدكتورة نوال السعداوي ، وأن الحجاب ضريح المرأة كما ادعى يكن .

أولاً : نصوص الحجاب

قوله تعالى : ﴿ **وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهنّ من وراء حجاب ذلك أطهر لقلوبكم وقلوبهن** ﴾[١] .

الآية ترد على دعوى أمثال نوال السعداوي وتقول بأن الحجاب ليس حماية للرجل وحفاظاً على أخلاقه فحسب بل هو حماية لأخلاق الرجل والمرأة معاً (أطهر لقلوبكم وقلوبهن) .

إنّ الحجاب قد نصّ عليه القرآن الكريم ، فيكف تزعم السعداوي أنه لم يكن موجوداً في بدء الإسلام وفي حياة محمد (ص) ، وفيما يأتي كلام أوضح .

قوله تعالى : ﴿ **يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين** ﴾[٢] .

وقوله سبحانه : ﴿ **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهنّ ويحفظنّ فروجهنّ ولا يبدين زينتهنّ إلّا ما ظهر منها . وليضربن بخمرهنّ على جيوبهنّ** . . . إلى أن يقول : **ولا يضربن بأرجلهنّ ليعلم ما يخفين من زينتهنّ** .

---

[١] سورة الأحزاب : الآية ٥٣ .

[٢] سورة الأحزاب : الآية ٥٩ .

وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾[1] .

ونقول لولي الدين يكن ولأنصاره وأعوانه والقائلين بمقالته ، إن القصة التي رواها لا تدين الدين ، بل تدين الجاهلين بالدين أمثاله ، لأن الذي قتلها ليس الحجاب الشرعي ، بل الجهل بأوامر الشرع والشارع ، ألا يعلم ولي الدين وأنصاره أن (الضرورات تبيح المحظورات) والإسلام يطلب من المرأة الإلتزام بالحجاب ، ولكن إذا تعرضت للخطر فلا مانع من رفعه عند الضرورة كما حصل لهذه المرأة . وفي السنّة الشريفة أحاديث كثيرة تدل على الحجاب .

وقال (ص) : « صنفان من أهل النار لم أرهما ، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات ، مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ، ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا » .

وقال (ص) : « إذا تطيّبت المرأة لغير زوجها فإنّما هو نار وشنار » .

وعن أم سلمة قالت « لما نزلت هذه الآية ﴿ يدنين عليهن من جلابيبهن ﴾ ، خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهنّ الغربان من السكينة وعليهن أكسية سود يلبسهن » .

ودائماً نجد الإفتراءات على أهل الدين والإيمان فقد صور أعداء أهل البيت سكينة بنت الحسين (ع) إنها كانت تجالس الرجال والشعراء بدون حجاب وإنّها كانت تنشد الأشعار غير المحتشمة ، وانها اخترعت تصفيفة للشعر عرفت بتصفيفة سكينة بنت الحسين ! . .

كذبوا والله إنه الحقد الأعمى على أهل البيت (ع) ، ومحاولة لتشويههم وتشويه الإسلام وفي مجال الرد نترك الأمر للحسين (ع) ليرد على هؤلاء في أبيات له يوم عاشوراء حيث يصف سكينة بأنها (خيرة النسوان) وكيف تكون كذلك إذا لم تكن في قمة التزامها بالشريعة .

يقول الحسين (ع) لسكينة :

---

[1] سورة النور : الآية ٣١ .

لا تحـرقـي قلبي بـدمعـك حسرة ... مـا دام هـذا الـروح في جـثـماني
فـإذا قـتلت فـأنـت أولى بـالـذي ... تـأتـيـنـه يـا خـيرة الـنـسـوان

وإذا كنا واقعيين علينـا أن نعترف أن التجـاذب بين السلبي والإيجـابي وبين الرجل والمرأة لا بدّ حاصل ولنفترض أن أحد الجنسين سواء أكـان الرجـل أو المرأة هو السلبي أو الإيجابي فهل هناك أي مانع من التأثر والتأثير المتبادل .

ونحن في عالم البناء ومدّ أسلاك الكهرباء ، نـرى أن الشركات التي تصنـع الأسلاك الكهربائية تغلف السلك . . . وإلّا فإنّ السلك غير المغلّف الذي يحجب تأثير الكهرباء يؤدي إلى ضرر كبير ، وهذه الأسلاك تصبح مؤذية لا بل قاتلة بدون حجاب أو غلاف .

وبعض النسـاء من اللواتي خدعن بـالحضارة الغـربية والـدعايـة البـاطلة ، يقلن : نريد أن نتعلم . . . والحجاب عائق .

« أبداً . . . الحجاب ليس « شرطي حـدود » يمنع مـرور العلم إلى الدمـاغ وأي مـركبة فضـائية سـوف تنفجـر في الفضـاء إذا مـا تعلمتِ وأنت محجبـة أم أن « جرائم أوروبا عند قوم فضائل »[٤٢] .

وماذا عن مصافحة الشاب للفتاة ؟

قـد تقول إحـداهنّ : ما المـانع من السـماح بمصـافحـة الـرجـل للمـرأة أو العكس ؟ .

نقـول : لتقريب الأمـر إلى الأذهان نسـأل : ماذا يحصـل إذا قرّبنـا السلك الكهربائي الموجب من السالب ؟ أجل هذه هي نتيجة المصافحة بشكل عام . . .

يقـول (ص) : « من صافـح إمرأة تحـرم عليه فقـد بـاء بسخط من الله عـزّ وجـل ، ومن التزم إمـرأة حرامـاً قـرن في سلسلة من نـار مـع شيـطان فيقذفان في النار »[٤٣] .

ويقول أيضاً : « ومن صافح إمرأة حراماً جاء يوم القيامة مغلولاً ثم يؤمر به إلى النـار ومن فاكـه إمرأة لا يملكهـا حبسه الله بكـل كلمة كلّمهـا في الـدنيـا ألف عام »[٤٤] .

رأيت إمرأة معلّقة بشعرها ، يغلي دماغ رأسها .

ورأيت إمرأة معلقة بلسانها والحميم يصب في حلقها .

ورأيت إمرأة تأكل لحم جسدها والنار توقد من تحتها .

ورأيت إمرأة قد شدت رجلاها إلى يديها وقد سلّطت عليها الحياة والعقارب .

ورأيت إمرأة صماء عمياء خرساء في تابوت من نار ، يخرج دماغ رأسها من منخرها ، وبدنها مقطّع من الجذام والبرص .

ورأيت إمرأة يقرض لحمها بالمقاريض .

فقالت فاطمة (ع) : « أخبرني ما كان عملهن (في الدنيا) حتى وضع عليهن هذا العذاب » ، فقال (ص) : « يا بنية :

أما المعلقة بشعرها فإنها كانت لا تغطي شعرها عن الرجال .

وأما المعلقة بلسانها فإنها كانت تؤذي زوجها .

وأما التي تأكل لحم جسدها فإنها كانت تزين بدنها للناس .

وأما التي شدت يداها إلى رجليها ، وسلّطت عليها الحياة والعقارب فإنّها كانت قذرة الوضوء ، وقذرة الثياب وكانت لا تغتسل من الجنابة والحيض ، ولا تتنظف ، وكانت تستهين بالصلاة .

وأما العمياء الصماء الخرساء فإنها كانت تلد من الزنا وتعلقه في عنق زوجها .

وأما التي يقرض لحمها بالمقاريض فإنها كانت تعرض نفسها على الرجال »(٤٥) .

وتأتي إحداهن لتقول : وماذا لو بقيت سافرة ، ولم التزم بالحجاب الشرعي ؟ .

الجواب على مستوين :

الأول : **على مستوى الحياة الإجتماعية** : فإذا كنت تـدَّعين العلم ، فهـذا جهـل ، وإذا كنت تدَّعـين التقـدم فهـذا تخلف وإسـاءة إلى المجتمـع وإسـاءة إلى نفسك ، وكل هذا واضح ومعلوم .

الثاني : **على المستوى الأخروي** : استحقاق العقوبة الإلهية التالية :

يقول علي (ع) : « دخلت أنا وفاطمة (ع) على رسـول الله (ص) فوجـدناه يبكي بكاء شديداً ، فقلت : فداك أبي وأمي ما الذي أبكاك ؟ .

فقال : يا علي ليلة أسري بي إلى السماء رأيت نساء أمتي في عذاب شـديد ، فأنكرت شأنهن ، وبكيت لما رأيت من شدة عذابهنّ . . .



أحاديث شريفة حول المرأة

١ ـ قال رسول الله (ص) : « أيّما إمرأة نزعت ثيابها في غير بيتها خرق الله عز وجل ستره »[١] .

٢ ـ قال رسول الله (ص) : « العفاف زينة النساء »[٢] .

٣ ـ قال الإمام علي (ع) : « يا أهل العراق : نبئت أن نساءكم يدافعن الرجال في الطريق أما تستحيون ؟ » لعن الله من لا يغار »[٣] .

٤ ـ قال رسول الله (ص) : « الحياء شعبة من الإيمان »[٤] .

٥ ـ قال رسول الله (ص) : « ويل للنساء من الأحمرين : الذهب والمعصفر »[٥] .

٦ ـ قال رسول الله (ص) : « نعم الولد البنات المخدرات ، من كانت عنده واحدة جعلها الله ستراً له من النار »[٦] .

---

[١] نهج الفصاحة .

[٢] نهج الفصاحة .

[٣] الوسائل ج ٧ ص ١٧٤ .

[٤] نهج الفصاحة .

[٥] نهج الفصاحة .

[٦] مكارم الأخلاق .

٧ ـ قال الصادق (ع) عن رسول الله (ص) : « . . . ونهى أن تتزين المرأة لغير زوجها فإن فعلت كان حقاً على الله أن يحرقها بالنار »[١] .

٨ ـ قال رسول الله (ص) : « إذا تطيبت المرأة لغير زوجها فإنّما هو نار وشنار »[٢] .

٩ ـ قال رسول الله (ص) : « عليكن بذكر الله آناء الليل وأطراف النهار ، وغضّ الصوت »[٣] .

١٠ ـ قال رسول الله (ص) : « الجنة تحت أقدام الأمهات »[٤] .

١١ ـ قال رسول الله (ص) : « لا تكرهوا البنات فإنّهن المؤنسات »[٥] .

١٢ ـ قال رسول الله (ص) : « إياكم وخضراء الدمن قيل : وما خضراء الدمن ؟ قال : المرأة الحسناء في منبت السوء »[٦] .

١٣ ـ قال رسول الله (ص) : « تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأنبياء »[٧] .

١٤ ـ قال رسول الله (ص) : « تنكح المرأة لأربعة : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدين »[٨] .

١٥ ـ قال رسول الله (ص) : « إذا خطب أحدكم المرأة وهو يخضب بالسواد فليعلمها انه يخضب »[٩] .

---

[١] الوسائل ج ٧ ص ١٥٤ .

[٢] نهج الفصاحة .

[٣] المرأة في ظل القرآن ص ٢٤٦ .

[٤] نهج الفصاحة .

[٥] نهج الفصاحة .

[٦] نهج الفصاحة .

[٧] نهج الفصاحة .

[٨] نهج الفصاحة .

[٩] نهج الفصاحة .

١٦ ـ قال رسول الله (ص): «أيما رجل تزوّج إمرأة فنوى أن لا يعطها من صداقها شيئاً مات يوم يموت وهو زان »[١] .

١٧ ـ قال رسول الله (ص) : « حقّ على الله عون من نكح التماس العفاف عمّا حرم الله »[٢] .

١٨ ـ قال رسول الله (ص) : « خير النكاح أيسره »[٣] .

١٩ ـ قال رسول الله (ص) : « جهاد المرأة حسن التبعّل »[٤] .

٢٠ ـ قال رسول الله (ص) : « أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة »[٥] .

٢١ ـ قال رسول الله (ص) : « أعظم النساء بركة أقلهنّ مؤنة »[٦] .

٢٢ ـ قال رسول الله (ص) : « خير النساء من تسرك إذا أبصرت إليها وتطيعك إذا أمرت وتحفظ غيبتك في نفسها ومالك »[٧] .

٢٣ ـ قال رسول الله (ص) : « أيما امرأة لم ترفق بزوجها وحملته على ما لا يقدر عليه وما لا يطيق لم تقبل منها حسنة وتلقى الله وهو عليها غضبان »[٨] .

٢٤ ـ قال رسوُل الله (ص) : « خيركم ، خيركم لنسائه وبناته »[٩] .

٢٥ ـ قال رسول الله (ص) : « من أخلاق الأنبياء حب النساء »[١٠] .

---

[١] نهج الفصاحة .

[٢] نهج الفصاحة .

[٣] نهج الفصاحة .

[٤] نهج الفصاحة .

[٥] نهج الفصاحة .

[٦] نهج الفصاحة .

[٧] نهج الفصاحة .

[٨] مكارم الأخلاق ص ٢١٤ .

[٩] نهج الفصاحة .

[١٠] نهج الفصاحة .

٢٦ ـ قال رسول الله (ص) : « ما أكرم النساء إلا كريم ولا أهانهن إلا لئيم »[١] .

٢٧ ـ قال رسول الله (ص) : « حبّب إليّ من دنياكم النساء والطّيب وجعلت قرّة عيني في الصلاة »[٢] .

٢٨ ـ قال الصادق (ع) : « رحم الله عبداً أحسن فيما بينه وبين زوجته فإن الله عز وجل قد ملّكه ناصيتها ، وجعله القيّم عليها »[٣] .

٢٩ ـ قال رسول الله (ص) : « من دخل السوق فاشترى تحفة فحملها إلى عياله كان كحامل صدقة إلى قوم محاويج ، وليبدأ بالإناث قبل الذكور ، فإنه من فرّح ابنته فكأنما أعتق رقبة من ولد إسماعيل ، ومن أقرّ عين ابن فكأنما بكى من خشية الله »[٤] .

٣٠ ـ قال رسول الله (ص) : « ما من عبد يكسب ثم ينفق على عياله إلاّ أعطاه الله بكل درهم ينفقه على عياله سبع مئة ضعف »[٥] .

٣١ ـ قال رسول الله (ص) : « هلكت الرجال حين أطاعت النساء »[٦] .

٣٢ ـ قال رسول الله (ص) : « أوصاني جبرائيل بالمرأة حتى ظننت أنه لا ينبغي طلاقها إلاّ عن فاحشة بينة »[٧] .

٣٣ ـ قال رسول الله (ص) : « تزوجوا ولا تطلقوا ، فإن الله لا يحبّ الذواقين والذواقات »[٨] .

---

[١] نهج الفصاحة .

[٢] نهج الفصاحة .

[٣] مكارم الأخلاق ص ٢١٧ .

[٤] مكارم الأخلاق ص ٢٢١ .

[٥] مكارم الأخلاق ص ٢١٦ .

[٦] نهج الفصاحة .

[٧] مكارم الأخلاق ص ٢١٦ .

[٨] نهج الفصاحة .

٣٤ ـ قال رسول الله (ص) : « أيما إمرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة »[١] .

٣٥ ـ قال رسول الله (ص) : « تزوجوا ولا تطلقوا ، فإنّ الطلاق يهتز منه العرش »[٢] .

٣٦ ـ قال رسول الله (ص) : « عفّوا عن نساء الناس تعفّ نساؤكم »[٣] .

٣٧ ـ قال رسول الله (ص) : « من صافح إمرأة حراماً جاء يوم القيامة مغلولاً ثم يؤمر به إلى النار »[٤] .

٣٨ ـ قال رسول الله (ص) : « ثلاثة لا يدخلون الجنة ، العاق لوالديه ، والديوث ، ورجلة النساء »[٥] .

٣٩ ـ قال رسول الله (ص) : « لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال ، والمتشبهين من الرجال بالنساء »[٦] .

٤٠ ـ قال أمير المؤمنين (ع) : « يظهر في آخر الزمان واقتراب القيامة ، وهو شرّ الأزمنة نسوة متبرجات كاشفات عاريات من الدين ، داخلات في الفتن ، مائلات إلى الشهوات ، مسرعات إلى اللذات ، مستحلات للمحرمات في جهنم خالدات »[٧] .

٤١ ـ قال رسول الله (ص) : « من تزوج فقد أحرز نصف دينه فليتق الله في الباقي »[٨] .

---

[١] نهج الفصاحة .

[٢] نهج الفصاحة .

[٣] نهج الفصاحة .

[٤] الوسائل ج ٧ ص ١٤٣ .

[٥] نهج الفصاحة .

[٦] نهج الفصاحة .

[٧] مكارم الأخلاق ص ٢٠١ .

[٨] مكارم الأخلاق ص ١٩٦ .

٤٢ ـ عن الصادق (ع) : « من ترك التزويج مخافة العيلة فقد أساء الظنّ بربّه لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله** ﴾[١] .

٤٣ ـ وقال النبي (ص) : « من سرّه أن يلقى الله طاهراً مطهراً فليلقه بزوجة صالحة »[٢] .

٤٤ ـ قال رسول الله (ص) : « أفضل النساء من أمتي أصبحن وجهاً وأقلهنّ مهراً »[٣] .

٤٥ ـ قال أمير المؤمنين (ع) : « عقول النساء في جمالهن وجمال الرجال في عقولهم »[٤] .

٤٦ ـ عن الإمام زين العابدين (ع) : « إذا أراد أحدكم أن يتزوج فليسأل عن شعرها كما يسأل عن وجهها فإن الشعر أحد الجمالين »[٥] .

٤٧ ـ عن الإمام زين العابدين (ع) : « خير نسائكم الطيبة الريح ، الطيبة الطعام التي إن أنفقت أنفقت بمعروف وإن أمسكت أمسكت بمعروف ، فتلك من عمال الله وعامل الله لا يخيب ولا يندم »[٦] .

٤٨ ـ قال رسول الله (ص) : « ألا أخبركم بخير نسائكم ؟ قالوا : بلى ، قال (ص) : إن خير نسائكم الولود الودود الستيرة ـ العفيفة المستورة ـ العفيفة ، العزيزة في أهلها ، الذليلة مع بعلها ، المتبرجة مع زوجها ، الحصان عن غيره ، التي تسمع قوله وتطيع أمره وإذا خلا بها بذلت له ما أراد منها ولم تتبذّل ـ تترك الزينة ـ له تبذّل الرجل »[٧] .

٤٩ ـ جاء رجل إلى رسول الله (ص) وقال : « إنّ لي زوجة إذا دخلت

---

[١] مكارم الأخلاق ص ١٩٦ .

[٢] مكارم الأخلاق ص ١٩٧ .

[٣] مكارم الأخلاق ص ١٩٨ .

[٤] مكارم الأخلاق ص ١٩٩ .

[٥] مكارم الأخلاق ص ٢٠٠ .

[٦] مكارم الأخلاق ص ٢٠٠ .

[٧] مكارم الأخلاق ص ٢٠٠ .

تلقتني وإذا خرجت شيعتني وإذا رآتني مهموماً قالت : ما يهمك ، فإن كنت تهتم لرزقك فقد تكفّل به غيرك وإن كنت تهتم بأمر آخرتك فزادك الله هماً . . . فقال رسول الله (ص) : « بشرها بالجنة وقل لها أنك عاملة من عمال الله ولك في كل يوم أجر سبعين شهيداً وفي رواية ، أن لله عز وجل عمالاً من عماله ، لها نصف أجر الشهيد »[1] .

٥٠ ـ قال الإمام الصادق (ع) : « الخيرات الحسان من نساء أهل الدنيا هنّ أجمل من حور العين »[2] .

٥١ ـ قال الإمام الصادق (ع) : « الشجاعة لأهل خرسان ، والباءة في أهل البربر ، والسخاء والحسد في العرب فتخيّروا لنطفكم »[3] .

٥٢ ـ قال أمير المؤمنين (ع) : « من أراد الباء فليتزوج بامرأة قريبة من الأرض ، بعيدة ما بين المنكبين سمراء اللون ، فإن لم يحظ بها فعلّي مهرها »[4] .

٥٣ ـ قال رسول الله (ص) : « إذا صلّت المرأة خمسها وصامت شهرها وأحصنت فرجها وأطاعت بعلها فلتدخل من أي أبواب الجنة شاءت »[5] .

٥٤ ـ الإمام الصادق (ع) : « أغلب الأعداء للمؤمن زوجة السوء »[6] .

٥٥ ـ قال رسول الله (ص) : « لو أن ما في الأرض من ذهب وفضة حملته المرأة إلى بيت زوجها ثم ضربت على رأس زوجها يوماً من الأيام ، تقول : من أنت ؟ إنّما المال مالي حبط عملها ولو كانت من أعبد الناس إلّا أن تتوب وترجع وتعتذر إلى زوجها »[7] .

---

[1] مكارم الأخلاق ص ٢٠٠ .

[2] مكارم الأخلاق ص ٢٠٠ .

[3] مكارم الأخلاق ص ٢٠٠ .

[4] مكارم الأخلاق ص ٢٠١ .

[5] مكارم الأخلاق ص ٢٠١ .

[6] مكارم الأخلاق ص ٢٠١ .

[7] مكارم الأخلاق ص ٢٠١ .

٥٦ ـ عن أمير المؤمنين (ع) قال : « سمعت رسول الله (ص) يقول : « إيما امرأة هجرت زوجها وهي ظالمة حشرها يوم القيامة مع فرعون وهامان وقارون في الدرك الأسفل من النار إلاّ أن تتوب وترجع »[١] .

٥٧ ـ قال رسول الله (ص) : « إذا تزوج الرجل المرأة لمالها وجمالها لم يرزق ذلك ، فإن تزوجها لدينها رزقه الله عز وجل مالها وجمالها »[٢] .

٥٨ ـ عن الحسين بن بشار قال : كتبت إلى أبي الحسن (ع) : إنّ لي ذا قربة قد خطب إليّ وفي خلقه سوء ، قال (ع) : « لا تزوجه إن كان سيء الخلق »[٣] .

٥٩ ـ الإمام علي (ع) : « خيار خصال النساء شرار خصال الرجال : الزهو ، والجبن والبخل ، فإذا كانت المرأة مزهوة لم تمكّن من نفسها وإذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال بعلها ، وإذا كانت جبانة فرقت من كل شيء يعرض عليها »[٤] .

٦٠ ـ الإمام علي (ع) : « صيانة المرأة أنعم لحالها وأدوم لجمالها »[٥] .

٦١ ـ الرسول الأكرم (ص) : « لا يَخْلُوَنَّ رجل بامرأة إلاّ كان ثالثهما الشيطان »[٦] .

---

[١] مكارم الأخلاق ص ٢٠٢ .

[٢] مكارم الأخلاق ص ٢٠٣ .

[٣] مكارم الأخلاق ص ٢٠٣ .

[٤] نهج البلاغة حكم ٢٣٤ .

[٥] غرر الحكم .

[٦] الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٣٨ .

مصادر ومراجع البحث

(١) راجع شبهات حول الإسلام ص ١٤٩ .
(٢) راجع خطر التبرج والإختلاط /عبد الباقي رمضان ص ١٩٦ .
(٣) راجع في استراتيجية الأسرى وقضايا الزواج/ صاحب حسين الصادق ص ٣٤ .
(٤) نفسه نقلاً عن مجلة الآداب التي نشرت مقالة نازك الملائكة تحت عنوان (مآخذ إجتماعية على حياة المرأة العربية/ نيسان ١٩٧٠ .
(٥) التبشير والإستعمار/ لمصطفى خالدي وعمر فروخ/ص ٨٧ .
(٦) دائرة المعارف لفريد وجدي .
(٧) الوسائل .
(٨) المرأة والأسرة في الحضارة الغربية الحديثة ص ١٦ .
(٩) المصدر السابق/ نقلاً عن الأهرام ١٩٧٣/٦/٩ .
(١٠) نفس المصدر نقلاً عن الأهرام ١٩٦٧/٢/٢٦ .
(١١) ماركس أنجلز بيان الحزب الشيوعي ص ٧٤ مختارات ٤ أجزاء .
(١٢) البيان الشيوعي ـ ماركس وأنجلز ـ ص ٧٢ .
(١٣) كيف تسعد الحياة الزوجية ـ هادي المدرسي ص ١٩ .
(١٤) نفس المصدر ص ١٨٩ .
(١٥) جريدة السفير ٢٠ كانون الأول/١٩٨٤ .
(١٦) كيف تسعد الحياة الزوجية نقلاً عن مجلة الأسبوع العربي/ عدد ٦٢٧ .
(١٧) المرأة والأسرة في الحضارة الغربية الحديثة ص ٤٣ .
(١٨) جريدة الأخبار المصرية في ١٩٧٦/٢/٢٥ .
(١٩) راجع جريدة السفير /السبت ١٥ كانون الأول ١٩٨٤ .

(٢٠) خطر التبرج والإختلاط/ ص ١٦٥ .

(٢١) مآخذ إجتماعية على حياة المرأة الغربية/ نازك الملائكة .

(٢٢) المرأة والأسرة في الحضارة الغربية/ ص ٢٩ .

(٢٣) خطوات إلى رسالية المرأة ص ٨ .

(٢٤) السفير ملحق خاص بالأعياد/ الخميس ٢٠/٢/١٩٨٤ .

(٢٥) الحجاب للمودودي ص ١٨٥ وما بعدها .

(٢٦) المصدر السابق ص ١٩٣ .

(٢٧) كتاب نيميلاف/ ص ٧٦ .

(٢٨) المصدر السابق .

(٢٩) الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبده/ دراسة د. محمد عمار/ ج ٤ ص ٦٣٠ ـ ٦٣٥ .

(٣٠) مستدرك الوسائل/باب النكاح .

(٣١) تحف العقول / ص ٣٠ .

(٣٢) الأصول في الكافي / ج ٢ ص ١٥٩ .

(٣٣) المصدر السابق ص ٢٤٢ .

(٣٤) نفس المصدر .

(٣٥) نفس المصدر .

(٣٦) نفس المصدر .

(٣٧) نهج البلاغة/ ص ١٠٦ / تنظيم صبحي الصالح .

(٣٨) شبهات حول الإسلام/ ص ١٢٦ .

(٣٩) الأسرة المسلمة/ دار التوحيد .

(٤٠) الوجه العاري للمرأة العربية/ ص ٦٧ .

(٤١) الصحائف السود / ولي الدين يكن .

(٤٢) خطوات إلى رسالية المرأة/ ص ٣٠ .

(٤٣) الوسائل ج ١٤ ، ص ١٤٢ .

(٤٤) نفس المصدر / ص ١٤٣ .

(٤٥) بحار الأنوار ج ١٠٣ ، ص ٢٤٥ .

الفصل الرابع

١ ـ الأمة الاسلامية والمقاومة الحضارية

٢ ـ الجهاد والمقاومة والشهادة




المقاومة الحضارية

المقاومة الحضارية حصن إيمان الأمة وسرّ إستمرار عزّتها .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى : ﴿ إنّ الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾[١] .

﴿ وإن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا ﴾[٢] .

﴿ وذلك بأن الله لم يكن مغيِّر نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾[٣] .

﴿ ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون ﴾[٤] .

﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً ﴾[٥] .

﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة

---

[١] سورة الرعد : الآية ١١ .

[٢] سورة الجن : الآية ١٦ .

[٣] سورة الأنفال : الآية ٥٣ .

[٤] سورة الروم : الآية ٤١ .

[٥] سورة الإسراء : الآية ١٦ .

أو يصيبهم عذاب أليم ﴾[١] .

﴿ فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم ﴾ .

﴿ تدمر كل شيء بأمر ربّها فأصبحوا لا يرى إلا ما مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين ﴾[٢] .

﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنّن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾[٣] .

﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون ﴾[٤] .

﴿ ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكّن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدراراً وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين ﴾[٥] .

* * *

ويقول الإمام الخميني قدس سره : « شعبنا كان يعاني من التشتّت والضعف لكنه تحلى خلال فترة الثورة بصفات هي ذات الصفات التي تحلى بها المسلمون في صدر الإسلام ، وهي الإنتماء التام للإسلام وقوة الإيمان ووحدة الكلمة ولا زال شبابنا يطالبوننا بالدعاء لهم بالإستشهاد .

هذا التغيير الكبير الذي طرأ على هذا الشعب بإرادة الله سبحانه وتعالى هو

---

[١] سورة النور : الآية ٦٤ .

[٢] سورة الأحقاف : الآية ٢٤ ـ ٢٥ .

[٣] سورة النور : الآية ٥٥ .

[٤] سورة الأعراف : الآية ٩٦ .

[٥] سورة الأنعام : الآية ٦ .

الذي أدّى إلى انتصاره على قوة شيطانية كبيرة كانت كل القوى العظمى تسندها .

وكان هذا الإنتصار من نعم الباري تعالى وعطاياه على شعبنا واني آمل أن يظل شعبنا متحلياً بهذه الصفات وأن تتحلى بها جميع الشعوب المسلمة كي تستعيد عزة الإسلام وعظمته الأولى » .

إنّ الأمة الإسلامية قد تعرضت لهجمات شتى استهدفتها كحضارة وكوجود سياسي واجتماعي ، وذلك كله يعود إلى أسباب كثيرة ومختلفة ، مما جعل الأمة تنكفىء وتتراجع ، وأدى ذلك إلى خلق أوضاع جديدة على مستوى تشوّش المفاهيم وغموضها ، أو تحوّلها وكان لكل ذلك آثاره ، على الوضع الحضاري والسياسي والإجتماعي ، ولقد شملت الإنتكاسة أوضاعنا جميعها ، فعلى مستوى الأفراد نرى تدهوراً وتراجعاً وكذلك على مستوى الجماعات ، وسنحاول ـ بإذن الله ـ أن نبين خصائص الوضع الحضاري للأمة كأفراد وكمجتمعات لنتعرّف أخيراً إلى طريق الخلاص . ولنبدأ بالتمييز بين المصطلحات التالية : الحضارة والمدنية والثقافة ، وذلك كمدخل ضروري لبحثنا . . .

فهناك من يدمج بين هذه المفاهيم الثلاثة ، وسنعمد بحول الله وقوته ، إلى تبيان الوجه الأصوب بالنسبة لهذا الأمر .

جاء في المعجم الأدبي[1] أن الحضارة هي :

١ ـ حالة الشعوب التي تحرّرت من البربرية ، ونعمت بمنجزات التقنية الرفيعة ، وخضعت لأنظمة إجتماعية سياسية متقدمة ، فهي إذاً تشمل عدداً من المجتمعات البشرية .

٢ ـ مجموع الخصائص الإجتماعية والدينية والخلقية والتقنية والعلمية والفنية الشائعة في شعب معين .

٣ ـ إنّ لفظة (حضارة) تشير إلى مستوى معين من التقنية ولذلك يتكلم المؤرخون وعلماء الآثار على حضارات العصر الحجري ، والعصر الحديدي ، والعصر النفطي ، والعصر الذري الخ . . . كما تشير اللفظة إلى نوع من الثقافة مثل الحضارات الهندية ، واليونانية ، والعربية الخ . . .

والتقنية في مفهوم الدارسين تكوّن بنية الحضارة ، كما أن الثقافة هي روحها

وما يزال مفهوم الحضارة شاملاً لمعنيين اثنين :

الأول : نسبي معياري .

الثاني : عام وشامل ، وهو ينطوي في الوقت نفسه على رقي تقني ، يصطنعه الإنسان للسيطرة في الطبيعة وعلى رقي إجتماعي وخلقي ، أي على تحرر الأفراد والشعوب ووجود مجتمع بلا حروب ولا طبقات ، وخاصة على شيوع العدالة الشاملة ، فلا تكون هناك فئات متخمة ، وفئات جائعة ودول مسيطرة وأخرى مستضعفة ، وتقدم الحضارة لا يعني طغيان ثقافة غربية على شرقية أو شمالية على جنوبية ، بل يعني ، أساساً ، تبادلاً أدبياً ، وفكرياً ، وعلمياً ، وفنياً بين جميع الأطراف بحيث تزدهر الفردية الثقافية ، وتنضج ثمارها .

الفصل بين هذه المصطلحات الثلاثة

ويظهر أن هذه التعريفات التي أوردناها لا تفصل بين المفاهيم الثلاثة : الحضارة والمدنية والثقافية ، إلّا أن الفصل بينها ضروري لتعلّقه بمستقبل النهضة الحضارية للأمة ، وخدمة للصراع الفكري القائم بين الإسلام والمبادىء المناوئة .

وتعريف الحضارة الأصوب هو : « مجموعة قيم وأفكار وأخلاقيات ومبادىء ومعتقدات تنبثق عنها جملة من النظم والتقاليد والأعراف والسلوكيات المختلفة التي تتجسد في مجتمع أو مجموعة من المجتمعات في مرحلة زمنية معينة » .

والحضارة بهذا المعنى تعكس موقفاً معيناً إزاء الكون والإنسان والحياة ، فمن فكرة « الثيوقراطية » في تشكيل حضاري معين إلى فكرة « الديمقراطية » في تشكيل آخر ، ومن نظرية الستر لزي المرأة في الحضارة الإسلامية إلى « حرية » الأزياء النسائية في الحضارة الغربية ، ومن فكرة « الإقتصاد الحر » في النظام الرأسمالي ، إلى فكرة « الإقتصاد الموجّه » في النظام الإشتراكي . هذا وإن لكل حضارة سمات معينة تميزها عن الأخرى ، إلّا أن هذا لا يمنع الإلتقاء والتشابه المفاهيمي والتصوري في أسس الحضارات »(٢) .

وإذا أردنا أن نحدد معنى المدنية فعلينا أن ندلل على انفصالها من ناحية المفهوم عن الحضارة وهي أنها : « ليست جزءاً من الحضارة أو صورة من صورها أو مرادفة لها ـ كما يظن الكثير ـ لأنها غير مرتبطة جوهرياً بأي فكر ، إنّما ارتباطها

يتم مع العقل المجرد ، ويأتي انبثاقها عن إبداعاته التي تتسم بطبيعتها بالإستقلال عن الإيديولوجيات الحضارية . فالمدنية هي كل ما يرتبط بوسائل الحياة والمتطلبات المادية التي يحتاجها الإنسان في توفير سبل راحته ورفاهه ، فهي بعبارة أخرى : أسلوب العيش ومواده المستعملة . . . » .

ولا أدل على صحة ما نقوله ما هو معروف عن (المدنية الإسلامية) التي طالما مهدت وأمدت (المدنية الحديثة) بالشيء الكثير[3] . وذلك في مختلف العلوم من رياضيات إلى طب إلى كيمياء إلى جيولوجيا إلى غير ذلك . .

وعلى هذا فإنّ الحضارة شيء والمدينة شيء آخر ، والعلاقة بينهما هي علاقة توجيه واستغلال واستخدام إما لصالح البشرية أو لفنائها ودمارها كما هو الحال بالنسبة للطاقة الذرية .

وهذا لا يعني إذا قلنا ـ أن الحضارة هي مفهوم معنوي ، إنه لا يوجد أطر وقوالب حضارية ـ تتسم على الرغم من أنها من مبتدعات الحضارة الحديثة ـ بالعمومية والمحايدة ، ويمكننا أن نطلق عليها « الشكليات الحضارية المحايدة » كشكلية الأعمال البنكية والطرق المبتدعة في الإدارة والتنظيم كـ« طرائق التحليل الإداري ، ومكننة الإدارة » ، وكذلك بعض المصطلحات السياسية والقانونية وغيرها[4] .

أما الثقافة فيمكن تعريفها بأنها : القيم المعنوية والأخلاقية المتصلة بمفهوم الحضارة من ناحية تشكيل الدافع لتطبيق النظريات والمبادىء ، وتشمل أيضاً الإنتاج الفكري والنظري والإبداع الأدبي والفني . . .[5] .

ويجب الإنتباه إلى أن مفهومي الحضارة والمدنية لا يدل عليهما المعنى اللغوي دلالة مباشرة ، فالحضارة لغة هو الإقامة بالحضر وهي القرى والأرياف ويراد بها الإستقرار الذي يقابل الترحال الذي هو من شأن البدو الرحل . أما لفظ المدنية فهو من (مَدَنَ ـ مُدُوناً بالمكان أي أقام فيه) .

إذن فاللفظتان تشتركان في معنى الإقامة والحضور إما من الناحية الإصطلاحية ، فإن المعنى متباين لأن مجال الحضارة هو (البناء الإنساني) أما المدنية فمجالها هو :

البناء المادي وبذا يتحدد الفصل والتمييز بينهما[٦] .

يقول الدكتور مهدي فضل الله : « هناك من يخلط بين الثقافة والمدنية والحضارة ، ولا يرى فرقاً بينهما معتقداً بأنه عندما تقوم الثقافة أو توجد في مكان ما . . . تقوم المدنية والحضارة في الحال ، وهناك من يرى أن الحضارة تقوم حين يكون العقل هو المعوَّل عليه في كل شيء . وهناك من يفرق بين الثقافة والحضارة ، فيرى أن الحضارة تقوم على جملة من الأسس المادية والروحية . في حين أن الثقافة لا تأبه بغير الروح . وهناك من يميز تمييزاً حاسماً بين الثقافة والمدنية والحضارة . فيرى أن الثقافة هي التراث الروحي للأمة في حين أن المدنية عبارة عن بداية التحضر الإنساني في الجانب المادي من الحياة ، وهي في تبدُّل مستمر لمسيرة الأوضاع المستجدة في المكان والزمان ، أما الحضارة فهي الحياةُ المرفهة المستقرة التي تظلل أمة من الأمم . ونحن نرى أن الثقافة القائمة في مكان ما وزمان ما والمتمثلة في اللغة والفن والأدب والدين ومبادىء السلوك والعادات والتقاليد المعاشة الخ . . . تعبّر في الحقيقة عن أخلاق ومشاعر ونمط حياة هذا الشعب ، وبالتالي تعبر عن مظاهر التمدن لهذا الشعب الذي يدين بها أو يمارسها ، وهي تلعب الدور الأكبر في رفع الأمة نحو التنمية الحضارية وتشكيل الحضارات .

أما الحضارة فهي عبارة عن المظاهر المادية المنبثقة أصلاً من المدنية السائدة لدى شعب ما ، والمتمثلة في الإختراعات والإكتشافات والصناعات والتجارة والبنيان الخ . . . والقائمة على أساس من العقل واستخدام مآثره في حقل العلم والتكنولوجيا .

وإنّ الحضارة هي القابلة للتغيير أو التطور باستمرار ، بعكس مظاهر الثقافة التي تبقى قائمة ماثلة في ضمير الأمة بالرغم من تبدل الظروف والأوضاع والأزمان .

ولا حاجة بنا إلى القول ان بلادنا تعيش مدنية معينة ، وإن كانت تفتقد الحضارة المادية الحقيقية . وكلنا يتذكر ماذا جرى في ليل نيويورك منذ سنوات إثر انقطاع التيار الكهربائي عنها لمدة تسع ساعات . عشرة آلاف حالة اغتصاب وثلاثون ألف حالة سرقة ، في حين أن بلادنا التي عاشت وما زالت تعيش حالة

غريبة من الفوضى والإنسياب التام منذ سنوات لم تعرف ما عرفته نيويورك بالرغم من انقطاع التيار الكهربائي عن المدن اللبنانية ومن بينها العاصمة بيروت مثلاً ، لفترة طويلة من الأيام .

والحقيقة أن التمييز بين الثقافة والمدنية والحضارة مشكلة ذهنية أكثر منها مشكلة واقعية ، تماماً كما هو الحال بالنسبة إلى التمييز بين النفس والجسد . فنحن يمكن أن نميز بين النفس والجسد على صعيد الذهن فقط ، ولا يمكن أن نميز بينهما على صعيد الواقع ، فما يطرأ على الجسم تتأثر به النفس وفقاً لقوانينها ، وما يعرّض للنفس يتأثر به الجسم وفقاً لقوانينه . إنّ الثقافة أو المدنية السائدة لدى شعب ما ، هي الروح التي تحرك ذلك الشعب ، نحو الرقي والتقدم المادي والحضاري ، وبهذا فإن الثقافة هي الروح بالنسبة إلى الحضارة المادية في حين أن الحضارة المادية عبارة عن الجسم الذي يتحرك بتأثير تلك الروح ، ومن هنا كان اختلاف الحضارات فيما بينها . فالحضارة المعاصرة مثلاً هي حضارة مادية بحتة لأن القيم التي تسيّرها هي قيم مادية بحتة لا تؤمن إلاّ بالعلم الطبيعي والمادة والكسب ، في حين أن الحضارات التي بلغت شأواً عظيماً في مضمار التقدم العلمي والحضاري المصرية أو البابلية أو الإسلامية كانت حضارات روحية لأن القيم التي هيمنت عليها كانت قيماً روحية وأخلاقية وإنسانية بحتة . ولعل الحضارة الصحيحة هي الحضارة التي تقوم على أسس ثلاثة : أولاً : الدين أو الأخلاق أو المشاعر الإنسانية . ثانياً : العقل أو العلم . ثالثاً : رأس المال الذي يساعد على تنمية الحياة المادية عن طريق استغلال الثروات الدفينة في الأرض لكي تصبح حياة الإنسان أكثر بهجة » .

بعد هذا التبيان لما يفصل بين المصطلحات الثلاثة ، صار من المطلوب أن نحدد الظواهر الحضارية التي مرت بها حضارتنا وأمتنا . . .

فلقد كان للهجمة الإستعمارية الحاقدة على الأمة أبلغ الأثر في بلبلة الأوضاع الفكرية والإجتماعية والسياسية في الأمة ، وبالتالي دفع الأمة إلى نفق مظلم سُميّ بعصر الإنحطاط ، وجعلها تبتعد عن الإسلام ، فحصل الإنحدار الكبير من الناحية الحضارية ، وكان الإستعمار يكيل الضربات ، الضربة تلو الضربة ، فيصيب بها مرتكزات استمرار وبقاء المسيرة الحضارية للأمة

الإسلامية ، ولكن الإسلام بعظمته وحيويته الذاتية استطاع أن يتغلب على كل العقبات ولا يزال في كفاحه المستمر ، بعد أن أخرج إلى الوجود أول جمهورية إسلامية يقودها فقيه عادل جامع للشرائط في عالم كان قد ظن أن الإسلام قد انتهى ، وإلى الأبد ، ولكن إرادة الله شاءت أن تظهر الإسلام على المستكبرين ولو كره المشركون .

إنّ الحضارة الغربية ، ذات الأهداف الإستعمارية مسؤولة عن شقاء هذه الأمة وانقساماتها وتدهور أوضاعها وتفتّتها .

« إذ أن المشكلة أساساً مشكلة الحضارة . . . أما التكنولوجيا والتكتيك فلا يؤديان إلى المشكلة بالقدر الذي تتحكم بهما يد الحضارة التي هي اتجاهات وقيم ونظم سياسية واقتصادية وإجتماعية وصيغ أخلاقية للفرد والمجتمع معاً . أنظر مثلاً هذه الوسائل اللاسلكية التي اقتحمت كل الجدران وهتكت كل الأسرار ، كذلك الأقمار الصناعية وطائرات الإستكشاف الدائمة الدوران التي لم تجعل حرمة لأي شيء ، أَلَيْست صورة مخيفة لهذه العين الحضارية التي لا تعرف حرمة للإنسان ولا احتراماً لكرامة الآخرين . يقول الدكتور عبد الرحمن بدوي في هذا الصدد : « صحيح أنه قضي على السرية والإنفراد بالمستضعفين ولكنه في الوقت نفسه أعطى لمن يملكه ويتقنه أداة لا يمكن لأي فرد ولا جماعة الدفاع عن نفسه بإزائها ، وإلّا فماذا يفعل فرد أو جماعة محدودة أمام أجهزة اعلام هائلة التنظيم ترهقه كل يوم بتوجيهات في خط معلوم ؟ » .

ناهيك عن المأساة الإنسانية التي يعانيها الزنوج في أميركا . . . أما الجشع الإمبريالي الناهب لخيرات الشعوب ، فإنه اتخذ في أطواره الجديدة أبشع الإتجاهات الإقتصادية النفعية . . . »(٧) .

والأمة تواجه أخطاراً عدة :

١ ـ **أخطار سياسية تآمرية** : من إقامة كيانات عميلة و مشبوهة واستخدام أجهزة الإستخبارات الإسرائيلة والأميركية والإنكليزية والفرنسية وغيرها لخدمة الأهداف الإستعمارية . .

٢ ـ **أخطار ثقافية وإعلامية** : عن طريق المدارس والمناهج والإرساليات

والكتب والمجلات والإعلام والمسارح والسينماءات . . .

٣ ـ أخطار إجتماعية : نتيجة النظم والمفاهيم والتقاليد والتقليعات ومحاربة الروح الإسلامية الإجتماعية وما إلى ذلك من موديلات وغيره .

٤ ـ أخطار عسكرية : فالأساطيل الإستعمارية والجيوش الكافرة وأعوانها في الداخل كلها تعمل من أجل ضرب الإسلام والصحوة الإسلامية .

٥ ـ أخطار إقتصادية : هذه الأخطار تتفاقم في كل مكان من حصار إقتصادي ومن عقوبات دولية بسبب مواقف المستضعفين ضد الإستكبار ومنع تصريف منتجات وإتلاف محاصيل لتجويع الشعوب المستضعفة، «فأي تفكير هذا الذي يقود خبراء السوق الأوروبية المشتركة ـ مثلاً ـ للدعوة إلى إتلاف مليون و٣٠٠ ألف طن من الحليب والزبدة إلى جانب كميات من المواد الزراعية . . . بل أن أميركا سبق لها أكثر من مرة أن ألقت بكميات فائقة تقدر بملايين الأطنان من الحبوب في البحر في الوقت الذي تجوع فيه الملايين من أبناء البلاد الأفريقية والآسيوية التي تنهب خيراتها من قبل هذه الدولة الصناعية المتموّنة[٨] .

٦ ـ أخطار قيادية : إذ أن الإستعمار عمل على إيصال قيادات عميلة أو مرتبطة به إلى سدة السلطة في كثير من الأقطار الإسلامية بعد تنشئة هذا القائد أو ذاك التنشئة الإستعمارية التي تخوله أن يكون خادماً أميناً لأسياده في واشنطن أو لندن أو موسكو أو باريس . . .

كل هذا لم يستطع أن يقضي على منابع النور في الحوزات العلمية حيث كانت التعاليم والمبادىء الإسلامية تعمل عملها لتنطلق من القمقم الذي وُضِعَت فيه وكان ما نعلم من قيام الثورة الإسلامية المباركة . .

ويحدّد أحد كتابنا الإسلاميين بعض الظواهر الحضارية التي برزت أثناء فترة الإنحطاط الحضاري وسنحاول تفصيل هذه الظواهر والخصائص بطريقتنا الخاصة ، من أجل جلاء في الصورة ، وتحديد المسار الحضاري الإسلامية بشكل أوضح على المستوى الفردي والعام .

أ ـ ظاهرة الإستسلام الحضاري وقد تمظهرت بما يلي :

١ ـ مظهر الإستلاب الحضاري .

٢ ـ مظهر الإنبهار الحضاري .

٣ ـ مظهر الإنسلاخ الحضاري .

٤ ـ مظهر الإنجذاب الحضاري .

٥ ـ مظهر التقليد الحضاري .

٦ ـ مظهر التبعية الحضارية .

ب ـ ظاهرة الخوف الحضاري (في الأوساط المتدينة) من أبرز مظاهرها :

١ ـ الركود الحضاري .

٢ ـ الجمود الحضاري .

٣ ـ التقوقع الحضاري .

٤ ـ الإنعزال الحضاري .

٥ ـ الإنكماش الحضاري .

٦ ـ الضعف الحضاري .

وفي حالات الضعف الحضاري والإستسلام فإن الأفراد يتّصفون بما يلي :

١ ـ الإبتعاد عن الدين .

٢ ـ المفاهيم التبعية .

٣ ـالكسل والتواكل .

٤ ـ السطحية في التفكير .

٥ ـ التفكك الإجتماعي .

٦ ـ اليأس .

ونبدأ الآن بتفصيل هذه النقاط مع الشواهد :

أولاً : ظاهرة الإستسلام الحضاري

وقد بدت هذه الظواهر جلية عند الذين اتصلوا بالحضارة الغربية :

١ ـ إما عن طريق التعليم في بلاد الغرب أو المطالعة عنها أو السماع .
٢ ـ وأما عن طريق الزيارة .

والتأثر بدا في أوساط القيادات النصرانية ، وخصوصاً في لبنان لأن المستعمر عمل على إيجاد وضع مميز لنصارى لبنان وبالخصوص الموارنة .

وكان نتيجة كل ذلك وجود اتجاهين عند هؤلاء :

الأول : اتجاه انعزالي مستغرق في الغرب وحضارته .

الثاني : اتجاه محارب للإسلام يبشر بنهضة عربية ولكن على أساس الحضارة الغربية المادية ، فقد عملت رموز هذا الإتجاه على إنشاء تيار فكري سياسي ، جعلوا له عدة أشكال حزبية تنظيمية يدعو للإنسلاخ عن الحضارة الإسلامية .

أما الشعارات فكانت تارة شعارات قومية وأخرى إقليمية وثالثة علمانية أو مادية إلحادية .

وتجاوبت مع هذه الأصوات أصداؤها في العالم الإسلامي تصيح بمثل ما صاحت .

مظهر الإستيلاب الحضاري

وهو يعني أن الإستعمار يسلب الأمة والأفراد سيادتهم الحضارية وذلك بإبعادهم عن الإسلام ، ويوضح مالك بن نبي في كتابه الرائع « الصراع الفكري في البلاد المستعمرة » كيفية عمل الإستعمار فيرى أن « الميزات التاريخية والنفسية التي تسم الشخصيات التي تقوم بتمثيل المسرحية الإستعمارية هي عامة وشاملة للعالم الإسلامي كله » .

ففي الفصل الإفتتاحي للمسرحية الإستعمارية ، نرى أن النوم المخدّر للشعب هو الشخصية الأولى ، والشخصية الثانية هي الفكرة المتجسدة(في أشخاص وقيادات) أما الشخصية الثالثة فهي الإستعمار . ويستخدم الإستعمار وسائل القوة ، في هذا الفصل ، ليتمكن من إقصاء الفكرة المتجسدة عندما يُبْعد من يمثلها وعندما يتم له ذلك يرى أن المعركة أخذت صورة جديدة : فكرة مجردة استقرت في ضمير الشعب ، ويعمل الإستعمار لكي يتجنب الخيبة في امتصاص

القوى الواعية لكي لا تتعلق بفكرة مجردة ، فيحاول تعبئتها لحساب فكرة ما متجسدة حيث تصبح أقرب إليه منالاً ، ولأنه يمكن مقاومتها إما بوسائل القوة وإما بوسائل الإغراء ، ويستعين الإستعمار من أجل ذلك بخريطة نفسية للعالم الإسلامي ، وهذا الخريطة تُعَدّلُ كما يلزم بواسطة متخصصين يكلفون برصد الأفكار ، من أجل مواجهة الوعي في تلك البلاد ، لذلك يستخدم الإستعمار لغة الفكرة المتجسدة على مستوى المثقفين ، فيقدم للمثقفين شعارات سياسية تسد منافذ إدراكهم إزاء الفكرة المجردة ، والإستعمار يفضل استخدام لغة الدين لأنها تسد بصورة محكمة منافذ الوعي إزاء الفكرة (وهنا نذكر أنه حتى بعض ممثلي الأفكار الملحدة عندما يريدون مخاطبة الناس يخاطبونهم بلغة الدين والآيات والأحاديث . .) .

كما يستغل الإستعمار جهل الجماهير لينشيء حول الفكرة منطقة فراغ لعزلها عن المجتمع وأخيراً يستخدم سلاح المال فيكوِّن لنفسه صداقات ليشن هجمات في الوقت المناسب على بعض القطاعات من الجهة الفكرية .

« إنّ كلمة إستعمار » هي أخطر سلاح يستخدمه الإستعمار وأحكم فخ ينصبه للجماهير ، وما من خائن يدسه الإستعمار في الجبهة التي تكافح فيها الشعوب المستعمرة ، إلاّ وكلمة الإستعمار هي التي تفتح له أبواباً مغلقة في عواطف الجماهير[٩] .

هذه المخططات الإستعمارية نجحت إلى حد كبير في سلب الشخصية الأصيلة للأفراد والأمة واستبدلت بشخصيات ضعيفة مهزوزة ظالمة .

أما التبعية الكاملة في مجال التكنولوجيا والثقافة والإعلام فتبرز فيما يأتي :

ففي مجال التكنولوجيا هناك اعتماد كلي في كثير من الأحيان أو جزئي على التكنولوجيا الغربية .

وقد حصرت لجنة (ماكبرايد) الآثار الضارة المترتبة على نقل التكنولوجيا الغربية إلى الدول النامية في ما يلي :

١ ـ إن تصدير التكنولوجيا الغربية التي تعكس الظروف والممارسات الإقتصادية والإجتماعية لجزء واحد من أجزاء العالم فحسب ، يوحي بتجاهل واقع

واحتياجات شعوب العالم الثالث التي تستورد هذه التكنولوجيا وتعتمد عليها وتعتمد على كثافة رأس المال أكثر من اعتمادها على كثافة العمل والإنتاج .

٢ ـ تختلق تبعية لرأس المال الأجنبي ولمصادر الإنتاج الأجنبية وللأوراق والتوقعات الأجنبية .

٣ ـ تشرف على تصدير التكنولوجيا وتوزيعها الشركات المتعددة الجنسية التي تواصل سيطرتها على الدول النامية من خلال هذه التكنولوجيا .

٤ ـ لا يستفيد من التكنولوجيا الغربية سوى جماعات نخبة وخصوصاً في الصحف والتلفزيون والإذاعة أكثر مما يفيد القطاعات الشعبية العريضة .

٥ ـ لم يسهم نقل التكنولوجيا في الإكتفاء الذاتي أو في تدعيم التعاون بين الدول النامية .

٦ ـ تساعد التكنولوجيا الغربية على هجرة السكان من الريف إلى المدن في دول العالم الثالث . أما في مقام التبعية الثقافية ، فإن القانون التجاري الذي يحكم عملية التبادل الثقافي غير المتكافىء هو القانون التجاري الذي يعامل الثقافة كسلعة ، وتقوم الشركات المتعددة الجنسية بالدور الرئيسي في نقل المنتجات الثقافية والكتب والأفلام والمواد التعليمية وتحرص من خلال ذلك على فرض الأذواق الإجتماعية الثقافية الأجنبية على شعوب العالم مستهدفة خلق نمط ثقافي عالمي واحد من حيث الذوق والأسلوب والمضمون ، ومع ذلك فإن هذه الشركات لا يمكن أن تتحمل المسؤولية بمفردها في مجال الغزو الثقافي، إذ أنه ليس بوسعها أن تمارس نفوذها ما لم تكن الصفوة السياسية والثقافية في الدول النامية على استعداد لمعاونتها واقتسام الفوائد معها .

ويقول الإمام الخميني قدس سره في هذا الصدد :

« إنّ الثقافة التي رسم خطوطها الأجانب وأملوها على شعبنا المستضعف ، هي ثقافة استعمارية . . . وهي أخطر من سلاح الجبابرة . . لأنها تقدم إلى الوطن شباباً يملكون قابلية الإستعمار » .

وفي مجال التبعية الإعلامية ، فقد قيل بأنه لا يحق لدولة أن تدّعي أنها مستقلة إذا كانت وسائلها الإعلامية تحت سيطرة أجنبية ، وتشير الخريطة

الإعلامية الراهنة للعالم أن التفاوت في السلطة والثراء بين شمال العالم وجنوبه كان له انعكاساته السلبية المباشرة على البنى الإعلامية والتدفق الإعلامي مما أدى إلى خلق أشكال متباينة من عدم المساواة والإختلال والتفاوت الإعلامي . . . وإذا كانت أسباب هذا التفاوت ترجع إلى فترة السيطرة الإستعمارية التي مارستها الدول الغربية ضد شعوب العالم الثالث ، فإنّ التدفق الحر للأنباء الذي أرست مبادئه الولايات المتحدة الأميركية ساعد على ترسيخ الصور العديدة للتبعية الإعلامية والثقافية(١٠) .

حالة الإنبهار الحضاري

مظاهرها : فقدان الثقة بالأمة .

١ ـ اليأس من أوضاع البلاد والتطلع إلى الحضارة المادية .

٢ ـ الإنبهار بطراز الحياة الغربية ، وبطريقة التفكير ، وتمني العيش في ظل تلك الحضارة .

وهذا يعود إلي :

١ ـ الجهل بالإسلام .

٢ ـ تدني الوعي الإجتماعي .

٣ ـ الفراغ النفسي وفقدان التماسك الداخلي وقلق الشخصية وعدم توازنها .

٤ ـ ضعف الشعور بالمسؤولية .

٥ ـ فقدان عنصر الصبر الإيجابي والصمود الثوري وروح المقاومة .

٦ ـ اليأس من التغيير والإصلاح وهذا يعود إلى :

أ ـ حالة نفسية متشائمة قلقة تعكس هذه الأحاسيس على المواقف الإجتماعية والعقائدية .

ب ـ الجهل بسنن التاريخ وعوامل التأثير فيه القاضية بأن دولة الباطل ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة ، وأن الله تعالى يقول من أجل غرس الثقة بالنصر الإلهي في النفوس : « وأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » .

ج ـ الإحساس بالرهبة من تفوق الأعداء[11] وينسى هؤلاء قول الله تعالى :
﴿ لا يغـرنّك تقلّب الـذين كفروا في البـلاد متاع قليـل ثم مـأواهم جهنم وبئس المهاد ﴾[1] .

حالة الإنسلاخ الحضارية

وهي المحاولة الهادفة إلى قطع صلة المسلمين بإسلامهم ومحاولة هـدم القيم والعادات والثقافة والأعراف والإستعاضة عنها بما عند الغرب . . .

ومن أجل ذلك كان أتاتورك في تركيا ، وشاه ايران السيء الذكـر ، وسعيد عقل وأمثاله في لبنان وهكـذا ، وخير من عـبّر عن هذه الحـالة الإنسـلاخية مؤتمـر الطلبة الشرقيين الذي عقد عام ١٩٣٢ بمصر وكان مما جاء في إحدى كلمات المؤتمـر ما يلي : « . . . أضلّ الشرقيون أنفسهم ، فـإذا هم أجساد تنبض بقلوب الغرب وتفكّر بعقوله ، وإذا هم مستسلمون لكل ما تـطلع به أوروبـا ، منقادون لكـل ما تأمر به ، متهافتـون على كـل ما اتصـل بها ، ثم إذا هم أذلاء مقلدون ، يحقّـرون أنفسهم وآباءهم وميراث حضارتهم وتاريخهم إلّا أن تعظّم أوروبا أباً من آبائهم أو تعجب بمأثرة من مـآثرهم فيقتـدون بها . . . والخـلاصة أن الشرقيـين يتلقون عن الغربيين أفكـارهم وعقائـدهم ، كما يـأخذون منهم منسـوجات القـطن والصوف ومصنوعات الحديد والنحاس وأصناف الأحـذية . . . وكـأنهم أوانٍ شرقية تملؤهـا أوروبـا بما تشـاء من حلو ومر وجيـد ورديء . . . ذلكم حالنـا اليوم ومـوقفنا من أوروبـا وذلكم شر حال وأسـوأ مـوقف ، فـما وراء هـذه الأدواء إن أردنـا لأنفسنـا السـلامة والعـافية ؟ أول عنصر في هـذا الدواء أن نجـد أنفسنا بعـد أن فقدنـاهـا وضللنا عنها .

أعني نعدّ أنفسنا أناساً أحياء مفكرين . لهم حقوق في هذه الحياة وعليهم واجبات ، يربؤن أن يسخّروا لغيرهم فإذا أحسسنا في أنفسنا كرامة الإنسان وأنفـة الحـر ، فكّرنـا فعرفنـا الذي نأخـذ من أوروبا والـذي نـدع ، والـذي نستحسن لأنفسنا والذي نستقبـح ، ونقدنـا فقلنا هـذا حلال ، وهـذا حرام ، وهـذا طيّب

---

[1] سورة آل عمران : الآية ١٩٦ ـ ١٩٧ .

وهذا خبيث ، ثم رجعنا إلى تراث آبائنا نحفظ منه كل مفخرة ، ونعتز فيه بكل مأثرة ، وخططنا لأنفسنا في معترك الحياة خطة من عمل عقولنا وأيدينا ووحي تاريخنا وآدابنا ، تصل ماضينا وحاضرنا بالمستقبل الذي هو أشبه بنا وبأخلاقنا ، إذا أحسنّا التفكير عرفنا فرق ما بين الصناعات والأخلاق والعادات ، ولم يلتبس علينا ما نأخذ من أوروبا من العلوم الطبيعية ونتائجها وما نجتنب من أخلاقها وآدابها ، فإنه لا فرق بين الحساب والهندسة والكيمياء في الشرق والغرب ولكن شتان ما بينهما في العقائد والخلق وسنن الإجتماع .

فإنّ لكل أمة من أخلاقها وآدابها ثوباً حاكته القرون وعملت فيه الأجيال فليس يصلح لغيرها ولا يصلح لها غيره[١٢] .

حالة الإنجذاب الحضاري

المتلبسون بهذه الحالة معجبون إعجاباً كبيراً بالحضارة الغربية ولكن لا يؤثر ذلك على ارتباطاتهم النفسية والاجتماعية في بلادهم وهؤلاء هم جمهرة المثقفين . . .

ويهتم هؤلاء بتحسين أوضاع البلاد باقتباسات معينة من الحضارة الغربية[١٣] .

وهاكم مثالاً على ذلك ، يتمثل فيما يرويه أحد كتابنا عن نفسه في رحلته من الشك إلى الإيمان يقول : « كان ذلك في زمن بعيد لست أذكره ، ربما كنت أدرج من الثالثة عشرة إلى الرابعة عشرة وربما قبل ذلك في مطالع المراهقة حينما بدأت أتساءل في تمرّد :

تقولون ان الله خلق الدنيا لأنه لا بد لكل مخلوق من خالق ، ولا بد لكل صنعة من صانع ، ولا بد لكل وجود من مُوجد ، صدّقنا وآمنا فلتقولوا لي إذن من خلق الله ؟ أم أنه جاء بذاته ؟ ، فإذا كان قد جاء بذاته وصح في تصوركم أن يتم هذا الأمر ، فلماذا لا يصحّ في تصوركم أن الدنيا جاءت بذاتها بلا خالق ، وينتهي الإشكال ؟ .

كنت أقول هذا فتصفّر من حولي الوجوه ، وتنطلق الألسن تمطرني باللعنات

وتتسابق إليّ الكلمات عن يمين وشمال ، ويستغفر لي أصحاب القلوب التقية ويطلبون لي الهدى ، ويتبرأ مني المتزمتون ويجتمع حولي المتمردون فنغرق معاً في جدل لا ينتهي إلّا ليبدأ ولا يبدأ إلّا ليسترسل .

وتغيب عني في تلك الأيام الحقيقة الأولى وراء ذلك الجدل . إنّ زهوي بعقلي وإعجابي بموهبة الكلام ومقارعة الحجج كان هو الحافز دائماً وليس البحث عن الحقيقة وقد رفضت عبادة الله لأني استغرفت في عبادة نفسي ، وأعجبت بومضة النور ، التي بدأت تومض في فكري ، مع انفتاح الوعي ، وبداية الصحو من مهد الطفولة ، كانت هذه هي الحالة النفسية وراء المشهد الجدلي الذي يتكرر كل يوم ، وغابت عني أيضاً أصول المنطق وأنا أعالج المنطق ، ولم أدرك أني أتناقض مع نفسي إذا اعترف بالخالق ثم أقول ومن خلق الخالق ؟ فاجعل منه مخلوقاً في الوقت الذي أسميه فيه خالقاً ، وهي السفسطة بعينها ثم ان القول بسبب أول للوجود يقتضي أن يكون هذا السبب واجب الوجود في ذاته ، وليس معتمداً ولا محتاجاً لغيره كي يوجد . وأما أن يكون السبب في حاجة إلى سبب فإن هذا يجعله واحدة من حلقات السببية ولا يجعل منه سبباً أول هذه هي أبعاد القضية الفلسفية التي انتهت بأرسطو إلى القول بالسبب الأول والمحرك الأول للوجود . لم تكن هذه الأبعاد واضحة في ذهني في ذلك الحين ولم أكن قد عرفت بعد ، من هو أرسطو ولا ما هي القوانين الأولى للمنطق والجدل ، واحتاج الأمر إلى ثلاثين سنة من الغرق في الكتب وآلاف الليالي من الخلوة والتأمل والحوار مع النفس وإعادة النظر ثم إعادة النظر في إعادة النظر ، ثم تقليب الفكر على كل وجهة لأقطع الطريق الشائكة من الله من الإنسان (١٩٥٥) إلى لغز الحياة (١٩٦٧) إلى لغز الموت (١٩٥٩) إلى ما أكتب اليوم كلمات على درب اليقين .

ويتابع الكاتب الحديث عن رحلته من الشك إلى الإيمان فيقول : « لم يكن أمراً سهلاً لأني لم أشأ أن آخذ الأمر مأخذاً سهلاً ولو أني أصغيت إلى صوت الفطرة وتركت البداهة تقودني لأعفيت نفسي من عناء الجدل ولقادتني الفطرة إلى الله ، ولكني جئت في زمن تعقّد فيه كل شيء وضعف صوت الفطرة حتى صار همساً وارتفع صوت العقل حتى صار لجاجة وغروراً واعتداداً ، والعقل معذور في إسرافه إذ يرى نفسه واقفاً على هرم هائل من المنجزات وإذ يرى نفسه مانحاً

للحضارة وتصور نفسه القادر على كل شيء وزجّ بنفسه في كل شيء وأقام نفسه حكماً على ما يعلم وما لا يعلم وغرقت في مكتبة البلدية (بطنطا) ، وأنا صبي أقرأ لشبلي شميل وسلامة موسى وأتعرف على فرويد ودارون ، وشغفت بالكيمياء والطبيعة والبيولوجيا وكان لي معمل صغير في غرفتي أحضر فيه غاز ثاني أوكسيد الكربون وثاني أوكسيد الكبريت ، وأقتل الصراصير بالكلور وأشرّح فيه الضفادع وكانت الصيحة التي غمرت العالم هي العلم ، العلم ولا شيء غير العلم . النظرة الموضوعية هي الطريق لنرفض الغيبيات ولنكف عن إطلاق البخور وترديد الخرافات .

من يعطينا دبابات وطائرات ويأخذ منا الأديان والعبادات وكان ما يصلنا من أنباء العالم الغربي باهراً يخطف أبصارنا وكنا نأخذ عن الغرب كل شيء ، وحول أبطال الغرب وعبقرياته كنا ننسج أحلامنا ومثلنا العليا حول باستير وماركوني ورنتجن وأديسون ، وحول نابليون وإبراهام لنكولن وكريستوفر كولومبوس ومجلان . وكان طبيعياً أن نتصور أن كل ما يأتينا من الغرب هو النور والحق . وهو السبيل إلى القوة والخلاص . ودخلت كلية الطبّ لأتلقى العلوم بلغة إنكليزية وأدرس التشريح في مراجع إنجليزية وأتكلم مع أساتذتي باللغة الإنكليزية ، ليس لأن إنجلترا كانت تحتل القنال لكن لسبب آخر مشروع وعادل هو أن علم الطب الحديث كان صناعة غربية تماماً ، وما بدأه العرب في هذه العلوم أيام ابن سينا كان مجرد أوليات لا تفي بحاجات العصر ، وتعلمت مع ما تعلمت في كتب الطب النظرة العلمية ، وأنه لا يصح إقامة حكم بدون حيثيات من الواقع وشواهد من الحس وما لا يقع تحت الحس فهو في النظرة العلمية (كما كان يُتوهَم) هو غير موجود . وأن الغيب لا حساب له في الحكم العلمي . وبهذا العقل العلمي المادي البحت ، بدأت رحلة في عالم العقيدة ، وبالرغم من هذه الأرضية المادية وهذا الإنطلاق من المحسوسات الذي ينكر كل ما هو غيب فإني لم أستطع أن أنفي وأستبعد القوة الإلهية ، وفي هذه المرحلة تصورت أن الله هو الطاقة الباطنة في الكون التي تنظمه في منظومات جميلة من أحياء وجمادات وأراض وسماوات . . .

(و) جعلت من الوجود حدثاً قديماً أبدياً أزلياً ممتداً في الزمان لا حدود له ولا نهاية ، وأصبح الله في هذه النظرة هو الكلِ ونحن تجلياته . الله هو الوجود والعدم

قبله معدوم . هو الوجود المادي الممتد أزلاً بلا بدءٍ وبلا نهاية ، دون حاجة إلى افتراض الغيب والمغيبات ، دون حاجة إلى التماس اللامنظور . . وبذلك وقعت في أسر فكرة وحدة الوجود الهندية ، وفلسفة سبينوزا وفكرة بركسون عن الطاقة الباطنة الخلّاقة ، ولكنها فلسفات تبدأ من الأرض ، من الحواس الخمس ولا تعترف بالمغيبات ووحدة الوجود الهندية تمضي إلى أكثر من ذلك فتلغي الثنائية بين المخلوق والخالق فكل المخلوقات في نظرها تجليات الخالق . وفي سفر اليوبانيشاد صلاة هندية قديمة تشرح هذا المعنى في أبيات رقيقة من الشعر ، إن الإله براهما الذي يسكن قلب العالم يتحدث في همس قائلاً : إذا ظن القاتل أنه قاتل والمقتول أنه قتيل فليسا يدريان ما خفي من أساليبي . . . » .

إنه إله يشبه النور الأبيض ، واحد ، بسيط ولكنه يحتوي في داخله على ألوان الطين السبعة وعشت سنوات في هذا الضباب الهندي ، وهذا (الماريجوانا) الصوفية ومارست اليوجا وقرأتها في أصولها وتلقيت تعاليمها على أيدي أساتذة هنود ، وسيطرت عليّ فكرة التناسخ مدة طويلة ، وظهرت في روايات لي مثل : « العنكبوت » (١٩٦٥) والخروج من التابوت (١٩٦٥) ثم بدأت أفيق على حالة من عدم الرضى وعدم الإقتناع . واعترفت بيني وبين نفسي أن هذه الفكرة عن الله فيها الكثير من الخلط . ومرة أخرى كان العلم هو دليلي ومنقذي مرشدي .

عكوفي على العلم وعلى الشريحة الحية تحت الميكروسكوب قال لي شيئاً آخر .

وحدة الوجود الهندية كانت عبارة شعرية صوفية ولكنها غير صادقة . والحقيقة المؤكدة التي يقولها العلم أن هناك وحدة في الخامسة لا أكثر ، وحدة في النسيج والسنن الأولية التي يبنى منها كل شيء . . . وهذا سر الشعور بالنسب ، وصلة الرحم بين الإنسان والحيوان وبين الوحش ومروّضه . وبين العين ومنظر الغروب الجميل إن كل الوجود أفراد أسرة واحدة من أب واحد وهو أمر لا يستتبع أبداً أن نقول أن الله هو الوجود وأن الخالق هو المخلوق ، فهذا خلط صوفي غير وارد . .

فالوحدة بين الموجودات تعني وحدة خالقها ولكنها لا تعني أبداً أن هذه

الموجودات هي ذاتها الخالق . . إنّ هـذا الخالق هـو عقل كـلي شامـل ومحيط يلهم مخلوقاته ويهديها في رحلة تطورها ويسلّحها بوسائل البقاء ، وهو خالق متعال عـلى مخلوقاته يعلم ما لا تعلم ويقدر على ما لا تقـدر ، فهو واحـد أحد قـادر عالم محيط بصـير خبير ، وهـو متعال يعـطي الصفات ولا تحيط بـه الصفات ، والصلة دائـماً معقودة بين هذا الخالق ومخلوقاته، فهو أقرب إليها من دمها الـذي يجري فيهـا . . . وهو العادل الذي أحكم قوانينها وأقامها على نواميس دقيقة لا تخطيء وهكذا قـدّم لي العلم الفكرة الكاملة عن الله .

إنّ العالم الحق لم يكن أبداً مناقضاً للدين بل إنه دال عليه مؤكّد لمعناه والذي لا يرفض الحاية ولا يرفض الفعل »[١٤] .

مما سبق نستطيع أن نقرأ ما تفعله حالة الإنجذاب الحضـاري إلى درجة أنها تفعـل فعلها في قلب الحقـائق بحيث ينجرّ المنجـذبون في أكـثر الأحيان إلى نسيـان البديهيات والتبني الكامل للأفكار الشائعة والعـادات الدارجـة والدفـاع عنها دون الإستناد إلى أي دليل علمي أو معرفة أو حجة وهذا معنى الإنجذاب الحضاري .

حالة التقليد الحضاري

وذلك على المستوى الفردي فيما يخص المظاهر الحياتية .

ومـثـال ذلـك أن النـاس يـركـضـون وراء المـوديـلات في المـلابس والصرعات . . .

ويتأثرون بما يشاهدون في السينما والتلفزيون والمجـلات فيقوم هؤلاء بـأدوار تمثيلية كما قيل عنهم .

التفـاهة الحضـارية

حالة الإتباع السياسي الحضاري

ويمثلها السياسيون والإعلاميون ومؤسسو الأحـزاب المتبعة للفكـر الغربي أو الشرقي الأوروبي لذلك فإن قادتهم وأعلام الفكر الغربي هم المثال الأعـلى عندهم أمثـال نتشيه وجـان بول سـارتر ومـاركس ولينـين . . . وهؤلاء يستنسخـون فكـر

الغرب إستنساخاً دونما تحوير أو تغيير ، إلا في النادر القليل . . .

ظاهرة الخوف الحضاري في الأوساط المتدينة

أنّ ظاهرة الإستسلام الحضاري لم تشمل جميع قطاعات الأمة ، فقد ظهرت تيارات وتجمعات وفئات رافضة للغزو إلّا أن ميزان القوى لم يكن متكافئاً فانتصر الغزاة وقضوا على جيوب المقاومة والرفض . وقد سرى في الأوساط المتدينة ظاهرة الخوف الحضاري وبرزت الحالات التالية :

حالة الركود الحضاري

لقد كانت مهمة الذين يمثلون هذه الحالة ، المحافظة على ما بأيديهم بحالة ركودية دون أية مواجهة للزحف الإستعماري الحضاري الهادف إلى تحطيم كل عوامل التماسك في الأمة .

حالة الجمود الحضاري (على مستوى الأفراد)

إنّ الأفراد في حالة الجمود هذه لا يؤثرون في الأحداث بل يتأثرون ولا يفعلون بل ينفعلون ، كما أنهم يتخوفون ويتهيبون من أي عمل بسبب اليأس المحيط بفكرهم ونفوسهم .

حالة التقوقع الحضاري (على المستوى الإجتماعي)

وقد عبرت هذه الحالة عن نفسها بجملة أطر وأغلفة فكرية تقي هذه التجمعات من الحركات السياسية والإجتماعية الغازية وهؤلاء هدفهم الحفاظ على وضعهم دون التأثير أو التأثر بأحد .

وتمثل كل ذلك في الحركات الصوفية ، وبعض الحركات الساذجة في العالم الإسلامي

حالة الإنعزال الحضاري (على مستوى الأفراد)

فيحاول الفرد أن يعزل نفسه عما يجري حوله بأن ينصرف نفسياً وفكرياً عن الأحداث بقدر ما يستطيع .

حالة الإنكماش الحضاري

وهي حالة إجتماعية يتراجع فيها الأفراد عن مواقعهم أمام الزحف الحضاري الغازي . ويتمسك هؤلاء بما تبقى عندهم من مفاهيم وقيم وهذه الحالة تتمثل بالفئات الدينية المرتبطة بالسلطات العميلة والحكام العملاء . . . وهؤلاء يبررون سلوكهم بما يتلائم مع الظروف ، فهم كما قال علي (ع) : « يميلون مع كل ريح ويتبعون كل ناعق » وذلك حفاظاً على المكاسب التي توفرها السلطات العميلة (مادية ومناصبية . . .) .

حالة الضعف الحضاري

هي حالة ضياعية ، المسلمون فيها يكونون غير قادرين على تصور أوضاع حضارية غير الأوضاع المعاشة . فمثلاً في لبنان البعض يظن أنه ليس بالإمكان أفضل مما كان ، فالنظام اللبناني لا يجوز تغييره والطائفية السياسية لا بأس بها برأيهم ، وهيمنة المارونية السياسية قدر إلهي يجب الرضوخ له . . .

« فلبنان بحدوده الدولية ، كما يرى هؤلاء هو الوطن الأبدي ، الذي لا يصلحه ولا يصلح له إلّا النظام الديمقراطي البرلماني ، والنظام الإقتصادي الحر » . إلى ما هنالك من مقولات إنهزامية . . .

وينطبق هذا على الأوضاع الإجتماعية ، كما ينطبق على الأوضاع السياسية ، فبعض المنهزمين الضعفاء لا يرون أنه يجب التفكير بأي تغيير على مستوى الحياة الإجتماعية ، فما أتانا من باريس أو موسكو أو نيويورك يجب أن يستمر ويبقى (كالعادات والتقاليد والعلاقات . . .) .

أما الصفات الأساسية التي يتصف بها الأفراد في حالات الإستسلام والضعف الحضاري فهي كل الصفات المعيقة للنهوض والتحرك .

١ ـ الإبتعاد عن الدين .
٢ ـ المفاهيم التبعية .
٣ ـ الكسل والتواكل .
٤ ـ السطحية في التفكير .
٥ ـ التفكك الإجتماعي .
٦ ـ اليأس ، وقد ألمحنا إلى ذلك فيما قد سبق .

ظاهرة المقاومة الحضارية

في ظل حالة الإنحطاط الحضاري الذي أصاب المجتمع الإسلامي عامة على جميع المستويات :

١ ـ على مستوى القيادات الفكرية والإجتماعية والسياسية .
٢ ـ على مستوى الفكر والعمل .
٣ ـ على مستوى التربية والتعليم .
٤ ـ على مستوى الإقتصاد والإنتاج .
٥ ـ على مستوى السياسة الداخلية والخارجية .

. . . في ظل هذه الحالة الإنحطاطية برزت بعض القيادات ذات الأهداف الإصلاحية ، كالسيد جمال الدين الأفغاني ، وآخرين على شكل فردي أو تجمعات معينة .

وهؤلاء برزوا في بيئة الخوف الحضاري وكان عند هؤلاء ما يدفعهم إلى رفض الإستسلام للأوضاع ، لأن الأمة لا تفقد حيويتها كلية . وكان لهذه الأعمال الإصلاحية دور كبير في عملية الإنتقال من ظاهرة الخوف الحضاري إلى ظاهرة المقاومة الحضارية ، ومن أبرز الصفات التي يتصف بها أفراد المقاومة الحضارية ما يلي :

١ ـ الإسلامية ٢ ـ الإصلاحية ٣ ـ النشاطات الفردية ٤ ـ الجزئية ٥ ـ ردود الفعل .

وبعض أوساط هذه المقاومة يتصف :

١ ـ بالغموض ٢ ـ والذيلية ٣ ـ والنقاش النظري ٤ ـ والإشكالات ٥ ـ والأعمال الشكلية .

١ ـ الصفة الإسلامية للمقاومين في المقاومة الحضارية

أي اتخاذ المنهج الإسلامي بأسسه وتفصيلاته ، منهجاً للمقاومة على المستوى الحضاري ، ويبرز ذلك من خلال الأبحاث والمؤلفات والأعلام ، وقد بلور هؤلاء الكثير من الأفكار الإسلامية . أما السبب في إطلاق الصفة الإسلامية على هؤلاء فهو أن غير الإسلاميين هم جزء من حالة الإستسلام الحضاري ، ومن دعاة هذا الإستسلام وروّاده عن حسن نية أو عن سوء نية وبشكل واع أو غير واع .

صفة الإصلاح

إصلاح الأوضاع هدف عند المقاومين الحضاريين ، والثغرة الأساسية هي غلبة الإصلاح الجزئي على تفكيرهم ، فيشغلهم جانب واحد عن التفكير بالجوانب الأخرى لأسباب عديدة :

١ ـ أما لأنهم يعتقدون أن إصلاح هذا الوضع مفتاح لإصلاح الأوضاع الأخرى .

٢ ـ أو لأن البيئة التي يعيشون فيها لا تشيع إلّا هذا النوع من الإصلاح .

٣ ـ أو لأن إمكاناتهم الفعلية متواضعة فيعملون ضمنها .

٤ ـ أو لأن الإصلاح الشامل يغلب على تفكيرهم .

صفة الفردية

عادة يتمحور العمل حول الفرد والمصلح ، وتكون العلاقة بين المصلح والجماعة علاقة التابع والمتبوع ، وهذه من جملة الثغرات أيضاً .

أما العلاقة مع الناس ، والجماعة الملتفة حول المصلح فتكون علاقة تعصّب

وتشنج تسودها الآفاق الضيقة وتحملها الصدور التي لا تتسع لأي أخذ وعطاء أو حوار أو نقاش أو تبادل آراء .

وهذا يمكن أن نراه في أكثر التنظيمات والتجمعات ، خصوصاً السياسية منها والإجتماعية (العائلية والقبلية العشيرية) .

فيتحول المصلح أو الرئيس أو الزعيم إلى صنم من لحم ودم ، ويتحول الأتباع إلى قطيع يقوده هذا الشخص دون وعي أو دراية .

الصفـة الجزئيـة

وهذا من مصائب العمل السياسي والإجتماعي في بلادنا .

إنّ النظرة الجزئية ترى فقط جوانب أو جانباً محدداً من مشاكل وإمكانات المجتمع الإسلامي . وهذا النظرة تكون مقيدة بعصبيات : مذهبية أو عرقية أو أقليمية أو عصبيات فردية أو قبلية أو حزبية .

ـ أو تكون متأثرة بفعل أو عدة أفعال من ممارسات الإستعمار أو عملاء الإستعمار السياسيين أو الفكريين .

ـ أو تكون منشغلة بقضية واحدة أو أكثر من قضايا المجتمع المغلقة : كالعقيدة أو القيم ، أو العادات الخ . . . والإنشغال الجزئي يؤدي إلى أعمال جزئية وترك الإهتمامات الأخرى .

الصفـة الذيليـة

قسم كبير من المدافعين عن الحضارة الإسلامية ، ومن السائرين في ركابهم لا يملكون ذهنية واسعة قادرة على استيعاب المشاكل المعقدة في العالم الإسلامي .

فيتأثرون ببعض الأعمال والأفكار التي :

ـ تكتسب شهرة أو تكون مقبولة في مجتمعهم .

ـ وتتصف أعماله بالذيلية فيقلدون غيرهم من العاملين بالسيء والحسن وليس لهم شخصية مستقلة .

ـ أو تكون الذيلية تقليلداً لعمل أو فكر تنظيمي في نفس المجتمع الذي يعيشون فيه .

ـ أو تكون تقليداً لعمل أو فكر صادر عن الحضارة الغازية (شرقية أو غربية) فيقعون في شراك الإستعمار .

صفة الغموض

يحتاج العاملون للإسلام إلى الوضوح واستيضاح لكثير من المسائل والتعقيدات الإجتماعية والسياسية ، وفي كثير من الحالات فإن القيادات المحلية قد لا تستوعب الواقع المعاش فيحصل الغموض عند العاملين ، وعندما تكثر الأمور الغامضة تتحول الجماعة العاملة إلى عقدة في المجتمع فيحصل أحد أمرين :

١ ـ في حال انتشار الوعي السياسي والإجتماعي إما أن يلجأ إلى الوضوح من كان يلجأ إلى الغموض فيحصل بذلك حالة ارتباك وتساؤلات . . .

٢ ـ وإمّا أن ينسحب هذا العامل من مجالات العمل ويتوارى إلى حيث يشعر بالراحة والإطمئنان .

ردود الفعل

الغزو الحضاري عادة هو الذي يفعل ، وردُّ الفعل يكون من قبل المقاومين . ثم يتحول رد الفعل إلى عادة عند المقاومين تسري في أوساط العاملين في الحقل العام . وخير عادة أن لا تتعوّد عادة . . . وذلك بأن يخطّط العاملون للهجوم الحضاري بدل رد الفعل الحضاري . وعادة يكون الحس السياسي والإجتماعي عند هؤلاء بليداً فلا أبداع ، ولا تحسس للأمور إلا عند ظهورها بجلاء ، وهنا :

ـ إمّا أن يقوم بتقليدها بطريقة ذيلية .

ـ أو يعملون ما يخالفها بنفس النسق فيكون عملهم رد فعل معاكس . . .

صفة التردد عند العاملين

وهـذه صفة تـلازم الذين دخلوا محيط العمـل الإسـلامي بقصـد الحصـول على : الشهرة أو المنصب أو المكاسب المعنوية أو المادية .

أو الـذين دخلوه بتأثـير الصداقـات ، أو الذين ورثـوا مجـالات العمـل عن آبـائهم وما إلى ذلـك فهؤلاء يعيشون حـالات التردد فيقـدمون رِجـلاً ويـأخـرون الثانية . .

النقـاش النـظري

إن أحـد ركائـز العمل المقـاوم للحضارة الغـازيـة في المجـالات السيـاسيـة والإجتـماعية هـو الفكر العمـلي . فنحن مبتلون بالفكـر النـظري دائـماً ، والفكـر العمـلي هو الفكـر المناسب للتـطبيق على الـواقع ، وهـو لا بد أن ينبثق من إدراك الـواقع ، ومن الأمـور المساعـدة على الإدراك للواقـع : كالتشـاور في الأمور قـال تعالى : ﴿ **وأمرهم شورى بينهم** ﴾ .

وفي الحديث : « من استبد برأيه هلك » .

ويستتبع النقاش النظري :

الإشكـالات النظـريـة

على الأمور العملية ومعلوم أن الإشكالات الموضوعية تغني العمل وتنميه ، أما الإشكالات النـظرية غـير الموضـوعية فـإنها تعيقه ، وتـزيد من الصعـوبات في وجهه .

الأعمـــال الشكليـــة

وهي التي تهتم بـالشكل وتهمـل المضمون وهي عـادة تتركـز حول الأعـمال الإستعـراضية المفـرغة من المضمـون الحقيقي للعمل والتي تجعـل العـامـل يؤخـذ بـالمظهـر الخارجي ، وينسى حقيقـة الأمـور ويقـوم عـادة بهـذه الأعـمال الشكلية الأصناف التالية :

١ ـ أصحاب الإتجاه الفردي في العمل ٢ ـ الأنانيون ٣ ـ والذين يعملون لمصلحتهم الشخصية على حساب الإسلام ٤ ـ أصحاب النفس القصير في العمل الذين يريدون الوصول إلى النتائج الظاهرية بسرعة ٥ ـ كما يستخدم هذه الأساليب الإصلاحيون من القادة ذوو الآفاق السياسية والإجتماعية الواسعة من أجل الدعاية والشهرة لبعض مشاريعهم وأعمالهم في البيئة التي تهتم بالشكل أكثر من المضمون (كبيئتنا نحن) .

هذه أهم معالم الوضع السلبي الذي تعيشه الأمة أمام الغزو الحضاري ومعرفة السلبيات ضرورة للتوجّه نحو الإيجابيات . .

والآن ما هي الركائز الحضارية للثورة الإسلامية ، التي تشكل النموذج الحضاري الذي يشيع روحاً حضارية كبرى ، تجعل الآخرين يشعرون تجاهه بعقدة النقص ، دون أن نشعر نحن بعقدةالتفوق ، وتجعلهم يقتبسون من أنوار حضارتنا وثورتنا ، كما حصل في أزمان مشرقة مرت على الأمة الإسلامية . . هذا الذي نطرحه يحتاج إلى بحث منفصل ومعمّق ، بحيث تشكّل ثورة الإسلام في إيران الصورة الواقعية المتحركة للفعل الثوري والحضاري الإسلامي .



المراجــع

(١) المعجم الأدبي/ جبور عبد النور/ص ٩٤ .

(٢) بين الحضارة والمدنية وأزمة العالم اليوم/ علي القريشي/ص ٦ .

(٣) نفسه ص ٨ وما بعدها .

(٤) نفسه حاشية ١ ص ١٨ .

(٥) راجع التربية الإسلامية/فتحي الدريني/ ص ٢٠پ .

(٦) راجع لماذا السقوط الحضاري/ مؤسسة البلاغ/ ص ١٣ ـ ١٤ .

(٧) بين الحضارة والمدينة ص ٣٨ .

(٨) نفسه ص ٣٩ .

(٩) الصراع الفكري في البلاد المستعمرة/مالك بن نبي ص ١٩ وما بعدها .

(١٠) راجع قضايا التبعية الإعلامية والثقافية في العالم الثالث ص ٦١ وما بعدها/عالم المعرفة .

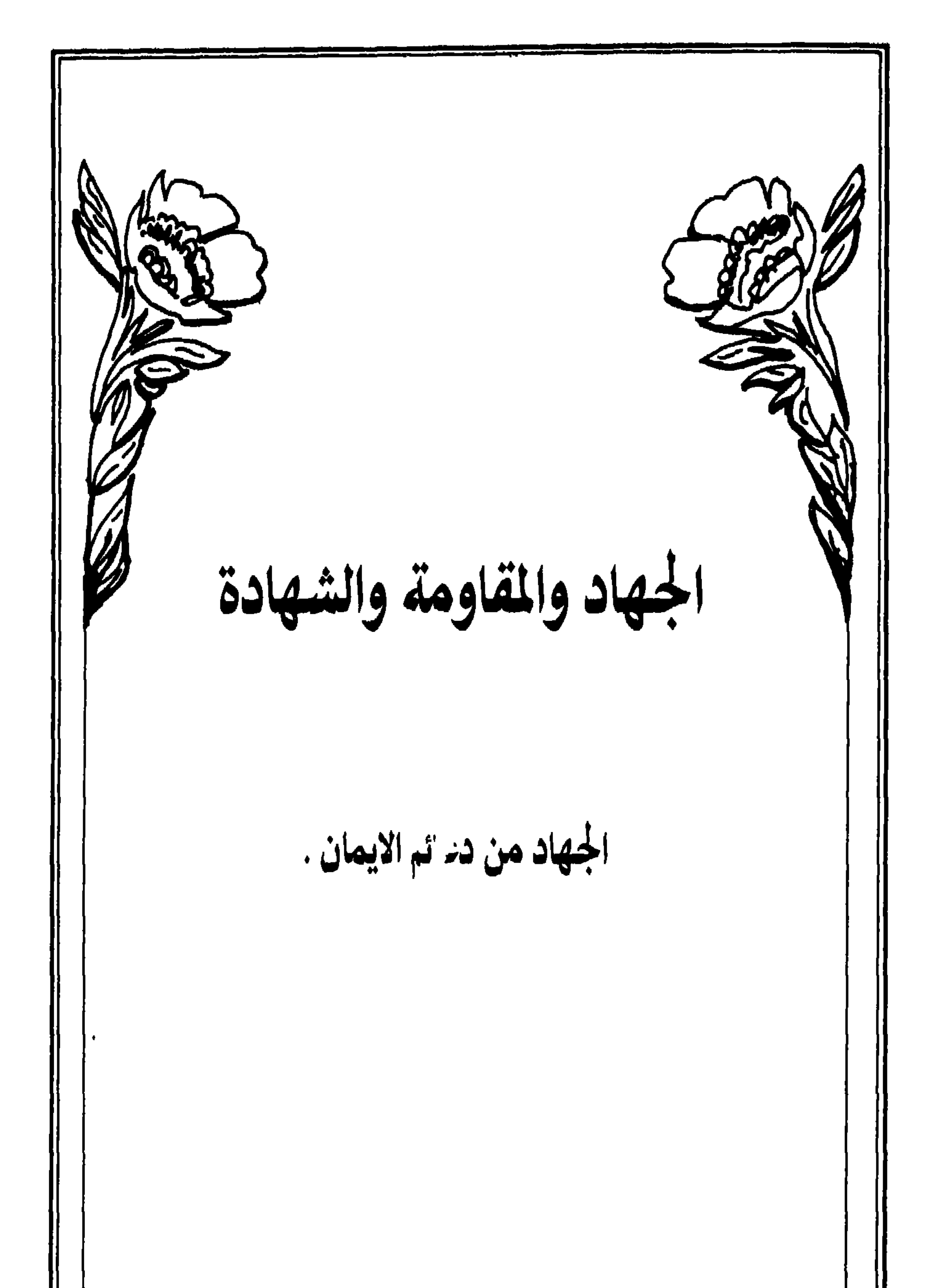
(١١) للإستزادة والتوسع راجع : لماذا السقوط الحضاري/ مؤسسة البلاغ .

(١٢) تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي نقلاً عن ملحق السياسة الأدبي جمادي ١/١٣٥هـ . عدد خاص بمؤتمر الطلبة الشرقيين .

(١٣) راجع ص ٢٣٦ من كتاب تحولات الفكر والسياسة/مصطفى محمود .

(١٤) مصطفى محمود/ رحلتي من الشك إلى الإيمان ص ٤ ـ ١٨/ ١١٤ ـ ١١٧

(١٥) وكذلك اعتمدنا على كراس حول مرحلتنا الحاضرة ومقدمة معالم المسيرة الحضارية للإسلام ص ٤٠ .



الجهاد والمقاومة والشهادة

الجهاد من دعائم الايمان .

محتويـات البحث

بسم الله الرحمن الرحيم

قال عز وعلا : ﴿ وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾[١] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين ﴾[٢] .

﴿ واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ﴾[٣] .

﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين لله ﴾[٤] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً ﴾[٥] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة ﴾[٦] .

---

[١] سورة الأنفال : الاية ٨ .

[٢] سورة المائدة : الآية ٥٧ .

[٣] سورة البقرة : الاية ١٩١ .

[٤] سورة البقرة : الاية ١٩٣ .

[٥] سورة الأنفال : الاية ٤٥ .

[٦] سورة التوبة : الاية ١٢٣ .

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء ﴾[١] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الإدبار ﴾[٢] .

* * *

وقال الإمام علي (ع) : « إنّ الإيمان على أربع دعائم : على اليقين ، والصبر ، والعدل ، والجهاد » .

ويقول الإمام الخميني قدس سره : « نحن نواصل تأدية واجباتنا الإسلامية بعون الله تعالى ، وسننال إحدى الحسنيين : إمّا قطع أيادي الخونة من ساحة الإسلام والقرآن الكريم ، أو الخلود في رحمة الحق جل جلاله . . . إني لا أرى الموت إلا سعادة ، والحياة مع الظالمين إلاّ برماً » .

* * *

تمهيد

لقد أثبتت الأحداث التي مرت بأمتنا عامةً ، وبالمستضعفين في لبنان بشكل خاص ، فشلَ جميع الطروحات ذات المنشأ الغربي ، فسقطت شعارات ، وهزمت نظريات ، لأنها لم تكن متلائمة مع طبيعة الناس ومع نفسياتهم وتوجهاتهم وتربيتهم .

ولقد جاء الغزو الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢م ، ليكشف عن هذه الحقائق بصورة أوضح ، وليعرّي قيادات مزيفة ، حملت راية الوطنية والتقدمية والثورية وما إلى ذلك ، مدة طويلة . . ولكنها تراجعت ، لأول وهلة وعند أول صدمة ، وبانت حقيقتها وسقطت الأقنعة عن الكثيرين من الناس ، وعن الكثير من التنظيرات النيئة .

---

[١] سورة الممتحنة : الآية ١ .

[٢] سورة الأنفال : الآية ١٥ .

ولم يبقَ في الساحة ، سوى المبدأ الأصيل ، وخط الجهاد الإسلامي ، لتحرير الأرض والشعب من الإحتلال الصهيوني .

لقد أدرك الجميع حجم الخطأ الذي كان يرتكبُهُ أولئك ، وحجم الإنحراف الذي وقعوا فيه ، عندما اختاروا لعبة التوازنات ، وشدِّ الحبالِ ، وعضّ الأصابع ، وألاعيب المخادعين ، والتودّد لشياطين السياسة من الفاسقين والملحدين والمجرمين ، وذلك بالتقرب من أميركا الشيطان الأكبر ـ فراحوا يلهثون وراء مواقفها وحلولها ، لعلهم يجدون عندها ما ينقذُهُم من ورطتهم . . . وقلما يعلنون ذلك ، بل يمدُّون أيديهم لتصافحَ الأيدي الأميركية الملطخة بدماء أطفالنا ، ونسائنا ، وشيوخنا ، في كل مكان من أرض الإسلام . . يمدون تلك الأيدي في الظلام وهم يحسبون أن أحداً لن يعرف عنهم شيئاً ، وإن حقيقتهم ستبقى مخفية ، ونسوا أن المجرم تفوح رائحة إجرامه ولو بعد حين ، ويظهر بجلاء أن لهؤلاء علاقة وثيقة مع إسرائيل نفسها . وآخرون كانوا يسرفون في مديح الإتحاد السوفياتي[*] ، ويسبّحون بحمده في المجامع والخلوات، وعلى صفحات الجرائد والمجلات ، وفي مختلف وسائل الإعلام المسموعة والمرئية ويعتبرونه السند الحقيقي لحركات التحرر وأنّه لن يتخلى عنهم في محنتهم لأنه الصديق الوفي ، والأخ الأكبر للعرب ، وللتقدميين عامة ، وإن النصر آتٍ من عنده ، فهو الذي يزّوّد هذه الحركات والأحزاب والدول بالسلاح ويقدم المساعدات ، وهو الذي آلى على نفسه أن يدافع عنهم . . . ويأتي الغزو الإسرائيلي للبنان وإذا بروسيا تأخذ دور المتفرج ، وربما الشامت ، وتنطلق التصريحات مستغربة الموقف ، متعجبة من هذا التصرف ، تلوم ولا من يسمع اللوم ، وتستنجد ولا من يأبه .

. . . وتحاصر بيروت وتكاد المقاومة الفلسطينية آنذاك تختنق ، وكذلك القوى العاملة على الساحة ويغمضُ الحلفاء من الروس أعينهم لأن الأمر لا يعنيهم فعلاً .

كل هذا وأميركا تأمر إسرائيل بمزيدٍ من التضييق على بيروت وعلى الآمنين

[*] هذا قبل انفراط عقد المعسكر الإشتراكي وسقوط النظرية الماركسية ـ اللينينية ، وتفكك الدولة السوفياتية ، والدوران في فلك الولايات المتحدة الأميركية . . .

وبمزيد من قتل الأبرياء ، وتشريد المواطنين ، وإلقاء القنابل الإنشطارية والفوسفورية . . . وعرب التخاذل يشربون نَخْبَ انتصارِ إسرائيل وهم ينظرون إلى مشاهد الدمار والحرائق وجثث القتلى في الجنوب اللبناني والعاصمة بيروت ، على شاشة التلفاز ، ويتلذذون بكل ذلك ، ويطالبون بتصريحات خجلى بالإنسحاب الإسرائيلي الكامل من الأراضي اللبنانية . . !!

أما روسيا ، فكل ذلك لا يعنيها . . . ولا عجب . .

إن ما هو آت ربما يكون أكثر مرارة ، وأكثر تعقيداً ، وذلك لأن إسرائيل ومن ورائها أميركا ، ومن الجانب الآخر روسيا ، التي لا ننسى أنها أول دولة اعترفت بالكيان الإسرائيلي ، يهدفون إلى تركيع الجميع وفرض الحلول الصهيونية ، وإقامة معاهدة صلح إجبارية مع لبنان ، وبذلك ينشأ المثلث المشبوه الخادم للصهيونية والإستكبار : مصر ـ إسرائيل ـ لبنان ، المثلث الذي أطلق عليه الإسرائيليون إسم مثلث السلام !! .

وكان اتفاق السابع عشر من أيار ١٩٨٣ بين لبنان وإسرائيل يكاد يكون الوسيلة لتحقيق هدف إسرائيل في إقامة السلام مع لبنان ، لولا سقوط هذا الإتفاق نتيجة الرفض الذي لاقاه من المؤمنين خاصة والقوى المعادية لإسرائيل .

وتنسحب إسرائيل من بيروت والجبل لتستقر في الجنوب اللبناني والبقاع الغربي وراشيا إلّا أن ضربات المقاومة البطلة أرّقتها ، ودعت الكثيرين من المسؤولين الإسرائيلين يعلنون أنهم جاهزون للإنسحاب شرط تأمين أمن الجليل ، لأن « لبنان ليس مكاناً لإقامة العقلاء » كما صرّح قادة العدو (إيبان) ، ولكن شبح المقاومة لن يتركهم وسيلاحقهم حتى تحرير القدس ، لأن المؤمنين لا يرضون إلّا بزوال إسرائيل ، وتحرير القدس الشريف .

وأكثر ما أزعج الإسرائيليين العمليات الباسلة لأبطال المقاومة ، وخوفهم من عشّاق الشهادة ، الذين دمّروا على رؤوس الإسرائيليين مقر الحاكم العسكري في صور ، بعد أن دمر مقر مشاة البحرية الأميركية (المارينز) ، والقوات الفرنسية ، وهروب القوات المتعددة الجنسيات تحت وطأة الضربات الشجاعة ، كل ذلك لن يغير من أهداف إسرائيل شيئاً بل قد يؤثر على أساليبها المتبعة فقط .

وبكلمة أخرى يمكن القول :

إن إسرائيل الدولة العنصرية ، الكافرة قد كانت ولا تزال تعمل لهدم أسس الحق والعدالة والتحرر ، وتسعى للسيطرة على المستضعفين ، من خلال وسائلها المتنوعة . فمرة تستخدم أساليب الخديعة والكذب والتلون في المواقف ، ومرات أخرى تستعمل أساليب العنف والقتل والسحل والتشريد للآمنين ، ولا تتورع عن الإعتداء على الحرمات ، وهي مستعدة لسحق الكرامات لأنها لا تؤمن بقيم ، ولا تنطلق من مبدأ سوى اعتقادها بتفوقها وأفضليتها على الأمم الأخرى ، متمسكة بالمقولة الزائفة التي تزعم أن اليهود هم شعب الله المختار ، وما اجتياحها للبنان ، وقتلها وتشريدها وترويعها للأطفال والنساء والشيوخ ، وهدمها للبيوت فوق رؤوس ساكنيها في الجنوب وبيروت ، وسعيها للقضاء على الشعب الفلسطيني المشرد ومحاولتها طمس الخط الجهادي الإسلامي الرافض لكل أنواع الذل والإستسلام ، عن طريق طرح الصيغ ذات الرائحة الإسرائيلية وذات المضمون التسلطي على إرادة المحرومين والمستضعفين من الشعب اللبناني، لفرض هيمنة فئة عميلة للعدو الإسرائيلي ، بحيث تكون هذه السلطة المفروضة من قبل الصهاينة هي ألعوبة بيد العدو ، من أجل تنفيذ مآربها الدنيئة ، في السيطرة وبسط النفوذ الإستكباري على شعبنا ، وتحقيق الأهداف الأميركية الإستعمارية في المنطقة ، وربط مصير البلد بحبل تشده إسرائيل ، ساعة تشاء ، وفي الإتجاه الذي ترغب ، وبالتالي إخضاع العالم العربي والإسلامي بكامله لإرادتها المتعلقة بالتوجهات والأهداف الأميركية ، وجعل الجميع يسيرون في ركب مؤامرة كمب دايفيد . . . ومؤتمرات سلام لا بل مؤامرات استسلام .

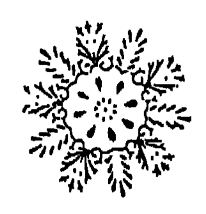
ونسأل ماذا نفعل ؟

ما هو الواجب علينا فعله ؟ لا بد لنا من المواجهه والمقاومة مع أن دول الإنهزام والتبعية الذليلة ، وأصحاب المشاريع الخبيثة يتفرجون على المحرومين والمؤمنين وهم يعانون محنة الإحتلال الإسرائيلي ، وعلى أهلنا في فلسطين المحتلة وهم يتجرعون الغصة تلو الغصة . . وتأتي الإنتفاضة الباسلة في الضفة والقطاع لتثبت للعالم أن الإسلام قد خرج من القمقم ، ولا تستطيع أية قوة ظالمة في العالم أن تفرض حتى على أطفال المسلمين سيطرتها ، وأن تخاذل القيادات العميلة

لن تقدر على فعل شيء أمام ثورة الشعب .

وقد بان لنا ، ووضح أن كثيرين ممن كانوا يسمون أنفسهم وطنيين ، وشرفاء قد فاحت رائحة عمالتهم للعدو الإسرائيلي ، وثبت بالدليل القطعي أنهم قد مهدوا ويمهدون الطريق للعدو حتى يحتل الأرض ، ويتخذ منها مرتكزاً لضرب أهلنا ، وشعبنا ، وأطفالنا ، وقد رفعوا ـ بلا حياء ـ أيدي الإستسلام ، وانخرطوا في صيغ إسرائيلية للتسوية السياسية ، تحت غطاء كثيف من البيانات الرافضة والمهاجمة لإسرائيل وحلفائها .

ونحن إذ نطرح موضوع جهاد العدو والمواجهة مع إسرائيل ، نريد أن نعالجه من الزاوية الشرعية ، على ضوء الكتاب والسنة ، حتى لا يبقى أي مجال لأولئك المساومين على حساب القضية المقدسة ، والذين يجدون في مسالمة إسرائيل أو التعامل معها ، أو مهادنتها مجالاً واسعاً لغش الشعب والتلاعب بعواطفه ، واستدراجه نحو تأييد مواقفهم المتخاذلة ، ظناً منهم أنهم يستطيعون استغفال الناس ، وتنفيذ مخططاتهم الدنيئة ، في عدم المواجهة مع أعداء الله والإنسانية .



الموقف .
الوسائل .
الإمكانيات .

إن موقفنا السياسي من الأحداث ومن الأشخاص ومن الأحوال إنّما ينبع ، وبشكل دائم ، من القواعد الشرعية ، والنصوص القرآنية والنبوية ، وما خالف القرآن المجيد ، وسنة الرسول الكريم (ص) ، نضرب به عرض الحائط ، ولو كان صادراً من أية جهة ، مهما كانت مرتبة أو وزن أو علم أو مكانة هذه الجهة ، لأنه « لا طاعة لمخلوق في معصية الله » .

إنّ موقفنا من العدو الإسرائيلي ، ومن الدولة الصهيونية بصورة مطلقة يستند إلى قوله سبحانه :

﴿ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ﴾[1] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ، وقد كفروا بما جاءكم من الحق ، يخرجون الرسول وإياكم . أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضلّ سواء السبيل ﴾[2] .

﴿ إنّما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم

---

[1] سورة هود : الآية ١١٣ .

[2] سورة الممتحنة : الآية ١ .

وظاهروا على إخراجكم إن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ﴾[١] .

على هذا فإنّ الموقف يبنى على أساس :

أ ـ عدم الركون إلى الظالمين والمعتدين والغازين . وعدم الدخول في أية صيغة سياسية تخدم العدو أو يكون له أدنى علاقة بها .

ب ـ عدم إلقاء المودة لأعداء الله وذلك بتوليهم ، وهم الذين كفروا بالحق وعمدوا إلى إخراج الناس من مدنهم ومنازلهم بتشريدهم وتهجيرهم .
ولا يجوز إقامة أية علاقة سرية معهم أو الإسرار إليهم بالمودة ، وأية جهة أو قيادة أو قوة تفعل ذلك فإنها تكون قد ضلت سواء السبيل .

ج ـ إن العلاقة بيننا وبين المحتلين هي علاقة صراع ، ولا يمكن أن تتحول إلى علاقة إنسجامية لأنهم :
ـ قاتلونا في الدين والمبدأ .
ـ وأخرجونا من ديارنا وساعدوا على إخراجنا .

والنتيجة أن من يتولى هؤلاء ، وينسجم مع مخططاتهم وطروحاتهم ومشاريعهم إنّما هو ظالم تجب مقاتلته .

وقد قال عز وجل : **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم ، قد يئسوا من الآخرة ، كما يئس الكفار من أصحاب القبور ﴾**[٢] .

أما طريقنا لترجمة هذا الموقف ، وتجسيده هو في جهاد العدو لإخراجه من بلادنا ، ولاسترداد حقوقنا ، وتحرير أمتنا من رجسه .

قال عز من قائل :

١ ـ **﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا لله ، وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون ﴾**[٣] .

---

[١] سورة الممتحنة : الاية ٩ .

[٢] سورة الممتحنة : الآية ١٣ .

[٣] سورة المائدة : الاية ٣٥ .

٢ ـ ﴿ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داوود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾[١] .

٣ ـ ﴿ واقتلوهم حيث ثقفتموهم ، واخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ﴾[٢] .

٤ ـ ﴿ والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله ﴾[٣] .

٥ ـ ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ﴾[٤] .

٦ ـ ﴿ والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً ﴾[٥] .

نستنتج من ذلك أنه لا مناص من :

١ ـ ابتغاء الوسيلة إلى الله بالإخلاص ، والتقوى ، والجهاد في سبيله ، ومحاربة الذين لعنهم الله وطردهم من رحمته من الكفار من بني إسرائيل الذين كان دأبهم التعدي .

٢ ـ وليس أمامنا إلا قتالهم وقتلهم حيث وجدناهم والعمل على إخراجهم من حيث أخرجونا ، من أرضنا في الجنوب وبيروت ، ومن القدس ، ومن فلسطين كلها . . . وعدم قتالهم يعني أنهم سيستمرون في عملية الإفساد ونشر الإلحاد والعدوان على الخلق وإهلاك الحرث والنسل .

٣ ـ إنّ هذه المهمة ـ مهمة الجهاد ـ تبدو شاقة وذات متطلبات ، ولكن كل ذلك يصبح سهلاً إذا ما علمنا أن ثمرة جهاد العدو :

---

[١] سورة المائدة : الآية ٧٨ .

[٢] سورة البقرة : الآية ١٩١ .

[٣] سورة البقرة : الآية ٢١٨ .

[٤] سورة آل عمران : الآية ١٤٢ .

[٥] سورة الأنفال : الآية ٧٤ .

ـ الدخول في رحمة الله .

ـ والفوز بالجنة .

٤ ـ ولا يتميز المؤمن الحقيقي عن المؤمن المزيف إلّا في حالات الأزمة ، عندما يحتاج الأمر إلى بذل المال والمهج والهجرة والجهاد وإيواء المقاتلين والمشردين ونصرتهم ، عندها تبين حقيقة الناس ويعرف من هم المؤمنون حقاً .

والجهاد يحتاج إلى إمكانيات وقوة تقف بوجه قوة العدو :

قال تعالى : ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة** ﴾[١] .

إنّ القوة التي يجب علينا إعدادها لا تختص فقط بالجانب العسكري ، بل تتعداه إلى الجوانب الأخرى التي يعتبر بعضها أكثر أهمية من القوى المادية العسكرية .

وأشكال القوة المطلوب إعدادها :

القوة العقائدية والفكرية ـ القوة النفسية والروحية ـ .

القوة الإجتماعية ـ والقوة المادية والعسكرية .

إعداد القوة الفكرية والعقائدية

إنّ الذي يحرك الإنسان في حياته ، ويرسم خط سيره العملي هو قناعاته ، وفكره واعتقاده ، وعندما تكون العقيدة مبنية على أسس صحيحة ، ومنطلقة من الواقع الكوني والحياتي والإجتماعي والسياسي ، يستطيع الإنسان أن يتوجه الإتجاه الواقعي من أجل تحقيق الأهداف التي يضعها لنفسه أو لمسيرته الحياتية وقوة العقيدة ترتكز على الفهم الصحيح للواقع ، بحيث يكون المحور الأساسي هو الإيمان بقدرة وعلم وقيمومة الخالق ، وأنه لم يخلق الخلق عبثاً ، وأنه جعل لخلق الإنسان غاية هي معرفته سبحانه ، وإنّ الحاكمية لله والتشريع حق له لا يشاركه فيه أحد من خلقه ، وأن نخشى الله وحده ، وأن لا نخاف فيه لومة لائم .

---

[١] سورة الأنفال : الآية ٦٠ .

« أما الرأي والعقيدة ، فهما ثمرة تفكير الإنسان ، ونتيجة الجانب الأشرف من وجوده . . . فقد أكرمها الإسلام وحاول أن يحافظ على حريتها ، فترك أمر التفكير والإجتهاد لمعرفة العقيدة الصحيحة . . . تركه للإنسان وأعلن أن العقيدة التي لا ترتكز على مبادىء التفكير لا اعتبار لها ، ولا يعذر الإنسان إلّا إذا لم يتمكن من الوصول إلى العقيدة الصحيحة بالرغم من التفكير والسعي (لا إكراه في الدين)»(*) . والتعاليم الإسلامية تؤكد أن الله قريب جداً للإنسان، وهو أقرب إليه من أي شيء ، فعلى الإنسان أن يشعر بهذا القرب ويقبل على الله لكي يجد قوته واعتزازه (قلب المؤمن عرش الرحمن) حديث شريف .

والتأكيد على قرب الله من الإنسان يرفع كثيراً من معنوياته ، ويسمو به عن الخوف والقلق والحزن ، ويبعد عنه الكثير من الرذائل الخلقية التي تنتج عن الضعف والخوف والطمع كالكذب والنفاق والحرص ثم أن القرب لله يسهل الإكتساب منه والتخلّق بأخلاقه .

ويقول تعالى : ﴿ **ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون** ﴾[1] .

« وأن أذكر الله وأديم ذكره ، وأن يكون صمتي فكراً ونطقي ذكراً ، فذكر الله تعالى هو العلاج النفسي الأقوى وهو السلاح الأمضى أمام عاديات الزمن وكروب الحياة ونائباتها » . . . وصدق الله تعالى حيث قال :

﴿ **الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب** ﴾[2] .

﴿ **ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين ، وأنهم ليصدونهم عن السبيل ، ويحسبون أنهم مهتدون** ﴾[3] .

ولقد اعترف الدكتور « بريل » بذلك حيث قال : « إن المرء المتدين لا يعاني قط مرضاً نفسياً »(1) .

---

[1] سورة النور : الآية ٥٢ .

[2] سورة الرعد : الآية ٢٨ .

[3] سورة الزخرف : الآية ٣٦ .

إن قـوة العقيدة تتمثـل في حب الله ، قال تعـالى : ﴿ **قل إن كـان آبـاؤكم وأخـوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأمـوال اقترفتمـوها وتجـارة تخشون كسـادهـا ومساكن ترضونها ، أحب إليكم من الله ورسولـه وجهاد في سبيله فـتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين** ﴾[١] .

والتـوكّل عـلى الله يمنح المؤمن قـوةً وروحـاً ومعنـويـة عـاليـة ، تحـطم كـل الصعوبات .

قال الصادق (ع) : « أوحى الله عزّ وجل إلى داوود (ع) ما اعتصم بي عبد من عبادي ، دون أحد من خلقي ، عـرفت ذلك من نيتـه ، ثم تكيده السـماوات والأرض ، ومن فيهن ، إلاّ جعلت لـه المخرج من بينهن ، ومـا اعتصم عبـد من عبـادي بأحـد من خلقي ، عرفت ذلـك من نيتـه إلاّ قـطعت أسبـاب السـماوات والأرض من يديه ، وأسخت (خسفت) من تحته ولم أبالِ بأي وادٍ هلك »(٢) .

إن من يعلم أن الله الذي يجاهد في سبيله هو القوي والغني وأن بيده المـوت والحياة والنشور ، هل يمكن أن يشعر بضعف ؟ .

قال عز وجل : ﴿ **يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد ، إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز** ﴾[٢] .

أليس الله هو القوي ، الـذي لا يمكن لأية قـوة أن تتمرد عليـه ، ألم يعذب العاصين والكافرين والظالمين .

قال تعالى : ﴿ **أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كـان عاقبـة الذين من قبلهم وكانوا أشـد منهم قوة ، ومـا كان الله ليعجـزه من شيء في السموات ولا في الأرض ، إنّه كان علياً قديراً** ﴾[٣] .

أليس الله هو ناصر عبـاده الذين ينصرونـه ورازقهم . . . أليس هو القـوي العزيز ؟؟ .

---

[١] سورة التوبة : الاية ٢٤ .

[٢] سورة فاطر : الآية ١٥ ـ ١٧ .

[٣] سورة فاطر : الآية ٤٤ .

قال تعالى : ﴿ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز ﴾[١] .

﴿ وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً ﴾[٢] .

﴿ إنّ الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾[٣] .

إعداد القوة النفسية والروحية وجهاد النفس

لا شك أن العدو الإسرائيلي لا يحاربنا فقط بسلاحه الحربي ، بل يعمل لتدمير النفوس قبل الأجساد ، ويستخدم وسائل الحرب النفسية ، ويوحي إلى الناس أنه سوف يقتحم كل شيء ، وأنه لن يبقي ولن يذر ، لذا كان أثناء الإجتياح الإسرائيلي عام ١٩٨٢ م يرمي بالمنشورات التي تحذر الشعب من التعاون مع المقاتلين أو نصرتهم أو إيوائهم ، ويطلب إليهم استغلال الفرص لينزحوا من مدنهم وقراهم كما حصل بالنسبة لسكان المنطقة الغربية من بيروت .

ومع الأسف فإن هذه الإشاعات والحرب النفسية كانت تؤثر أيما تأثير على الناس ، بحيث يدب الذعر والهلع ، وترى الناس ينزحون من المدينة بشكل لا مثيل له ، ولا يمكن أن يفسر هذا إلّا بهبوط الروح المعنوية وضعف القوة النفسية التي يرفعها الإسلام بطرقه الخاصة إلى درجات عليا ، وقد يكون لكل ذلك نتائجه على مستوى المعركة . . .

والمؤمن المجاهد قد تحرر نفسياً من الخوف من كل قوة طاغية لأنه يرجع كل أمور حياته إلى الله ، خالق الكون والإنسان والحياة ، وهو يثق بربّه وبنفسه ، ويعلم أن الذي أبطأ عنه قد يكون خيراً له لعلم الله بعاقبة الأمور .

يقول الإمام الصادق (ع) : « كان علي يقول : لا يجد عبد طعم الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وإن الضار النافع هو الله عز وجل » .

---

[١] سورة الحج : الآية ٤٠ .

[٢] سورة الأحزاب : الآية ٢٥ .

[٣] سورة الذاريات : الآية ٥٨ .

والمؤمن يخاف الله ولا يخاف الناس ﴿ **ولا تخشوا الناس واخشونِ** ﴾ .

ومهما كانت القوة البشرية التي تـواجه الحق وأهله ، ومهـما كانت أسلحتهم وعدتهم ، وحتى لو كانت المعركـة غير متـوازنة ، فـإنّ المجاهـدين لا ترعبهم قـوة العـدو العسكريـة ولا حرب الأعصـاب ، ولا التهويـل والتخـويف ، ومـا دامت المعركة مفروضة ، فلِمَ التراجع ؟ ولم الإنهزام ؟ .

قال تعالى : ﴿ **الذين قال لهم النـاس إنّ الناس قـد جمعوا لكم فـاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فـانقلبوا بنعمـة من الله وفضل ، لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ، إنّما ذلكم الشيطان يخوّف أولياءه فلا تخافوهم وخافونِ إن كنتم مؤمنين** ﴾[١] .

ومن المؤسف أننا نرى في حـالات كثيرة من يـبرز نفسه وكـأنه البـطل الذي سيطيح بالأعداء ، فيعـرض عضلاتـه بمناسبـة وغير منـاسبة ، وإذا مـا حان وقت النزال وأخرجت البنادق والمدافع ودوىّ صوت الرصاص والطائرات في السماء . . قال قائلهم : مـا لنا وللقتـال : نحن أقل عـدة وعدداً ، وهـل يجوز لنـا أن نرمي بأيدينا إلى التهلكة !؟ .

ثم يعمـد إلى اختلاق العـذر تلو العـذر ، ويـرى المصلحـة في الإستسـلام وعدم خوض المعركة . . . إن هذا الموقف المتخـاذل أمام العـدو هو نتيجـة حتمية للروح الخاوية والإيمان الضعيف .

قال تعالى : ﴿ **ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصـلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال ، إذا فريق منهم يخشون الناس كخشيـة الله أو أشد خشية ، وقالوا ربنا لمَ كتبت علينا القتال ، لولا أخرتنا إلى أجل قريب ، قل متاع الدنيا قليل . والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلاً[★]** ﴾[٢] .

إنّ جهاد الأنفس والإنتصار في معركة النفس هو بداية النصر على الأعداء ، يقول الإمام الخميني قدّس سره :

---

[١] سورة آل عمران : الآية ١٧٣ ـ ١٧٥ .

[★] لا تظلمون على مشاق الجهاد والقتال قدر الخيط الرقيق في شق النواة .

[٢] سورة النساء : الآية ٧٧ .

« رمـز انتصاركم يتمثـل في الإيمان أولاً ، ثم في وحـدة الكلمة ، فحـافظوا عليهـما . رسخوا إيمـانكم ، لستم بموجـودات ماديـة . أولئك الـذين ينظرون إلى الإنسـان نظرة مـادية يعتـبرونه مثـل سائـر الحيوانـات . إن وجودكم ينـطوي على جـوانب ماديـة ، وعلى جـوانب أسمى منها هي الجـوانب المعنويـة . أنتم تملكون نفساً قدسية . . نفساً مجردة . إن كنتم في خدمة الإسلام وفي خـدمة الله تعـالى ، فإن نفسكم هذه طاهرة زكية سعيدة ، أنها زكيـة سعيدة حيث مـا كنتم ، وسعيدة حتى في الضراء ، وسعيدة حتى لدى الموت أيضاً » .

إنّ الإيمـان ، والروح الإسـلاميـة العـاليـة ، والنفـوس القـدسية الـزكيـة السعيـدة ، تقف في الأزمات مـواقف البطولـة ، ففي معركـة أحد كـان سعـد بن الـربيع يلفظ أنفاسـه الأخيرة ، وفيـه سبعون ضربـة ما بـين طعنة رمـح ، وضربة سيف ورميـة سهم ، إلاّ أنّ هـذا لم يمنعـه من أن يقـول لـزيـد بن ثـابت : (قـل لرسول الله إني أجد ريح الجنة وقل لقومي الأنصار لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى رسول الله وفيكم عين تطرف ، ثم فاضت نفسه من وقته) .

هذا في عالم الإستشهاد ، أما في عالم الحياة الـدنيويـة والمواقف الـرساليـة ، فإننا نرى أن المهاجرين من المسلمين ، الـذين هاجـروا إلى ملك الحبشة والتجـأوا إليه فراراً من المشركين الذين تبعـوهم لاستردادهم ، وبمحضر القسس والـرهبان يطلب إلى المسلمين أن يسجـدوا للملك فيقول لهم جعفـر بن أبي طالب : « نحن قوم لا نسجد إلاّ لله » .

ويؤكـد الإمام الخميني رضـوان الله عليه ان النصر من عنـد الله وان القـوة المادية ليست كل شيء .

يقـــول (قـــدس سره) : « لا تجعلوا همكم أنكم تـــريـــدون تحقيق النصر بقدرتكم ، بل اجعلوا همكم أنكم تريدون تحقيق أهدافكم بقـوة إلهية أي حـولوا أيديكم وأعينكم وجميع ما تملكونه من قوى شيطانية إلى قوة إلهية ، والإنسـان ـ إن غفل فقواه شيطانية ، وجوارحه شيطانية ، ويده وعينه شيطانيتان أيضاً ، لكنه أن تربى فكل قواه تضحى إلهية ، وقوة الله غالبة لا محالة » .

ينبغي التأكيد على أن انتصار ثورتنا ما تحقق إلاّ ببركـة الإسلام ، وبـالإتجاه نحو الإسلام وبنداء الله أكبر .

لا يظن أحد أن هذا النصر تحقق على يد أفراد أو مجموعات ، كلا . . . إنّها عناية الله التي شملتنا يوم رأى الله تعالى أن الأمة نهضت على طريقه .

لا تغفلوا عن سر تراجع أعدائنا عن اتخاذ خطوة جادة . . . كانوا يستهدفون قصف طهران بطائراتهم ومدافعهم ودباباتهم . . . لم تكونوا تملكون أية وسيلة للدفاع ، لم تكونوا مجهزين بأية عدة . . . لكن الله تعالى ألقى الرعب في قلوبهم وتحقق هذا النصر » .

أننا نتكل على الله ونؤمن أن لهذا الكون مدبراً . ان الذين لم ينتبهوا إلى هذه الحقيقة سينتبهون الآن ، إذ كيف استطاع شعب أعزل بصرخات ـ الله أكبر ـ لا غير ، التغلب على أعتى قوة شيطانية تسندها القوى الكبرى والصغرى ، وكيف استطاع هذا الشعب الضعيف الأعزل من السلاح أن ينتصر على جميع هذه القوى ؟ .

ألم يكن سر انتصار هذا الشعب هو الرعب الذي ألقاه الله في قلوب هؤلاء الطغاة ؟ . .

أليس ذلك هو ذات ما حدث في صدر الإسلام حيث انتصر فئة قليلة على فئة كثيرة ؟ . .

ألم يحن الوقت للذين لم يهتموا بالمعنويات ولم يؤمنوا بالغيب أن يستيقظوا من غفوتهم ؟ . .

من أسقط الطائرات العمودية لكارتر التي استهدفت الإعتداء على إيران ؟ . . .

هل نحن أسقطناها ؟ .

إنّ الرمال جنود الله وكذلك الرياح هي جنود الله ، وقد أبادت الرياح قوم عاد ، إن الرياح والرمال جنود الله وليجرّبوا .

هذه الأصوات المرتفعة التي تسمعونها هي صوت الله ، إنها قدر الله ، هذه الإنتفاضة تحققت بقوة الله .

الإنتصار الذي تحقق في إيران كان نتيجة عناية إلهية ، العناية الكبرى التي

غيرت روحية شعبنا إلى روحية الإسلام وروحية صدر الإسلام ، وهذا الإيمان بالإسلام هو الذي حقق انتصاراً لم يكن يتوقعه أحد بيد خالية ، وبدون أسلحة ، أمام أحدث الأسلحة وأقوى عدة عسكرية .

هذا النصر الإلهي الذي حققه شعبنا ليس له في التاريخ مثيل سوى صدر الإسلام ، لقد ألقى الله الرعب في قلوب أعدائنا ، وهذا الرعب هو الذي حقق لنا النصر ، والله سبحانه ينصر جند الإسلام أحياناً بالرعب الذي يلقيه في نفوس أعدائهم ، ولم يكن غير الله وراء انتصار قضية شعبنا ، وهل من الممكن القيام بمثل هذا العمل عن طريق تبليغ الناس ؟لا يمكن السيطرة على سوق طهران حتى ولو بذلنا عشرين سنة من الجهود ، لكن جميع نقاط بلادنا أضحت خلال مدة قصيرة مندفعة نحو هدف واحد . . . وهذا يبين بأن يداً غيبية كانت وراء ما حدث » . ومما جاء في مجلة رسالة الثورة الإسلامية هذه الحادثة المثيرة[٣] :

« بعد أن رد الله كيد الأمريكان إلى نحورهم ، إذ فشل الهجوم العسكري الأمريكي في مدينة طبس ، اتضح أن هناك خطة مدبرة تقضي بالقيام بانقلاب عسكري أمريكي بقيادة شاهبور بختيار ، وألقى القبض على إمرأة باسم (مارغريت ماستيران) ، كانت تقوم بطبع منشورات بختيار ، وعلى أثرها تم إلقاء القبض على أربع نساء ورجل واحد مع العديد من الوثائق ، ومن ثم على عشرة أشخاص من كبار الضباط المتقاعدين ، وبعدها بخمسة عشرة يوماً أي في الأيام القريبة جداً من تنفيذ الإنقلاب العسكري ، أعلنت حالة الإنذار في جميع اللجان الثورية وتمت السيطرة على معابر مدينة طهران وطرقاتها . .

وكان من المقرر أن ينفذ الإنقلاب في الساعة الخامسة من صباح يوم ١٩٨٠/٧/٩ تقريباً، وقد عثر على مائة من المتآمرين مع وثائق وأسلحة خلال يوم واحد ، ابتداء من الساعة السابعة من صباح يوم الإنقلاب الفاشل وحتى الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي ، وسُلم هؤلاء إلى لجنة إحباط الإنقلاب .

ولهذه الحادثة قصة لطيفة تدل على مدى عظمة المشيئة الإلهية ونسردها هنا باختصار عن لسان أحد الأفراد العاملين في اللجان :

راجعنا يوماً رجل مسن شاكياً يقول (أنا رجل فلاح وأعمل في أحد البيوت

وقد أبلغني صاحب الدار بأن أذهب في إجازة أسبوعية فرددت قائلا بأن الزهور سوف تذبل إذا تركتها لمدة أسبوع ، ولكنه رفض بقائي وأبى إلاّ أن يعطيني إجازة) ، وخلاصة الأمر أن الرجل لم يترك تردده علينا آملاً أن نفعل شيئاً من أجل مساعدته ، وفي أحد الأيام جاء قائلاً بأن صاحب الدار وأصدقاؤه يشربون الخمر ، ولكني غلب على ظني أن الرجل أدعى ذلك بسبب عدم حصوله على نتيجة من شكايته ، فأجبته قائلاً : حسناً سوف ننظر في القضية ولكنه أضاف بأن هؤلاء لديهم ملابس عسكرية أيضاً ، ومع ذلك لم أحس بخطورة الموضوع ، لعلمي بأن البيت يعود إلى ضابط برتبة عقيد وأنه من الطبيعي أن يملك الضابط ملابس عسكرية ، ولكني لم أكن أعلم حينها من هو ذلك الضابط ، على كل حال أخذ هذا الرجل يصر كثيراً إلى أن اضطررنا إلى إرسال عدة أشخاص ، ولكن لغرض البحث عن المشروبات الروحية التي أدعى بأنها توجد في تلك الدار ، وبعد الوصول إلى الدار فتح لنا الباب شخص اتضح فيما بعد أن أسمه شهريارا نور (ابن العقيد الهارب نور) ، وأبلغه الحرس بأنهم جاؤوا ليبحثوا عن مشروبات روحية في داره ، ثم دخلوا حديقة الدار ، وعندما حاولوا الدخول في الغرف قال لهم شهريار نور « انتظروا قليلاً لكي أجلب لكم المفتاح من الغرفة التي تحت الأرض لفتح الباب ، وسوف أفتحها من ذلك الجانب ، فذهب معه أحد الأخوان وبدأ بالبحث، ورأى هناك ضابط شرطة ثم عثر على مقدار من المشروبات الروحية وبدأ بجمعها ، وفي ذلك الحين ذهب فرد آخر من أفراد الحرس إلى حوش الدار وإذا به يتفاجأ بكلب ينبح ، فبدأ بالرجوع إلى الخلف خوفاً من هجوم الكلب عليه وفي تلك اللحظة بالذات فوجىء بمشاهدة مقادير كبيرة من الأسلحة تحت الأرض فاتجه على الفور إلى أخوانه الآخرين ليطلعهم على ذلك ، ثم القوا القبض على صاحب الدار وصديقه ضابط الشرطة ، وكان مقدار الأسلحة التي عثر عليها كالآتي : ٥٥ بندقية ١٧ مسدساً ، وعدد من الرشاشات المختلفة ، ومائتي مصباح يدوي وأربعمائة بدلة عسكرية .

ويعلق الإمام الخميني رضوان الله عليه على هذا فيقول : « إنّ هذا الكلب مأمور ، وكل العالم مأمور ، كانت العاصفة الرملية يومذاك مأمورة ـ يشير الإمام إلى حادثة طبس ـ ، واليوم فإن هذا الكلب مأمور في هذه الحادثة » .

ويقول الإمام الصدر متحدثاً عن دور الإيمان في النصر :

أمام هذه الظاهرة أجد مسؤوليتي أن أتحدث عن العنصر الأساس ، لهذا النوع من الإنتصارات والمنعطفات التاريخية ، وإن أشير إلى تلك القوة الكامنة في الشعوب ، التي لو كانت متجلية بالشكر الصحيح وبأبعادها الكاملة لما انقرض شعب ولما انهزم ، كان دائماً متجدد القوى عزيزاً كريماً فاعلاً في صناعة التاريخ والحضارة ، شاهداً على الشعوب والأمم كما أراده الله تعالى .

إنّ هذه القوة هي الإيمان بالله ، ذلك الإيمان الذي نشاهده في العادة راكداً غائباً ، عن التفاعلات ، أو متحولاً إلى عصبية ، ذميمة ، حتى إذا عادت صافية فاعلة منفتحة بأبعادها السماوية والإنسانية ، ونتائجهة العملية والعلمية ، وبشموليتها لاستنفار كل طاقات الفرد والمجتمع ، وبعدالتها التي ترفض الإنحراف في الهدف وفي الوسيعة معاً ، وعند ذلك تجعل الإنسان يزيل الغبار ، ويقوّم الإنحراف ويجنّد القوى ، ويوحّد الشعب ، فيصنع تاريخاً جدياً ، ويدخل في التاريخ من جديد .

إنّ نظرة سريعة إلى معالم المعركة ، (معركة رمضان ١٩٧٣م) تكشف عن اعتمادها التام على سلاح الإيمان بمعناه الصحيح ، لا بمفهومه التجريدي أو الطقسي أو الإتكالي ، أو المنغلق التعصبي العنصري . كلمة السر كانت لفظة ـ بدر ـ تعبيراً عن عدالة المعركة ودقّة تخطيطها ، وعن التعبئة التامة المستمدة من التجربة الناجحة . وتذكيراً بالآية القرآنية الكريمة :

﴿ ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا أنهم لا يعجزون واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوّ الله وعدوكم ﴾ .

شعار المعركة كان كلمة « الله أكبر » .

اعتمدت السريّة المطلقة في المعركة ، حتى أن الحرب كانت مفاجأة للإستخبارات الأميركية برغم وسائلها وأقمارها الصناعية ، وقد أكد ذلك التقرير كورت فالدهايم للأمم المتحدة . . . لقد كانت طاقات الفرد والأمة مجنّدة ، موجّهة نحو المعركة ، والإيمان الصحيح ، كان العنصر الأساسي في هذا التجنيد وبعدما انتقمت إسرائيل من لبنان ومن العرب في لبنان ، ومن جنوب لبنان

خاصة ، وبعدما مرّت تجربة فاعلية الإيمان بصوره المتنوعة ، وبعد هذه الملاحظات ، لا نجد صعوبة في اختيار طريقنا في معاركنا العامة مع العدو ، وفي معركتنا اللبنانية القادمة . . . » .

ويقول الإمام الصدر أيضاً ، إنّ ذرة من الروحانية لا تزال تتغلب على الكثير من الأسباب المادية وتجاربنا في أقطار العالم ، حتى في البلاد المتقدمة جداً تثبت ذلك » .

ويقول قبل هذا إن « العالم اليوم رغم تقدمه المادي ، بل بسبب هذا لتقدم متشوّق إلى الصفاء الروحي ، والتنزه عن الماديات . . . لا أقول أن العالم الديني والداعية يجب أن يترك متعة الحياة الدنيا فإن الإسلام يرفض الرهبانية ، وعلي (ع) يقول « ليس الزهد ألاّ تملك شيئاً بل الزهد ألاّ يملكك شيء » ، بل أقول : إنّ نمو الوضع المادي المحيط بالإنسان يجب أن يرافقه النمو في الجانب الروحي لكي لا ينحرف .

إعداد القوة الإجتماعية والصف المرصوص

لا يمكن لنا تحقيق النصر على العدو الصهيوني والإميركي وكل أعداء الإسلام إلاّ بتهيئة القوة الإجتماعية المتماسكة ، والفئة المقاتلة تحت راية لا إله إلاّ الله ، محمد رسول الله ، والتعامل على أساس المحبة والإخاء والتعاون والإيثار والرحمة .

والقرآن الكريم يقدم لنا نموذجاً للمجتمع الرسالي المجاهد الذي كان في عهد رسول الله (ص) ، فيذكر بعض صفاته :

﴿ محمدٌ رسولُ الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء فيما بينهم تراهم ركّعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهُم في وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلُهُم في التوراة ومثلهم في الأنجيل (وصفهم في التوراة والإنجيل) **كزرع أخرج شطأه** (أي أخرج فراخه المتفرعة عن أصوله وجوانبه) **فآزره** (فقوّى الشطء الزرع) **فاستغلَظَ** (صار غليظاً وتكامل نموه) **فاستوى على سوقه** (فاستقام على قضبانه ، واستقل بنفسه ، وبدا قوياً) **يعجبُ الزرّاع** (في

منـظره وقـوتـه) ليغيظ بهم الكفّـار (سبب غيظ الكفـار هـو مشـاهـدتهم للقـوة والشمـوخ) وَعَـدَ الله الـذين آمنـوا وعملوا الصـالحـات منهم مغفـرة وأجـراً عظيماً ﴾[١] .

وتظهر روح التعاون والإيثار في استقبالنا لأخواننا الذين شرّدهم العدوان ، وهجّرهم وأخرجهم من ديارهم ، وليصل الأمر إلى تحمل الأعباء والعناء من أجل المشردين والمهجرين حتى لو جعنا وأطعمناهم وعرينا وكسوناهم وظمئنـا ورويناهم وتعبنا وأرحناهم .

وقال تعالى : ﴿ والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم (تو طنوا المدينة مع الإيمان) يُحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة (حـزازة وحقداً) مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (فقر وحاجة) ومن يُوق شُحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾[٢] .

إنّ التماسك الإجتماعي ، والوحـدة لا يتأسّسـان في الفراغ ، بـل يرتكـزان على المبادىء والأسس الإيمانية والوفاء بعهد الله :

قـال سبحانـه وتعالى : ﴿ واوفـوا بعهـد الله ، إذا عـاهـدتم (المؤمن بـالله هوالذي عاهد الله عـلى الطاعـة) ولا تنقضوا الإيمـان بعد تـوكيدهـا (ولا تحنثوا بإيمانكم بعد عقدها) وقد جعلتم الله عليكم كفيـلًا (رقيباً ومتكفـلاً بالـوفاء) ولا تكونوا كالتي نقضت غَزْلَها من بعد قوةٍ إنكاثاً (تشبيه نـاقض العهد بـالحمقاء التي تنقض الغزل بعد إبـرامه/قـوة = إبرام وإحكـام، أنكاثـاً = أنقاضـاً محلول الفتل) تَتّخِذونَ أيمانَكُم دَخَلاً بينكم (أي أتتخذون أيمـانكم دخلًا أي غـدراً ومكراً) أن تكون أمةٌ هي أربى من أمة (أربى هي أكبر وأقوى من أخرى وقـد كانت القبيلة في الجاهلية تحالف أخرى فإذا جاءتها قبيلة أقوى منهـا غدرت بهـا ، وحالفت الثـانية فنهى سبحـانه عن هـذا وأنكره) إنّمـا يَبْلُوكم الله بِهِ (أي إنّمـا يمتحنكم الله بأمـره بالوفاء ليتميز المطيع من العاصي والطيب من الخبيث) ﴾[٣] .

---

[١] سورة الفتح : الآية ٢٩ .

[٢] سورة الحشر : الآية ٩ .

[٣] سورة النحل : الآية ٩١ ـ ٩٢ .

إنّ الوفاء بعهد الله هو تحمل المسؤولية الإجتماعية . وبـذل الجهد في سبيـل تطوير الحياة ، وتأمين ما يحتاجه النـاس ، بحيث لا تبدد الـطاقات ولا تحبس عن المساهمة في معركة الدفاع عن الوجود والعقيدة والأوطان(٤) .

يقول الإمام جعفر الصادق (ع) : « إنّ الله لم ينعم على عبد بنعمـة إلاّ وقد ألزمه فيها الحجة من الله ، فمن منّ الله عليه فجعله قوياً ، فحجته عليه القيام بما كلّفـه ، واحتمال من هـو دونه ممن هـو أضعف منه ، ومن منَّ الله ، عليـه فجعله موسعاً عليه فحجته عليه ما له ثم تعاهده الفقراء بنـوافله وفرائضـه ، ومن منّ الله عليـه فجعله شريفاً في بيتـه ، جميلاً في صـورته فحجتـه عليـه أن يحمـد الله عـلى ذلك ، وأن لا يتطاول على غيره فيمنع حقوق الضعفاء لحال شرفه وجماله(٥) .

إنّ الإسلام ، لم يكتف في تعاليمه بالعقـائد وبـالتوجيـه الخلقي ، بل قـدّم، نظاماً عاماً للحياة ، يشمل صلات الفرد بالآخرين وبـالدولـة ، وتنظيـمات إدارية ودوليـة ، فضلاً عن قـوانين الأحـوال الشخصية وهذه التـدخـلات التفصيليـة في الشؤون الحياتية ، تفتح مجالاً للتساؤل عن سببها ، ثم هل بالإمكـان وضع نـظام ديني ، يتمتع بالقـداسة والثبـات للمجتمع وشؤونـه المتطورة في كـل عصر ، حتى أصبحت كـل يوم في شـأن . . . لأجل إيضـاح هـذه النقـطة ، نـطرح أولاً هـذا السؤال : هــل الـذين يكتفــون أو يـريــدون من الأديـان أن تكتفي بــالإيمــان والأخلاق ، يعتقدون أن صيانة الإيمان والمحافـظة على الأخـلاق الحسنة ، أمـران ممكنـان ، لمن لا يرتبط في عمله الخـارجي بخطة تتنـاسب مـع الإيمـان والأخـلاق المذكورين .

. . . . التفـاعل بـين جوانب وجـود الإنسان أمـر بـديهي ، ولهـذا ولأجـل صيانة الإيمان والأخلاق لا بد أن يتقيد الإنسان بعمله ، وأن يرتبط برباط يتناسب مع الصيانة الروحية المذكورة ، والقرآن الكريم مثل بقيـة الكتب المقدسـة ، يؤكد هذا التفاعل ، ويعلن أن ممارسـة الأعمال السيئـة تنزع الإيمـان من القلب : ﴿ **ثم كان عاقبة الدين أساءوا السوء أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤون** ﴾[١] .

. . . . وأكـد الإسـلام ، عـلى لـزوم إيجـاد مجتمـع يتنـاسب مـع الإيمــان

---

[١] سورة الروم : الآية ٣٠ .

والأخلاق والأعمال الصالحة وأعلن بصراحة : « ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع[٦] أكرر كلمة (ما آمن) لكي ننتبه إلى التناقض الذي يراه الإسلام بين الإيمان وبين سوء الوضع الإجتماعي الذي يوجب هذه الظاهرة ، والقرآن يؤكد هذا المبدأ :

﴿ أرأيت الذي يكذّب بالدين فذلك الذي يدعُّ اليتيم ولا يحضّ على طعام المسكين ﴾ .

وعلى هذا الأساس نجد أن الإسلام ، الذي يقول نبيه (ص) : « إنّما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » يحاول لأجل هذه الغاية أن يتدخل في الحياة العملية للإنسان ، ثم في الحياة الإجتماعية ، فيضع للأول مبدأ الحلال والحرام ، وللثاني الأنظمة القانونية الواسعة ، التي تشكل ما يقرب النصف من التعاليم الإسلامية[٧] .

ويقول الإمام الصدر شارحاً معنى الولاية : « إنّ مسألة الولاية هي إقامة المجتمع الصالح عن طريق تكوين حكم صالح وكان علي (ع) أفضل هذه المصاديق ، وأعتقد أن تكوين المجتمع الصالح يؤدي إلى نمو الإنسان وكماله أكثر من أي عمل آخر فالولاية التي نعتبرها مسألة أساسية ليست تاريخية بل مسألة كل مجتمع وكل زمان .

إعداد القوة المادية والعسكرية

يقول الإمام الخميني قدس سره : « إنّ الشعوب هي القادرة على حل مشاكلها ، وأنتم تعلمون أن مشكلتنا كانت أعقد من مشاكل الآخرين وكانت قدرة الشاه الشيطانية أكثر من سائر القدرات . كما أن القوى الكبرى وجميع الحكومات في العالم الإسلامي وغير الإسلامي كانت تساند الشاه المخلوع .

وتعلمون أيضاً ، أن تغلبنا على مشكلتنا لم يكن عن طريق اللجوء إلى حكومة أو الإستعانة بقدرة أو قوى كبرى ، بل إنّ شعبنا هو الذي حلّ المشكلة بنفسه ، حين تحول من الخوف إلى الشجاعة ، ومن التفرقة إلى التجمع ، وهذا التغيير الإعجازي أدى إلى حل هذه المشكلة الكبرى التي أجمع العالم تقريباً على استحالة حلها . . .

لا تـظنـوا أن الشعب الإيـراني كـان يمتلك السـلاح . . . نعم كـان يمتلك سلاحاً روحياً يتمثل بإيمانه بالله تعالى وإيمانه برسالته ، وتـوكله على مصـدر القدرة وبوحدة كلمته . . . وإن حمل بعض أبناء الشعب السلاح ، فإنّما كان هذا السلاح ما اغتنموه من جلاوزة الشاه . ولم يكن للبندقية مكانة ، بـل كان الإيمـان مشهوداً على مسرح الأحداث من مركز البلاد حتى أقاصيها .

كان الشعب هو الوحيد في السـاحة ، وهـذا المجموعـات الفاسـدة المفسدة دست يومئذٍ رأسهـا في التراب واختبـأت في جحورهـا ، وكانت الكلمـة الوحيـدة المـرتفعة ، حتى من الأطفـال الصغار ومن مـرضى المستشفيات هي كملة الإسـلام والمـطالبة بـإقامـة الجمهوريـة الإسلاميـة ، كان هـذا شعار الجـامعات والمـدارس والشباب والشيوخ والنساء والرجال . . .

لقـد شاءت القـوى الكبرى أن تخـدِّرنا وتَشُلَّنـا . . . وشـاءت إرادة الله أن تبعث في جسد هذه الأمة ومضة أيقـظتها من سبـات عميق وانحلت تلك المشلكة المستعصية مشكلة الشاه وبطانته وجلاوزته ، وكان الحل بيد أبناء الأمـة أنفسهم ، دون أن ترد من خارج الحدود بندقية ودون أن تساعـد الشعب حكومـة أجنبية . . بل بالعكس ، فقـد اتخذت الحكـومات مـوقف المعارض ، كـان العراق يعـارض بشدة ، وهكذا مـوقف . . . سائـر الحكومـات ، وضعها معلوم ومكشـوف . . . ومع كل هذا فالشعب اقتحم الميدان بيد خالية ، وكسر تلك السدود التي ظُنّ أنها منيعة مستعصية » .

إنّ القرآن الكريم يوجهنا إلى إعداد القوة العسكـرية والمـادية ، ولكن قـدر الإستـطاعـة ، إذ ليس شرط التكـافؤ في العـدد والعـدة شرطـاً أسـاسيـاً للنصر في المعركة . ونذكر الآن عناصر النصر كما تظهر من النصوص القرآنية المقدسـة وهي كما يعددها أحد علمائنا الأفاضل : القوة ـ المال ـ التسديد والتعليم ـ التثبيت والثقة بالنصر .

١ ـ القوة العسكرية : إنّ القوة التي لا تستند إلى قوة الله تعالى هي ضعف ، والله تعالى يدافع عن الذين آمنوا ، كما جاء في القرآن الكريم .

يقول عز من قائل : **﴿ إذ يُوحى ربُّك إلى الملائكة أني معكم ، فثبتوا الذين**

امنوا ، سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق ، واضْرِبُوا منهم كُلّ بنانٍ ﴾[١] .

إن قضية النصر والهزيمة في الحياة تخضع لأسباب موضوعية تتعلق بطبيعة المعركة ، من حيث الأسلحة التي تستخدم فيها والأشخاص الذين يحاربون فيها ، أو يتولون قيادتها ، والظروف السياسية التي تحيط بها ، والخطط الحربية التي توضع لها ، والأوضاع الاقليمية والطبيعية التي تتحكم في مسيرتها ، وتخضع لها حركتها العامة . . انطلاقاً من سنة الله في الكون ، الجارية على أساس ارتباط الأمور بأسبابها ، فيجعل لكل ظاهرة سبباً ولكلّ معلول علة ، ولكل نتيجة مقدماتها ، ولهذا فلا بد ، من توفر ذلك كله ، في حصول النصر أو الهزيمة ، أو التقدم والتأخر . . . إنّ علاقة الإيمان بالقوة ، تتمثل في دور الإيمان في إعطاء المعركة قوة جديدة أساسية ، تضاف إلى بقية القوة التي تفرض النصر . . . مما يجعل عناصر القوة متكاملة في حركة المعركة ونموها . . . بينها يُحوّل ابتعاد المعركة عن الإيمان ، إلى معركة لا روح فيها ولا حياة(٨) .

٢ ـ **الجانب المالي** : وهذا يتأمن عن طريق الإنفاق في سبيل الله والبذل من المؤمنين لتوفير متطلبات المعركة ، ومساعدة المؤمنين لبعضهم البعض من أجل صد العدوان وتحرير الأوطان .

ولكن مهما كان المال قليلاً ، فإنّ الله ناصر المؤمنين هو الغني ، يقول سبحانه : ﴿ **ولله خزائنُ السموات والأرض ولكنّ المنافقين لا يفقهون** ﴾[٢] .

٣ ـ **التسديد والإرشاد والهداية** : وذلك لتعلم (الطليعة المؤمنة) ماذا تعمل ، وكيف تتحرك ، وكيف تدعو الناس إلى الله تعالى ، ومتى تختفي ومتى تظهر ، ومتى تتكلم بهمس ، ومتى تصرخ بالحق ، ومتى تتجنب الموجة ، ومتى تجتذب الفارين من الله تعالى إلى الله ، وكيف تداري الناس ، وكيف تدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وكيف تتصرف تجاه الأحداث ، وفي ظلال الطغيان تصمد وتصبر أو تهاجر وتفر بدينها ، ومتى تنزوى داخل البيوت ، ومتى

---

[١] سورة الأنفال : الآية ١٢ .

[٢] سورة المنافقون : الآية ٧ .

تخرج إلى الشارع ، ومتى تعلن الحرب وتفجر الشارع، وكيف تنظم الناس ، وكيف تستقطبهم إلى جانبها ، وكيف تكسب الرأي العام لصالحها ، ومتى تظهر للناس مظلومة مضطهدة ، ومتى تظهر قوية عزيزة ، وكيف تقاتل ، وكيف تعد للقتال ، وكيف تخطط قوية للمواجهة والحرب ، وكيف تلقي الرعب في قلوب الأعداء ، وكيف تمكر بهم ، وكيف تستأصلهم . . . لا بد للقلة المؤمنة أن تتفرغ لهذا الجانب وتعطيه اهتمامها كما لا بد لها أن تولي جانب القوة والمال أيضاً اهتمامها ولا تتركها للصدفة . . ولكن ما لا شك فيه ، مع ذلك كله أن الله تعالى لن يترك القلة المؤمنة لجهدها وعملها في هذا الحقل فقط ، ولن تتخلى عنهم المعية الإلهية في التسديد والتعليم ، كما لم تتخلّ عنهم في ساحات القتال »(٩) .

والقرآن الكريم صرح بذلك : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سُبلنا ، وإنّ الله لَمَعَ المحسنين ﴾[١] .

٤ ـ التثبيت والثقة بالنصر

قال تعالى : ﴿ هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً ﴾[٢] .

﴿ فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم واثابهم فتحاً قريباً ﴾[٣] .

﴿ ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ﴾[٤] .

﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾[٥] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا أن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾[٦] .

---

[١] سورة العنكبوت : الآية ٦٩ .

[٢] سورة الفتح : الآية ٤ .

[٣] سورة الفتح : الآية ١٨ .

[٤] سورة التوبة : الآية ٢٦ .

[٥] سورة إبراهيم : الآية ٢٧ .

[٦] سورة محمد : الآية ٧ .

. . . وتتدخل القـدرة الإلهية مباشرة ـ في حالات كثـيرة ـ لتحسم المعركـة لصالح المؤمنين ، وذلك عندما يصبح الإسلام في خطر ، ويواجـه قوة عـاتية ربما يؤثر انتصارها على مستقبل الرسالة ، كما حصل في معركة بـدر ، لذلـك نصر الله المسلمين على المشركين وضعف عدتهم .

يقـول تعالى : ﴿ إذْ تستغيثُـون ربَّكُم فاستجـاب لكُم أني مُمدُّكُم بـألفٍ من الملائِكة مـردِفين ومـا جَعلَه الله إلا بُشرى ولِتطمئن بِـهِ قلوبُكُم وما النَصرِ إلاّ من عنـدِ الله إنّ الله عـزيــز حكيم * إذْ يُغَشِّيَكُمُ النُّعـاسَ أمَنَـةً مِنْـهُ ويُنَـزِلُ عليكُمْ من السماءِ ماءً ليُطَهرِكُم بِـهِ ويذهِبَ عنكُم رِجزَ الشيطان ، ولـيربط على قلوبكم ويُثبِّتَ به الأقدام * إذ يـوحي ربُّك إلى المـلائكة أني مَعَكُم فثبِّتُـوا الذين آمنـوا ، سأُلقي في قلوبِ الذين كفروا الرعب فاضربوا فـوقَ الأعناقِ واضـربُوا منهم كـل بنان ﴾[١] .

ويقـول تعالى : ﴿ وَلَقَـدْ نَصَرَكُم الله ببـدْرٍ ، وأنتُم أذلةً فـاتقُوا الله لعلّكم تَشكُـرون * إذ تقـولُ للمؤمنـينَ آلَن يكفيكُم أن يُمِـدَّكُم ربُّكم بثـلاثـةِ آلافٍ من الملائِكة مُنزَلين * بلى إن تصبِروا وتتّقوا ويأتـوكم من فورِهِم هـذا يُمددكم ربُّكُم بِخَمسـة آلاف من الملائكـة مُسَـومِـين * ومـا جَعَلَهُ الله إلا بُشرى لكُم ولتـطمئنَّ قلوبكم بـه وما النصرُ إلاّ من عنـد الله العزيـز الحكيم * ليقْطعَ طـرفاً من الـذين كفروا ويَكْبِتهم فينقلبوا خائبين ﴾[٢] .

ويقـول سبحانـه : ﴿ إذ يُريكهُمُ الله في منـامِـكَ قليـلاً ولـو أراكُهم كثيـراً لفشلتُم ولَتنـازَعْتُم في الأمـر ولكنّ الله سلم ، أنـه عليم بـذات الصـدُور * وإذ يُـريكُمُـوهم إذ التقيتُم في أعينُكُم قليـلاً ويُقللكم في أعينهم ليقضي الله أمـراً كـان مفعولاً وإلى الله تُرجع الأمور ﴾[٣] .

ولقد أدرك الإمام السيد موسى الصدر عمق المؤامرة فعـبّر عن ذلك بقـوله :

---

[١] سورة الأنفال : الآية ٩ ـ ١٢ .

[٢] سورة آل عمران : الآية ١٢٣ ـ ١٢٧ .

[٣] سورة الأنفال : الآية ٤٣ ـ ٤٤ .

« أصبحنا ضحية تآمر الحقد العنصري الصهيوني يشاركه في ذلك موقف الحضارة الغربية المادية وازدرائه ، تلك الحضارة التي انقلبت معطياتها ومكاسبها لهم ولغيرهم شراً مستطيراً .

ثم نقف أمام هذه الظاهرة المذهلة ، حيث كنا نفهم الحضارة بالمعنى الذي قدمناه نحن في الشرق للعالم حضارة إنسانية حقة وديناً قويماً لا تصنيفاً للبشر ولا تسخيراً لشعوب الأرض وخيراتها ولا تحقيراً للإنسان وتمييزاً بين عناصره ولا تزييفاً للحقائق وتسمية كل هذا حضارة وحماية لحقوق الإنسان .

نقف أمام هذه الظاهرة المذهلة لكي نتأكد أن طريقنا الوحيد هو الإستمرار في المعركة وأن النصر النهائي الحقيقي هو لنا دون تردد ، لأن إرادة الحياة عند كل شعب هي طريق النصر ولو بدأ من نقطة الصفر ، فكيف بنا ونحن نملك أضخم الطاقات الجغرافية والإقتصادية والبشرية ونحمل أنبل القيم الأخلاقية والإنسانية والروحية .

والآن وأمام تجاوزات العدو وعمله العدواني التوسعي وقوله : هل من مزيد ؟ أمام موقف العالم الغربي الذي يتشفى ويرقص على أنات الثكالى والجرحى والمشوهين وأمام ازدراء الصحف والإذاعات والمعلقين ووسائل الإعلام وحتى الشعوب الأوروبية والأميركية وأمام صمت الضمير العالمي المميت المتجلي في موقف العالم قبل المعركة وأبّانها وبعدها في هيئة الأمم وغيرها .

وأمام النفسية التي تسيطر على العالم الآن والتي يعبر عنها أحد المعلقين السياسيين قائلاً : (إسرائيل ابن العالم الوحيد في خطر) .

أمام هذه المقاييس المذهلة يتحتم علينا أن نقف الوقفة التاريخية بكل جهودنا حفاظاً على عقيدتنا ووجودنا ومستقبل بلادنا وأجيالنا وأداءً لدورنا التاريخي والأمانة الملقاة على عاتقنا و :

١ ـ أن نشعر بجسامة الخطر في الحال وفي المستقبل ومعرفة القوى ونقاط الضعف وتقدير قوة العدو تقديراً منا بأن دولة إسرائيل هي في الحقيقة ثكنة اليهود وحلفائهم في العالم ، لنواجه الحقيقة بكل جرأة وعزم .

٢ ـ أن نعيد الثقة إلى أنفسنا فنشعر بأصالتنـا وذاتيتنا ونتحـرر من الإستعمار الفكري لا بل من جميع أشكال الإستعمار .

٣ ـ أن نوحد صفوفنا حتى نكون صفاً واحداً مرصوصاً وأن نعلق خـلافاتنـا ولو كانت أساسية إلى ما بعد الإنتصار الكامل على العدو .

٤ ـ العمـل المخلص الصـامت لكـل مـا يسر لـه بعيـداً عن المـزايـدات والمتاجرات باستعمال جميع إمكانياتنا الإقتصادية والجغرافية والبشرية دون توفير أو تقتير .

٥ ـ الوثوق بالله وحده والرجوع إليه وحده فإن الله يدافـع عن الذين آمنـوا ولكنـه لا يغير مـا بقوم حتى يغـيروا ما بـأنفسهم فيجب أن نعتمد عليـه في السعي الـدائم والجهد المتـواصل ونستفيـد من أي فرصـة أو أي عون شريفـين دون قيود وشروط .

٦ ـ التهيؤ الكـامل والإستعـداد التام النفسي والجسمي لمـواجهـة العـدوان للصمود أمام المفاجآت رجالاً ونساءً ، شيباً وشباناً ، فالعـدو لا عهد لـه ولا زمام ولا يرتبط بأي التزام ولا يحترم القيم الإنسـانية فـواجب الشعب التهيؤ والإستعداد بواسطة الدفاع المدني والدورات التدريبية العسكـرية حتى لا يعـطي بيديـه إعطاء الذليل ولا يقرّ إقرار العبيد .

. . . . هذا الخط لهذا الهدف ليس هو بسياسة كـما يفهمون السيـاسة وإنّمـا هو دين وإنسانية وكرامة ، أنه قضية حق ضد فجور ، قضية قيم إنسانية ضد حياة مادية واستعمار ، فإن الحرب ليست غايتها اغتصاب أرض فحسب بل في الأساس حرب على حضارتنا وتقاليدنا وقيمنا الروحية والخلقيـة وكرامـة الإنسان فينـا بل في العالم كله .

فلننهض ولنجند كل طاقاتنا ولننصر الله في حمايـة الحق والعدل وفي الحـرب على الظلم والظالمين وفي الدفـاع عن اقداس مقـدساتنـا عن الأرض التي باركهـا الله . ولننسَ مصالحنا الخاصة وجميع خلافاتنا وآرائنا المتفاوتة لأجل هذه الأهداف المصيرية السامية ولنكتب طريق النصر بهمة بطولية نقتبسها من إرادة الله معتمدين عـلى وعـده الـذي لا يُخلف ﴿ وعـد الله الـذين آمنـوا منكم وعملوا الصـالحـات

ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الـذين من قبلهم وليمكنّنّ لهم دينهم الـذي ارتضى لهم . وليبدلنهم من بعد خـوفهم أمناً يعبـدونني لا يشركون بي شيئـاً ومن كفـر بعد ذلـك فأولئـك هم الفاسقـون وأقيموا الصـلاة وآتوا الـزكـاة وأطيعـوا الرسول لعلكم ترحمون * لا تحسبن الـذين كفروا معجـزين في الأرض ومأواهم النار ولبئس المصير ﴾ »(١١) .

لا للإستسلام . . . لا للإنهزامية . . . لا لمهادنة المعتدين

يـبرر المنهزمـون انهزامهم بضعف القوة العسكـريـة ، وقلة الإمكـانيـات ، ويقولون ان الإمام الحسن (ع) صالح معاوية . . .

ما هذا ! ولِمَ يُتخذ الحسن (ع) ومواقفه غطاء لإنهزامية المهزمين ومبرراً لعدم التصدي للعدوان ، وينسى هؤلاء أن الحسين (ع) قد قاتل يزيد بن معـاوية ، مـع علمه أن المعركـة غير متكـافئة ، وأنـه خاسر عسكـرياً ولكنـه وجد أن استشهـاده سوف يحي الشريعة التي عمد معاوية إلى طمسها وتحريفها ، وسوف يصحح مسار القيادة التي زيفها الأمويون .

ونود أن نذكر بعض النقاط لنبين الفرق بـين صلح الحسن (ع) والإستسلام للإحتلال الإسرائيلي :

١ ـ إنّ معاوية وجهته كانت جهة إسلامية بالمعنى الظاهري ، وقـد استطاع معاوية بخدعه وأساليبه أن يغش الناس بممارساته ، إلى درجة أن كثيرين من أفـراد الأمة كانت تعتمـد بصدق وورع وتقـوى معاويـة ، وبعضهم إلى الآن يضيف إلى إسم معاوية إذا ذكر ، عبارة رضي الله عنه .

٢ ـ إنّ الحسين (ع) كان موقفه من معاوية هـو موقف الحسن (ع) حتى أنـه كان يقول لأصحـابه : « الصقـوا بالأرض رحمكم الله حتى يمـوت هذا الـرجل » ، يقصد معاويـة ، وبقي على هـذا الحال مـدة عشر سنوات ، وذلـك لأنه كـان من العسير فضح معاوية أمام الرأي العـام ، أما يـزيد فـإن أمره ظـاهر ، فهـو راكب الفجور ولاعب بالقرود وشارب الخمور وقاتل النفس المحترمة .

٣ ـ إذا كان الصلح مع معاوية هو صلح مع جهـة تعتبر ظـاهراً إسـلامية ،

ولـذلك سمي ذلـك العـام (عـام الجماعـة) ، ولكن هـل الصلح مـع إسرائيـل ومهـادنتها والإستسـلام لها صلح ومهـادنة لجهـة إسلاميـة ؟ ! أم هو تخـاذل وبيع للشرف والمقدسات والحرمات ؟ . . .

٤ ـ إن إحـدى غايـات صلح الحسن (ع) فضح وتعـرية الحكم الأمـوي ، لتمهيـد طريق الثـورة أمـام الحسـين (ع) ، ولكن مـاذا يـريـدون من الإستسـلام لإسرائيل ؟ .

هل يريدون كشف حقيقتها ؟ .

هل يريدون أن يثبتوا للعالم أن إسرائيل دولة معتدية ؟ .

ماذا يريدون ، وكل ما ذكرنا معروف لدى القاصي والداني ؟ .

وهـل باستسـلامنا كـما يريـدون نكون قـد خططنـا لمقاومـة العدو أو تهيـأنا لذلك ؟ .

الجواب : إن العكس هو الصحيح .

٥ ـ وإذا كـانت إسرائيل تـريـد أن تحقق أهـدافهـا التي من أجلهـا احتلت واجتاحت بلادنا وقدسنا ومقدساتنا ، وأنـا لن تلتفت إلى أحد ، وأن مـا تريـد أن تفعله ستفعله سـواء غضب من غضب أو رضي من رضي إن استـطاعت ، فـإنّ الإستسلام لها لن يمنع عنا أذى ولن يجلب إلينا خيراً ، بل أنها ستقتل من تريد قتله وستسجن من تريد أن تسجنه . . . إذن ليس أمامنا إلاّ المقاومة بما نستطيع حتى لا نكـون منهـزمـين ، فمـرحلتنـا مـرحلة الحسـين (ع) ، مـرحلة الـرفض ، رفض الإستسلام والخنوع والذلة والهوان ، وها هو الحسين (ع) يقول لوالي المدينة :

« أيها الأمير : إنّـا أهل بيت النبـوة ومعدن الـرسالـة ، ومختلف الملائكـة ، ومهبط الرحمة ، بنا فتح الله وبنا ختم ، ويزيد رجل شارب الخمر ، وقاتل النفس المحترمة ، معلن بالفسق ، ومثلي لا يبايع مثله » .

ونقـول : ومثلنـا نحن المؤمنـين ، والمجـاهــدين لا يستسلم وإن علم أنـه سيستشهد فهوذا الحسين (ع) يجيب أم سلمة التي أقبلت إليه ترجوه أن يترك السفـر قائلة : « لا تحزنّي بخروجك إلى العراق » . فأجاب سلام الله عليه :

« يا أماه وأنا أعلم أني مقتول مذبوح ، ظلماً وعدواناً ، وقد شاء عز وجل أن يرى حرمي ورهطي مشردين ، وأطفالي مذبوحين مأسورين مقيدين ، وهم يستغيثون فلا يجدون ناصراً ! .

. . . وبعد محاورة طويلة مع أخيه محمد بن الحنفية قال له : « يا أخي لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية . . . يا أخي جزاك الله خيراً ، لقد نصحت وأشرت بالصواب ، وأنا عازم على الخروج إلى مكة ، وقد تهيأت لذلك أنا وأخوتي وبنو أخي وشيعتي ، أمرهم أمري ورأيهم رأي . . . » .

وعندما طلب إليه مبايعة الفاسق يزيد ، قال الإمام عليه السلام :

« لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ، ولا أفر فرار العبيد » .

وماذا إذا تقاعسنا وضعفنا وجبنا ؟ .

القرآن الكريم يجيب بوضوح :

﴿ إنّ الذين توفّاهم الملائكةُ ظالمي أنفُسهم قالوا فيمَ كُنْتُم قالوا كنّا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تَكنْ أرضُ الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهُم جهنّم وساءت مصيرا ، إلاّ المستضعفين من الرجالِ والنساء والولدان لا يستطيعون حيلةً ولا يهتدون سبيلاً ﴾ فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوّاً غفوراً ﴾[1] .

فلا مبرر إطلاقاً للإستسلام والخضوع للمعتدين والظالمين ، وتنفيذ ما يريدون والسير وفق مخططات الأعداء ، ولا يستثنى إلاّ المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، الذين لا يستطيعون حيلة ولا يقدرون على الهجرة والخروج لمقاومة الإعتداء والظلم .

وليس أمامنا إلا مقاومة العدو وقتاله بما نستطيع ، وعدم الإغترار بأساليبه وخدعه ، فقد روى الكثيرون أن الإسرائيليين كانوا يقدمون الحلوى والفواكه للمهاجرين والمشردين من بيوتهم ويلاطفونهم على حواجزهم (أثناء الغزو

---

[1] سورة النساء : الآية ٩٧ ـ ٩٩ .

الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢م) ، وهذا ما ترك أثراً حسناً عند البسطاء الذين راحوا يقومون بحملة إعلامية تمدح العدو الصهيوني ، وتتحدث عن حسن أخلاق الصهاينة ! وتقدح بالمسلمين والفلسطنيين والمقاتلين المجاهدين ، وتفضل الإسرائليين عليهم ! .

عفوك يا رب . . . أليس من الواجب علينا أن لا ننسى إن إسرائيل ، إذا قدمت الحلوى لأحدنا على حاجز إسرائيلي ، فإنها هي سبب تشريده وتهجيره ، وهي التي قتلت طفله أو أخاه أو أمه أو أباه أو جاره . . . وهي التي قدمت له القنابل العنقودية ، والصواريخ ، والمتفجرات لتهلك الحرثَ والنسل . كيف نغتر بهذا وننسى ذاك . . . عفوك يا رب .

ليس أمامنا سوى القتال والإستجابة لأمر الله :

قال تعالى : ﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴾[١] .

﴿ فليقاتل في سبيل الله الذينَ يَشْرُونَ الحياةَ الدُّنيا بالآخرة ومَنْ يُقاتل في سبيلِ الله فَيُقْتَلْ أو يَغْلِبْ فسوفَ نؤتِيه أجراً عظيماً * وما لَكُم لا تقاتلونَ في سبيل الله والمستضعفينَ من الرجال والنساءِ والولدانِ الذينَ يقولونَ ربَّنا أخْرِجْنَا من هذه القريةِ الظالِمِ أهلُها واجعلْ لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لَدُنْكَ نصيراً ﴾[٢] .

﴿ ولا يستوي القاعدُون من المؤمنين غيرُ أولي الضرَرِ والمجاهدون في سبيل الله بأموالِهم وأنفسِهم ، فضَّلَ الله المجاهدينَ بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجةً وكلاً وعدَ الله الحُسنَى وفضَّلَ الله المجاهدينَ على القاعدينَ أجراً عظيماً * درجاتٍ منهُ ومغفرةً ورحمةً وكانَ الله غفوراً رحيماً ﴾[٣] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لَقيتُمُ الذينَ كفروا زَحْفاً فلا تُولُّوهُم الأدبارَ *

---

[١] سورة البقرة : الآية ١٩٠ .

[٢] سورة النساء : الآية ٧٤ ـ ٧٥ .

[٣] سورة النساء : الآية ٩٤ ـ ٩٥ .

ومَنْ يولِّهم يومئذٍ دُبُرَهُ إلاّ مُتَحرِّفاً لقتالٍ أو مُتحيِّزاً إلى فئةٍ فقد باءَ بغضبٍ من الله ومأواهُ جهنّمُ وبئْسَ المَصيرُ ﴾[١] .

الشهادة أفضل أساليب المواجهة مع العدو

شعار المجاهد : النصر أو الشهادة

إذا كان خيارنا الوحيد هو قتال العدو فإنّ النتيجة الحتمية : إما النصر وإما الشهادة .

يقول تعالى : ﴿ وما النصر إلا من عند الله ﴾[٢] .

﴿ قل هل تَرَبَّصون بنا إلا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يُصيبكم الله بعذابٍ من عنده أو بأيدينا ﴾[٣] .

وقال علي (ع) : « المؤمن يقظان ينتظر إحدى الحسنيين »(١٢) .

النصر على العدو وعد من الله تعالى للمؤمنين

إنّ الله عز وعلا قد وعد عباده المؤمنين بالنصر على أعدائهم وأعدائه ، ان التزموا بشروط نذكر بعضها على سبيل التذكير إذ سبق الحديث عنها بالتفصيل :

١ ـ عدم تولي أعداء الله لأنهم أولياء بعض ، ولا شك ان الذين يساعدونهم ، ويخدمونهم ويسهلون لهم طريقهم ، هم أولياء لهم ، وأعداء لله ، وعلينا قتالهم ، وواضح ، كيف أن قوى المارونية السياسية في لبنان ـ العميلة لإسرائيل تفسح في المجال ، وتعمل ما تستطيع من أجل مساعدة الإسرائيليين في تحقيق أهدافهم ﴿ لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ﴾ .

---

[١] سورة الأنفال : الآية ١٥ ـ ١٦ .

[٢] سورة الأنفال : الآية ١٠ .

[٣] سورة التوبة : الآية ٥٢ .

٢ ـ الإلتزام بتقوى الله ومحبته والخوف منه والشوق إلى لقائه والإعتصام بحبله وعدم التفرق والإختلاف .

قال عز وعلا : ﴿ ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم ﴾ ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حقَّ تُقاتِه ولا تَموتُنَّ إلاّ وأنتم مسلمون . ولتكُن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون . ولا تكونوا كالذين تفرّقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذابٌ عظيم لن يضرُّوكم إلاّ أذى ، وإن يقاتلوكم يولّوكم الأدبار ثم لا يُنصَرون ﴾[١] .

٣ ـ إعداد القوة ـ ما استطعنا ـ والتدرب على استخدام السلاح لمواجهة العدو ، والتوكل على الله .

قال عز وعلا : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة . . ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾[٢] .

٤ ـ الإيمان ، والتذكر الدائم لما وعد الله عباده من نصر : قال تعالى : ﴿ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ﴾[٣] .

٥ ـ عدم التهيب أمام قوة العدو مهما عظمت وكبرت ، لأن قوة الله أكبر وأعظم .

قال عز وجل ﴿ يا أيها النبي حرِّض المؤمنين على القتال ، إن يكن منكم عشرون صابرون ، يغلبوا مئتين ، وإن يكن منكم مئة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون ﴾[٤] .

ويتضح من هذه الآية أن الصمود والصبر الإيماني كفيل بتحقيق النصر على العدو المنهزم من داخله ، المستند إلى قوته الذاتية المحدودة ، وفي معادلة القرآن : ١٠٠ مؤمن مجاهد صابر يغلبون ١٠٠٠ كافر .

---

[١] سورة آل عمران : الآية ١٠١ ـ ١٠٤ ـ ١٠٥ ـ ١١١ .

[٢] سورة الأنفال : الآية ٦ .

[٣] سورة آل عمران : الآية ١٢٩ .

[٤] سورة الأنفال : الآية ٦٥ .

ومهما حصل ، ومهما كان الوضع القتالي والعسكري والنفسي فإن المؤمنين سيبقون مع الصبر متفوّقين على الكفار ، والله ناصرهم .

قال عز وجل : ﴿ **الآن خفف الله عنكم ، وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مئة صابرة ، يغلبوا مئتين وإن يكن منكم ألف يغلبون ألفين بإذن الله ، والله مع الصابرين** ﴾[1] .

فمهما ضعفت قوة المؤمنين فإن : « ١٠٠ من المؤمنين الصابرين يغلبون ٢٠٠ من الأعداء » .

٦ ـ الثقة بأن إسرائيل لا بد أن تزول قال سبحانه وتعالى : ﴿ وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتُفسِدُنَّ في الأرض مرَّتين ، ولتَعْلُنَّ علواً كبيراً ، فإذا جاء وعدُ أولاهُما بَعَثنا عليكُم عباداً لنا أُولي بأسٍ شديدٍ فجاسوا خلالَ الديار وكانَ وعداً مفعولاً * ثم رَدَدْنا لكُمُ الكرَّة عليهم وأمددناكم بأموالٍ وبنينَ وجعلناكُم أكثَرَ نفيراً * إنْ أحسنتُم أحسنْتُم لأنفسِكُم وإن أسأتُم فلها ، فإذا جاءَ وعدُ الآخِرة ليسوؤا وجوهَكم وليَدخُلوا المسجِدَ كما دخلوه أولَ مرةٍ وليُتَبِّروا ما عَلوا تَتْبيراً * عسى ربُّكم أن يرحَمَكُم ، وإنْ عُدتُم عُدنا ، وَجَعلنا جَهنَّم للكافرين حَصيراً ﴾[2] .

إنّ اليهود ـ على مدى تاريخهم عاشوا أذلاء ، ما خلا الزمن الذي كان فيه داوود وسليمان وموسى (ع) ، والآيات تشير إلى أن اليهود سيفسدون في الأرض مرتين ، أي سيعم إفسادهم مشارق الأرض ومغاربها .

﴿ **فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً** ﴾ .

إنّ احتلال فلسطين والقدس وغزو لبنان ، والأراضي الإسلامية الأخرى ، قد يكون بداية المرة الثانية من العلو والفساد الذي ستدمره قوات الإسلام الثوري المجاهد الصابر ، وبنادق الثوار المسلمين الصالحين الصامدين في معارك الشرف والعزة في سبيل الله .

---

[1] سورة الأنفال : الآية ٦٦ .

[2] سورة الإسراء : الاية ٤ ـ ٨ .

وهنا يقول تعالى : ﴿ **ثم رددنا لكم (اليهود) الكرة عليهم (على العباد الصالحين) وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً (تغليباً في الحروب) إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبّروا ما علوا تتْبيراً** ﴾ .

وواضح أن الإسرائيليين يتمتعون الآن بالقوة والغلبة ولكن النصر للمؤمنين ولا بد من زوال إسرائيل كدولة وككيان ، كما هو وارد في الروايات .

ولعل هذا لا يقتصر على الروايات من المصادر الإسلامية ، بل تتعداها إلى ما ورد في كتب الوحي السابقة حيث ذكر لبنان بالإسم ، مع اعتقادنا أن هذه الكتب قد غزتها يد التحريف فغيرت الكثير من حقائقها .

« عما قليل يتحول لبنان إلى كرم ، والكرم يصبح غابة . وفي ذلك اليوم ، يسمع الصم أقوال الكتاب ، وتبصر عيون العمي بعد الديجور والظلام ، ويزداد المحرومون سروراً بالرب . . . لأن الطاغي ينقرض ، والساخر يفنى ، ويستأصل فاعلو الإثم الذين يضللون الآخرين بكلامهم » (أشعيا ٢٩ . ١٧ ـ ٢١) .

يضاف إلى ذلك ما ورد في سفر الرؤيا من كلام يدل على زوال إسرائيل .

الإستشهاد في سبيل الله

مما قاله الإمام الخميني (قدس سره) في تأبين الشهيد المطهري :

« إحدى مميزات الإسلام اعتقاد المسلم بأن الشهادة درجة عظيمة وفوز كبير ، والمسلم الحقيقي يستقبل الشهادة بقلب منفتح لأنه يعتقد أن ما وراء هذا العالم وهذه الدنيا عالم أفضل وأنور من هذا العالم ، عالم الآخرة ، ومن هنا فإن علماءنا الملتزمين ، وشبابنا المؤمنين بالله واليوم الآخر ، يجب ألا يهابوا الموت في سبيل مبدأ التوحيد لأن الموت في هذا الطريق شهادة . إنّ الشهادة في سبيل الله تركّز وتجذّر مبدأ الله ، وإن استمرارية الإسلام وثورتنا الإسلامية مرتبطة بدماء شهدائنا .

إن دم شهيدنا وعزيزنا أحيا أرض ثورتنا من جديد ، وبكل ثقة نقول لهؤلاء القتلة ، اقتلوا أريقوا دماءنا ، ولكن حياتنا ستستمر ، اقتلونا والشعب سوف

يستيقظ ويفيق ، ونحن لا نهاب الموت ، وأنتم لا تغضون النظر عن إبادتنا دليل عجزكم . .

. . . لا تهابوا الموت ، فالموت حياة ، والآخرة هي الحياة الأبدية ، ونحن في هذا العالم لا بد أن نموت ، فلماذا يخاف المسلمون وعلماؤهم من الموت . الإسلام دين خالد وهذه الثورة (الثورة الإسلامية) خالدة مستمرة إلى أن نجتث كل جذور الفئات الباغية ، ونحطم كل هذه المؤامرات الحقيرة » .

إنّ الشهادة هي انطلاقة الروح العاشقة لعالم الروح ، بحيث تدفع الجسد الترابي نحو الفعل الذي يربط الروح بالمادة ، ويشكل حلقة الوصل بين الدنيا والآخرة ، وبين الحياة الفانية والحياة الخالدة .

لذلك فإن الشهيد يتعلق بعالم آخر ، تختلف مقاييسه عن هذا العالم ويرى ما لا نراه ، ويسمع ما لا نسمعه ، لذا فإنه يمر على الجسر الذي يصل الحياة الدنيا ، بالحياة الآخرة ، غير آبه بالصعوبات والمشاكل ، فمجرد أن يسقط على الأرض فإنه يرتفع إلى السماء .

والشهيد الذي رأى الخلود ، يهزأ بالفناء ، وشعاع واحد يرسله الشهيد من روحه إلى الأرض كاف لإضاءة جوانب كثيرة من جوانب الحياة ، إلى درجة إيقاظ الأجيال وفضح المنحرفين والعملاء . . فالشهادة هي وسيلة التحرر من الظلم والظالمين ، وهي السلاح الأقوى في وجه المعتدين ، لا بل هي السلاح الإسلامي المتطور الذي يتجدد مع الزمن والذي أثبت فعاليته في تحقيق النصر دائماً ، النصر بالمفهوم الإسلامي ، وهو الذي يهدف إلى إعلاء كلمة الله في الأرض ، وجعل كلمة الذين كفروا هي السفلى . وبعشق الشهادة نستطيع أن ندحر كل أعداء الإسلام ، وأن نرفع كابوس الإحتلال لأرضنا المقدسة في فلسطين ولبنان وغيرهما . وخصوصاً أن العدو الإسرائيلي ، وكل أعداء المسلمين ، طبيعتهم عدوانية وحشية ، وان ادعوا التحضر والتمدن ، فممارستهم مع الشعوب المستضعفة خير دليل ولذلك لم يتورعوا عن القتل والإيذاء والتشريد ، وما مجزرة صبرا وشاتيلا وقبلها مجزرة دير ياسين ، وبعدهما مجزرة سحمر ومجازر أخرى معلومة وغير معلومة إلّا الشاهد على أن الطريق الوحيد هو طريق الشهادة ، والصمود في وجه العدو الغاصب ، مهما كانت النتائج . . .

يقـول سبحانـه : ﴿ والـذين آمنـوا بـالله ورسله أولئـك هم الصـديقـون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم ﴾[١] .

ويقـول أيضاً : ﴿ وليعلم الله الـذين آمنوا ، ويتخـذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين ﴾[٢] .

إن الله يتخذ الشهداء ويصطفيهم إذا وصلوا إلى الدرجة التي يستحقون بهـا أن يكونوا مختارين من قبله تعالى .

إن كل الناس ، من علماء وفلاسفة وأدبـاء وقادة بحـاجة إلى الشهيـد الذي يؤمن لهم الحياة الحرة بدمه وجهاده ، والشهيد ليس بحـاجة إلى أحـد من هؤلاء ، وكما قال الشهيد مطهـري : « الشهيد كـالشمعة التي تحـترق وتفنى لتضيء الطريق للآخرين . . . الشهداء شموع البشرية على طريقها.الـلاحب الطويـل . . . ولولا هذه الشموع لما استطاعت المسيرة البشرية أن تواصل طريقها ، ولمـا استطاع أبنـاء البشر في ظلمات الإستعبـاد والإستبداد أن يمـارسوا نشـاطهم ويقدمـوا خـدمـاتهم الإنسانية .

قال تعالى : ﴿ يا أيها النبي إنّا أرسلناك شـاهداً ومبشـراً ونذيـراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ﴾[٣] .

والسراج المنـير مفهوم يـدل على الإضـاءة ، وينطوي عـلى معنى الإحـتراق وإزالة دياجير الظلام .

والشهيد لا يغسل ولا يكفن . . . ولعـل ذلك يـرمز إلى تسـاميه وتـطهره ، والشهيد واع لما يفعل ، ويدرك أنه يضحي في سبيل هـدف مقدّس ، لـذلك فـإنَّ الشهيد يجتاز امتحانه تحت وطأة السلاح . روي أنه سئل النبي (ص) :

« ما بال الشهيد لا يفتن في قبره » ؟

أجاب : « كفى بالبارقة فوق رأسه فتنة »[١٣] .

---

[١] سورة الحديد : الآية ١٩ .

[٢] سورة آل عمران : الآية ١٤٠ .

[٣] سورة الأحزاب : الآية ٤٤ ـ ٤٥ .

ورُوي عن علي بن موسى الرضا (ع) عن الحسين بن علي (ع) قال : بينما أمير المؤمنين يخطب ويحضّهم على الجهاد إذ قام إليه شاب . فقال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن فضل الغزاة في سبيل الله فقال (ع) : كنت رديف رسول الله (ص) على ناقته العضباء ونحن منقلبون عن غزوة ذات السلاسل فسألته عمّا سألتني عنه فقال : « الغزاة إذا همّوا بالغزو كتب الله لهم براءة من النار ، فإذا تجهزوا لغزوهم باهى الله بهم الملائكة ، فإذا ودّعهم أهلوهم بكت عليهم الحيطان والبيوت ، ويخرجون من الذنوب ، كما تخرج الحية من سلخها ، ويوكّل الله بكل رجل أربعين ملكاً يحفظونه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ، ولا يعمل حسنة إلاّ ضعّف له ، ويكتب له كل يوم عبادة ألف رجل يعبدون الله ألف سنة كل سنة ثلاثمائة وستون يوماً ، اليوم مثل عمر الدنيا ، وإذا صاروا بحضرة عدوهم انقطع علم أهل الدنيا عن ثواب الله إياهم فإذا برزوا لعدوهم وأشرعت الأسنة وفوقت السهام وتقدّم الرجل إلى الرجل حفّتهم الملائكة بأجنحتها يدعون الله بالنصرة والتثبيت فينادي منادٍ الجنّة تحت ظلال السيوف ، فتكون الطعنة والضربة على الشهيد أهون من شرب الماء البارد في اليوم الصائف ، وإذا زال الشهيد من فرسه بطعنة أو ضربة لم يصل إلى الأرض حتى يبعث الله إليه زوجته من الحور العين فتبشره بما أعد الله له من الكرامة فإذا وصل إلى الأرض تقول له الأرض مرحباً بالروح الطيبة الذي أخرج من البدن الطيّب . أبشر فإنّ لك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . ويقول الله عزّ وجل أنا خليفته في أهله من أرضاهم فقد أرضاني ومن أسخطهم فقد أسخطني ويجعل الله روحه في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث يشاء ، تأكل من ثمارها ، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلّقة بالعرش ، ويعطي الرجل منهم سبعين غرفة من غرف الفردوس سلوك كل غرفة ما بين صنعاء والشام يملأ نورها ما بين الخافقين . . . (١٤) .

عشق الشهادة درب السعادة

أكرم الموت القتل

قال علي (ع) : « إنه لما أنزل الله سبحانه ، قوله : ﴿ ألم . أحسِبَ الناسُ

أن يـتركـوا أن يقـولـوا آمنــا وهم لا يفتنـون ﴾ علمت أن الفتنــة لا تنـزل بنــا ورسول الله (ص) بين أظهرنا .

فقلت : يا رسول الله ، ما هذه الفتنة التي أخبرك الله تعالى بها ؟ .

فقال : يا علي ، إن أمتي سيفتنون من بعدي .

فقلت : يـا رسـول الله أو ليس قـد قلت لي يـوم أُحُـد حيث استشهـد من استشهـد من المسلمين . وحيـزت عني الشهادة ، فشق ذلـك علـيّ . فقلت لي : أبشر فإنّ الشهادة من ورائك » .

فقال لي : « إن ذلك لكذلك ، فكيف صبرك إذن ؟ » .

فقلت يـا رسـول الله : ليس هـذا من مـواطن الصـبر ، ولكن من مـواطن البشرى والشكر ! » .

ويقـول علي (ع) أيضـاً : « إنّ أكـرم المـوت القتـل ! والـذي نفس ابن أبي طالب بيده ، لألف ضربة بالسيف أهون علي من ميتـة على الفـراش في غير طـاعة الله »[١٥] .

السباق للشهـادة . . .

وهـذا « خيثمـة » واحـد من سـائـر النـاس يتنـازع مـع ابنـه ليسبقـه في الإستشهاد .

الأب يصر على الإبن أن يبقى في البيت ليذهب هـو إلى الجهاد والإبن يصر على الأب كذلك للبقاء في البيت ليذهب هو . . . فيقترعان . وتخرج القرعـة على الإبن ليذهب ، ويستشهد . ثم يرى الأب ولده في عالم الرؤيا يقول له « يا أبت ، إنه قد وعدني ربي حقاً » .

تصاعد شوق الإستشهاد في نفس الرجل العجوز فهرع إلى النبي يقول له : « لقـد وهن عظمي وخـارت قواي ، لكن أشتـاق إلى الشهـادة ، فـأسـأل الله أن يرزقني إياها . فدعا له رسول الله (ص) ولم يمر عام حتى نال الرجل ما تمناه . . . فقد سقط في معركة أُحُد مضمخاً بدم الشهادة » .

و« عمر بن الجموح » . . كان قد أصيب في إحدى رجليه وسقط عنه حكم الجهاد إذ (ليس على الأعرج حرج) .

وكانت معركة أُحُد فتجهز أولاد هذا الرجل للمعركة وهمَّ هو أيضاً أن يشارك مع أبنائه ، نصحه أولاده فلم يستجب لهم ، إجتمع أهله وأقاربه ينصحونه بالبقاء فأبى أن يصغي لهم . وذهب إلى الرسول شاكياً يقول . أبنائي يمنعوني أن أفوز بالشهادة . فأجازه رسول الله أن يشارك في المعركة ، وطلب من أبنائه أن يدعوه يحقق أمنيته في الإستشهاد ، فخاض المعركة واستشهد . وعندما بلغ فشل المسلمين في أُحُد إلى المدينة سارع من كان في المدينة إلى جبل أُحُد ، وبينهم إمرأة عمر بن الجموح . . .

عثرت هذه المرأة على جسد زوجها وابنها وأخيها ، فوضعت الأجساد على ظهر بعير ، وقفلت راجعة إلى المدينة لتدفن قتلاها في البقيع . لكنها ألفت البعير يأبى الإتجاه نحو المدينة ، ولا يتحرك إليها إلاّ بمشقة . فالتقت بنسوة قادمات من المدينة نحو أحد بينهن عائشة زوج الرسول (ص) .

سألتها عائشة من أي مكان تأتين ؟ .

أجابت من أُحُد .

قالت عائشة : فما هذا الذي على ظهر البعير ؟ .

أجابت : أجساد زوجي وابني وأخي ، أذهب بهم إلى المدينة لأدفنهم هناك ثم سألتها عما وراءها .

أجابت المرأة . خيراً . . . النبي سالم والحمد لله ، ورد الله الذين كفروا بغيظهم ثم قالت المرأة لعائشة . إنّ هذا البعير يأبى العودة إلى المدينة وكأنه يروم الذهاب إلى أُحُد .

فقالت عائشة : لننطلق معاً إلى النبي في أُحُد ، ثم قصت المرأة على النبي (ص) ما كان من شأن البعير .

فسألها رسول الله (ص) عما قاله زوجها حين غادر المنزل ، فقالت : « رفع يده إلى السماء ، وسأل الله تعالى أن لا يعيده إلى بيته ، فأخبرها النبي باستجابة

دعوة زوجها ، وأمر بدفنه مع سائر الشهداء في أُحُد[١٦] .

وهـوذا (مصعب بن عمير) الـذي ولد من أب في الـذروة من قومـه جاهـاً ومالاً وأمه (خنـاس بنت مالـك) كانت غنيـة جداً وتهتم بـأولادها ، وخصـوصاً مصعب فقد كان مصعب أعطر أهل مكة وأجملهم ، يحيا حياة ناعمـة ، وفرتهـا له ثروة أمه وشرف أبيه . . . وتمضي الأيام وتلمـح الأم على وجـه مصعب آثار تفكـير عميق وتلح في السؤال عليه لمعرفة سبب تغيره . . .

وفي يوم من الأيام يأتيها (عثمان بن طلحة النهـدي) يخبرهـا أن مصعباً قـد أسلم فلقـد أبصره يصلي . . . لقـد أعرض عن حيـاة قريش وسمـع وفكـر وآمن وأسلم وكانت هجرته الأولى عن متاع الحياة ومفاتنها إلى الله ورسوله ، وكان ذلك سر تفكيره العميق . . .

أهله عمـدوا إلى التضييق عليه ، فحبسـوه ولكن ذلـك لم يثنـه عن مـوقفـه وهاجر مصعب هجـرته الثـانية إلى الحبشـة ، وأصابـه هناك فقـر حتى رجع متغـير الحـال مع من رجـع . ويقبل هـذه المرة عـلى رسول الله (ص) وهـو جـالس بـين أصحابه وعليه ملابس ممزقة فلما رآه الأصحاب نكسوا رؤوسهم لأن ليس عنـدهم ما يعطونه ، فسلم ورد الرسول (ص) السلام وأحسن عليه الثناء وقال : « الحمد لله ، ليقلب الدنيا بأهلها ، لقـد رأيت (مصعباً) ومـا بمكة فتى من قـريش أنعم عند أبويه نعيماً منه ، ثم أخرجه من ذلك الرغبة في الخير في حب الله ورسوله » .

وبعثه رسـول الله (ص) مـع أهل العقبـة الأولى وكان عـددهم اثنا عشر من أهل يثرب ، وأسلم في المدينة عـلى يده خلق كثـير . وفي العام التـالي خرج حـاج الأوس والخـزرج إلى رسول الله (ص) لكي يبـايعوا بيعـة العقبة الثـانية ، وخـرج معهم مصعب بن عمير . . . ووصل إلى مكة وجاء منزل رسول الله (ص) أولاً ولم يقرب منزله ، وبلغ أمه (المشركة) أنه قدم فأرسلت إليه . « يا عاق ، أتقدم بلداً أنا فيه ولا تبدأ بي » .

فأجاب : « ما كنت لأبدأ بأحد قبل رسول الله (ص) » .

وأرادت أمه أن تحبسه مرة ثانية فقال : لئن أنت حبستني لأحرّضنّ على قتل من يتعرض لي .

فقالت : فاذهب لشأنك وجعلت تبكي . فقال مصعب : « يا أماه إني لك ناصح وعليك شفيق ، فاشهدي أنه لا إله إلّا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله . والثواقب (النجوم) لا أدخل في دينك فيزري (فيحتقر) برأيي ، ويضعف عقلي ولكن أدعك وما أنت عليه ، وأقيم على ديني » .

وفي معركة أُحُد كان (مصعب) يحمل لواء المسلمين فثبت به ثبوت الرواسي (الجبال) فأقبل ابن قمئة (فارس من قريش) فضرب يده اليمنى فقطعها ومصعب يقول : « وما محمد إلّا رسول قد خلت من قبله الرسل » .

وأخذ اللواء بيده اليسرى وحنا عليه ، فضرب يده اليسرى فقطعها ، فحنا على اللواء وضمه بعضديه على صدره وهو يقول « وما محمد إلّا رسول قد خلت من قبله الرسل » . ثم حمل عليه بالثالثة وبالرمح وسقط اللواء ووقع (مصعب) ، ووقف محمد رسول الله (ص) يقرأ الآية :

﴿ من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ﴾ .

ثم حمل إليه (مصعب) فنظر إليه (ص) فقال : « لقد رأيتك بمكة ، وما بها أحد أرق حِلة ولا أحسن لمةٍ منك ثم أنت مشعث الرأس في بردة ، ثم أمر به أن يقبر ، ويقول خباب بن الأرت « قتل يوم أُحُد فلم نجد ما نكفنه فيه إلّا بردة إذا غطينارأسه خرجت رجلاه، وإذا غطينا رجليه خرج رأسه فأمرنا النبي (ص) أن نغطي رأسه ، وأن نجعل عليه الأذخر وهو نبات معروف طيب الرائحة » .

. . . ونموذج آخر هو نموذج المرأة المسلمة المجاهدة ، نسيبة بنت كعب المازنية فقد أسلم بنو النجار ـ في يثرب ـ وكان في مقدمتهم زيد بن عاصم وزوجته نسيبة وولداهما (حبيب وعبد الله) .

وكانت نسيبة بنت كعب من الذين بايعوا رسول الله (ص) على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم . وفي يوم أُحُد خرجت (نسيبة) لتسقي الجرحى وخرج معها زوجها (غزية بن عمرو) الذي تزوجها بعد وفاة زوجها الأول زيد بن عاصم .

ولما أحاط المشركون برسول الله (ص) وكلهم عدو موتور منه ، وثبت حول

ـواء رسول الله (ص) حفنـة قليلة مؤمنة لا تـزيـد عن عشرة وارتفعت صيحـاتهم
كلمة التوحيد . ولقد ألقت نسيبة سقاءها ، حين هـزم المسلمون واستلت سيفـاً
قـاتل دون رسـول الله (ص) وأخذت تتلقى النبـل دونـه ، يقـول (ص) : « مـا
لتفت يميناً وشمالاً إلّا وأنا أراها ، تقاتل دوني » ورآها رسول الله ولا تـرس لها ،
لمح رجلاً مُوَلياً معه ترس فقال له : « ألق ترسك إلى من يقاتل » ، فألقى ترسه
أخذته أم عمارة تترس به عن رسول الله (ص) .

وأقبـل فارس من قـريش فضربها ، فتـترست له ، فلم يصنـع سيفـه شيئـاً
وولى ، فهجمت عليـه (أم عمارة) وضربت عـرقوب فـرسه فـوقع عـلى ظهـره ،
فجعل النبي (ص) يصيح : « يا ابن أم عمارة ، أمك ، أمك ، فعـاونها ابنها حتى
قتلته » .

يقـول عبد الله بن زيـد : « جرحت يـومئذٍ جـرحـاً في عضـدي اليسرى ،
فضربني رجل كأنـه الرقـل (النخل الـطوال) ولم يعرج عـلي ومضى عني ، وجعل
الدم لا يرقـأ (لا يجف) فقال (ص) : أعصب جـرحك ، فتقبـل أمي إلي ومعها
عصائب في حقويهـا (خصرتها) وقـد أعدتهـا للجراح فـربطت جـرحي ، والنبي
واقف ينـظر إلي ، ثم قـالت : « انهض نضـارب القـوم » . فجعــل النبي (ص)
يقول : « ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارة » .

وأقبل الرجل الذي ضرب عبد الله ، فقال (ص) : « هذا ضارب ابنـك »
فـاعترضت لـه وضربت ساقـه فبرك ، فتبسم الـرسول (ص) حتى رأت نـواجذه
(آخــر الأضراس) . وقـال (ص) إسْتَقَــدّتِ يـا أم عــمارة » . ثم أقبلت تعلوه
بالسلاح حتى أتت على نفسه فقال (ص) : « الحمد لله الذي أظفرك ، وأقر عينك
من عـدوك ، وأراك ثـأرك بعينـك » . وأقبـل عبــد الله مـرة أخــرى إلى جـانب
الرسول (ص) فقال : « يا ابن أم عمارة ؟ فقال : نعم ! قـال إرمِ قال : فـرميت
بين يديه رجلاً من المشركـين بحجر ، وهـو على فـرس فأصبت عـين الفرس حتى
هـوى هو وصـاحبه ، وجعلت أعلوه بـالحجارة حتى نضـدت (أضـع بعضـه عـلى
بعض) عليه منها وقرا (ثقلاً) . ولما هجم المشركون على رسول الله (ص) ليقتلوه
وأقبل (ابن قمئة) يقول : « دلوني على محمد ، لانجوت إن نجا ، فاعترضت لـه
(نسيبـة) مـع مصعب بن عمـير ، فقتـل المشرك مصعبـاً ، فـوقفت في وجهـه

(نسيبة) فضربها ضربة هائلة وأصابها في عنقها إصابة شديـدة ولكنها مـا وهنت ، وضربته ضربات ، إلاّ أن عدو الله كان عليه درعان .

ونادى رسول الله (ص) عبد الله : « أمك أمك أعصب جرحها . بارك الله عليكم من أهـل بيت مقام أمـك خـير من مقـام فـلان وفـلان ، رحمكم الله أهـل البيت » .

وسمعت نسيبـة كلام الـرسول (ص) فصـاحت « ادع الله أن نـرافقـك في الجنة » .

فأجابها (ص) : « أللهم اجعلهم رفقائي في الجنة » .

فهتف حينئذٍ : « ما أبالي ما أصابني من الدنيا » .

ولقد صاحب أبناها رسول الله (ص) في كل غزواته حتى قضى .

. . . بُعثَ (حبيب) ابنها ألى مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة بـرسالـة فلم يرع مسيلمة حرمة الرسل بـل قبض عليه وأوثقـه وجعل يقـول له : « أفتشهـد أني رسول الله » فيقول « لا أسمع » وجعل يقطعه عضواً حتى مات في يده . وكان إذا ذكر له رسول الله (ص) آمن به وصلى وإذا ذكر له مسيلمة قال : لا أسمع .

علمت نسيبـة باستشهـاد ولدهـا فصبرت ونـذرت أن تشهد مقتـل مسيلمة وتشارك فيه وسار الجيش الإسلامي إلى بني حنيفة وخرج فيه عبد الله بن زيد ومعه أمه أم عمارة وكان عمرها أكثر من ستين عاماً .

وصاح القائـد المسلم : « وامحمداه » وهنـا استلت أم عمارة سيفـاً وهجمت مع فرقة من الأنصار فيها ابنها على أعداء الله ، وأصاب أم عمارة اثنـا عشر جرحـاً فلم تبال .

وقطع ذراعها فلم تـأبه بشيء ، ووصلوا إلى مسيلمـة وفي مقدمتهم عبد الله ابنها يقتلهم بسيفه ووفت بنذرها .

ثم عادت بلا ذراع وانتقلت إلى رحمة الله ودفنت في جنة البقيع[١٧] .

المرأة المسلمة في إيران . . . والشهادة

وهاك صورة رائعة تظهر ما بلغته المرأة المسلمة في إيران من وعي وتعلق بالشهادة ، فقد كانت جماعة من النساء المؤمنات يزرن قبوراً مجهولة الأسماء في جنة الزهراء (بهشت زهرا) ، إنها قبور الشهداء المجهولين :

س : هذه القبور هي لشهداء مجهولين ، فما هو الدافع الذي جعلكن تقمن بزيارة هذه القبور ؟ .

وهنا انتفضت النساء ، ووقفن ، وانهمرت الدموع من أعينهن ، وانبرت إحداهن لتقول :

ج : عجباً عجباً ، كيف تتوجه لنا بهذا السؤال ، وأنت تعلم أن هؤلاء هم شهداء الإسلام ، الذين قتلوا في سبيل الله دفاعاً عنا جميعاً ، وإذا لم يكن لي من ولد شهيد بين هؤلاء الشهداء السعداء فإنني أعتبر أن هؤلاء الشهداء هم أولادي .

الله أكبر ، ما هذا ، إنّها روح الإسلام التي تجعل المرأة والرجل والكبير والصغير ، يفتش عن الشهادة ، ويسعى إليها . وصورة أخرى من الصور التي تظهر عظمة الإسلام ، في صناعة الشخصية المؤمنة ، المتعلقة بالشهادة والإستشهاد صورة ننقلها من نفس المقبرة (جنة الزهراء) ، تُسأل صبية جالسة قرب قبر شهيد :

س : من يكون هذا الشهيد بالنسبة لك ؟ .

ج : إنه زوجي .

س : في أي مكان استشهد ؟ .

ج : استشهد في الجبهة ، وهو يجاهد ضد العدو (الصدامي) الكافر .

س : كم كان عمره ؟ .

ج : عمره (٢١ عاماً) .

س : ما هو شعورك تجاه شهادة زوجك .

ج : إنني فرحة جداً بذلك .

س : ما هي وصيته الأخيرة ؟ .

ج : لقد قال لنا ، بعد أن ودعنا أنه ذاهب ليستشهد ، وأنه لن يعود إلينا ، ونسأل الله تعالى أن نلتقي عند الحسين وفاطمة (ع) .

س : ماذا تتمنين ؟ .

ج : أتمنى أن ألحق به في أقرب فرصة ، وأن أستشهد في سبيل الله .

الشهيد نسيج وحده

متميز بكل شيء في كلامه وسلوكه وتفكيره :

يروي آية الله أردبيلي في إحدى خطبه حكاية ذلك الطالب المؤمن الذي جرح في إحدى المظاهرات التي كانت تقام ضد الشاه وكان هذا الطالب صائماً فجيء بماء فلم يشرب ، وقال : « أنا أعلم أني شهيد وأريد أن ألقى الله صائماً » .

وأحد الشباب من العاملين على الجبهة في الحرب بين إيران الإسلام وعراق صدام الكافر ، يوصي قائلاً : « إلهي إلهي إذا رزقتني الشهادة على الجبهة أطلب أن تمنع عني جميع مصادر المياه لأنني أريد أن أموت عطشاناً متأسياً بسيد الشهداء الإمام الحسين (ع) » .

شيخ الشهداء

وهوذا شهيد الإسلام في الجنوب جنوب أبي ذرّ الشيخ راغب حرب يقف بوجه العدو الإسرائيلي الغاشم ، مرفوع الرأس ، يتحداهم باسم الإسلام والقرآن ويعلن رأيه الصريح بجرأة المجاهد الذي نهل من نبع الإمام الحسين (ع) حتى ارتوى .

فها هم يحققون معه ويسألونه عن ارتباط المسلمين بقيادة الإمام الخميني (رضوان الله عليه) فيقول :

« إنّ الإمام الخميني بالنسبة لنا هو مرجعنا ويمثل قيادتنا الشرعية الملزم أمرها ونهيها ، باعتباره نائب الإمام المهدي (عجّل الله فرجه) » .

ويجيبهم بثقة وحزم ، على سؤالهم له : « لـو أمركم الإمـام الخميني بالقتـال ضدنا هل تستجيبون ؟ » .

فيقول الشهيد حرب : « بكل تأكيد ودون تردد » .

وهو الذي كان يتوجه للجنوبيين فيقول لهم :

إنّ القرار الذي كان يجب أن يستمر هو قرار المقـاومة والمقـاطعة ، ويجب أن نقاوم العدو بشتى الأساليب والوسائل وإذا كان العدو يريد أن يـرتاح من القتـل ، ويستقر باله فليخرج من أرضنا » .

هذا هو طـريق الشهادة ، الـذي يبدأ بـالرفض ، وعـدم المساومـة ، وعدم الإستسلام للعدو وينتهي بـالإستشهاد في سبيـل الله لتثبيت خط الجهاد ، وإعـلاء كلمة الحق . . . فمن يرفض أن يصافح ذلـك الضابط الإسرائيـلي الذي مـدَّ يده لمصافحة الشيخ حرب ، هو الذي يرفض كل أشكال التعاون مع العدو الكافر .

إن عشـاق الشهـادة ، أمثـال راغب حـرب ، هم النـبراس الـذي يضيء الطريق ، ويرسم استراتيجية التحرك لمواجهة العدو ، يقول الشهيد حرب :

« يجب أن نقـرر موقفنـا ، ونستمـر في المقـاومـة لهـذا العـدو ، مهـا كلّف الثمن . فإن استشهد منا مائة ألف وبقينا أعزاء ، وأن نموت جـوعاً ، خـير لنا من أن ننصاع لأوامر العدو » .

إن المطلوب منا ، في ظروفنا المصيرية ، العصيبة :

١ ـ أن نواجه العدو الصهيوني ، الذي احتل أرضنا ، وشرّد شعبنا ، ويعمل عـلى إذلالنا ، وتحقيق أهـدافه الـدنيئة ، لتثبيت أقـدام أمريكـا ، وتحقيق أحـلام إسرائيل في بلادنا ، فليس أمامنا إلا قتاله ، ومقاومته ، ليس لأجل طرده من لبنان فقط ، بـل لأجل طـرده من كل فلسـطين ، وكل أراضي المسلمـين الأخـرى التي احتلها ، وأن نقف بوجه التسويـات ، والمعاهـدات ، والترتيبـات ، والمصالحـات لأنها في النهاية تخدم مصلحة العدو . .

وقد قال الإمام الخميني قدس سره :

« إنّ إسرائيل عدو البشرية ، وعدو الإنسان ، وفي كل يـوم تخلق فاجعـة ، وتحرق أخواننا في جنوب لبنان » .

إن عـلى إسرائيل أن تعلم أن أسيـادها قـد خسروا مـوقعهم الإجتـماعي في العالم ولا بد لهم من الإنزواء ، ولا بد لهم من قطع أطماعهم في إيـران ، ويجب أن يمنعوا من التدخل في جميع البلاد الإسلامية . . .

إنّ المسلمـين يبلغون مليـار نسمة وينعمـون بـالتـأكيـد الإلهي . والإسـلام يحميهم والإيمان يدافع عنهم فمن أي شيء يخافون ؟ .

إننا قد نهضنا مع قلة عـددنا ، أمـام أعدائنـا الكثيرين ، والقـوى العظمى وهزمناهم . ولا تظنوا أن بعض هذه الطوائف الفاسدة ، بعض هؤلاء اليسـاريين الأمريكيين وغير الأمريكيين ، يتمكنون من إبراز وجودهم في البلد فنحن إذا أردنا وأراد شعبنا ، فإنهم سيحذفون جميعاً في مزابل الفناء خلال ساعات .

وإنّ شعبنا العظيم لن يخـاف من هذه التحـركات اليـائسة ، وإن تحـركات إسرائيل في جنوب لبنان ، وبالنسبة إلى الفلسطينيين تحركات يائسة . إنّها تحركات الفـاسدين في نهايـة أمرهم ، كـما صنعه الشـاه . . . (المقبـور) في إيـران وانتهى بهلاكه وفنائه .

ولتعلم الحكومات في العـالم أن الإسلام لن ينهـزم ، وإن الإسلام وتعـاليم القـرآن لا بد أن تتغلب عـلى جميع الـدول . ولا بد أن يكـون الـدين هـو الـدين الإلهي . إنّ الإسلام هو دين الله ، ولا بد أن ينتشر في الأقطار الإسلامية » .

٢ ـ ويجب أن نعلم أن طرد العدو من أرضنا ، وتحرير القـدس الشريـف ، وجميع بلاد الإسـلام ، لا يتحقق إلاّ بالصـبر والصمود ، عـلى خط الله ، ومؤازرة المقاتلين المؤمنين ودعمهم . . وليكن عشق الشهادة أساس تحركاتنـا ، وجهادنـا ، ولتكن مـواقفنا كمـواقف أصحاب الحسـين (ع) في كربـلاء ، وذلك عنـدمـا أذن الإمام الحسين (ع) لهم : بالانصراف فقال مسلم بن عوسجة .

« أنحن نخـلي عنك ولمـا نعذر إلى الله في أداء حقـك . أما والله لا أفـارقك حتى أطعن في صدورهم برمحي ، وأضربُهم بسيفي ، ما ثبت قائِمُه في يـدي ، ولو لم يكن معي سلاح أقاتِلُهم به ، لقذفتُهم بالحجارة دونك حتى أموت معك » .

وقال سعد بن عبد الله الحنفي : « والله لا نخليك حتى يعلم الله أنّا قد حفظنا غيبة رسول الله (ص) فيك ، والله لو علمت أني أقتل ، ثم أحيا ، ثم أحرق حياً ، ثم أذر ، يفعل بي ذلك سبعين مرة ، ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك ، فكيف لا أفعل ذلك ، وإنّما هي قتلة واحدة » .

٣ ـ التوجه نحو العدو الأكبر ، والخطر الأكبر ، ومحاربة الشيطان الأكبر (أميركا) وربيبتها إسرائيل ، ونسيان ، أو تناسي الخلافات الصغيرة ، أو تأجيلها حتى يتسنى لنا أن نهيء الظروف المناسبة لمقاومة العدو .

٤ ـ العمل على توحيد الشعب المسلم والطوائف الإسلامية ، ضمن إطار سياسي وإعلامي موجّه وتوعيتها لمقاومة العدو وتبيان المخاطر التي تحيق بالأمة ، والإسلام .

٥ ـ التوكل على الله ، وعدم الإعتماد على الآخرين ، لأنهم إنّما يفكرون بمصالحهم فقط ، ويعملون لتجيير جهودنا وجهادنا لمنفعتهم السياسية والإجتماعية .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .



مصادر ومراجع البحث

(★) راجع محاضرة « الإسلام وكرامة الإنسان » للإمام الصدر .
(١) ماذا يعني انتمائي للإسلام . يكن .
(٢) الأصول من الكافي ج ٢ .
(٣) عدد ٧ .
(٤) راجع الإسلام ومنطق القوة ـ العلامة محمد حسين فضل الله ـ ص ٩١ .
(٥) الأصول من الكافي ج ١ ص ١٦٣ .
(٦) حديث شريف .
(٧) من محاضرة للإمام الصدر « الروحية في الإسلام وشؤون المجتمع » .
(٨) الإسلام ومنطق القوة ص ٢٦٠ ـ ٢٦٣ .
(٩) راجع دروس من الثورة الإسلامية في إيران /الآصفي .
(١٠(راجع كلمات القرآن/ مخلوف .
(١١) من محاضرة لسماحة الإمام السيد موسى الصدر .
(١٢) غرر الحكم .
(١٣) راجع كتاب الشهيد/ الشهيد مطهّري .
(١٤) مجمع البيان ج ١ ص ٥٣٨ .
(١٥)(١٦) راجع كتاب الشهيد /الشهيد مطهري .
(١٧) راجع كتاب شهداء الإسلام/ الدكتور علي النشّار .

المحتـويـات

الفصل الثاني من معالم الكفر :

القسم الثاني
الباب الثاني في معالم الإيمان

الفصل الأول :

الفصـل الثالث :

الفصـل الـرابع :

